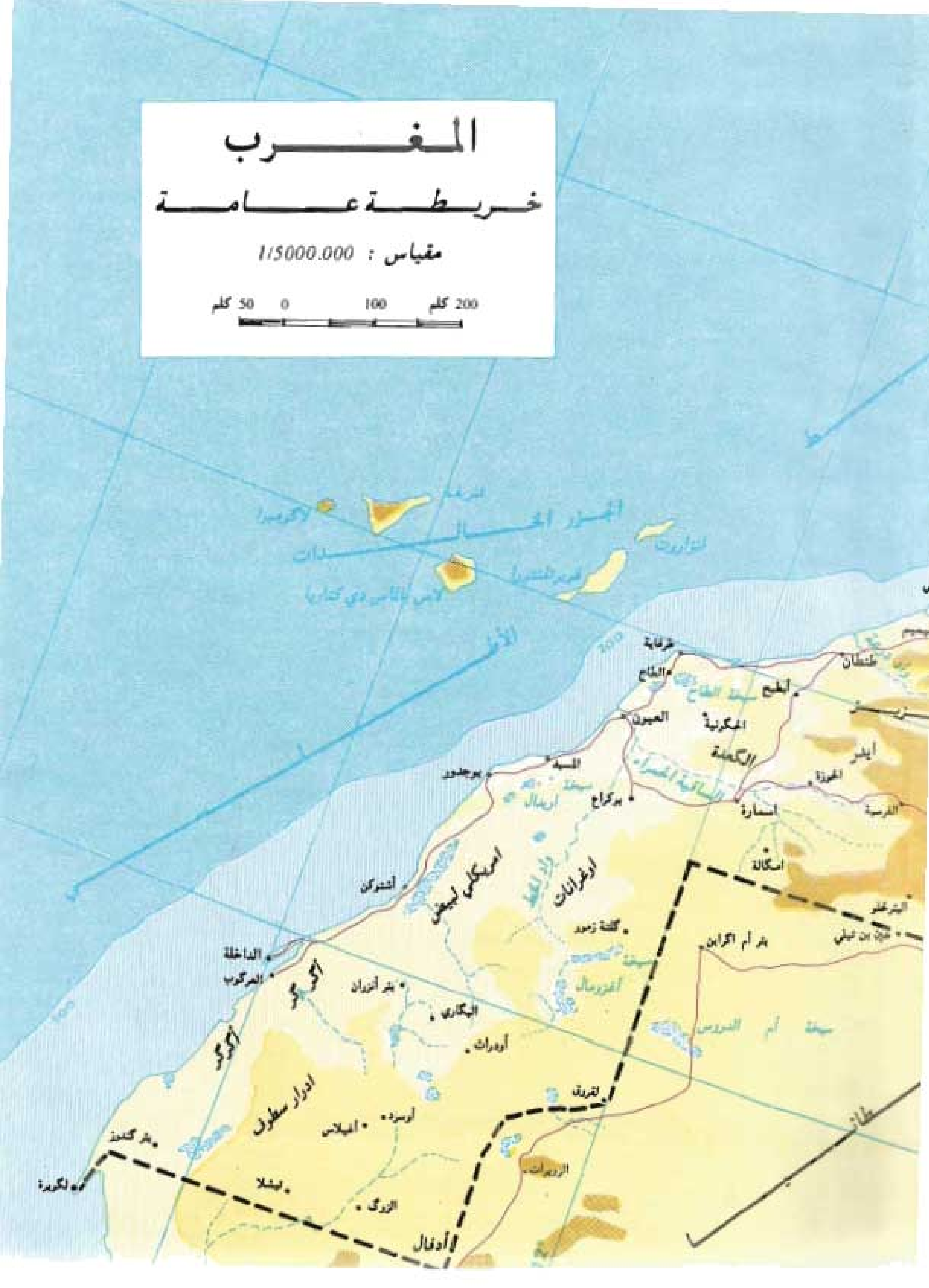
13



البحر المتوسط
سبتة
طنجة
تطوان
شفشاون
الحسيمة
مليلية
الناظور
وهران
تلمسان
وجدة
الرباط
الدار البيضاء
فاس
مكناس
الأطلس المتوسط
النجود العليا
عين بني مطهر
بوعرفة
عين الصفرة
فكيك
بشار
الرشيدية
حمادة توناسين
30°
28°
مفتاح الخريطة
. أهم الطرق والمسالك
. نهر
. سد مهم
. حدود دولية
. من 0 إلى 200 ميتر
. من 200 إلى 500 ميتر
. من 500 إلى 1000 ميتر
. من 1000 إلى 2000
. من 2000 إلى أكثر من 3000 ميتر
. أكثر من 4000



المغرب
خريطة عامة
مقياس : 1/5000.000
200 كلم 100 0 50 كلم
طرفاية
العيون
الكلتة
الساقية الحمراء
بوجدور
بوكراع
السمارة
الحوزة
الفرسية
الداخلة
المركوب
بئر أنزران
أوسرد
بئر كندوز
تيشلا
الزوك
أدرار سطوف
بئر أم اكراين
لقويرة

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

13

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2001 - 1422

معلمة المغرب

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984/629

ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 8 - 019 - 03 - 9981 (الجزء 13)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب بدعم من وزارة الثقافة والاتصال ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق عبارات الشكر والامتنان.

اختصارات

تـ .	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. تـ	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. تـ	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في تحرير هذا الجزء

ميلود **احمَنْ**، كلية الآداب - مراكش
محمد **أخريف**، باحث - القصر الكبير
محمد **الأخضر**، باحث - الرباط
الفقيه **الإدريسي**، كلية الآداب - بني ملال
محمد **أديوان**، كلية الآداب - الرباط
شفيق **أرفاك**، كلية الآداب - أگادير
عبد الرزاق **ازريكم**، كلية الآداب - مراكش
سعيد **أعراب**، باحث - تطوان
عمر **أفا**، كلية الآداب - الرباط
المختار **الأكحل**، كلية الآداب - المحمدية
العربي **اكنينح**، المدرسة العليا للأساتذة - فاس
حسن **أميلي**، كلية الآداب - المحمدية
خالد **أوشن**، باحث - أگادير
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية - البيضاء
محمد **أيت حمزة**، كلية الآداب - الرباط
لحسن **أيت لفقيه**، كلية الآداب - بني ملال
أحمد **إيشرخان**، باحث - الرباط
عيسى **إيكن**، وزارة الثقافة - الرباط
محمد **البايك**، باحث - مراكش
محمد **البدراوي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب - المحمدية
محمد **براص**، باحث - الرباط
محمد **البركة**، باحث
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية - العرائش
محمد **بلعربي**، باحث - الرباط
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب - الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب - القنيطرة
رقية **بلمقدم**، كلية الآداب - القنيطرة
علي **البليشي**، كلية الآداب - الرباط
أحمد **بنجلون**، باحث - الرباط
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب - المحمدية
زينب **بنرحمون**، أستاذة باحثة بالرباط
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب - مراكش

حليمة **بنكرعي**، كلية الآداب - القنيطرة
عبد الإله **بنمليح**، كلية الآداب - فاس
عثمان **بناني**، كلية الآداب - الرباط
رحال **بوبريك**، كلية الآداب - أگادير
محمد الأمين **بوخبزة**، باحث - تطوان
عبد القادر **بوراس**، المركز الجهوي التربوي - القنيطرة
سعيد **البوزيدي**، كلية الآداب - القنيطرة
عيسى **البوزيدي**، كلية الآداب - القنيطرة
فاطمة **بوستة**، باحثة - الرباط
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية - الرباط
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب - الدار البيضاء
مصطفى **بوشعراء**، باحث - سلا
عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم - فاس
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب - الرباط
أحمد **بوعزيز**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط
أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية - تيزنيت
جامع **بيضا**، كلية الآداب - الرباط
عبد العزيز **توري**، وزارة الثقافة - الرباط
أحمد **التوفيق**، محافظ الخزانة العامة - الرباط
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية - مراكش
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء
محمد **الحاتمي**، كلية الآداب - أگادير
حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب - مراكش
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب - الدار البيضاء
محمد **حجي**، كلية الآداب - الرباط
عبد الفتاح **الحجمري**، كلية الآداب - الدار البيضاء
موحى **حدوش**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب - فاس
نجيب **خداري**، صحافي - الرباط
علال **الخديمي**، كلية الآداب - الرباط
محمد **خربوعة**، المعهد العلمي - الرباط
خالد **الخضري**، وزارة الثقافة - الرباط
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم - الرباط
عبد الإله **الدحاني**، كلية علوم التربية - الرباط

نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب - القنيطرة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب - مراكش
علال **ركوك**، كلية الآداب - بني ملال
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي - الرباط
محمد **الرمضاني**، باحث - وجدة
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب - القنيطرة
محمد **رياض**، باحث - مراكش
الميلود **زروقي**، كلية الآداب - وجدة
عبد الخالق **الزرواطي**، المعهد العلمي - الرباط
أحمد **زروال**، كلية الآداب - مراكش
قاسم **الزهيري**، باحث - الرباط
عبد الفتاح **الزين**، معهد البحث العلمي - الرباط
خليل **السعداني**، كلية الآداب - بني ملال
محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية - سلا
عبد السلام **السعيدي**، باحث - مراكش
المهدي **السعيدي**، كلية الآداب - أكادير
رشيد **السلامي**، كلية الآداب - مراكش
محمد **السمار**، باحث - الرباط
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب - الرباط
خالد **شاوش**، باحث - تطوان
محمد **الشريف**، باحث - تطوان
محمد عزيز **الشفشاوني**، باحث - الرباط
صالح **شكاك**، وزارة التربية الوطنية - الرباط
الحسين **شوقي**، وزارة التربية الوطنية - قلعة السراغنة
حمادي **شيمي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط
عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب - المحمدية
خالد بن **الصغير**، كلية الآداب - المحمدية
أحمد **الطاهري**، كلية الآداب - المحمدية
محمد **الطليسان**، كلية الآداب - الرباط
محمد **الظريف**، كلية الآداب - المحمدية
عبد العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة - مكناس
إسماعيل **العثماني**، مديرية الوثائق الملكية - الرباط
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب - القنيطرة
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث - تطوان
عدي **عزي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب - الرباط
أحمد **عمالك**، كلية الآداب - مراكش

صافية **العمراني**، وزارة التربية الوطنية - مراكش
عبد العلي **العمراني جمال**، بالمركز الجامعي للبحث العلمي - باريز
محمد **عمراني**، كلية الآداب - القنيطرة
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب - الرباط
أحمد **عيدون**، وزارة الثقافة - الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب - الرباط
محمد **العيوض**، المدرسة العليا للأساتذة - الرباط
إدريس **الفاسي**، كلية الآداب - الرباط
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب - القنيطرة
محمد **فنحة**، كلية الآداب - الدار البيضاء
حسن **الفكيكي**، كلية الآداب - القنيطرة
بوشتى **الفلاح**، المعهد العلمي - الرباط
محمد **القادري**، كلية العلوم - الرباط
محمد **كربوط**، كلية الآداب - الرباط
ليفي شمعون، كلية الآداب - الرباط
محمد **ماكامان**، وزارة التربية الوطنية - مراكش
أحمد **متفكر**، باحث - مراكش
محمد **مجدوب**، كلية الآداب - المحمدية
ثريا **المرابط**، المركز الوطني للتنسيق وتخطيط البحث - الرباط
محمد **المغراوي**، كلية الآداب - الرباط
محمد **المنصور**، كلية الآداب - الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي - الرباط
أحمد **مهدرها**، كلية الآداب - مراكش
مصطفى **مولاي ارشيد**، كلية الآداب - الرباط
شاكر **ميلودي**، كلية الآداب - الرباط
محمد **ناجي بن عمر**، باحث - أكادير
مصطفى ناعمي، معهد البحث العلمي - الرباط
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب - الرباط
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب - مراكش
أحمد **الوارث**، كلية الآداب - الجديدة
إبراهيم **الوافي**، كلية الآداب - أكادير
محمد **وحيد**، باحث - الدار البيضاء
محمد عزيز **الوكيلي**، وزارة التربية الوطنية - الرباط
أحمد **اليبوري**، كلية الآداب - الرباط
مصطفى **اليزيدي**، كلية الآداب - وجدة
خديجة **اليملحي**، كلية علوم التربية - الرباط

بيبليوغرافيا إضافية
إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

محمد ابن **إبراهيم الدكالي**،

- *تقاليد تاريخية*، مخطوط مكتبة بودليان. اكسفورد C79.

اتحاد كتّاب المغرب،

- *دليل الكتّاب المغاربة*، الرباط، 1993.

إحسان عباس،

- *ابن رضوان وكتابه في السياسة*، كتاب العيد، بيروت، 1967.
- *نوازل ابن رشد*، مجلة الأبحاث للجامعة الأميركية، بيروت.

أحمد **أحوزَيْ**،

- هداية الملك العلام، مخطوط

الهادي - روجي **إدريس**،

- *الدولة الصنهاجية : تاريخ إفريقية في عهد بني زيري*، تر. حمادي الساحلي، بيروت، 1992.

محمد **أديب السلاوي**،

- *أعلام الفن التشكيلي العربي بالمغرب*، بغداد، 1982.

ابن **الأزرق**،

- *بدائع السلك*، تح. م. ابن عبد الكريم، ليبيا - تونس، 1977.

عبد الله **أزيطان**،

- *كتيب في الرماية وفضائلها*، مخطوط.

يوسف **أشباخ**،

- *تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين*. تر. ع عنان، القاهرة، 1958.

عمر **أفـــا**،

- *نظام المقاييس والأوزان المغربية وتطورها نحو النظام الميتري*، ضمن كتاب فكر وتاريخ، الرباط، 1998.

محمد **الإفراني**،

- *الإفادات والانشادات*، مخطوط.
- *درر الحجال في سبعة رجال*، مخطوط.

أحمد **أمين**،

- *ابن رشد : تلخيص مبادئ الطبيعة*، القاهر، 1958.

خالد **أوشّن**،

- *الوعي الاجتماعي بالمقاومة الوطنية* (نموذج أگادير) بحث الاجازة مرقون كلية الآداب، أگادير، 1987.

خوسي **أليماني**،

- *الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة*، تر. أحمد مدينة، دعوة الحق، ع 5، 1978.

أ. ف **الأهواني**،

- *ابن رشد : تلخيص كتاب النفس*، القاهرة، 1950.

محمد **أوني**،

- مفهوم الريف المغربي، *حوليات الريف*، عدد 1، سنة 1998.

محمد أحمد **باهي**،

- *الليث سيدي أحمد الرگيبي*، ط 2، الرباط، 1999.

عبد الرحمن **بدوي**،

- *أرسطو في الشعر، الترجمة العربية القديمة مع شروح الفارابي وابن سينا وابن رشد*، القاهرة، 1954.
- *ابن رشد*، الكويت، 1984.
- *الخاص والمخصوص*، ط. 2، بيروت، 1980.

يحيى ابن البراء،

- *الفقه والمجتمع والسلطة*، نواكشوط، 1993.

جون **بريشويت**،

- *تاريخ الثورات في امبراطورية المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل*، تر. منية مادني د. د. ع. مرقون. كلية الآداب، الرباط، 2000.

عكاشة **برحاب**،

- *مفهوم الحدود في الوثائق الغربية منذ احتلال الجزائر*، أعمال ندوة المحمدية، 1998.

محمد **بريان** و عبد الله **العوينة**،

- *تهيئة الساحل وتطورُهُ*، الدار البيضاء، 1993.

ابن **بصال**،

- *كتاب الفلاحة*، نشر خوسي مارية و م. عزيمان.

محمد المكي **البطاوري**،

- *شرح أرجوزة الاتاي*، الرباط، 1946.

الحاج الحسن **البعقيلي**،

- *تبيين الأشراف أهل دائرة الوسائل*، وقبلة توجه كل سائل، الدار البيضاء، 1358 هـ.

أبو عبيد **البكري**،

- *معجم ما استعجم*، بيروت، 1403 هـ.

محمد **بلفقيه** و ع. **فضل الله**،

- *آليات وأشكال التوسع الحضري*، حالة الرباط سلا، الرباط، 1986.

عبد الله ابن **بلقين**،

- *التبيان*، الرباط، 1995.
- *مذكرات الأمير ابن بلقين*، تح. أمين توفيق الطيبي، الرباط.

محمد بلموزونة،

- *التوضعات السطحية بمنطقة مشرع بلقصيري*، د.د.ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1993.

سعيد **بنسعيد العلوي**،

- *صورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر*، ضمن كتاب الوطنية والتحديث، بيروت، 1997.

محمد **بنشريفة**،

- *كيف ظهر ضريح القاضي عياض*، مجلة كلية الآداب، مراكش، ع 6، 1990.
- *ملعبة الكفيف الزرهوني*، الرباط، 1987.

عبد العزيز **بنعبد الله**،

- *السفارة والسفراء بالمغرب عبر التاريخ*، الرباط، 1985.
- *معلمة المغرب*، القنيطرة، 2000.

شوقي **بنعزو**،

- الماء التحدي المستمر، منشورات بانوراما، 1994.

عبد اللطيف **بنمصور**،

- مجموعة *أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك*، الدار البيضاء، 1977.

عبد الوهاب **بنمصور**،

- *مع جلالة الملك الحسن الثاني في فاس وتازة ووجدة وتلمسان*، الرباط، 1970.

أحمد **بناني**،

- *تحلية الآذان والمسامع*، مخطوط.

محمد **بنهاشم**،

- *السياسة الخارجية المغربية في عهد السلطان المولى سليمان*، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، فاس، 198[illegible].

محمد العربي ابن **البهلول**،

- *منهج الارتجال إلى معرفة الشيخ سيدي رحال*، الرباط، 1952.

مصطفى **بوشعراء**،
- *ذيل الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 199 ؟
ميمون **بوشلاغم**،
- الزاوية الرمضانية، وثائق من بني يزناسن، د.د.ع. مرقون، كلية الآداب، فاس، 1985.
عبد الهادي **بوطالب**،
- *ذكريات... شهادات... ووجوه*، الدار البيضاء، 1993، جزآن.
أحمد بن مبارك **بو الطعام**،
- *كناشة*، مخطوطة.
المهدي، **البوعبدلي**،
- *الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها*، مجلة الأصالة.
- *عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر*، *الأصالة*، سنة 1978، ع 53.
محمد **بويغ**،
- *تلخيص كتاب المقدمة /ابن رشد*، بيروت، 1932.
- *تفسير ما بعد الطبيعة /ابن رشد*، بيروت، 1938.
- *تهافت التهافت /ابن رشد*، بيروت، 1930.
بروس **بولت**،
- *الزلازل*، تر. سهل السنوي وآخر، بغداد، 1988.
فرانسوا **بيرجي**،
- *موحى وحمو الزياني*، تر. م. بوستة، فاس، 1999.
شارل **بيلا**،
- *مقدمة الناقعة على الآلة الجامعة لابن سليمان الروداني*، *مجلة الدراسات الشرقية بدمشق*، جزء 27، سنة 1973.
الطيب **البياز**،
- *الكناشة*، مخطوط، خ. ح 36652.
موساتوفا **تاتيانا**،
- *العلاقة الروسية المغربية*، تر. ع. الرحيم العطاوي، *مجلة دار النيابة*، عدد 18، سنة 1988.
عبد الهادي **التازي**،
- *التاريخ الدبلوماسي*، 1988، ج 9.
عبد الله بن إبراهيم **التاسافتي**،
- *رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد*. تح. ع صدقي أزايكو، القنيطرة، 1992.
علي **التامكروتي**،
- *النفحة المسكية في السفارة التركية*، مطبوع بالتصوير على مخطوط، باريس، د. ت.
محمد ابن **تاويت التطواني**،
- *الوافي بالأداب العربي في المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1982، ثلاثة أجزاء.
محمد ابن **تاويت التطواني** و**عفيفي**،
- *الأدب المغربي*، بيروت، الطبعة الأولى، 1960.
محمد **التطواني السلوي**،
- *ابن أبي زرع وكتاب القرطاس*، *مجلة الثقافة المغربية*، جوان جويي، 1945.

نعيمة **التوزاني**،
- *الأمناء بالمغرب على عهد المولى الحسن*، الرباط، 1979.
أحمد **التوفيق**،
- *أبو الحسن علي بن سليمان الدمناتي البوجمعوي ورسالته إلى الآفاق*، ضمن كتاب *في النهضة والتراكم*، الدار البيضاء، 1986.
أحمد **التيفاشي**،
- *متعة الأسماع في علم السماع*، مخطوط.

عباس الجراري، سعيد بنسعيد، أحمد التوفيق،
- *عبد الرحمن ابن زيدان*، - *سلسلة أعلام المغرب*، الدار البيضاء، 1998.
عبد الله الجراري،
- *الغاية من رفع الراية*، الرباط، 1953.
حسن جلاب،
- *عراصي مراكش ودورها في تكوين الشباب*، دعوة الحق، عدد 352.
جماعة من الباحثين،
- *أعمال الدورة الثالثة لجمعية الجامعات الصيفية بأكادير*، الدار البيضاء، 1990.
- *أعمال الملتقى الثقافي الرابع حول صفرو ومنطقتها*، 1990.
- *أعمال الملتقى الفكري الأول لمدينة أسفي*، الدار البيضاء، 1988.
- *أعمال ندوة أكادير الكبرى، المحور التاريخي*، أكادير، 1990.
- *أعمال ندوة أبي محمد صالح المناقب والتاريخ*، الدار البيضاء، 1990.
- *أعمال ندوة حول مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي*، الرياض - السعودية. 1999.
- *أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي*، تطوان، 1996
- *البادية المغربية عبر التاريخ*، ندوة كلية الآداب، الرباط، رقم 77.
- *تاريخ إقليم أسفي*، الدار البيضاء، 2000.
- *التاريخ وأدب النوازل*، مهدى للفقيد محمد زنيبر، الرباط، 1995.
- *تراث الأندلس*، بإشراف محمد حجي، الدار البيضاء، 1984.
- *الشاوية : التاريخ والمجال*، (ندوة) الدار البيضاء، 1997.
- جامعة مولاي علي *الشريف الخريفية* (وزارة الثقافة)، عشرة أجزاء. الرباط، 1989 حتى 2001
- *حصيلة وآفاق العلاقات المغربية السوفياتية* (ندوة قدماء خريجي الجامعات السوفياتية)، مردون، 1988.
- *طنجة في التاريخ المعاصر* (ندوة)، الرباط، 1991.
- عروض ودراسات علمية *حول القردة*، ندوة جامعة الأخوين، إفران، 1999.
- *الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى* (ندوة)، الرباط، 1995.
- *فكر وتاريخ*، الرباط، 1998.
- *في النهضة والتراكم*، مهداة لمحمد المنوني، الدار البيضاء، 1986.
- متنوعات محمد حجي، بيروت، 1998.
- *مجلة الاعتصام*، عدد خاص بتكريم الشيخ الرحالي الفاروقي.
- *المختار السوسي الذاكرة المستعادة*، (ندوة)، الدار البيضاء، 1984.
- *مذكرات التراث المغربي*، (الترجمة العربية)، الدار البيضاء، ؟
- *المنطقة الشمالية والكفاح الوطني*، الرباط، 1998.
- *الموسوعة الحديثة : علم النباتات والحيوانات*، سلكا - سويسرا، 1990.
- ندوة *أعمال المجالات الحدودية في الوثائق المغربية منذ احتلال الجزائر*، المحمدية، 1998.
- *ندوة الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في الشمال الغربي المغربي*، الرباط، 1995.
- *ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار*، المندوبية السامية للمقاومة، 1991.
- *وثيقة المطالبة بالاستقلال. تراجم الموقعين (المندوبية السامية لقدماء المقاومين)*، الرباط، 1996.
- *رحيش المغرب*، (مكتب تنسيق التعريب)، الرباط، 1976.
- *الوطنية والتحديثية في المغرب*، بيروت، 1997.
- *مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المومنية*، جمع ل. بروفنسال، الرباط، 1941.
- *مجموع جديد من رسائل موحدية*، تح. عزاوي، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1986.
أحمد ابن الحاج،
- *الدرر الجوهرية*، مخطوط، خ. ح 12 ج.
م. حسين الأعلمي الحائري،
- *دائرة المعارف الشيعية العامة*، 10 / 159 ؟

محمد بن الحسن **الحايك**،
- *مقدمة كتاب الحايك*، تح. مالك بنونة، الرباط، 1999.
ابن **حجاج الأندلسي**،
- *الفلاحة*، مخطوط.
محمد **الحجاري** وآخرون،
- *المغرب في حلى المغرب*، تح. شوقي ضيف، القاهرة، د. ت.
محمد **حجي**،
- جولات *تاريخية*، بيروت، 1995، جزآن.
- *ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب*، الرباط، 1976.
محمد ابن **حجر** العسقلاني،
- *أنباء الغمر في أبناء العمر*، ط. الهند.
إبراهيم **حركات**،
- *السياسة والمجتمع*، الدار البيضاء، 1987.
م. **الحضرمي**،
- *السلسل العذب*، تح. مصطفى البخار، سلا، 1988.
محمد **الحضيكي**،
- *طبقات*، تح. أ. بومزگو، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط.
محمد **حمادة**،
- *الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقيا*، ط. 2، بيروت، 1986.
ابن **حمادة السبتي**،
- *مختصر المدارك*، ملحق بكتاب *ترتيب المدارك* للقاضي عياض، ج 8، تح. س. أعراب، المحمدية، 1983.
ج. ف. **حوراني**،
- *كتاب فصل المقال / ابن رشد*، بيروت، 1968.
سليمان **الحوات**،
- *الروضة المقصودة في مآثر بني سودة*، تح. ع. العزيز تيلاني، الدار البيضاء، 1994.
محمد **الحياني**،
- *الرياضة المغربية، شواهد وأسرار*، الرباط، 1992.
علال **الخديمي**،
- *أخبار الجهاد والمجاهدين بالمنطقة الشمالية خلال الحرب العالمية الأولى*، ضمن كتاب المنطقة الشمالية والكفاح الوطني، الرباط، 1998.
محمد **الخروبي**،
- *رسالة الخروبي إلى علماء فاس*، مخطوط.
خالد **الخضري**،
- *دليل المخرجين السينمائيين المغاربة*.
- لسان الدين ابن **الخطيب**،
- *ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب*، تح. ع الله عنان، القاهرة، 1980.
- *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، 1978.
- *أوصاف الناس في التواريخ والصلات*، تح. م كمال شبانة، المحمدية، د. ت.
- معيار *الاختيار في ذكر المعاهد والديار*، المحمدية، 1976.
- *تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط* (أعمال الأعلام)، تح. أ. مختار العبادي وإبراهيم الكتاني، الدارالبيضاء، 1964.
إدريس **خليفة**،
- *الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال*، المحمدية، 1994.
ابن **خليل**،
- *اختصار القدح المعلى*، تح. إبراهيم الأبياري، القاهرة، 1959.

أبو بكر محمد ابن **خير الإشبيلي**،
- *فهرس ابن خير*، باشراف زهير فتح الله، ط. 2، القاهرة، 1963.
عبد الغني **الدالي**،
- *محاضرات في النقود والبنوك*، الرباط، 1972.
محمد **دحمان**،
- *إسماعيل ولد الباردي*، الرباط، 1999.
ابن **دراج** القسطلي،
- *ديوان*، تح. محمود علي مكي، القاهرة، 1389 هـ.
- أبو مدين **الدرعي**،
- *رحلة*، مخطوطة.
س. **دنيا**،
- *تهافت التهافت لابن رشد*، القاهرة، 1964 - 1965.
عبد الصمد **الديالمي**،
- *المرأة والجنس في المغرب*، الدار البيضاء، 1985.
اليزيد **الراضي**،
- شعر *داود الرسموكي*، أگادير، 1992.
عبد الله بن أبي **الربيع السبتي**،
- *برنامج*، تح. ع. العزيز الأهواني، مجلة المخطوطات العربية، مجلد، 1 ج 1 - 2، 1955.
التهامي ابن **رحمون**،
- *مجموعة إرجازات أشياخه*، مخطوط.
ع. **رشيد**،
- *تاريخ الرياضة بالمغرب*، ط. 3، الدار البيضاء، 1998.
محمد ابن **رشد الجد**،
- *البيان والتحصيل*، تح. م. حجي وآخرين، بيروت، 1988، عشرون جزءاً.
محمد ابن **رشيد السبتي**،
- *ملء العيبة*، تح. م. الحبيب ابن الخوجة، تونس، 1982، جزآن.
ابن **رضوان**،
- *الشهب اللامعة*، تح. علي سامي النشار، الدار البيضاء، 1984.
محمد **الرقيق القيرواني**،
- *تاريخ إفريقية والمغرب*، 1990.
محمد السعيد **الرگراگي**،
- *الفقيه محمد بن أحمد العبدي الكانوني : حياته وفكره ومؤلفاته*، مراكش، 2000.
علال **رگوگ**،
- *نماذج من الزعري*، جريدة *بيان اليوم الثقافي*، رقم 17.
محمد **الرهوني الوزاني**،
- *أوضح المسالك وأسهل المراقي إلى سبك إبريز الشيخ عبد الباقي*، ط. حجر فاس، 1290. ثمانية أجزاء.
محمد بن سليمان **الروداني**،
- *صلة الخلف بموصول السلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988.
محمد **رياض**،
- *أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي*، الدار البيضاء، 1996.
أمين **الريحاني**،
- *المغرب الأقصى*، بيروت، 1975.
محمد الصادق ابن **ريسون**،
- *الدر المكنون في ترجمة الزعيم ابن ريسون*، شفشاون، 1415 هـ.
- موجز *تاريخ شفشاون*، شفشاون، 1986.

أحمد بن الأمين **الريسوني**،
- *حقائق تاريخية عن زاوية تازروت*، تطوان، د. ت.
الغالي **الريسوني**،
- *رجل ومواقف دفاعاً عن وحدة الأمة*، تطوان، 1982.
عزو الريطب،
- *الزاوية الرحالية بأنماي خلال القرن 16*، بحث جامعي للاجازة مرقون، كلية الآداب، الجديدة، 1992.
- عبد المجيد **الزبادي**،
الرحلة الحجازية، مخطوط.
الحبيب **الزلماطي**،
- *مقالات أحمد زياد الأدبية*، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، وجدة، 1996.
محمد **زاكي**،
- *منطقة تافرانت، الحوض الأوسط لوادي ورغة*، د.د.ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1996.
مبارك **زكي**،
- *تاريخ المقاومة وجيش التحرير من أفواه رجالها*.
عبد السلام **الزموري**،
- *إزالة البُوس*، مخطوط.
عبد الغني **الزموري**،
- *القانون المفيد في علاج الحصى بقول سديد*، (مقدمة)، مخطوط.
محمد **الزناتي**،
- *الفصل في أصول علم الرمل*، القاهرة، ؟
أبو بكر بن الطاهر **زنيبر**،
- *نظرات في تطور التعليم بالمغرب*، مخطوط.
- جهود *الإسلام في ترقية الأنام*، تح. فائزة البوكيلي، مرقون.
علي **زنيبر**،
- *حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال*، مخطوط، خ. ص.
أبو القاسم **الزياني**،
- جمهرة *مَن حكم فاس*، مخطوط خ. ع.
عبد الرحمن ابن **زيدان**،
- *المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف*، تح. ع الهادي التازي، الدار البيضاء، 1993.
ي. ابن **الزيات التادلي**،
- *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984.
إبراهيم محمد **الساسي العوام**،
- *الصروف في تاريخ الصحراء وسوف*، تونس، 1977.
م. س. **سالم**،
- *تلخيص الخطابة /ابن رشد*، القاهرة، 1979.
- *تلخيص كتاب أرسطو في الشعر /ابن رشد*، القاهرة، 1971.
- *تلخيص كتاب الجدل /ابن رشد*، القاهرة، 1979.
عبد الأحد **السبتي** ومحمد **الخصاصي**،
- *من الشاي إلى الأتاي*، الدار البيضاء، 1999.
إلياس **سركيس**،
- *معجم المطبوعات العربية والمعربة*، القاهرة، 1928.
عبد الكبير ابن **سعيد**،
- *العيون المرضية في ذكر بعض مناقب الطائفة الركراكية*، مخطوط.
- *حول أصول الركراكيين وأنسابهم*، مخطوط، تخريج عمر أفا.

عبد الملك ابن سعيد **المغربي**،
- *كتاب الجغرافيا*، بيروت، د. ت.
- *بسط الأرض*، تطوان، 1958.

رشيد **السلامي**،
- *رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندي*، *متنوعات محمد حجي*. بيروت، 1998.
- *وثائق مرينية*، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1989.

داوود بن علي **السملالي**،
- *بشارة الزائرين الباحثين في الصالحين*، مخطوط.

أبو عبد الله **السنوسي**،
- *نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير*، مخطوط.

عصام سالم **سيسالم**،
- *جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار*، بيروت، 1984.

لويس **سيكودي لوثينا**،
- *الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء*، تر. ع. طعمة، دمشق، 1992.

الحسن **الشاهدي**،
- *أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني*، الرباط، 1990.

شاهر جمال أغا،
- *الزلازل وتطور وتبدل الأرض في القرآن*، 1996.

محمد رضى **شرف الدين**،
- *لباس الرأس في المغرب*، د. د. ع مرقون.

إسكندر **رشلفون**،
- *دائرة المعارف الموسيقية وقاموس المعهد*، ق 1، 1927.

مصطفى **الشليح** وآخرون،
- *محمد المختار السوسي (سلسلة أعلام المغرب)*، الدار البيضاء، 1996.

محمد الإمام **الشنقيطي**،
- *الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنقيط*، الرباط، 1957.

الحسن **شوقي**،
- *قبيلة السراغنة خلال القرن 19*. د. د. ع، مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1991.

فاطمة **الشويخ**،
- *التكوينات السطحية والدينامية الحالية بمنطقة ترزال*، د.د.ع. مرقون كلية الآداب، الرباط، 1996.

جمال الدين ابن **الصابوني**،
- *تكميل إكمال الإكمال في الأسماء والأنساب والألقاب*، بيروت، 1986.

م. **الصباغ** التلعي،
- *لسان العارفين الأزهار في مناقب زمزم الأخيار*، مخطوط.

أبو بكر **الصبيحي**،
- *كناشة*، مخطوط، خ ص. بسلا.

عبد القادر **الصحراوي**،
- *جولات في تاريخ المغرب*، الدار البيضاء، 1961.

محمد **صدفي**،
- *الأدارسة من النشأة إلى التجزئة*. د. د. ع مرقون، كلية الآداب، فاس - ظهر المهراز، 1991

عبد الرزاق **الصديقي**،
- *الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن 1850 - 1900*، الرباط، 1977.

أبو الحسن **الصغير** المكناسي،
- *تأليف في البدع*، مخطوط.

محمد **الصمدي**،
- *الشيخ أحمد زروق وطريقته الزروقية بالمغرب*، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط.
طاش كبرى زاده،
- *مفتاح السعادة ومصباح السيادة*، حيدر أباد الدكن، 1328 هـ.
م. **الظريف**،
- *الحياة الأدبية في الزاوية المعينية*، د.د.ع مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1986.
توفيق ابن **عامر**،
- *الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين 3 ـ 4هـ*، 1998.
الحسن **العبادي**،
- *فقه النوازل في سوس*، الدار البيضاء، 1999.
محمد المختار **العبادي**،
- *دراسات في تاريخ المغرب والأندلس*، بيروت، 1978.
عبد العزيز ابن **عبد الجليل**،
- *معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، الرباط، 1992.
ابن **عبد الحكم**،
- *فتوح مصر والمغرب*، تح. ع. المنعم عامر، القاهرة، 1961.
ابن **عبد الحليم** الأيلاني،
- *رسالة في اتجاه القبلة*، مخطوط.
سعد زغلول **عبد الحميد**،
- *تاريخ المغرب العربي*، 1979.
الصديق ابن **العربي**،
- *طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب*، مجلة *تطوان*، العدد الأول، 1956.
عبد الله **العروي**،
- *مجمل تاريخ المغرب*، بيروت، 1994.
محمد ابن **عزوز حكيم**،
- *الجديد في تاريخ تطاون*، تطوان، 2000.
- *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.
- *معركة وادي المخازن*، تطوان، 1950.
- *المقاومة المسلحة في شمال المغرب*، تطوان، 1984.
إدريس **عزوزي**،
- *الشيخ أحمد زروق آراؤه الاصلاحية*، المحمدية، 1998.
عبد الرحيم **العطاوي**،
- *اهتمامات روسية بالمغرب في عهد مولاي عبد الرحمن*، ضمن جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، 1993.
- *كتابات روسية حول طنجة*، ضمن كتاب *طنجة في التاريخ المعاصر*، الرباط، 1991.
جمال الدين **العلوي**،
- *مقالات في المنطق والطبيعيات /ابن رشد*، الدار البيضاء، 1983.
- *تلخيص السماء والعالم /ابن رشد*، فاس، 1984.
هاشم **العلوي القاسمي**،
- *مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري*، المحمدية، 1995.
محمد ابن **علي الدكالي** السلوي،
- *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط.
- *تقييد في الرباطات*، مخطوط.
- *كناشة*، مخطوط، خ. ع. رقم 4257د.
م. **عمارة**،
- *فصل المقال /ابن رشد*، القاهرة، 1959.

عمالة تازا،
. *مونوغرافيا عمالة تازا*، 1982.
إبراهيم بن محمد العمراني،
. *تحفة الملك العزيز بمملكة باريز*، طنجة، 1989.
صافية العمراني،
. *المقاومة ضد الاستعمار من خلال نصوص شعرية أمازيغية ضمن ندوة المقاومة المسلحة.*
محمد عمراني،
. *الشرف والمجتمع والسلطة السياسية*، أطروحة مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 2001.
عبد الله عنان،
. *دولة الإسلام في الأندلس*، القاهرة، 1964.
. *ملوك الطوائف ـ العصر الثاني*، ط 2، القاهرة، 1969.
محمد ابن عياض،
. *التعريف بالقاضي عياض*، تح م. بن شريفة، الرباط.
أحمد الغزالي،
. *مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن، القادرية البودشيشية نموذجا*، 1996.
أ. ح. الغزالي،
. *كتاب الطب الروماني للجسم الإنساني في علم الحرف*، مصر ؟
ع. الرحمان الفاسي،
. *أزهار البستان*، مخطوط.
. *بستان الأذهان*، مخطوط.
. *زهرة الشماريخ في علم التاريخ*، طبعة حجر فاس، 1922.
محمد الفاسي،
. *رسائل السلطان المولى إسماعيل*، مجلة تطوان، عدد خاص، 1962.
محمد الطيب الفاسي،
. *فهرس*، مخطوط.
حسن فتحي،
. *المنزل العربي في الوسط الحضري في الماضي والحاضر والمستقبل*، مجلة الفكر العربي، عدد 30.
الفزكاري،
. *شرح روضة السلوان*، مخطوط، خ. ع 1598د.
بوشى الفلاح،
. *حركات السفوح والمخاطر المرتبطة بها في الريف الأوسط*، أطروحة مرقونة، كلية الآداب، الرباط.
عبد القادر بن الخياط القادري،
. *التحفة القادرية*، مخطوط.
محمد قاسم،
. ابن رشد : *تلخيص المقولات*، القاهرة، 1980.
. ابن رشد : *العبارة*، القاهرة، 1981.
. ابن رشد : *تلخيصات كتاب البرهان*، القاهرة، 1982.
. ابن رشد : *كتاب كشف مناهج الأدلة*، ط 2، القاهرة، 1964.
أحمد ابن القاضي،
. *رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح*، تح. م البوعناني، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط.
أ. ابن القاضي الكعداوي،
تقيد، مخطوط.
قاسم ابن القاضي،
. *تنوير الزمان بقدوم مولانا زيدان*، مخطوط.

م. **القباني**،
- ابن رشد : *تلخيص مبادئ الطبيعة*، القاهرة، 1907.
القبتوري،
رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي، تح. م. الحبيب الهيلة، الرباط، 1979.
فاطمة خليل **القبلي**،
- *رسائل اليوسي*، الدار البيضاء، 1981.
محمد **القبلي**،
- *مراجعات حول الثقافة والمجتمع بالمغرب الوسيط*، الدار البيضاء، 1987.
كلود **كاهن**،
- *تاريخ العرب والشعوب الإسلامية*، 1977.
محمد **الكتاني**،
- *زايد أوحماد ومقاومون للاحتلال الفرنسي في جنوب الأطلس الكبير الشرقي*، مجلة *تاريخ المغرب*، الرباط، ع 5، يوليو، 1994.
محمد بن جعفر **الكتاني**،
- *الأزهار العاطرة الأنفاس*، مخطوط.
- *هداية الضال المشتغل بالقيل والقال*، مخطوط.
كتلة العمل الوطني،
- *مطالب الشعب المغربي*، القاهرة، 1934.
ابن **كثير**،
- *البداية والنهاية*، بيروت، د. ت.
نور الدين **كديرة**،
- *كرة القدم المغربية، وثائق وأرقام*، 956 - 1990، الدار البيضاء، 1997.
أحمد **الكردودي**،
- *التحفة السنية*، مخطوط.
إبراهيم **كريدية**،
- *الفقيه محمد الهسكوري سلفياً ووطنياً ورائداً للتعليم الوطني*، مراكش، 2000.
عبد الله **كنون**،
- *ترجمة الواعظ البغدادي صاحب الوتريات*، مجلة البحث العلمي، ع 7، 1966.
- *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، أحمد زروق، العدد 8، بيروت.
روجي **لوتورنو**،
- *فاس في عصر بني مرين*، تر. نيقولا زيادة، بيروت، 1967.
الحسن **اللويزي**،
- *أحمد بن سليمان الجزولي الرسموكي، حياته وآثاره*، د. د. ع. مرقون، دار الحديث الحسنية، الرباط، 1995.
ليفي بروفنسال،
- *فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة*، بالرباط، ط. 2، الرباط، 1998.
حمداتي شبيهنا **ماء العينين**،
- *قبائل الصحراء المغربية*، أصولها جهادها ثقافتها، الرباط، 1998.
محمد **ماكامان**،
- *الرحلات المغربية في القرن 11 و12*، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **الماكري**،
- *المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح*، القاهرة، 1932.
حسن **المباركي**،
- *تعبئة المياه لأجل الري في المناطق شبه الجافة، حالة حوز مراكش*، مجلة *المزارع المغربي*، عدد 11، مارس 2001.

أحمد متفكر.

- مقالات ومحاضرات الشيخ الرحالي الفاروق. مراكش، 1999

محمد مجذوب.

- *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب بورغرطة*. مجلة بحوث. ع 2 - 3. سنة 1990

- *العملة الملكية في المغرب القديم*. مجلة بحوث. عدد 5. المحمدية.

مجهول.

- *الاستبصار*. الاسكندرية. 1958.

- *تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين*. مخطوط.

- *التعريف بالشيخ أحمد زروق*. مخطوط. خ. ع. 2100د.

- *تقاييد عن قبائل قلعية*. مخطوط. خ. ع.

- *ذكر مشاهير أعيان فاس في القديم*. مخطوط.

- *الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب*. مخطوط.

- *كتاب الأنساب ومفاخر البربر*. تح. مصطفى بعلي. أطروحة. مرقونة. مدريد.

- *كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين*. تح. هوداس. مدريد. 1961

أحمد ابن أبي **محلي**.

- *إصليت الخريت*. مخطوط.

- *رسالة في الرد على الخروبي*. مخطوط.

مديرية الإحصاء.

- *الاحصاءات العامة للسكان والسكنى (1960. 1971. 1982. 1994)*

ابن **المرابط**.

- *زواهر الفكر*. مخطوط الاسكوريال.

ثريا **المرابط**.

- *تاريخ الزلازل بالمغرب من سنة 846 إلى 1960*. د. د. ع. مرقون. كلية الآداب. الرباط. 1991.

عبد الحق **المريني**.

- *الجيش المغربي عبر التاريخ*. الرباط. 1997.

محمد بن المكي **المريني**.

- *كناشة*. مخطوط. خ. ص. سلا.

رشيد **المصلوت**.

- *الفهرس العلمي*. الدار البيضاء. 1985.

هاشم بن الحسن **المعزوزي**.

- *الكفاح المغربي المسلح في حلقات*. الرباط. 1987.

- أحمد (الحاج) **معنينو**.

- *مذكرة طالب مغربي أرسل في بعثة إلى إيطاليا منذ ثمانين سنة*. دعوة الحق. عدد نونبر. [illegible]

محمد **مفتاح**.

- *الخطاب الصوفي، مقاربة وظيفية*. الدار البيضاء. 1997.

عبد الرحمن **الملحوني**.

- *الشعر الوطني في الأدب الشعبي المغربي الملحون*. الدار البيضاء. 1990

أحمد **المنصوري الزياني**.

- *الأبحاث الرتيدة عن الأدب بين تاوريرت وجبل دبدو ورشيدة*. مخطوط.

- *كتاب العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر*. مخطوط.

محمد **المنوني**.

- *أبحاث مختارة*. نشر وزارة الشؤون الثقافية. الدار البيضاء. 2000

- *تاريخ المصحف الشريف بالمغرب*. دعوة الحق. ع 3. السنة 11 [illegible]

- *قبس من عطاء المخطوط المغربي*. بيروت. 2000

- *ورقات عن حضارة المرينيين*. الرباط. 1996.

فاطمة **مودكيري**،

- مظاهر السطح والتشكيل لمجال تاونات، د.د.ع. مرقون، كلية الآداب - الرباط، 1996.

عبد الرحمن **المؤذن**،

- *البوادي المغربية قبل الاستعمار : قبائل إيناون والمخزن*، الدار البيضاء، 1995.

عز الدين عمر **موسى**،

- *الموحدون في المغرب الإسلامي*، بيروت، 1991.

مصطفى **مولاي رشيد**،

- *مضيف الأعمدة والجوار الموري - الإيبري حسب المصادر الأوربية القديمة*، الدار البيضاء، 2001.

حسين **مونس**،

- *أطلس تاريخ الإسلام*، القاهرة، 1987.
- *فتح العرب للمغرب*، القاهرة، 1947.

م. **ميموني**،

- *الجهاز الحضري بتادلا مراكز قديمة في تحول*، د. د. ع. كلية الآداب، الرباط.

ابن **ناصر**، الحسين،

- *فهرس*، مخطوط.

جعفر **الناصري**،

- *سلا ورباط الفتح*، مرقون، خ. ص بسلا.

محمد بن أحمد بن خالد **الناصري**،

- *من فارس إلى مراكش*، مرقون.

محمد بن عبد السلام **الناصري**،

- *المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا*، مخطوط.

م. المكي **الناصري**،

- *فتح الملك الناصر في إجازات مرويات بني ناصر*، مخطوط.

عبد الله **نجمي**،

- *التصوف والبدعة بالمغرب : طائفة العكاكزة*، الدار البيضاء، 2000.
- *المغرب من خلال كتب الرحلات الفرنسية 1880 - 1912*، ضمن ندوة *مصادر المعلومات*، الرياض، 1999.

مصطفى **نشاط**،

- *الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية*، ضمن أعمال ندوة *الغرب الإسلامي والغرب المسيحي*، الرباط، 1985.

أحمد بن عبد الوهاب **النويري**،

- *نهاية الأرب في فنون الأدب*، القاهرة، 1955.

م. **الهسكوري**،

- *ماضي التعليم في أسفي*، مخطوط.

أ. **الهشتوكي**،

- *هداية الملك العلام إلى حج بيت الله الحرام*، مخطوط.

إبراهيم **الهلالي**،

- *مذكرات في الفقه الإسلامي*، مراكش، 1987.

محمد بن عبد الملك **الهمداني**،

- *تكملة تاريخ الطبري*، بيوت، 1961.

هويكنز،

- *النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى*، تر. أمين توفيق الطيبي، ليبيا - تونس، 1980.

علي **واحدي**،

- *الزيت والزيتون في المغرب القديم نموذج وليلي*، أطروحة دكتوراة، فاس ظهر المهراز، مرقونة، فاس، 1995.

محمد **واحي**،

- *مكانة وليلي الاقتصادية في عهد الرومان*، فاس، ظهر المهراز، 1985.

عبد الرحيم **الورديغي**،
- *المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية*، الرباط.
قدور **الورطاسي**،
- *بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني*، الرباط، 1976.
ح. **الورتيلاني**،
- *نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار*، تح. م ابن أبي شنب، ط 2، بيروت. 1974.
علي ابن **الوزان القرطبي**،
- *خاتمة نوازل ابن رشد*، مخطوط.
عز العرب **الوزاني**،
- *حدثني والدي*، بيروت، 1990.
حاتم **الوكيلي**،
- *الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان م. أحمد الوكيلي*، 1999.
محمد عزيز **الوكيلي**،
- *المدارس الباطنية بين العلم والفلسفة والعقيدة والدين*، أطروحة دكتوراه مرقونة، كلية الآداب الرباط، 1998.
محمد المختار **ولد السعد**،
- *حرب شريبة التباري أو أزمة القرن 17 في الجنوب الغربي الموريتاني*، نواكشوط، 1992.
جون **وندوس**،
- *رحلة إلى مكناس*، تر. زهراء إخوان، مكناس، 1993.
عبد الله **اليافعي**،
- *مرآة الجنان*، حيدر أباد الدكن، 1337 هـ.
إدريس **اليحياوي**،
- *العلاقات المغربية السوفياتية*، د.د.ع. مرقون، كلية الحقوق، الرباط.

Supplément
à
la bibliographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie

ABES, M., *Les Izayan d'Oulmès, A.B.*, 1915.

ACKERMAN, G. M., *Les orientalistes de l'école britannique*, Paris, 1991.

Actes du 14e Congrès international des orientalistes, Alger 1905, Paris, 1905, vol. 1.

ADOLPHE, J. P., BILLY, C., *Biosynthèse de calate par une association bactérienne aerobie, C.R.A.S*, (Paris), T. 278, 1974.

AGERON, C.R., *Histoire de l'Algérie contemporaine. 1871 - 1954*, Paris, 1979.

AIT BRAHIM, L., CHOTIN, P., *Mise en évidence d'un épisode compressif dans les calcaires plio-quatenaires du Bassin de Saïs, C.R.A.S*, T. 296, 1983.

AKERRAZ, A, [et al...], *Patrimoine culturel et territoire de la région du Gharb*, Rabat, 1996.

ALEMANY, J., *Milicias cristianas al servicio de los sultanes musulmanes del Almaghreb*, in *Homenaje a D. Francisco Codera*, Zaragoza, 1904.

ARCELIN, P., CAYOT, A., *Réflexions sur l'abandon de l'agglomération héllénistique de Saint-Blaise (Saint-Mitre-les-Remparts), Rev. Archéol. de Narbonnaise*, 17, 1984.

AYME, V., *Lettre à Mr Mouliéras à propos d'ethnologie berbère, B.S.G.A. Oran*. 1904.

BABIN, G., *Au Maroc par les camps et par les villes*, Paris, 1912.

BADAWI, A., *Averroes : paraphrases*, in *Libros Rhetoricorum Anstolelis*, Le Caire, 1960.

BASSET, H., LEVI-PROVENÇAL, E., *Chella : une nécropole mérinide*, Paris, 1923.

BASSET. R., *Recherches sur la religion des Berbères, Revue de l'Histoire des Religions*, vol. 41, n° 3.

BEL, A., *Le 14e Congrès international des orientalistes d'Alger 1905, Bull. trim. Soc. Géo. Archéo. Oran*, vol. 25, Fasc. 103, Avr.-Juin 1905.

BELARBI, M., *Zerhoun : population et structures agraires : étude de géographie rurale*. Th. 3ème cycle : Géo, Bordeau I, 1980.

BELLAKHDAR, J., *La pharmacopée marocaine traditionnelle : médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

BENABDELJALIL, A., *Le chant et la musique, G.E.M : Civilisation marocaine*, Casablanca, 1996.

BENABID, A., *Flore et écosystèmes du Maroc*, Paris, 1999.

BENABOUD, M., *Problems of American Protection in Morocco*, in *The Atlantic connection 200 years of Moroccan - American Relations, 1786 - 1986*, Rabat, 1990.

BEN BOUAZZA, T., *La Naissance du syndicalisme ouvrier au Maroc*, Casablanca.

BENCHENEB, M., *3e [Troisième] section langues musulmanes dans le congrès d'Avril 1905 à Alger, R.A*, 2e - 3e trim., 1905.

BENCHERIFA, A., *Le Monde rural marocain : diversité spatiale et culturelle, G.E.M. : géographie humaine*, Rabat, 1989.

BENDAOU, K., *Impact des accords du GATT sur les exportations agricoles du Maroc*, Rabat, 1997.

BEN JELLOUN, T., *L'Enfant de sable*, Paris, 1981.

BEN JELLOUN, T., *La Nuit sacrée*, Paris, 1987.

BEN YOUNES, H., *La Nécropole punique d'El-Khayma, mai 1984, Reppal*, 2, 1993.

BERGGREN, W. A, VAN COUVERING, J. A., *The Late Neogene : biostratigraphy, geochronology and paleoclimatology of the last 15 million years marine and continental sequences, Palaeogeography, palaeoclimatology*, vol. 16, n° 1 - 2, 1974.

BERNARD, A., *Les Confins algéro-marocains*, Paris, 1911.

BERQUE, J., *L'Intérieur du Maghreb*, Paris, 1978.

BERRAHO, A., *Ressources halieutiques et potentialités aquacoles au Maroc*, Lisbonne, 1998.

BERTHIER, P., *Les Anciennes sucreries du Maroc et leurs réseaux hydrauliques*, Paris, Rabat, 1965, 2 vol.

BISI, A. M., *Le Commerce des amphores puniques : quelques remarques à propos des découvertes de Mellita (Sabrata), B.C.T.H.*, N.S 19 B, 1985.

BLANCARD, L., *Documents inédits sur le commerce de Marseille au Moyen Age*, Marseille, 1884, 2 vol.

BLUMBERG, H., *Epitome of Pana Naturalis*, transl. from the original arabic and the hebra and latin version with notes and introd., 1961.

BORSON, L., *Aperçu de l'élevage bovin dans l'antiquité, Ethnozootechnie*, 32, 1983.

BOUBE, J., *Les Amphores de Sala à l'époque préromaine*, B.A.M., 17, 1987 - 1988.

BOUBE, J., *La Circulation monétaire à Sala à l'époque préromaine*, Rome, 1992

BOUBE, J., *Introduction à l'étude de la céramique à vernis noir de Sala*. *B.A.M*, 16, 1985, 1986.

BOUBRIK, R., *Saints et société en Islam : une confrérie ouest saharienne, la Fadiliyya*, Paris, 1999.

BOUCHET CHANTON, R., *Zoologie I, Invertébrés*, Paris, 1962.

BOUDERBALA, N., [et al.], *La Question agraire au Maroc*, *B.E.S.M.* n° 123 / 125.

BOUDY, P., *Economie forestière nord africaine*, Paris, 1950.

BOUGHALI, M., *Espaces d'écriture au Maroc*, Casablanca, 1987.

BREBION, Ph., *Etude biostratigraphique et paléoécologique du quaternaire marocain*. *Ann. Paléont.*, 65, 1979.

BRUNHES, J., *L'Irrigation : ses conditions géographiques, ses modes d'organisation dans la péninsul ibérique : dans l'Afrique du Nord*, Paris, 1902.

BUKKALI, M.M., *Contribution a l'étude de la transhumance au Maroc*, Toulouse, 1972.

BURKE, E., *Prelude to Protectorate in Morocco*, Chicago, 1976.

BUTTERWORTH, C.E., *Averroes three short commentaries on Aristotle : Topics, Rhetoric, and Poetic*, Albany, 1977

CAILLE, J., *La Petite histoire du Maroc : 3e série, 1850 - 1912*, Rabat, 1954.

CAMPS, G., *Les Berbères : mémoire et identité*, Paris, 1987.

CAPMANY, *Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos Reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta el XV*, Madrid, 1974.

CARO BAROJA, J., *Un santon sahariano y su familia, Estudios saharianos*, 1955.

CASANOVA, J., *Morphologie et biolithogenèse des barrages de travertins*, Paris, 1981.

CASTRIES, H. de., *Les Sept patrons de Marrakech*, *Hesp.*, IV, 1924.

CASTRO Y PEDRERA, F. de, *Melilla préhispanica*, Madrid, 1945.

CAUTIER, D. J., *Monnaies et économie dans l'Espagne du nord et du centre*, *H.T.* 1962.

CELERIER, J., *L'Atlas et la circulation au Maroc*, *Hesp.*, vol. 7, 4e trim., 1927.

CELERIER, J., *La Dépression du Seron (Moyen Atlas Central)*, *R.G.M.* VI, 1928 - 1929

CENIVAL, P. de, *L'Eglise chrétienne de Marrakech au 13e S.*, *Hesp.*, vol. 8, 1927.

CHARLES-ROUX, F., CAILLE, J., *Missions diplomatiques à Fès*, Paris, 1955.

CHATER, K., *Dépendance et mutations précoloniales : la Régence de Tunis de 1815 à 1857*, Tunis, 1984.

CHEBBI, J., *Ribât*, *E.I*, Nlle éd., Leiden, vol. 8.

CHEIKHA, J., *Les Ribats d'après les livres de Tabaqat, La Rapita islamica : historia institucional I altres Estudis Regionals. I Congres de les rapites de l'Estat Espanyol. 7 - 10 sept. 1989*, 1993.

CHELBI, F., *La Céramique à vernis de Carthage*, Tunis, 1992.

CHOUBERT, G., *Essai de chronologie hercynienne*. *N.S.G.M.* vol. 4, n° 83, 1951.

CHRAIBI, D., *Le Passé simple*, Paris, 1954.

CICARD, *L'Organisation des Zaers*. *R.M.M.* 1910.

CINTAS, P., *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954.

COLIN, G. S., *Massa*, *E.I*, Nlle éd., vol. 5.

COLIN, G. S., *La Noria marocaine et les machines hydrauliques dans le monde arabe*, *Hesp.*, 1er trim., 1932

COLIN, G. S., RICARD, R., *Tanger et Ceuta dans un boniment de jongleur espagnol du 15e S.*, *Bull. Hispanique*, 48, 1946.

CONTAMINE, Ph., *La Guerre au Moyen Age*, Paris, 1980.

CORNELL, V.J., *Ribat Tit - n - Fitr and the origine of Morroccan maraboutism islamic studies*, *Islamic studies*, XXVII, 1988.

CORRÉA DE FRANCA, A., *Historia de la muy noble y fidelisima ciudad de Ceuta*, *Transfretana*, n° 3, 1983

CORRIERAS, J., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara*, *A.F. : R. C.*, 1906.

COSSE - BRISSAC, Ph. de, *Les Rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie, 1830 - 1847*, Paris, 1931.

COURTOIS, C., *Les Vandales et l'Afrique*, Paris, 1955.

CRAWFORD, F. S., *Averroes Cordubensis Commentarum Magnum in Aristotelis de Anima libros*, Cambridge (Mass.), 1953.

CRESSUER, *De un ribat a otro : una hipotesis sobre los ribat-s del Magrib al-aqsa (A paraître)*.

Cultures protégées en climat méditerranéen, *Bull. de la F.AO.*, n° 90, 1988.

CUNNINGHAME, R., *Maghreb el-Acksa : A journey in Morocco*, Evanston (Illinois), 1997.

CUSSANE BALIN, *Un raid au sud de Sefrou*, *L'Illustration*, n° 3600, 24 fev. 1912.

DAGUIN, F., *Contribution à l'étude géologique de la région prérifaine*, Rabat, 1927.
DAKHLIA, J., *L'Oubli de la cité*, Paris, 1990.
DAN, Père F., *Histoire de Barbarie et de ses corsaires...*, Paris, 1637.
DAPPER, O., *Description de l'Afrique*, Amsterdam, 1686.
DEJEUX, J., *Littérature maghrébine de langue française*, Québec, 1978.
DESANGES, J., *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962.
DESCOLA, J., *Histoire de l'Espagne*, Paris, 1959.
DHINA, A, *Les Etats de l'Occident musulman aux 13è, 14è et 15è siècles*, Alger, 1984
DIEHL, C., *L'Afrique byzantine*, Paris, 1896
DIRECTION DE LA STATISTIQUE, *Résultats des R.G.P.H, 1960 - 1971, 1982, 1994*, Rabat, 1995.
DOZY, R., *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age*, 3e éd., Paris, 1881.
DRACH, P., *Embranchement du cephulocorbie*, in Grasse, PP, *Traité de Zoologie*, Paris.
DUBREUIL, B, *Les Pavillons des Etats musulmans, H.T*, vol. 1, fasc. 3, 1960.
DUFOURCQ, Ch. E., *Les Relations de la péinsule ibérique et de l'Afrique du Nord au 14e S. Annuario estudios medievales*, 1970 - 1971, vol. 7.
DUFOURCQ, Ch. E., *Les Relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du 13e S. R.H.C.M*, n° 5, 1968.
DUFOURCQ, Ch. E., *Un projet castillan du 13e S : la croisade de l'Afrique, R.H.C.M*, n° 1, 1966.
DUNLOP, D. M., *Averroes on the modality of proposition, Islamic Studies*, (Karachi), I, 1962.
EL-BADISI, *El Maqsad ash-sharif*, trad. G.S Colin, *A.M.*, vol. 26, 1926.
EL BOUZIDI, A., *Vallée moyenne de l'Oued Lebène (Prérif, Maroc) : étude de cartographie géomorphologique*. Th. 3e cycle, Poitiers, 1987.
EL FASSI, M., *La Littérature marocaine*, in *Maroc, L'Encyclopédie coloniale et maritime*, Paris, 1948.
EL MASOR, B., *Les Problèmes de l'eau dans la vallée moyenne du Ziz et la plaine du Tafilalet*, Th. Doct. Nancy II, 1988.
EL MANSOUR, M., *Urban Society in Fez : The Rumat during the modern period, 17th - 19th centuries, Maghreb Review*, vol. 22, n° 1, 1997.
ELSNER, J., *Musique arabe : congrès du Caire 1932*, Le Caire, 1992.
EMBERGER, L., *Les Limites naturelles de la forêt de Mamora, Bull. Sté. Sc. Nat. Maroc*, 9, 1929.
EMPEREUR, J. Y, HESNARD, A., *Les Amphores hellénistiques du bassin occidental de la Méditerranee, in Céramique Hellénistique et Romaine*, 2, 1987.
ENNAJI, M., *Soldats, domestiques et concubines: l'esclavage au Maroc au 19e S*, Casablanca, 1994.
ENNAJI, M., BEN SRHIR, K., *La Grande Bretagne et l'esclavage au Maroc au 19e S. H.T.* vol. XXIV: Fasc. 2, 1991.
ESCALIER, R., *Citadins et espace urbain au Maroc*, Tours, 1981, 2 vol.
EUZENNAT, M., *Le Limes de Tingitane : la frontière méridionale*, Paris, 1989.
FAGNAN, *Un chant algérien du 18e S. à l'occasion du bonbardement d'Alger par les danois. R.A.*, vol. 38.
FASSI, D., *La Forêt dans l'histoire de la terre*, in *Le Grand livre de la forêt marocaine*, Belgique, 1999.
FASSI, D., *Les Formations carbonatées secondaires : croûtes et travertins, R.G.M.*, 1994.
FAUGERES, J. C., *Les Rides sud-rifaines : évolutions sédimentaire et structure d'un bassin atlantico mésogéen de la marge africaine*, Th : Bordeau I, 1978.
FEINBERG et LORENZ, G., *Nouvelles données stratigraphiques sur le miocène supérieur et le pliocène du Maroc nord-occidental. Notes Mem. Serv. Geol., Maroc*, T. 30, n° 225, 1970.
FERHAT, H., *Abû-l-'Abbas : contestation et sainteté, Al-Qantara*, vol. 13, Fasc. 1, 1992.
FERHAT, H., *Littérature eschatologique et espace sacré au Maroc : le cas de Massa, S.I*, 80, 1994.
FRIANG, E., *Les Zkara et leur évolution devant l'Islam*, Mém. fin de stage des contrôleurs civils, 1946.
GAILLARD, H., *Une ville de l'Islam, Fès*, Paris, 1905.
GALLOTI, J., *Le Jardin et la maison au Maroc*, Paris, 1925, 2 vol.
GASPAR REMIRO, M., *El Negocio de Ceuta entre Jaime II de Aragon y Aburrebia Sulaiman, sultan de Fez contra Muhammed III de Granada, in Relaciones de la Corona de Aragon con los estados musulmanes de Occidente*, Madrid, 1925.
GATJE, H., *Die Epitome der Parve Naturalia des Averroes*, Wiesbaden, 1961.
GAUDEFROY - DEMONBYNES, M., *Masalik el -absar*, Paris, 1927.
GAUTIER, E. F., *Mœurs et coûtumes des musulmans*, Paris, 1931
GHANEM, H., *Contribution à la connaissance des sols du Maroc*, Th. Agr. 1981, 2 vol.
GIMENEZ SOLER A., *Caballeros españoles en Africa y Africanos en España, Revue Hispanique*, 1905.

GONTARD, M., *Violence du texte*, Paris, Rabat, 1979.

GOUBERT, P., *Ceuta byzantine ou Wisigothique ?* in *Misc. Lama Puig I Cadaloch*, Barcelone, 1947 - 1951 ?

GOUBERT, P., *L'Espagne byzantine*, *rev. et. byz.*, IV, 1946.

GRILLON, P., *La Correspondance du Consul Louis Chénier, 1767 - 1782*, Paris, 1970.

GUERRERO AYUSO, V. H., *Una aportacion al estudio de las anforas Mana C., Archaeo-Nautica*, 6, 1988

GUILLEN, P., *Les Emprunts marocains, 1902 - 1904*, Paris, 1972

GUITARD, C., *Recherches sur Saturne : des origines à la Réforme de 217 Av. J.C.* in *Recherches sur les religions de l'Italie antique*, Genève, 1976.

HALIM, A., *Le Capitalisme agraire au Maroc*, Th. Paris VII, 1986

HAMDI, A, LACIRIGNOLA, C., *An overview of protected agriculture in the mediterrnean region*, Agadir 1993.

HART, D.M., *Notes on the Rifain community of Tangier*, *The Middle East Journal*, 1957.

HESNARD, A. [et al...], *Aires de production des gréco-italiques et un Dr 1*, *Collection de l'Ecole française de Rome*, 114, 1989

HESNARD, [et al...], *Les Négociants italiens en Maurétanie avant l'annexion*, *B.C.T.H.* NS 19B, 1983

HORIEN, M., *Metaphysie de Averroes, 1197, nache dem Arabischien übersetzt und erlantert*, Halle, 1912.

HUICI MIRANDA, A., *El Reinado del califa almohade al Rachid hijo de Al-Mamun*, *Hesp.*, 1er-2e trim, 1954.

HUREAU, J.C., MONOD, Th., *Check list of the North Eastern Atlantic and of the Mediterraneam*, Paris, 1973, 2 vol.

IBN MARZUQ, *Le Musnad : extraits* / ed. et trad. Levi-Provençal, *Hesp.*, vol.5, 1er trim., 1925.

INSTITUT AGRONOMIQUE ET VETERINAIRE HASSAN II, UTAH STATE UNIVERSITY, *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc, phases I, II, et III*, Rabat, 1993

JAAIDI, B., *Les Environnements sédimentaires actuels et pléistocènes du plateau continental atlantique marocain entre Larache et Agadir*, Th. 3e cycle, 1981.

JAMOUS, R., *La Segmentation et le mariage arabe*, *Annales Marocaines de Sociologie*, 1963.

JARIR, M., *Errachidia et l'organisation régionale de la vallée du Ziz*, Th. 3e cycle, Tours, 1983

JEHAMY, G., *Averroes : Paraphrase de la logique d'Aristote*, Beyrouth, 1982, 3 vol.

JODIN, A., *L'Exploitation forestière du Maroc antique*, *Act. du 93e Congr. Nat. des Stés. Sav., Tours 1968*, Paris, 1980.

KEHOE, D. P., *Pastoralism and agriculture*, *J.R.A.* 3, 1990

KHATIBI, A., *Tryptique de Rabat*, Paris.

KHATIBI, A., *Un été à Stockholm*, Paris, 1990.

KHATIBI, A., EL MALEH, E.A., MARAINI, T., *La Peinture d'Ahmed Cherkaoui*, Casablanca, 1976.

KHETTOUCH, M., *Zaïd ou Hmad*, *Lamalif*, n° 128, Sept. 1981.

KHUSAIM, A. F., *Zarruq the Sufi*, Tripoli, 1976.

KRANDEL BEN YOUNES, A., *La Nécropole rurale de Thigibba Bure, Djebla*, *Reppal*, 7 - 8, 1992 - 1993.

LAFUENTE, M., *La Vie humaine dans un groupement berbère du Haut Atlas de Marrakech : les Aït Ouiheg R.G.M.*, n° 14, 1968

LAHJOMRI, A., *L'Image du Maroc dans la littérature française : de Loti à Montherlant*, Alger, 1973.

LAKHDAR, M., *La Vie littéraire au Maroc sous la dynastie Alawide, 1075 - 1311 H / 1664 - 1894*, Rabat, 1971

LAMB, H. F., EICHER, U., SWITSUR, V.R., *An 18000 years record of vegetation - lakelevel and climatic change from Tigueimamine Middle Atlas Journ. biogeogr.*, 16, 1989.

LANCEL, S., *Tipasitana - II : la nécropole préromaine occidentale de Tipasa, rapport préliminaire, campagne de 1966 - 1967*, *B.A.A.*, 3, 1968.

LAOUST, E., *Le Mariage chez les berbères du Maroc*, *A.B.*, I, 1915.

LASINIO, F., *Il commento medio di Averroes alla Poetica di Aristotele*, Pise, 1872.

LASINIO, F., *Il Commento medio di Averroes alla Retorica di Aristotele*, Florence, 1877.

LATHAM, J. D., *The Strategic position and defence of Ceuta in the later muslim period*, *Islamic Quaterly*, XV, 1971.

LEBEL, R., *Les Voyageurs français du Maroc*, Paris, 1936.

LEFEBURE, C., *Accès aux ressources collectives et structure sociale : l'estivage chez les Aït Atta (Maroc)*, in *Production Pastorale et société*, Cambridge, Paris, 1979.

LEGLAY, M., *A la recherche d'Icosium*, *Antiquités Africaines*, 2, 1968.

LEGLAY, M., *Les Dieux de l'Afrique romaine*, *Archeologie*, n° 40, Mai-Juin 1976.

LEGLAY, M., *Saturne africain : histoire*, Paris, 1966.

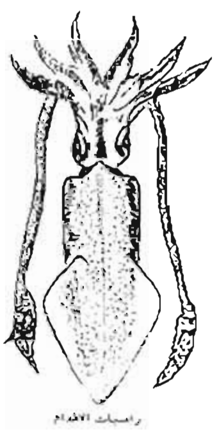
LEVY, R., DRUDERER, W., *Considération sur la nappe pérrifaine d'après les travaux de la société chérifienne des pétroles*, in *C R 19e Congr. géol. int.*, Alger, 1952.

LEVI-PROVENÇAL, E., *Maghrawa, E.I*, 1ere éd., 1936, vol. 3.
LEWIS, W., *Journey into Barbary : Morocco writting and drawrings*, Santa Barbara, 1983.
LLORIS, D., RUCABADO, J., *Guide d'identification des ressources marines du Maroc*, Rome, 1998.
LOUBIGNAC, V., *Textes arabes des Zaer*, Paris, 1952.
LOZET, J., MATHIEU, G., *Dictionnaire de science du sol : technique et documentation*, Paris, 1990.
LUCAS, J., *La Transformation des minéraux argileux dans la sédimentation : étude sur les argiles du trias. Mem. Serv. de la carte géol. Als et Lorr.*, n° 23, 1962.
MACKENZIE, D., *The Khalifate of West*, London, 1911.
MADELUNG, W., *Al-Mahdi, E.I.*, Nlle éd., vol. 5.
MAHJOUBI, A., *Les Origines du mouvement national tunisien, 1904 - 1934*, Tunis, 1982.
MAJDOUB, M., *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain, Africa Romana*, 11, 1996.
MAJDOUB, M., *Nouvelles données sur la datation du Temple C à Volubilis, Africa Romana*, 10, 1994.
MAJDOUB, M., *Octavius et la Maurétanie, Africa Romana*, 13, 2000.
MAJDOUB, M., *Pompeus Magnus et les rois maures, Africa Romana*, 12, 1998.
MANEVILLE, *Les Problèmes de l'eau dans la région de Berkine, B.S.G.M.*, n° 3 - 4, Juil.-oct., 1936.
MARÇAIS, G., *Note sur le ribat en Berbérie, Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident musulman*, Alger, 1957, vol. 1.
MARÇAIS, G., *Oujda, E.I.* 1ere éd., 1936, vol. 3.
MARGAT, J., *Note sur la morphologie du site de Sigilmassa, Hesp.*, 1959.
MARIN, M., *El Ribat en al-Andalus y en Norte de Africa, la Rapita Islamica*, San Carles de la Rapita, 1993.
MARION, J., *Note sur la contribution de la numismatique à la connaissance de la Maurétanie Tingitane, Antiquités Africaines*, I, 1967.
MARION, J., *Les Trésors monétaires de Volubilis et de Banasa, Antiquités Africaines*, 12, 1978.
MARION, J., *Les séries monétaires de Tingitane, B.A.M*, 4, 1960.
MARTY, P., *Zaouia de Sidi Ben Achir à Salé, R.E.I*, I, 1933.
MASCARENHAS, D. J. de., *Histoire de la ciudad de Ceuta*, Coimbra, 1918.
MATHIEU, L., *La Géomorphologie et la géologie quaternaire comme bases fondamentales pour une juste définition et une cartographie rapide des sols et des milieux : application dans la province de Taza (Maroc), et dans la cuvette d'Andapa (Madagascar)*, Thèse Fac. Sc. Agro, Gembloux, Belgique, 1977.
MATHIEU, R., *Les Sédiments du plateau continental du Maroc atlantique entre Dar Bouazza et Mohammadia, Bull. Inst., Pêches Marit.*, n° 16, 1986.
MAURAN, Dr., *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1909.
MAYNE, P., *A Year in Marrakech*, London, 1990.
MEMMES, A., *Signification et interculturalité*, Rabat, 1992.
MICHAUX-BELLAIRE, E., *Conférence sur les confréries religieuses du Maroc, A.M*, vol. 27, 1917.
MICHAUX-BELLAIRE, E., SALMON, G., *Quelques tribus arabes de montagnes de la région du Habt, A.M.*, 17, 1911.
MILIAVSKAYA, S.T., *Connaissance sur l'Afrique en Russie au 18e S.*, in *Russie et Afrique*, Moscou, 1966.
MINISTERE DES PECHES MARITIMES, *La Mer en chiffres*, Rabat, 1999.
MINISTERE DE L'AGRICULTURE, DU DEVELOPPEMENT RURAL ET DES PECHES MARITIMES, *Colloque national de l'agriculture et du développement rural, Rabat, 19 - 20 Juillet 2000*, Rabat, 2000.
MINISTERE DE L'AGRICULTURE, ET DE MISE EN VALEUR AGRICOLE, *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc : Schéma directeur d'aménagement des parcours*, Rabat, 1995.
MIRANDA, F. de., *Diario*, Madrid, 1939.
MONARION, F., *Exploracion ocenografica del Africa occidental desde el Cabo Ghir y Cabo Juby, Inst. Esp. Ocasuavy*, n° 20, 1947.
MONSEMPES, *Contribution à la connaissance d'une tribu : les Zkara, C.H.E.A.M.*, Paris, 1955.
MONTAGNE, R., *La Civilisation du désert*, Paris, 1947.
MONTAGNE, R., *Coutumes et légendes de la côte berbère du Maroc, Hesp.*, IV, 1924.
MONTET, E., *L'Histoire des religions au congrès des orientalistes d'Alger, Revue de l'Histoire des Religions*, vol. 52, 1905.
MONTET, E., *Les Zkara du Maroc : un problème religieux, Revue de l'Histoire des Religons*, vol. 52, 1905.
MORALES, B., *Jornada de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla, 1622, Madrid, 1889.
MORCHID, A., *Potentialités de développement des cultures sous abris serres dans la zône cotière du périmètre du Gharb*, Mem. 3e cycle, I.A.V. Hassan II, Rabat, 1999.
MOREL, J. P., *Céramiques d'Hippone, B.A.A*, I, 1967.

MOREL, J. P., *Les Céramiques à vernis noir du Maroc, Antiquités Africaines*, 2, 1968.
MOREL, J. P., *Kerkoine ville punique du Cap Bon, Antiquités Africaines*, 1969.
MOREL, J. P., *Les Niveaux préromains. Thamusida I. Collection de l'Ecole française de Rome, Supplément 2*, 1965.
MORESTIN, P. M., *Le Dieu au chef cornu de Banasa, H.T.* II, fasc. 2. 3, 1961.
MORSY, M., *Le Coût d'une ambassade anglaise au Maroc au 18e S. Cahiers de la Méditerranée*, n° 11, déc. 1975.
MORSY, M., *Moulay Ismail, 1673 - 1727 ou l'instauration de l'état alawite*, in *Les Africains*, Paris, 1977, vol. 4.
MOULIERAS, A., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara, B.S.G.A. Oran*, vol. 23, Fasc. 97, Oct.-Déc. 1903, vol. 24, Fasc. 100, Juil-Sept. 1904 ; vol. 25, Fasc. 102, Janv.-mars, 1905.
MOULIERAS, A., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara*, Paris, 1905.
MOUZOUNI, L., *Le Roman marocain de langue française*, Paris, 1987.
MURRAY, G., *L'Esclavage dans le monde arabe, VII - XXe* S, Paris, 1987
NAAMOUNI, K., *Le Culte de Bouya Omar*, Casablanca, 1993.
NACIRI, G., *Etude géomorphologique de la cuvette Romani et ses bordures nord et sud*. Th. 3e cycle, Rabat, 1987.
NICOD, J., *Facteurs physico - chimiques de l'accumulation des formations travertineuses : essai de synthèse, Médit.*, 1 - 2, 1986.
NOGALES, G., *Averroes : Epitome de anima*, Madrid, 1985.
OUHAJJOU, L., *Espace hydraulique et société : les systèmes d'irrigation dans la vallée du Draa Moyen (Maroc)*, Th. 3e cycle, Géo, Montpellier III.
PASCON, P., *Théorie générale de la distribution des eaux et de l'occupation des terres dans le Haouz de Marrakech, R.G.M.*, n° 18, 1970.
PASCON, P., CHICHE, J., *La Question hydraulique. 1. Petite et moyenne hydraulique au Maroc*, Rabat, 1984.
PERENNES, J., *Le Maroc à porté du million d'hectares irrigué. Monde arabe, Maghreb, Machrek*, n° 173, 1992.
PERES, M., *Précis d'océanographie hydrologique*, Paris, 1976.
PONSICH, M., *Le Temple dit de Saturne à Volubilis, B.A.M.*, 10, 1976.
POSACMON, C., *Monedas punicas e hispano - romanas halladas en Ceuta, Tamuda*, V, 1958.
POSACMON, C., *Monedas romanas imperialas halladas en Ceuta, Tamuda*, V, 1957.
POURTAUBORDE, *Documents politiques et sociaux : l'Office de l'Irrigation au Beni Amir et Beni Moussa. Encyclopédie mensuelle d'Outre-Mer*, Juin 1954
PUIG, J., *Averroes : Epitome in physicorum libros*, Madrid, 1983.
QAROUACH, M., *La Croissance de l'agriculture marocaine*, Casablanca, 1988.
QUEIROZ VELLOSO, I. M. DE, *Don Sebastian*, Madrid, 1943.
REBUFFAT, R., *Histoire de l'identification des sites antiques du Maroc, Africa Romana*, 13, 2000.
REFFAS, A., *L'Organisation urbaine de la péninsule Tingitane*, Doct. Etat : Paris I : 1993.
REVAULT, J. [et al.], *Palais et demeures de Fès*, Paris, 1992, 3 vol.
RICARD, R., *La Côte atlantique du Maroc au début du 16e S., d'après les instructions nautiques portugaises, Hesp.*, 1927
RIVIERE, P.L., *Traités, codes et lois du Maroc*, Paris, 1924.
ROBAUX, A., *L'Eau et la vie dans le sud marocain, R.G.M.* n° 1 et 2.
ROBET, J. T., *Dictionnaire des villes et localités du Maroc*, Rabat, 1936.
ROCHES, L., *Trente deux ans à travers l'Islam, 1832 - 1864*, Paris, 1885.
ROUGIER, C., *Alteration pédogenèse et paléo-pédogenèse sur massif granique des Zaer (Maroc central)*, Th. 3e cycle : Bordeaux I : 1985.
ROUSSELLE, M., *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc, 1577 - 1907*, Paris, 1996.
SALVADOR, *Guia de los anfibios y reptiles españoles*, Madrid, 1974.
SAINT-AULAIRE, C., *Confession d'un vieux diplomate*, Paris, 1953.
SAN ROMAN, Fr. A. de, *Jornada y muerte del Rey Don Sebastian*, Valladolid, 1603.
SASSON, A., *Recherches écophysiologiques sur la flore bacterienne de sol des régions arides du Maroc*, Tanger, 1937.
SCHMITT, P., *Le Maroc d'après la géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3e cycle : Tours : 1973
SESTON, W, EUZENNAT, M., *La Citoyenneté romaine au temps de Marc - Aurele et de commande d'après la Tabula Banasitana, C.R.A.I.*, 1961.
SESTON, W., EUZENNAT, M., *Le Dossier de la chancellerie romaine : la Tabula Banasitana : étude de diplomatique, C.R.A.I.* 1971.

SIJILMASSI, M., *La Peinture marocaine*, Paris, 1972.
SIRAJ, A., *L'Image de la Tingitane : l'historiographie arabe médiévale et l'antiquité nord-africaine*, Rome, 1995.
SPILLMANN, G., *Du protectorat à l'indépendance, Maroc, 1912 - 1962*, Paris, 1967.
SIRJACOBS, M., *Les Cultures protégées au Maroc : choix des régions climatiquement favorables, H.T.E.*, 1986.
STOUKY, A., *Baghdad Benas*, Rabat, 1980.
TARRADELL, M., *La Necropolis punico-mauritana de San Lorenzo en Melilla, Congr. Arch. de Marruecos, esp.* Tetuan, 1954.
TAILASSANE, M., *Le Massif du Zerhoun et ses bordures est et nord-est au nord du Saïs, Fès et Meknès : étude géomorphologique*, Th. 3e cycle, Rabat, 1986.
TAUXIER, H., *Les Variations de sens des mots Berber, Roum, Afarek, Béranés, Botr, Mazigh et Frank, R.A.*, n° 133, 1879.
TENKOUL, A., *Littérature marocaine d'écriture française*, Casablanca, 1985.
TERMIER, H. et G., *Mode de gisement des basaltes, permo-triasiques au Maroc, B.S.S.G.*, vol. XIX, 1949.
THOUVENOT, R., *Le Culte de Saturne en Maurétanie Tingitane, R.E.A.*, 56, 1954.
TORRELLA, M. G. DE, *Milicias cristianas en Berberia, Bol. de la Soc. Arqueol. Lusitana*, vol. 34, 1973.
TORRES BALBAS, L., *Ribatas hispano - musulmanas, al-Andalus*, XIII.
TOUTAIN, *Les Cultes paiens dans l'Empire Romain*, Paris, 1967, T. 3.
VAJDA, G., *L'Aventure tragique d'un cadi maghrébin en Egypte fatimide, Arabica*, T. XV, Fasc. 1, Fév. 1968.
VAN BERCHEM, *Titres califiens d'Occident, J.A.*, 1907, T. 9.
VAUDOUR, J., *Travertins et croûtes calcaires, Bull. Assoc. Geog. Fran.*, 1981.
VIDAL, J. C., *Strucure actuelle et évolution depuis le miocène de la chaine rifaine (Partis Sud de l'Arc de Gibraltar), Bull. Soc. geol. Fr.*, T. 19, n° 4, 1977.
VILLARD, F., *Céramique grecque du Maroc, B.A.M.*, 4, 1960.
VOINOT, L., *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912.
WEISROCK, A., *Géomorphologie et paléoenvironnement de l'Atlas atlantique*, Th. : Paris : 1986.
YEOMAN, R. S., *A Catalog of modern wored coin, 1850 - 1960*, USA, 1972.
ZAANOUN, E., *La Confédération des tribus Aït Warain : étude géographique de l'évolution d'une tribu berbère*. Th. 3e cycle : Geo. : Paris VII.
ZERYOUMI, I., *Systèmes et pratiques de captage traditionnels des eaux au Maroc* (Ronéot.), 1983.

راسيات الأقدام، من نفس شعبة بلح البحر أو الحلزون أو البزاق إلا أنها تختلف كثيراً عن هاته الأخيرة في العديد من المميزات خاصة منطقتها الرأسية الجد متطورة التي تحمل، خلافا للرخويات الأخرى، قمعا وأذرعا ومجسات وعينين قد تضاهي في تطورها أعين الجنس البشري. كل هاته المميزات الحسية وهي نتيجة تطور نمط عيش راسيات الأقدام التي تعد من أكثر اللافقريات شراسة، حيث إنها لا تتغذى إلا على الفرائس الحية من قشريات وأسماك تسعى لمطاردتها تحت سطح البحر وذلك في أعماق قد تعد بآلاف الأمتار.



راسيات الأقدام

من بين راسيات الأقدام أنواع لا تتعدى 2 ملمتر لدى الفرد البالغ لكن من بين راسيات الأقدام كذلك أكبر وأضخم اللافقريات الموجودة على كوكبنا. إنه الجنس Architeuthis الذي قد يتعدى طول الواحد منه 15 مترا ويزن عدة أطنان وهو جبار يعيش في أعماق تفوق 400 متر تحت سطح البحر ويُعد بنفسه فريسة لحوت العنبر. كل راسيات الأقدام مائية وكلها بحرية، قد تدخل إلى مصبات الأنهار أو البحيرات المالحة لكن لا تعدو أن تخرج منها إذا ما انخفضت الملوحة إلى حد أدنى وهي بالتالي حيوانات تمتص مادة الأكسجين مباشرة من الماء عبر خياشيم.

تنقسم راسيات الأرجل إلى مجموعتين أساسيتين هي:

. رباعية الخياشيم وتتميز بتوفرها على أربعة خياشيم وأربعة كلى رأسها الجنس Nautilus المشهور بكونه من المستحثات الحية.

. ثنائية الخياشيم ولها اثنان من الخياشيم وكليتان فقط وتضم باقي راسيات الأرجل المعروفة لدينا كالأخطبوط والحبارة والحبار إلى غير ذلك. ويمكن التعرف في هذا القسم على مجموعتين اثنتين :

• ثمانية اللواحق وتتميز بتوفرها على ثمانية أذرع، والأخطبوط مثال على ذلك.

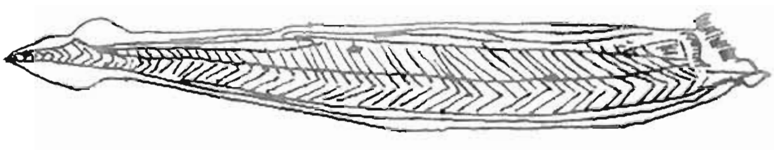
• عشارية اللواحق وتتوفر بالإضافة إلى الأذرع الثمانية على مجستين اثنتين، والحبار مثال على ذلك.

يوجد في المغرب 23 نوعا من راسيات الأقدام لكن هناك ثلاثة أنواع فقط (الحبارة، الحبار، الأخطبوط) هي التي توجد بوفرة وتكتسي طابعا اقتصاديا واجتماعيا على الصعيدين الجهوي والوطني حيث تكون، خاصة الأخطبوط، أهم المصايد جنوب المغرب وأهم المصايد بالنسبة للصيد في أعالي البحار ويذهب مجملها إلى الأسواق الخارجية خاصة اليابانية.

Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffre*. 1999. 57 p.

راسيات الحبل. وتسمى كذلك عديمات الجمجمة، وهي تشبه في شكلها الأسماك الصغيرة إلا أن حجمها لا يتعدى ستة إلى سبعة سنتيمترات. كالعديد من الفقريات لها حبل ظهري يمثل النخاع الشوكي عند هاته الأخيرة إلا أن تطورها ليس بالتكامل حتى ترقى إلى شعبة الفقريات حيث إن المنطقة الأمامية للجهاز العصبي (الدماغ) غير مغطاة بجمجمة عظمية. وعن الحبل غير ملفوف بهيكل "الفقرات" عظمي.

كل راسيات الجبل بحرية تعيش داخل الرمال في أعماق منخفضة نسبيا تتميز بجسم صغير جدا ذوي لون شفاف يميل إلى الاصفرار تعلوه، ظهريا، زعنفة طويلة تمتد على طول الجسم. لها خيشومة تحمل العديد من الثقب أو الفتحات الخيشومية (حوالي 180 زوجا) تمكنها من امتصاص الأكسجين الذائب في الماء بل حتى التقاط المواد العضوية العالقة في الماء والتي تكون الغذاء الأساسي لراسيات الجبل.



راسيات الجبل

أما الجنسان فهما مفترقان عند راسيات الجبل لكن لا تجانس بينهما بل عند مرحلة التكاثر يلقي كل من الذكر والأنثى بموادهما التناسلية في الماء ليتم التخصيب عن طريق الصدفة فتعطي البويضة الملقحة يرقة تبقى عالقة في الماء حوالي ثلاثة أشهر قبل أن تسقط في القعر لتكمل دورتها الحياتية. تعيش راسيات الجبل في كل بحار ومحيطات العالم تقريبا في أعماق منخفضة إلا أن عدد أجناسها لا يتعدى الاثنين Branchiostoma وAsymetron، أما في المغرب فلم يعثر لحد الآن إلا على نوعين اثنين ينتميان إلى الجنس Branchiostoma يعيشان على حد سواء على الساحلين المتوسطي والأطلسي.

تجب الإشارة في الأخير إلى أن التشابه الكبير بين أنواع راسيات الجبل الموجودة في العالم وتشابه الأوساط التي تعيش فيها دفعت العديد من الاختصاصيين إلى الاعتقاد أن هاته الحيوانات هي من أقدم الحيوانات الموجودة في العالم وهي بالتالي مستحثات حية.

P. Drach, *Embranchement du céphalocorbie* in Grasse P.P. *Traité de zoologie*, Paris.

محمد منبوي

راغون، عبد الكريم هو أحد سفراء السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى الدولة العثمانية. ينتسب إلى أسرة أندلسية استقرت في تطوان في تاريخ مجهول بعد هجرة أوطانها. وأوطانها على ما يوحي به لقبها أقاليم أرگون Aragon في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الإيبيرية. وكانت الأسرة من ذوات الغنى والجاه في المدينة، بدليل ما جاء في القصيدة المنسوبة إلى الفقيه عمر لوقاش يفتخر فيها بما نال من العزة والنفوذ في تطوان أيام ولايته عليها في بداية عهد السلطان المولى عبد الله، فيقول :

فقرطوط والرهون والكوط عصبتي   وراغون كنزي والصغير به القهر

وهل راغون المذكور في هذا البيت هو السفير عبد الكريم أم لا ؟ لا سبيل إلى الجزم. ولكن أفراد الأسرة كانوا من الوجهاء، مما حمل سيدي محمد بن عبد الله على انتقاء سفير له منها. تذكره المصادر بالحاج عبد الكريم. فكان إذن قد رحل إلى الديار المشرقية للفريضة. وورد في رسالة السلطان المذكور إلى الصدر الأعظم العثماني قوله : "ها نحن وجهنا خديمنا الحاج عبد الكريم راغون لتلكم الناحية، فالمؤكد عليك أن تقف معه في جميع ما يحتاجك إليه وقوف الكرام من غير تقصير إلى أن توجهه لحضرتنا على أحسن حال". وكانت تلك السفارة هي ثالث سفارة يبعث بها سيدي محمد بن عبد الله إلى استنبول، بعد سفارة الحاج الحافظ عديل الفاسي، فهي الأولى، وسفارة الطاهر بناني الرباطي والطاهر بن عبد السلام السلوي فهي الثانية، وسفارة الحاج عبد الكريم راغون التطواني فهي الثالثة، حرصا من هذا السلطان على العمل يدا في يد مع الدولة العثمانية في الوقت التي أصبحت معالم ضعف دار الإسلام تتجلى بالنظر إلى ما علا من شأن أوربا. ولا أدل على ذلك من تلكؤ النصارى المتزايد في بيع العتاد الحربي ومواد إقامة السفن للمسلمين، رغبة منهم في القضاء على الأساطيل الإسلامية جملة وتفصيلا. ولذلك أوفد سيدي محمد بن عبد الله الحاج عبد الكريم راغون بقصد التزود من كل ما يحتاج إليه لتجديد صرح الأسطول المغربي وحماية الثغور المغربية وشواطئها الممتدة من غارات النصارى. ولقد أفلح السفير في كل ما كلف به. وعاد إلى المغرب بالعدد والعدة المنشودة، هذا فضلا عما حمله من الهدايا الملوكية في الذهاب والإياب. والمثير للانتباه أن هذه السفارة جرت بضعة أسابيع فقط من هجوم روسيا على الممتلكات التركية في خريف سنة 1768، فانتزعت منها أقاليم شاسعة. وكانت عودة السفير في مطلع سنة 1769. مما لا يوافق ما تتناقله المصادر المغربية من أن السفارة جرت في نهاية سنة 1180 وبداية 1181 من الهجرة. أما عن شخصية الحاج عبد الكريم راغون فحسبنا أن نردد ما أقر به محمد داود مؤرخ تطوان من أنه لم يقف لا على تاريخ ميلاده ولا على تاريخ وفاته.

أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1960، 9 أجزاء، الجزء الثامن : ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 5 أجزاء، الجزء الثالث : م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، 10 أجزاء، الجزء الثالث.

Guillon Pierre, *La correspondance du consul Louis Chénier*, 1767 - 1782, Paris, 1970

إبراهيم بوطالب

رافسي، سعيد، مقاوم ولد سنة 1924 بهوارة

الواقعة بأحواز مدينة أكادير، وكان يعمل كسائق بهذه المدينة الأخيرة، كما كان يقطن بأحد أحيائها القديمة (تالبرجت)، ولم يكن متزوجا. وقد انخرط في حزب الاستقلال منذ سنة 1947، واقتصر نشاطه فيه على حضور الاجتماعات التي يعقدها الحزب. ثم انتقل إلى العمل الفدائي، فانخرط في منظمة عرفت باسم "الفرقة المتطوعة" التابعة لـ"المنظمة السرية"، وكان الناشيدي عبد الله وعبد القادر الجزائري من بين مسيريها، وكان منزل المقاوم الأول والكائن بتالبرجت القديمة مقر اجتماعات عناصر المنظمة.

وقد شارك في تدبير عدة عمليات فدائية استهدفت مصالح المستعمرين الفرنسيين بأكادير فيما بين سنتي 1953 و1954 منها :

- إشعال النار في مزرعة أحد المستعمرين التي كانت تقع على الطريق المؤدية من مدينة إنزكان إلى تيكوين.
- إشعال النار في مزرعة الدكتور عوسال الواقعة في أولاد دحو بالكلومتر 33 بين أولاد تايمة وأكادير.
- توزيع المناشير بمناسبة عيد الأضحى لسنة 1954، كانت تتضمن بلاغا بعدم شراء أضحية العيد، وذلك في أكادير وإنزكان وأنزا وأولاد تايمة.
- توزيع المناشير بأكادير لمطالبة السكان بمقاطعة الدخان.
- إشعال النار في مزرعة أحد المستعمرين، ويسمى كامبي، وكانت مقر الاجتماعات الأسبوعية للمستعمرين الموجودين في منطقة أحواز مدينة أكادير، وكانت تلك المزرعة تقع بين هذه المدينة وأولاد تايمة بالكلومتر 24.

وقد تبنت المنظمة المذكورة مسؤوليتها عن هذه العمليات، وتمكنت الشرطة الفرنسية من التعرف على عناصرها إثر سلسلة من التحريات والتحقيقات، ونجحت في إلقاء القبض عليها، وأدى ذلك إلى توقف نشاط المنظمة.

وقد حكمت المحكمة الابتدائية بأكادير على سعيد بالسجن بتهمة توزيع المناشير ورسائل التهديد وإشعال النيران، وأمضى فيه شهرين وأطلق سراحه، وقد تزوج بعد ذلك، وأنجب ستة أبناء.

معلومات عن قدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير مسجلة بسجلات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير - نيابة الرباط : تقرير عن الأعمال الفدائية التي قامت بها الفرقة المتطوعة التابعة للمنظمة السرية، من إنجاز السيد رباني محمد ؛ شهادة عبد الله الوجيري (أوشن) على شكل استجواب محرر بتاريخ 25 و26 نونبر من سنة 1986.

خالد أوشن

الرأي العام ، جريدة صدر عددها الأول بتاريخ 16 أبريل 1947 بمطبعة الأمنية بالرباط، كانت أسبوعية ناطقة باسم حزب الشورى والاستقلال وأسندت إدارة تحريرها لأحمد بن سودة، لم يمر على صدورها إلا أمد قصير حتى انتقلت إلى الدار البيضاء، التي كانت توفر ظروفا أحسن.

كان عنوان الجريدة مكتوبا في وسط رسم يمثل مجلسا برلمانيا. وتحت العنوان الآية القرآنية "وأمرهم شورى بينهم"، وقول عمر بن الخطاب "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟". وكلها إشارات واضحة للتوجه النضالي وللفكرة كرست الصحيفة حياتها للدفاع عنها ألا وهي ضرورة إيجاد دستور ينظم الحياة السياسية بالبلاد. وانتقدت الجريدة بشدة السياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب في مجالات مختلفة كالتعليم والقضاء والحريات العامة وغيرها، مما عرضها لتعسف مصالح الرقابة مرات عديدة، فحذفت مقالاتها أحيانا ومثل مسؤولوها أمام المحاكم أحيانا أخرى وحجبت عن قرائها أكثر من مرة. ومن الكتاب الذين ساهموا في تحرير هذه الصحيفة محمد بن الحسن الوزاني (وهو صاحب الافتتاحيات تحت عنوان "الغمرات") وأحمد بن سودة (ركن "حديث المفتي") وعبد الهادي بوطالب وعبد الهادي الشرايبي وعبد القادر بنجلون وأحمد معنينو ومحمد النوني ومصطفى القصري وإدريس الكتاني...

كان إصدار "الرأي العام" يتراوح بين 8.000 و10.000 نسخة، وكان صداها لدى قرائها يقلق راحة الإدارة الفرنسية. وبعد أحداث الكاريان سانطرال التي شهدتها الدار البيضاء، في دجنبر 1952، تعرضت للتوقيف وأقفلت مطبعتها، شأنها في ذلك شأن الصحف الوطنية الأخرى. ولم تستأنف نشاطها إلا في 19 نونبر 1955 مع إطلالة عهد الاستقلال. فصدرت مرتين في الأسبوع، ثم ثلاث مرات، ثم أربع، قبل أن تتحول إلى جريدة يومية ابتداء من 11 دجنبر 1956.

في سنة 1959 انشق أحمد بن سودة وعبد الهادي

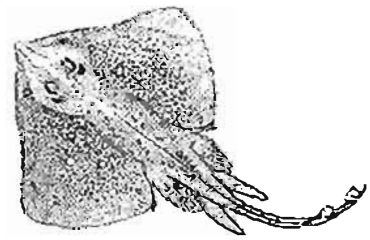


بوطالب عن حزبهما ليلتحقا بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية. فتنقلا معهما جريدة "الرأي العام" إلى الحزب الحديث العهد بالتأسيس. وتبعا لذلك اضطر حزب محمد بن الحسن الوزاني إلى إصدار جريدة أخرى تحل محل السابقة وعنوانها "شورى الرأي العام" (أكتوبر 1959).

عبد الهادي بوطالب. ذكريات... شهادات... ووجوه. نشر الشركة السعودية للأبحاث والنشر، طبع الشركة المغربية للطباعة والنشر، الجزء الثاني، 1993؛ عز العرب محمد حسن الوزاني. حدثني والدي. مؤسسة محمد حسن الوزاني. فاس. 1990.

جامع بيضا

الراية. جنس أسماك غضروفية بحرية متوسطة وكبيرة القد يتراوح طولها حسب الأنواع بين 30 . 230 سم. تسمى في أقطار المغرب هكذا: "الراية" وفي الشرق العربي شفنين ولياء. تصنف إلى رتبة الأنقلاق أو الشلقيات Raji- formes وفصيلة اللاثيات أو الشفنينيات Rajidae منها أنواع كثيرة تعيش في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. تدعى بالفرنسية Raie وبالإسبانية Raja وبالإنجليزية Skate.



الراية

تعد أنواع الراية من الأسماك البدائية الموجودة حاليا. الجسم خال من الهيكل العظمي ومسطح ظهراً وبطناً؛ الرأس والجسد والصدريتان مندمجة على شكل معين أو قرص شبه دائري. الذيل رقيق وبارز تتخلله ثنية طويلة ضيقة على كل جانب، طوله أقل مرتين من عرض الجسد. العينان والفوهات التنفسية على قمة الرأس: الفوهات التنفسية مباشرة خلف العينين. الخطم مستدق الرأس شيئا ما أو دائري ورخو شيئا ما أو صلب حسب تمدد غضروف الحنك والأشعة الأمامية للصدريتين. الفم سفلي مستعرض ومقوس قليلا، يحمل عدة أسنان وحيدة الناب ومنفرجة إلى مستدقة الرأس وغالبا مختلفة عند الجنسين. الفتحات المنخارية صغيرة أمام الفم، جانبها الوسطي ممتد جهة الخلف إلى فص منخاري مرتبط بالفص المتماثل معه بمضيق مستعرض أمام الفم. الصدريتان عريضتان ومتلاحمتان كليا بجوانب الرأس والجسم، من الخطم إلى قاعدة الحوضيتين: الحوضيتان فصان منفصلان بفجوة على الجانب الخارجي. تقع الزعنفتان الظهريتان على الجزء الخلفي للذيل. الذيلية ضيقة خلف الظهرية الثانية. الواجهة الظهرية خشنة اللمس، تتخللها أسنان جلدية صغيرة مستدقة الرأس وأشواك أو حلقات على شكل بقع أو صفوف. الواجهة البطنية ملساء، تحمل أحيانا بضعة أشواك منتظمة.

يختلف لون الواجهة الظهرية حسب الأنواع وحسب الأعماق وطبيعة الأتربة وتختلف أصناف البقع والرخاميات من نوع لآخر: الواجهة البطنية ناصعة أو داكنة أو رخامية. تتميز الأنواع التي تعيش في القيعان العميقة بلون داكن موحد على الواجهتين.

يعيش في المياه المغربية 16 نوعا من الراية أسماؤها العلمية كالتالي:

Raja (Dipturus) batis, Raja (Dipturus) oxyrinchus, Raja (Leucoraja) circularis, Raja (Leucoraja) fullonica, Raja (Leucoraja) naevus, Raja alba, Raja asterias, Raja brachyura, Raja clavata, Raja maderensis, Raja maroccana, Raja microocellata, Raja miraletus, Raja montagui, Raja radula, Raja undulata

وهي موزعة على كل الأعماق منذ المياه الساحلية إلى الجرف القاري وتدخل عن طريق الصدفة إلى المياه القليلة الملوحة لكنها لا تصعد إلى المياه العذبة. معظم الأنواع قاعية مستقرة تتغذى من كل أصناف الحيوانات الصغيرة القاعية، في حين هناك بعض الأنواع تقوم بهجرات طويلة المسافة.

تصاد بالجيبات والشباك المستنبمة وحبال الصنانير العميقة. تستهلك منها "الأجنحة" فقط وتباع طرية ونادراً مملحة أو مجففة. توجد باستمرار في الأسواق السمكية المغربية.

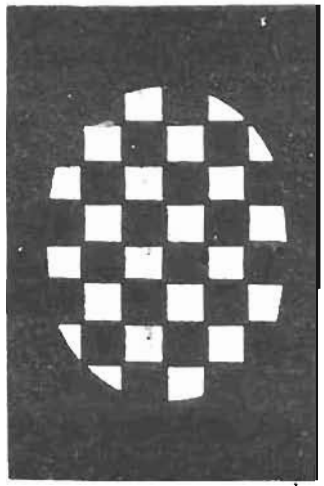
من بين الأنواع الشائعة في المغرب رايا استيرياس Raja asterias Delaroche, 1809، ظهرها أسمر زيتوني تتخلله عدة بقع داكنة لا تبلغ جوانب القرص: البقع الصفراء محاطة بنقط سوداء، موزعة بغير انتظام؛ توجد على طول العنق إلى الظهرية الأولى حوالي 50 . 60 حلقة صغيرة على صف واحد وسطي غير منتظم. يبلغ طولها الأقصى 80 سم. تعيش في أعماق تتراوح بين 10 و300 متر وتفضل العيش في القيعان الرملية الوحلية وعلى الأعشاب البحرية. تصير الذكور بالغة عندما يبلغ طولها الكلي 54 سنتمترا والإناث عندما يبلغ طولها 61 سنتمترا. يتراوح عدد حويصلات البيض ما بين 34 و112 في السنة. يتغذى من القشريات والأسماك العظمية الصغيرة والرخويات.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية. مكتبة لبنان. الطبعة الثالثة. 1988؛ أمين المعلوف. معجم الحيوان. مطبعة المقتطف. القاهرة. 1932.

D. Lloris & J. Rucabado. *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*. FAO. 1998. 263

محمد رمضاني

الراية المغربية، أو العلم أو اللواء أو البند، هي علامة مصنوعة من قماش تتقدم الفرق العسكرية لتمييزها عن غيرها، أو تعلو الأبراج والقلاع أو ترفع على القوارب في البحر لإثارة الانتباه إليها، أو يُلوح بها عند مقدم موكب مهم احتفاء به. وقد عرفت الرايات في التاريخ المغربي الإسلامي منذ عهد الأدارسة الذين كانت راياتهم بيضاء. أما المرابطون فاختلفت ألوان راياتهم بين أبيض وأسود (سواد الراية العباسية) وأحمر. وجاء الموحدون فجعلوا راياتهم الرسمية بيضاء، مكتوباً عليها عبارات "لا إله إلا الله. محمد رسول الله. لا غالب إلا الله"، غير أن رايات أخرى من ألوان مختلفة وُجدت في العهد نفسه، إذ تحدثت المصادر عن "موكب الراية" وعن "الرايات السبع". أما المرينيون، فقد عرفوا "العلم المنصور" المرصع بآيات قرآنية والذي يحمل في المواكب السلطانية، وكان من الحرير ولونه أبيض في الغالب، ولكن عادة ما تلتف حوله رايات ذات ألوان مختلفة دونه مرتبة. وتختلف أعلام الجند في البر والبحر باختلاف الفرق العسكرية. أما "اللواء المنصور" السعدي فكان أبيض اللون، غير أن أعلاما حمراء كانت مزامنة له.



أقدم راية مغربية عرفت في القرن الثامن (14 م) مستطيل أحمر بداخله شكل بيضوي ذو مربعات صفراء بيضاء وزرقاء، عن H.T

وفي العصر العلوي، عرف المغرب رايات مختلفة الألوان، ولكن أكثرها شيوعا هو اللون الأحمر "القاني"، وهو لون شاع فيما مضى في الأندلس الإسلامية. وفي أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وأوائل القرن الذي يليه، أصبحت الراية الحمراء رمزاً للوحدة الوطنية وشعاراً مبجلا لدى النخبة الوطنية المثقفة. وهكذا نجد صدى لذلك في المشاريع الإصلاحية التي عرفتها هذه الحقبة. ففي المقدمة التي وضعها الحاج علي زنيبر لمشروعه الإصلاحي غداة مؤتمر الجزيرة الخضراء ("حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال") المرفوع إلى السلطان المولى عبد العزيز، تحدث عن "وثوق عوامل الارتباط الجامع بين أفراد الوطنية من شريف ووضيع ونزيل تحت الراية الحمراء الدالة على وحدة الاستقلال الذي هو الأصل". وفي النقطة الرابعة من المذكرة ذاتها، يؤكد المؤلف على ضرورة "توحيد نظام البوليس وما كان في مصانعه تحت الزي الوطني والراية الحمراء (...)".

استمر استعمال العلم الأحمر لزمن قصير في ظل الاستعمار الفرنسي. وفي سنة 1915، ارتأى المقيم العام ليوطي تغيير شكله بترصيعه بنجمة خماسية خضراء وسطه. ومما برر به مبادرته هذه كون العلم الأحمر اللون يشبه بعض الرايات المستعملة في الإشارات البحرية، كما أنه اعتُمد شعارا في بعض البلدان لحركات سياسية متطرفة (شيوعية). وهكذا صدر ظهير في شأن الراية الجديدة بالجريدة الرسمية (نونبر 1915). أتبع سنوات قليلة بعد ذلك بظهير آخر يحدث علما خاصا بالملاحة التجارية (31 مارس 1919). وهذه الراية الأخيرة هي نفسها الراية المحدثة سنة 1915 غير أنه أضيفت إليها في ركنها العلوي الأيسر ألوان العلم الفرنسي (الأزرق والأبيض والأحمر). وقد حذت إسبانيا حذو فرنسا في هذا الشأن فسنت في المنطقة الرازحة تحت احتلالها علما للمحلة الخليفية وهو أخضر اللون تتوسطه نجمة سداسية صفراء، سنة 1930، كما أحدثت راية للملاحة التجارية احتفظت فيها بنفس المواصفات مضيفة إليها في ركنها العلوي الأيسر ألوان العلم الإسباني (الأحمر والأصفر). أما في منطقة طنجة، فقد تأخر إحداث راية الأسطول التجاري البحري حتى سنة 1953. وهي نفس الراية المعمول بها في المنطقة السلطانية، مع إضافة شعار المدينة في أحد أركانها (وفيه إحالة على طنجيس الفينيقية).

لم نقف على ما يفيد كون الحركة الوطنية في المنطقة السلطانية قد جحدت التغيير الذي أقدم عليه الجنرال ليوطي عام 1915 في شكل الراية المغربية. ففي دفتر "مطالب الشعب المغربي" الذي تقدمت به كتلة العمل الوطني للسلطات الفرنسية سنة 1934 هناك مطلبان متعلقان بالعلم المغربي ينصان فقط على ضرورة "احترام العلم المغربي الاحترام الواجب له، ورفعه أيام الجمعة والأحد والأعياد الرسمية فوق جميع الإدارات والمحاكم الموجودة في النواحي المدنية والعسكرية"، و"سن قانون لمعاقبة كل من أهان العلم المغربي". أما في الريف والمنطقة الخليفية، فالأمر غير ذلك. فبعد معركة أنوال، أحدث محمد بن عبد الكريم الخطابي راية خاصة بحكومته، وهي حمراء تتوسطها رقعة بيضاء، وبداخلها نجمة سداسية خضراء ضمن هلال. أما الحركة الوطنية في تطوان، فقد طالبت في

الثلاثينيات بالرجوع إلى العلم المغربي التقليدي الأحمر الموحد اللون (جريدة *الحياة*، تطوان، 7 يناير 1935).

خفتت أصوات الاحتجاج على هذه الراية بعد أن أضفى عليها السلطان سيدي محمد بن يوسف المشروعية علنا يوم الاثنين 19 ماي 1947 عندما قام برفعها على قصره بالرباط بمناسبة الاحتفال بتدشين إحدى أجنحته. وقد استجابت الحركة الوطنية لهذه الإشارة الرمزية فنوهت بها وباركتها (جريدة *الرأي العام*، نونبر ودجنبر 1947). وبعد حصول المغرب على استقلاله، تم توحيد المناطق السلطانية والخليفية والدولية تحت راية وطنية واحدة ذات اللون الأحمر والنجمة الخماسية الخضراء، كما احتفظ بالعلم نفسه للأسطول التجاري البحري المغربي.

الكتلة العاملة الوطنية، *مطالب الشعب المغربي*، مطبعة الإخوان المسلمين، القاهرة، 1934، ص. 28 ؛ م. المنوني، "*على هامش حادث رفع الراية المغربية فوق القصر الملكي العامر – رايات العرش المغربي*" في جريدة *الرأي العام*، الأعداد 31 و34 و35 (نونبر - دجنبر 1947). أعيد نشر هذه المقالات في كتاب "*الفقيه المنوني. أبحاث مختارة*"، منشورات وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، 2000، ص. 171، 182 ؛ *ورقات عن حضارة المرينيين*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1996، ص 156، 160 ؛ ع. الله الجراري، كتاب *النيابة من رفع الراية*، مطبعة الأمنية، الرباط، 1953، 36 ص. ؛ علي وسير السلاوي الدرقاوي، *حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال*، مذكرة دستورية مخطوطة، خ. ص. بسلا. أورد محمد المنوني نصها الكامل في *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بالاشتراك مع شركة النشر والتوزيع "المدارس" (الدار البيضاء) ودار الغرب الإسلامي (بيروت)، 1985، ج 2، ص 408، 421 ؛ *وثائق من مركز الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي بنانط* (فرنسا)

B. Dubreuil, *Les pavillons des Etats musulmans*, *H.T.* vol. I, fasc. III, 1960.

جامع بيضا

الرايس، محمد بن الطاهر العمراني الحسّاني

(نسبة إلى قبيلة بني حسان إحدى قبائل الجبل القريبة من تطوان، وبها ضريح سيدي عمران جد هؤلاء العمرانيين الموجودين إلى الآن بالقبيلة المذكورة وغيرها، وهم غير عمرانيي فاس وبني عروس وبني يدر وجبل حبيب) ثم التطواني منشأ ودارا ووفاة.

الفقيه المفتي الكاتب نائب القاضي الصوفي العابد الذاكر، من أكبر فقهاء تطوان وعدولها، تلقى العلم بها وبفاس. له اطلاع على النوازل ومعرفة تامة بالوثائق ونقفها. كان ذا هيئة حسنة وشيبة منورة، وسمت رفيع وصيانة ونزاهة، تعاطى العدالة حينا، واستُنيب فأفتى وتولى الإمامة بضريح سيدي الحاج علي بركة بالسوق الفوقي من تطوان إلى أن توفي.

أول ما عرف من نشاط المترجم له في ميدان الوظيفة توليته الكتابة لقائد تطوان الحاج أحمد الحداد عام 1267، ثم نيابته عن القاضي مزيان عام 1290 في بعض الأحيان. وأورد له محمد داود في *تاريخ تطوان* رسالة مهمة تتضمن فتوى شرعية تتعلق بالجهاد وأحوال المجاهدين مؤرخة في 3 جمادى الأولى عام 1276 كتبها إلى مقدم المجاهدين بقبيلة واد راس الشريف سيدي التهامي بن محمد الوزاني. وكان المترجم له أحد شهود بيعة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن التي كتبت بماء الذهب بتاريخ 12 صفر عام 1276 والتي أورد نصها محمد داود.

ظل الفقيه محمد الرايس مقبلا على شأنه بعد أن عُمر واعتزل الأعمال إلا النسك والعبادة فقضى راضيا مرضيا عام 1301 / 1892.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، (6 / 184) ؛ م. داود، *تاريخ تطوان* (3 / 335، 368، و4 / 144) طبع تطوان ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، صفحة 260.

محمد بوخبزة

الرايس، محمد بن محمد الفاسي أديب حلاه في *إتحاف المطالع* "بالعلامة الأديب الشاعر المتفنن... كان وعظه بكرسي ظهر الصومعة من جامع القرويين قبل صلاة العصر، وكان الناس يزدحمون لسماع وعظه لما رزقه الله من حسن الصوت".

ألف كتاب *الرحلة المرصعة ببدائع اللآل، في ترجمة الشيخ النيف سيدي محمد الخمال، ووفوده على حضرة فاس، لزيارة طيب الأنفاس، بتيمة الجوهر النفيس، أبي العلاء إدريس.* (انظر ترجمة محمد الخمال ورحلته في *المعلمة*).

توفي محمد الرايس بفاس عام 1324 / 1906، ودفن بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2845.

محمد حجي

الرايس، محمد بن محمد الفاسي موسيقي من مواليد فاس عام 1262 والد الفنان الشهير عبد الكريم الرايس سابق الترجمة "كان بارعا في علوم الأدب عارفا بالنغم... وكان له صوت حسن ربما يدعى للإنشاد عند بعض الكبراء".

وقد قام محمد الرايس بإعانة معاصره محمد بن العالي العراقي بنسخ كتاب *الأنيس المطرب* لمحمد بن الطيب العلمي. ووضع على حاشيته ترجمة للفنان الأديب محمد البوعصامي وتعليقات وتعقيبات لا تخلو من أهمية فنية وعلمية تكشف عن سعة معرفته بمستعملات الموسيقى الأندلسية ومنهاج تدريسها في مغرب القرن الثالث عشر وقد انتهى من هذا العمل عام 1305.

ويأتي ذلك في موازاة أعمال لجنة الوزير الجامعي التي قامت بمراجعة مستعملات كناش محمد بن الحسن الحايك عام 1303، الأمر الذي يقوي احتمال أن تكون وفاة محمد الرايس في العقد الثالث أو الرابع من القرن الرابع عشر.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 ص. 123 ؛ م. العلمي، *الأنيس المطرب...* عند ترجمته لمحمد البوعصامي الرسيفي، هامش ص 175 ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، مدخل *إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، سلسلة عالم المعرفة، عدد 65، 1983، ص. 205.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الرايسي، أسرة رباطية وقصرية لعل أصلها من قبيلة بني حسن المستقرة في أزغار بين الرباط والقصر الكبير. اشتهر من الرايسيين الرباطيين في القرن الثالث عشر (19م) الحاج محمد الرايسي الذي استخدمه السلطان المولى الحسن أمينا بمرسى الجديدة ابتداء من عام 1280 / 1863. وبنعيسى الرايسي المولود بالرباط حوالي سنة 1900، الذي اشتغل بالتجارة في شارع القناصل، ورشحته سلطات الحماية لعضوية اللجنة البلدية الرباطية لسنة 1934 بعد أن وضعت له - كعادتها بالنسبة لكل مرشح للعضوية - بطاقة معلومات شخصية. وكان لبنعيسى الرايسي كلمة مسموعة في الوسط التجاري بالرباط.

محمد داود، *تاريخ تطوان*، ج 6، الرباط، 1399، ص. 134 ؛ عبد الإله الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين*، منشورات جمعية رباط الفتح، 1996 ؛ وثائق الحماية، أرشيف خ. ع، الرباط، ملف 622، *اللجن البلدية*.

عبد الإله الفاسي

الرايسي، محمد القصري، ولد سنة 1948 بالقصر الكبير في وسط عائلي محافظ. والتحق في صغره بالمدرسة لكن الظروف لم تسعفه لاستكمال دراسته إلا أنه كان يتحلى بروح عصامية جعلت منه شخصا واسع المعرفة بفضل قراءاته الكثيرة المتنوعة وشغفه بحفظ روائع الشعر العربي القديم والحديث.

ولع بالموسيقى منذ طفولته، فأقبل وهو ابن أربع عشرة سنة على تعلمها، فكان يتنقل بشكل منتظم بين القصر الكبير ومدينة الرباط حيث تابع دراسته الفنية بالمعهد الوطني للموسيقى والرقص وحصل سنة 1969 على الجائزة الأولى في الصولفيج. واهتم - إلى جانب ذلك - بدراسة أصول الموسيقى الأندلسية وحفظ ميازينها، وكان في سبيل ذلك لا ينقطع عن مجالسة شيوخ هذا الفن أمثال المعلمين المرحومين محمد الجعيدي وأحمد الوكيلي بالرباط والحاج عبد الكريم الرايس بفاس، ومحمد العربي التمسماني بتطوان. ومن أجل تعميق معارفه بالموسيقى وجه اهتمامه إلى دراسة تاريخ الموسيقى العالمية.

وقد أهله تكوينه ليضطلع بمهام تربوية وإدارية بدءاً من عام 1387 / 1967 حين كلف بتدريس الموسيقى بمعهدي فاس ومكناس، ليتحول بعد ذلك إلى معهد القصر الكبير معلما في 1973، ومديراً عام 1979. ثم دعي للعمل بوزارة الثقافة رئيسا لمكتب الموسيقى والامتحانات ثم عين مديراً لمعهد طنجة. وفي السنوات الأخيرة من عمره كلف بتفتيش أساتذة التعليم الموسيقي العاملين بمعاهد الرباط ونواحيها.

عُرف محمد الرايسي بكتاباته المتخصصة في مجال الموسيقى العربية، فكان ينشر على أعمدة الصحف خاصة منها *العلم*، و*الاتحاد الاشتراكي*، و*أنوال*، مقالات تحليلية ودراسات نقدية تتسم بالجرأة والعمق، وتنم عن معرفة واسعة بواقع الموسيقى في بلادنا والبلاد العربية. وإلى ذلك شارك في عدة تظاهرات ثقافية وفنية. وإليه يرجع الفضل في تنشيط الندوات التي كانت تنظم على هامش المهرجانات الموسيقية بمدن فاس وشفشاون وأسفي وغيرها.

شارك الرايسي أكثر من مرة في المؤتمرات الفنية التي احتضنتها العواصم العربية، وخاصة بغداد حيث انتخب عام 1986 نائبا للأمين العام لاتحاد الموسيقيين العرب، وحيث حضر مهرجان بابل، وشغل عضوية اللجنة التنفيذية للمجمع العربي للموسيقى لفترة طويلة.

أسس محمد الرايسي مجموعات موسيقية عدة أهمها جوق معهد طنجة للموسيقى الأندلسية برآسة الفنان الشيخ أحمد الزيتوني، ومجموعة صوتية كورالية للأطفال. وقام - على مستوى الإبداع - بالتوزيع الأركسترالي لبعض ميازين الآلة الأندلسية، إضافة إلى تلحين "أنشودة المطر" للشاعر العراقي بدر شاكر السياب.

ومن أبرز الأبحاث والمقالات التي أنجزها :

- *الأهازيج الشعبية بحوض سبو* : المؤتمر الخامس للمجمع العربي للموسيقى أكتوبر 1977 بالمغرب.
- *منهجية تلقين الأنماط الموسيقية التراثية بالمغرب وآفاق مستقبلها* : بمشاركة ع. العزيز بن عبد الجليل : المؤتمر الثامن للمجمع العربي للموسيقى المنعقد في بغداد في فبراير 1983.
- *المسألة النظرية في الموسيقى الأندلسية* : المهرجان الوطني الثالث للموسيقى الأندلسية بشفشاون - مايو 1983.
- *الوحدة العضوية للميزان في النوبة الأندلسية المغربية*: الندوة الدولية حول تاريخ الموسيقى العربية بالرباط في نونبر 1984.
- *الأغنية العصرية ولدت في الأغنية الرومنسية المصرية* : جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 3 يناير 1993.
- *إشكالية المصطلح في الموسيقى الأندلسية* - المهرجان

الوطني التابع الموسيقى الأندلسية ، شفشاون ، ماي 1994.

وساهم الرايس في تأليف كتاب *مغرب الطاقات*، وعاش وهو يحمل بين ضلوعه الأمل في إحداث شعبة للتربية الموسيقية، وفي أن يخرج إلى الوجود مشروعه الرائد حول تجديد مناهج التعليم الموسيقي في المغرب.

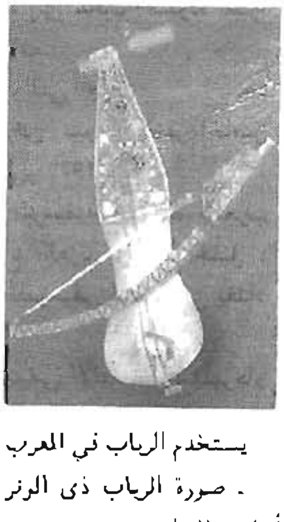
لقد عانى محمد الرايسي لسنوات طويلة من اختناق في شرايين القلب، وبعد صراع مرير مع المرض أسلم روحه للخالق تعالى يوم الأربعاء 21 شعبان عام 1417/ فاتح يناير 1997 بالقصر الكبير.

وثائق خاصة ومعلومات شخصية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الرَّبَاب، من الآلات الوترية شاع استعماله في سائر البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً. انتقل إلى المغرب والأندلس مع الفتح الإسلامي، ثم شق طريقه إلى البلاد الأوروبية تحت اسم الريبيك Rebec منذ القرن الخامس (11 م)، فاستخدمته فرق الميستريل المتجولة والبهلوانيون (Les Menestrels et les jongleurs) بثلاثة أوتار في مصاحبة أغانيها.

وقد ساهم الرباب العربي عن طريق الأندلس في ظهور آلة الفيولا (Viole) التي تشكلت الصورة المتطورة لكل من الريبيلا (Rebella) والروبيك (Rubéc) بفرنسا، أو الروبيكا (Rubeca) بإيطاليا والتي لم تفتأ أن عرفت ضروبا من التعديلات انتهت إلى إيجاد هيئة الكمان (Violon) ابتداء من القرن الحادي عشر (17 م).



الرباب

يستخدم الرباب في المغرب على صورتين :

- صورة الرباب ذي الوتر الواحد، ومجال استخدامه أغاني الروايس بسوس. ومن أشهر عازفيه المعاصرين الرايس الحاج بلعيد، والرايس الدمسيري.

- صورة الرباب ذي الوترين ومجال استخدامه أجواق الموسيقى الأندلسية. ومن أشهر عازفيه المعاصرين : عمر الجعيدي المتوفى عام 1371 / 1952 ، والفقيه محمد البريهي المتوفى عام [illegible] ، والفنان الحبيبي امبيركو المتوفى عام 1382 / 62 . 1963، والفنان عبد السلام الخياطي المتوفى عام 1316 / 98 . 1899 والشريف مولاي أحمد الوزاني المتوفى بطنجة عام 1965. والمرحوم التازي لبزور المتوفى عام 1403 / 1983 ، والفنان المرحوم الحاج عبد الكريم الرايس المتوفى بفاس عام 1417 / 1996.

يجري العزف على الرباب في صورتيه معاً بواسطة قوس ذي خيوط من وبر وشكل نصف دائري.

د. الحفني محمود، *علم الآلات الموسيقية*، ص. 219 ؛ ع. العزيز ابن عبد الجليل، *الموسيقى الأندلسية المغربية فنون الأداء*، سلسلة عالم المعرفة، 1989، ص. 244 ـ 246 ؛ معجم مصطلحات *الموسيقى الأندلسية المغربية*، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ص 26، الرباط، 1992.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الرباح (سمك) ← البج

الرباط (مصطلح) : ترد كلمة رباط عند دارسي الآثار الإسلامية، كلفظ تقني للدلالة على بناءات ظهرت وارتبطت بالثغور المواجهة لغير المسلمين. كانت بمثابة نقط حساسة أو ينظر إليها كأماكن على الحدود قد يتسرب منها براً أو بحراً، الخطر المحدق بالديار الإسلامية، خصوصاً في بداية الدولة الإسلامية، وطيلة قرون انتشار الدين الحنيف.

وبهذا المعنى وما يحيط به وردت الكلمة في *لسان العرب* حيث نجد أن الرباط هو "ملازمة ثغر العدو" وأنه "في الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وارتباط الخيل وإعدادها" (ابن منظور، *لسان*، ج 7، حرف الطاء، ص. 302). وبهذا يكون اللفظ قد أحاط بالمكان أو الإقامة، وبفرض الجهاد والعدة التي تعد له. وما يهمنا نحن هو مكان الإقامة تلك.

لقد أطلق الاسم في بداية أمره على نوع من البنايات العسكرية، لم يكن لها بالضرورة تصميم موحد، ولا عناصر معمارية خاصة، ولا حتى مجال طبيعي مميز، اللهم إلا ما تعلق بالوظيفة (الجهاد والدفاع ورد الخطر) والمواجهة (الثغر). فكل معسكر محصن يرابط به المجاهدون والمتطوعة الذين يهبون أنفسهم للجهاد في سبيل الله دفاعا عن دينه ونشره، هو رباط. لكن اللفظ دلّ كذلك وفي مناطق من بلاد الإسلام، كبلاد فارس مثلا، على الخانقات المحصنة التي انتشرت خارج المدن على طول الطرق التجارية، كما أطلق على بعض المآوي التي كان العُبّاد والمتصوفة يختلون بها للتعبد داخل المدن وخارجها. والتي انتشرت خاصة منذ القرن السادس (12 م)

انتشرت الرباطات بمفهومها العسكري، وتعددت بتوسع رقعة الدولة الإسلامية عند كل خط فاصل بينها وبين ...

دونها من الدول المواجهة لها سواء كانت الخطوط برية داخلية أو ساحلية ؛ وتشير كتب الأخبار إلى أن الكثير منها ظهر أولاً على طول خط المواجهة مع الروم والبيزنطيين، ثم على طول خطوط المواجهة مع قبائل وتجمعات شمال إفريقيا والأندلس بعده. وبمتابعة هذه الإشارات يتحدد تطور اتساع الدولة الإسلامية وتتجلى مراحله، انسياقا مع تغلغل الدعوة وتثبيتها في كل الجهات التي قصدتها.

إلا أن الأغلبية الساحقة من رباطات الشرق الإسلامي انقرضت اليوم ولم يبق لها أثر يدل على نوعية بناءاتها ولا الأشكال الهندسية التي امتازت بها، وهو عكس ما نجده ببلاد الغرب الإسلامي، وإن كانت الرباطات الكثيرة فيها قد اختفت بدورها. ذلك أن بلاد المغرب الكبير احتفظت وخاصة في قسمها التونسي، برباطات مهمة، أشهرها رباط سوسة الذي شيد سنة 171 / 788 م ورباط المنستير الذي بني سنة 180 / 796 م، تعكس عمارتهما ما وصل إليه هذا النوع من التشييدات الإسلامية من تطور في بنيته ومكوناته.

أما المغرب الأقصى فقد عرف ظهور الرباطات مع قدوم الفاتحين : ومن أول هذه الربط رباط شاكر، على وادي تانسيفت غربي مدينة أسفي في مواجهة مبتدعي برغواطة.

وتعود أولى الإشارات للربط المغربية إلى نهاية القرن الثالث (9 م) وهي التي نجدها عند المسعودي في ذكره لرباط ماسة الذي يظهر أنه كان مكانا للتعبد والتبادل الاقتصادي، بعد ذلك نجد ابن حوقل في القرن الرابع (10م) يذكر رباط سلا المنتصب في مواجهة مبتدعي برغواطة، كما كان الشأن لرباط شاكر السالف الذكر.

لكن ذكر الربط بتفاصيل أكثر نجده عند البكري الذي يذكر رباطات أصيلا، والعرائش، وأكوز، وتكرور، وتيط مشيرا في غير ما مكان إلى طبيعتها ومواطن الشبه فيها من كونها على الخصوص كلها نقط لقاء للتبادل التجاري في شكل سوق أو موسم، وموضع يتوسطه مسجد أو رابطة وهيا الدالان على وظيفة العبادة والتعبد. وكون أغلبها لم يعرف تحصينات في البداية وإنما عرفها لاحقا (كما هو الشأن بالنسبة لأصيلا أو رباط الفتح)، وكونها أخيرا أساسا لظهور مدن بموقعها أو حواليها.

ومما يؤسف له كون الرباطات المغربية الأولى وخاصة تلك التي كانت وظيفتها الأساسية الجهاد، اندثرت كلية أو تغيرت تصاميمها ومكوناتها تغييرا جذريا أو حلت محلها منشآت أخرى، ولذلك لا نتوفر في المغرب على مثال يعرفنا بعمارة الربط، إن كانت لها عمارة خاصة، في بداية عهودها وحتى في مختلف عصورها اللاحقة.

ويعتبر رباط الفتح، أصل مدينة الرباط الحالية، بقسميه "قصبة الأوداية" و"المعسكر - المدينة" الذي أنشئ بجاداتها، نموذجا فريدا ومتميزا يمكن أن نرى فيه صورة مكتملة للرباط، بمقاييس جديدة. فهو إنجاز رسمي مخزني، جاء نتيجة قرار من الخليفة نفسه، واعتمد الجمع ما بين وظيفة الجهاد ووظيفة الإقامة الأميرية بما تفرضه هذه الأخيرة من تجهيزات ومعالم رسمية وعمومية.

وإذا كان عبد المومن بن علي قد اختار لرباطه موقع رباط تاشفين المرابطي، الذي كان بدوره قد أخذ مكان رباط أقدم، وحصنه بأسوار قوية من جهة البر، وضمنه مرافق هامة كقصره الخليفي ومسجده العتيق، تاركا ما تبقى من الهكتارات الأربعة التي هي مساحة الرباط لحاشيته وجيشه، فإن حفيده أبا يوسف يعقوب المنصور عمد إلى إنشاء رباطه في شكل معسكر شاسع الأطراف (418 هكتارا) محاط بأسوار منيعة عظيمة، تتوسطه منشآت مختلفة، أهمها على الإطلاق جامع حسان ومنارته الشهيرة.

ويبقى رباط الفتح هذا، كما تدل على ذلك كلمة "الفتح" التي ارتبطت به، رباطا مواجها لغير المسلمين، لكن ليس على نقطة تماس الديار الإسلامية بما دونها، وإنما على موضع استراتيجي يتوسط خارطة الامبراطورية الموحدية، ويُطل على المحيط كنقطة انطلاق القبائل والجيوش في حركة يراد منها نصرة الإسلام والمسلمين بالأندلس.

أ. البكري، المسالك والممالك، باريس، 1965 ؛ أ. البيدق، أخبار المهدي ؛ ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، بيروت، 1979 ؛ الإدريسي، نزهة، بيروت، 1989 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، العبر ؛ المراكشي، المعجب ؛ مجهول، الاستبصار ؛ اليعقوبي، البلدان.

J. Caillé, *Rabat des origines à 1912* ; G. Marçais, *Architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954 ; J. Cheikhu, *Les ribats d'après les livres des Tabaqat*, *La Rapita islamica : Historia Institucional i altres Estudis Regionals. I Congrés de les Rapites de l'Estat Espanyol* (7 - 10 sept. 1989), 1993, pp. 187 - 190 ; G.S. Colin, *Massa*, *E.I.*, V, pp. 773 - 774 ; V.J. Cornell, *Ribat Tit-n-Fitr and the origins of Moroccan Maraboutism*, *Islamic Studies*, XXVII, 1988, pp. 23 - 36 ; P. Cressier, *De un ribat a otro: Una hipotesis sobre los ribat-s del Magrib al-Aqsa (siglo IX - inicios siglo XI)*, à paraître ; H. Ferhat, *Littérature eschatologique et espace sacré au Maroc : le cas de Massa*, *Studia Islamica*, 80, 1994, pp. 47 - 56 ; G. Marçais, *Note sur le ribat en Berbérie*, *Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident musulman*, I, 1957, pp. 23 - 36 ; M. Marin, *El Ribat en al-Andalus y en Norte de Africa*, *in la Rapita Islàmica : Historia Institucional, altres Estudis Regionals. I. Congrés de les Rapites de l'Estat Espanyol (7 - 10 Sep. 1986)*, San Carles de la Rapita, 1993, pp. 121 - 130 ; B. Rosenberger, *Note sur Kouz, un ancien port à l'embouchure de l'oued Tensift*, *H.T.*, VIII, pp. 23 - 66 ; L. Torres Balbas, *Rabitas hispano-musulmanas*, *Al-Andalus*, XIII, pp. 475 - 491.

عبد العزيز توري

** عرف المغرب الرُّبط مع الفتح الإسلامي، وورد ذكر "رباط ماسة" بالسوس الأقصى في أخبار الفاتح عقبة بن نافع وموسى بن نصير وإدريس الأول و"رباط شاكر" على

ضفة وادي نفيس بحوز مراكش، وهو مدفن المجاهد العربي شاكر من أصحاب عقبة. تخلف عن الجيش ليعلم الناس القرآن وأمور دينهم. ويُذكر أن الذي بنى هذا الرباط هو يعلى بن مصلين أحد رجال ركراكة السبعة الذين يقال إنهم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وأسلموا ورجعوا إلى بلادهم دعاة للدين الحنيف.

كان يعلى الركراكي يقيم بهذا الرباط لقتال البرغواطيين في تامسنا، ثم صار رباط شاكر مجمعاً للصالحين ولا سيما في رمضان يفدون إليه من كل حدب كما أقيم رباط آخر في شمال تامسنا على الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق لقتال البرغواطيين. وكانت مدينة سلا القديمة قد خربت في أوائل القرن الرابع (10 م) "والناس يسكنون ويرابطون برباط وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون وينقصون ورباطهم على برغواطة" (*المسالك والممالك*) هذا الرباط الذي تحدث عنه ابن حوقل هو الذي وسعه الموحدون في القرن السابع (13 م) وجعلوا منه مدينة كبيرة سموها "رباط الفتح". وتكاثرت الرُبط في المغرب لا سيما على السواحل حتى أصبحت تعد بالعشرات.

وخص الخطيب ابن مرزوق (ت. 781 / 1379) الباب التاسع والثلاثين من كتابه *المسند الصحيح الحسن* للكلام على الربط التي أنشأها السلطان أبو الحسن المريني على السواحل المغربية والجزائرية لمدافعة القراصنة الأوروبيين الذين كانوا كثيراً ما يهاجمون هذه السواحل ويختطفون من يباغتونه من السكان ليستعبدوهم في بلادهم. فكانت هذه الرُبط التي أنشأها أبو الحسن الممتدة من أسفي إلى أول بلاد إفريقية تونس "إذا وقعت النيران في أعلاها تتصل في الليلة الواحدة أو في بعض ليلة. وذلك في مسافة تسير فيها القوافل نحواً من شهرين، وفي كل محرس منها رجال مرتبون نظار وطلاع يكتشفون البحر فلا تظهر في البحر قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين إلا والتنبير يبدو في المحارس فأمنت السواحل في أيامه السعيدة ...".

وقد سمي الرباط أولاً "رابطة". كرابطة عبد الله بن ياسين في إحدى الجزر الساحلية بأقصى الجنوب المغربي وذكر يوسف ابن الزيات التادلي في *التشوف* (ت. 1627 / 1230) أحد عشر رباطاً وتسع رابطات أكثر أسمائها أمازيغية مثل "رباط تيطفطر" : عين القطر على ساحل المحيط الأطلسي جنوبي مدينة الجديدة : و"رباط تينمل" بالأطلس الكبير الذي هو دار المهدي ابن تومرت، و"رباط تانوتن" في بلاد دكالة، و"رباط يسماطت" في ضواحي مراكش و"رابطة أنبدور" خارج سجلماسة، و"رابطة بامنغاطت" بالقرب من ساحل أنفا الدار البيضاء.

لم يقتصر تأسيس الربط على عمل الدولة، وإنما شارك فيه صالحو المؤمنين. مثل "رباط أبي داوود" على البحر المتوسط بالقرب من الحسيمة الذي بناه الشيخ أبو داوود مزاحم بن علي بن جعفر البطوي التمساني (ت. 578 / 1182م) من مريدي أبي مدين الغوث. وكان مكان هذا الرباط مخوفاً اعتاد القراصنة المسيحيون أن يهاجموه من حين لآخر ويسترقوا من أمكنهم استرقاقه من الرجال والنساء والصبيان. وقد رابط فيه الشيخ ثم أبناؤه وأحفاده ومريدوه ومازال قائماً حتى اليوم معدوداً من المزارات المقصودة. وكرباط الشيخ أبي محمد صالح ابن ينصارن الدكالي الماكري (ت. 632 / 1234) بناه خارج مدينة أسفي (أصبح اليوم داخل الأسوار بعد اتساع عمران المدينة). وكان الشيخ يدعو الناس إلى الحج ويحثهم عليه، بعد أن أفتى بعض الفقهاء بسقوط الحج عن المغاربة والأندلسيين لعدم سلامة الطريق. وقد صار رباط أسفي ملتقى الحجاج، إضافة إلى المجاهدين والعبّاد. وقد حجّ أبو محمد صالح وأسس مراكز على طول طريق ركب الحاجّ إلى القاهرة والإسكندرية، كانت كفروع لرباط أسفي تستقبل الحجاج وتأخذ بأيديهم وتذلل لهم الصعوبات المادية ولدى الحكام والرؤساء.

ولما تطورت وسائل الدفاع في العصر الحديث تضاءل أمر الربط وقلت العناية بها، ولم يصمد منها لعوادي الزمن أو يجدد إلا القليل.

م. ابن حوقل، *المسالك والممالك*، ليدن، 1873 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، ط 2، الدار البيضاء، 1984 ؛ م. ابن مرزوق الخطيب، *المسند الصحيح الحسن*، تح. م. خ. بيغيرا، الجزائر، 1981 ؛ ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط 1982 ؛ م. ابن علي الدكالي، *تقييد في الرباطات*، مخطوط ؛ أ. الماكري، *المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي صالح*، القاهرة، 1932.

محمد حجي

الرباط. (جغرافيا) عاصمة المملكة المغربية، نموذج حي للعواصم التي تزخر بتراث تاريخي فريد، ومشاهد طبيعية نفيسة، ونشاط اقتصادي حقيقي ومتنوع. وتحظى إلى جانب ذلك بتجهيزات حضرية متوازنة نسبيا. كما أن لها وزناً سياسياً ودوراً اقتصادياً متميزاً.

مدينة الرباط جزء من المجموعة الحضرية التي تتكون من الرباط، وسلا وتمارة، وجزء من الجهة : الرباط، سلا زمور زعير. وهي تتألف من خمس جماعات حضرية هي حسان، أكدال، الرياض، اليوسفية ويعقوب المنصور وتوارگة. وتغطي المدينة مساحة 146 كلم، محدودة شمالا بسلا، وجنوبا بتمارة.

ساكنة المدينة حسب إحصاء 1994، 623.457 ساكنا، بينما كانت لا تمثل سوى 227.445 نسمة سنة 1960. إلا أن وتيرة نمو المدينة تضاءلت منذ السبعينيات (1.42٪ سنويا خلال المدة 82، 94).

وقد عرفت المدينة بعض التحسن في توفر السكن، رغم

الاحتفاظ بتفاوتات هامة بين الأحياء. ويشير حجم الأسر إلى هذا التفاوت حيث حجم الأسرة في اليوسفية ويعقوب المنصور بين 5 و8 أفراد، ومقداره 4.4 نسمة في حي أكدال - الرياض. وهذا يبين بكل وضوح التفاوت الاقتصادي والاجتماعي بين جماعات المدينة.

وتمثل الجماعات الحضرية نسبا مختلفة من ساكنة المدينة : 24٪ في جماعة الرباط - حسان، 12٪ في أكدال الرياض و1٪ في تواركة. وتستأثر اليوسفية ويعقوب المنصور بالتساوي بما قدره 63٪ من ساكنة المدينة.

وتتميز كثافة السكان بارتفاعها عامة (4270 ن / كلم2)، وخاصة في جماعة الرباط - حسان (19400 ن / كم2). وفي هذا الضغط المجالي تكمن صعوبة تطهير المدينة ومشاكل تدهور المباني.

ويمتاز تجهيز المدينة بجودة نسبية مقارنة مع باقي مدن البلاد : فراش استشفاء واحد بالنسبة لكل 177 نسمة، وطبيب لكل 660 ساكنا، كما تتميز بتجهيز مدرسي يفوق المتوسط الوطني.

لقد تواترت في الرباط المخططات والمشاريع. إلا أن تلك العمليات كثيرا ما واجهتها ضغوطات من أصل قانوني وعقاري وعوائق سياسية واقتصادية الشيء الذي حال دون تحقيقها، والمطلوب تنمية عاصمة المملكة من أجل رفعها إلى مستوى عواصم العالم بعد تخطي العقبات والتناقضات عبر تحكيم نزيه يتلافى التجربة المعهودة إلى الآن، ويخطط العمليات بشكل شمولي مع تهيء كل الضروريات اللازمة من أجل تحقيقها على أساس برنامج دقيق في الزمان والمكان.

هناك عدة عمليات إعداد حضرية، تمت برمجتها منذ القديم، لكن لم تنفذ ومن اللازم بعثها، ومعالجتها بطريقة جديدة من أجل تحقيقها. فلقد تم وضع التصميم المديري للاعداد الحضري سنة 1987، ذلك التصميم الذي يعتمد على فكرة التنمية الخطية على طول الساحل وداخل المجالات الوحيدة التي مازالت متوفرة في هضبة عكراش وحي الرياض. من بين المقترحات مشروع ترميم المدينة العتيقة وإعداد الكورنيش الساحلي، وضفاف وادي بورقراق، وتهيئة شارع النصر وحي لعلو وشارع الحسن الثاني واحياء حدائق الأوداية، وتأهيل حي الأوداية ليصبح بمثابة متحف حي وإعادة هيكلة ساحة السوق المركزي.

وتحتوي المدينة العتيقة على تراث تاريخي وهندسي من الواجب ترميمه وحمايته مع تهيء للأنشطة التي ستسمح مداخيلها من استثماره وتطويره.

وتبقى المدينة العتيقة مركز استقطاب وإشعاع وذلك عبر تجهيزاتها الخاصة ونشاطها التجاري المتنوع ووظائفها المتعددة، إلا أنها تعيش وضع اكتظاظ سكاني وتفقير اجتماعي وتدهور للمباني على منوال ما تعرفه كثير من المدن العتيقة المغربية (بلفقيه وفضل الله، 1986). هذا الوضع المتردي يتوجب تدخلا جريئا من أجل تخفيف الكثافة في السكن ومن أجل إعادة التأهيل بالنسبة للمباني في إطار تصميم هندسي يحدد الموقع التي تحتله المسالك الرئيسية (مثل شارع السويقة . والقناصل وسيدي فاتح وبوقرون) كمواقع استقبال لوظائف خاصة تستدعي تجهيزات متكيفة. وتؤدي هذه المسالك إلى أبواب المدينة تعالج بشكل متميز مع تنظيم للمرور ولمواقف السيارات.

أما السكن غير المنتظم (مثال دور الصفيح والأحياء الهامشية) فهو يمثل أسبقية تتطلب معالجة سريعة من أجل حل هذه المعضلة الحضارية والاجتماعية. ذلك أن الوضع الرديء لهذا السكن الاقتصادي يلزم بالقيام بعمليات تهدف إلى التجديد العقاري والهندسي، وهي عمليات تتمثل في تحويل السكان وإعداد الأحياء والمباني الشيء، الذي يتطلب توفير قاعدة عقارية غير موجودة حاليا، كما يقتضي العمل على التخفيف من المضاربات العقارية ومنع احتجاز الأراضي وخلق الظروف لتسهيل عمليات التشييد السكني. وهذا يعني كذلك تجديدا في الأنماط الهندسية وتنويع أشكالها كما يتطلب العمل على تلافي الزيادة المفرطة في كثافة السكن وذلك بمنع الإضافات غير المبرمجة للطوابق الجديدة في المباني وتجنب التحول غير المخطط للمساكن الفردية "فيلات - أو دور أرضية" إلى مساكن جماعية من نوع العمارات.

وتتميز مدينة الرباط بنسبة نشاط مرتفعة بالرغم من أنها تشكو من نوع من التأخير في نمو وظيفتها الاقتصادية والسياحية. فإلى جانب هاتين الوظيفتين، تلعب الصناعة التقليدية والقطاع الإداري والسياسي والدبلوماسي الدور الأساسي الذي تنبني عليه قواعد النمو الاقتصادي المستمر.

أما تجهيزات المدينة من وسائل عصرية للنقل وتصريف صحي متكامل للسوائل والأزبال، ومن مساحات خضراء فهي تتطلب إعادة هيكلة شمولية للرفع بها إلى مستوى عاصمة للمملكة.

ومن بين الميادين التي يجب الاهتمام بها إحياء المقترحات الشجاعة التي هيأت تصميما مجددا لهيكلة المركز وذلك بتخفيف كثافة السير وخلق أزقة خاصة بالراجلين وإعادة تشكيل ملتقيات الطرق واستعمال أدوات جديدة مثل السكة الحديدية أو المترو مع إيجاد الحلول اللازمة لمواقف السيارات.

وتتطلب تنمية العاصمة تخطي الوضع الحالي والخصاص في ميدان جمع ومعالجة النفايات، والصرف الصحي، مما يترتب عنه تدهور مواقع متعددة على طول وادي بورقراق وعلى الخط الساحلي. هذا يقتضي إيجاد حلول هادفة تمر عبر تحقيق توصيات وبرامج المخطط المديري للتصريف ومعالجة المياه وذلك بإقامة محطة لتنقية السوائل في موقع بعيد نسبيا عن المباني رغم العوائق والصعوبات التي حالت حتى الآن دون ذلك.

كما يجب مراجعة الوضع الحالي الذي يتميز بالتجزيء المتنامي للمباني الإدارية والوحدات الجامعية، وجمع شمل هذه المؤسسات وتنظيمها ضمن أحياء مخصصة، منها الحي الإداري الموروث عن مرحلة التعمير الأوربي، وكذلك أحياء مجهزة بوسائل النقل مثل حي الرياض. أما تكاثر المصالح الإدارية في عمارات حي أكدال وسط بنايات مخصصة للسكن، فهو يطرح مشاكل كثيرة أمام النقل، بسبب ضيق الأزقة، وعدم إعداد مواقف كافية للسيارات. وتتطلب جامعة محمد الخامس، المجزأة حاليا إلى كليات مركزية ومرافق ملحقة بها بحي السويسي، إعادة التنظيم ضمن حرم جامعي موحد، وذلك على أساس استثمارات هامة ترفع الجامعة المغربية إلى مستوى عصري.

وتضم مدينة الرباط مشاهد ومواقع طبيعية من مستوى رفيع، من الواجب الحفاظ عليها واستثمارها. فعلى الساحل توجد الكثير من المواقع المتميزة بمناظرها الفريدة، والواجب، اعتمادا على دراسات دقيقة، العمل على استثمار البعض منها، وبالنسبة للبعض الآخر، الحفاظ عليها في شكلها كرواشم لأصلها الطبيعي. وبجوار المدينة توجد غابات هامة وممتدة، منها غابة تمارة، وغابة سيدي يحي زعير، وغابة سيدي بطاش، وغابة كريفلة، وهي تختص بالتنوع النباتي وتميز مشاهدها، وتصلح للاستجمام، وبعضها للقنص، وتمثل على كل حال متنفسا رائعا بالنسبة للمدينة. والتخطيط الحضري مطالب باعتبار هذه الثروة النباتية والحفاظ عليها.

وفي هضبة الرباط، وكذا على طول وادي بورقراق، تم حفر مقالع في مواقع طبيعية نادرة، الشيء الذي كان السبب في ضياع جودة تلك المواقع وترتبت عنه مظاهر تلوث عديدة. والجدير بالذكر أن بعض هذه المقالع لم يحصل على الترخيص اللازم، بعد القيام بالدراسات اللازمة لإثبات مدى الخسارات البيئية المترتبة عن الاستغلال.

ولهذا فإنه صار من اللازم تعميم هذه الدراسات القبلية، السابقة لأي فتح للمحاجر، وكذا تعميم مسطرة لإعادة تهيء المواقع وقت وبعد الانتهاء من استغلالها.

ويتقدم التمدين بخطى سريعة على طول الشريط الساحلي وتتسع معه الآثار السلبية الناجمة عن التلوث، من دون أن تنجع الاختيارات الأساسية لإعداد التراب من التخفيف من هذه السلبيات (بريان والعوينه، 1993).

أصلا يمكن القول بأن الوضع غير المضياف للساحل، الراجع إلى كثرة الأجراف الصخرية، وعنف الأمواج، كان السبب في عدم انفتاح المدينة عليه، ما عدا عند مصب بورقراق، لذا نجد المدينة العتيقة مفصولة عن البحر بمساحة من المقابر تكسو منحدرا يطل على المحيط. وجنوب غرب المدينة القديمة، تكونت أحياء سكنية متواضعة في حي المحيط وحي العكاري ويعقوب المنصور. كما اتسعت في نفس المجال الأراضي العسكرية. كل هذا يجعل من الصعب إعادة هيكلة المجال الساحلي من أجل إقامة أنشطة سياحية وترفيهية.

ذلك أن إمكانيات الاستثمار الساحلي في هذا المجال المكتظ تبقى محدودة، بسبب التوجهات غير الموفقة للأعداد في السابق، وتبقى الكثير من الأحياء تشكو من رداءة السكن بها وكثافته المفرطة، الشيء الذي ينتج عنه تشويه في المنظر، إضافة إلى تراكم غير منظم للأزبال المنزلية وكسارات البناء، تستدعي عمليات هادفة من أجل تهييئها.

وتعرف البيئة الساحلية العديد من مظاهر التدهور :

- الإلقاء المباشر لمجاري المياه المستعملة يساهم في تلويث الساحل القريب، بل كذلك سواحل جنوب العاصمة. وهكذا فإن مياه الساحل، من مصب بورقراق حتى الهرهورة، تشكو من تسممها وارتفاع نسبة تلوثها البيولوجي. وتمتد هذه الآثار حتما في الأوقات التي ينشط فيها التيار الساحلي، مما يهدد الشواطئ الآهلة صيفا، مثل شاطئ تمارة والرمال الذهبية، ونهب الذهب. إلا أن أخطر أوضاع التلوث تضمها الخلجان الصخرية الصغيرة لحي يعقوب المنصور، التي تمثل حقا خطرا صحيا فائقا، بسبب قربها من مخارج مجاري المياه، وبسبب الاستقرار النسبي للماء في حويضات صغيرة، يستعملها أطفال هذه الأحياء كمسابح طبيعية.

- يساهم السكن المكتظ وغير اللائق في تشويه مشهد عديد من المواقع الطبيعية الفريدة. وتعمل السلطات والمجالس الحضرية مجهودات عديدة لإصلاح هذا الوضع، وذلك بسن مخطط عمراني وتصاميم تهيئة من جهة، واقتراح برنامج للصرف الصحي وتطهير السوائل من جهة أخرى. ويستخلص بأن الساحل لم يمثل مركز اهتمام ولا عنصرا أساسيا في اختيارات التخطيط والبرمجة العمرانية للمدينة، وذلك منذ بداية التخطيط أي منذ التعمير الفرنسي. ولذا نجد المجال الساحلي النادر، يهدر من طرف السكن الفار، والبيئة الساحلية تتدهور نتيجة التلوث.

لذا فإن التهيئة العقلانية تقتضي حلولا سريعة ومدمجة، تقوم على أساس تحديد دقيق للمجال العمومي الذي تستحيل خوصصته، والنوافذ الطبيعية التي يجب الحفاظ عليها، وكذا على التدبير الجيد لشبكة التطهير السائل ومعالجة مياه المجاري قبل إلقائها في البحر. كما يتطلب ادماج العنصر الساحلي ضمن مشاريع العمران، بتلافي السكن الدائم في مواقع السياحة، والتشييد الثقيل والعشوائي في مجالات يجب أن تحافظ على طابعها كمواقع استجمام ورياضة لفائدة الجميع.

يمثل مصب بورقراق مجالا مشتركا بين الحاضرتين المتجاورتين، الرباط وسلا، وهو مجال متميز بغناه البيولوجي، وتنوع مظاهره الطبيعية وقاعدة يمكن أن

ينبني عليها التطور العمراني والبيئي، واستمراراً طبيعيا للمدينتين، تتمركز فيه بعض الأنشطة الخاصة.

إلا أنه حاليا مازال يشكو من الاختيارات السلبية التي نهجها المعمر، وذلك بالسماح بامتداد أحياء هامشية على سفوح الوادي في حي اليوسفية، بينما كان من الواجب الحفاظ عليها كمواقع محمية من البناء، لما تمثله من تراث تاريخي (موقع شالة الفينيقي) وبيئي. وحاليا، يستقبل الوادي العديد من أسباب التلوث، من مجاري المياه، وأزبال حضرية، وكسارات البناء ترمى تلقائيا من الأحياء المجاورة.

وقد ساهم تشييد سد سيدي محمد بن عبد الله على بعد 20 كلم من الساحل في تحول جذري للمصب، ذلك أنه، حتى ذلك التاريخ ظل المصب مجالا صحيا، تنقيه مياه النهر، وقت الفيض وكذا مياه البحر خلال أقصى مراحل المد. وظلت التركيبة الاحيائية متنوعة. إلا أن بناء السد وتنامي المدينة، غير من هذه المعطيات، وذلك على إثر توقف ذاك التجابه الطبيعي بين مياه النهر ومياه البحر. فصار المصب ذراعا بحريا فقط، لا يعرف أبدا الفيض النهري إلا في حالات خاصة جدا. وارتفعت الملوحة، وتناقصت حركة المياه. الشيء الذي نتج عنه تفقير احيائي عددا وتنوعا. وأصاب التلوث ما تبقى من الاحياء، خاصة بعد تشييد حي صناعي على الضفاف في اليوسفية.

وهكذا نجد المصب، الذي كان قاعدة لنمو الحاضرة، يصبح مجالا متخلى عنه، يتم الاحساس بأن أراضيه الرطبة مجال غير صالح يجب القضاء عليها، بتغطيتها بالتربة وكسارات البناء، من أجل استغلالها. وهكذا نجد ذاك المجال الفريد، يتراجع يوما بعد يوم، دون أن تبرز اختيارات واضحة فيما يخص التجهيز والاعداد، وذلك رغم أن هذا الوسط يمثل بالنسبة للمضاربين العقاريين والمقاولين، أرضا خصبة للربح والاستثمار.

ومشروع بورقراق، الذي تم الحديث عنه منذ الستينات، إلى الآن لم ير الوجود، ولذا صار من اللازم تصور مشروع مندمج يبرمج لما سينجز منه على المدى القصير لكن دون إغفال النظرة الشمولية للمشروع على المدى الطويل، مع مراعاة ضرورة اشراك الحاضرتين المتجاورتين في هذا التصور وباعتبار لزوم جعل هذا المحور قاعدة لاتحادهما وازدهارهما.

التنمية المتوازنة لمدينة الرباط، لا يمكن أن تكون هادفة إلا إذا راعت عدة اعتبارات متشابكة ومتداخلة، تخص منها :

- الانطلاق من منظور شامل يدمج داخله المظهر الحضري، الهندسي، البيئي، الاقتصادي، والاجتماعي.
- الأخذ بعين الاعتبار الجانب المجالي المحيط بالعاصمة وذلك بما فيه المدن والأرياف القريبة، والمتفاعلة معها.
- الاعتماد على العقلنة واستمرارية الموارد المالية، ضمن اقتراحات إعداد حضري من أجل حماية البيئة والحفاظ على التراث، وتكون في نفس الوقت اقتراحات طموحة ومجددة، لكن بإمكانيات معقولة.
- إشراك مختلف الفاعلين في المدينة، والتشاور معهم، والأخذ برأيهم، ويتلخص كل ذلك في مجموعة من العمليات التوافقية، ينخرط ويشارك ضمنها المجتمع بمنظور يهدف إلى إنجاح هذه العمليات واستمرارها.

م. بلفقيه وع. فضل الله، *آليات وأشكال التوسع الحضري، حالة الرباط - سلا*، مكتبة المعارف، الرباط، 1986 ؛ م. بريان وع. العوينة، *تهيئة الساحل وتطوره*، منشورات اللجنة الوطنية للجغرافيا، 1993، 120 ص.

عبد الله العوينة

* * أما تاريخ مدينة الرباط كمدينة عسكرية وحاضرة وعاصمة، فإن سر هذه الوظائف الثلاث يكمن في الأدوار الهامة والبارزة التي لعبتها هذه المدينة عبر المراحل التاريخية المختلفة، الممتدة من تأسيسها على مصب نهر أبي رقراق إلى اليوم. ويعزى هذا التعدد في الوظائف إلى عنصرين أساسيين : أولهما موقعها الإستراتيجي الهام، بحيث إنها تتوسط المغرب الأقصى على الطريق الساحلي. وعلى مصب نهر أبي رقراق عند المحيط الأطلسي. أما العنصر الثاني فهو توفر منطقة مصب نهر أبي رقراق على ثروات طبيعية غنية ومتنوعة (وفرة المياه، الغابات - الرعي - المجال الزراعي الخصب - الثروة السمكية - المعادن ...).

ورغم التاريخ العمراني الطويل والحافل الذي عرفته مدينة مصب نهر أبي رقراق قبل الفترة الموحدية والمتمثل في المدينة الرومانية سلا وشالة"Sala"، والرباط المرابطي - المعروف في المصادر برباط تاشفين أو رباط بني ترگة - فإن الحاضرة الموحدية رباط الفتح، لم تر النور إلا خلال النصف الثاني من القرن السادس (12 م). حيث إن هذه المدينة الموحدية احتضنت داخل أسوارها العظيمة المجالات الحضرية الإسلامية - التي سبقتها في المنطقة.

ويوحي اسم المدينة - رباط الفتح - بدورها العسكري المطبوع بالطابع الديني. فكلمة رباط تطلق على مكان التقاء، وتجمع المجاهدين المتوجهين إلى الأندلس، قصد إيقاف المد الإيبيري.

وعن دور الحاضرة كانت الغاية منه هي إثبات الذات، وإبراز العبقرية الهندسية في تأسيس الحواضر، والتخطيط على غرار الإرث الحضري والحضاري الذي ورثه الموحدون، سواء بالمغرب الأقصى كفاس الإدريسية ومراكش المرابطية، أو بالمدن الأموية كقرطبة وإشبيلية وطليطلة وسرقسطة بالأندلس.

وفيما يخص العاصمة فقد اتخذ الموحدون عاصمة المرابطين مراكش قاعدة لحكمهم، واتخذوا من إشبيليا عاصمة ثانية لامبراطوريتهم. ونظراً للتباعد الجغرافي

الكبير بين العاصمتين مراكش وإشبيلية من جهة، ووجودهما بالنطاق القاري من جهة ثانية أوجبت الضرورة اختيار عاصمة ثالثة للربط بينهما. فوقع الاختيار على مصب نهر أبي رقراق لموقعه الاستراتيجي البالغ الأهمية، ولوقوعه على الساحل الأطلسي. فقرر الخلفاء الموحدون الثلاثة الأوائل، وأولهم عبد المؤمن تأسيس عاصمتهم الثالثة رباط الفتح على مصب نهر أبي رقراق.

وقد زودتنا المصادر الموحدية - التي عاصرت تأسيس مدينة رباط الفتح - بأدق المعلومات حول المدة التي استغرقها بناء مقوماتها الحضرية الرئيسية، وعن مراحل التأسيس المتتالية التي استمرت زهاء نصف قرن (545 - 593 / 1150 - 1196).

مواكبة لفترة حكم الخلفاء الثلاثة الموحدين الأوائل (عبد المؤمن ويوسف ويعقوب المنصور). كما ذكرت المصادر أيضاً أوصافا دقيقة لأنواع البنايات الموحدية، ومواد بنائها من أسوار وأبواب وقناطر وسقايات وحمامات وصهاريج وقناة مائية ومساجد وقيساريات ومدارس وقصور ودور السكن...

أخبرنا ابن صاحب الصلاة أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن لما وصل إلى سلا عام (545 / 1150)، أمر ببناء قصبة المهدية وزودها بقناة مائية "عين غبولة" (*المن بالإمامة*، ص. 446 - 447)، بعد أن هدم أسوار رباط تاشفين المرابطي، وأقام قصبته المذكورة على أنقاضه. كما ذهب ابن خلدون إلى أن الخليفة عبد المؤمن قام بهدم أسوار مدينة سلا الزناتية، التي كانت تقع على الضفة الشمالية لمصب نهر أبي رقراق، ثم أعاد بناءها من جديد باستثناء الواجهة النهرية. (*العبر*، ج. 2، ص. 180).

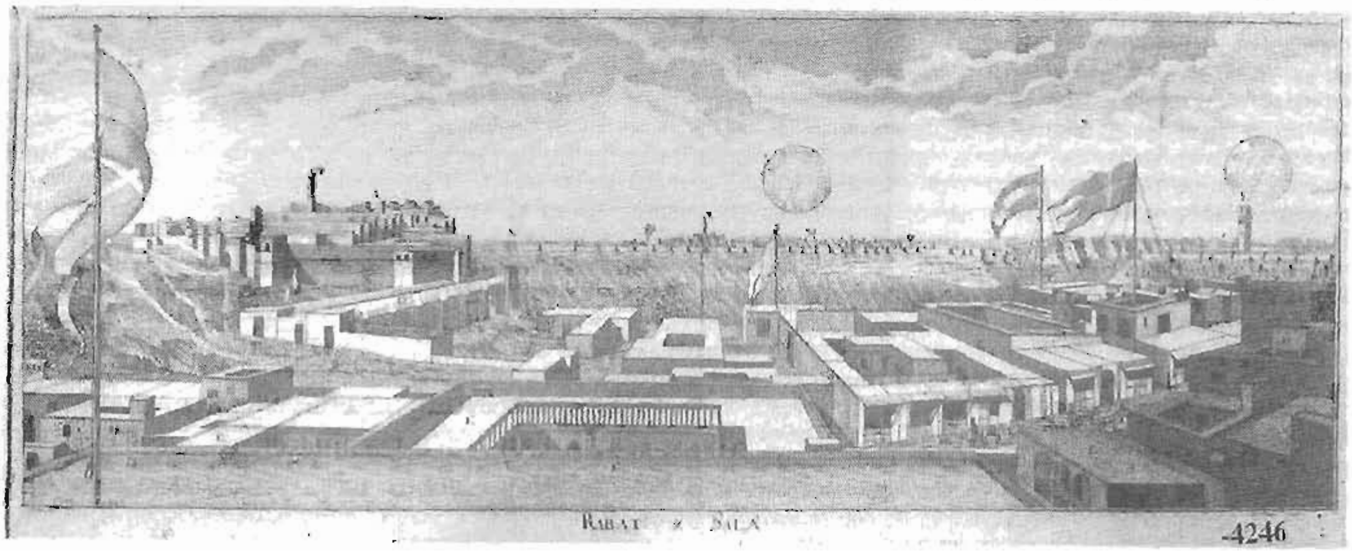
وجاء بعده الخليفة الموحدي الثاني يوسف فشرع في بناء أسوار المجال الحضري الجديد بالضفة الجنوبية من جهة الجنوب والغرب. كما قام بإصلاح قناة عين غبولة التي بناها أبوه، وبنى بداخل قصبة المهدية صهريجا لجمع الماء وتوزيعه على السقايات وباقي المرافق العمومية. وبنى جسراً للرباط بين ضفتي المدينة إلى جانب الجسر الأول - الذي تعرض للهدم - والذي بناه والده (*المن بالإمامة*، ص. 449).

وعن نفس منجزات الخليفة يوسف يتحدث صاحب كتاب *الاستبصار* في إشارة مقتضبة قائلاً : "وأمر الخليفة أبو يعقوب ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي أحدثها الإمام أمير المؤمنين..." (*الاستبصار*، ص. 127). وأكد المراكشي في كتابه *المعجب* ما جاء عند ابن صاحب الصلاة وما ورد في كتاب *الاستبصار*، وذلك بخصوص مراحل تأسيس مدينة رباط الفتح الموحدية قائلاً : "ثم شرع في بنيان المدينة العظمى وكان أبو يعقوب هو الذي اختطها ورسم حدودها وابتدأ بنيانها" (*المعجب*، ص. 384).

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة والأخيرة لتأسيس مدينة رباط الفتح التي تواكب عهد خلافة يعقوب المنصور الموحدي، ثالث الخلفاء الموحدين. وعن منجزات هذا الأخير يقول المراكشي : "فشرع أبو يوسف كما ذكرنا في بنيانها إلى أن أتم سورها وبنى فيها مسجداً كبير المساحة..."

لكن بعد وفاة يعقوب المنصور، عرفت مدينة رباط الفتح تراجعا حضريا ملموسا، وتوقفت أهم أوراشها العمرانية. وخاصة بعد سنة 8 - 609 / 1212، إثر انهزام الموحدين في معركة العقاب بالأندلس. وبما أن بناء مدينة رباط الفتح، كما ذكرنا سابقا، مرتبط بحركة الجهاد في الأندلس، فإن انتهاء هذه الحركة جعلها تفقد أهميتها الاستراتيجية بالنسبة للدولة الموحدية. فانعكس ذلك سلبا على المجالات العمرانية والاقتصادية والاجتماعية بالمدينة.

وعلى الرغم من المحاولات التي بذلها بعض الخلفاء الموحدين الرامية إلى إنقاذ رباط الفتح من هذه الانتكاسة، فإنها باءت بالفشل جميعها. ونذكر من أهم هذه المحاولات إصدار الخليفة الرشيد للظهير المؤرخ في 21 شعبان 637 / 17 مارس 1240، القاضي بإنزال الجاليات الأندلسية المهاجرة قصد الاستقرار برباط الفتح وتعميرها. (م. *الإسكريال*، 520 ورقة 116).



وإبان العصر المريني عرفت مدينة رباط الفتح الموحدية خللاً كبيراً في تصميمها العام، بسبب محاولات السلاطين المرينيين الهادفة إلى طمس معالمها، وخاصة الموجود منها بقصبة المهدية، وبالمجال الحضري الموحدي الجديد الواقع بالضفة الجنوبية. حيث تم التركيز على الضفة الشمالية، فأحاطها السلطان يعقوب بن عبد الحق بسور على الواجهة النهرية سنة 1260، إثر هجوم القشتاليين على مدينة سلا. وقام كل من أبي الحسن وأبي عنان ببناء عدة منشآت في هذه المدينة أهمها : المدرسة المرينية المحادية للمسجد الجامع، وقناة عين بركة، والمدرسة البوعنانية التي تعرف اليوم بفندق أسكور. ودار الصناعة ببابها الشهير (باب المريسة)، وزاوية النساك ...

وخلافا للعناية المتميزة التي حظيت بها الضفة الشمالية، فإن المآثر المرينية بمدينة رباط الفتح الموحدية بالضفة الجنوبية، تعد على رؤوس الأصابع ؛ كالحمام الجديد أو حمام لعلو، وهو من مخلفات أبي عنان، والمارستان العزيزي، للسلطان عبد العزيز المريني، وسقايته المشهورة باسمه أيضا والمجاورة له.

ومما زاد في حدة عدم التوازن الحاصل بشكل ملحوظ بين الضفتين بسبب الاهتمام المريني بالضفة الشمالية دون الجنوبية - قيام السلطان أبي الحسن ببناء رباط جديد بمحاداة الأسوار الموحدية المحيطة بالمجال الحضري الجديد، وسماه الرباط المبارك المعروف اليوم "بشالة". وقد ضم هذا الأخير القصر السلطاني وحماماً وفندقاً ومدرسة ومسجداً ومرافق أخرى دينية ومدنية. وتميز هذا الرباط كذلك باحتضانه للمقبرة الملكية المرينية، التي تم فيها دفن السلطان أبي الحسن، وبعض السلاطين والأمراء المرينيين، وشهداء الجهاد بالأندس وبعض الأولياء الصالحين.

أما في العصر السعدي فقد عرفت مدينة الرباط استقرار ساكنة جديدة بها، وأقصد هنا وفود الجاليات المورسكية عليها. وذلك مع بداية القرن الحادي عشر (17 م). وقد كان لهذا الحدث التاريخي وقع كبير على التاريخ العام للمدينة، وعلى تاريخها العمراني بوجه خاص ؛ إذ قام المورسكيون ببناء أسوار جديدة لتحصين مدينتهم "سلا الجديدة وقصبتها". كما شيدوا المساجد، وأحياء جديدة سكنية وحرفية وتجارية. وحولوا الميناء إلى الضفة الجنوبية.

وتعد المرحلة المورسكية بمثابة عصر النهضة العمرانية والحضارية بالنسبة لرباط الفتح عامة. وبذلك استطاع المورسكيون إنقاذ هذه المدينة الموحدية من الخراب التام، وإخراجها من أزمتها التي دامت زهاء أربعة قرون، وإن كان هذا الإنقاذ لم يشمل سوى جزء من المجال الحضري الموحدي الجديد.

وبعد نشوء الدولة العلوية الشريفة، ووصول السلطان المولى الرشيد إلى منطقة مصب نهر أبي رقراق، قام هذا الأخير بتشييد قلعة عسكرية بالقرب من قصبة المهدية، تعرف بحصن المولى الرشيد (سجن لعلو سابقا).

ثم شرع في بناء أسوار جديدة متصلة بالزاوية الجنوبية الغربية للقصبة الموحدية (المهدية). وكانت الغاية من هذه الأسوار هو حماية مجال حضري جديد، محاد للقصبة الذي سيستغله فيما بعد أخوه السلطان المولى إسماعيل، فبنى به داراً لسكنى ابنه محمد الذي كان يشغل منصب نائب السلطان على المدينة.

وفي عهد سيدي محمد بن عبد الله حظيت مدينة رباط الفتح بعناية خاصة، حيث اتخذها عاصمة ثالثة بعد مدينتي فاس ومراكش. وبنى بها قصراً لإقامته بالموقع الذي يوجد فيه القصر الملكي العامر حاليا داخل المشور السعيد بتواركة.

وأضاف سيدي محمد بن عبد الله مجالا حضريا جديداً شاسعا بالجهة الغربية للضفة الجنوبية، وأحاطه بسور له أربعة أبواب تاريخية وهي : باب القبيبات، وباب تامسنة أو باب تمارة، وباب مراكش وباب المصلّى. وقد تم تقسيم هذا المجال الحضري العلوي الجديد إلى قسمين رئيسيين : القسم الأول الواقع على الواجهة الجنوبية الشرقية، بمحاذاة المشور السعيد. وقد تم توظيفه كحدائق وسواني خاصة بالقصر الملكي (أكدال). أما القسم الثاني الجنوبي الغربي، فقد خصص لإقامة أحياء سكنية جديدة مثل (ديور الجامع، والسانية الغربية والعكاري، والقبيبات...).

ومن المنجزات الأخرى لسيدي محمد بن عبد الله بناؤه لمساجد مدينة رباط الفتح، داخل المجال الحضري الموحدي، وتحديداً خارج السور الأندلسي. وهذه المساجد هي : مسجد السنة ومسجد أهل فاس ومسجد مولينة.

واهتم سيدي محمد بن عبد الله بالواجهة البحرية لمدينة رباط الفتح. فعمل على تحصينها ببناء سور على امتداد الواجهة البحرية للمجال الحضري الموحدي ؛ وشيد أبراجاً وسقالات بأهم زواياه لتقوية فعاليته الدفاعية، لمواجهة الأخطار المحتملة الآتية عبر المحيط الأطلسي، المتمثلة في هجومات الأساطيل الأوربية. ومن منجزاته أيضا، بناؤه لقناة مائية جديدة لتزويد الضفة الجنوبية بالماء. تم جلب مياهها من عين عتيق بمنطقة تمارة.

وفي عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن تم بناء سور القصبة المخزنية الجديدة (تواركة) التي تحتضن المشور السعيد، ومسجد أهل فاس، وباقي المرافق التابعة للقصر الملكي حاليا - كما شيد هذا السلطان قصراً جديداً بمحاذاة قصر سيدي محمد بن عبد الله داخل نفس المجال. وفتح بالسور الجديد ثلاثة أبواب وهي : (الباب التحتية، والباب الفوقية، وباب جامع السنة).

وعرفت المدينة في عهد المولى سليمان بناء عدة منشآت من أهمها : الحيان اليهديان (الملاحان)، ومسجد المولى سليمان الواقع عند ملتقى شارع السويقة وشارع سيدي

فاتح بالضفة الجنوبية، ومسجد القبة بزنقة حمام لعلو، وقصر القبيبات وبعض السقايات العمومية مثل سقاية "سوق لغزل". وسقاية "سيدي فاتح" وسقاية "بوقرون".

ولما جاء بعده المولى الحسن الأول قام بتجديد بنايه القصر الملكي بتواركة. كما أمر بترميم القناة المائية عين غبولة الموحدية التى كانت تزود القصر الملكي بالماء.

وبعد دخول الحماية الفرنسية سنة 1912، قررت سلطات هذه الأخيرة . وعلى رأسها المقيم العام" المارشال ليوطي . نقل العاصمة من فاس إلى "الرباط". وقد اتخذ هذا القرار بناء على عدة اعتبارات نذكر منها :

الابتعاد عن مدينة فاس لما تشكله من مخاطر على أمن سلطات الاحتلال الفرنسي من جهة، ولتفادي عدم تحمل الأوربيين (المعمرين) لصعوبة مناخها الحار، وخاصة في فصل الصيف من جهة أخرى.

أهمية الموقع الاستراتيجي لمدينة "الرباط" لوقوعها على الساحل الأطلسي، وتوفرها على ميناء نهري ؛ وتوسطها للمجال الحيوي الذي أطلق عليه "ليوطي" اسم المغرب النافع.

الأهمية التاريخية الكبيرة لمدينة رباط الفتح والمتميزة بالمعالم العمرانية الموحدية، وتتميز كمدينة ساحلية بمناخ معتدل يناسب ساكنتها الأوربية الجديدة

وأخيراً تتوفر مدينة "الرباط" على مجالات حضرية فارغة محمية بأسوار موحدية وعلوية. وقد استغلت سلطات الحماية هذه المجالات لبناء أحيائها العصرية، والمرافق العموميه (بنك المغرب، الخزينة العامة، البريد، قصر العدالة، محطة القطار، مقر الإقامة العامة، مقر الوزارات، الخ...).

وبعد أن تم تعمير المجالات الواقعة داخل الأسوار التاريخية انكبت سلطات الحماية على توسيع المجال الحضري لمدينة "الرباط". وذلك بإقامة أحياء سكنية جديدة خارج الأسوار (كحي السويسي، وحي الطيارات، وأكدال العالي، الخ...).

وفي عهد الاستقلال عرفت مدينة رباط الفتح توسعا حضريا كبيراً على حساب مدارها الحيوي الطبيعي (أراضي زراعية خصبة، مجالات خضراء...) فنتج عن ذلك ظهور أحياء سكنية عديدة منها ما هو منظم ومنها ما هو عشوائي.

أما من حيث التنظيم الإداري فقد عرفت مدينة رباط الفتح تدرجا في الوظائف منذ فجر الاستقلال إلى اليوم. ففي بداية الاستقلال كانت على رأس الضفة الجنوبية عمالة تسهر على تسيير شؤون المدينة، أما مدينة سلا فكانت على رأسها باشوية. ثم انضما من حيث التسيير الإداري في إطار ولاية الرباط وسلا منذ سنة 1983، مع تحول سلا إلى عمالة.

وأخيراً وفي إطار التنظيم الجهوي الجديد أصبحت "الرباط" مقراً لرئاسة جهة الرباط سلا زمور زعير

يتضح من خلال هذه الخلاصة التاريخية والأثرية لمدينة رباط الفتح، مدى أهمية الأدوار التي لعبتها هذه الحاضرة المغربية المتجذرة في التاريخ، والتى برزت بوضوح في مختلف المجالات العمرانية، والعسكرية، والسياسية، والدينية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية. ومازالت هذه المدينة العاصمة رباط الفتح تتبوأ مكانة مرموقة في مختلف هذه المجالات حاليا، ونأمل أن يتحقق ضم شطري هذه المدينة الشمالي والجنوبي . العدوتين . في إطار مجال حضري واحد وموحد، متناسق ومتوازن على صعيد مختلف المجالات العمرانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... وأن تكتمل صورة العاصمة التاريخية والعريقة للمملكة المغربية وقد اندمجت ضفتها الشمالية بالجنوبية، في تكامل وتناغم وتطلع إلى مستقبل مشرق أكثر نمواً وازدهاراً.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* : المراكشي، *المعجب* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ ابن المرابط، *زواهر الفكر*. مخطوط الاسكوريال ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ *مقدمة الفتح* ؛ م. بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*.

G. Mouette, *Histoire des conquêtes* ; P. Dan, *Histoire de la Barbarie* ; O. Dapper, *Description de l'Afrique* ; J. Caillé, *La ville de Rabat* ; H. De Castries, *S.I.H.M.* ; H. Basset, E. Levi-Provençal, *Chella* ; J. Boube, *Sala*.

محمد السمار

الرباط - سلا - زعير - زمور، جهة تغطي الجزء الأطلنتي من الهضبة الوسطى وموقعها جنوب سهل الغرب، وشمال أقاليم خريبكة وخنيفرة والشاوية. مساحتها 9.580 كم^2 (1.3٪ من مساحة المغرب). وتنقسم إلى ثلاث وحدات جغرافية، حاضرة الرباط . سلا . تمارة، على الشريط الساحلي، هضبة زمور شرقا وهضبة زعير جنوبا، وهاتان الوحدتان تترافقان تقريبا مع إقليم الخميسات (8 305 كم^2).

يتميز هذا المجال الأطلنتي بتأثير واضح للمحيط، مع تغايرات حرارية جد محدودة، ترتفع كلما توغلنا داخل الجهة. والحرارات الدنيا تدور معدلاتها حول 10° بينما القصوى متوسطها 26°. كما ترتفع التساقطات في المجالات العليا التي تتخذ صبغة جبال وسطى شبه رطبة (655 مم في والماس).

والمياه الباطنية حاضرة فقط في الشريط الساحلي لهضبتي معمورة وتمارة، بينما المياه السطحية مهمة، تشكل الحوض النهري لبورقراق. وقد شيد سد سيدي محمد

ابن عبد الله في سافلة هذا الحوض، الشيء الذي يسمح بتنظيم 245 مليون متر مكعب، منها ثمانون موجهة لحاجيات الحاضرة. كما شيدت سدود أصغر لضمان ماء الشرب بالنسبة للرماني والخميسات.

تقدر ساكنة الجهة بحوالي 2 مليون نسمة، 75٪ منهم حضر وبذلك تكون الجهة كثيفة السكن، بفضل الحاضرة التي تضم ثلثي السكان فوق 6٪ من مساحة الجهة بينما كثافة إقليم الخميسات تبقى متوسطة (60 ن كم^2). والتزايد السكاني مهم بالجهة (2.8٪ سنويا بين 1982 و94)، الشيء الذي يدل على استقبال وافدين على الجهة من خارجها. إلا أن مدينتي سلا وتمارة (4.4٪ سنويا) هما اللتان تسجلان أعلى نسبة نمو، بينما تزايد السكان في الخميسات مساو للمعدل الوطني.

مقدار نشاط السكان في الجهة مرتفع، رغم التأخر في النمو الصناعي والسياحي. ويبقى هذان النشاطان، إضافة إلى الحرف التقليدية والوظيفة السياسية والإدارية، الركائز التي يعتمد عليها تطور الجهة.

فالقطاع الثالث مهيمن بوضوح على النشاط الاقتصادي (56٪ من الساكنة النشيطة). بينما الفلاحة لا تشغل سوى 17٪ من السكان، رغم أن زراعة المنطقة غنية ومتنوعة. كما أن الغابة تلعب دورا هاما بفضل امتدادها على 36٪ من المساحة (جنوب المعمورة، غابات زعير على شراط وكريفلة، وغابات زمور جنوب المعازير). والمساحة الزراعية (50٪ من الأراضي) مكونة أساسا من أراضي بور، بينما السقي محدود في الشريط الساحلي، على شكل حدائق لإنتاج الخضروات. والتدجين الكثيف مهم جدا، حيث تنتج الجهة 35٪ من الدجاج الصناعي الوطني. أما الصيد البحري فهو هزيل جدا.

تلعب الصناعة دورا هاما (8٪ من المصانع الوطنية و9٪ من العاملين في الصناعة). كما أن قيمة الصناعة الجهوية مرتفعة المردود. وجل هذه المصانع في عمالة الرباط (48٪ منها) وتعرف تطويرا هاما من حيث النشاط والتحول التكنولوجي والتشغيل. كما أن الجهة ذات جاذبية عالية بالنسبة للسياحة، لما تحتويه من آثار، وبسبب دور الرباط كعاصمة للإدارة والمصالح.

ترتكز التجارة أساسا في الرباط وسلا (4 / 3 المجموع الإجمالي) وتغلب تجارة التوزيع (قطاعات اللباس والتغذية والتجهيز المنزلي). ويشغل هذا القطاع يدا عاملة هامة. وينضاف إلى هذا القطاع قطاع الأموال والخدمات الذي يتميز بكثرة مصالحه ومؤسساته.

إلا أن أهم ما يميز الجهة، الوظيفة الإدارية والتسييرية لكثير من قطاعات النماء الوطني. وتتركز هذه الوظائف أساسا في مدينة الرباط.

تستجيب الجهة عموما لحاجيات السكان من حيث التجهيزات الأساسية : أكثر من 80٪ منهم يتوفرون على الماء الشروب، و78٪ منهم على الكهرباء في الوسط الحضري، وجمع الأزبال المنزلية، منظم عامة إضافة إلى توفر كثير من المجالات على أجهزة للصرف الصحي، رغم تفاوت هام، تشكو منه خاصة المدن الصغرى بإقليم الخميسات. أما الشبكة الطرقية فهي كثيفة، والنقل يتميز بجودة متوسطة، رغم مشاكل اكتظاظ تهم خاصة مدينة الرباط (15٪ من مجموع سيارات البلد). والتجهيز الصحي متقدم مقارنة مع جهات أخرى من المغرب، رغم أن جل الوحدات مركزة في العاصمة.

تبرز المشاكل عند فحص توجهات النمو الحضري. أولها التركز المفرط على الساحل، ثم تنامي الأحياء الهامشية، وتدهور السكن والمآثر بالمدن العتيقة، كما أن الحاضرة تتلوث بيئتها بسبب ارتفاع مقادير ما تنتجه يوميا من مياه الصرف الصحي والنفايات. فالفرشة الباطنية لمعمورة وتمارة مرتفعة التلوث. وكذا مياه المصب ومياه الساحل. وتساهم المدن الصغيرة مثل الخميسات والرماني في تلويث محيطها هي كذلك.

يعرف ساحل الجهة مجموعة من مظاهر التدهور. أولها المياه المقذوفة من الأحياء التي تشرف على المصب (اليوسفية بالرباط وحي القرية بسلا)، وثانيها مياه القنوات الكبرى للرباط وحي الرياض ويعقوب المنصور وسلا. وهذا ما جعل شواطئ المصب، وكذا الشواطئ الجنوبية في وضع صحي يزيد تأزما أوقات تحرك المياه جنوبا بفعل التيار الساحلي. وهو ما يجعل الصيد خطيرا على الصحة في المياه المجاورة للمصب وفي السواحل القريبة من الحاضرة. من مظاهر التدهور كذلك، التشوه الذي يصيب المواقع الطبيعية الساحلية ومواقع المصب، والتي تتميز أصلا بجماليتها الخاصة المرتفعة. والمسؤول عن هذا التشويه، التعمير العشوائي، وكذا التلوث الناتج عن تراكم النفايات وأزبال البناء. وينتج هذا عن كون الساحل لم يمثل قط اختيارا أساسيا لسياسة التمدين والتعمير بالمنطقة، بل اعتبر غير مؤهل وبذا تم التخلي عن أي توجه من أجل اعداده.

ويمثل مصب بورقراق وسطا خاصا، بيئته ممتازة، إلا أنها تحولت كليا منذ تشيدد سد سيدي محمد بن عبد الله. فالتجابه الطبيعي بين مياه البحر والنهر، لم يعد متاحا، فتحول المصب إلى ذراع بحري لا تسقيه إلا مياه التراقص أوقات المد (دخول مياه البحر إلى عمق بضع كلمترات). ولا يتم تحرير المياه العذبة من بحيرة السد، إلا في بعض السنوات القليلة عندما يرتفع مستوى هذه الأخيرة إلى ما فوق المتوسط. ومنذ توقف الصبيب العادي للنهر، ارتفعت الملوحة وتضاءلت الحركية المسؤولة عن النشاط الحيوي، مما تسبب في تناقص التنوع الاحيائي. هذا المجال، صعب الاستعمال أخيرا بسبب تلوثه المتقدم، وبسبب انتشار منشآت وأحياء سكنية عشوائية على جانبيه. وهو مازال

تتطر الأنشطة والمشاريع التي من المزمع إقامتها من أجل تحويل هذا المجال إلى منطقة استجمام عمومية، تنبني على فكرة جودة المحيط البيئي وتنوع المشاهد والأنشطة الثقافية والترفيهية.

إلا أن المساحات القابلة لاستقبال المشاريع في مجال الحاضرة صارت محدودة بفعل الخصاص العقاري الذي تشكو منه المجموعة الحضرية. وقد كان هذا أساسا في تحويل أحياء سكنية للفلات، مثل أكدال، وحي المحيط وحسان، إلى أحياء من العمارت، الشيء الذي أضرب ببيئة هذه الأحياء ضيقة الأزقة، وخلق مظاهر اكتظاظ هامة. كما أن هذا كان سببا في هجرة العديد من العائلات إلى سلا أو تمارة. وتسبب أخيرا في تقدم أحياء الفيلات في اتجاه عين العودة والصخيرات، على حساب الأراضي الزراعية.

أما على الساحل، فإن انتشار الأحياء السكنية الفقيرة، يمنع من تصور إعداد متوازن لهذا الشريط، يراعي التكامل بين بيئة متنوعة، وأنشطة اقتصادية وخدمات، يكون لها النفع الاقتصادي المطلوب. فمن الصعب تحويل هذا الشريط إلى مجال للاستجمام والترفيه، في ظل الكثافة السكانية الحالية، والتلوث المرتفع. ولا ينطلق المجال السياحي إلا ما وراء هرهورة، حيث تنتشر العديد من المساكن الرفيعة، بعضها مساكن أساسية وأخرى ثانوية (صيفية). ويمتد هذا الشريط السياحي بموازاة مع تقدم العمران في تمارة - الصخيرات الداخلية، وبينها أراضي فلاحية هي في طور الانقراض.

أما المدينة العتيقة فهي في مواجهة أزمة الحرف التقليدية والكثافة المفرطة للسكن، الذي يؤدي إلى تدهور المباني، والمآثر التاريخية. فالكثافة تصل فيها إلى ما بين 650 و700 ن في الهكتار. والكثير من المباني تتطلب التدعيم أو التجديد. إلا أن المدينة ظلت رغم ذلك موقع اجتذاب، بسبب نشاطها التجاري المتطور.

وينتشر السكن غير اللائق على مساحات هامة داخل الحاضرة. فقد تم إحصاء ما مقداره 36.000 أسرة تعيش في مدن القصدير، و87.000 عائلة تسكن في سكن غير قانوني. وعمالة تمارة تضم أعلى نسبة لهذا السكن غير اللائق الذي يتطلب تدخلا عاجلا من أجل إصلاح أوضاعه.

عبد الله العرينة

جهة الرباط . سلا . زمور . زعير



رباط أݣوز، وردت الإشارة إليه بنعوت مختلفة ورسم متباين كما يلي :

النعت	الرسم	المصدر
رباط	قوز	*المغرب*...، 153، 154
مرسى	جوز هرتنانة	*الاستبصار*، 207
قرية	اوجوز	*التشوف*، 355
	اوجوز = أݣوز	*التشوف*، هامش 101

هو واحد من حلقات سلسلة رباطات رݣراݣة المحاذية لمجال بورغواطة، كرباط شاكر ورباط عقبة (*التشوف*، 51 ـ 126 . 218 . 262 . 316 . 354 . 365 . 374 . 385 . 394 . 402 . 425 . 401). كان يقع عند مصب وادي تانسيفت (*كتاب الجغرافيا*، 25) اختفى ولم تبق له آثار. ويستفاد من التشوف أن قاعدة رݣراݣة في عهد التادلي كانت هي أݣوز وكانت مرسى على البحر وقد نعتها المؤلف بقرية أݣوز ولكنه أشار إلى أنها كانت مقر العامل وبها يجبى الخراج وكان بها سجن ومسجد جامع... (*التشوف*، 24).

لا نعرف شيئاً عن طبيعة حركة التصوف التي كانت قائمة به، وابن الزيات هو الوحيد الذي قدم إشارتين في الموضوع عبارة عن كرامتين للصوفي أبي إبراهيم إسماعيل بن وجماتي الرݣراݣي وقعتا في أݣوز (*التشوف*، 355 ـ 356). وعلى الرغم من عدم إشارة جورج مارسي لأية وظيفة جهادية لهذا الرباط ضد بورغواطة (*Note sur les ribats*, 30). فقد استبعد روزنبزجي اعتبار ذلك نفيا لها لسببين مترابطين أولهما : تزامن نشاط الرباط مع وجود بورغواطة، ثانيهما كون وظيفة الجهاد ضد هذه الإمارة كانت من بين المشاغل المميزة للرباطات المجاورة لها من الجنوب والشمال (*Note sur Kouz*, 43 - 46) وهو اجتهاد تعززه الإشارات التي احتفظ بها ابن عبد الحليم في رسالته على الأقل بالنسبة لرباطات رݣراݣة (*رسالة في اتجاه القبلة*، 15 ـ 16) والدلالة المحلية لاسم أݣوز بالذات التي تفيد الرباط كمكان للمواجهة العسكرية الدفاعية بالخصوص (أ. التوفيق، من *رباط شاكر*، 48).

البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، القاهرة، د. ت. ؛ مجهول، كتاب *الاستبصار*، تح. سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ ابن سعيد المغربي، *كتاب الجغرافيا*، تح. إسماعيل العربي، بيروت، 1970 ؛ ابن عبد الحليم. *رسالة في اتجاه القبلة*، مخطوط ؛ أ. التوفيق، من *رباط شاكر إلى رباط أسفي*، ضمن أعمال : *أبو محمد صالح، المناقب والتاريخ*، الرباط، 1990.

G. Marçais, *Notes sur les ribats en Berbérie, mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman*, Tome I, Alger, 1957 ; B. Rosemberger, *Note sur Kouz*, H.T. 1967.

محمد رابطة الدين

رباط الجويمع، أحد الربط الجهادية الحديثة المقامة للحراسة المغربية بميدان سبتة المحتلة، ظهر هذا الرباط أول مرة نتيجة التغيير الطارئ على موقع الحراسة المغربية، بإبعادها من موضعها القديم بقصر أفراك الذي حلت به حامية سبتة نحو الغرب في اتجاه جبل بنيونش، وذلك بناء على قرار تعيين الحدود المعبر عنه في اتفاق 1260 / 1844.

وقع اختيار الجانب المغربي المرة الأولى على نقطة واقعة في الضفة اليسرى من مجرى واد فاس بجوار قالة الرمل المعروفة لدى الإسبان بقالة بينيتيس. غير أن أهل أنجرة القائمين بالحراسة أشاروا بعدم صلاحية المكان المختار، نظرا لانخفاض سطحه وعدم وضو ح الرؤية في اتجاه محطة الحراسة الاسبانية، لهذا السبب تقدموا بطلب تغيير الموقع ونقله إلى المكان المعروف لديهم بالجويمع، باعتباره أكثر ارتفاعا، يسمح بامتداد البصر إلى كل من أفراك القصر المريني، موقع الحراسة الإسبانية وإلى مباني وأسوار سبتة.

وبالاستفادة من البيانات المقدمة من طرف الوثائق الإسبانية عن موقع الرباط الجديد، يتبين أنه واقع بجوار شاطئ بحر الرمل، مما يقابل قصر أفراك المريني، حيث سبق وجود مسجد صغير تم بناؤه على ما يبدو خلال فترة الحصار الإسماعيلي للمدينة المحتلة على يد الباشا علي بن عبد الله الحمامي. وباعتبار المعلومات المتوفرة عن الموقع نجد أنه موافق لما سبق للإسبان أن أشاروا إليه في خريطة سنة 1767 بحرف L. المخصص لمرابطة فرقة عبيد البخاري خلال الحصار المذكور.

ظهرت الحراسة بإزاء الجويمع في موقعين اثنين، الأول منهما خصص لمرابطة المشاة، يبعد عن خط الحدود بمسافة أربعة وثلاثين مترا، وبالتالي فهو بمحاذاة الجويمع مما يلي الشرق. وخصص الموضع الثاني لمرابطة الفرسان يوجد مكانه متأخراً عن المشاة وعلى بعد أربعين مترا من خط الحدود.

كان رباط الجويمع النقطة المتقدمة للقيادة العليا المرابطة بقلعة الدار البيضاء سابقة الترجمة. وإلى هذا الرباط كانت تأتي مساهمة قبيلة أنجرة لحراسة الحدود الجديدة ومنع الإسبان تجاوزها بقطعان الأغنام، وكانت الحراسة التي جرت العادة باستبدالها كل خمسة عشر يوما بما يساوي عشرين نفرا هي مقررة ما يجري من أحداث الميدان، وموضع الاستشارة من طرف رئيس الحراسة، قائد الدار البيضاء. وسيبقى الرباط قائما إلى أن يحتله الإسبان سنة احتلال تطوان في 1860.

وثائق خ. ع ومديرية الوثائق الملكية - ح. الفكيكي. مشروع كتاب تفورنا المحتلة. حوله عبر المراحل التاريخية.

حسن الفكيكي

رباط الخير، اسم ظهر في أوائل السبعينيات من القرن العشرين، وحلّ محل اسم أهرمومو. ويطلق على تجمع سكني ظل كمركز صغير إلى 1992 حيث أصبح بلدية.

يقع رباط الخير بدائرة المنزل، إقليم صفرو، جهة فاس - بولمان بعدما ظل طيلة فترة الاستعمار وبعد الاستقلال تابعا لدائرة تاهلة بإقليم تازة.

يستقرّ بأقصى جنوب شرق هضبة رباط الخير المنزل (كوس Causse) على ارتفاع 1100 م. وهو بموضعه هذا يشرف على وادي زلول حيث تبقى الارتفاعات في حدود 800 - 900 م والذي يشكل مجال فصل بين جزمي الأطلس المتوسط الشمالي - المنضدي شمالا والملتوي جنوباً وشرقاً الذي تصل به الارتفاعات إلى 3190 بجبل بويبلان و3326 م بجبل بوناصر وتتفسر به الطبيعة تضاريسا ومناخاً.

يشكل رباط الخير بفضل موقعه هذا نقطة وصل واتصال بين الجبل من جهة والهضبة والسهل من جهة أخرى، شأنه شأن مراكز أخرى مثل المنزل وصفرو والحاجب. ونظرا تلتقي به مجموعات بشرية متعددة تقطن المنطقة مثل بني علاهم وبني وراين العربيين وبني يازغة وآيت سغروشن جعلت بالإضافة إلى إعرران للتبادل منذ القديم.

ومن دون شك عمل فتح وبناء مجموعة من الطرق المعبّدة والمسالك التي تربط المركز بظهيره وبمدن وأقاليم بعيدة على تقوية هذا الدور.

ويبدو أن لهذا المركز تاريخاً طويلاً وظروف نشأة مشابهة لما عرفناه بالنسبة لعدد كبير من المراكز والمدن المغربية. فقد يكون ظهر على شكل قصبة في عهد السلطان مولاي إسماعيل (ق 17) انضاف إليها فيما بعد زاوية تجانية وسوق تنعقد يوم الاثنين.

إلاّ أن تطوره ظل بطيئاً إلى مجيء الاستعمار بسبب غياب الأمن والاستقرار بالمنطقة المرتبط بزحف بني وراين نزولا من الجبل (تانكرامت) نحو واد إيناون وما صاحب ذلك من صراعات أشار إلى بعضها عبد الرحمان المودن واستمعنا بنفسنا إلى الحديث عن الكثير منها من طرف المسنين بالمنطقة.

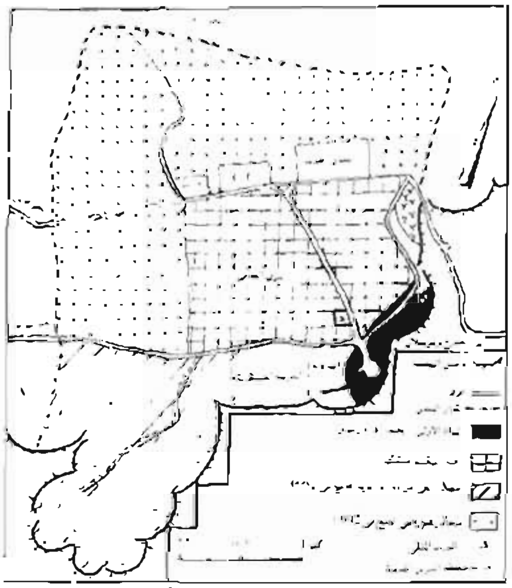
تقوى دور المركز كقطب محلي أيام الاستعمار بسبب اختياره كنقطة عسكرية متقدمة أمام الجبل العاصي والرافض للاستعمار وكمقر لمكتب شؤون السكان المحليين (Bureau des Affaires Indigènes) وهو ما دفع إلى بناء ثكنة وبعض المحلات الإدارية على مقربة من السوق شكلت النواة الأولى.

لكن كل ذلك لم يطور كثيراً من وضع التجمع الذي لم تحظ به في 1936 سوى 498 نسمة منهم 26 أحصي وبه إسرائيليين مغاربة.

وطيلة فترة الاستعمار لم يتطور التجمع كثيراً باستثناء بناء مدرسة ومستوصف ومحطة للبنزين، وبعض المتاجر في ملكية اليهود : وظهور بعض منازل الأعيان.

غداة الاستقلال ستعمل ظروف مختلفة ومتفاعلة على جعل هذا المركز يتأرجح بين فترات انتعاش وفترات ركود.

فخلق مدرسة عسكرية (1956) لتكوين ضباط الصف به وما صاحب ذلك من توسع في الحاجات المختلفة ساهم في توسع الأنشطة في قطاع الخدمات والبناء وفي الرواج.



مرفلوجية رباط الخير في 2001

أما عودة عدد كبير من قدماء المحاربين "الكوم" وتطلعهم إلى العيش في ظروف أفضل من التي يوفرها لهم الدوار مما دفع بالكثير منهم إلى الاستقرار بالمركز "الفلاج Village" حسب تعبيرهم فقد ساهمت بدورها في تطور هذا الأخير. كما ساهم فيه بعض أبناء المنطقة "القبيلة" الذين ساعفهم الحظ لولوج المدرسة أيام الاستعمار والوصول إلى مناصب محترمة.

وأخيراً لابد من التذكير بمجهودات الدولة من أجل تطوير المنطقة وتحريك عجلة التنمية بها. وهو ما انعكس محليا في خلق جماعة إغزران القروية التي يوجد مقرها برباط الخير، والإبقاء على القيادة به وخلق مقر للدرك الملكي، ومكتب للبريد ومركز للأشغال الفلاحية ... وإدخال الكهرباء والماء الشروب

صاحَبَ هذا التطور ارتفاعُ في عدد السكان الذي مرَّ من 498 نسمة في 1936 إلى 996 ن في 1960 ثم 2020 نسمة في 1971. والملاحظ أن تضاعف العدد بعدما تطلب ربع القرن بين 1936 و1960 لم يتطلب سوى 11 سنة بين 1960 و1971 وهي فترة ذهبية.

لكن توقف نشاط المدرسة العسكرية منذ بداية السبعينيات وتراجع الكتلة النقدية التي كانت تروج بها عملت على تباطئ النمو والتوسع العشوائي وما يصاحبه من مشاكل. ففقدان الوظيفة العسكرية كان من وراء عدم تسجيل ساكنة المركز لزيادة كبيرة منذ السبعينيات بحيث لم يزدد عدد السكان بين 1971 و1982 سوى ب 430 نسمة. أي بنسبة نمو ضعيفة لا تتعدى 21.3٪ في الوقت الذي عرفت فيه مراكز مجاورة نسبة نمو مرتفعة وصلت إلى 40.2 بالمنزل مثلا و255.4٪ بتاهلة.

ورغبة في إنعاش المركز وجعله قطب تنمية وإشعاع بالنسبة لظهيره تم إحداث إعدادية به وتحويل مكان السوق (1981) وخلق دار للشباب وخلق ثانوية (1995) وتجهيزات أخرى.

وفي التقسيم الترابي لسنة 1992 ارتقى رباط الخير إلى مستوى بلدية تضم في مدارها مجموعة من الدواوير ومن جزر المنازل المتفرقة وكذلك أراضي لازالت زراعية. وهذا الإقحام لمجموعة من السكان الريفيين في المدار البلدي هو الذي يفسر قفزة ساكنة رباط الخير من 2450 نسمة في 1982 إلى 8373 نسمة في 1994. وبقدر ما ساهم هذا الإقحام في الرفع غير العادي لسكان المركز بقدرما تسبب في انخفاض سكان الجماعة القروية الذين لم يتطور ظاهريا بالرغم من إضافة سكان دواوير بني مكود من جماعة الزراردة المجاورة لهم.

انطلاقا من هذه المعطيات يمكننا القول بأن رباط الخير بالرغم من قدمه لم يتطور كثيراً ويكتسب الطابع الحضري بعد. وهو ما يلمسه المرء من خلال أنشطة سكانه ومن مرفلوجيته. فسكان المركز حاليا يتشكلون في حدود ضيقه من الموظفين (في الإدارة والتعليم والصحة...) ونسبة كبيرة جداً منهم مازالو فلاحين. يضاف إليهم نسبة من المتقاعدين الذين استقروا به رغبة في ظروف عيش أفضل من التي توفرها الدواوير. أما العاملون في التجارة والحرف فعددهم قليل إذا نحن اعتبرنا المحلات القارة. وكثير من الأسر تعيش على موارد خارجية (حوالات، معاشات...).

من الناحية المرفلوجية أهم ما يفتقر إليه المحيط البلدي هو التجانس والتماسك. فالأحياء مفككة وأحيانا متباعدة ومتجاهلة. ويجوز الحديث عن وضع فوضوي.

فعلاوة على المساحة الواسعة التي تشغلها المدرسة العسكرية وملحقاتها والتي تشكل بواراً فاصلاً بين أحياء سكنية وعلى النواة القديمة المجاورة لها من الجهة الشمالية الشرقية حيث مقر القيادة وثكنة ومساكن القوة المساعدة (المخازنية) ومكان السوق القديم والتي تعاني من مظاهر التدهور هناك أحياء ودواوير مشتتة جنوب غرب المدرسة العسكرية وعلى طول طريق تاهلة شمالا ويتيزي العدني وعلى طريق المنزل زاوية بوگرين (الرسم)

وهي أحياء وجزر ودواوير مفصولة عن بعضها بمسافة كبيرة نقدرها مثلاً بين أحياء عين أغبال في الجنوب الغربي وأحياء كدية المهرس في الشمال الشرقي بـ 3 كلم. وهذا الوضع يطرح مشكلا كبيراً للمجلس البلدي.

بالرغم من مزايا موقع رباط الخير ومن ارتباطه بالظهير وبالمدن والأقاليم المغربية الأخرى بسهولة لايبدو أن تطور رباط الخير وانتعاشه اقتصاديا أمراين سهلان بعدما فقد وظيفته العسكرية التي أوجدته والتي رفعت شأنه بعد الاستقلال. فتهميشه لمدة طويلة جعل ساكنته شبه راكدة من الناحية الديمغرافية ونواته الأصلية متدهورة. ومجال مدرسته العسكرية الذي كان يُهاب بواراً. ونسيجه منقطعاً ومتنافراً.

وإعطاؤه صفة بلدية يبقى إجراءً غير كاف لحل مشاكله الكثيرة خاصة توفير البنى التحتية وهيكلة المجال البلدي الشاسع وضمان فرص الشغل بدون ركائز اقتصادية قوية. فموارد البلدية محدودة وهو ما لا يسمح بحل هذه المشاكل بسرعة.

وكيفما كان الحال فالحل لن يتم بدون تنمية ظهيرة وبدون اعتباره في خريطة الأقطاب بالمنطقة. وانتعاشه قد يكون في إعادة فتح المدرسة العسكرية لأغراض تكوينية عسكرية كانت أو مدنية وفي تنميته السياحة بالجزء الجبلي انطلاقا منه وربما في الاعتناء به بما فيه الكفاية من طرف أبنائه الذين درسوا به منذ أيام ومنه وصلوا إلى وضعهم كمسؤولين اليوم. فانتعاش المركز وعودة شهرته وإشعاعه هو أمانة في عنقهم كذلك وحق له عليهم.

ع. الرحمن، المودن، *البوادي المغربية قبل الاستعمار، قبائل إيناون والمخزن بين القرن 16 و19*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 25، الرباط، 1995 ؛ أ. القدميري، *إطلالة على دائرة تاهلة، منوغرافيا*، عمالة تازا، 1982.

M. Kerbout. *Quelques aspects de l'urbanisation des régions marginales au Maroc et leur signification. cas du Moyen Atlas et du bassin de la Moulouya*, in *La ville moyenne au Maghreb. Enjeu de la décentralisation et du développement local*. Actes de la Vème rencontre culturelle de Sefrou. pp. 45 - 58. Sefrou. 1991 ; E. Zaanoun. *La confédération des tribus Aït Waraïn. Etude géographique de l'évolution d'une tribu berbère*. Thèse de troisième cycle. Géographie de l'aménagement. Université de Paris VII, 1982 - 1983 ; Direction de la Statistique. *Résultats des R.G.P.H.. 1960. 1971. 1982 et 1994*.

محمد كربوط

رباط شاكر، نسبة إلى شاكر بن عبد الله الأزدي أحد التابعين، دخل مع عقبة بن نافع الفهري الفاتح للمغرب سنة 62 / 681 الذي أوغل في المغرب سائراً وساحل البحر حتى صار بأحواز طنجة ثم واصل السير حتى بلغ البحر عند ماسة. وقبل عودته إلى الشرق خلف شاكراً هذا بصفته أحد مشاهير التابعين ليعلم المصامدة القرآن وأمور دينهم بهذا الرباط الذي يبعد عن مدينة مراكش حالياً بحوالي 85 كلم على طريق الصويرة، وهو أقدم رباط عرف بالمغرب. وقد شارك رجاله بنصيب كبير في قتال برغواطة عند ظهورهم بمنطقة تامسنا في أوائل القرن الثاني، منهم يعلى بن مصلين الرگراگي الذي قاد حروبا عديدة ضد البرغواطيين والذي جدد رباط شاكر تخليداً لذكراه وتمسكا بمذهبه (*التشوف*، ص 26).

وقد ظل هذا الرباط مركزاً للجهاد والمجاهدين وملتقى للعلم والعلماء المتصوفين إلى القرن السابع (13 م) وما بعده حيث ذكر ابن الزيات (ت. 627 - 1229) أن من عادة عدد كثير من علماء المغرب وأوليائه وصلحائه أن يسافروا في كل رمضان الى هذا الرباط من أجل ختم القرآن، وكانت منابر الوعظ تقام وحلقات الدرس تعقد من أجل نشر الإسلام وتثبيت تعاليمه في نفوس المصامدة وغيرهم(*التشوف*، ص. 51).

وقد جدد السلطان محمد بن عبد الله العلوي بناء رباط شاكر سنة 1178 / 1764 أثناء بنائه لمدينة الصويرة، ومازال ضريح هذا المجاهد الكبير يتراءى شامخا مزهوا بأعماله الخالدة يلحظه الزوار والمارون وسط قبيلة احمر على الضفة اليمنى لوادي تانسيفت إلى اليوم.

ع. ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، ص. 63 ؛ ابن الزيات، *التشوف إلى رجال التصوف*، ص. 26 - 51 ؛ الحسن بن العربي، *كتاب المغرب*، ص. 143.

محمد أيت الحاج

رباط عقبة، يقع ضمن مجال قبائل مصامدة الأطلس الكبير الغربي في بلد نفيس الذي كان من عمل مراكش (*التشوف*، 400 - 401) ولعله المقصود أيضاً عند ابن الزيات بمسجد عقبة الذي بعدوة وادي نفيس (*التشوف*، 315). واستخلص ابن عبد الحليم من تسمية المسجد نسبته إلى عقبة بن نافع الفهري (*رسالة في اتجاه القبلة*، 14) مستندا في ذلك إلى الإشارة التالية للبكري : "مدينة نفيس... غزاها عقبة بن نافع... وبنى بها مسجداً إلى اليوم" (*المغرب*، 160) وقد ورد ما يقرب من نفس المعنى عند ابن عذاري كما يلي : "قال الإشبيلي في كتابه *المسالك* : إن المسجد الذي على وادي نفيس بناه عقبة" (*البيان*، 27).

يرجع تاريخ تأسيس المسجد حسب رواية البكري إلى عام 62 هجرية / 681 ميلادية (*المغرب*، 160) بينما يظل مجهولا تاريخ ظهور الرباط، أو تحول المسجد إلى رباط، وإطلاق اسم الرباط. ومع ذلك فإن افتراض تاريخ مبكر لظهوره يبدو وارداً لأنه نشأ في سياق طرفية دخول الإسلام إلى المغرب، ضمن شبكة المساجد الأولى التي أنيطت بها مهمة تركيز ونشر الدين الجديد في إطار جغرافي عرف فيما بعد الجوار مع مجال نفوذ بورغواطة من الجنوب وما ترتب عن ذلك من تحول حدود الجوار إلى خط للمواجهة ضد أهل النحلة البورغواطيه (*رسالة*، 15) لكونهم كفارا في نظر السكان المحليين (*التشوف*، 52).

لم تتقدم المصادر المتداولة اسم أي موقع صوفي آخر ينتمي إلى نفيس : البلد أو المدينة أو العدوة، وعليه يصبح رباط عقبة إمّا الرباط الوحيد بالمجال أو الأكثر شهرة به، ولعل مما يُستأنسُ به بالنسبة للاحتمال الأول ما يبدو كحضور خافت لأهل الولاية والصلاح، تستشف بعض مؤشراته من جهة في توجه أهل نفيس إلى السوس عند واجاج بن زلو اللمطي لطلب الاستسقاء بعدما أصاب بلدهم الجدب (*التشوف*، 89 - 90) ومن جهة ثانية في تلمذة مريدين من أهل نفيس على شيوخ من خارج نفيس كأبي محمد عبد الحليم الأيلاني من أهل قرية تاروتي، شمال مراكش (*التشوف*، 33). أما الاحتمال الثاني فنلاحظ بعض مؤشراته في شهرة الرباط خارج نفيس، وبالذات في العاصمة الموحدية، مما جعل منه إطاراً جغرافياً لبعض كرامات الصوفي أبي العباس أحمد الصنهاجي الجباب، نزيل الجانب الشرقي من مراكش (*التشوف*، 314 - 315) وفي اعتباره كان مركز نشاط الصوفي الوحيد المعروف بمجال نفيس أبي ولجوط تونارت بن واجرام الهزميري (*التشوف*، 400 - 401).

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، القاهرة، د. ت ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ ابن سعيد المغربي، *كتاب الجغرافيا*، تح. إسماعيل العربي، بيروت، 1970 ؛ ابن عبد الحليم الايلاني، *رسالة في اتجاه القبلة*، مخطوط ؛ ابن عذاري، البيان، الجزء الأول، تح. جورج كولان وليفي بروفنسال، بيروت، د. ت

محمد رابطة الدين

رباط ماسة، من أشهر مواقع المغرب المقدمة على مستوى ما حفظت لنا النصوص المكتوبة أو الذاكرة الشعبية والشفوية التي مازال يغذيها الخيال الجمعي، وإضافة إلى البعد الديني لهذا الرباط، نجد بعداً سياسيا واجتماعيا تجلى في ظاهرة المهدوية لرصد العناصر المؤسسة لهذه الهالة الروحانية والدور التاريخي لهذا المكان، سنقدم عسائله بعض النصوص المتوفرة حول الموضوع.

يربط ابن عذاري ماسة ببداية أسلمة المغرب، وخصوصا

بتلك اللحظة التاريخية التي وصل فيها عقبة بن نافع إلى المحيط : "قال أبو علي [أبو علي صالح بن أبي صالح] ثم سار عقبة من إيجلي حتى وصل ماسة فادخل فرسه في البحر حتى وصل الماء تلابيبه وقال : "السلام عليكم ! يا أولياء الله، فقال له أصحابه : على من تسلم ؟ قال : على قوم يونس عَم ! ثم قال : "اللهم إنك تعلم أني لم أطلب إلا ما طلب عبدك ووليك ذو القرنين ألا يعبد في الأرض غيرك" (ابن عذاري، ص. 27).

يشير اليعقوبي في "كتابه *البلدان*" لمسجد ورباط ماسة : "وماسة قرية على البحر تحمل إليها التجارة وفيها المسجد المعروف بمسجد بهلول وفيه الرباط على ساحل" (اليعقوبي، ص. 360).

وفي سنة 542 سيقودمحمد بن عبد الله بن هود الماسي ببلاد سوس الأقصى حركة مهدوية ذاع صيتها (*الحلل الموشية*، ص. 146). وأكد ابن خلدون أن العامة في سوس يعتقدون أن المهدي المنتظر سيخرج من رباط ماسة.

لقد كانت منطقة سوس، موطن العديد من الثائرين على السلطة المركزية أو الباحثين عن تأسيس سلطة بديلة، مؤسسين خطابهم التحريضي على توظيف خطاب ديني صوفي ذي نبرة مهدوية قوية. وشكل رباط ماسة بتاريخه المترسخ في القداسة، مع ما يحاك حوله من أساطير، مركزاً لانطلاق مشاريع هؤلاء الثائرين، لقد كان شائعا أن كل مشروع سياسي يراد أن يكتب له النجاح، يجب أن ينطلق من ماسة، واستمر مفعول هذه المعتقد حتى بداية القرن الرابع عشر (20 م) حيث نجد الهبة يبدأ حركته سنة 1912 بقرب رباط ماسة وسارع أنصاره "يستخرجون مسجدا مردوما هناك بالرمل، وفي الملاحم إن ذاك المسجد لا يستخرجه إلا مهدي" (*المعسول*، ج. 4، ص. 123).

إضافة إلى ما نقلت لنا المصادر التاريخية، فإن الرواية المحلية بحكاياتها الأسطورية وما أنتجته كذلك من أدبيات مكتوبة زادت من هيبة المكان. هذه الرواية ركزت بالأساس على مسجد رباط ماسة بإظهار بركته وفضائله استناداً إلى أحاديث منسوجة من مخيلة واضعيها وهو ما يدل على عمق التأثير الذي مارسه (ومازال) هذا الرباط، الذي لن يكشف عن بعض أسراره إلا بإنجاز أبحاث ميدانية أركيولوجية خاصة في موقع المسجد الذي ردمته الرمال.

ع. الرحمن ابن خلدون، *مقدمة*، بيروت، 1993 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، تح. ج س. كولان وليفي بروفنسال، بيروت ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، 1965؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء، 1979 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، 1983 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1961 ؛ أ. اليعقوبي، *كتاب البلدان*، ليدن، 1891.

J. Chebbi. *Ribât. E.I.*, Nlle éd., VIII, pp. 511-523 ; H. Ferhat, *Littérature eschatologique et espace sacré au Maroc : le cas de Massa. S.I.*, 80, 1994, pp. 47 - 56 ; W. Madelung. *al-Mahdi. E.I* , Nlle éd., V, 1221-1228 ; R. Montagne. *Coutumes et légendes de la côte berbère du Maroc. Hesp.*, tome IV, 1924, p. 101- 102.

رحال بوبريك

رباط أبي محمد صالح، يقع اليوم وسط مدينة أسفي وكان قبلُ خارج الأسوار. له شهرة كبيرة في المغرب والمشرق منذ تأسيسه على يد الشيخ أبي محمد صالح الماجري المتوفى عام (631 / 1238). وقد اشتهر بطريقته القائمة على الدعوة إلى حج بيت الله الحرام مهما كانت الصعوبات والمخاطر التي تعترض الحجاج آنذاك، وجاءت مبادرته للقضاء على البلبلة التي أثارتها الفتاوى المضادة مثل ما جاء في جواب ابن رشد الكبير الذي استفتاه علي ابن يوسف المرابطي في شأن المفاضلة بين الحج والجهاد من الأندلسيين وأهل العدوة وذلك عام 515 / 1121 فكان جوابه : (بأن الحج ساقط عنهم باعتبار انعدام أمن الطريق وأن الجهاد أفضل). وفي هذا الاتجاه سار فقهاء دكالة الذين أفتوا بسقوط الحج عن أهل المغرب (*المنهاج الواضح*، 351). وفي مواجهة هذه الفتاوى جاءت دعوة صاحب هذا الرباط الشيخ أبي محمد صالح للحث على الحج والزيارة، وسنَّ لذلك طريقة جعل من بين أركانها الأساسية : حث المنخرطين فيها على البدار بالمسير لأداء فريضة الحج وسنة الزيارة دون أن يقبل من أحد عذرافي التأخير وبالأحرى التخلف عن هذه الشعيرة المكملة لإسلام المريدين، ثم لم يزل ذلك سيرة من جاء بعد الشيخ من مقدمي تلاميذه الذين حملوا لواء هذه الطريقة فأسسوا مراكز لنزول المسافرين انطلاقا من رباط أسفي وانتهاءً عند الحرمين الشريفين تطبيقاً للتنظيمات التي سنَّها الشيخ لطريقته والتي منها :

1 - نصب مقدَّمين للحجاج موزعين بين الجهات التي بها مريدوه.

2 - توصية الحجاج بالسفر على طريق البر، ومنع ركوب البحر عليهم تفاديا لأخطار القرصنة البحرية.

3 - تنظيم مراكز نزول المسافرين - كما ذكرنا - من رباط أبي محمد صالح بأسفي إلى الحرمين الشريفين ويرد اسمها في المصادر التاريخية باسم (رباط الحجاج) أو زاوية دكالة أو ما يدل على ذلك.

4 - تجهيز هذه المراكز بالقائمين عليها من خيرة تلاميذ الشيخ ومريديه.

ولهذا كله أصبح لرباط أبي محمد صالح بأسفي صيت كبير في أنحاء العالم الإسلامي كمؤسسة دينية سياسية لها فروع تمتد من المغرب إلى المشرق. وهي مدعمة بطريقة روحية عالية النفس لا تزال نفحاتها تسوق المومنين من المغاربة للتضحية بالغالي والنفيس من أجل أداء فريضة الحج والقيام بسنة الزيارة مرة أو عدة مرات.

وعن تصميم رباط أبي محمد صالح الماجري يحدثنا ابن مرزوق في القرن الثامن (١٦ م) حيث يقول عنه وعن المشرفين عليه : "وقد كان تصميم بنائه ونظام أصحابه يتميز عن الرباطات المغربية. ويقلد نمط رباطات الشرق التي لم ير في المغرب على سبيلها ونمطها إلا رباط أبي محمد صالح هذا وزاوية أبي زكرياء بسلا ولا ثالث لهما في ملازمة السكان وصفاتهم ويشبههم بمن ذكر في الشرق".

وبذلك حققت دعوة أبي محمد صالح للحج والزيارة هدفها في حياته وبعد مماته، فأصبح رباطه مركزاً ومنطلقاً لطريقته التي امتد إشعاعها في الزمان والمكان لينير المغرب والمشرق عبر التاريخ الإسلامي.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه* : *أعمال الملتقى الفكري الأول لمدينة أسفي*، 1988 ؛ أ. الماجري، *المنهاج الواضح* ؛ ص. ابن العربي، *كتاب المغرب*، بيروت، 1984.

محمد أيت الحاج

رباط مليلة، أو رباط الكرمة، هو مركز الحراسة والجهاد الذي أنشأه علي العطار الأندلسي، قائد المجاهدين بقلعة خلال العقد الأول من القرن العاشر (١٦ م). تحتم إنشاؤه رغبة في إحداث مركز لحراسة دائمة تجاه تحصينات مليلة المحتلة، وهو تابع لتنظيمات جهاز المراقبة الذي كانت قيادته العليا بقلعة تازوطا. وقد تعرفنا على موقع الرباط من خلال رسم فرانسيسكو دي ميراندا، صاحب *المذكرات* الخاصة بحصار سيدي محمد بن عبد الله لمليلة خلال سنتي 1774 و1775.



يقع رباط مليلة على ما يقرب من الف وأربعمائة متر داخل الحدود المحتلة في الوقت الراهن عند آخر منحدرات كدية العازيز السفلى. وهو يحتل حاليا المكان المعروف باسم Parque Eventual، غير بعيد عن مجرى واد المدور أثناء مروره بقنطرة تسوريو Tusorio القائمة على طريق فرخانة. ويعلو مكان الرباط على كدية يصل ارتفاعها نحو عشرين مترا عن سطح البحر. أختير الموقع لإشرافه على فحص المدينة المنبسط بينها وبين كدية الرباط. وقد وافق هذا الاختيار أيضا وجود مجرى واد المدور الذي يصب عند قدم المدينة وما يحيط بضفتيه من غابة القصب، حسب تعبير وثائق القرن العاشر (١٦ م) وما بعده.

ورغم اختفاء معالم الرباط في الوقت الحالي بسبب التخريب الذي تعرض له بعد احتلال موقعه سنة 1863 من طرف حامية مليلة. فقد دلت التجول بالمكان على وجود سور صغير مربع الشكل. أبعاده التقريبية 36 x 40 مترا (1440 م^2)، تبرز منه شجرة باسقة. ونعلم أن الساحة كانت متوفرة على مسجد.

سلك القلعيون للقيام بوظيفة الحراسة بالرباط والجهاد طريقة النوبة. وكانت للحراسة بالرباط أطرها الممثلة في شخص رئيس المجاهدين المدعو بالمقدم، وهو في نفس الوقت رئيس الفرقة التي يمثلها ضمن التقسيمات القلعية الأربع المعروفة. وقد قدم لنا أحمد بن القاضي الگعداري القلعي أسماء بعض رؤساء رباط مليلة، وكذا الوثائق الإسبانية، أمثال محمد الشاري أيام المولى الرشيد ومحمد بن مسعود القيطوني الگعداري خلال العهد الإسماعيلي وابنه عمر والطاهر بن عمر القيطوني خلال حرب الثلاثين سنة التالية لوفاة المولى إسماعيل، وأحمد الرتبي وابنه محمد المشار إليهما في مكانه.

اعتمد رباط مليلة على السلاح التقليدي فلم يعرف السلاح الناري المتمثل في البنادق إلا في سنة 1558، ولم يستغل القطع المدفعية إلا أثناء حصار مليلة خلال سنتي 1774 و1775. وقد توقف استعمال المدافع بين مليلة والرباط بناء على اتفاق 1785، ثم أعيد إلى استعماله. وقد أمد المولى عبد الرحمن بن هشام بناء على طلب القلعيين رباط مليلة بقطعة مدفعية حسب مراسلة مؤرخة في13 جمادى الأولى عام 1258 بمناسبة إحياء سنة الجهاد. غير أن الإسبان كانوا قد أعدوا ما استطاعوا من القوة والمزامرات لغزو الميدان والقضاء على الرباط.

عرف رباط مليلة منذ عهد المولى عبد الرحمن بن هشام برباط الكرمة، وذلك لارتفاع شجرة التين بساحته، وهو الذي يدعوه القلعيون "جناده للا ثورثوت"، ومن ذلك جاء اسم رباط الكرمة. وقد ظل الرباط يؤدي مهمته الجهادية إلى أن توالت سلسلة الاتفاقيات المبرمة كنتيجة لحرب تطوان، بدءا من اتفاق 28 مايو 1859. وتبعا لذلك يؤكد اتفاق حدود مليلة الموقع يوم 12 نوفمبر 1863 (متم جمادى الأولى 1280) في شرطه الثالث ضرورة هدم جامع رباط الكرمة على يد رجال المخزن بعد تسليم الحدود المعرفة إلى الوقت الراهن. وهذا هو ما تم بالفعل. وبذلك انتهى دور رباط مليلة وانتقلت الحراسة التي أصبحت مخزنية صرفة إلى جنادة أو دار المخزن بفرخانة.

أ. ابن القاضي الگعداوي، *تعابيد*، مخطوطة في خ ح ؛ وثائق *الأرشيف التاريخي الإسباني* ؛ ب. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة*، الرباط، 1997 ؛ *سيدي محمد بن عبد الله وحصار مليلة*، الرباط، 1996.

Jan A. Estrada, *Poblacion General de Espana*, t. 3 ; Francisco de Miranda, *Diario*

حسن التكيكي

الرباطي الرسام ← ابن **علي**

الرباطي الفقيه ← **السجلماسي**

الرباطي، قاسم (الحاج -) المشهور ببنعسل[1]، من مشهوري الفنانين الموسيقيين بالرباط في أواخر القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 ، 20 م).

ذكره عالم الرباط إبراهيم التادلي في كتاب *السقا*، وهو بصدد استعراض آلات الطرب وأسماء البارعين في استخدامها على عهده، فقال : ثم لضرب الناقوس صاحبنا الحاج قاسم بنعسل الرباطي. كان يضرب به مرارا أمامي. وأوتاره نحو سبعين. كان يسويه بحلقات في أصابعه. وكان يأخذه حال يهتز برأسه عند ضربه. وقلّ من يحسن ضربه اليوم.

1. التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقى*، الباب السابع، ص. 77. ط. حجرية، فاس.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الرباعي المغربي، يأتي الرباعي كتابة عن الحقب الجيولوجي الرابع. وبما أنه يخص المراحل الأخيرة من تطور القشرة الأرضية، فإنه إذن يتعامل مع القشرة في تطوراتها الحديثة ومظاهرها السطحية، وبالتالي فهو يعني أساساً الدراسة الجيومرفلوجية للموقع المعتبر.

يدرس الرباعي المغربي مختلف التطورات التي طرأت على البنيات الأرضية، وعلى تشكيل ونحت سطح الأرض، وتطعيمه بالرواسب القارية والساحلية عموما والأدفاق البركانية محليا، وكذا على أنماط تكوين الأتربة، وبالتالي تأليف النسق الطبيعي المرئي بكل مكوناته، وذلك في حدود التراب الوطني، أو على الأكثر باعتبار الإقليم الطبيعي الكبير اللابس أو النطاق البيومناخي الذي ينتمي إليه المغرب.

أما الإطار الزمني الداخل في الاعتبار فإنه يهم مبدئيا المليوني سنة الأخيرتين من التاريخ الجيولوجي، وهي فترة تعتبر متناهية في القصر مقارنة بعمر الأرض الذي يزيد على الأربعة ملايير ونصف من السنين والذي تتقاسمه الأحقاب الثلاثة الأولى، إضافة إلى الحقب البدئي، السابق للأول، المغفول المعالم في جل مراحله، والمدعو بما قبل الكمبري والذي يستحوذ على أكثر من أربعة أخماسه.

1) مدخل إلى الرباعي العام

هناك قواسم مشتركة للرباعي أينما كان، كما أن لجهتنا خصوصيات تميزها بل وترفعها إلى مستوى تأسيس مرجعية ذات اعتبار رفيع في دراسة الرباعي العالمي. يتميز الرباعي العام في كل أنحاء المعمور، عن الأحقاب السابقة، بخاصيتين أساسيتين تبرران الترقية إلى الحقب القائم الذات، رغم قصر أمده، وهي : التبرد المناخي العام، من جهة، وظهور الجنس البشري، من جهة أخرى.

وقد تبين بعد حين من تبرير التصنيف أنه لا يوجد التوافق التام بين استهلال هاتين الظاهرتين والبداية الفعلية للرباعي. ومع ذلك بقي التقسيم على حاله، على أن يعتبر الرباعي حقب الاستتباب إن لم يكن بالفعل حقب البدايات. إذ من المؤكد أنه وافق انتظام البرودة المناخية في العالم واشتدادها وتجذر الحضور البشري وتصاعد تأثيره.

تعتبر مسألة التبريد حادثا بالغ الأهمية. ذلك أن المناخات الباردة، المتجلية في حدوث وتوالي ظاهرة العصور الجليدية، كانت قد انقطعت عن العالم منذ أواخر النظام الفحمي، أي منذ حوالي 300 مليون سنة. لم تأت بعدها إلا مناخات حارة متفاوتة الرطوبة خلال كل الحقب الثاني وقرابة كل الثالث. وقد ترتب عن انبعاث البرودة من جديد تغاير كبير لأصناف المناخات هو الذي يفسر في الأساس التمايز النطاقي البيومناخي الذي يعرفه العالم حاليا، على شكل أحزمة عرضية بادية التوازي. كما ينظم الاتجاهات الكبرى للكتل الهوائية التي أصبحت تأخذ كذلك مسارات طولية بين القطبين والاستواء، تسمح بالزيادة في تلاقح النطاقات وتغاير الفصول.

تغيير بهذا الحجم له وقع كبير على صنع البيئات. فبعدما كانت المناخات، لملايين عديدة من السنين، شبيهة بما نصطلح عليه اليوم بالمناخ المداري، انزوى هذا الأخير في العروض الدنيا دون غيرها، واستحدثت بيئات جديدة لها وزنها الخاص من بينها البيومناخات المتوسطة والمعتدلة، مع تمديد ملحوظ للباردة. وبديهي ما تولد عن ذلك من اختلافات في وفرة المياه وفي تركيب وغنى الغلاف الأحيائي وفي أنماط التشكيل والتترب.

ربما لم يعرف التاريخ الجيولوجي لتطور الأرض عهدا أزهى وأسنح من أواخر الثلاثي ومستهل الرباعي لاستقبال العصر البشري !

وقد توالت مع وجود الإنسان الحضارات المتعاقبة، إلى أن أصبحت فعالة بما يكفي لتغيير معالم الطبيعة، فأضحى لزاما اعتبار التدخلات البشرية كعامل من عوامل تطور سطح الأرض سلبا وإيجابا. ولما تأكد الجانب السلبي من هذه التدخلات على التوازنات البيئية، ظهر في الأوساط العلمية والإعلامية هاجس جديد يسمى "علوم البيئة"، في انتظار أن يأخذ حظه الكافي من التقعيد العلمي.

ومن جملة القواعد العلمية لدراسات الرباعي والبيئة الطبيعية معا، أن لكل بقعة من سطح الأرض توازناتها الخاصة هي نتاج تداخل محكم بين ملابسات الوضع الحالي وتركات الميوجين أو الرباعي كلا أو جزءا. ضبط هذا النوع من التوازنات أساسي في تحديد التدخلات البشرية

التي يمكن أن يتحملها الموقع، من حيث النوع والحدة، قبل أن تظهر عليه أعراض الاختلال والتراجع. تفيد المقاربة إذن في تقويم أساليب وحدود استعمال الموارد المائية والترابية والأحيائية في إطار ما يصطلح عليه بالمشاريع التنموية ودراسات الوقع المرافقة.

لذا كانت لدراسة الرباعي المغربي أبعاد معرفية عامة وأبعاد تطبيقية. نكتفي من وجهة التطبيق بالإشارات الواردة في هذه المقدمة، ونعرض في ما يلي للقواعد المعرفية في خطوطها العريضة.

2) الملامح العامة للرباعي المغربي

إذا كانت البرودة أولى المعايير في دراسة الرباعي العام، فإنه لن يستعمل عندنا إلا بصفة غير مباشرة. ذلك أن التجليد الصريح لم يعد أن لامس القمم العليا ومنها كتلة التوبقال وجبل العياشي بالأطلس الكبير. في ما عدا ذلك، تدخل الصقيع وتشكيل التراكمات الثلجية. وبصفة أكثر حسما ظهرت تفاوتات واضحة لأهمية الرطوبة، لكن في إطار مناخي عام لم يحد عن طبيعته المتوسطية التي يبدو أنها استقرت بالمغرب ابتداء من البليوسين الأوسط أي منذ حوالي 3.5 مليون سنة.

ومن المؤكد إنه، على غرار الذبذبات الجليدية التي تخللت الرباعي في بلدان الشمال، عرف المغرب والبلاد المتمية للنطاق، تفاوتات ترطيب دورية تدعى الذبذبات المطيرة والبيمطيرة.

لم يكن مغرب الرباعي أقل تعقيداً من مغرب اليوم من الناحية البيومناخية. وجوده في منطقة اتصال بين التأثيرات المحيطية المعتدلة وضد إعصارات النطاق المداري الجاف، إضافة إلى هياكله الجبلية القوية المتوسطة للبلاد وانفتاحه على البحر والمحيط، يسمح بتحصيل كل التعبيرات المميزة للمناخ المتوسطي ومعها التدرج إلى الجاف والصحراوي. وقد عرف هذا النسق تغيرات محسوسة في سياق التقلبات العالمية. فخلال الفترات البيجليدية، يكون التنطيق الكوكبي، كما هو الآن، أكثر تنوعا، بتوسطه مجال معتدل واسع ذو رطوبة جيدة شديدة الانتظام، وأقاليم متوسطية وشبه مدارية نظامها التساقطي متقلب ضعيف. وعلى النقيض، تأتي الفترات الجليدية بانكماش الجهات شبه المدارية وهبوط محسوس في درجات الحرارة شمال عرض الثلاثين درجة بالنصف الشمالي من الكرة الأرضية. في الواقع، هذه معطيات توافق التصور النظري القائل بزحف النطاقات البيومناخية بين القطبين والاستواء، ذهابا وإيابا، في ركاب التمدد والتقلص الدوريين للعمامات الجليدية القطبية.

تأسس الرباعي المغربي، والقاري منه على الخصوص، على تركات يوافق جلها الرواسب النهرية، مادة وشكلا ومضمونا. عموما تعتبر السلاسل النهرية وقيعان الأودية المستوى القاعدي لكل التطورات التي تعرفها القارة معدنية كانت أو عضوية. توجد في ضمن الرواسب والغرين شواهد عن الأتربة الحاضرة في الحوض النهري، وكذلك عينات من العناصر البيئية المرافقة، ومنها بقايا نباتية وحيوانية وإنسية، وأدوات الصناعات البشرية. كما تدل طبيعة الغرين على نظام الجريان وثيرة وتوزيعا. وكلها عناصر تسمح باستشفاف وتمثل النسق الطبيعي العام السائد. يمثل كل مستوى نهري مرحلة من مراحل التطور. أما الأدوار الحاسمة للتاريخ الطبيعي للإقليم فقد تركت على هوامش المجاري مصاطب متدرجة أو طبقات مطمورة تعتبر تركات لاستجلاء الملامح الرئيسية للرباعي الاقليمي. يستكمل التحقيق بإضافة التأريخ المطلق لبعض المواد المستخلصة من المواقع المعتبرة باستعمال مناهج مختلفة، يفيد تقاطعها في الاقتراب من الصواب، ومنها قياس النظائر المشعة.

يسمح تعقب مختلف التركات بالوصول إلى بناء طبقاتية رباعية أصيلة. ومن المعلوم أن للرباعي تصانيف مرجعية، هي امتداد لسلم التأريخ الجيولوجي. أهمها التصنيف الأوروبي الذي يعتمد على الطبقاتية الآلبية، في شقه القاري، وعلى تكامل بين الشواهد الأطلنتية والمتوسطية، في شقه البحري الساحلي. يعتمد الرباعي الآلبي بصفة مباشرة الفترات الجليدية الكبرى التي يبلغ عددها الستة، بدأت في الواقع مع البليوسين الأوسط، وهي : البيبر، الضوناو، الكونتس، الميندل، الريس والفورم. أما المرحلة البيجليدية الحالية التي جاءت مباشرة بعد الفورم، والتي بلغ عمرها حتى الآن حوالي العشرة آلاف سنة فتسمى الهولوسين (ونكتب بالأحرف الاتية على التوالي : Würm, Riss, Mindel, Günz, Donau, Biber و Holocène

أما طبقاتية الرباعي المغربي القاري فتتكون من ستة أدوار كذلك، تنطبق على التدرج الأقصى لنظام التركات المصطبية المترتبة على السلاسل في الأودية الكافية التعمق، تحمل أسماء مواقعها المرجعية وهي : الملوياتي، السلاوي، العميري، التانسيفتي، السلطاني والغربي، ويجوز جمعها حسب المراحل الثلاثة للرباعي، القديم والمتوسط والحديث بإضافة الهولوسين. التقسيم إلى تطرين فقط، الوارد فيما يلي، لا يخلو من وجاهة بالإضافة إلى التبسيط والتلخيص الناتجين. فالأدوار الثلاثة الأولى والأقدم، تعرض لجل الأحوال البيومناخية التي عرفها الرباعي المغربي إجمالا. أما الأدوار الثلاثة الباقية فقد تبدو كما لو كانت نوعا من التكرار المركز والملخص. كما يوافق هذا التبويب الثنائي حركة حدة التجليد في العروض العليا والوسطى، التي زادت حدتها مع الزمن، متخطية عتبة محسوسة من حوالي ثماني مائة ألف سنة قبل الحاضر (ق. ح.).

3) الأدوار الأولى من الرباعي المغربي

تحتل أدوار الملوياتي والسلاوي والعميري بعد

أخماس المدة الاجماعية للرباعي، مقابلة الضوناو والكونتس والميندل في التصنيف الآلبي.

ـ نستشف من مظاهر التفسخ المتحفظة في الملوياتي، وجود مطير معتدل الرطوبة، نقدر له أكثر من 600 مم في الثلث الشمالي الغربي من البلاد، دون ما برودة محسوسة. على أن البيمطير عرف جفافا قويا وصل إلى تركيز الكاربوناتات في القطاعات الترابية. تساقطات مطرية من فئة 300 إلى 100 مم من شأنها أن تثبت الكلس الترابي دون أن تجليه إلي خارج القطاعات. كانت النباتات ضعيفة التجذر، لا شك أنها تطورت من سبسب يبقعه الشجر إلى سهوب هزيلة.

ومن جهة أخرى، لن تأت البنائية الملوياتية، وكل الحركات الأرضية الرباعية التي تلتها، إلا بعد تلاحم الصفيحتين الإفرقية والأوروبية الذي وضع حداً لأية حركة جانبية، كل نشاط بنائي كان يترجم بشخوص واضح أو تراكب. وقد أعطت الأدفاق البركانية المرافقة لحركة الرباعي القديم عمراً من حوالي مليون واحد ونصف مليون سنة قبل الحاضر.

ـ عرف الدور السلاوي رطوبة باردة سمحت بتحريك الغرين الخشن دون إنتاج أتربة حمراء ولا قشرة كلسية. وقد أرغم هبوط الحرارة العديد من الأحياء المدارية، التي كانت ما تزال مستوطنة، على الهجرة النهائية. اضطلع المأموث (Elephas primigenius) بدور الريادة من ضمن الوحيش، في طريق العبور من إفريقيا إلى أوراسيا خلال البليوسين والرباعي القديم.

ـ العميري هو أقصر الأدوات الثلاث وأزهاها. عم فيه مناخ معتدل ورطب وتعمقت الأتربة حاملة أجمل الغابات. تدفقت العيون تغذي شبكة أنهار غزيرة، وتسيل على سفوح ظليلة، غنية بالحياة، تغلفها تراكمات ندية من اللبيد والرصراصة (الرصراصة، الجزء : 13). ظهرت البحيرات من جديد، تذكر بالمشاهد الطبيعية للبليوسين الأوسط، متوسطة السهول الداخلية ومتخللة أهوار السواحل. وقبل حوالي خمس مائة ألف سنة من الحاضر، حدثت أزمة تكتونية ذات بال، زادت في حجم الجبال وألهبت أحدث نشاط بركاني واسع الانتشار عرفته البلاد، مضخمة العاليات ومعددة الحواجز الأرضية والشقوق، ومغدقة الموارد المائية السطحية.

لم يكن العميري متجانسا في البداية، كان المشهد الطبيعي أشبه بأوضاع الرباعي القديم، عبارة عن مجالات لازالت منفرجة، ترعى بها قطعان الأرخص والأفراس والجواميس الأثرية (Bos primigenius, Equus mauritanicus, Alcelaphus bubalis) من ضمن كبار الثدييات. ثم جاءت بعد ذلك ثدييات كبرى مختلفة الانتماء : منها أصناف حائلة من الفيلة والكركدن والبرانيق والدببة Elephas iolensis, Rhinocerossimus, Hippopotamus amphibius, Ursus arctos) الدالة عن أوساط معتدلة أكثر رطوبة وأحكم إغلاقا لغلافها النباتي.

عرف الإنسان إبان دوري الرباعي القديم، الملوياتي والسلاوي، مراحله الحضارية الأكثر بدائية على الإطلاق، حيث لم تتعد صناعته استعمال الحصى المنحوت في اتجاه واحد. ثم دخل الإنسان العميري بدايات العصر الأشولي، الذي طبع الرباعي الأوسط، بنحت الأدوات الثنائية الوجه. وكلها حضارات لم تحدث على البيئة الأحيائية والغلاف النباتي على الخصوص إلا تأثيراً محدوداً.

4) أدوار المرحلة الأخيرة من الرباعي المغربي

تتكرر فيها النزعتان الغالبتان على المرحلة الأولى : يعيد التانسفتي الأنساق الشبيهة بالمداري التي طبعت الملوياتي. ويتميز السلطاني باقترابه الشديد من المناخ المعتدل، محاكيا في ذلك العميري. أما الغربي فتجاوز البليستوسين إلى ما بعد الجليديات وإلى الحالي، ومن ضمنه أشواط قصيرة متفاوتة الرطوبة. المقابلات الآلبية المقترحة لهذه الأدوار هي على التوالي الريس والفورم والهولوسين.

ـ أظهر التانسفتي أول الأمر بعض الشبه بالعميري لكن في مجالات متزايدة الانفتاح، اختفى عنها تدريجيا الوحيش الغابوي. بدت المراعي المشمسة، بأنهارها المحصبة، مسارح للثدييات الضخمة كالفيلة Elaphas atlanticus) (marocanus والكركدن وحمار الوحش. ثم أقحل الجو، وبترت الأتربة فكشفت عن قشور كلسية صلداء لا تأتي عليها إلا سهوب فقيرة، يقتات عليها النعام والظباء والغزلان.

ـ قضى السلطاني بعودة الغابات وطراوة الجو. حيث من المثير للاهتمام عمق الأتربة وتوفرها على طين الفرميكوليت (Vermiculite) وهو راشم عداني فعال لأنواع التترب في المناخ المعتدل. ينسجم السلطاني بدقة مع الفورم الذي يعتبر العصر الجليدي الأقسى في مجالات العروض الوسطى، بداية من ثمانين ألف سنة ق. ح. هاجرت خلاله، تحت تأثير البرد القارس فلول من الوحيش الأوراسيوي من الشمال، لتلتجئ بأجواء المغرب الأرحم آنذاك. فاستوطن كركدن مركي (Rhinoceros mercki) وغيره من الخنازير البرية والوعول والدببة.. في أزهى غابات الرباعي المغربي وأكملها تنوعا.

عرفت بداية الدور آخر أهم الأزمات البنائية، معطية للجبال والهضاب حجمها النهائي، فاكتملت بذلك الطوابق البيومناخية المعروفة مع زيادة في الرطوبة والبرودة، حيث توسعت من بينها نسبة النفضيات، وعظمت مساحاتها على السهول وصوب الجنوب.

وفرت الحضارات الأشولية المتطورة والموستيرية أدوات حجرية أرقى وأدق لإنسان العصر من النموذج المدعو بالإنسي الأطلسي للدار البيضاء والرباط، ثم لأناس

منتسبة لنياندرتان وللهوموسابينس (الإنسان العارف) من طراز كرومانيون، لكن دور أن نحتسب على أي تدخل مهم التدهور الذي حصل في نهاية الدور. حيث إن التكنلوجيا بقيت بدائية والكثافات السكانية دون الكتلة الحرجة بكثير. لقد تأكد أن تقلبات مناخية طبيعية نازعة إلى القحولة هي المسؤولة عما يمكن أن ينعت بآخر أكبر انفصام للتوازن البيئي في التاريخ الرباعي، أدى إلى تصحر صريع في النصف الثاني من السلطاني، واضح في السايس والمعمورة مثلا، مصحوب بتحطم النبات وانسحاب الوحيش الأوراسيوي وتعرية الأتربة على مساحات هائلة.

أبانت الدراسات الميدانية الحديثة بأن الدور الغربي أطول مما كان يعتبر، وأنه يبدأ بصفة طبيعية مباشرة بعد مرحلة التجفيف والاختلال التي مثلت البمطير السلطاني. وهو على هذا الأساس يتحول إلى دور متكامل له مكانة متوازنة بين الأدوار الأخرى، تخرجه من وضعية نصف الدور التي أحله إياها ثلة من المصنفين. يتعلق الأمر بالثلاثين ألف سنة الأخيرة، الجامعة بين آخر قمة جليدية تخلفت بالفورم وكل الفترة بعد الجليدية حيث تضاعفت فعالية التدخل البشري لتصبح حاسمة في مصير المحيط الحيوي. بدأ الدور أرطب من الوضع الحالي، ثم حل تجفيف تدريجي ناتج عن حدثة الإنسان في الخمسة آلاف سنة الأخيرة.

يمكن حصر القمة الجليدية بدقة بين 20 و16 ألف سنة ق. ح. تراجعت خلالها بوضوح الأوساط الأحيائية المتوسطية مأوربا التي توسعت مرة أخرى بالشمال الإفريقي وخاصة بالمغرب حيث نزحت بعض أنواع وسط أوربا وحتى شمالها. وفي انسجام تام مع نفس الحركة، توغلت إلى الجنوب تشكيلات غابوية قبل سهبية متوسطية إلى حدود الكتل الكبرى المتوسطة للصحراء. وقد عم المغرب حينئذ مطر بهي، أعدت فيه السهول والهضاب أتربة سيدبالية ومتقلبة تيرسية على حساب الأتربة الحمراء السلطانية، وسمحت السطوح القشرية العقيمة بتطور أتربة سمراء كلسية جيدة.

انتهت الفترة الجليدية في أوربا على حركة تسخين أذابت الجليد المتقدم من حوالي أحد عشر ألف سنة ق. ح. وقد حصل من جرائها تدهور مناخي بالمغرب، شحن بعض الأتربة بالكاربونات وبتر أخرى بفعل السيلان المتفرق.

نتج عن الإضرار بالأتربة مشروع مصاطب غرينية رمادية ظهرت بفيضان الأودية، لكنها لم تعظم وتتقوى إلا مؤخرا، بعد فترة الازدهار النيوليتي.

يعتبر النيوليتي شوط رطوبة قصير، استغرق جل الهولوسين إلى حدود ثلاثة آلاف أو ألفين وخمس مائة سنة ق. ح. حصلت فيه تذبذبات جلبت بعض الرطوبة إلى الصحراء، التي عرفت تساقطات بلغت 150 إلى 250 مم. وقد أمكن، خاصة في الجهة الموالية للأطلنتي من الصحراء، تلاقي التشكيلات النباتية المنتمية للنطاقين المتوسطي والساحلي.

والنيوليتي هو بامتياز مرحلة إبداع الإنسان لكل قواعد الحضارة الحديثة، اكتشفها وطبقها ونشرها إنسان الشرق الأدنى، الذي وضع حدا لوجود طويل طبعه سلوك الاستهلاك السلبي، ودشن عهد الإنتاج المسؤول داخل خلايا اجتماعية مهيكلة. قامت شعوب الهلال الخصيب بعمليات تدجين كل أنواع الماشية وانتخاب المزروعات الأساسية التي لازلت تعتمد عليها تغذية الإنسان إلى الآن.

وتبعا لذلك، اختفت من مصاطبنا الغريبة الأنواع المعتدلة وعمت بها بقايا الحيوانات الداجنة والنباتات المزروعة.

4 . اعتبارات في الربط بين الرباعي المغربي والعام.

استخلصنا العديد من المعلومات المعتمدة في تمثل البيئات القديمة من عناصر "الرباعي القاري". نظرا لأمانته في التحصيل المباشر للآثار البيومناخية والبشرية. لكن سلسلات الرخويات التي لعبت الأدوار الأولى في التاريخ الدقيق لمستويات الحقب الثالث البحري قد افتقدت في ضبط التسلسل الرباعي القاري. فحسب الملاحظات القائمة، يبدو أن رخويات المياه العذبة، والمجال القاري عموما، بقيت على حالها بدون تغيير معبر منذ نظام الميوسين وحتى الآن. في المقابل، نجد مستويات الرباعي البحري غاية في الترتيب. لكن البحار منفتحة تعطي توزيعات أوسع للأحياء، والتأثيرات المناخية تصل مؤجلة وملطفة في وقعها على الكائنات البحرية. وهي مع ذلك لا غنى عنها في وضع الرباعي إجمالا في مسار التطور الأحياني العام، الذي يخضع للمرجعية البحرية بالمستوى الأول، وفي ربط الرباعي المحلي أو الإقليمي بالأحداث الكبرى التي عرفها الحقب على الصعيد العالمي.

يتم الربط مع التذبذبات المناخية الكوكبية بفعل انفتاح المحيطات على تمدد وتقلص العمامات الجليدية القارية الكبرى وتأثير ذلك على تغير منسوب الماء على السواحل، من خلال الآلية المعروفة بالهزهزة الجليدية. يتسبب التجلد في احتجاز مناسب مياه المحيطات وهبوط لمستوى سطح البحر وتراجع للسواحل، كما يسمح التسخين البجليدي بغمر متفاوت على حساب القارات. ولهذه الحركة علاقة من نفس القبيل من التذبذبات المطيرة والبمطيرة التي حصلت في عروضنا.

مثلما يكون كل دور رباعي من مطير وبمطير لهما آثار مباشرة على البيومناخات يعرف بها، تتفصل المصطبة الساحلية إلى مستوى غمري ومستوى تراجعي دالين عن المناخ الكوني. تكون مواد الغمر بحرية خشنة ومواد الانحسار قارية يغلب عليها التشكيل الكثيبي. وتقاس أهمية الأدوار بقياس العناصر ومدى انتشار المستويات ومدلول المستحاثات، مع احتساب وحصر التشوهات التي تحدثها البنائية على السواحل.

تنتسب جل أدوار الرباعي الساحلي المغربي إلى مواقع مرجعية في نواحي الدار البيضاء، التي تعتبر من أهم المواطن في الموضوع على الصعيد العالمي. تقليديا، يوافق الدوران الساحليان : المغربي والفواراتي، البليوسين الأوسط والأعلى، ويتجزأ الرباعي البحري ذاته إلى : المسعودي، المعارفي، الآنفاتي، الهاروني، الولجي ثم الملاحي. وقد صنفت كلها على أساس مجموعات كثيرة ومتنوعة الغنى من القواقع المنتمية أساسا إلى صف معديات الأرجل من شعبة الرخويات.

لازال للبحث مستقبل خصب في قضايا طبيعة التزامن بين ثنائيات الفترات الجليدية - بيجليدية في العروض العليا والمطيرة - بيمطيرة عندنا، وفي قواعد الربط بين مستويات الرباعي القاري والساحلي، وفي صيغة التجفيف والترطيب داخل الصحراء وعلى هوامشها المتوسطية والمدارية عبر الرباعي...

وإن كانت ملامح الربط والتقاطع عديدة، مثلا بين شقي الرباعي القاري والبحري.

إذ يبدو أن عموم قواقع الغمر تدل على أوساط حارة، الأمر الذي يؤكد التوافق بين الغمر البيجليدي الكوكبي، الدال على بعض التسخين المفضي إلى الاعتدال في العروض العليا، وطغيان المناخات الحارة بالمغرب. كما أن الحرارة هنا لا تعني أكثر من شبيه الجو السائد حاليا، بتفاوت ضئيل، حيث نخلص آخر الأمر إلى المعادلة القابلة للتعميم :

المناخ الحالي (بالمغرب) = مناخ الغمر = البيجليدي الكوكبي

وبما أن المناخ الحالي يوجد في موقع البيمطير عندنا، تصبح المعادلة :

البيمطير المغربي (حار وجاف نسبيا) = البيجليدي الأوربي (المعتدل) وعليه يأتي :

المطير المغربي (معتدل) = جليدي العروض الوسطى (جمدي)

وذلك ليس فقط بالإسقاط والتوافق الطردي فحسب، ولكن كذلك لأن المسألة قد حظيت بنصيبها من البحث. فقواقع الأوساط الباردة قد برزت بصفة متميزة عقب المغربي والمعارفي والهاروني، وجاءت موافقة على التوالي لفترة ازدهار البحيرات بمغرب البليوسين الأوسط، وللمطيرين العميري والسلطاني اللذين سبق أن عرضنا لتميز جزالة الأحياء ورخاء الطبيعة فيهما.

ومع توالي تجميع القواقع، حصل التدقيق في مفهوم سخونة وبرودة الأوساط وانتهى بالإحجام عن التأويلات المتطرفة. فكما كان التخلي عن تأويل السخونة بالاعتماد على الوحيش المزعوم "الشيلي - البيرواني" البعيد عن أوساطنا، تأتت مراجعة قواقع البرودة التي كان يعتبر أصلها مغرقا في الشمالية (ربما نرويجيا)، والعودة إلى إقرار برودة نسبية، من قبيل الموجودة حاليا في النطاق المعتدل، نعتت بكونها شبيهة بالإقليم الفرنسي - الإيبيري. وكلها استنتاجات تامة التوافق مع الخلاصات المحصل عليها في المجال القاري للسايس مثلا، ثم جاءت على غرارها العديد من النماذج الإقليمية في جهات أخرى من بلاد المغارب.

عرف الحقب الرابع، على قصره، تسارعا مهولا في التاريخ الطبيعي لسطح الأرض. بلغ التطور الأحيائي، في فجر الرباعي، ذروة التنوع تحت تأثير أكبر صيغ التشعب المناخي من القمم الجليدية إلى النهايات الصحراوية. اكتسبت الجبال الحالية، على مداه، أكبر قسط من أحجامها التضاريسية، معددة الطبقات البيومناخية وموفرة مقادير متزايدة من الموارد المائية. ثم تدخل العقل البشري في تدبير الموارد وإعداد التراب. لكن رغم الوفرة والتنوع في المؤهلات، يوجد العالم حاليا على حافة انهيار التوازنات الطبيعية بفعل الجشع الطاغي على المشاريع البشرية انطلاقا من الكيانات الكبرى في المعمور. وصلت تكنولوجيا الصناعات جدا من التأثير أصبحت معه قادرة على التدخل في التوازنات الغازية والحرارية المهيكلة للغلاف الجوي والحاسمة في توازن الأرض إجمالا، دون مراعاة للحدود ولا تمييز بين المذنب أو المأخوذ في الشراك. بل إن البلاد الموجودة على الهوامش الجغرافية الهشة، والراكبة منها حدود الصحراء على الخصوص كالمغرب، هي التي تؤدي الثمن الأغلى في عملية الاختلال الملم بالكوكب.

لا شك أن عالمنا الآن، المتشابك المصالح أكثر من أي وقت مضى، في حاجة إلى استراتيجيات إعادة تأهيل الطبيعة وفك الضغوط عنها، بعيدا عن هواجس الكسب السريع وحرب النجوم، واستثمارا للمؤهلات الخيرة الهائلة التي وضعها الرباعي أمانة بين أيدينا.

G. Beaudet. *Le quaternaire marocain : état des études. R.G.M.*. Rabat, 1971. 3 - 56 ; W.A. Berggren and J.A. Van Couvering, *The Late Neogene : Biostratigraphy, Geochronology and Paleoclimatology of the last 15 million years in marine and continental sequences. Palaeogeography. Palaeoclimatology, Palaeoecology*. vol. 16. n° 1/2. 1974 : P. Biberson. *Le cadre paléogéographique de la préhistoire du Maroc atlantique*. Rabat. 1961. 235 p. : Ph. Brébion, *Etude biostratigraphique et paléoécalogique du quaternaire marocain. Ann. Paléont.*. 65. 1979, 1 - 42 ; H.F. Lamb. U. Eicher et V.R. Switsur. *An 18000 - year record of vegetation, lakelevel and climatic change from Tiguelmamine. Middle Atlas. Jour. Biogeog.*, 16. 1989. 65 - 74 ; D. Fassi. *Les formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès : du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols* Rabat. 1999, 527 p. ; *La forêt dans l'histoire de la terre. In : Le grand livre de la forêt marocaine*. Belgique. 1999. 10 - 23.

إدريس الفاسي

الرباعيُّ (نقد) أو الرباعية الدرهم الرباعي هو خاص الدرهم الموحدي، وقد استمر إصداره على الشكل المربع منذ عهد الموحدين إلى العهد العلوي حتى ألغاه السلطان مولاي رشيد العلوي (انظر الدرهم في المعلمة) والرباعية (عملة) وهي تصغير الرباعي في الدارجة المغربية استعملت كمصطلح نقدي بمختلف الجهات فيختلف نطقه وينطق في سوس (رباع) بسكون الراء أو (ربا) بحذف العين جمعه "أربيع" كما ينطق (رباعية) في جهات أخرى من البلاد. ولا يقصد به في المجال النقدي جزء من أربعة، وإنما يقصد به واحد من خمسة، فالريال في سوس من خمسة (أربيع)، فيطلق (رباع) على البسيطة في صرف الريال الإسباني، كما يطلق على الفرنك في صرف الريال الفرنسي، ويعبر على القطعتين في الظهائر السلطانية، بحيث تسمى البسيطة "بسيطة ذات المدافع" والفرنك (بسيطة بدون مدافع) (*الاستقصا*، 9، 64) كما عرف الريال الحسني في سوس بأنه من خمس بساسيط أو من خمسة "أربيع" (*المعسول*، ج. 3، 275، هامش 2) والربع أو رباعية في هذه الحالة عملية حسابية تتكون من درهمين شرعيين، باعتبار أن الريال الحسني من عشرة دراهم وهو مايوازي فرنكاً فرنسياً أو البسيطة الإسبانية في النظام اللاتيني.

ولم تعد كلمة رباعية مستعملة في المجال النقدي اليوم، وإنما تستعمل في الكلام للتندر، للتقليل من قيمة الشيء، يقال: "لا يساوي رباعية" وعرفت رباعية كنوع من المدافع التقليدية. أما لفظة الرباعي، فقد استعملت في الأشعار، يقال جاء "بكلام رباعي" أي موزون مثل الرباعيات كما في رباعيات الخيام.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9، ص. 64؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 3، ص. 275؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، ص. 403.

عمر أفا

رباعيات الأشعة. تنتمي رباعيات الأشعة إلى الإسفنجيات وهي حيوانات بدائية رغم تعدد خلاياها. فهي في مراحلها البدائية على شكل كيس مخاط بغشائين اثنين، مفتوح في إحدى نهايتيه بفتحة يدخل منها الماء إلى داخل الجسم بينما باقي الجسم يظهر ثقوباً صغيرة عديدة وهي فتيحات يخرج منها الماء بعد ما يمتص منه الاسفنج ما هو في حاجة إليه من مواد غذائية وأكسجين.

وكباقي الإسفنجيات تتوفر رباعيات الأشعة على هيكل متكون من أشواك زجاجية ذات أربعة رؤوس ليس لها أعضاء متميزة وإنما تعتمد في وظائف حياتها على هجرة بعض الخلايا التي تقوم بدور الأعضاء المختصة في تلك الوظائف. يمكن لرباعيات الأشعة أن تتكاثر إما بطريقة جنسية أو لاجنسية. ففي الحالة الأولى فإن معظم هاته الاسفنجيات أُحادية الجنس يحمل نفس الفرد منها حيوانات منوية وبويضات يلقي بها في الماء خارج الكيس الإسفنجي ليتم الاخصاب في الماء. في حالة التكاثر اللاجنسي تظهر على جسم الإسفنج براعم صغيرة تحمل تقريبا كل الأنواع والخلايا الموجودة لدى الاسفنج الأم، لتنفصل فيما بعد عن هاته الأخيرة وتعطي أفراداً أخرى.

تنتشر رباعيات الأشعة في كل بحار ومحيطات العالم في الساحل حتى أكبر الأعماق فوق دعامات صلبة أو مدفونة جزئيا في الرمال. ورباعيات الأشعة من أقدم الحيوانات المعروفة حيث إن هناك مستحاثات تشهد على حقبة الكمبري للعصر الجيولوجي الأول.

تجدر الإشارة إلى أن السواحل المغربية تتوفر على أكثر من 300 نوع من الإسفنجيات يعيش معظمها في الجرف القاري إلا أن بعضها عثر عليه على أعماق تتعدى ألفي متر.

Anonyme. *Les spongisiens* nº 25, 1973 ; R. Bouchet Chanton, *Zoologie I, invertébrés*, Paris, 1962.

محمد صبري

الرُّبُّ، شراب لزجٌ مستخرج من عصير العنب؛ ورد ذكره عند الشريف الإدريسي باسم أمازيغي "آنزيز" وفي مصادر أخرى "أنزيز" (*نزهة المشتاق*، 3، 228؛ *الروض المعطار*، 330)، وترجع بداية إنتاجه واستهلاكه إلى فترة حضارات التاريخ القديمة كالحضارة الرومانية. أما أماكن الإنتاج والاستهلاك ودوافعه في المغرب فتفيد النصوص التاريخية الوسيطية في ذلك كثيراً: فصاحب الاستبصار (ص. 211) قال عن مصامدة جبل درن: وهم لا يستغنون عن شربه لشدة برد الجبل وثلجه".

واهتم الشريف الإدريسي بطريقة صنع واستهلاكه فقال: "... وهو حلو يسكر سكراً عظيماً. ذلك أنهم يأخذون من عصير العنب الحلو فيطبخونه بالنار إلى أن يذهب منه الثلث ويزال عن النار ويشرب ... وأهل السوس الأقصى يرون شربه حلالا ما لم يتعد به إلى حد السكر (نزهة، 3: 228). ومن المعلوم أن طبيعة جبل درن في التاريخ القديم ومعظم فترات العصر الوسيط كانت في البرودة شبيهة بالمناطق القطبية (*Géographie du Maroc*. 16, 17, 18 ..).

تعدّى استهلاك الرُّب الدوافع والأسباب التي أشرنا إليها فأصبح يُستهلك كمادة منشطة ومسكرة بل ومادة غالية الثمن ومن الكماليات التي لا تتوفر للجميع في معظم الأوقات؛ وقد حدثنا عن ذلك وعن مدى حجم الاستهلاك في إحدى المناسبات ابن صاحب الصلاة الذي يتكلم عن مشاهدة فقال: "خرج الخليفة (أبو يعقوب يوسف الموحدي) يوم الجمعة 22 ربيع من نفس السنة

566) إلى البحيرة خارج حضرة مراكش فأُطعم العرب والناس الوافدين وميزهم مدة 15 يوماً يدخل كل يوم في البحيرة أزيد من 3000 رجل وقد صنع ما تقدمت العادة به : نهر من رُبّ كلما زالت طائفة وقامت مشت إلى موضع الخليفة وسلمت عليه ودعا لها نهضت إلى ساقية الرُّب تشرب وتطرب ..." (*المن بالإمامة*، 433)

هكذا أصبح استهلاك الرب رسمياً أي أن بيعه وإنتاجه أصبح معترفا به من لدن المخزن الموحدي، مما جعل المبالغة في الإنتاج والاستهلاك والانتشار تحدث أضراراً بالمجتمع وبالمخزن نفسه وهيبته فبدأ يعمل على ضبط الإنتاج والاستهلاك والتسويق، وهذا لا يعني أن المخزن الموحدي شجع على تناول الرُّب وإنتاجه بل ارتبط ذلك في تقديري بالازدهار النسبي الذي عرفته الفلاحة بصفة خاصة والمستوى المعيشي الرفيع في عهد الخلفاء الثلاثة الأوائل.

وتفيدنا الطبونيميا لمدينة مراكش في اتجاه ضبط المخزن للرُّب، فأحد أبواب مدينة مراكش يحمل اسم "باب الرُّب" مما يعني أن المخزن خصص لدخول هذه المادة إلى المدينة بابا عليه حراس محتسبون وغيرهم من الأعوان حتى يتم التحكم فيه ؛ لكن هذا الإجراء وحدهُ لم يحد من انتشار تجارة الرب واستهلاكه، فقد تعدت جبل درن والمصامدة إلى سائر أنحاء الأمبراطورية الموحدية وبخاصة إلى الأندلس (*مجموع رسائل موحدية*، 164 . 165)، فجاءت التعليمات والقوانين الصارمة بعد ذلك. وقد روعي فيها منهج التدرج على غرار ما ورد في القرآن الكريم من النهي عن الخمر وعدم الإفراط إلى التحريم التام. فهذا الخليفة الأول عبد المومن يُصدر أوامره في الموضوع : "... الله الله في البحث على الخمور... ومروهم بالتعهد لمواضع بيع الرب واعتصاره وخذوهم موقف حدهم على ذلك واقتصاره، فما حل منه أباحوه وما كان غير ذلك قطعوه أصلا" (*مجموعة جديدة من الرسائل*، 18).

ثم جاءت تعليمات الخليفة عبد المومن متشددة بخصوص ثلاث مشاكل كانت تظهر في بعض حواضر الأمبراطورية وبواديها (الصلاة والزكاة والرُّب) : "... فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة يقتل ... بائع الرب ... يقتل" (*مجموع رسائل موحدية*، 133)، ويبدو من خلال المصادر التي تناولت العهود اللاحقة أن الناس استغلوا الغموض الحاصل في تحديد المسكر وغير المسكر من الرب أي الحلال والحرام منه فتمادوا في استهلاكه وما ترتب عن ذلك من مشاكل وتناقضات، فجاءت أوامر الخليفة الثالث يعقوب المنصور للحسم في الموضوع :

جاء في الرسالة 28 من أمير المومنين يعقوب إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بإشبيلية : "... فإن الناس تجوزوا في أمر الرب تجوزاً أغفلوا فيه فرتعوا حول حماه رتعاً أوقعهم فيه أوكاد وتسامحوا فيه تسامحاً خرق المتعارف من المأذون فيه والمعتاد، وحاول اتخاذه وبيعه مَن لا يتوقف على احترام، ولا يتخوف بما يكتسب من آثام... والذي أطلقه هذا الأمر العزيز منه وأجاز فيه مباح البيع والشرا، ما أنهي طبخه غاية الإنها، وميز جرمه في قوام الطلا... ولما تقرر عندنا من الالتباس في ذلك ما تقرر، وتردد على أسماعنا ما استرسل فيه وتكرر، وعلمنا أن الذي وسع على الناس من اتخاذه لم يتبين لهم الحق فيه على وجهه ولم يتحرر، وأن ذلك مما يصعب عليهم بسبب ما تساهلوا فيه ويتعذر، رأينا... أن قطعه بالكلية أُخلق بالاحتياط لديهم وأجدر... فإذا وافاكم كتابنا هذا فاقطعوه جملة وتفصيلا، ولا توجدوا أحداً إلى بيعه سبيلا" (*مجموعة رسائل موحدية*، 164 و165 و166 و167).

وبعد العهد الموحدي استمر إنتاج الرُّب واستهلاكه لكن بكيفية متقطعة تبعاً لسنوات الرخاء والسنوات العجاف، وتحول شكله والغرض منه فأصبح يدخل في التغذية في البوادي الفقيرة. ومن الأسماء التي ظهر بها منذئذ وإلى اليوم الدُّبس والصامت وغيرها من الأسماء، التي تختلف عبر التاريخ والجهات، وكلها مشتقات من العنب (*المقصد*، 122).

ل. بروفنصال، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب *الدولة المومنية*، الرباط، 1941 ؛ أ. عزاوي، مجموع جديد من رسائل موحدية، تح. ودراسة مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1986 ؛ الإدريسي الشريف، *نزهة المشتاق*، نابولي إيطاليا، د. ت. الجزء 3 ؛ ابن عبد المنعم الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار*، الاسكندرية، 1958 ؛ ابن صاحب الصلاة، *كتاب المن بالإمامة*، بيروت، 1964 ؛ ع. الحق بن إسماعيل البادسي، *المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف*، الرباط، 1982.

Martin (et al.), *Géographie du Maroc*, Paris, Casablanca 1967

محمد حجاج الطويل

الـرُّبّ (باب –) ويسمى أيضاً باب القصر (*الذيل والتكملة*، 8 . 1 . 251) يقع في أقصى غرب الواجهة الجنوبية للسور المرابطي بين باب الصالحة شرقاً وباب الشريعة غرباً (*مسالك الأبصار*، 133).

ينسب الباب في تسميته إلى شراب الرُّب، وهو الباب الوحيد بين أبواب المدينة الذي ينسب إلى منتوج غذائي. وليس الرَّب بالضرورة خمراً لم يتحول إلى مسكر. ولذلك فهنالك الرُّب المباح مثل رب التوت ورب السفرجل وربّ الرمان. (*كتاب الطبيخ*، 255 . 256) والرُّب الحرام وهو "الشراب المسكر المتخذ من عصير العنب والتمر أو غيرهما ويترك حتى يختمر" (*المعجم الوجيز*، 599). ودون شك فإن النوعين معا كانا معروفين والتمييز بينهما لم يكن مستعصياً على سكان المدينة (*المن بالإمامة*، 113) خاصة



زُن له قواعد فقهية ضابطة له، وإطاراً مخزنياً ينظم رواجه بالمدينة، يشرف عليه أمناء مكلفون بالمراقبة، من مؤهلاتهم القدرة الكافية على التمييز بين الحلال من والحرام ومعرفة ما يجوز شربه وما لا يجوز... ومن مهامهم إباحة الأول ومنع الثاني (رسائل موحدية جديدة، رسالة رقم : 26 ـ نظم الجمان، 197 ـ 198).

وبديهي أن اسم الباب ينسب إلى الصنف المسموح برواجه. ولدعم ذلك نكتفي بإبداء ملاحظتين. أولاهما : أن غالبية سكان المدينة الجدد من مصامدة الجبل، ومن تقاليد تغذية هؤلاء أن "أكثر عيشهم إنما هو من العنب والزبيب والرُّب، وهم لا يستغنون عن شربه لشدة برد الجبل" (الاستبصار، 21). ثانيهما استهلاكه على نطاق واسع وبشكل رسمي في المدينة على الأقل قبل خلافة المنصور. يقول ابن صاحب الصلاة : "فأطعم... أبو يعقوب يوسف... العرب والناس الوافدين وغيرهم، مدة خمسة عشر يوماً... وقد صنع ما تقدمت العادة به نهراً من رُبٍّ ممزوج بالماء، كلما أكلت طائفة وقامت مشت إلى موضع الخليفة... وسلمت عليه ودعا لها ونهضت إلى ساقية الرُّب تشرب وتطرب" (المن بالإمامة، 344).

ومن الملاحظتين قد لا يستبعد أن الجبل كان نقطة من نقط الإنتاج، ومراكش كسوق وباب الرُّب نقطة عبور للإنتاج، خلاصة يقوي منها موقع الباب نفسه الذي يجعله مفتوحاً على الجبل.

لا يعرف بالتدقيق تاريخ تأسيس هذا الباب، هل هو بالذات تاريخ بناء السور ؟ أم بعده ؟ والمؤكد أنه كان موجوداً على الأقل منذ القرن السادس (12 م) من حكم الموحدين، حيث أشار ابن عبد الملك إلى أن العالم اللغوي أبا موسى الجزولي قد مرَّ منه صُحبة أبي القاسم بن المالقي رئيس طلبة العلم في عهد حكم المنصور (الذيل والتكملة، 8، 1، 249 ـ 251). وقد رجَّح دوفردان هذا العهد بالذات كتاريخ لتأسيس باب الرُّب (*Marrakech*, I : 242 - 243).

من الوظائف التي أداها باب الرُّب، يمكن تسجيل الوظيفة المجالية حيث كان يمثل نقطة التقاء بين المدينة المرابطية وحومة أكادير وحومة الصالحة، ومحطة من محطات العبور بينها والمصلى وسوق بيع البقر والغنم والأطلس الغربي. ثم الوظيفة الأمنية كباب له مهام دفاعية بحيث يجعل باب أكناو المجاور له باباً ثانياً أكثر منه باباً وظيفياً (*Marrakech*, I : 231) وموقعاً لإرسال خطاب الترهيب والترغيب من خلال تعليق رؤوس الخارجين عن الطاعة فوقه (روض القرطاس، 391). ومركزاً لمراقبة التحركات البشرية من وإلى المدينة واستخلاص مستحقات الجباية (إتمام العسيني، 1، 229).

لبناية الباب شكل يشبه المستطيل، وتتكون من باب خارجي وآخر داخلي، يربط بينهما ممر منعرج وفضاء مكشوف وقاعة مغطاة بقبة ذات زاوية بارزة يفصل بين نصفيها قوس نصف دائري تجاورها قاعة صغيرة ذات شكل يقرب من المستطيل (*Les portes*, 124).

رسائل موحدية، نح. أحمد العزاوي، ج. 1، الدار البيضاء، 1995؛ مجهول، *كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين*، تح. هويثي ميراندا، مدريد، 1961 ـ 1962 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، تح. عبد الهادي التازي، بيروت، 1987 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، تح. سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي، بيروت، 1990 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، السفر الثامن، تح. محمد بنشريفة، الرباط، 1984 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1973 ؛ ابن فضل الله العمري "الاستبصار في مسالك الأمصار"، تح. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، 1988 ؛ ابن تكلات، *إتمام العسيني*، تح. م. رابطة الدين، د.د.ع، كلية الآداب، الرباط، 1986 ؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، 1995.

C. Allain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech*, Hesp., T. XLIX, 1957 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1959.

محمد رابطة الدين

الربّاع (أحمر) ← تاربّاعت

الربّاع، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة جبل حبيب وقد انقرضت بهذه المدينة، مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت توجد بحومة الطرانكات دار تحمل اسم هذه الأسرة.

م. ابن عزوز حكيم، *كتاب أسماء عائلات تطاون والمراجع العربية والأجنبية* في الرقم 1622

محمد ابن عزوز حكيم

رباني، محمد، مقاوم ولد سنة 1935 بأكادير، وأثناء فترة شبابه تشبع بأفكار الحركة الوطنية، وانخرط في صفوف المقاومة المغربية، وانضم إلى المنظمة المعروفة بـ"الفرقة المتطوعة التابعة "للمنظمة السرية" بأكادير، لمقاومة الاحتلال الفرنسي، وذلك سنة 1953 وكانت مشاركته فيها فعالة، إذ ساهم في تدبير عدة أعمال فدائية، وتبنت منظمته كامل مسؤوليتها عنها، ومنها :

ـ إشعال النار في مزرعة أحد المستعمرين، الواقعة على الطريق المؤدي من إنزگان إلى تيكوينْ سنة 1953.

ـ تحرير المناشر ورسائل التهديد التي وزعت على أرباب السفن الخاصة بالصيد البحري، وعلى أرباب المتاجر الكائنة بأگادير وإنزگان.

ـ إشعال النار في مزرعة الدكتور غُوسال الواقعة في أولاد دحُو بالكلومتر 33 بين أولاد تايمة وأگادير.

ـ الإشراف على شراء الأسلحة من تندوف، بواسطة المقاوم السيد إدبُويا الخليل.

وكان هذا المقاوم يقوم بأنشطته الفدائية بتنسيق مستمر وتام مع رفاقه في الكفاح، وبصفة خاصة مع المقاومين : رافعي سعيد، عبد القادر الجزائري، ناشيدي عبد الله والنوصيري محمد (أوشن).

وقد تمكنت الشرطة الفرنسية من إلقاء القبض عليه وعلى بعض رفاقه، وقدمتهم إلى المحكمة الابتدائية بأگادير التي نظرت في قضيتهم، وأصدرت في حقهم عدة أحكام. حكمت على المقارم رباني محمد بالسجن بتهمة الإخلال بالأمن العام وتحرير وتوزيع المناشر وإشعال النار. وسُجن بسجن الصويرة إلى أن أطلق سراحه، وانضم إلى جيش التحرير بعد ذلك. وبعد الاستقلال، تفرغ للقيام بأعمال حرة ولشؤون أسرته، وهو متزوج وأب لأربعة أبناء.

معلومات عن قدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، بسجلات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير ـ نيابة الرباط ؛ *تقرير عن الأعمال الفدائية* التي قامت بها الفرقة المتطوعة التابعة للمنظمة السرية، من إنجاز السيد رباني محمد، وقُدِّم أمام لجنة التصفية المكلفة بمنح صفة مقاوم بأگادير ؛ *شهادة عبد الله النوصيري* (أوشن) على شكل استجواب محرر بتاريخ 25 و26 نونبر من سنة 1986 ؛ نبذ عن حياة قدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، وهي على شكل وثائق مرقونة، توجد بالمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، نيابة أگادير.

خاليد أوشن

الرَّبُّوسُو El Raposo، قائد من العلوج البرتغاليين كان عاملاً على تازا من طرف السلطان مولاي عبد الملك، وفي ليلة 3 غشت 1578 فر من معسكر السلطان المذكور صحبة الأمير مولاي الناصر بن عبد الله الغالب والتحق بمدينة أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال.

B. Morales, *Jornada de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla 1622 y Madrid 1889 ; I.M. de Queiroz Velloso, *Don Sebastian* (Traduccion Española por Ramon de Garcia Soler), Madrid, 1943, p. 260.

محمد ابن عزوز حكيم

الرِّبُّون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ripol ؛ وأما أفراد هذه الأسرة الذين مكثوا بالأندلس بعد سقوط غرناطة فقد أرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ripoli - Ripoll ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية* في الرقم 705.

محمد ابن عزوز حكيم

الرِّبَرْتير، فارس وقومْط من نبلاء وقواد إمارة برشلونة وأَرغون، تسميه المصادر الإسبانية El Reverter أو رُوبـرْتُـو القَطَلوني. تختلف الأخبار بشأن انتقاله إلى المغرب، فهناك من يذكر أنه لجأ إلى المرابطين على إثر نزاع بينه وبين أمير برشلونة رامون برنجر الذي نزع منه ألقابه النبيلة وأمواله. بينما نجد في خبر آخر أن أمير البحر المرابطي علي بن ميمون أسره سنة 511 / 1117 في حملة بحرية ضد برشلونة، ووجهه إلى مراكش، فاعتنق الإسلام ولزم خدمة أمير المسلمين علي بن يوسف، الذي أسند إليه قيادة فرقة الروم في الجيش المرابطي فعرف بـ "قائد الروم)". وكانت هذه الفرقة مكونة من مرتزقة وأسرى مسيحيين، وأرقاء حصل عليهم المرابطون بالشراء من شواطئ جليقية وقطالونيا وغيرها.

ظهر نشاط هذا القائد في مواجهة حركة الموحدين بقيادة عبد المومن بن علي الگومي بعد وفاة المهدي بن تومرت، حينما طاردها الأمير تاشفين بن علي والربرتير في منطقة جزولة. وقاد الربرتير حملات متعددة لمحاربة الثوار الموحدين، وتمكن من التغلب عليهم عدة مرات بنواحي مراكش. وتسميه المصادر الموحدية بأسماء مختلفة، فهو عند البيدق الشنيور (Señor) أو الأبرتير، بينما تسميه رسالة رسمية موحدية بالعلج الأعرج.

تفرغ الربرتير ابتداء من سنة 533 / 1139 لمطاردة جيش عبد المومن في معارك طويلة متتالية، بنواحي حاحة في نفس السنة، وبأمزميز سنة 534 / 1140، وبأكطرور سنة 535 / 1141، فهزم المرابطون وجرح الربرتير ورجع إلى مراكش، ثم قاد حملة جديدة ضدهم بغيغاية والسوس. ولما أحس الموحدون بأن انتصاراتهم في هذا المنطقة المحدودة لم تترتب عليها نتائج حاسمة، نقلوا تحركاتهم إلى مناطق شمال المغرب، فأتبعهم أمير المسلمين تاشفين بن علي بعسكره ومعه قائده الربرتير، فاستقروا مدة بفاس لمراقبة تحركات الموحدين الذين يطوفون جبال فازاز وغياثة ويخضعون قبائلها. ثم انتقلت المطاردات إلى جبل لجاية وصنهاجة شمالي فاس، وقد هاجم الربرتير جيش عبد المومن في نواحي تازغدرا وقتل في الهجوم من الطرفين عدد كبير، ثم كر إلى نواحي بني تاودة. فسار الموحدون إلى بني مزگلدة ونواحي قصر عبد الكريم، وتبعهم المرابطون فعسكروا بتهليط قرب القصر. وكان المرابطون في كل ذلك

يريدون اعتراض طريق الموحدين ليوقعوا بهم في معركة يحددون ساحتها، في الوقت الذي كان فيه الموحدون يتلافون المواجهة. لذلك خططوا من جانبهم لجر الجيش المرابطي في مسيرة جبلية صعبة سنة 536 / 1142 امتدت إلى قبائل غمارة وتيكساس والمزمة. ثم اتخذت وجهتها شرقا نحو تمسمان وبني يزناسن، ومن هناك إلى نواحي وهران وتلمسان. ثم رجعت الحملة المرابطية إلى مدينة فاس عند حلول فصل الشتاء، ووصلهم خبر وفاة أمير المسلمين علي بن يوسف سنة 537 / 1143. وفي هذه الأثناء نجح عبد المومن في إخضاع نواحي تلمسان، فلما قصدها المرابطون لاسترجاعها دارت بين الطرفين معارك في تراب بني سنوس، في غارات متبادلة بين الربرتير وبين عبد المومن للسيطرة على غنائم زناتة قتل فيها الربرتير سنة 539 / 1144 قبيل مقتل تاشفين بن علي في نفس المنطقة. وترك هذا القائد ابنا هو أبو الحسن علي بن الربرتير الذي أصبح فيما بعد من قادة الجيش الموحدي المرموقين.

البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*، تح. عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ط 2، 1986، ص. 135؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي، بيروت، 1990، ص. 140، 215، 237، 238، 263؛ ابن الأبار، *الحلة السيراء*، تح. حسين مؤنس، القاهرة، 1963، ج 2، ص. 13، 222؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1985، ص. 18، 19، 20؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1981، ج. 6، ص. 476؛ م. عبد الله عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، القاهرة، ط 1، ص. 232، 248.
A. Huici Miranda, *Historia politica del imperio Almohade*, Tetuán, T. 1, p. 112.

محمد المغراوي

ابن الربرتير، أبو الحسن علي ولد الفارس الرُبرتير Reverter سابق الترجمة. اعتنق الإسلام كذلك، وتحول إلى خدمة الموحدين وصار من قادة جندهم وأحد رجالات دولتهم. أرسله الخليفة يوسف بن عبد المومن رسولا إلى صاحب ميورقة محمد بن إسحاق ابن غانية سنة 580 / 1184 على إثر وفاة أبيه إسحاق بن محمد ابن غانية يدعوه وإخوته إلى الطاعة. وقد رحب محمد بن غانية برسول الموحدين وأبدى الاستعداد للدخول في طاعتهم، لكن إخوته رفضوا هذا الأمر واعتقلوه، واعتقلوا أيضاً ابن الربرتير ومن كان معه من بحارة السفينة الموحدية. فظل رهن الاعتقال إلى أن توجه أمراء بني غانية وقوادهم لمواجهة ضغط الموحدين على جيشهم بإفريقية سنة 581 / 1185، فانتهز فرصة غيابهم وداخل بعض مواليهم وجنودهم الأعلاج الذين علم برغبتهم في الرجوع إلى بلادهم، ووعدهم بمساعدتهم إذا هم سهلوا له الخروج من السجن، وفعلا أخرجوه وساعدوه على القيام بانقلاب في الجزيرة ضد حكم بني غانية، فسيطر على قصبة مدينة ميورقة وانتزعها منهم أواخر سنة 581 / 1185. وأطلق سراح حاكم الجزيرة السابق محمد ابن إسحاق بن غانية انضم إليه، فأقامه الثوار حاكما عليها باسم الموحدين وعزلوا أخاه حاكم ميورقة طلحة بن إسحاق بن غانية. ثم عاد القائد علي بن الربرتير إلى مراكش بعد أن سرح الجنود المسيحيين بأموالهم وأهليهم وأعادهم إلى بلدانهم وفاء بوعده لهم. وشارك بعد ذلك في معارك قفصة ضد بني غانية وقراقوش الغزي والأعراب سنة 583 / 1187 فأسر، وسلم لعبد الله بن إسحاق ابن غانية الذي أمر بتعذيبه حتى الموت.

ع. ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1985، ص. 175، 183، 184، 188، 189، 240؛ م. عبد الله عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، القاهرة، ط 1، 1964، ج. 2، ص. 147، 148، 156، 157، 161، 257؛ عصام سالم سيسالم، *جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار*، بيروت، ط 1، 1984، ص. 349، 353، 367.

محمد المغراوي

الرَبَض البرّاني بسبتة، أحد الأرباض الستة التي كانت تشكل أحياء مدينة سبتة في عصرها الإسلامي المغربي والربض البراني يصنف حتى الأرباض الثلاثة الموجودة على هوامش المدينة. ربما كان يحتل الجزء الأقصى من القسم الغربي للمدينة يحده غربا افراگ المتحدث في الفترة العربية (*معلمة*، 2 : 547).

فاصطلاح "البراني" يعني في العامية المغربية ما هو خارج عن المدار المركزي للمدينة. كان يشكل وحدة حضرية منغلقة محصنة بشكل قوي. كان يحيط بهذا الربض سور صلب البناء، تتوسطه خمسة أبواب (*اختصار*، 45). كما يفصله عن باقي الأحياء عدد من الحفائر. وكان يشكل مجالا حضريا مغلقا يصعب اقتحامه وذلك إلى حدود بداية القرن الثامن (14 م) حين أمر السلطان المريني أبو سعيد بهدم سوره الممتد من حافة الغدار إلى مضرب الشبكة (*اختصار*، 44).

من الصعب حاليا وفي غياب وثائق تاريخية جديدة ـ معرفة الخصائص العمرانية والبشرية التي كان يتميز بها هذا الحي. ومع ذلك نميل إلى القول إن الحي بحكم موقعه الجغرافي المطل على بادية سبتة كان أكثر الأحياء استقبالا للهجرة القروية. يقول ابن القاسم الأنصاري إنه كانت توجد به الحارة والكسابون أي مربو الماشية. وللحارة مدلولان في العامية المغربية ولا ندري أيهما المقصود في النص. فهي تدل على حفير تلقى فيه الجيف ونفايات النقدية. كما تدل أيضاً على معنى الحي أو "الحومة" حسب الدارجة المغربية (*اختصار*، 43، إحالة رقم 87). وقد نميل إلى الاعتقاد أن المقصود هو المعنى الثاني، إذ أن الحفير يكون عادة خارج أسوار المدينة حتى لا يؤذي نتنه. لكن، لذا لا يصح أن يكون داخل الربض. قد يكون الحي أكثر اكتظاظا بالساكنة من عامة الناس وهنا يمكن أن نجد جوابا للأسباب التي دعت

أبا سعيد المريني إلى هدم أسوار هذا الربض ربما لما كانت تشكله من خطر على السلطة القائمة. فثورات الأرباض معروفة في تاريخ الأندلس والمغرب ضد الجور والظلم وسوء التدبير. وقد سجل التاريخ للسبتين ثورات عديدة ضد قادتها نذكر من بينها ثورتهم ضد الينشتي (*Ceuta*, 92). ومن الثابت أن عامية السكان في سبتة شكلت عنصراً إيجابيا في الدفاع عن المدينة ضد الغزاة الأجانب كما حدث مثلاً سنة 632 / 1235 حينما حاول الجنويون اقتحام سبتة عنوة (*البيان*، 350).

أما المجال الحضري فالظاهر أنه كان أكثر بساطة من حيث طبيعة العمران.

ويبدو أن اختفاء هذا الحي حدث بشكل سريع جداً بعد سنة 818 / 1415، أي بعد الاحتلال البرتغالي للمدينة، بحيث لا نجد له ذكراً في المصادر المتأخرة.

ابن القاسم الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1403 / 1983 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تح. محمد إبراهيم التازي وآخرين، بيروت ـ لبنان، 1406 / 1985 ؛ *معلمة المغرب*، مطابع سلا، 1410 / 1985، المجلد الثاني.

زليخة بنرمضان

ربض فاس، يقع غربها وقرب القصبة الموحدية، على أرض صخرية صلبة عارية. وكانت تقيم عليها مجموعات من الدور، تشبه الأكواخ، وتضم ساكنة هامة.

وصفها لوطورنو بالقرى. وحدد الوزان عددها في خمس. الربض الثاني منها اعتبر كحارة للمجذومين، وكان يضم مائتي دار ؛ ويقع بين باب محروق وهضبة المرينيين، وقرب باب عجيسة، غير أن عدد دوره قد تقلص إلى الستين، في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م).

أما الأول من هذه الأرباض، حسب تصنيف الوزان ؛ فهو أكبرها حجما وأكثرها سكانا حيث كان يضم خمسمائة عائلة ؛ ويقع ناحية مطامير المرابطين. والثالث والرابع كانا يضمان على التوالي مائة وخمسين ؛ وأربعمائة عائلة، ويقعان شمال فاس الجديد. أما الخامس فقد وصف لُوطُورنُو دوره التي تبلغ نحو المائة بالأكواخ.

وإذا كانت فترة نشأة هذه الأرباض وبداية تدميرها مجهولة التحديد، فمن المرجح،أن بداية ظهورها، قد انطلقت، منذ فترة الحكم المرابطي، على اعتبار أن حراس مطامير القمح التي كانت موجودة بها هم الذين وضعوا نواة المساكن الأولى بها. ويفترض لوطورنو أن مباني قد شيدت خارج أسوار فاس منذ العهد المرابطي ولا يستبعد أن تكون من بينها هذه المجموعات من الدور التي تشكلت منها هذه الأرباض بعد تكاثرها مع مرور الزمن، ليصل عددها إلى الحجم الذي شاهده الحسن الوزان في بداية القرن العاشر (16 م). ويبدو أن بناءها كان قد تم بشكل عشوائي، حيث كان مجالها الجغرافي يفتقر إلى التخطيط والتنظيم. وتكثر الحفر في أزقتها وأسواقها.

وإذا حصرنا معدل عدد السكان في كل دار أو مسكن في ستة أشخاص فنصل إلى الأعداد التالية انطلاقا من المعطيات الإحصائية التي قدمها الوزان نفسه :

الربض الأول	: 500 × 6 = 3000
الربض الثاني	: 200 × 6 = 1200
الربض الثالث	: 150 × 6 = 900
الربض الرابع	: 400 × 6 = 2400
الربض الخامس	: 100 × 6 = 600
المجمـــوع	: 8100

فهذه الأرقام تبين أن تلك الأرباض كانت تحتضن تجمعا سكانيا هاماً، بالقياس مع الفترة المتحدث عنها. ومن المعلوم، أن هؤلاء السكان كانوا منحدرين من أصول مختلفة، مصمودية وصنهاجية وهلالية كانت قبائلها تكتسح نواحي فاس وجهاته، يضاف إلى ذلك فائض تلك الأعداد التي كانت تفد على المغرب، سواء من بلدان المغرب الكبير، أو من الأندلس مثل أهل قرطبة الذين حلوا بفاس ونواحيها فراراً من بطش الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الأموي أثناء معركة ربض قرطبة سنة 202 / 817، ثم إن ناحية فاس مثل باقي المناطق المغربية كانت تتعرض طوال العصور إلى هجرات بشرية متتابعة حُكم عليها بالتنقل والبحث الدائم عن الكلإ والمراعي. وقد عرف العهد السعدي وبداية فترة الحكم العلوي تحركات لهذه القبائل، كان أشد نشاطها في فترة المولى إسماعيل. وبذلك اقتربت عناصر القبائل من المدينة فأدمجت ضمن جماعات أخرى فتلاحمت وتلاقحت. ولا يستبعد أن تكون من أهم أسباب إقامة العديد من هؤلاء السكان بعد تكاثرهم في هذه الأرباض، ناتجة إما عن عدم توفر مدينة فاس على دور لإيوائهم لأنها كانت تضيق ذرعا بكثرة سكانها ؛ أو أنهم من أولئك الذين فقدوا أرضهم وأصبحوا يشكلون فائض اليد العاملة، في الحقول والمراعي. يقول الوزان : "... والفلاحون الذين لا يريدون البقاء في البادية ولا يستطيعون ذلك" فهاجروا إلى المدينة لاحتراف الأعمال. ولم يكن لهم من اختيار سوى الاستقرار في هوامشها، خاصة في جو الغليان السياسي الذي كانت تعرفه المنطقة في القرن العاشر (16 م). وكان سكان هذه الأرباض يتألفون، اجتماعياً، من فئات ثلاث :

أولاً : الفلاحون الفقراء الذين كانوا يعملون في الأراضي المجاورة التي كان أعيان المدينة يملكونها.

ثانياً : الحرفيون والصناع المتواضعون كالبنائين وخدام القصر والنقالين.

ثالثاً : تجار صغار في دكاكين متواضعة. والتجار المتنقلون في أسواق المنطقة كسوق الخميس الأسبوعي الذي كان حافلاً بالمنتجات الفلاحية التي كانت تنتجها حقول وبساتين المنطقة.

ولتأمين وضمان مستوى عيش متواضع، كان سكان هذه الأرباض يربطون علاقة إنتاج وعمل مع الجارة فاس.

فكانوا يقومون بخدمة أهلها. وقد فرض مجال تبادل المصالح على فاس، تزويدهم بالخدمات وإنتاج الحرف، والإشراف على إدراة شؤونهم، وتنظيم حاجياتهم. وبالمقابل كان كثير من سكان الأرباض يشكلون يداً عاملة، كانت تشتغل في مختلف الخدمات والإنتاج الحرفي، داخل المدينة. وبذلك كانت فاس وبما تقدمه من مناصب شغل، تقوم بامتصاص جزء هام من السواعد القادرة على العمل في تلك القرى.

ومع ذلك لم يكن بإمكان تلك الفئات من الحرفيين، والتجار والعمال خلق ظروف اقتصادية، تساعدهم على تحسين مستوى عيشهم أو تغييره ؛ ولذلك ظلت حاجاتهم البسيطة، بساطة مساكنهم، مرتبطة بقانون البقاء. فقد كانوا يشكلون "*فقراء القوم*" حسب تعبير الوزان. وحسب ما نستنتجه من المعطيات التي قدمها صاحب *وصف إفريقيا*، فإن عيشهم ظل مطبوعا على الدوام بالتقشف المستمر، وأن أغلبيتهم كانت تواجه بطالة مذلة وفراغا قاتلا. وحتى لو توفرت فرص الشغل لبعضهم، فهي إما مؤقتة أو موسمية مثل ما كانت تقدمه الحقول والضيعات الفلاحية المجاورة أو منجم وأفران الجير التي تستخدم الصخور المحلية أو القليل من الخدمات البسيطة التي تقدمها حارة المجذومين لمرضاها".

وكانت أوضاعهم الاجتماعية تزداد سوءاً إبان حدوث القحط والمجاعات كالذي حدث في المغرب في الفترة المرينية سواء سنة 678 / 1279 أو سنة 693 / 1293 أو كالذي حدث في الفترة السعدية "حيث عرفت فاس وناحيتها طوال العصر السعيدي فترات مظلمة تسببت فيها قلة الإنتاج الناتجة عن الجفاف والفيضان... فأدى ذلك إلى مجاعات مهولة" أو في فترة حكم العلويين حيث توالت سنوات الغلاء والقحط من 1721 إلى 1724 ثم في سنوات 1776 - 1779 ؛ 1782 - 1800 - 1818 - 1820 وما كانت تسببه من مجاعات وانتشار الطاعون في مثل هذه الظروف أو في ظروف التقشف والفقر والحاجة كان يعيش سكان الأرباض بفاس وهو ما كان يؤثر سلبا على حياتهم الاجتماعية خاصة عندما يضعف الحضور المخزني، أو يتوارى داخل المدينة ؛ أو يصبح متقطعا، فيقل الأمن ويفسح المجال أمام تدني السلوك السوي وانحطاط الفضائل وانتشار المفاسد، والرذائل واللجوء إلى الشعوذة ولكل مظاهر الانحراف. قال الحسن الوزان موضحا ذلك أثناء حديثه عن أحد هذه الأرباض : "بحيث يمكن القول إن هذا الربض هو ظرف لجميع أقذار المدينة" من هنا يمكن القول إن سكان هذه القرى كانوا يبذلون جهداً جهيداً، وعناء شديداً، لسد حاجياتهم اليومية المتواضعة، ونتيجة لذلك، فقد ظلوا أُسارى دائرة اقتصادية واجتماعية مغلقة لم يستطيعوا اختراقها. ومع هذا كله فقد استمرت عندهم شروط وضوابط تقليدية موروثة هي التي كانت تنظم حياتهم العامة واليومية، رغم ما كان يطبع حياتهم من هشاشة الاستقرار وقلة الأمن حسب ما أكده الوزان بقوله :

"... ولا يرى به (أي بالربض) أحد في الدكاكين بعد الساعة الثامنة مساء..."

وعلى اعتبار أن هؤلاء السكان كانوا يشكلون وحدات اجتماعية ؛ فإن تكيف عناصرهم وانسجامهم، جاء على ما يبدو، كنتيجة لتفاعلهم مع المعطيات غير الملائمة لوسطهم الاجتماعي والاقتصادي.

ج. ابن منظور، *لسان العرب*، 7 ج ص. 152 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980، ج. 1 ص. 215 ؛ روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، تر. م. حجي وم. الأخضر، ج. 1، ص. 110 ؛ م. حجي، حارة المجذومين بفاس، *معلمة المغرب*، ج 1، 10، ص. 3272 ـ 3273 ؛ *إحالة في وصف إفريقيا* ؛ ابن عذاري، *البيان*، تح. كولان ويرڤانسال، ج. 2، ص. 77 ؛ ابن الأبار، *كتاب الحلة السيراء*، تح. مؤنس، ج 1، ص. 44، وراجع كذلك *العبر*، ج. 4، 274 *ونفح الطيب*، ج 1، ص. 339 ؛ م. مزين، *فاس وباديتها* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 405 ـ 409، الرباط ؛ م. الأمين البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب*، الرباط.

عبد السلام السعيدي

الربضيون أصحاب الثورة العارمة بقرطبة يوم 13 رمضان سنة 202 / 25 مارس 818. المعروفة بثورة الربض، نسبة إلى ربض شقندة بالعدوة القصوى لقرطبة، وذلك على عهد الأمير الحكم الأول بن هشام بن عبد الرحمن الأموي (180 ـ 206 / 796 ـ 822) احتجاجا على توظيفه بعض المكوس، وعلى أشياء، تتعلق بذاته من بطالة وإخلاد لحياة اللهو والخمر، فنادوا بخلعه، وكان فيهم عدد من أهل العلم والورع من فقهاد قرطبة كيحيى بن يحيى الليثي وأخيه، وطالوت بن عبد الجبار وغيرهم. وقد قمعت هذه الثورة بقسوة بالغة، فانهزم الثوار وقُتل منهم أعداد كثيرة قدرت بعشرة آلاف رجل، وصلب على وادي قرطبة حوالي 300 من زعمائهم "فلم ير مُمثَّلون أكثر منهم عدداً ولا أهول منظرا" *(الحلة السيراء)*، وأُسرت أعداد أخرى واستُبيح حيهم ثلاثة أيام، فنهبت دورهم وأحرقت، ثم هدم الربض عن آخره فأصبح أثرا بعد عين وتحول إلى أرض زراعية. ولقب الأمير الحكم بسبب هذه البطشة الكبرى بالحكم الربضي، وبعد انقشاع غيوم الأزمة تنبه إلى العنف غير المبرر الذي ارتكبه فظل بقية حياته يعاني من الندم على تصرفه ذاك إلى وفاته سنة 206.

وبعد إخماد الثورة أمهل الربضيون من الثوار وغيرهم ثلاثة أيام لمغادرة الأندلس، تحت طائلة التعرض للقتل، فأجلى عدد كبير منهم عن قرطبة وتفرقوا في البلاد، ففضل عدد من العلماء والصلحاء التوجه شمالا إلى مدينة طليطلة التي كان أهلها مخالفين للحكم، وحصلوا بعد ذلك على أمان من الأمير الحكم يسمح لهم بالتوجه أنّى شاءوا

من الأندلس سوى قرطبة. وتوجهت جماعات أخرى من الربضيين إلى المشرق، قدر ابن القوطية عددهم بـ 15000 شخص، انتهى بهم المطاف إلى الأسكندرية، وبعد صراعات ومواجهات مع أهلها نقلوا إلى جزيرة اقريطش (كريت) في بداية حكم الخليفة المأمون العباسي فعمروها.

أما أغلب جالية الربض فقد حلوا بسواحل المغرب الأقصى، والتحق عدد كبير منهم بمدينة فاس التي كان أميرها الشاب الإمام إدريس الثاني (ت. 213) منشغلا في إتمام بناء الدولة المغربية الأولى في حماس شديد بدعم من القبائل المغربية، وممن كان يلتحق به من حين لآخر من المهاجرين العرب من المشرق والأندلس، وقد أحسن الأمير إدريس استقبال اللاجئين الجدد وواساهم في محنتهم وأكرمهم. وأقطعهم أرضا بالمدينة كان قد اشتراها من بني الودون الزواغيين بستة آلاف درهم، فأنشؤوا عليها عدوة الأندلسيين التي تنسب إليهم، "فاحتلوا بعدوة فاس، فهم عدوة الأندلس منها، فصيروها مدينة" (ابن عذاري)، وساهموا بذلك في تعمير المدينة وتوسيعها، خاصة وأن أعدادهم كانت كبيرة، فقد قدر المؤرخ ابن أبي زرع الفاسي عدد من استقر منهم بفاس بثمانية آلاف بيت. وقد ساكنوا في عدوة الأندلس بربر المنطقة من مصمودة وكرواوة وزناتة ولواتة وصنهاجة دون أن يقع بينهم تنافر يذكر. وقد بنوا أحياء العدوة الجديدة على طراز أندلسي، كما أنهم نقلوا عاداتهم الاجتماعية القرطبية وتقنياتهم في الصناعة والفلاحة. وقد أدمجت العدوة في مشروع العاصمة الإدريسية الحديثة، فأحيطت بسور ربطها بعدوة القرويين التي كان سورها قد بني سنة 193.

وفي غضون الأحداث التي تعرضت لها الدولة الإدريسية في مرحلة ضعفها في أوائل القرن الرابع (10 م) تفرق عدد كبير من أهل فاس، خاصة من الموالين للأدارسة، وكان منهم مجموعات من هؤلاء الأندلسيين توجهوا إلى بعض جهات تادلا، على الطريق بين فاس وأغمات، مثل موضع أوزقور، الذي سكنه "قوم يعرفون ببني موسى من ربضية الأندلس، فاستفسدوا إلى من جاورهم، وأساؤوا عشرتهم فحاربوهم، فغلب الأندلسيون وقُتل منهم كثير، وافترق باقيهم ببلاد أغمات، وبقي منهم بأوزقور يسير بالأمان، فهم بها إلى اليوم" (البكري). وقامت مجموعة من الربضيين ببناء مدينة أغيغى قرب ورزيغة على نفس الطريق، وسكنوها مدة، ثم أجلاهم عنها بربر المنطقة، فأخلوها وانتقلوا إلى مدينة وليلي، وبذلك تمزقت عصبتهم وتفرقوا جماعات صغيرة في مناطق متعددة، لذلك لم نجد بين أسر فاس التي ذكرها ابن الأحمر في *بيوتات فاس الكبرى* من ينسب إلى ربضية الأندلس. وقد لاحظ ابن عذاري أن الربضيين" لم يخرج منهم طائفة بناحية من نواحي الدنيا إلا وتغلبوا عليها، واستوطنوها على قهر من أهلها".

وبقيت فرقة من إينولتان المجاورين لدمنات، تسمى آيت واودانوس، ينتسب أهلها إلى الأندلس أيضاً، ولا يبعد أن يكونوا من بقية الربضيين. مما يؤكد امتزاج هؤلاء الأندلسيين بمرور الوقت مع سكان المناطق التي سكنوا بها، وغلبت الأمازيغية عليهم بمرور الزمن، ولم يعودوا يذكرون عن أصلهم سوى روايات بعيدة.

م. ابن الأبار، *الحلة السيراء*، تح. حسين مؤنس، القاهرة، ط 1، 1963، ج. 1، ص. 44 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، نشر دي سلان، باريس، 1911، ص. 155 ؛ ابن حيان الأندلسي، *المقتبس*، القسم الثاني، مخطوط، طبعة فكسملية، مدريد، الأكاديمية الملكية التاريخية، 1999، ص. 103 ـ 103 ـ 109 ـ 109 ؛ ل. ابن الخطيب، *كتاب أعمال الأعلام، قسم الأندلس*، تح. ليفي پروفنصال، بيروت، ط 2، 1956، ص. 15 ـ 16 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 47 ؛ م. ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، تح. كولان وليفي پروفنثال، تونس، ط 3، 1983، ص. 75 ـ 77 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1988، ج. 1، ص. 339 ؛ أ. النويري، *تاريخ المغرب الإسلامي من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب*، تح. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1985، ص. 89 ـ 90 ؛ لوطورنو، روجي، *فاس قبل الحماية*، تر. م. حجي، م. الأخضر، بيروت، 1986، ج. 1، ص. 76 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، إينولتان، 1850 ـ 1912، الرباط، 1983، ص. 57 ؛ هـ. العلوي القاسمي، *مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري*، الرباط، 1995، ج. 2، ص. 383.

محمد المغراوي

الربعي، عتيق بن عمران بن محمد بن عبد الله النفزاوي يكنّى أبا بكر، فقيه من أهل سبتة، كان محققا بفقه المذهب المالكي مع مشاركة في غيره من العلوم، كما كان من أهل الورع والأمانة. صحب أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين، وولاه قضاء سبتة مدة، ثم وجهه فيما يبدو برسالة إلى الخليفة العباسي ببغداد. وكتب في رحلته المشرقية هذه الحديث هو والعالم الشهير أبو علي بن سكرة الصدفي (ت. 511) عن أبي الفضل بن خيرون وأبي الحسن العاصمي وأبي عبد الله بن فتوح الحميدي الأندلسي (ت. 488) في حدود سنة 482. أقام المترجم بالعراق عدة سنوات تعمق فيها في الفقه والأدب، وسمع بها الحديث أيضاً عن أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الطيوري (ت. 500). وفي نفس الوقت أخذ عنه بعض علماء بغداد روايته عن شيخه الحسن بن محمد بن عمران الإشبيلي، وقد سمع منه أبو البركات هبة الله بن المبارك السقطي، وروى عنه في معجم شيوخه. ثم انتقل إلى البصرة فسمع من أبي يعلى أحمد بن محمد المالكي (ت. 490) وأبي القاسم عبد الملك ابن علي الأنصاري (ت. 484).

وبعد سنوات إقامته بالعراق تقفل راجعا إلى المغرب، فردت الريح مركبه إلى الأسكندرية، وهناك ألقى الفاطميون عليه القبض ووجدوا معه كتب الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله إلى الأمير يوسف بن تاشفين، فرفع إلى أمير الجيوش بدر الجمالي الذي قتله سنة 484. ويبدو أن فشل هذه السفارة هو الذي دعا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى تكليف سفارة أخرى بمهمة مماثلة لدى خليفة بغداد قام بها العالم الإشبيلي أبو محمد عبد الله بن العربي المعافري وابنه أبو بكر ابتداء من سنة 485 / 1092.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. عبد السلام الهراس. الدار البيضاء، د. ت ج. 4، ص. 26 (ترجمة 65)

G. Vajda, *L'aventure tragique d'un cadi maghrébin en Egypte fatimide*, *Arabica*. T. XV, fasc. 1, Fév. 1968. p 1-5

محمد المغراوي

ربعين (أيت -) ← **أربعين (أيت -)**

ابن الربيب، أبو الفضل، كان واليا للخراج في عهد السلطان أبي سالم المريني. وقد ارتبط ذكره في المصادر التاريخية المغربية بحادثة وقعت له مع لسان الدين بن الخطيب. فابن الربيب هذا كان مكلفا من طرف السلطان المريني بصرف جراية ابن الخطيب وغيره من أعيان الأندلس الذين قدموا إلى المغرب، ويظهر أن ابن الربيب لم يكن سخيا مع ابن الخطيب في الإيفاء بحقوقه الأمر الذي جعله يشتكيه إلى الحاجب أبي عبد الله بن مرزوق الخطيب بنظم مشهور وصفه فيه بالجهل والرعونة والخيانة. كما ألف ابن الخطيب رسالة في شخص ابن الربيب سماها قَطْعُ الفَلاَةِ بأخبار الولاة.

ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص 129، 151، 159 ؛ المقري، *أزهار الرياض*، الرباط، 1978، ج 1، ص 274، 275.

ابن الربيب، محمد بن أحمد الكتامي، الفقيه صاحب القلم الأعلى وكاتب علامة السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني.

مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 87 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 299 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 18 ؛ *مستودع العلامة*، تح. التركي ومحمد بن تاويت الطنجي، تطوان، 1964، ص. 49 ؛ *نثير الجمان*، تح: محمد رضوان الداية، بيروت، 1976، ص 454 ؛ *النفحة النسرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص 38.

رشيد السلامي

الربيع، هي الفترة الممتدة من 21 مارس إلى غاية 20 يونيو من كل سنة وهي الفترة التي تعرف عودة تركيز الطاقة الشمسية للنصف الشمالي عقب تعامد الأشعة خلال الثانية عشرة زوالا من يوم 21 مارس مع خط الاستواء، مما يترتب عنه طبعا مرور دائرة الإضاءة بالقطبين فتتساوى إثر ذلك مدة الليل والنهار عند جميع العروض. يعقبه مباشرة زيادة متنامية لمدة النهار ونقصان في مدة الليل في كل النصف الشمالي ويحدث العكس تماما في النصف الجنوبي.

وهذا التحول في الظروف الكونية الخاصة بهذا الفصل والمتمثلة في تركيز أكبر للطاقة الواصلة إلى سطح مختلف عروض النصف الشمالي بحكم أن زوايا سقوط الأشعة أصبحت هي الأخرى أكبر مما كانت عليه خلال فصل الشتاء، سينتج عنه تغير مهم في الظروف الإشعاعية والحرارية لهذا الفصل والخصائص النوعية.

بالنسبة للمغرب يمثل فصل الربيع من الناحية المناخية وبحكم موقعه من العرض بداية تغيرات هامة تهم بالأساس الحركة الهوائية العامة عند عروض المغرب والتي تتمثل على وجه الخصوص في بداية تزحزح نظام الضغط الجوي نحو الشمال من عروضه تبعا لحركة الشمس الظاهرة مما سيؤدي إلى بداية الابتعاد التدريجي لمؤثرات العروض الوسطى عن المنطقة المغربية بوجه خاص والمنطقة المتوسطية بوجه عام. ولعل أبرز مظهر لهذا التغير يتجلى في بداية انتقال مسارات اضطرابات الجبهة القطبية هي الأخرى نحو الشمال مما يجعل هذا الفصل يحتل من حيث أهمية التساقطات المرتبة الثالثة بعد الشتاء والخريف.

ويرسم معالم الوضعية الجوية العامة خلال هذا الفصل بالنسبة للمغرب تظافر فعل عاملين أساسين، أولهما تحرك نظام الضغط شيئا فشيئا باتجاه الشمال كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وثانيهما أن التركيز الطاقي الذي أصبح يهم النصف الشمالي والتسخين العام الذي يبدأ يعرفه هذا النصف سيؤدي إلى تقليص التناقض الحراري ما بين العروض العليا والدنيا لهذا النصف على وجه الخصوص فتنخفض على إثر ذلك قوة الممال الضغطي ومعها سرعة التيارات الهوائية النطاقية ولاسيما سرعة التيار النفاث في الأجواء العليا مما يجعل رسمه يشكل انعراجات ذات مدى كبير تجعل حقل الضغط بالقرب من عرض المغرب تغلب عليه الوضعيات الطولانية (حسب خط الطول) أو شبه طولانية والتي تجعل الاضطرابات التي تهم المغرب خلال هذا الفصل تتخذ عموما مسارات شمالية غربية. كما أن من نتائج هذه الانعراجات الكبيرة للتيار النفاث حدوث تدفق مهم للهواء البارد في الأجواء العليا نحو عروض أكثر فأكثر جنوبية عبر ما يسمى بالأردية الباردة تتسبب في تكوين حالات نشوء اضطرابات محلية ذات أهمية من حيث كمية الأمطار بالنسبة للمغرب.

أمطار هذا الفصل تعرف تغايرية مجالية وزمنية

كبيرة، وهي عموما إن كانت ذات أهمية أقل من أمطار الشتاء والخريف فإنها تبرز بشكل متميز في المناطق الداخلية حيث تزداد نسبة الأمطار العاصفية في الكميات الإجمالية المتلقاة خلال هذا الفصل والناتجة عن التصاعدات الحرارية التي تبدأ تظهر خلال هذا الفصل موازاة مع الزيادة المطردة للحرارة. لذلك يلاحظ أن التركيز الأقصى للتساقطات الشهرية تحدث في كثير من المحطات الداخلية المغربية خلال شهر مارس وأبريل عوض شهري نونبر أو دجنبر كما هو الحال في المناطق الساحلية. فتصبح بنية الكميات المتلقاة خلال هذا الفصل في المناطق الأولى هي الأمطار الجبهية والمترتبة عن الاضطرابات والأمطار ذات الأصل الحراري التصاعدي بينما بينة أمطار المناطق الثانية تقتصر على النوع الجبهي. أما حرارة هذا الفصل فلها طابع انتقالي جد متميز حيث تبقى نسبيا منخفضة في بداية الفصل ومرتفعة نوعا ما في نهايته وذلك طبعا موازاة مع تنامي وتيرة الوضعيات الجوية القارية الممهدة لحلول فترة الصيف.

علي البليشي

ابن أبي **الربيع السبتي**، أبو الحسين عبيد الله بن أحمد القرشي، ولد بإشبيلية في نهاية القرن السادس (12م) وبها درس النحو على طبقة عالية من نحاة الأندلس أمثال الأستاذ أبي عمر محمد التميمي والأستاذ أبي الحسين علي بن جابر الدباج والإمام أبي علي عمر الشلوبين وهو عمدته في النحو عموماً وفي *كتاب سيبويه* خصوصاً، وتصدر ابن أبي الربيع لتدريس النحو وهو ما يزال غلاماً يافعاً بأمر شيخه الشلوبين الذي كان يبعث إليه بصغار الطلبة. ولما مات الشلوبين خلفه ابن أبي الربيع في كراسيه النحوية بالجامع الأعظم بإشبيلية. فاشرأبت إليه الاعناق إلى أن سقطت إشبيلية في يد المسيحيين (5 شعبان 646 / 23 نونبر 1248) فنزح عنها ابن أبي الربيع في حملة من نزح إلى مدينة سبتة واستوطنها إلى الوفاة.

وصلة ابن أبي الربيع بسبتة قديمة ترجع إلى عهد الطلب، فقد أخذ عن إمامها الشهير أبي العباس العزفي (ت. 633 / 1235) ومن حسن حظ علماء إشبيلية أن كانت أيامَ نكبتهم دولةُ الأمراء العزفيين العلماء الكرماء قائمة مزدهرة بسبتة وطنجة، فأووا إلى حمى الرئيس العالم أبي القاسم العزفي، ونال ابن أبي الربيع حظوة خاصة عند هذا الأمير وبنيه، وعاش في كنفهم مكفي المؤونة متفرغاً للتدريس والتأليف، يذكرهم في مقدمة مؤلفاته ويشيد بفضلهم وجودهم، ككتابي البسيط والكافي في الإفصاح.

اشتهر ابن أبي الربيع بالتبريز والإمامة في النحو، ومع ذلك كانت ثقافته متنوعة متينة على نموذج ثقافة عصره التي تغلب عليها "المشاركة" في مختلف العلوم النقلية والعقلية، بحيث لم يقلَّ تحصيله لعلوم القرآن والحديث والفقه والأصول والفرائض عن تحصيله في النحو واللغة والأدب، بل نجده يحلى في بعض الكتب بإمام الفرضيين، وترجمه ابن الجزري في *طبقات القراء*.

وذكر ابن أبي الربيع في *برنامجه* أنه درس أربعين كتاباً سماها من أمهات هذه العلوم فضلاً عن أبعاض كتب أخرى لم يذكر أسماءها، قرأها على اثني عشر شيخاً من شيوخ إشبيلية وسبتة وفاس، أجازوه إجازات عامة بأسانيد متصلة بمؤلفي تلك الكتب. ولم تقتصر دراسة ابن أبي الربيع للكتب المذكورة علي مجرد الفهم، بل كان يحفظ بعضها عن ظهر قلب ويعرضه على شيوخه كما يعرض عليهم سور القرآن. ومن جملة محفوظاته : *فصيح ثعلب*، *وإصلاح المنطق* لابن السكيت، *والحماسة الأعلمية*، *وأشعار الستة* بترتيب الأعلم الشنتمري أيضاً، *وأدب الكتّاب* لابن قتيبة.

وقرأ أبو الحسين ابن أبي الربيع وحمل، في جملة ما قرأ وحمل، من الأمهات : *كتاب سيبويه*، أخذه عن الإمامين أبي الحسن اللخمي الدباج، وأبي علي الشلوبين، وحمله عنهما بسند متصل بأبي العباس المبرد، عن أبي عثمان المازني، عن أبي الحسن الأخفش، عن المؤلف سيبويه.

وقرأ كتاب *الإيضاح* لأبي علي الفارسي على الإمامين أبي القاسم ابن بقي بن مخلد، وأبي علي الشلوبين، ورواه عنهما بسند متصل بالقاضي أبي بكر بن العربي، عن أبي الفوارس شجاع الذهلي، عن أبي الحسين هلال بن الحسن، عن المؤلف أبي علي الفارسي.

وقرأ كتاب *الجمل* لأبي القاسم الزجاجي، عن الإمامين محمد بن خلفون الأونبي، وأبي علي الشلوبين، وحمله عنهما بسند متصل بأبي الحسن الأنطاكي، عن المؤلف أبي القاسم الزجاجي.

ألف ابن أبي الربيع كتباً أمهات في مختلف العلوم الشرعية واللسانية والأدبية هي في الواقع تسجيل حي أمين للدروس التي ظل يلقيها على طلبة إشبيلية وسبتة طوال زهاء سبعين سنة. وذكر بروكلمان أسماء أربعة كتب على أنها كل ما وصل إلينا من تآليف أبي الحسين بن أبي الربيع - حسبما بلغ إليه علمه - وهي *البرنامج* الذي كتبه تلميذه أبو القاسم ابن الشاط، *والمختصر في النحو* المخطوط بالأسكوريال، *والقوانين النحوية* المخطوط بالقرويين، *وشرح الإيضاح* المخطوط بالقرويين أيضاً. وفات بروكلمان من تآليف ابن أبي الربيع التي أبقى عليها الدهر كتابه *البسيط*، وهو شرح الجمل للزجاجي المخطوط بالخزانة العامة بالرباط، *وتفسير القرآن الكريم* المخطوط أيضاً بالخزانة العامة، ولم يصل إلينا - للأسف - أهم كتاب ألفه ابن أبي الربيع وهو شرحه *لكتاب سيبويه*، إذ بذكره سارت الركبان في حياة المؤلف وبعد وفاته، ونال إعجاب نحاة المشرق والمغرب على السواء.

ومن مميزات مؤلفات ابن أبي الربيع أنها في مجملها

ضخمة، يبلغ بعضها عشرة أجزاء مثل *البسيط في شرح جمل الزجاجي*، ويقدر بعضها بما ينيف عن ثلاثين جزءاً مثل تفسير *القرآن الكريم*، في حين لا يوجد منها أو بالأحرى لم نطلع منها إلا على أجزاء قليلة مبعثرة هنا وهناك، ولا شك أن المكتبات العامة والخاصة في الشرق والغرب تحتوي على سائر الأجزاء تامة أو ناقصة أو مكررة، منسوبة إليه أو غير منسوبة. ومن السهل على من يوفقه الله للبحث عن بقايا آثار ابن أبي الربيع وجمع شتاتها أن يكتشفها ويميزها عن غيرها متى عرف أسلوب هذا الرجل وتمرس بطريقته في العرض والشرح والتمثيل.

وتصطبغ مؤلفات ابن أبي الربيع في الظاهر بصبغة مؤلفات عصر الانحطاط، إذ هي في معظمها شروح لكتب قديمة، لكن من قرأها وأمعن النظر فيها وجدها أقرب إلى مؤلفات عصر الأصالة في القرون الأولى منها إلى كتب المتأخرين، ذلك أن ابن أبي الربيع لا يتقيد في شروحه بألفاظ المتن يؤولها ويوضحها ويمثل لها كما يفعل جمهرة الشراح، وإنما يتخذ المتن كأساس وتصميم لما يكتب، فتراه يبدأ الباب بمقدمة تعطي فكرة عامة عن الموضوع، وترسم خطوطه العريضة - كما يقال - ثم يشرع في أخذ عبارات المتن واحدة واحدة، سائراً في عرضه حسب التصميم المرسوم، مفصلاً القول في الجزئيات تفصيلاً متناسقاً، لا تشعر معه بلفظ المتن إلا عندما يأتي بعبارة "قوله ..." دونما تقطع في التعبير أو تعثر في السياق. على أن لابن أبي الربيع كتباً مستقلة قائمة بذاتها، مثل *القوانين النحوية*، و*تفسير القرآن الكريم*.

على أن أهم ما يمتاز به أسلوب ابن أبي الربيع هو الوضوح والسلاسة والعفوية، فلا تعقيد ولا غموض ولا سجع ولا تورية - في غير المقدمة - ولا ما يحتاج إلى شرح أو تعليق أو رجوع إلى مصادر أخرى، بل إن أسلوبه وهو يكتب أسلوب من يتكلم ويخاطب الطلبة ويحاورهم ليرفع عن أذهانهم كل لبس. إن الخبرة المتواضعة التي لنا بطرق التدريس دلتنا على أن أبا الحسين ابن أبي الربيع كان حقاً مدرساً موهوباً، يعرف بحكم إحساسه المرهف وتجربته الواسعة، طرق التدريس الناجعة، ويراعي - عملياً - المبادئ التربوية التي اهتدى إليها بعده ابن خلدون في *المقدمة*، ويطبق - عفوياً - النظريات التعليمية الأساسية لتحصيل المعرفة وتكوين الملكة على نحو ما توصل إليه المربون الغربيون المحدثون. ولا أدل على ذلك من أنه بإمكانك اليوم، وقد مضى على وفاة ابن أبي الربيع أكثر من سبعة قرون، أن تأخذ فصلاً أي فصل من أي كتاب من كتبه وتلقيه على طلبتك في التعليم العالي دون أن تزيد فيه أو تنقص أو تضيف مثالاً أو تغير عبارة، ويكون درسك ناجحا مشوقاً مفهوماً تمام الفهم.

وكأني بأبي الحسين ابن أبي الربيع - رحمه الله - لم يقنعه ذلك العمر الطويل الذي قضاه في التعليم، منقبضاً عن الناس مباعداً أهل الدنيا، فأبى إلا أن يسجل على طروس كتبه دروساً جاهزة نافعة لكل من يقرؤها من الأساتذة والطلبة في كل عصر ومصر.

وأشهر تلاميذ ابن أبي الربيع في سبتة ثلاثة، أبو القاسم ابن الشاط السبتي (ت. 723 / 1323) شارح *أنوار البروق* للقرافي، ومحرر *برنامج* شيخه ابن أبي الربيع ؛ وعبد المهيمن الحضرمي السبتي (ت. 749 / 1348) رئيس كتاب بلاط العزفيين أمراء سبتة، وبني الأحمر ملوك غرناطة، والمرينيين ملوك فاس وشمال إفريقيا. ومازال النحو هجيراه كشيخه ابن أبي الربيع حتى قال فيه ابن الأحمر في *نثير الجمان* : "وأما *كتاب سيبويه* فكان بمسائله عارفاً، وعلى إقرائه بطول عمره مداوماً وعاكفاً، ولم يكن له في المعرفة به قرين، ولقد تصدر لإقرائه وهو ابن عشرين".

- وأبو عبد الله بن رشيد الفهري السبتي (ت. 721 / 1321) المؤلف المكثر، صاحب *ملء العيبة* التي جمع فيها أخبار رحلتيه إلى الشرق وما أخذه عن المشايخ، وهو شيء كثير، وفيها يقول عن شيخه ابن أبي الربيع مردداً ما وجد له من صدى واسع في المشرق :

"لما وصلت إلى مصر ذهبت إلى مسجدها الأعظم فجلست إلى حلقة من حلق العلم، فوجدت الشيخ يتكلم في علم العربية، فأخذت معهم طرفاً مما كانوا يتكلمون فيه، فالتفت إلي الشيخ فقال : من أين قدومك ؟ قلت من الغرب. قال أمن الاسكندرية ؟ قلت من أبعد. قال أمن تونس ؟ قلت من أبعد. قال : إذن من جو المغرب. يعني من داخله. قلت نعم. قال : من أي بلاده ؟ فقلت من سبتة. فكان أول ما فاتحني به أن قال : أيعيش سيدنا أبو الحسين بن الربيع ؟ قلت نعم. فقال : ذلك شيخنا إفادة بوصول كتابه إلينا أو بوفادته علينا أو معنى هذا، يريد شرحه لكتاب إيضاح الفارسي المسمى *بالكافي في الإفصاح*، ثم قال لي : أقرأت عليه ؟ قلت نعم. قال وما قرأت عليه ؟ فقلت : ما يقرأ طلاب العلم والعربية. فاستفسرني فقلت : قرأت *الجمل*، *والإيضاح*، *والكتاب*، فلما ذكرت *الكتاب* قال : اعبر إلى جانبي، فامتنعت، فعزم علي وأقعدني إلى جانبه، فجلست منضماً حياءً منه، فقال : اجلس متسعاً، فجلست وتمادى على الإقراء، فاختلست الكلام أثناء إقباله على من بين يديه من التلاميذ للإلقاء عليهم مع الذي كان عن يميني اختلاساً، وقلت : من الشيخ ؟ فقال بهاء الدين ابن النحاس، فالتفت الشيخ وقد وثبت بين يديه. فقال : لم ؟ ارجع إلى موضعك. فقلت له يا مولانا لم يعرف المملوك بين يدي من هو، ولو علم ما جلس هذا المجلس ولا تكلم، فعزم علي في العودة إلى مجلسي فقعدت، وأشار بالاطمئنانفأطمأننت...

لقد دقق ابن رشيد في تحديد تاريخ هذا الحادث الذي جرى يوم الأحد سابع رجب عام 684. وحق لابن النحاس أن

يسأل عما إذا كان ابن أبي الربيع ما يزال حياً يرزق، لأنه كان يومئذ في منتصف العقد التاسع من عمره، وسيموت بعد ذلك بأربع سنوات.

أما ابن النحاس فهو إمام نحاة المشرق في عصره، شارح *المقرّب* لابن عصفور، وتلميذ ابن يعيش شارح *المفصل للزمخشري*. وقد صدق ابن رشيد في صفات هذا الإمام وإنصافه وسعة خلقه وعنايته بالطلبة، إذ نجد مثل ذلك عند الصفدي في الترجمة الحافلة التي عقدها لابن النحاس في كتابه *الوافي بالوفيات*.

توفي أبو الحسين بن أبي الربيع بمدينة سبتة صبيحة يوم الجمعة 16 صفر عام 688 / 11 مارس 1289 ودفن عصر هذا اليوم بالمقبرة الكبرى التي بسفح جبل الميناء شرقي المدينة.

ابن أبي الربيع نفسه، برنامجه التي كتبه تلميذه ابن الشاط وحققه ونشره ع العزيز الأهواني بمجلة *معهد المخطوطات العربية*، المجلد 1، ج 1 و2 سنة 1955 : مقدمات كتبه *المخطوطة* المشار إليها آنفاً : *المختصر في النحو* ؛ *القوانين النحوية* ؛ *شرح الإيضاح* ؛ *البسيط* ؛ وتفسير *القرآن الكريم* ؛ م. ابن رشيد السبتي، *ملء العيبة*، تح. م. الحبيب ابن الخوجة، تونس، 1982 ؛ أ. ابن قنفذ، *شرف الطالب* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 1 : 433 ؛ م. ابن الجزري، *غاية النهاية*، 1 : 484 - 485 ؛ م. الأنصاري السبتي، *اختصار الأخبار*، تح. م. ابن تاويت، مجلة *تطوان*، العدد 3 - 4، ص. 77 ؛ ج. السيوطي، *بغية الوعاة*، 2 : 125، رقم الترجمة 1606 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 70 - 72، رقم الترجمة 990 ؛ د. بروكلمان، *الذيل*، 1 : 547 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 4 : 344 ؛ ع. العزيز الأهواني، كتب *برامج العلماء في الأندلس*، ص. 22 وما بعدها ؛ م. حجي، *جولات تاريخية*، بيروت، 1995، ج. 1 : 379 - 395.

محمد حجي

أبو **الربيع سليمان** بن عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، رابع ملوك بني مرين. تولى حكم المغرب الأقصى بعد وفاة أخيه أبي ثابت عامر سنة 708 / 1309 واستمر في الملك حتى وفاته سنة 710 / 1311. وقد بويع له بقصبة طنجة يوم الإثنين التاسع من شهر صفر من السنة المذكورة وهو لم يتجاوز بعد سن العشرين. ونظرا لصغر سنه قام كاتب أخيه الفقيه عبد الله ابن أبي مدين بدور كبير في تدبير بيعته بمشاركة وزارئه إبراهيم بن عيسى الياباني وعبد الرحمان بن يعقوب الوطاسي.

تميزت بداية عهد سليمان باندلاع انتفاضات بمناطق الشمال هدفت إلى تقويض دولته وزعزعة أركانها. وكانت أخطر هذه الثورات ثورة عمه علي بن السلطان أبي يعقوب المعروف بابن أبي زريحة أو ابن زريقاء أو ابن زريكة الذي كان قد دعا لنفسه وبايعه كثير من الناس في جهة تطوان، لكن أبا الربيع تمكن من القبض عليه واعتقاله إلى أن هلك سنة 710 / 1311. ثم ثورة عثمان بن أبي العلاء الذي خرج من سبتة في حملته العسكرية نحو طنجة، إلا أن أبا الربيع علم بتحرك هذا الثائر واستطاع إخماد فتنته.

من المعلوم أن محاولة سليمان استرجاع سبتة إلى حظيرة الدولة المرينية شكلت قضية كبرى في عهد هذا السلطان. فقد ظلت هذه المدينة مدة طويلة تحت نفوذ بني الأحمر منذ سنة 703 / 1304 أو 705 / 1306 عندما قام أحد أمراء بني مرين، وهو عثمان بن أبي العلا بن عبد الحق بالثورة على السلطان أبي يعقوب يوسف وبمشاركة أبي سعيد صاحب مالقة. واستمرت محاولات استرداد المدينة مع كل من السلطان يوسف وخلفه عامر. وقد واكبت هذه المحاولات العسكرية تحركات دبلوماسية كثيفة بين السلطانين وبني الأحمر من جهة وبين ملك أرغون من جهة أخرى وصلت نهايتها في عهد أبي الربيع. وقد احتفظ أرشيف تاج أرغون ببرشلونة بمجموعة من المراسلات التي تُجمع على الرغبة الأكيدة لدى المخزن المريني بضرورة تحرير المدينة بشتى الوسائل الدبلوماسية والعسكرية ولو أدى الأمر إلى طلب مساعدة عسكرية من النصارى. وتشير بعض هذه المراسلات أن أبا الربيع قد طلب فعلا من ملك أرغون خايمي الثاني مساعدة عسكرية لحصار المدينة الثائرة من جهة البحر. إلا أن هذه المساعدة لم يتم تنفيذها واستطاع الجيش المريني بقيادة تاشفين بن يعقوب الوطاسي محاصرة المدينة والتغلب عليها سنة 709 / 1310 وتم اعتقال رؤوس الفتنة بها وهم قائد القصبة أبو زكرياء يحيى ابن مليلة وقائد البحر أبو الحسن بن كماشة وقائد الحرب عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق، منهيا بذلك كل ما له صلة بالوجود الأندلسي بسبتة.

يبدو أن المشاكل والأزمات السياسية لم تفارق عصر سليمان، إذ ما تكاد تنتهي ثورة هنا حتى تندلع أخرى في مكان آخر من المغرب. فإذا كان عهده قد دشن باندلاع ثورات المعارضين والمناوئين فإن نهايته شهدت أيضا ثورة خطيرة تزعمها بعض رجالات المخزن المريني كالوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي والقائد أبي علي عمر بن رحو ابن عبد الحق وشيخ بني مرين الحسن بن علي بن أبي الطلاق وقائد الكتيبة المسيحية في الجيش المريني غنصالو. وكان هؤلاء قد اتفقوا مع جماعة من بني مرين على خلع السلطان أبي الربيع وتنصيب أحد الأمراء مكانه هو عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق، واجتمعوا على هذا الأمر برباط تازة شهر جمادى الأولى من عام 710 / شتنبر - أكتوبر 1311. غير أن السلطان تفطن إلى المؤامرة وتمكن من أن يستجمع قواته ويتحرك في جيش كثيف مع قائديه يوسف بن عيسى الحشمي وعمر بن موسى الفودودي. وأمام هذه الحملة اضطربت جموع المتمردين بتازة وتبينوا عدم قدرتهم على مواجهة جيش أبي الربيع ففضلوا الهروب

إلى تلمسان ومن هناك إلى الأندلس. وبعد دخول السلطان إلى مدينة تازة ظافرا استقر فيها فترة أصابه فيها مرض (أو سم حسب رواية أخرى) ومات على إثره ليلة الأربعاء في نهاية جمادى الثانية من سنة 710 / 21 أكتوبر 1311 ثم دفن بصحن جامعها. وبالرغم من قصر فترة حكم أبي الربيع التي لم تدم أكثر من عامين وخمسة أشهر قضاها في تهدئة البلاد ومواجهة الفتن والثورات، فإن المصادر تسجل مع ذلك أن أبا الربيع قد تمكن من الحفاظ على السلم وعدم الدخول في حروب مع جيرانه بني عبد الواد، وترتيب المصالحة مع ابن الأحمر الذي سلم بموجبها لأبي الربيع بعض المدن الأندلسية الحساسة كالجزيرة الخضراء ورندة وأحوازها. إضافة إلى ذلك اعتبرت فترة حكم هذا السلطان متميزة على المستوى الاجتماعي إذ تغالى فيها الناس في أثمان العقار وتنافسوا في البناء بالزليج والرخام والنقوش (*القرطاس*، 395).

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 392، 395 ؛ ابن الخطيب، *اللمحة البدرية*، بيروت، 1978، ص. 72، 74 ؛ ابن الأحمر، *النفحة النسرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 42 ؛ *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 23 ؛ *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 58، 59 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 494، 502 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 514 ؛ أ. الناصري *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 97، 103 ؛ ع. الله العروي، *مجمل تاريخ المغرب*، بيروت، 1994، ج. 2، ص. 201 ؛ رشيد السلامي، *وثائق مرينية، دراسة وتحقيق*، كلية الآداب، الرباط، 1989 (بحث مرقون)، ص. 76، 84.

Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique Septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866, pp. 297-300 ; *Relations et commerce de l'Afrique Septentrionale ou Maghreb avec les nations chretiennes au moyen âge*, Paris, 1886, pp. 302-304, 325 ; Van Berchem, *Titres califiens d'occident*, J.A., 1907, T. IX pp. 297-300 ; M. Gaspar Remiro, *El negocio de Ceuta entre Jaime II de Aragon y Aburrebia Solaiman, sultan de Fez, contra Mohamed III de Granada*, in *Relaciones de la Corona de Aragon con los estados musulmanes de Occidente*, Madrid, 1925 ; S. M. Alarcon y R. Garcia Linares, *Los documentos arabes diplomaticos del archivo de la Corona de Aragon*, Madrid - Grenade, 1940, pp. 164-166 ; Ch. E.Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIIIe et XIVe siecles*, Paris, 1966, pp. 397, 401-404, 456-457; 541-542 ; R. Arié, *L'espagne musulmane au temps des Nasrides (1232-1492)*, Paris, 1973, pp. 90-9: Capmany, *Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos Reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa, desde el siglo XIII hasta el XV*, Madrid, 1974, pp. 5-17 ; A. Dhina, *Les Etats de l'occident musulman aux XIIIe, XIV et XV siecles*, Alger, 1984, pp. 492-501; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen - âge*, Paris, 1986, pp. 118-120, 294-295 ; A. Khaneboubi, *Les Premiers sultans merinides (1269-1311). Histoire politique et sociale*, Paris, 1987, pp. 70-73, 99-100 ; H. Ferhat, *Sabta des origines au XIVe siecle*, Rabat 1993.

رشيد السلامي

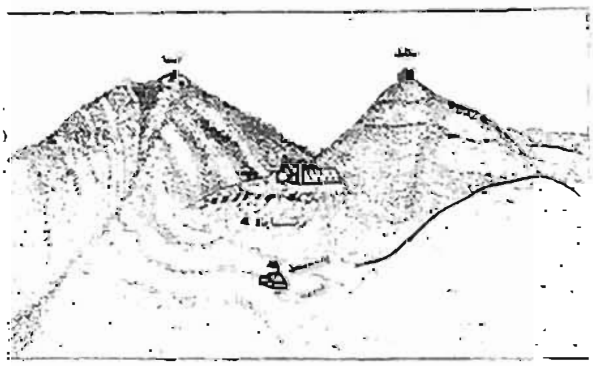
ابن أبي الربيع الكتامي، أحمد بن سليمان ابن أحمد، أبو جعفر، من أهل طنجة وعلمائها. رحل إلى الشرق، وأخذ القراءات عن أبي أحمد السامري وأبي بكر الأذفوي وأبي الطيب ابن غلبون. ثم عاد إلى المغرب وانتقل إلى سكنى الأندلس، وتصدر للإقراء بكل من بجانة والمرية.

توفي قبل سنة 440 / 1048 عن سن تناهز 90 سنة.

ابن بشكوال، *الصلة*، القاهرة، 1955، ج. 1، ص. 88.

محمد المغراوي

رتابة أو إرتبون (أسرة وقصبة)، أسرة قلعية كانت في العقد الثالث من القرن العاشر الهجري حسب المجهول صاحب الوثيقة العائدة إلى سنة 939 / 1532 بخمس الكعدة أو بني سيدال، ومنه انتقلت إلى حيث وجدت في القرن الثاني عشر (18 م) بوطنها الراهن بجماعة بني انصار من خمس مزوجة، ربما كانت الهجرة ذات علاقة بالحركة الجهادية، خاصة أثناء حصار مليلة من طرف سيدي



رسم قصبة بني انصار مستخلص من رسم لميراندا ومن زيارة ميدانية

محمد بن عبد الله العلوي (1774 - 1775)، حسبما يدل عليه إيواء الأسرة في قصبة خاصة بها. ونتساءل في الأخير، بناء على تشابه الأسماء، عن علاقة رتابة بقبيلة الرتب الفيلالية.

أما قصبة رتابة فتدعى أيضا قصبة بني انصار نسبة إلى الفرقة التي توجد بتراب قبيلة مزوجة القلعية. غير أن الاسم المرتبط بها تاريخيا هو رتابة، إذ أنها كانت مقر الأسرة الرتابية وزعيمها المجاهد محمد الرتبي القلعي آتي الترجمة.

ويعود الفضل في إبراز موقع القصبة إلى رسم تدمته مذكرات فرانسيسكو دي ميراندا التي بينت في آخر ديسمبر 1774 مبنى القصبة المميز برقم 24. وحسب إشارة مرافقنا الرتبي أثناء الزيارة الميدانية أن القصبة كانت مقر أفراد الأسرة، منذ بداية أمرها، ربما كانت البداية على يد

مقدم مزوجة محمد بن أحمد الرتبي المزوجي. تألفت القصبة من خرائب دالة على وجود عدة مرافق موزعة على مدرجين اثنين :

- المدرج العُلْوي، نتصور فيه وجود ثماني غرف متوسطة الحجم، موزعة على استدارة المدرج الصخري من الجهات الثلاث. وقد أحيطت المساحة بسور خارجي ينفتح من جانبه الغربي باب المدخل الوحيد إلى المدرج.

- المدرج السفلي : تؤلفه خرائب قائمة على القاعدة الصخرية المشرفة على السفح بحافة شديدة الانحدار. وتظهر الأنقاض الحالية وجود عدد من المرافق صغيرة المساحة.

حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة*، الرباط، 1997 ؛ *زيارة ميدانية بمعية محند الرتبي*.

Francisco de Miranda, *Diario*, Madrid, 1939.

حسن الفگيگي

الرتاج، خشبة أُفقية في أعلى الإطار المثبث فيه الباب. وفي البادية - كما هو الشأن في المدينة - كان الناس يلصقون فوق الرتاج بعض الكتابات يسمونها طلاسم وهي عبارة عن جداول أو ثقاف تمنع دخول الهوام السامة إلى الغرف، كما يعتقد البعض. وفي القصور والدور الفخمة في فاس وغيرها من الحواضر يكون رتاج الباب كبيراً مزخرفاً، زخرفة مزدوجة بالنقش والأدهان الملونة، وحتى بمحلول ماء الذهب. ويطلق الرتاج كذلك على الباب العظيم من الخشب الذي يوضع على الأسوار والجوامع وغيرها من البنايات والمنافذ الكبيرة. يكون مغلقاً في الغالب وعليه باب صغير هو الذي يفتح، ونجده في الفنادق القديمة بمراكش وفاس، وأيضاً بالرياضات والجوامع، حيث يغلق الباب الكبير بعد الصلاة ويستعمل الصغير لدخول أو خروج المسبوقين. وهي إشارة لقرب إغلاق المسجد. ونوع الخشب المستعمل في صناعة الرتاج هو الأرز. لأنه يعمر طويلا في البيوت، و"لا يعفن ولا يسوس ولا يعتريه شيء" (*القرطاس*، ص. 43).

البكري، *معجم ما استعجم*، بيروت، 1403 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، بيروت، (د. ت) : ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت (د. ت) ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972.

عبد الرزاق ازريكم

الرُّتَب - بضم الراء، وفتح التاء - كلمة تطلق على الرسوم التي كانت تفرض على المسافرين في الطرقات زمن بني مرين وخاصة في الفترة الأخيرة من حكمهم. ويصعب وضع تعريف دقيق لمعنى هذا المصطلح في غياب معلومات كافية في المصادر المرينية. فغالبا ما ترافق هذه الكلمة عبارات مثل الألقاب أو القبالات أو الرسوم، وهي وإن كانت تدخل جميعا في باب الجبايات فإنها مع ذلك تختلف في بعض الجزئيات. لكن الشيء الأكيد هو أن رسوم الرتب ارتبطت دائما بالمسافرين والطرق. ولهذا تعتبر إشارة ابن مرزوق التي وردت في كتابه *المسند* فريدة وغاية في الأهمية. ويفهم منها أن الأصل في هذا المصطلح هو "الخيام" التي كانت تقام في مواضع معينة، مثلاً بين فاس ومراكش، أو بين فاس وسبتة، أو بين فاس وتلمسان وهكذا، ويكون الفاصل بين موضع وآخر في كل مرحلة لا يتجاوز 12 ميلا، أي حوالي 20 كلم. وقد أراد ملوك بني مرين من خلال إقامتهم لهذه الرتب / الخيام أن يمهدوا طرق المسافرين وأن يجعلوا منها مرافق ومحطات توفر للواردين عليها الراحة والمأكل لهم ولدوابهم. ويشرف على هذه الخيام موظفون تقتطع لهم أراض بالموقع للسكنى مقابل إشرافهم على تلك الخيام ويلزمون ببيع الشعير والطعام وما يحتاج إليه المسافرون من إقامة ومأكل، كما يكلفون بحراستهم وحراسة متاعهم (*المسند*، 429). ويظهر أن هذه الرتب / الخيام تحولت، خاصة في فترات الاضطرابات واستبداد ممثلي المخزن المريني، إلى مراكز ومحطات للمراقبة واقتطاع ضرائب ورسوم من المسافرين والتجار من طرف الجباة والجند هي التي أصبحت تعرف برسوم الرتب. ويستنتج من بعض الإشارات أن هذه الضريبة غير الشرعية ذات المجبى العظيم لم تكن تدخل بيت المال، بل كان العساكر الذين يتمركزون في هذه المحطات ينتزعونها كرواتب لهم دون انتظار صاحب تنفيذ الجيش ليمدهم برواتبهم الشهرية المعتادة. وإذا كنا لا نعرف بالتحديد زمن ظهور هذه الرسوم فإنها كانت موجودة على الأقل منذ بداية الدولة المرينية واستمرت حتى بداية الدولة السعدية (*المنتقى*، 2، 828.827). فالمصادر المرينية ما فتئت تشير إلى محاولات بعض ملوك بني مرين رفع المكوس ومحو رسوم الرتب خاصة في عهد كل من أبي يعقوب يوسف (*القرطاس*، 375) وأبي الحسن (*رسائل*، 506) وأبي عنان (*تحفة*، 663)، إلا أنها كانت تعود للظهور من جديد، ففي عهد السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن المريني استشرى داء هذه الرسوم واستفحل أمرها إلى درجة أن ندّد بها الفقيه خطيب جامع القرويين ابن عباد الرندي (ت. 792 / 1390) في رسالتين بعثهما إلى هذا السلطان يستعرض فيهما ما أصاب الناس من مظالم وتعسفات على يد العمال والولاة وتجاوزات جباة الضرائب في التعرض للمسافرين وابتزازهم وفرض ضرائب غير شرعية عليهم مثل ضريبة الرتب.

وقد ألح ابن عبّاد على السلطان بالعمل على إزالة هذه المظلمة اقتداء بما كان يفعله والده السلطان أبو الحسن وشقيقه أبو عنان وجده أبو يعقوب من إزالة المكوس عن رقاب الناس ومعاقبة العمال.

يبدو أن انتشار كلمة الرتب أو رسوم الرتب لم تكن مقتصرة على مجال جغرافي محدد كالمغرب الأقصى بل كانت موجودة أيضا في شبه الجزيرة الإيبيرية بنفس المعنى.

فدوزي (Dozy) يفيد في معجمه بأن الكلمة الإسبانية recova أو retova تعني الرسم أو المقابل المادي الذي كان يدفعه المسافرون والتجار للجنود المكلفين بحماية الطرق والمسافرين والبضائع، أي حماية ومراقبة أمن الطرق مقابل أداء رسوم الرتب. وهذا يؤكد على أن المعنى الذي تحمله الكلمة العربية هو الأصل والمصدر في اشتقاق الكلمة الإسبانية.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 375 ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، 1985، ص. 663 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 282-286، 429 ؛ رشيد السلامي (محقق)، *رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندي*، ضمن كتاب "متنوعات محمد حجي"، بيروت، 1998، ص. 505-525 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 436 ؛ أ. ابن القاضي، المنتقى المقصور، تح. م. رزوق، الرباط، 1986، ج. 2، ص. 827-828 ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، تح. عبد الرحيم بنحادة، مراكش، 1994، ص. 64 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية*، الرباط، 1979، ص. 90-91، 227

R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Beirut, 1968, T. 1, p. 507 ; R. Dozy et W.H Engelman, *Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe*, Beirut, nouvelle édition, 1974, pp. 335-338 ; Kably (M.), *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986, pp. 225-226 ; A. Khaneboubi, *Les Premiers sultans mérinides. Histoire politique et sociale*, Paris, 1987, p. 123.

رشيد السلامي

الرتبي أحمد، عاش السيد المقدم عميد الرتبيين، أول من نعرف من المستقرين في قصبة رتابة ببني انصار من خمس مزوجة القلعي. كان معاصرا للحركة المجاهدية التي نظمها القيطونيون القلعيون ضد مليلة على عهدي المولى الرشيد والمولى إسماعيل. وفي أغلب الاعتقاد أنه كان مقدم مجاهدي مزوجة المشاركين في حراسة رباط مليلة، لارتباط كنية المقدم باسمه. كان سنة 1738 قد توفي. وقد خلف المقدم ثمانية أولاد، كان منهم خلفه محمد.

الرتبي محمد بن **أحمد**، المجاهد نقدر أنه من مواليد حدود الثلاثينيات. شارك في حصار مليلة 1774 - 1775 بصفته مقدم رجال مزوجة. ولكن ظهوره في ميدان الجهاد كان بعد ذلك إلى حين وفاته حوالي سنة 1802.

كان محمد الرتبي من أقوى مجاهدي قبيلة قلعية المتشبثين على مبدأ مواصلة الجهاد، بعد التوقف الطارئ على سلحه من طرف الجهاز الرسمي إثر فشل محاولة الحصار المغربي لمدينة مليلة بقيادة السلطان محمد بن عبد الله. كان محمد الرتبي من الرافضين الرضوخ لسياسة التحكيم التي حاول السلطان بعد سنة 1775 فرضها على المجاهدين، احتراما للوقوع في مشاكل الاصطدامات بالحدود بين الإسبان ومجاهدي قلعية.

عمل محمد الرتبي وبجانبه المقدم علي الشكري والمرابط البشير الكبداني، ولم يخضع لطلبات المخزن المركزي منذ سنة 1785، رغم الوفود الأربعة التي جاءت تارة لترهيبه وأخرى لترغيبه. وقد داوم الهجوم على المدينة المحتلة من رباط مليلة طيلة حياة محمد بن عبد الله. ورغم ما تلقاه من رسائل الترغيب والتهديد من سيدي محمد بن عبد الله فقد ظل رافضا لمبدأ ضرب مليلة بالقطع المدفعية الخاصة التي توفرت لديه وقت الحصار أو التي انتشلها من السفن التركية الغارقة بساحل البحر المتوسط.

وقد ابتهل محمد الرتبي لعودة سياسة الجهاد الرسمية على يد المولى اليزيد، وساهم ببعض القطع المدفعية والرجال في حصار سبتة (1791 - 1792)، تلبية للدعوة الموجهة إليه. ولم يثنه عن عزمه عودة المخزن إلى الالتزام بسياسة الهدوء بالحدود مع مليلة والاكتفاء بمهمة الحراسة على عهد المولى سليمان، فظل يجاهد حتى سنحت له الفرصة، وخاصة وقت حراسة مزوجة برباط مليلة أو الكرمة.

اختفت عنا أخبار محمد الرتبي منذ بداية يونيه 1797، وهو تاريخ آخر حراسته. ولا بد أن مكانته قد تضررت إثر وصل حركة المولى سليمان إلى قلعية سنة 1213 / 1799، وتبين وثائق رتابة التي بأيدينا أنه كان سنة 1217 / 1802 قد توفي.

وثائق رتابة بيد السيد محمد بن حدو بن المختار بن أحمد المقدم الرتبي ؛ حسن الفكيكي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلية*، الرباط، 1997 ؛ تقييد 939 لمجهول عن نوازل قلعية، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط ؛ *وثائق الأرشيف التاريخي الإسباني*

حسن الفكيكي

رَتَم أو علميا رِتَامَا Retama جنس نباتي ينتمي إلى فصيلة القرنيات (الفراشيات) ويشمل بالمغرب أربعة أنواع من بينها نوع واحد قحي مغربي.

إنها أنواع شجيرية أو جُنْبية، غير مشوكة، جد متفرعة وذات أغصان خضراء. أوراقها بسيطة، صغيرة الحجم، طويلة أو بيضوية الشكل، سريعة التساقط إذ تبقى الأغصان بدون أوراق لفترة طويلة من السنة. أزهارها يظهر على أطراف الأغصان أو في إبطها في شكل عناقيد. أزهارها ذات لون أبيض أو أصفر، وكأس جرسي منقسم إلى شفتين. ثمارها كروية الشكل أو تكاد. تحوي كل ثمرة بذرة واحدة أو بذرتين.

تستعمل بعض أنواع الريتاما لتثبيت الكثبان الرملية. فهي إما تغرس أو تنثر بذاراتها لتكوين غطاء نباتي، أو توضع أغصانها على الرمال لتوقفها عن الزحف.

وتجدر الإشارة إلى أن لأنواع ريتاما دوراً هاماً في تحسين المراعي.





الرتم

الأنواع الأربعة المغربية هي :

ـ ريتاما وحيدة البذرة أو ريتاما مُونُو سْميرْمَا Monosperma : شجرة صغيرة، جد متفرعة. أزهارها في عناقيد مفتوحة، بيضاء، طولها ما بين 9 و13 مم. بذورها سمراء أو سوداء.

يصادف النوع في جل البيومناخات وفي الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافيء. يعيش على الأتربة الرملية الساحلية من السعيدية إلى جنوب سيدي إفني كما يظهر استثنائيا في الحوز وسوس.

ـ ريتاما كروية الثمرة أو ريتاما سفيروكاربا Retama sphoerocarpa وهي جنبة جد متفرعة. أغصانها قائمة غير متدلية وعديمة الزغب. أزهارها صفراء، طولها يتراوح ما بين 6 و8 مم، مجتمعة في ازهرارات كثيفة. ثمارها بيضوية إلى كروية الشكل بذورها كروية الشكل.

ينمو النوع في البيومناخات شبه الجافة والجافة والصحراوية الدافئة والمعتدلة والباردة، وفي الطابقين المتوسطي الدافيء والمتوسطي. ويصادف على أتربة صخرية على العموم في المناطق الجبلية والسهبية والصحراوية جنوب الأطلس المتوسط وشمال وجنوب الأطلس المتوسط وشمال وجنوب الأطلس الكبير الشرقي. والأطلس الصحراوي في المغرب الشرقي الجنوبي.

ـ ريتاما رتمية أو ريتاما ريتام Retama raetam يختلف هذا النوع عن النوع الأول بازهراره الذي يظهر على شكل عناقيد جد مكدسة، حاملة أزهاراً بيضاء، ذات طول يتراوح ما بين 10 و17 مم، وكذلك بثماره ذات المنقار المنعرج وبذوره الصفراء اللون في بعض الحالات.

يعيش النوع على أتربة صخرية أو رملية في المناطق الصحراوية والجافة في الحمادة والأطلس الصحراوي، وفي الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافيء.

نوع قبسي مغربي يقطن في الجبال الصخرية من الأطلسين الكبير والصغير في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة المعتدلة والباردة، وفي الطوابق المتوسطي الدافيء والمتوسطي وفوق المتوسطي.

A. Benabid, *Flore et écosystémes du Maroc, évaluation et présentation de la biodiversité*. Paris, 1999. 370 p. ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris. 1938.

عبد المالك بنعبيد

رتم رقيق ← سكوم الجمل

الرتميون، قبائل عربية قاطنة بتادلا العليا أو ما كان يعرف بتادلا رتمة أو تادلا الرتمية نسبة إلى قاطنيها. وهي قبائل : بني خيران، السماعلة، ورديغة. سميت كذلك نسبة إلى جدها الأعلى جابر الرتمي. فهذا الاسم تحدثت عنها الكثير من المصادر، وبه خاطبتها المراسلات المخزنية... إلا أن هذا الاسم يتضمن كذلك مجموعات بشرية تقطن نفس المجال الجغرافي دون أن تكون لها نفس الأصول كالفُقْرَا وبني منصور وشرفاء أيت عمار وبني زمعر...

جابر الرتمي

وردبغ علي

ورديغة

بحر كبير / بحر صغير / إسماعيل/السماعلا / خيران /خير الله

(أولاد بحر كبار) (أولاد بحر صغار) (السماعلة) . (بني خيران)

الوثائق الملكية.

M. et E. Gouvion, *Kitab Aayane Almaghreb L'Aakasa* ; Raymond Peyronnet, *Le problème Nord-African*, T. I.

صالح شكاگ

الرَّثُّوث، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس أنجبت عدة فقهاء، تذكر الوثائق من بينهم : محمد بن أحمد الرثوث كان قاضياً بتطوان سنة1126 (1714) وسنة 1143 (1730) ؛ ومحمد بن محمد الرثوث تولى خطة العدالة من سنة 1176 إلى سنة 1189 (1762 ـ 1775) ؛ والرثوث عبد السلام بن محمد زاول خطة العدالة من سنة 1113 (1701) إلى سنة 1116 (1704). وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1190 (1776).

م. ابن عزوز حكيم، *كتاب أسماء عائلات تطاون*، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 706.

محمد ابن عزوز حكيم

الرثوث، عبد الله (الحاج -) بن يوسف التطواني الأندلسي الأصل الفقيه العلامة العدل من عائلة كريمة عائلة اشتهرت بالتوثيق والعدالة والوراقة. ذكر منها الفقها، محمد بن أحمد وقد تولى القضا، كما في صكوك شرعية عليها خطابه عام 1143. ومحمد بن يوسف الفقيه الفرضي الحبسوبي، ومحمد بن محمد ويوسف بن محمد.

انتقل المترجم من مسقط رأسه تطوان إلى فاس للدراسة وأخذ عن علمائها ولا سيما أبي السعود عبد القادر الفاسي الفهري، فقد أخذ عنه التفسير والحديث وغير ذلك.

توفي المترجم له بالطاعون العام سنة 1087 / 1676.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 280 ؛ *تاريخ تطوان*، 2، ص. 288 ، 298 ، 296 ، 313، طبع تطوان.

الرثوث، محمد بن يوسف التطواني. العلامة الفقيه الحبسوبي الفرضي الوراق المحقق من عائلة أندلسية نبيلة انقرضت منذ مدة ولم يبق من اسمها إلا غرسة الرثوث بنتره كيتان خارج تطوان صارت بعده إلى الرزيني.

هذا الرجل كان كأكثر أهل بيته من العدول المنتصبين لتحمل الشهادة وأدائها بتطوان، وقف الفقيه الرهوني على خطه وعلامته بذلك من عام 1171 إلى 1188 وكان منهم من تولى القضاء فترة وجيزة. ثم يضاف إلى ذلك أن المترجم له كان ذا ولوع بالنسخ والتقييد والوراقة ذا خط مليح محقق دقيق ولم يقتصر على النسخ فقط بل كان يعلق على بعض منسوخاته بما يعن له فيجيد ويحقق، وقفت من منسوخاته - مما كنت أملكه، وهو الآن بالخزانة العامة بتطوان - على مجموع تآليف في القراءات والتجويد فرغ منه عام 1131 وبخزانة الفقيه محمد المرير بتطوان نسخة من *التلمسانية* في الفرائض وبعدها فصل مركز محقق من عمل المناسخات. جاء في آخر النسخة : نجز والحمد لله على إكماله، وقد أكملها لنفسه ولمن قدر بعده تصحيحاً وتطريراً وقراءة عبد ربه محمد بن يوسف الرثوث غفر الله له ولطف به، ومنّ عليه بغفران ذنبه.

توفي المرجم له بتطوان بعد عام 1188 / 1774.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، (7 / 5)، مخطوط.

الرثوث، يوسف بن محمد الأندلسي التطواني. الفقيه العلامة الوراق المحقق، أحد نبغاء الأسرة الأندلسية النبيلة المنقرضة التي عرف أفراد منها بالعلم والتوثيق والعدالة. ذكره العلامة محمد بن عبد الهادي المنوني رحمه الله كما في كتابه *تاريخ الوراقة المغربية* (صفحة 96 تحت رقم 100) فقال : يوسف بن محمد الرثوث التطاوني، ونقدم من منتسخاته اثنين (أ) *شرح البردة البوصيرية* للألبيري، فرغ منه أوائل ربيع النبوي عام 1055 بالمكتبة الملكية تحت رقم 9845 (ب) نسخة من (صحيح مسلم) ثمانية التجزئة من الحجم الصغير مكتوبة ومقابلة من أصل ابن عُفير بواسطة. وفرغ من انتساخها عشية الثلاثاء الموافي ثلاثين من شوال عام 1082 وهي محفوظة في مكتبة القرويين تحت رقم 977 على بتر في أول الجزء الأول مع كتابة الجزء الخامس بخط مغاير.

قلت : وقف على هذه النسخة قبل الفقيه المنوني شيخنا أحمد الرهوني. قال في *العمدة* : وقد رأينا بخزانة القرويين نسخة من *صحيح مسلم* بخط الفقيه الرثوث التطواني. وهو خط رقيق جيد غاية. وعلى تلك النسخة تصحيحات لعدد من الأئمة. وهي عندهم بفاس نظيرة نسخة الشيخ الأكبر سيدي عبد القادر بن علي الفاسي رضي الله عنه *لصحيح البخاري*، ونسخة ابن سعادة عند المغاربة والأندلسيين للصحيح أيضاً، وقد سردنا من هذه النسخة على شيخنا شمس الدين مولانا محمد بن جعفر الكتاني الحسني رضي الله عنه قدراً غير قليل وتبركنا بالجميع، ويغلب على ظني أن محمد بن يوسف الرثوث المتوفى بعد عام 1188 هو صاحب تلك النسخة والله أعلم.

وهذه غفلة من الشيخ رحمه الله ولو انتبه لتاريخ الفراغ من النسخة لعلم أنها لا يمكن أن تكون له، وانها ليوسف بن محمد الرثوث المتوفى بعد عام 1082 ويظهر أنه أبوه.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط (7 / 5) ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، الرباط.

محمد بوخبزة

رجال المطافئ. شكّل اكتشاف النار عنصرا هاما في تحديد مراحل تطور الإنسانية، لكن بالموازاة مع ذلك، فقد كان عليه أن يعمل على التفكير في وسائل ناجعة تقيه الأخطار التي يمكن أن تنجم عن انفلات تحكمه في هذا الاكتشاف. وعليه عرف الإنسان ظاهرة التصدي للحرائق منذ العصور القديمة.

ولم يكن العالم الإسلامي بعيدا عن هذا التطور، فقد ارتبطت عملية التصدي للحرائق بالجانب الديني، فعملية مكافحتها تندرج ضمن شروط التضامن الذي يجب أن يسود بين أفراد الأمة. أما عملية التعقب فقد كانت هي الأخرى تخضع للحكم الديني. والمغرب وبحكم انتمائه الديني عرف هو الآخر نفس المبدإ. إذ تكشف بعض النوازل عن مجموعة من القضايا الاجتماعية المرتبطة بمسألة الحرائق وسبل التصدي لها. وبالفعل تكشف لنا إحدى نوازل الونشريسي عن أسلوب التضامن الذي كان سائدا بين الأهالي في حالة اندلاع الحريق. فلم تكن المهمة منوطة بشخص أو مجموعة محددة، بل إن الأمر يشمل كلا من أفراد الأسرة والجيران وأهل الحي

مع بداية التوسع العمراني وازدياد السكان أصبحت عملية إطفاء النيران توكل إلى «الكرّاب»، أي السقاء،

الذي كان ملزما بإفراغ ما لديه من ماء في حالة الضرورة في أوعية مختلفة بأقصى سرعة ممكنة لمكان البيوت المحترقة. إلى جانب الدور المنوط بـ«الكَرّاب»، استمر أفراد الحي في أداء مهمتهم التضامنية التي جبلوا عليها وأصبحت عنصرا ينسجم مع روح التقاليد المغربية.

مع التقدم الذي أصبحت تعرفه المدن المغربية واتساع مجالها الجغرافي بدأ التفكير في تنظيم فرق خاصة تحرص على التصدي للحرائق والمخاطر بشكل أكثر تنظيما من السابق. وتتمتع بإطار قانوني يضمن لها الاستمرارية ويخضع في نفس الوقت لمراقبة إدارة الحماية. هكذا ظهر ظهير 9 مارس من العام 1917 مأخوذ عن القانون الفرنسي الصادر في نوفمبر من العام 1903 الذي ينظم لأول مرة مهنة رجال المطافئ ويضع مسألة الإشراف تحت مسؤولية الباشا بساعدة مجلس إداري.

يعرف الظهير رجال المطافئ «بأنهم المكلفون بإطفاء الحريق في كل مدينة يستلزم حالها ذلك قصد مقاومة البلايا العمومية وخصوصا الحريق» (*الجريدة الرسمية*، عدد 505 في 2-4-17).

يتضمن الظهير خمسة أبواب، يتعلق الباب الأول بالتنظيمات العمومية، أما الباب الثاني فيحدد التنظيم والترشيح لولوج وظيفة رجال المطافئ، بينما يحدد الباب الثالث اختصاصات الضابط قائد فرقة رجال المطافئ، أما الباب الرابع فقد اهتم بتحديد الإجراءات التأديبية، بالإضافة إلى الباب الخامس الذي اهتم بتحديد طابع الأسلحة والزي الخاص برجل المطافئ. هكذا فبموجب ظهير 9 مارس 1971 أصبح جهاز إدارة المطافئ حاضراً بشكل رسمي ضمن مكونات إدارة الحماية الفرنسية.

تم تشكيل الفرق الأولى في المدن الأكثر كثافة واتساعا، فقد تم في البداية تأسيس فرقتين لرجال المطافئ. الأولى بمدينة الدار البيضاء، وقد جاءت وفق المرسوم الوزاري الصادر في 2 يونيو من العام 1917. والثانية بمدينة الرباط وفق المرسوم الصادر في 14 يوليو من نفس السنة. كانت عناصر فرع الرباط تتكون من سبعة وأربعين رجلا تشمل ضابطاً برتبة ملازم ثان وثلاثة نواب، مقدم كبير ومقدم فرنسي ومقدم من «الأهالي»، كما ينضاف إليهم ثلاثة متعاونين اثنان منهم فرنسيون وفرد من الأهالي، يساعدهم أربعون نفرا نصفهم من الفرنسيين والنصف الثاني من «الأهالي». في هذه الفترة اقتصر العمل في بقية المدن المغربية على الطرق التقليدية السابقة، وعلى عمل بعض المتطوعين من السكان.

على إثر الحريق المهول الذي اندلع بمدينة فاس في 22 جوان من العام 1918، وهو الحريق الذي اكتسح مساحة هامة من ضريح مولاي إدريس وجزءا مهما من المدينة القديمة - فاس البالي - تم تأسيس فرقة لرجال المطافئ بالمدينة وفق القرار الوزاري الصادر في 20 يوليو 1921. بلغ عدد أفرادها خمسة وسبعين رجلا، تضم ملازما وأربعة نواب وثمانية متعاونين والباقي من الأنفار. في نفس السنة سوف تعرف مدينة وجدة تأسيس فرقة مماثلة، إلا أنها أقل عددا بالمقارنة مع الفرق التي تم تكوينها في كل من مدن الدار البيضاء والرباط وفاس. فقد ضمت فرقة وجدة لرجال المطافئ خمسة وثلاثين رجلا منهم الضباط وملازم ونواب الضباط. استمرت عملية تكوين فرق رجال المطافئ وفق الحاجيات واستجابة للتوسع الذي كانت تعرفه المدن المغربية. ففي العام 1935 تم تأسيس فرقة جديدة لرجال المطافئ بمدينة آسفي حدد عدد أفرادها في خمسة عشر نفرا.

بموازاة للتطور السريع الذي كانت تعرفه مدينة الدار البيضاء، عرف فرع رجال المطافئ بالمدينة عمليات تجديد متكررة، تخص إعادة التنظيم والهيكلة مع توسع دائرة الاختصاصات. ففي العام 1943 أصبح عدد رجال المطافئ بالمدينة يضم ما يزيد عن المائة نفر، كما أصبحت التجهيزات أكثر تقدما مقارنة مع المرحلة الأولى. بل إنها في العام 1948 اقتطعت أرضا بمدينة الدار البيضاء خصصتها لبناء ثكنة لرجال المطافئ. هذه الثكنة التي تم توسيعها من جديد بعد مرور أربع سنوات. وفي نفس السنة تم بناء ثكنة بمدينة آسفي. انتظم عمل رجال المطافئ في فترة الحماية وفق النظام العسكري، فبالرغم من طابع الإشراف الذي كان مخولا لباشا المدينة والمجالس البلدية، فإن طرق التنظيم والتسيير والانضمام إلى صفوف رجال المطافئ كانت ذات طابع عسكري. بحكم الاختصاصات الممنوحة للضباط الذين كانوا في غالبيتهم من الفرنسيين، بينما اقتصر عمل المجلس البلدي على توفير الدعم المالي المتعلق بالتسيير والتجهيز.

بعد حصول المغرب على الاستقلال وفي إطار مغربة أطر الإدارة عرف قطاع رجال المطافئ إعادة في التنظيم والهيكلة، فقد دخلت المؤسسة في عملية المغربة والتشبيب. بتنظيم عدد من المباريات كان يتم الإعلان عنها عبر الجرائد الوطنية وعبر أجهزة المذياع، تفتح في وجه الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 21 و35 سنة. كما كانت تقدم مجموعة من البرامج التشجيعية، التي تم تحديد مهمتها في توضيح أهمية المهنة للمواطنين ونبل أهدافها. في نفس الإطار تم تزويد الإدارة بمجموعة من الأجهزة العصرية والتقنيات المتطورة بهدف مواكبة المستجدات والتمكن من التغلب على المشاكل التي أصبحت تزداد تعقيدا يوما عن يوم. كما تم النظر إلى وضعية الموظفين في القطاع، فقد أعطى ظهير 8 يوليوز من العام 1957 الحق لرجال المطافئ في الحصول على التعويض عن الحريق بحدد مبلغه في 8 % من الراتب الأساسي.

عرف قطاع رجال المطافئ في السنوات الأخيرة تقدما ملحوظا سواء من حيث عدد الثكنات، إذ أصبحت جل المدن المغربية تتوفر على ثكنات خاصة وأجهزة متنوعة،

كما أصبح القطاع يتوفر على جمعية للأعمال الاجتماعية تم تأسيسها وفق المرسوم الوزاري الصادر في 7 يناير من العام 1998، يوجد مقرها بمدينة الرباط بل أكثر من ذلك فقد عرفت مهمة رجال المطافئ هي الأخرى تنوعا ملحوظا. فلم يعد عملها يقتصر على مجرد إطفاء الحرائق، بل اتسع ليشمل مجالات عدة منها ما هو مرتبط بالأفراد داخل البلد الواحد. ومنها ما يرتبط بالقطاع الدولي بحكم ظهور منظمة عالمية تندرج تحتها معظم الفروع في العالم.

الجريدة الرسمية. سنوات 1917 . 1921 . 1935 . 1943 . 1948 . 1953 . 1957 و 1958 ؛ أ. الونشريسي. *المعيار المعرب*. بيروت. 1981.

H. de la Casinière, *Les Municipalités marocaines, leurs développement, leur législation*, Casablanca, 1924 p.179

محمد براص

الرجالي، أبو محمد من أهل تازا وأحد فضلاء المغرب في العصر المريني. تتلمذ عليه كثير من العلماء، من أشهرهم الشيخ الفقيه قاضي الجماعة بمراكش أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الهزعي الزكندري المتوفى سنة 768 / 1367.

ل. ابن الخطيب. *نفاضة الجراب*، تح أ. مختار العبادي. الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 63 ؛ م. حجي، محقق. *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 84، 125.

رشيد السلامي

رجراجة ← ركراكة

رجراجي ← ركراكي

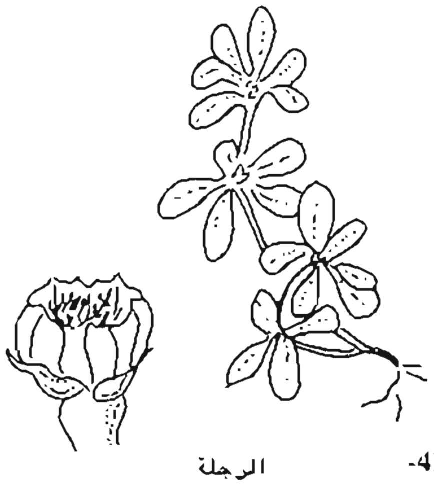
الرُّجْلة أو الرُّجيلة بالمغرب، أو الفرفخ أو البقلة الحمقاء بالمشرق العربي هي بُورتُولاكَا أولِيرَاسِيا Portulaca oleracea وهي نبات من فصيلة الرِّجْليات Portulacaceae نبات عشبي حولي لحمي أو شبه عصاري، ينمو منترشا الأرض. أوراقه ملساء، لامعة، بيضوية الشكل. أزهاره محاطة بأوراق زهرية. ثمرة علبية تحوي بذوراً دقيقة.

تصادف الرجيلة في الحقول والبساتين والحدائق كنبات طبيعي مرافق للمزروعات المروية، وذلك في كل المناطق المغربية، وفي كل بيومناخاتها. في بعض البلدان تزرع كبقلة.

تجمع الرجيلة من الحقول لتغذية الماشية لأنها شديدة الاستساغة من القنيات والأغنام والأبقار. وكذلك لتهييئ بعض المأكولات المختلفة أو المطبوخة، أو على شكل سلطة، وكلها أطعمة لذيذة وصحية لدى الإنسان.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 1999, 370 p.

عبد المالك بنعبيد



الرجلة

الرجم، ضرب من السحر معروف عند طلبة سوس، يكتبون في طرف خَزَفَة سورة الفيل كلها، ويقومون بتمتمات لتوجيه الرجم ضد الشخص أو المكان المراد رجمه، فتنطلق عمليات الرجم بالأحجار والأخشاب من مختلف الأحجام لكنها وإن كانت تزعج وتُخوِّف، فإنها لا تكسِّر شيئاً ولا تؤذي أحداً.

ذكر المختار السوسي في كتابه *خلال جزولة* أثناء كلامه عن رجوعه من أكادير إيزري بالأطلس الصغير إلى إلغ : قال : "دخلت مع رفيقي الأستاذ في حكايات طابت لنا، فحكى غريبة وقعت في حاحة بمركز تمانار في الأيام الأخيرة، وذلك أن مدرِّرا في مسجد بينه وبين طالب آخر سوسي هناك شنآن، فسحره بالرجم المعروف، فبينما المدرِّر جالس مع تلاميذه في المسجد، إذا بدواة من يد أحدهم اندفعت بكل قوة إلى وجه المدرر، ثم توالت ألواح الصبيان عليه، وكل ذلك يراه المدرر ويعلم أن لا يد فيه للصبيان، ثم توالت عليه خشب وأحجار أخرى. إلا أنها إنما تقع عليه. المركز المراقب الأوربي فتثبّتا في ذلك ومعهما الفقيه سيدي محمد بن أحمد أخو هذا الحاكي، فذكر لهم الطالبَ السوسي الذي اتهم بفعل ذلك. فأتى به الأعوان، فراودوه حتى أزال السحر، ثم ترشد المراقب بالسجن إن عاد لمثل ذلك.

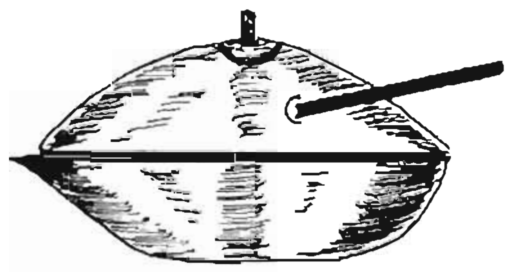
ثم حكينا ... حكايات صحيحة ثابتة من هذا النوع، إحداها وقعت في إسندوت، وثانيتها في إبشت، وثالثتها عندما نحن في دارنا (إلغ) عام 1352 هـ فقد وقع أن الأحجار صارت تتوالى على السطوح وعلى الساحات ... في ... لا تفتر، وقد فتش ... هناك. ولكن العمل ... لا تكسر إناء، ولا تؤذي ... الكسر والإذاية، وقد بقي ذلك ... في لزواية سيدي محمد أبو

الركب فأذن جهارا وأذن فاعلي ذلك بالانكفاف، وإلا فلا يلومُنَّ إلا أنفسهم، فانقطع ذلك".

م. المختار السوسي، خلال جزولة 2، 255، 256 ؛ *روايات شفوية.*

محمد حجي

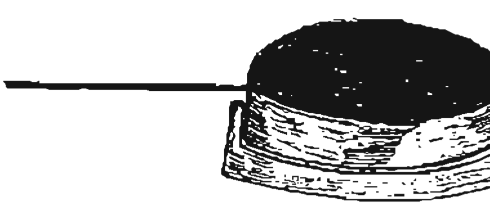
الرَّحَى، وفي الأمازيغية (أزرگ) تعتبر تقنية متطورة لطحن الحبوب، فالإنسان القديم عند اكتشافه الحبوب وحتى بعد زرعها وتحصيلها كان يأكلها كما هي حبا لفترة طويلة قبل أن يهتدي إلى سحقها بواسطة الحجارة إلى أن وصل إلى ما عُرف بالرحى النائمة أو المستلقية، وهي طريقة بدائية تعتمد على لوح من الحجر الصلد أو صخرة مضدة أو مقعرة قليلا توضع فيها كمية قليلة من الحبوب ويتم سحقها عن طريق حجارة ملساء تمسك باليدين معاً وتمرَّر بقوة فوق الحبوب جيئة وذهاباً حتى يتم الحصول على دقيق وجريش ؛ أو عن طريق حجارة منحوتة على شكل أسطواني (BAM).



بعد هذه التقنية جاء المهراس الذي كان في الأصل عبارة عن حفرة منحوتة في صخرة منضدة صلبة تملأ بالحبوب المراد سحقها وتدق بمدق من الحجارة الصلبة المنحوتة : ويعرف هذا النوع من المهراس في الأمازيغية بـ "تانوت" "وأزدوز" وقد وقع تطور في المهراس إذ أصبح متنقلا، سواء من الحجارة المنحوتة أو من الخشب دون أن يتم الاستغناء عن المهراس الثابت، وهذه التقنية ما تزال مستعملة في العديد من الأماكن عند القبائل الإفريقية الاستوائية في شرق إفريقيا وعند الشعوب البدائية عموماً، ويمكن الوقوف على المهراس الحجري في جنوب المغرب خاصة في المناطق الشبه الجافة (*Hespéris*, 1955, t XL)، لكن دورها لم يعد رئيسياً في طحن الحبوب بل تستعمل لسحق مواد تكميلية مثل نوى التمر لتحويله إلى علف للبهائم والتبغ والحناء وغيرها (*زيارات ميدانية*).

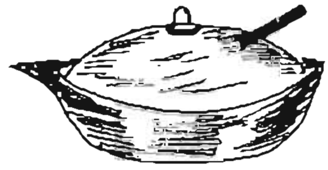
أما عملية طحن الحبوب بواسطة الرحى فهي تقنية أكثر تقدماً وتطوراً، ونعتقد أنها دخلت المغرب عن طريق الفينيقيين والرومان (BAM) وتتكون الرحى من شقين من الحجارة الصلبة المنحوتة يُوضع أحدهما فوق الآخر : الشق السفلي (القاعدة) بتوسطه محور (وتد) من خشب أو حديد، والشق العلوي به ثقب (لهوة) في وسطه ينزل فوق القاعدة ويدور حول المحور. واللهوة نفسها تستعمل لإدخال الحبوب لتقع بين الحجرين، وتتم إدارة الشق العلوي حول المحور بواسطة مقبض خشبي مثبت في جانب الشق العلوي في الأرحاء اليدوية الصغيرة والتي تعتبر من مستلزمات البيوت : وتعتمد الأرحاء المحركة بواسطة الطاقة المائية أو الحيوانية على مبدأ الثقل والخشونة والحركة الدائرية".

هذا هو المبدأ أو القاسم المشترك بين الأرحاء المخصصة لطحن الحبوب، لكنها تختلف من حيث الشكل والحجم والطاقة المحركة، فمن الأشكال التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية في المجال الذي احتلته الدولة الرومانية في المغرب (موريطانيا الطنجية) : شكل مكون من حجارتين مخروطيتين الشق العلوي مجوف وبه ثقب في الأعلى، والشق السفلي محدب، وتتم عملية الطحن بإلقاء الحبوب من الثقب العلوي "اللهوة" ويدار المجوف أو المقعر حول المحدب بواسطة مقبض خشبي مثبت في الشق العلوي المقعر ; وهو شكل لا وجود له اليوم إلا في بعض المتاحف (BAM)، أما أكثر الأشكال شيوعاً واستعمالا فهي التي ما تزال بقاياها موجودة في العديد من البيوت في البادية وعند القبائل الرحل بصفة خاصة ويتكون من حجارتين مخروطتين، الشق العلوي تتوسطه لهوة ثقب يخرج منه طرف المحور (الوتد)، وتلقى منه الحبوب، أما الشق السفلي (القاعدة) فهو مخروط قمته مسطحة وقاعدة يتوسطها المحور (الوتد) أي أن قاعدتي المخرط هما اللتان تقع الحبوب بينها فتطحن. هذا الشكل هو الأكثر انتشاراً في البادية المغربية ويختلف الشكل قليلاً في المنطقة الشمالية عن الأول، فبدلا من الشكل المخروطي نجد الرحى عبارة عن قرصين ثقيلين من الحجارة المنحوتة بوضع أحدهما فوق الآخر ويدار بنفس الطريقة بمقبض خشبي أو حديدي حول محور مائل.



تتم عملية الطحن بإلقاء الحبوب قبضةً قبضة من خلال اللهوة، باليد اليسرى وتتم إدارة الشق العلوي بالقبض بمنة ويسرة ويفترش حصير أو قطعة من قماش ليسقط عليها الدقيق تعرف في اللغة العربية بالثفال. وهناك أشكال أخرى للرحى مختلفة من حيث الحجم والاستعمال والشكل مثل الرحى المستعملة لطحن الزيتون أو قصب السكر فهي تختلف كثيراً عن النوع المخصص للحبوب بحيث تعتمد على قرص ضخم منحوت من صخر صلب يتم تثبيته بشكل عمودي على محور قائم مثبت وسط جفنة كبيرة منحوتة من صخرة واحدة أو مبنية ومرصفة بالواح الحجارة الصلبة وتتم إدارتها بواسطة الطاقة البشرية أو الحيوانية أو المائية، وقد دخلت فيها التقنيات الحديثة اليوم سواء في الحركة أو الطاقة المحركة لكن المبدأ الأصلي مازال موجوداً : قرص أو عجلة من الحجارة الصلبة (*تحريات ميدانية*).

ومن الأنواع اليدوية المستعملة في البيوت وخاصة في الجنوب المغربي رحى زيت أركان التي تعتمد على المبدإ الميكانيكي نفسه لكنها تختلف شكلا : فالشق العلوي أصغر من الشق السفلي الذي ينتهي بثلمة يسلكها السائل المستخلص من عملية الطحن وهو زيت أركان ليتجمع في الإناء الذي يوضع أسفل الرحى.



أعجب المؤرخون وكتاب الحوليات في العصر الوسيط خاصة بكثرة الأرحاء المائية في المغرب المنتشرة في كل أرجائه في مدنه وقراه وبواديه، وتتبع بعضهم وجودها وقدم إحصائيات حولها ؛ والأرحاء المائية مثلها مثل الأرحاء التي وصفناها إلا أنها تختلف من حيث الحجم والطاقة المحركة لها، ومن هنا جاء اهتمام المصادر بها. لأن استعمال الطاقة المائية في تحريك الأرحاء، يعتبر ثورة في الميدان وهذه الثورة تأثر فيها المغرب ولاشك بالحضارات التي سبق أن استغلت المياه بشكل مماثل، فبعض الدارسين أشار إلى أن الرومان في موريطانيا الطنجية وتحديداً في وادي خومان الذي كان يجري أسفل العاصمة وليلي استخدمت مياهه لإدارة الأرحاء (BAM).

يتطلب استخدام المياه كطاقة لإدارة الأرحاء، كمية كبيرة من المياه وصبيباً دائماً وانحداراً قوياً بحيث تنزل المياه المنحدرة بقوة أو الساقطة من أعلى بثقلها على عجلة من أعواد تدير الشق العلوي من الرحى المعدة لطحن الحبوب، أو تدير العجلة الصخرية العمودية المحركة المعدة لطحن الزيتون وقصب السكر وغيره (*الصور المرفقة*) (*Histoire du Maroc*).

أما اهتمام المصادر بالأرحاء المائية وتتبعها في مختلف جهات المغرب فيمكن اعتباره مؤشراً نستخلص منه استنتاجات متعددة :

1 . انتشار الوعي باستخدام الطاقة المائية في تحريك الأرحاء، في الأماكن التي تتوفر فيها المياه الجارية.

2 . كثرة الأرحاء المشار إليها في المصادر تعني فيما تعنيه كثرة استهلاك السكان للحبوب، وفي ذلك إشارة إلى تطور المجتمع المغربي الذي أصبح اعتماده على دقيق القمح والشعير في غذائه يتزايد (*العبر*، 88).

3 . كثرة الأرحاء، تعني من جهة أخرى كثرة الجداول والسواقي والمساقط المائية أي شبكة مائية سطحية كثيفة، ناتجة عن مناخ رطب (التساقطات الثلجية والمطرية منتظمة).

وردت في المصادر إشارات متعددة إلى الطواحين (جمع طاحونة) ويقصد بها البناية التي تجمع عدداً من الأرحاء، سواء كانت مائية أو تحرك بالطاقة البشرية أو الحيوانية، وهي طواحين عمومية، وفي بعض المصادر، وهي قليلة، إشارات إلى بيت الأرحاء، ويعني الطاحونة بالمفهوم المذكور (*اختصار الأخبار*، 87 و92 و94 : *وصف*، 183، 184).

استحوذت مدينة فاس على معظم الإشارات في المصادر عن الأرحاء، فلا يخلو من ذكرها مصدر حتى إنهم ذكروا أن لكل بيت فيها جدول ماء ورحاه، وتفاوتت الأرقام المقدمة ما بين 300 و3.000 رحى، وميزت المصادر ما بين الأرحاء الدائمة الاشتغال والأرحاء التي تشتغل في فصل دون آخر فأشارت إلى الأرحاء الشتوية أي التي تعمل وقد تزايد منسوب المياه في الجداول والأنهار والسواقي ؛ وعند صاحب *اختصار الأخبار* إشارة تفيد أن من الأرحاء ما تعمل بمياه ومساقط مائية مصطنعة بحيث يتم ملء الصهاريج وإحداث قوة محركة للأرحاء.

تعود ملكية الأرحاء المائية في البوادي إلى الجماعات والقبائل والمداشر، وتعمل ليل نهار دون انقطاع، وتقام عند المنحدرات والمساقط المائية الطبيعية أو تهيأ لها منحدرات ومساقط اصطناعية يتم التحكم فيها بتحويل المياه عنها وإعادتها إليها عند الحاجة ويقوم على حراستها وتشغيلها وصيانتها شخص تعينه الجماعة يتعاطى من المستفيدين منها أجرة عينية وهي في غالب الأحيان (نصيب محدد من الطحين) ؛ لكن الأرحاء في المدن الكبيرة كانت في ملكية الخواص سواء منها التي في البيوت مثل فاس (*المغرب*، 115) أو الطواحين الكبيرة العمومية التي يكثر بها أحياناً الدقاقون وأصحاب المخابز، ويطحن فيها عموم الناس، وقد

فصل الحديث في هذا النوع من الطواحين صاحب *اختصار الأخبار* فوصف أبنيتها ومخازنها وعدد أرحيتها وحجارتها وملكيتها (*اختصار*، 87 و92 و94) وتبعه الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (132 و183 و184) فأطنب في الحديث عن طواحين فاس وأضاف أن كراء هذه الطواحين مرتفع : مثقالين لكل رحى. وأما ما يدفعه الشخص مقابل طحن حبوبه فهو (رودجيو) أي 15 سنتيم ذهب لكل كيل ؛ في زمن الشريف الإدريسي (*نزهة*، 3 : 241 و243) كانت أرخص : "فاس مدينتان بينهما نهر كبير يأتي من عيون صنهاجة عليه داخل المدينة أرحاء كثيرة لطحن الحنطة بلاثمن له خطر..."

هذه الأرحاء المائية يتهددها ويحد من نشاطها عنصران أساسيان :

أ - العامل البشري ونقصد الاستقرار والأمن أو عدمه : ففي الحالة الأولى تزدهر الأنشطة البشرية الفلاحية والتجارية والصناعية، وفي الحالة الثانية يتوقف التطور ويعود المجتمع إلى الرعي والترحال، وتتعرض المنشآت العمرانية والصناعية والزراعية للتخريب ومنها الطواحين.

ب - العامل الثاني بشرى أيضاً ويتعلق بالمنازعات بين القبائل والمداشر والجماعات حول المياه الجارية وكذلك النزاع ما بين الفلاحين وسكان المدن : الفلاحون يريدون تحويل الماء للسقي وأصحاب الطواحين يريدونها لأغراضهم ويتم الاتفاق أحيانا حول تقسيم المياه أو استغلالها مناوبة (*نزهة*، 232 ؛ *وصف إفريقيا*، 276).

ج - العامل الثالث وهو أخطر من العوامل البشرية وهو الجفاف : فقلة التساقطات المطرية والثلجية أو انعدامها في بعض السنوات تسدد ضربة قاضية لهذا النشاط : طحن الحبوب عن طريق الأرحاء المائية.

منذ التاريخ القديم وإلى اليوم عوف المغرب الأرحاء المائية بل كانت أكثر الأرحاء استعمالا واستغلالا. أما في الوقت الحاضر فيمكن القول إن هذه الأرحاء المائية الموجودة معدودة على رؤوس الأصابع وما لم تتدخل الجهات المعنية بالتراث فقد يضيع هذا الكنز الذي يذكّر المغاربة بعهد مزدهر مضى ؛ ومعظم هذه الأرحاء موجودة في المجاري المائية ذات المساقط القوية خاصة في الأطلس الكبير : في أوريكا ومولاي إبراهيم ووادي غيغاية وإمليل وغيرها (فإنقادها والحفاظ عليها مسألة وطنية.

تغيرت مصطلحات الرحى والطاحونة بعد دخول الطاحونات الآلية المحركة بالطاقة الحيوانية أو بالبنزين ثم الكهرباء في عهد الحماية الفرنسية على المغرب وقبلها بقليل، فأصبحت الطاحونة تعني تلك الآلة والبناية في نفس الوقت ؛ أما الرحى أو الأرحاء فبقيت منذئذ وإلى الآن تعني الرحى المائية واليدوية المعتمدة على شقين أو فردتين من الحجارة ؛ وإذا كانت رحى الحبوب قد أصبحت من التحف الأثرية فإن رحى عصر الزيتون ورحى زيت أركان مازالت منذ العصر الوسيط وإلى اليوم الأكثر استعمالاً في البادية رغم ظهور التكنولوجيات الحديثة في هذا الميدان.

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر، 1911 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الإيطالية، 5 أجزاء، نابولي، د. ت ؛ الجزنائي، جني *زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ إ. العمري، *مسالك الأبصار*، م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عهد بني مرين*، ومقتطفات، فانيان ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1964 ؛ ي. الحموي، *معجم البلدان*، مصر، 1906 ؛ ابن سعيد المغربي، *بسط الأرض*، تطوان، 1958 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، الإسكندرية، 1958؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ أبو الفداء، *تقويم البلدان*، باريس، 1960 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، د. ت ؛ السبتي الأنصاري، *اختصار الأخبار*، مجلة تطوان، العدد3 : 1958 - 1959 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980.

محمد حجاج الطويل

الرحامنة، قبيلة حوزية يحد موطنها مجرى وادي أم الربيع شمالا، ومجرى وادي تانسيفت وسلسلة الجبيلات وبلاد مسفيوة جنوبا، ومن الناحية الشرقية قبائل السراغنة وزمران، ومن الجهة الغربية دكالة واحمر وأراضي الگيش. وتتبع قبيلة الرحامنة إدارياً إقليم قلعة السراغنة. من مراكزها بن گرير، صخور الرحامنة، سيدي بوعثمان، وراس العين. ومن أهم عشائرها : الخشاشدة، والخشاشدة البورية، واللواتة البورية، واللواتة الحوزية، وسلام العرب، وسلام الغرابة، وبگوت العرب، وبگوت الغرابة، وعزيب المرابطين، والعطاية، والعطاية الحوزية، وبرابيش بني حسن، وبرابيش الجعافرة، وبرابيش أولاد عبد الله، والشياظمة، والشياظمة الحوزية، وأولاد عقيل، وأولاد الزعرية، وزاوية ابن ساسي، وأولاد عبو، وأولاد حصين، وأولاد مطاعية، وأولاد تميم، والسكان.

تعتبر قبيلة الرحامنة من المجموعات المعقلية، اليمنية الأصل، التي استقرت بالصحراء - قبل أن تنزح نحو الشمال - حيث كانت تنتشر على أطرافها الشمالية. وكان فرنانديس أول من أشار إليهم في مستهل القرن العاشر (16 م). وكانوا يحملون هذا الاسم منذ أن كانوا في اليمن قبل نزوحهم إلى بلاد المغرب. والملاحظ أنهم تركوا في طريقهم نحو الغرب بصمات هذه التسمية في كل من الأردن وليبيا.

وتشير المصادر إلى أن الرحامنة في الصحراء كانوا أكبر المجموعات المعقلية سكانا يحاربون بأكثر من عشرة آلاف مقاتل من بينهم سبعمائة فارس. ويعيشون حياة ترحال ونصف ترحال مقرونة بزراعة محدودة للحبوب. وتفيد وثائق دوكاستر أن حياتهم في الصحراء لم تكن تقتصر على الرعي والزراعة فحسب، بل كانوا يتعاطون كذلك

لتجارة واسعة. وتتوافق هذه الإشارة مع ما جاء لدى فرنانديس عن التجارة عبر الصحراء ونصب الرحامنة منها مع أولاد دليم في مرحلة أولى بين بلاد السود زناغة والجنوب الغربي للبلاد. ومن المعلوم أن المغرب في القرن العاشر (16 م) كان يحاول التمسك بدور الوساطة الذي كان يقوم به بين إفريقيا وأوربا في وقت مازالت فيه بعض الكميات من الذهب تصل إلى موانئه الصحراوية وهذا ما جعل الرحامنة خلال مقامهم في الصحراء يساهمون في حركة الجهاد سنة 932 / 1525 إلى جانب الشرفاء السعديين لصد الغزو المسيحي للسواحل الجنوبية الغربية بعد أن أخل الوجود البرتغالي على الساحل الأطلسي بهذا التوازن وما لحق سكان المنطقة من أضرار بسبب تحويل النصارى للتيار التجاري التقليدي.

بعد أن استتب الحكم للسعديين نزح الرحامنة نحو التل، أي شمال سلاسل الأطلس، حيث أشار مرمول سنة 1565 إلى هيمنتهم على كل المنطقة الممتدة من أسفي إلى مراكش. ويجب التأكيد هنا على أن الرحامنة لم يكونوا گيشا منظما في خدمة السعديين عكس ما سار إليه مارمول وقد شاطره دوتي نفس الرأي. كما أنهم لم يكونوا من قبائل الگيش على العهد العلوي بل كانوا خداماً يعدون من قبائل النايبة التي كانت تسهم بالجيش وتدفع العيش.

كان مجال الرحامنة إلى القرن الحادي عشر (17 م) يمتد من أم الربيع شمالا إلى أعراف الأطلس جنوبا نظرا لتعاطيهم الرعي الواسع وما يتطلبه هذا النشاط من ضرورة النجعة، فكانوا مرتبطين بمجموعة من التحالفات "أمقون" التي كانت تعطي حق الرعي والحماية للرحامنة بـ"ألمو" وكان هذا التعاقد يعطي نفس الامتيازات لغيغاية، ومسفيوة، وگندافة في منخفض البحيرة بقبيلة الرحامنة إلى أن تعرض هذا التوازن لانكسارات في نهاية القرن السابع عشر بسبب استقرار الگيش الإسماعيلي حول وادي نفيس. واستمر تراجع نفوذ الرحامنة في منطقة الدير في عهد مولاي عبد الرحمان لما استقدم أيت "يمور" سنة 1845 من الغرب إلى الحوز وأنزلهم وراء وادي نفيس وقبلته، ثم نقل "رحى المغافر الودايا" من فاس الجديد سنة 1852 وأنزلهم بأحواز دائرة مراكش بزاوية الشرادي وما والاها خلف ضفة وادي نفيس وقبلته. وهكذا ضرب الگيش العلوي الحصار على الرحامنة من جهة الجنوب فكان يمنعهم من التردد على مراعي الدير وأصبحت ممتلكاتهم حول نهر تانسيفت تشكل الحدود الجنوبية لمجال قبيلتهم على العهد الرحماني. وبعد تمردهم على العهد الرحماني، ثم على العهد المحمدي غداة حرب تطوان، انتزع منهم المخزن كل الأراضي السقوية الخصبة جنوب وادي تانسيفت نذكر منها تبهنيت، وأغاطيم، وسعادة، وعين دادة، والسويهلة... وبذلك أصبحت الحدود الجنوبية للقبيلة في مجرى الوادي المذكور.

كان للرحامنة مصاهرة مع السعديين حيث إن سحابة الرحمانية كانت الزوج الثانية لأبي عبد الله محمد الشيخ المهدي. وقد خلف معها أبا سعدة عبد المومن، ولالة عائشة، ولالة فاطمة، وأبا مروان عبد الملك الذي مات في معركة وادي المخازن. وقد رافقت سحابة الرحمانية ابنها عبد المالك إلى القسطنطينية في بلاط السلطان مراد بن سليم من أجل الحصول على دعم الأتراك لاستقراره على عرش المغرب.

منذ القرن الثاني عشر (18 م) طفت أخبار الرحامنة على السطح في تاريخ المغرب، وتناولتهم المصادر كمجموعة قوية تشكل أكبر تجمع سكاني في الحوز كانت لهم هيمنة على كافة قبائله في القرنين الثاني عشر والتاسع عشر. وترجع المصادر كثرة جموع الرحامنة وتزايد ساكنتها المطرد إلى توالي الهجرات السوسية التي كانت تُسهم في سرعة التجدد السكاني رغم توالي الانتكاسات الديموغرافية على مغرب ما قبل الحماية. ومن الملاحظ أن أثر هذه الهجرة مازال قائما إلى اليوم. فإذا كانت مجموعات "الغرابة"، وهم النازحون القدامى، قد نسخوا "الخنت" وأقلعوا اللسان بعد مرور الحقب وتعاقب الأزمان، فإن التوافد المطرد للقادمين الجدد ظل يعضد ارتداء الخنت والتواصل باللهجة الحسانية بين مجموعات "لعرب". وعلى هذا الأساس كان السلاطين يخاطبونهم بعبارة "أعراب الرحامنة". اعتبارا لما تقدم من وفرة في السكان كانت القبيلة على العهد الحسني يتوزع حُكمها ثمانية قواد، ثم قسمت في ضحى الفترة العزيزية إلى عشر إيالات.

قام الرحامنة بثلاثة تمردات هامة في القرن الثالث عشر (19 م) : أولها بعد حرب تطوان، وثانيها بعد وفاة سيدي محمد بن عبد الرحمن، وثالثها بعد وفاة مولاي الحسن. وقد كان عنف التمردات المذكورة يستمد قوته وطول نفسه من وفرة أعدادهم وقوة شوكتهم. ولعل عامل الوفرة هذا هو الذي جعل السلاطين العلويين يعتمدون عليهم في ضبط باقي القبائل الحوزية ويستشيرون عمالهم وفقهاءهم في تعيين قواد الحوز. فقد خاطبهم المولى سليمان في رسالة بتاريخ شوال 1235 بقوله : "... لما ولاني الله نوهت بكم، وعملتكم بسوس ودرعة، ووليتكم مراكش، وخيرتكم على جميع القبائل، وجعلت الزوين على جميع أهل الحوز، وجعلته وزيراً ومشيراً... أنتم قبة الحوز وقلبه... فما عندي أعز منكم..." ووصفهم ظهير سلطاني بأنهم يميزون بزيادة المحبة وخصوص الأثرة، مذكورون بالخدمة والنصيحة والجد..." وورد في رسالة مخزنية بتاريخ تعدة 1290 هجرية أن سيدي محمد بن عبد الله كان يعتمد عليهم ويميزهم ويستخدمهم من جملة جيشه فيغنون ويكفون..." ولعل قوة الشوكة هذه كانت تبرز خارجيا في الكفيلة بتفسير الحظوة والمكانة التي كانت لهم لدى السلطان المذكور حيث اتخذ من محمد عمران الرحماني وزيراً له، وعينه خليفة على مراكش من جهة وتزوج بالسيدة البتول

ابنة القائد عبد الله الرحماني وأرسل أخاها محمد الزرين سفيراً لدى السلطان عبد الحميد خان العثماني.

أنجبت قبيلة الرحامنة عدداً من الرجال من أصحاب القلم والسيف نذكر منهم :

ـ الفقيه العلامة أحمد بن مبارك الكرني الذي كان يقرئ أولاد المولى عبد الرحمان كمولاي أبو عزة، ومولاي رشيد، ومولاي علي، ومولاي العباس، وقد كان هذا الفقيه معروفاً بفصاحة اللسان له اختصاص بعلم النحو، توفي عام 1304 / 1887.

ـ الفقيه البهلول بن علي بوسلهام، ولد في العشرة الأخيرة من القرن الثاني عشر للهجرة. كان فقيها فاضلا ماهرا درس بجامع ابن يوسف بمراكش. ولما رأى مولاي عبد الرحمان من علمه ما بهره ألزمه سكنى الحاضرة المراكشية. وكانت له كلمة مسموعة في قبيلته ومكانة رفيعة عند السلطان فكان يستشيره في تولية عمال الحوز وولاه جمع زكاة الرحامنة فتضايق عاملا القبيلة من حظوته ووشيا به لدى السلطان زاعمين أنه مادام بينهم لا يستقيم لهم أمر فقبض عليه عام 1270 / 1854، ثم رُحل لفاس وبقي بها إلى أن مات سنة 1272 هجرية ودفن بروضة العلماء، هناك.

ـ الفقيه العلامة محمد بن حمو البربوشي كان قاضي القبيلة ومفتيها، نسب له العاملان المذكوران نفس التهمة فقبض عليه سنة 1270 هجرية ورُحل بدوره إلى فاس.

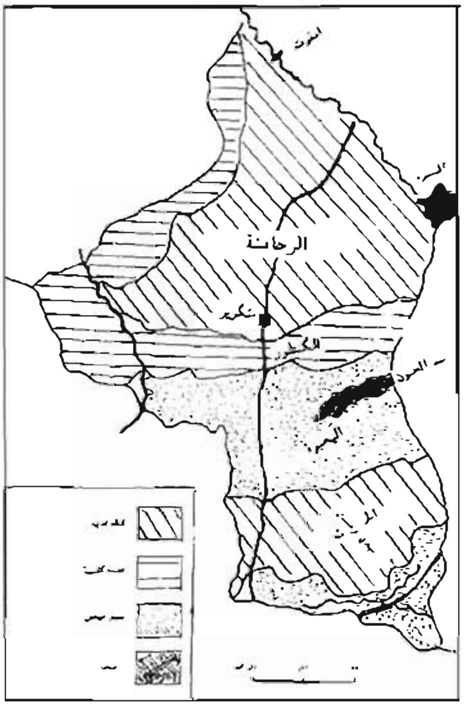
ـ عبد الحميد بن الفاطمي الرحماني عامل مجموعة البرابيش. كان مولاي الحسن يستنهضه للمهمات الصعبة وقد بعثه في سفارة إلى إسبانيا.

ـ مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني عمل قائداً في القبيلة من 1884 إلى 1889 ثم بعثه مولاي الحسن إلى الريف فَوُلي على قبيلة گلعية ثم عينه على تازة فوادي درعة. كان مبارك الطاهر ضابطاً حازماً يعتمد عليه المخزن في قضاء المهمات. وبعد وفاة مولاي الحسن رجع القائد المذكور من درعة إلى قبيلة الرحامنة حيث تزعم التمرد الشهير 1894 ـ 1896 الذي دوخ الحوز في بداية العهد العزيزي.

وثائق الخزانة الحسنية، الرباط ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الجزء الأول، الرباط، 1984 (مترجم عن الفرنسية) ؛ ع. العزيز بن عبد الله، *الموسوعة البشرية والحضارية*، ملحق رقم 2، 1977 ؛ ع. الرزاق الصديقي، *الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن*، 1850 ـ 1900 ، الرباط، 1977.

عبد الرزاق الصديقي

الرحامنة منطقة تأخذ اسمها من الاتحاد القبلي الذي استوطن بها، وكانت تكوّن دائرة تابعة لإقليم مراكش قبل أن ينشق عن هذا الأخير إقليم قلعة السراغنة سنة 1973 والذي انقسمت بموجبه إلى شطرين (دائرة الرحامنة ودائرة سيدي بوعثمان)، كما تتطابق الآن مع مجال نفوذ المديرية الإقليمية للفلاحة، بالإضافة إلى الجماعات القروية الأربع المجاورة لدائرة العطاوية والتي تنتسب إلى مجال نفوذ المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز. في حين أن الاعتبارات الطبيعية تختزل هذه المنطقة في الجزء الواقع شمال خط عرضي يمر مباشرة جنوب مدينة بن گرير والمعروف بالكتلة القديمة للرحامنة. وعليه فإن التسمية الحالية، بمفهومها الواسع وحسب محتواها البشري والاجتماعي، تشمل كافة أرجاء المجال القبلي المعاصر، أي تراب الدائرتين الإداريتين السالفتي الذكر.



إن موقع الرحامنة الوسط داخل المغرب الأطلنطي هو في الواقع مجرد مركزية هندسية تخفف أهميتها تلك الوضعية الطبيعية المتميزة بالعزلة والتقطيع والتي تتضاعف بنوع من التهميش الاقتصادي والاجتماعي. ذلك أن المنطقة هي الآن مفصولة عن الوحدات الإقليمية المتاخمة الدينامية بواسطة حواجز حاسمة تفرزها عن الشاوية (نهر أم الربيع) والحوز (كتلة الجبيلات) ودكالة (حدود كتلة الرحامنة وهضبة الگنطور) أو تباعد بينها والعاصمة الإقليمية وقطاع تاساوت المسقي. وفضلاً عن تأرجح الحياة البشرية والاقتصادية الكثيفة بالإقليم لصالح منطقتي قلعة السراغنة والحوز الشرقي، تعرف الرحامنة انطوا، رضيقاً ناجين عن تظافر عدة عوامل غير ملائمة، منها التجزئ إلى مجموعة من الوحدات المتباينة وشيوع نمط العيش الرعوي واستمرار تحرك السكان وضعف ظاهرة التمدين.

مساحة الرحامنة، التي تنقسم إلى 23 جماعة قروية ومركزين وبلدية، تبلغ حوالي 5800 كلم2، وهو ما يساوي

تقريباً 3/5 المساحة الاجمالية لإقليم قلعة السراغنة. غير أن عدد سكانها لا يمثل على الصعيد الإقليمي سوى 2/5 من الحضريين (53480 ن) وأقل من 2/5 من الريفيين (213.050 ن). ومع ذلك، فإن الكثافة الريفية (37 ن / كلم2) تعادل ضعف مثيلتها على المستوى الوطني، حتى ولو كانت تتوزع بكيفية متباينة، تتعارض فيها بضع جماعات مركزة في الغرب والجنوب الشرقي والمعروفة بكثافتها المتوسطة أو المرتفعة، مع باقي المجال المحلي الذي تسود فيه هنا وهناك فراغات سكانية شاسعة، وبخاصة في الجزء الشمالي.

تطور عدد السكان بمنطقة الرحامنة

	1971	1982	1994
بلدية بن گرير	6.941	22.354	47.080
مركز سيدي بوعثمان	-	-	2.872
مركز صخور الرحامنة	1.550	2.400	3.526
الوسط الريفي	216.964	208.486	213.053
المجموع	225.45	233.240	266.531

عن هذا الوضع الديمغرافي المتسم بضعف نسبة التمدين التي لا تتجاوز 20٪ (مقابل 65٪ وطنيا)، يتبين أن الحياة الريفية ظلت جد متجذرة في الرحامنة وأن الطابع الجوهري الريفي اضطر 9 أفراد من 10 إلى العيش على الفلاحة التي تستأثر تربية المواشي بأكثر من نصف مواردها، بل وعلى ثلاثة أرباعها. نغني عن البيان إذن أن مصير الأنشطة الرعي - فلاحية رهين عضوياً بالمؤهلات والإكراهات الطبيعية التي يبدو جلياً أنها لا تمتع المنطقة حتى بالحد الأدنى من الامتيازات.

تترتب تضاريس المنطقة وفق تعاقب منتظم لوحدات مرفلوجية واضحة المعالم. في القطاع الشمالي تنتصب الكتلة القديمة للرحامنة لتشرف قليلاً على الهضاب المجاورة. وقد أدى تناوب صخورها الصلبة والهشة إلى نحت انتقائي أفرز تراصفات ممتدة على عدة كيلو مترات من العوارض الكوارتزية (الصّخور) البالغة علو 700 م والتي تفصل بين مساحات شيستية عريضة سطحتها التعرية.

أما هضبة الگنطور التي تحف جنوباً قاعدة الرحامنة، والتي تمثل الطرف الغربي لهضاب الفوسفاط، فهي عبارة عن شريط مستعرض شبه مستو، يتراوح عرضه بين 10 و20 كلم ويتألف من كلس الكريتاسي والأيوسين. ونظراً للبنية العامة المنضدية فإن تدرج التضاريس لا يظهر بسهولة، إذ أن الحاشية الشمالية وحدها تنتهي بجرف بارز، بينما الحدّ الجنوبي ينحدر تدريجياً نحو سهل البحيرة الذي هو في الأصل أخدود بنيوي مطمور تحت الحصباء، والطمي ومختلف التكوينات الرباعية القديمة التي تغوص تحت غطاء من الإرسابات الحديثة والحالية.

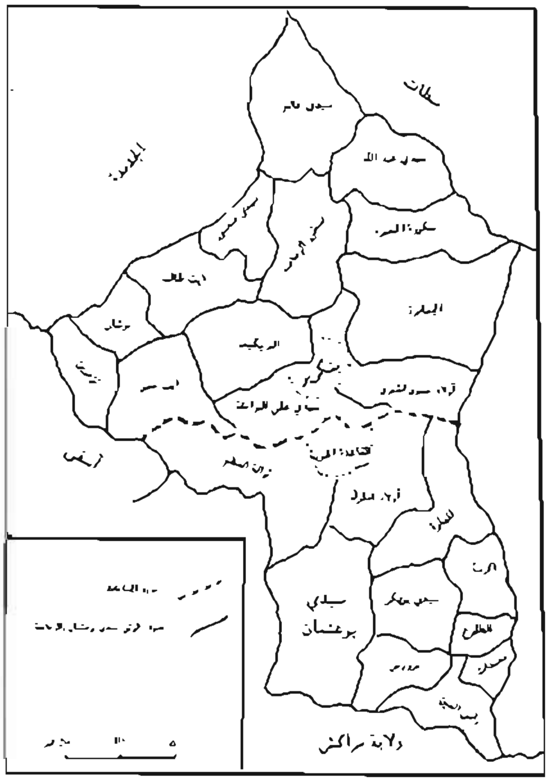
أخيراً في الزاوية الجنوبية، نجد سلسلة الجبيلات الوسطى التي يتراوح عرضها بين 10 و20 كلم والتي تعتبر نسخة غير مطابقة تماماً لكتلة الرحامنة. هي كذلك تعرف تعرية انتقائية قد خلفت ممرات واسعة تخترق هذا الحاجز من الشمال إلى الجنوب. لكن طياتها العميقة مرفوعة بحركات بنائية حديثة نسبياً كانت وراء، ذلك الطابع الجبلي الحقيقي، حيث تتعدى بعض القمم ارتفاع 1000م

على مرتفعات الكتلتين القديمتين تنتشر تربات كثيراً ما تكون هزيلة، تتداخل مع تربات غير تامة التطور والمنحوتة، التي يشوبها العديد من البروزات الصخرية. فهي قسطلية داكنة في الرحامنة وقسطلية حمراء في الجبيلات. في حين أن هضبة الگنطور وامتداداتها تكسوها تربات قسطلية حمراء، هزيلة بجانب تربات طينية جد داكنة أو حمراء، كلسية ذات تكوينات حجرية ومتحجرة على السطح. أما أغنى تربة وأسمكها فهي التي تغطي سهل البحيرة إذا استثنينا التربة المالحة المرتبطة بسبخة سد المجنون. إنها قسطلية حمراء، ذات مسكة قوية التركز الكلسي ومتفاوتة التصلب، تتطور على أساس غريني مكوّن من الرمل والطين.

من بين كل العوامل الطبيعية ، لعل الماء هو السبب الموجب الذي يعوق بأكثر شدة جل أوجه الحياة الاقتصادية والبشرية، ما دامت المنطقة مدرجة بأكملها في المستوى البيومناخي القاحل ذي الشتاء المعتدل. وهو عبارة عن جيب قحولة يتسع من أم الربيع الأوسط إلى أقدام الأطلس الكبير. مما يترتب عنه خصاص مزمن في التساقطات وتقلص في عدد الأيام الممطرة (40 يوماً في السنة)، ما عدا نسبياً حول بعض أعراف مرتفعات الرحامنة والجبيلات التي تتلقى أكثر بقليل من 300 ملم في السنة. زد على ذلك أن منطقة الرحامنة محرومة من أي تصريف مائي سطحي منتظم خارج القطاع القصير جداً لتانسيفت في أقصى الجنوب وأم الربيع الذي يعد فوق ذلك نهراً دخيلاً وحداً فاصلاً، والذي شيد عليه سدان عند مروره بالرحامنة : المسيرة في العالية، وهو ثاني أكبر سد في المغرب (1976)، وإمفوت في السافلة، وهو أحد أقدم السدود المغربية (1944).

هذا ويتميز الاحتياطي المائي الباطني بتباين واضح يرجع إلى نوعية التضاريس وطبيعة الصخور، وقبل ذلك إلى ندرة الموارد المطرية. مرتفعات الرحامنة والجبيلات، ذات الصخور غير النافذة، تحتوي على سديمات متقطعة وزهيدة، وحتى هضبة الگنطور الكلسية تعاني نفس القلة، نظراً لشكلها الضيق والمديد. وحده سهل البحيرة حيث التكوينات الحتية والرملية بأهم المدخرات المائية وأكثرها اتصالا، ولو أنها تقتصر على الحقول الجوفية العلوية لا غير. على أن سبخة سد المجنون تتموضع على المحور

المركزي لتصريف السهل الذي يوافق أضعف مستوى سديمي. فهي تعرف تبحراً حاداً بالرشح يؤدي إلى نسبة جد مرتفعة من الملوحة على مساحة واسعة نسبياً يصبح معها استعمال الماء غير ممكن، كما يتسبب في تركيز مياه الفرشة بنسبة غرامين من الملح في اللتر على نطاق أكثر اتساعاً، يمتد تقريبا من وادي تاساوت الأسفل إلى الطريق الوطنية بن گرير ـ سيدي بوعثمان.



إذا كانت الظروف الطبيعية تعتبر معطيات يصعب تفاديها، وجب الانتفاع بها أو حسن تدبيرها والتأقلم معها، فإن التجهيزات التحتية والجماعية تعد في آن واحد كقاعدة لتنظيم المجال والتنمية الشاملة وبمثابة مؤشر يعكس مدى تجاوز العيقات وتلبية الحاجات ودينامية الاقتصاد والمجتمع ودرجة التمدين. ولعل أهم العناصر التجهيزية الجماعية تتمثل في البنيات التحتية، بما فيها الماء، والكهرباء، وطرق المواصلات، وكذا التجهيزات الاجتماعية والثقافية (الصحة والتعليم على الخصوص).

بالنظر إلى حجم سكان الأرياف الذي يبلغ حوالي 80٪ من المجموع حسب إحصاء 1994 يمكن استنتاج أن الغالبة العظمى من الأسر لا تستفيد من قنوات الماء الصالح للشرب ولا من الربط بشبكة الكهرباء، ولا سيما في دائرة الرحامنة. بينماهما عنصران يأتيان على رأس قائمة متطلبات الحياة المنزلية ومستلزمات الأنشطة الاقتصادية. وهكذا فإن الجماعات التي ينعدم فيها الكهرباء والماء الشروب أو يكاد من 0 إلى أقل من 1٪ من الأسر) يبلغ عددها 14، وعدد التي تتوفر على 1 إلى 3،4٪ من الأسر المستفيدة 7 جماعات. جماعة واحدة فقط لها نسبة 2 . 6٪ وأخرى لها 25.5٪ وهي نزالة العظم التي تضم تجمعاً سكنيا مجهزاً نسبياً تابعاً للقاعدة الجوية العسكرية.

أما نسب تغطية الأسر بالكهرباء، التي تعرف نفس المستوى الهزيل فهي كالتالي : من 0 إلى 1٪ (16 جماعة) ومن 1 إلى 4 . 3٪ (4 جماعات) و9٪ (جماعة واحدة) و12.5٪ (جماعة واحدة) و3 . 31٪ (جماعة نزالة العظم). من الواضح إذن أن هناك بوناً شاسعاً بين الوسطين الريفي والحضري فيما يتعلق بالتجهيزات الكهربائية والمائية حتى ولو أن مدينة بن گرير ومركزي سيدي بوعثمان وصخور الرحامنة لم تدرك بعد المستوى المطلوب.

النسبة المائوية للأسر المستفيدة من شبكة الماء والكهرباء (1994).

	الماء	الكهرباء
بلدية بن گرير	64	78
مركز سيدي بوعثمان	61	51
مركز صخور الرحامنة	48	74
الجماعة القروية نزالة العظم	26	31

للحد من هذا الحرمان المزمن والمقلق قد وضع البرنامج الوطني لتزويد الوسط القروي بالماء الصالح للشرب مشروعاً طموحاً لمدة 8 سنوات هو اليوم في طريق الإنجاز، ويقضي بإنشاء وإعداد المئات من نقط الماء، وآلات الضخ والخزانات وسول الماء في المئات من الدواوير، وذلك قصد تغطية 70٪ من الأسر في السنوات القليلة القادمة. من جانب آخر هناك العديد من مشاريع كهربة الأرياف بواسطة الطاقة الاصطلاحية وبصفة خاصة عن طريق الطاقة المتجددة، باعتبار أن المنطقة مشهورة بنسبة التشميس العالية جداً، والتي تشكل مؤهلاً بالغ الأهمية في هذا الباب. ويتم تنفيذ هذه الخطط المكثفة منذ 1996 في إطار كل من التعاون الوطني وبرامج المكتب الوطني للكهرباء، وكذا البرنامج الوطني للكهربة القروية، والميزانية الإقليمية بالأساس، وذلك بغية التوصل مبدئياً إلى توفير الكهرباء، بنسبة 73٪ من الأسر القروية في حدود سنة 2000.

بالمقابل تحظى المنطقة بكثافة متوسطة لشبكة المواصلات التي تعد الشريان الضروري لتكثيف علاقاتها الداخلية وفك العزلة عنها وانفتاحها على المجالات المجاورة. والسكة الحديدية تعزز بشكل ملموس الحركة الطرقية،

حيث تحتل مدينة بن گرير موقع ملتقى كمحطة أساسية على محور مراكش - الواصر وكنقطة انطلاق لنقل التوسناط إلى اليوسفية وأسفي. غير أن تخطيط الشبكة الطرقية يدعو إلى ملاحظة أن المنطقة تبدو وكأنها مجال عبور أكثر مما هي مجال ربط داخلي، بالنظر إلى تفرع الطريقين الوطنيين من مراكش نحو سطات من جهة واليوسفية - سيدي بنور من جهة أخرى، مع وجود طريق مستعرضة واحدة، وهي الطريق الجهوية التي تربط بين قلعة السراغنة وبن گرير واليوسفية. كما أن شمال هذا المحور تنعدم فيه أية طريق جهوية أو إقليمية، كيفما كان اتجاهها.

أما في الميدان الاجتماعي فكانت تحصى منطقة الرحامنة في عداد أفقر المجالات المغربية إلى حدود 1994، تاريخ انطلاق مجموعة من المشاريع على الصعيد الوطني أو في إطار التعاون الخارجي لتدارك النواقص المهولة، وعلى رأسها برنامج الأولويات الاجتماعية الممول من طرف البنك الدولي، فتحسنت وسائل العرض بسرعة نسبيا، حتى أن في القطاع الصحي أصبح معدل عدد سكان الأرياف بالنسبة لكل وحدة صحية يساوي 8.880 فرد سنة 1998 وهو رقم دون المعدل الوطني (9.930 نسمة)، ويعزى ذلك إلى تغطية تتكون في الوسط الريفي من 4 مستوصفات و17 مركزاً صحياً جماعياً و3 مراكز صحية جماعية تحتوي على قاعة للولادة، بدون اعتبار الوحدات المبرمجة أو في طريق الإنجاز (مستوصف و3 مراكز صحية جماعية ومركزان صحيان جماعيان مجهزان بقاعة للولادة ومستشفى محلي). بينما تتوفر مدينة بن گرير على مركز صحي حضري ومستشفى محلي تحول إلى مصحة عمومية متعددة التخصصات سعتها 30 سريراً.

ولعل القطاع التعليمي هو الميدان الاجتماعي الذي سجل مؤخراً أكبر قدر من التحسن النسبي في شتى مؤشرات العرض والطلب وكذا الجودة والفعالية. إذ حتى أواسط التسعينيات كانت كل الظروف تبعث على إدراج إقليم قلعة السراغنة ضمن الأقاليم الأكثر تخلفاً في مجال التمدرس، ولا سيما منطقة الرحامنة التي تتضافر فيها عدة عوامل غير ملائمة : تفرق سكان الأرياف بنسبة 4/5، استمرار النزوح إلى المدن، ضعف الكثافة السكانية، اتساع تراب الجماعات، تفرق السكن، كبر حجم الأسر والعائلات، سيادة النمط الرعي - فلاحي، استمرار تشغيل الأطفال، عزوف الآباء عن تمدرس الفتاة على الخصوص، استفحال ظاهرة الفقر، هشاشة البنيات التحتية، خصاص في البنايات والتجهيزات المدرسية... فكان من شأن ذلك تفشي مسألة الأمية وانخفاض مهول في مستويات التغطية المدرسية، إلى درجة بلوغ الحضيض في نسبة تمدرس الفتاة بجماعة سيدي غانم (2٪).

نسبة التمدرس (بين 7 و 12 سنة) ونسبة الأمية (10 سنوات فأكثر) في منطقة الرحامنة سنة 1994
(بالنسبة المائوية)

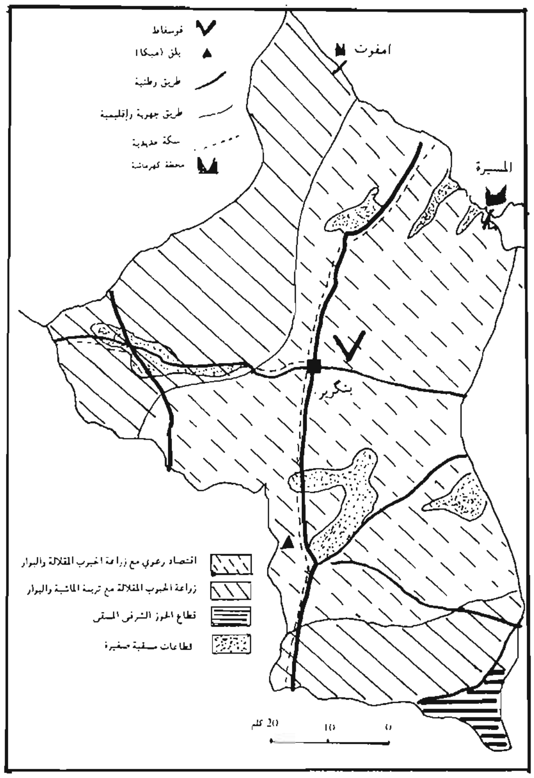
	نسبة التمدرس		نسبة الأمية	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث
دائرة سيدي بوعثمان (وسط ريفي)	49	24	68	89
دائرة الرحامنة (وسط ريفي)	34	13	75	93
بن گرير	86	73	31	58
صخور الرحامنة	89	83	28	53
سيدي بوعثمان	79	66	33	61

لهذه الأسباب تم اختيار قلعة السراغنة من بين الأقاليم 13 الأقل تحولاً إلى مختبر لتجريب الخطط الكفيلة بتحسين التمدرس في الأرياف وإدماجه في ذلك الوسط قبل تعميمها على الصعيد الوطني. و"المشروع النموذجي للتربية بالوسط القروي بإقليم قلعة السراغنة" الذي انطلق في موسم 95 - 1994 والذي يهم 36 وحدة مدرسية (من بينها 20 وحدة بمنطقة الرحامنة) يقوم على 5 مكونات أساسية : تكييف الناهج مع الوسط الريفي، تجهيز الوحدات المدرسية، الزيادة في نسبة التمدرس وخصوصا لدى الفتاة، تكوين المكونين والمعلمين، الاعتماد على الشراكة المحلية.

عند انتهاء المشروع سنة 99 - 1998 كانت الحصيلة مطابقة على العموم لما كان ينتظر من المشروع تحقيقه، فأصبحت المدارس أكثر قابلية لاستقبال الأطفال والاحتفاظ بهم وتلقينهم تعليماً مندمجاً، وتحسنت المردودية بالملموس، وفيما يخص الفتيات تضاعفت نسبة تسجيل التلميذات الجديدات في السنة الأولى ونسبة تمدرس الفتيات بالسلك الأول أساسي بأكثر من مرتين، وتجاوزتا نفس النسبتين على صعيد كل الإقليم. على أنه رغم كل هذا التطور لازال الإقليم ومنطقة الرحامنة كذلك لم يرقيا إلى المستوى المرغوب بالنسبة لكافة المؤشرات المدرسية. على سبيل المثال لا تحظى الجماعات القروية الثلاث والعشرون إلا بوجود أربع إعداديات فقط.

جميع هذه الأحوال الطبيعية والاجتماعية والتجهيزية ستؤثر إلى حد بعيد في تنظيم المجال وسيرورة الأنشطة الاقتصادية التي تتقابل فيها بنوع من الاستقلالية أدوار المدينة والأرياف. إن سيادة النمط الرعي - فلاحي في الحياة اليومية لهي دلالة على أهميته كقطاع حيوي بالنسبة لغالبية السكان وكسند أيضاً لتشكيل المشاهد ونسيج العلاقات والسلوكات وأساليب العيش. إلى حد الآن لا

زالت الفلاحة تعاني وطأة الطبعية الشحيحة وترتكز على الأنظمة الموروثة والكسب الاحتمالي وقلة المردود، كما ظلت تتأقلم بمشقة مع التقلبات البيئية والمستلزمات الآنية. بالتالي، فإن النظام الزراعي والرعوي المقلال والخفيف هو الذي يسيطر على كافة أجزاء المنطقة.



إذا كانت المساحة القابلة للزراعة لا تتعدى في أحسن الأحوال نسبة 40٪ وتنحصر بالأساس في شريطين بأقصى الجنوب وأقصى الشمال الغربي، فإن المراعي والأراضي البائرة وغير القابلة للزراعة تحتل تقريبا كل ما تبقى من المساحة الإجمالية والتي تنتشر بدرجة أوسع أساساً بكتلتي الرحامنة والجبيلات. علاوة على ذلك فإن قانون الأرض الذي تمثل فيه الأراضي الجماعية نسبة 45٪، لا يسمح بسهولة تحديث وتطوير الزراعة، خصوصاً وأن 70٪ من الفلاحين يستغلون 20٪ فقط من مجموع الأراضي (أي بمعدل 10 هكتارات للحيازة الواحدة)، و8,5٪ من الفلاحين يستغلون 50٪ من المساحة الاجمالية (بمعدل 50 هكتاراً للحيازة).

ومهما يكن فإن تربية الماشية، وليست المزروعات هي التي اشتهرت بها منطقة الرحامنة. يبلغ حجم الماشية 25.000 رأس بقر و130.000 رأس ماعز و440.000 رأس غنم، وهو ما يساوي نصف قطيع الأغنام بإقليم قلعة السراغنة. أما أسلوب تربية الماشية الذي كان سائداً إلى حدود العشريات الخمس الأخيرة فكان يعتمد على الإرعاء الحر ونمط نصف الترحال أو الانتجاع، سواءً داخل المراعي الإقليمية التي كانت كلها تقريباً جماعية، أو في مراعي الأقاليم المجاورة وحتى البعيدة. لكن تحت أعباء النمو الديمغرافي وبسبب تدهور الغطاء النباتي، تراجعت الحياة الرعوية المتنقلة وحل محلها نظام رعي - زراعي مبني على زراعة الحبوب المقلالة وتربية الماشية التي رغم ضعف مردودها، تساهم اليوم بحوالي 3/4 من المداخيل الفلاحية.

مع ذلك عندما تتوفر بعض الظروف الطبيعية الأقل قساوة، قد نجد بعض المجالات الانتقالية تتميز في آن واحد بخصائص النظام الرعي - فلاحي الخفيف وكذا النظام السقوي الكثيف. هي مجالات تشترك فيها الزراعات المسقية، بما فيها العصرية والتقليدية، والزراعات البعلية وتربية المواشي. تلك حالة عدد كبير من الجزيرات التي تتناثر في الحاشية الغربية لكتلة الرحامنة وفي الحد الجنوبي للجبيلات وكذلك المساحات الأكثر اتساعاً على طول وادي بوشان في الغرب والمنخفضات المديدة شمال كتلة الرحامنة وخصوصا البحيرة الوسطى التي تستأثر بأكبر القطاعات المسقية. وتغطي مساحة الري الصغير في المجموع 21.100 هكتار جلها ملك خاص، وتتوزع على أربعة أنواع من الري :

- 2300 هـ : بسواقي مستمدة من واد تانسيفت
- 7000 هـ : نشر مياه الفيض المطري (على الجبيلات بالخصوص)
- 600 هـ : (ري موقعي) و5200 هـ (ري خطي) بواسطة الضخ
- 6000 هـ : ري بالمراكز المحورية (من بينها 5000 بالبحيرة الوسطى)

أما الأنشطة غير الفلاحية فيستحوذ عليها الوسط الحضري الذي لم يتمكن إلى اليوم مع باقي مدن إقليم قلعة السراغنة من إنشاء شبكة مكتملة ومتراتبة الحلقات ومتماسكة العلاقات والوظائف، من شأنها تنويع وتوزيع الأنشطة والمنشآت الاقتصادية. ذلك أن العاصمة التاريخية مراكش قد خلفت فراغاً حضرياً حولها لمدة قرون، وبسطت نفوذها المباشر على كافة المجالات المجاورة، حتى إنها حالت دون البروز العادي للمراكز الناشئة أو المنبعثة. والجدير بالملاحظة أن ضمن هذا الوسط الحضري المتقلص والحديث العهد، تحتكر العاصمة الإقليمية جل المؤسسات الإنتاجية، وداخل منطقة الرحامنة، تستولي مدينة بن گرير على القسط الأوفر مما تبقى منها إذا تم مراعاة النشاط الفوسفاطي.

حالياً تكشف بنية المؤسسات الاقتصادية عن هيمنة القطاع الثالث بنسبة جد عالية تفوق 80٪ من المقاولات، وضمن هذا القطاع تحتل مختلف الخدمات المكانة الأولى (خدمات غذائية، إصلاح الآلات والأدوات، إدارة ترابية وتقنية، تعليم،...) أما الصناعة والبناء والأشغال العمومية فحظها ضئيل للغاية، إذ تتميز بتشكيلة متقلصة، وبمقاولات صغيرة الحجم لا من حيث عدد المشتغلين ولا من حيث الرساميل ومجموع المبيعات.

يتوفر مركز سيدي بوعثمان على أربع وحدات صناعية للنجارة والآجر ومواد البناء وأبراج الأسلاك الكهربائية. وتحتضن مدينة بن كرير مؤسستين فقط (وحدة لإنتاج البيض ومطحنة)، والحال أن منطقتها الصناعية تبلغ 20 هكتاراً موزعة إلى 97 قطعة. وحتى المشاريع المزمع تحقيقها في المستقبل القريب عددها قليل : 5 إلى 6 وحدات في بن كرير و4 وحدات بسيدي بوعثمان.

في نهاية الأمر، ليس هناك ما يخفي ضعف النشاط الصناعي سوى القطاع المعدني الذي يأخذ أهمية خاصة في الرحامنة التي تحتكر تقريباً كل الاحتياطي المعدني بإقليم قلعة السراغنة، ولو أنه ظل بدون عناية (5 رخص للاستغلال و53 رخصة للتنقيب في المجموع). فبالإضافة إلى مجموعة متناثرة من مقالع مواد البناء، توجد منطقتان تتجمع حولهما جل المعادن والمناجم : سيدي بوعثمان (بيرطوس، نحاس، بلق وخصوصاً الرصاص والزنك) وبن كرير (رصاص ولفرام، زنك، نحاس والأحجار التزيينية). لكن النشاط المعدني الكيماوي الأكثر انتشاراً والذي يتبوأ المكانة الأولى من حيث الهيمنة التجارية هو المرتبط بالفوسفاط.

يقع المنجم المكشوف الذي شرع في استغلاله سنة 1980 على بعد 17 كلم شرق مدينة بن كرير، أي في الجهة الوسطى من أوسع منطقة فوسفاطية بهضبة الكنطور. وتجدر الإشارة إلى أنه في الوقت الذي يتراجع فيه الإنتاج باليوسفية تدريجياً خلال هذه العشرية، يزداد حجم الاستخلاص في بن كرير بطريقة منتظمة ليصل إلى حوالي 3.5 ملايين طن سنوياً، توجه كلياً إلى التحويل بمعمل فوسفور II بأسفي، علماً أن الاحتياطي العام يقدر بنسبة 9٪ من الذخائر المغربية من هذه المادة. بل سيتضاعف الإنتاج بعد توسيع المنجم الحالي ليبلغ 6 ملايين طن. أما المرحلة الثالثة والأخيرة لا ستخراج ما بقي كامناً فتتعدى سنة 2015. بعبارة أخرى فإن القوة الجاذبة لمدينة بن كرير في ميادين التجهيز والخدمات والشغل لن تتبدل لا محالة في العشريات القليلة القادمة.

M. Ayad - A. Zouggari, *Projet pilote d'éducation en milieu rural dans la province d'El Kelâa des Sraghna. Etude d'impact*, PNUD / Ministère de l'Education Nationale, Rabat, Septembre 2000 ; J. Pégurier, *Espaces urbains en formation dans le Tensift*, Rabat, 1981 ; Direction de la Statistique, *Données communales de 1992* ; *Résultats des recensements de 1971, 1982, 1994*, Rabat.

مصطفى عياد

الرحبة، المكان الذي تباع فيه الحبوب بالأسواق الأسبوعية أو بالمدن. ويُدعى رحبة الزرع. وتقام بها أنشطة اقتصادية موسمية متنوعة كالرحبة القديمة التي أكمل بناء مسجدها السلطان المولى سليمان بمدينة مراكش (*الاستقصا*، ج. 3 : 173) والرحبة تعني أيضاً المكان الفسيح المتسع الذي يتوسط الدور ويسمى بتاشلحيت أسراك، وتقام به الاحتفالات الجماعية في المناسبات الخاصة والعامة. كما هو الشأن بالنسبة لمناطق ورزازات وزاكورة ومحاميد الغزلان وغيرها من المناطق المجاورة لها. وبمدينة تارودانت رحبة كبيرة تتوسط المدينة يطلق عليها اسم أسراك، وهي مكان تجمع العامة. ويقابلها من الناحية الرسمية ساحة المشور المخزنية.

ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت، (د. ت) ؛ ابن تجلات، *إتمد العينين*، الرباط، 1986 ؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، بيروت، (د. ت) ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1997.

عبد الرزاق ازريكم

رحال (سيدي -) ← **البُدالي**

الرحَّال، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Arrahal.

وقد أنجبت هذه الأسرة عدة فقهاء لم نعرف عنهم شيئاً باستثناء محمد بن محمد الرحال الذي كان بقيد الحياة سنة 1076 (1666). وعبد السلام بن محمد الرحال كان يزاول خطة العدالة سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 707.

محمد ابن عزوز حكيم

رحال بن **أحمد**، مقاوم ولد سنة 1912 بناحية مراكش. وانضم إلى صفوف المقاومة السرية وعمل تحت مسؤولية السادة حمان الفطواكي، ومبارك بن بويكر وعلال الرحماني.

كان من الوطنيين الذين جاهدوا وقاوموا الاستعمار. شارك في حوادث 21 غشت 1953 وناضل وقاوم بشدة إلى أن ألقي عليه القبض وحكم عليه بالإعدام الذي نفذ في حقه يوم الخميس 13 رمضان عام 1374 / 5 ماي 1955 بمراكش.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 620. 405.

الرحالي، عيسى (الحاج -) بن المحجوب، ولد حوالي سنة 1890. حفظ القرآن في تاخُورْبِيشْت = الكتّاب القرآني، ثم تتلمذ على معظم فقهاء آل الشيخ ماء العينين، وخاصة منهم الفقيه ابن عبد العزيز، وابن العتيق والأمير أحمد الهيبة وأخيه مربّيه ربّه، وكان يتكلم العربية الفصحى سليقة لذلك كثيراً ما ينعت بأعراب.

قال عيسى الرحالي : "شاركت لأول مرة في معركة مديونة قرب الدار البيضاء سنة 1907 ومازلت شاباً على مهر بدون سرج، صحبة ابن عمّي الرحالي رحّال بن

العياشي، كما شاركتُ في معركة سيدي بوعثمان سنة 1912 فانضممنا إلى فرقة الأمير مربيه ربه، ومن ثم صرت من أقرب الناس إلى الهيبة ومن حراسه ثم من تلامذته ونحن ستة لا نفارقه، وكنا نعده والدنا وشيخنا الصوفي فانقطعنا عن الأهل والإخوان" (استجواب معه سنة 1974).

وقال : وهؤلاء الستة المنقطعون إلى الهيبة هم أنا عيسى الرحالي وابن عمّي القائد الرحالي رحال بن العياشي - المعروف بِبَابْحَا -، وبوستة الهواري، وحنْد الهواري، وعباس الحمري، وعبلاً المراكشي، وقد انخرطنا في جيش المجاهدين تحت قيادة مربه ربه وأخيراً مع القائد الناجم الأخصاصي.

وقال : "وقد عشت جميع المحن مع الأمير الهيبة من تارودانت حتى أغبالُو نكاردُوس، وبما أن الرحالي رحال (ابن عمي) له عائلة بالصحراء، وسبق له أن عرف تلك المناطق، ولثقة الأمير الهيبة فينا، فقد كنتُ من رسله الذين استقبلوا الضابط الألماني - بأركسيسْ - فصاحبناه إلى كاردوس، فأعطاني وساما بقي عندي حتى أخذته مني السلطة الإسبانية بسيدي إفني حوالي 1936، وهذه هي الخرجة الأولى للألمانيين. كما استقبلناهم مرة ثانية عندما خرجوا من - الكزيرة - بأيت إخلف". وقد كان مترجمنا هذا شاهداً على وصول الألمان إلى جنوب المغرب واتصالهم بالهيبة، كما ظهر الألمان هناك سنة 1917 حيث قتل ثلاثة منهم في جبل أيت إخلف في معركة معهم تسمى معركة جبل بُوشَارْبْ.

وقد أكد مترجمنا هذا علاقة الهيبة والألمان والأتراك، وذلك ما أشار إليه صاحب *المعسول*، مما ينفي مزاعم الجنرال اليوطي في عدم وصول الألمان إلى هنالك إذ قال : "منذ ثلاث سنين نرى الألمان والأتراك يملأون المغرب رسائل وجرائد كاذبة، ومنذ ثلاث سنوات يقصّون عليكم أخبار انتصاراتهم الوهمية براً وبحراً... فهل تظنون أنكم تجاهدون وأنتم تحت العلم الألماني. (خطاب اليوطي 15 غشت 1918 عن صاحب *الجأش الربيط*، ص. 44).

قال مترجمنا هذا : "لما توفي الأمير الهيبة ألحقنا مربه ربه بالقائد المدني نحن الستة، ثم أقطعنا هذا الأخير أعشار إفران بالأطلس الصغير من زرع وتمر نتعيش به، والأمور تسير نحو النهاية، ثم صرنا نحن الستة من المدني الأخصاصي إلى الزعيم السي أحمد نْ طالبْ العبدلاوي الباعمراني، ومنه انتقلنا إلى سيدي محند بن عيسى البوجرفاوي بقبيلة أيت يعزا، وأخيراً أرسلنا إلى عائلة آل الشيخ همّو الخلفيين بتابلكوكتْ عند الشيخ إبراهيم بن محمد بن الشيخ همو" حيث تزوج الرحاليان من نفس العائلة الخلفية.

وقد صار مترجمنا هذا من أعيان القبيلة، وشارك هو وأولاده في نقل السلاح إلى البيضاء، إذ كان ابنه الحاج الحسين هو أول ميكانيكي باعمراني في ثكنة الإسبان بإفني، وهناك كان يشتري الذخيرة وينقلها إلى الشيخ محند بن علي من تاعنديت وهو في جهة الحماية الفرنسية وبين الشخصين واد فقط، وقد اكتشف الاستعماران ذلك في خبر طويل، مما جعل الرحالي يغير لقبه إلى البالكوكي ويغادر الوطن.

وفي ثورة أيت باعمران التحريرية ضد الإسبان سنة 1957 كان مترجمنا هذا وعائلته في مقدمة المجاهدين. ولما انتهت ثورة أيت باعمران بانضمام إقليمهم إلى الوطن الأم، شارك أفراد عائلة الرحالي في معارك الصحراء المغربية منذ البداية. ولا ننس الحاج علي الرحالي الذي شارك كضابط في ثورة فرانكو بإسبانيا سنة 1936 مما جعله يكسب تجربة مهمة.

فالعائلة إذن عائلة مجاهدة متدينة كريمة. فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. تقبل الله منهم.

معلمة المغرب، ص. 1988 : م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج. 2، ص. 57 : *المعسول*، ج. 20، ص. 5 : ح. الجهادي، جانب من *تاريخ أيت باعمران*، استجواب سنة 1974 : عندي نسخة منه عينه الهيبة على السراغنة لكن لم تظهره قط : محمد الإمام، *الجأش الربيط*، ص. 44.

الحسين جهادي

الرحّالي، الفاروق بن رحال الحمومي السرغيني المراكشي. اشتهر باسمه الرحالي على صورة النسب تيمنا من والده باسم أحد الصالحين من أسرة سيدي رحال الكوش. ويقال إن صاحب الترجمة ذو أصول سوسية من ذرية الصالح الشهير أحمد بن موسى الجزولي التنزروالتي (أحمد متفكر، *مقالات*، 12).

وقع تردد كبير في تاريخ ولادته بين سنوات 1315 / 1897 وسنة 1325 / 1907 وسنة 1327 / 1909 : وذلك بسبب عدم ضبط ولادته من قبله كما يبدو من ترجماته لنفسه ومن بعض أوراقه (عز الدين المعيار، *مجلة الاعتصام*، 112).

بعد أن حفظ المترجم القرآن بالقراءات السبع أخذ عن بعض علماء سوس ببلدته ثم رحل إلى الجامعة اليوسفية بمراكش فأخذ عن جلة شيوخها الرحمانيين والدكاليين والسرغينيين وفيهم -من- جمع بين الصلاح والعلم وفيهم شيخه ابن الرامي الذي أذن له بعد سبع سنوات من الدراسة بأن يرحل إلى القرويين بفاس قصد التبرك بها حيث تيسّر وأخذ عن جلة شيوخها الاعلام وفيهم عمدته وسنده العلامة ابن الحاج السلمي وكان يقربه ويزلفه. كما أخذ عن الشيخ الشهير أبي شعيب الدكالي بفاس ومراكش والرباط ملازما له بهذه المدينة نحوا من ثلاث سنوات ثم رجع إلى مسقط رأسه بـ"قلعة السراغنة" فابتنى له والده مدرسة عتيقة

للتدريس بها سرعان ما غادرها إلى مراكش بعد وفاته بعد أربعة أعوام من التدريس، وحل بمساجد مراكش مدرسا تتعرف عليه طلاب وعامة أهل مراكش بعد محاولات لمعرفة ما عنده، ولما اشتهر بطريقته وسمته طلب منه الانتقال إلى الدروس النظامية بالجامع اليوسفي. فعقد به وبمسجد الكتبيين ومسجد روض الزيتون وقبل ذلك بمسجد أبي الفضائل دروسا غلب عليها الفقه وأصوله أولا ثم تفرعت إلى دروس في المواد اللغوية وفي التفسير والحديث بعد ذلك. وأقبل عليه الطلبة والجمهور لسمته الخاص الجذاب ولفصاحته البدوية ولتميزه في الإلقاء، وحسن بيانه ولصوغه المتوازن المتجدد وجودة فهمه وقوة حفظه وظهور الورع والزهادة على محياه وأحواله.



وقد امتحن أثناء هذا في قضية بيعة محمد بن عرفة صنيعة الاستعمار الفرنسي بعد نفي المجاهد محمد الخامس الملك الشرعي مع ثلة من علماء مراكش فحمد موقفه وله في ذلك أسوة بجده ووالده وموقفهما من المستعمر.

وقد تولى الخطابة قبل ذلك بجامع "بريمة" ثم اعتزل حتى جاء الاستقلال فأسندت له خطابة جامع الكتبيين كما عين رئيسا للجامعة اليوسفية وللمجلس العلمي بمراكش والنواحي.

وقد شهد له الخاص والعام بسعة علمه وشجاعته الأدبية وقدرته على الحفظ والاستحضار. وله خطب *مرتجلة* في مختلف المناسبات وفي مواقف مع طلبة ابن يوسف حاسمة وذلك قبل أن يشتهر بدروسه الحسنية في شهر رمضان ويختم *البخاري* ليلة السابع والعشرين بحضرة الحسن الثاني . وامتاز أسلوبه في ذلك بالسجع الحسن وبحسن الاستشهاد بالنصوص وتناول الأسانيد والرجال باستفاضة على طريقة المحدثين مع إلقاء جيد وحفظ دقيق وإشارات بديعة.

كما ألقى دروسا في الحديث بدار الحديث الحسنية مدة خمس سنوات وأشرف على بعض الرسائل والأطروحات بها.

وترأس عمادة كلية اللغة العربية بعد إنشائها منذ 1962 إلى وفاته مع تولي كرسي مادة التفسير. وكان تدريسه يجمع بين الأمالي وبين الاشراقات التي قد تسبي أحيانا نفسه فيغادر كرسيه ملتحما بطلبته في موقف عاطفي متوحد.

وحافظ أثناء هذا كله على دروسه الشعبية الرمضانية بجامع ابن يوسف غالبا بعد صلاة الصبح سنوات وأبدع فيها ودلف إليه في الظلمة أفواج الرواد للتملي بطلعته والإنصات إلى نغمته والإعجاب بإشراقاته وإشاراته وانتقاداته في سبيل الإصلاح وإن ضايقت البعض.

وأسندت إليه سنة 1401 / 1980 عضوية أكاديمية المملكة، كما عين ثانية رئيسا للمجلس العلمي بظهير سنة 1402 / 1981. وله مواقف وخطب بديعة برابطة علماء المغرب باعتباره مستشاراً لرئيسها الشيخ عبد الله كنون؛ وشارك في المسيرة الخضراء لاسترجاع صحراء المغرب.

وأنتج رحمه الله جملة وافرة من المقالات والأبحاث والمحاضرات والخطب والفتاوى جمعت في ثلاث مجلدات في موضوعات الدراسات القرآنية والسيرة والحديث والإسلاميات والوطنيات والاجتماعيات والفتاوى والإعلام واللغة والتربية وغيرها.

كما أسهم في تحقيق أطراف من تفسير *المحرر الوجيز* لابن عطية المطبوع بالإمارات العربية. وله في شبابه شعر في العرش العلوي. وقد حج واعتمر صحبة محمد الخامس رحمه الله وألقى هناك درسا نال إعجاب الملك كما شارك في لقاءات فقهية خارج المملكة. وكان يجلل شخصه بالوقار والحياء، ولكنه مع ذلك ذو روح مرحة ونكتة فطرية نادرة مع أخص خلصائه لم تفارقه فطرته الأولى رغم تقلبه في البلاد؛ وله عزمات وانجذابات قلما ترد. وكان يلتمس لديه صالح الدعاء ويختلط بالصالحين أحياء وأمواتا.

توفي بمراكش سنة 1405 / 1985 وأقبر بمقبرة العلماء والصالحين بباب اغمات في مشهد عظيم ورثي وأكرمت ذكراه بعد وفاته مرات.

أ. منكر، *مقالات ومحاضرات الشيخ الرحالي الفاروق*. مراكش. 1999 : *حوليات كلية اللغة العربية بمراكش في ذكراه* : مجلة الاعتصام، عدد خاص بتكريم الشيخ الرحالي الفاروقي

محمد البايك

الرحّالية، طريقة صوفية تُنسب إلى الشيخ سيدي رحال الكوش المدعو البدالي (ت. 949 / 1543). ويعد هذا الرجل من كبار شيوخ التصوف في القرن العاشر (16 م)، ومن رواد الطريقة الصوفية الجزولية في زمانه، باعتباره من أهل الطبقة الثانية فيها، إذ ليس بينه وبين مؤسسها سوى واسطة واحدة، هو عبد العزيز التباع، خليفة محمد بن سليمان الجزولي. كما يعتبر سيدي رحال البدالي من الشيوخ الجزوليين الذين بلغوا مستوى رفيعا في مقامات هذه الطريقة، مما حدا بكتّاب التراجم إلى تصنيفه ضمن طبقة الأبدال، بل رفعه بعضهم إلى مقام الأقطاب.

إنها طريقة سلوكية تربوية، تفرض الصحبة والخدمة ومجاهدة النفس، باعتبارها السبيل إلى "معرفة الله" والقرب منه عز وجل، على غرار سائر طرق أهل الله. بيد أن المجاهدة في الرحالية لها صفاتها الخاصة. ومن أبرز الصفات حضوراً في وصف هذه الطريقة لدى سائر كتاب التراجم صفة الزهد (*دوحة*، 101 ؛ *ممتع*، 42 ؛ *الإعلام*، 3 : 223 ـ 224).

ومرد ذلك إلى عناية سيدي رحال بالزهد كثيراً في نشاطه الصوفي. وقد اعترف له بهذا الاهتمام كبير الطائفة الجزولية في زمانه الشيخ عبد الله الغزواني، عندما ميزه عن سائر رفاقه في الطائفة الجزولية بهذه الميزة، بل لقد اعتبره زاهد رجال الطائفة على الإطلاق (*ممتع*، 37 ـ 38). وكان ابن عسكر، وهو من أهل القرن العاشر (16 م)، أشار إلى ذلك، وحدد بعض طبائع الزهد في سلوك الشيخ سيدي رحال، وقال إنه كان يعيش على نبات البرية، ويدخر زريعة الخردل لقوته، وأنه تعود ذلك في سياحته (*دوحة*، 101).

وإلى ذلك كان سيدي رحال من كبار العُباد في زمانه. ومما قيل عن تعبده أنه كان قليل النوم، يختم القرآن في ركعتين. وقيل أيضاً إنه كان يغلق باب النوم ويفتح باب التهجد (*الزاوية*، 19).

أما ثالث عناصر الطريقة الرحالية بروزا، إلى جانب الزهد والتعبد، فهو الذكر أعني أن سيدي رحال كان من أهل السبحة والذكر. وقد احتفظت لنا بعض المصادر بنصوص بعض الأذكار والأدعية والأحزاب التي عكف مريدو الزاوية الرحالية على حفظها وترتيلها، في عهد شيخهم، وتسمى في مجموعها باسم وظيفة سيدي رحال (*منهج الارتجال*، 132). وتتضمن هذه الوظيفة" ... آيات قرآنية وأحاديث نبوية، ومنها ما أصله من حزب *الفلاح* للإمام أبي الحسن الشاذلي، ومنها ما أصله للشيخ سيدي أحمد زروق، ومنها ما أصله لتلميذه الخروبي، ... ومنها ما لم أقف له على أصل منقول منه، فيحتمل أن يكون الشيخ قد أخذه عن بعض الشيوخ الذين كان معهم في عصر واحد، ويحتمل أن يكون قد رتبه لنفسه"، فصار مجموع ذلك هو الوظيفة، التي تسمى أيضاً بحزب *الشيخ سيدي رحال* (*منهج الارتجال*، 133 ـ 134).

ومما ينبغي التعرض لذكره هنا أن الشيخ سيدي رحال راعى في وضع ألفاظ حزبه إعطاء الوصل حكم الوقف، ومد المقصور وقصر الممدود وما شاكل ذلك. كما راعى في قراءته الطبوع والأوزان، وتوافق الأصوات في الألحان (منهج، 135). مما يعني أنه كان يذكر مع أصحابه جماعة وجهرا، والظاهر أنه قلد الجزوليين في استعمال السماع أيضا، كما يفهم من الأشعار التي اعتاد سيدي رحال أن يختم بها وظيفته (*منهج*، 142 ـ 242).

وقد ورث الرحاليون عن شيخهم طريقته في التصوف، وأضافوا إليها من عنديتهم إضافات. كما صارت أفعال وأحوال سيدي رحال من السنن المؤكدة في الطريقة الرحالية، ولا سيما فيما يتعلق بشعائر الحضرة، بما في ذلك تقليد الشيخ في أحواله. إنما الظاهر أن الحضرة في عهد الأبناء والأحفاد صارت أكثر صخبا، مما جعل أحوال أهلها تتعدى أحوال الجذب إلى القيام ببعض السلوكات والشعائر التي يعتبرها أهلها أحوالا خارقة، ويعتبرها غيرهم زندقة باعتبارها مخالفة للسنة، مثل أكل الثعابين المسمومة، ودخول بيوت النار، ووضع الحديد المحمي في أفواههم (*منهج الارتجال*، 54، 8). كما صارت الحضرة مناسبة للتأكيد على حصول بركة الشيخ في أتباعه وأبنائه، من خلال القيام بعمليات صرع المصابين بالأرواح. بل لقد صارت هذه "الشعائر" أهم ما يميز "طريقة" سيدي رحال، ونشاط أبنائه وأحفاده، أو قل الطريقة الرحالية الجديدة.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط، 1977 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية بفاس، 1313 / 1892 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ج 3، 1975 ؛ م. العربي ابن البهلول، *منهج الارتجال إلى معرفة الشيخ سيدي رحال*، الرباط، 1952 ؛ الحسن شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن 19 م*، رسالة جامعية في التاريخ، 9 : 1991، مرقونة، خزانة كلية الآداب بالرباط ؛ أ. الوارث، مادة *البدالي رحال*، *معلمة المغرب*، م. 4 : 1991 ؛ عزو الريطب، *الزاوية الرحالية بأنماي خلال القرن السادس عشر*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، 90 ـ 1992، مرقون، خزانة كلية الآداب بالجديدة.

Kh. Naamouni, *Le culte de Bouya Omar*, Casablanca, 1993.

أحمد الوارث

الرحَّل، تجمعات بشرية تتنقل من مكان إلى آخر بسبب الوسط الطبيعي المتميز بقلة الموارد والإنتاجية فيما يخص سطح الأرض. وتتحكم فيه عوامل مناخية (تقلبات الجو ـ كثافة الغطاء النباتي...) حيث تشكل نقط الماء (العيون ـ الآبار...) والتضاريس (الجبال ـ السفوح...) معالم مجالية تتحكم في حركة التنقل.

يعتمد الرحل على الثروة الحيوانية حيث يعد الرعي النشاط الأساسي الذي يضبط نمط الحياة ذات الإنتاجية

الاقتصادية المرتفعة باستعمال التمايزات المناخية الكافية كما كان الحال في شمال الصحراء، في المناطق المتوسطية شبه استوائية، حيث تقضي قبائل الرحل الشتاء في الصحراء ثم تتنقل صيفا نحو الشمال. ويضمن هذا الترحال الرعوي في هذه الأراضي القابلة للفلاحة - لتهاطل أمطار الشتاء وأيضا لسقوط أمطار صيفية في الجهات المكونة من سهوب هامشية، وخاصة عندما كانت الظروف مساعدة على تنقل حرّ - مردودية عالية أكثر من الاستغلال الزراعي وإنتاجية مرتفعة بالنظر إلى وحدة العمل الإنساني. غير أن هذا المستوى المعيشي يظل محكوما بمدى فعالية آليات الضبط الديمغرافي والاجتماعي في عدد الأطراف الفاعلة.

ونظرا لطبيعة العيش (انتشار القبائل داخل المجال) وصحية المجال الصحراوي فقد ظلت تجمعات الرحل بمنأى عن الأوبئة التي كانت تضرب المدن وتجتاح مناطق المستقرين، وهذا ما جعل هذه المجالات بمثابة خزان بشري ظل يملأ الفراغات عبر التاريخ ويساهم في تجديد المجتمع المغربي (غالبية الدول جاءت من هذه المناطق الجنوبية).

وقد انحسرت حياة الترحال في الجنوب بفعل عوائق جغرافية (حاجز جبال الأطلس الكبير) أو عوائق مناخية (مناطق لا تلائم النظام الحياتي للجمل). ولهذا سنجد الانتجاع كبديل للترحال كلما توغلنا نحو الشمال. وما يشترك فيه الترحال مع الانتجاع هو عدم اعتماد الرعي على البقر في مقابل اقتصار الانتجاع على قطعان الغنم والتي يتراوح حجمها الأدنى بين 30 و50 رأسا والتي قد تضم الماعز. ويخضع حجم القطيع للموارد العلفية للمنطقة. ولئن كان الرحل يعيشون تحت خيام منسوجة من الحلفاء أو شعر الماعز أو وبر الإبل، فإن المنتجعين قد يكون لهم سكن قار يشكل منطلقهم، كما أنه في حالة صغر حجم القطيع قد يؤجرون راعيا لمجموعة من القطعان أو يتناوب مجموعة من الملاكين على اصطحابها إلى المنتجع. ويتعاطى المنتجعون إلى الفلاحة كنشاط تكميلي للكفاف أو لتوفير علف الماشية، في حين تقوم حياة الرحل على القطيع حيث يعتبر حجمه عنصرا أساسيا في الوجاهة. كما يشكل الصوف مع الوبر مادة قابلة للتخزين والتحويل وصرفها في السوق مضمون. ورغم ارتباط الرحل بقطعانهم فإن استهلاك اللحم ليس ذا بال في عاداتهم الاستهلاكية.

ويتجاور الانتجاع مع الترحال خاصة في مناطق الحدود المغربية الجزائرية (أوطاط الحاج - نواحي دبدو وتاسلينت). وهكذا نجد الانتجاع يتحول تدريجيا إلى ترحال كلما ابتعدنا من المغرب الشرقي نحو الصحراء، وذلك لأن الرحل، في إطار بحثهم الحثيث عن مراعي طبيعية لقطعانهم، لا يمكنهم الاستقرار بنفس المجال إما لكون الغطاء النباتي كثيفا ولكن مدة الاستفادة منه قصيرة أو أن النباتات شحيحة وسريعة الاستهلاك. يضاف إلى هذا البحث عن الماء وما يطرحه من تعقيد للوجود بالمراعي. وإذا أخذنا بعين الاعتبار مسألة تنويع تغذية الماشية استطعنا فهم ضرورة عدم الاستقرار لمدة أطول لدى الرحل.

أما فيما يخص الانتجاع فيختلف بحسب تضاريس المنطقة. فهناك انتجاع السهل والذي قد يتعلق بنزوح القطعان الجبلية نحو السهل عند بداية تساقط الثلوج (الأزغار)، أو يهم زحف القطعان نحو أراضي الحرث بعد موسم الحصاد حتى سقوط الأمطار الأولى لتعود الماشية إلى أراضي الرعي. وهناك أيضا انتجاع الجبل الذي تعود فيه القطعان إلى أعالي الجبال مع بداية ذوبان الثلوج وترافقها قطعان السهل، وذلك لما تقدمه الجبال من كلأ خلال فصل الصيف. وتدعى هذه المراعي الجبلية "أكدال"، وتخضع لنظام استغلال عرفي مثلها مثل "الأزغار".

ومع تطور تربية الماشية والرعي، وما رافق ذلك من توجه لفرض نظام الاستقرار، عرف الترحال تقهقرا واندثارا مضطردين، في حين أخذ الانتجاع حظه من الاهتمام فيما يخص إعادة إنتاج الثروة الحيوانية وإخضاعه لحاجيات تربية الماشية والفلاحة.

إن اهتمام الدولة انصب على الجوانب الاقتصادية دون اهتمام كبير بالجوانب البيئية وبالقضايا الاجتماعية، إذ الترحال والانتجاع ليسا نشاطين اقتصاديين فحسب بل هما نظام سوسيوثقافي أيضا.

R. Montagne, *La civilisation du désert*, Paris, 1947; M. M. Bukkali, *Contribution à l'étude de la transhumance au Maroc*, Toulouse, 1972.

عبد الفتاح الزين

رَحُّو (بنو -) **المرينيون**، شيوخ الغزاة بالأندلس هم الأمراء المرينيون الذين تولوا في الأندلس مشيخة المجاهدين من القبائل المغربية خاصة من زناتة المغربين الأقصى والأوسط وعلى الأخص من القبائل المرينية، وسميت هذه الفرقة المجاهدة بفرقة الغزاة. وقد تناوب على المشيخة مع بني رحو بنو عمهم أبي العلاء إدريس (راجع في *المعلمة*، بنو أبي العلاء شيوخ الغزاة في الأندلس). وقد استمرت المشيخة المرينية قرناً من الزمان من سنة 673 إلى سنة 770.

ورحّو المذكور هو أحد أبناء عبد الله بن عبد الحق، أخ الأمير أبي يحيى بن أبي بكر مؤسس الإمارة المرينية بفاس وأخ السلطان المريني أبي يوسف يعقوب. فأبناء رحو من عصبية الأسرة الحاكمة التي يمكنها مزاحمة السلاطين على السلطة أو إثارة الفتنة ضدهم، وقد انتقلوا إلى الأندلس بعد فشلهم في بعض المحاولات ضد السلطان يعقوب وفي عرقلة إسناد ولاية العهد لأحد أبنائه (*القرطاس*، 308 - 309 ؛ *الذخيرة*، 125)، ولذلك استعملهم سلاطين غرناطة كورقة ضغط لتهديد السلطة المرينية في أوقات التوتر بين الطرفين، كما استعملوهم لتثبيت سلطانهم ضد معارضيهم داخل الأندلس، وكذلك في العمل العسكري ضد الإسبان بعدما اكتشفوا قدرتهم القتالية.

كانت رئاسة الغزاة صنفين : صنف شيوخ مجاهدي الثغور ويستقرون في وادي آش والمرية وخاصة في مالقة، وصنف الشيوخ العامين الذين يستقرون في العاصمة ويشتركون في مجلس السلطان خصوصا المجلس الحربي، إلى جانب رئيس فرقة الأندلسيين، ونقصر الاهتمام هنا على الصنف الأخير.

كان "فاتح رئاسة الغزاة" كما عبّر بذلك ابن خلدون هو موسى بن رحو الذي عيّنه السلطان النصري سنة 673 في هذه المهمة نكاية في السلطان يعقوب المريني الذي دخل الأندلس في البداية غازياً بناء على طلب من النصريين ثم أقحمه المنافسون من قرابة سلطان غرناطة في الشؤون الداخلية النصرية عندما أقدم هؤلاء على تقديم البيعة له في مالقة، فقاد الشيخ موسى إحدى المعارك ضد قريبه السلطان المريني. وبعد وفاته خلفه في المشيخة أخوه عبد الحق بن رحو الذي وُصف بكونه ميمون النقيبة، إذ فُتحت على يده مدينة قيجاطة Quesada في الثغور القشتالية سنة 695، وتوالت غزوات المجاهدين برئاسته في هذه الثغور ففتحوا مدينة القبذاق Alcudete في نواحي قرطبة سنة 699، ووصلوا إلى نواحي مدينة جيان وغيرها (*اللمحة البدرية*، 54)، وكانت هذه المدن سقطت في يد القشتاليين خلال فترة ضعف الحكم الموحدي وتراجعه عن الأندلس. وفي إحدى غزوات السنة المذكورة استُشهد عبد الحق بن رحو.

تولى المشيخة بعد عبد الحق ابنه حمو فاستمر فيها إلى سنة 714، وكانت العلاقات سيئة عموما في هذه الفترة بين المرينيين والنصريين، فقد دفع الحصار المريني الطويل لتلمسان (698 - 706) - التي كانت حليفاً طبيعياً ودائما لغرناطة - إلى دعم الاضطراب في شمال المغرب، فحدث أولا تمرد سبتة العزفية سنة 703، ثم قيام النصريين باحتلالها فيما بين سنتي 705 و709 وتوجيه شيخ غزاة مالقة إلى بلاد غمارة للتحرك منها للمطالبة بالعرش، وهذا الشيخ هو عثمان بن أبي العلاء، إدريس أخ رحو المذكور سابقا. وبعد انهزامه أمام جيوش السلطان المريني أبي الربيع سليمان سنة 708 تراجع إلى جنوب الأندلس ودعم حركة انفصالية هناك انتهت سنة 713 بارتقاء أبي الوليد إسماعيل بن فرج إلى عرش غرناطة وهو الفرع الثاني من سلالة ملوك بني نصر، وهذا ما جعل السلطان الجديد يرفع إلى مشيخة الغزاة عثمان بن أبي العلاء المذكور، أي أن انتقال السلطنة إلى فرع آخر من النصريين صاحبه انتقال المشيخة إلى فرع آخر من بني مرين.

استمر عثمان وبنوه في مشيخة الغزاة إلى حين نكبتهم سنة 741 في عهد السلطان النصري أبي الحجاج يوسف حيث أعاد المشيخة إلى بني رحو من جديد في شخص يحيى بن عمر بن رحو، وقد تميزت فترة مشيخته بحسن العلاقة عموما بين السلطانين النصريين أبي الحجاج يوسف ثم ولده محمد والسلطانين المرينيين أبي الحسن وأبي عنان، وعندما وقع الانقلاب على سلطان غرناطة محمد (الغني بالله) سنة 761 ولجأ إلى المغرب التحق به شيخ الغزاة أيضاً، إلى أن تمكن الغني بالله من استعادة عرشه بدعم من المرينيين والقشتاليين سنة 763 فأعيد الشيخ يحيى إلى منصبه القديم أي مشيخة الغزاة، وتولى إخماد ثورة ضد الغني بالله في ذي الحجة من نفس العام. غير أن مدة مشيخته لم تتجاوز السنة (764) حيث اقترح الوزير ابن الخطيب على سلطانه إلغاء منصب شيخ الغزاة باعتباره يمتص قسطا مهما من الميزانية التي كانت تعاني في هذا الوقت من الانهيار. إلا أن ضعف معنوية المجاهدين المغاربة تحت قيادات غريبة عنهم فرض على سلطان غرناطة أن يعيد إلى مشيختهم أحد أبناء عمومة الشيخ السابق وهو علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو سنة 767 إلى وفاته في أواخر محرم 769 (*الإحاطة*، 2 : 38)، (راجع مادة علي بن بدر الدين)، فعُوّض بواحد من أقارب السلطان المريني المباشرين وهو الأمير عبد الرحمن بن علي بن عمر (راجع هذه المادة في *المعلمة*)، وكان عمر هذا قد تمرد على أخيه السلطان أبي الحسن بسجلماسة في أول حكمه. ثم ألغي منصب شيخ الغزاة نهائيا سنة 770 بعدما استمر مدة قرن من الزمان.

وهكذا فإن مشيخة الغزاة كانت تلعب دوراً مهماً في نوعية العلاقات المرينية النصرية سلباً أو إيجاباً، كما ارتبط بعض الشيوخ بعلاقات خاصة مع ملوك أرغون، ومن جهة أخرى كان لهم دور أساسي في مسألة توجيه السياسة الداخلية وحماية الأمن العام. غير أن المهمة الأساسية المنوطة بهم كانت تتعلق بالدفاع عن الإمارة النصرية من الاعتداءات الإسبانية خصوصا القشتالية، وعندما ضعف دور هؤلاء المجاهدين ازداد ضغط الإسبان على ما بقي من دولة الإسلام شمال البوغاز إلى أن انتهت في أواخر القرن التاسع (15 م).

شيوخ الغزاة بالأندلس

عبد الحق بن محيو

أبو عياد   عبد الله   أبو يحيى أبو بكر   إدريس   محمد   يعقوب

علي   عثمان   أبو سعيد

(ت. 679)

إدريس   يعقوب   رحّو   محمد   عامر   عبد الحق   عمر

أبو العلاء

أبو يفلوسن (علي)

4) عثمان

(714 - 729)   عمر   2) عبد الحق   1) موسى   10) ع. الرحمن

(ت. 699)   (673 - ...)   (768 - 770)

6) يحيى   3) حمو   محمد بدر الدين

(741 - 761) (699 - 714)

8) (763 - 764)   9) علي

5) أبو ثابت عامر   إبراهيم   سلطان   7) إدريس

(729 - 741)   (761 - 763)

ابن أبي زرع، القرطاس، 308، 309، 393؛ الذخيرة السنية، 125؛ ابن خلدون، العبر، 7، 491، 494، 766، 777؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، 54، 80، 105، 116، 130.117؛ الإحاطة، 2، 38، 39، 4، 365، 371، نفح، عنان؛ الإحاطة، 202، نصوص لم تنشر، تح. ع. السلام شقور؛ أ. المقري، نفح الطيب، 6، 386، 387، بيروت، 1968؛ مارمول، إفريقيا، 1، 398، تر. حجي. - عزاوي، المغرب الإسلامي من خلال رسائله، رقم 173، 174، 272، 273، 367، 441، 442، 464، أطروحة مرقونة.

أحمد عزاوي

رَحُّو (سيدي -)، أحد الوجوه الوضاءة الوطنية وأكبر زعيم للمقاومة ضد التدخل الفرنسي الاستعماري في النصف الشمالي للأطلس المتوسط من سنة 1911 إلى 1926. ينتمي سيدي رحو إلى قبيلة أيت حلي إحدى قبائل أيت يوسي حيث رأى النور بقصبة اعوين علي بعد 30 كلم إلى الجنوب الشرقي لمدينة صفرو، وتعتبر أيت حلي من أكبر قبائل أيت يوسي نفوذا وعظمة وقوة، وقد أعطت عددا من أهم القواد الذين عرفتهم المنطقة كالطالب الحسين بريرة في عهد المولى عبد الرحمان، والقائد محند وسعيد بريرة في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن إبان القرن التاسع عشر، ولم يتراجع نفوذها إلا في أواخر القرن 19 أمام تصاعد نفوذ قبيلة أيت مسعود وعلي التي أعطت أيضا قوادا كبارا من أسرة أيت بن عامر النحاسين الذين بسطوا



نفوذهم على جزء كبير من أسرة أيت الأطلس المتوسط ومدينة صفرو وأبرزهم القائد محند اوالطالب في عهد المولى الحسن الأول (1873 - 1894) وخاصة ابنه القائد عمر اليوسي ابن محند او الطالب الذي بسط نفوذه على مدينة صفرو من 1891 إلى 1904 (مقاومة صفرو، 88).

وقد كان والده عالما تقيا قوي الشخصية يتمتع بهيبة ووقار ليس فقط وسط قبائل أيت يوسي وإنما لدى قبائل أيت سغروشن، حيث كان يقوم بمهام مقدم زاوية أيت عرفة. ولذلك حظي ابنه سيدي رحو باحترام وتقدير قبائل كل من أيت يوسي وأيت سغروشن مما ساعده على البروز منذ انطلاق المقاومة بمظهر الزعيم الوطني الموحد لجميع قوى المقاومة.

ومما زاده هيبة وعزة لدى كل القبائل كونه ينتمي إلى أسرة وطنية غيورة فقدت العديد من الشهداء. وقد استشهد إخوانه الثلاثة وهم يقاومون المستعمر والسلاح بيدهم الأول في شتنبر 1911 والآخران (حسن وسعيد) في معارك تكتة بريتنو في يناير 1912. (L'Illustration n° 3600, 141).

وقد تزعم سيدي رحو حركة المقاومة وعمره يناهز الثلاثين وشارك في جل العمليات العسكرية ضد الجيوش الفرنسية منذ استقرارها بفاس سنة 1911، ورغم تكرر الإغراءات الفرنسية له بمختلف مناصب السلطة والنفوذ، فقد فضل الاستمرار في المقاومة بل وضحى بكل ما كان يملك من أراض ومواش، كما استولت إدارة الحماية على كل أملاكه بحي القلعة بمدينة صفرو. (مقاومة صفرو، 88).

وقد كان زعيما راشدا وقائدا رزينا وبارعا لحركة المقاومة بالمنطقة، وواجه قوات الاستعمار بشراسة نادرة. وتأقلم في كل مرة مع تغير المعطيات وتطور الأحوال، فقد استقر في بداية الأمر بصفرو والبهاليل، ثم انتقل إلى قلعة مزدو التي حطمها الباشا ابن البغدادي في يناير 1912، ومنها انتقل إلى مزدغة الجرف التي حطمت بدورها من قبل Mazillier في أبريل 1912، وتلقى التهاني من السلطات العليا على ذلك حتى انتهى به المآل إلى جبال تيشوكت وبويبلان دون أن تتمكن القوات الاستعمارية من الإيقاع به رغم الجروح البليغة التي أصيب بها سنة 1917، ولم يستسلم إلا بعد نفاد قوته وجميع إمكانياته سنة 1926. (مقاومة صفرو، 89).

كما بحث عن حلفاء، وتعاون مع جل زعماء المقاومة في الأطلس المتوسط وجبال الريف أمثال مولاي محمد السغروشني وبوعزة الهبري وموحى أوحمو الزياني بالأطلس المتوسط وعبد المالك ومحمد بن عبد الكريم الخطابي بجبال الريف، وحصل بينه وبين مولاي محمد السغروشني سوء تفاهم بعد التقارب الذي حصل بين هذا الأخير وسلطات المخزن والحماية. وقد تمكن سيدي رحو في السنوات الأولى لفترة الحماية من قيادة عدة آلاف من

المقاومين ينتمون لقبائل مختلفة من أيت يوسي وأيت سغروشن وبني علاهم وبني مطير وبني وراين وبني سادن وغيرهم ضد القوات الفرنكفونية كما تشهد على ذلك الأحداث التي تلت بمدينة فاس العنيفة والدامية أيام 17 . 18 . 19 أبريل 1912 حيث إن مقاومة سيدي رحو لم تهدأ قط بل زادت قوة وشراسة فاقترب مقاومون من جديد من مدينة صفرو التي لم تحرك ساكنا خلال هذه الأحداث واشتبكوا مرارا مع حامية ثكنة Priaux قرب سيدي بوسرغين، كما ارتبطت مقاومة سيدي رحو بالثورة الفرنسية التي عمت جميع أنحاء البلاد حيث شارك رجاله في عمليات المحاصرة والهجوم على العاصمة مدينة فاس التي أوشكت على السقوط في يدهم يوم 25 ماي 1912 لولا الحنكة والتجربة الكبيرة التي كان يتمتع بها الجنرال اليوطي Général Lyautey في مجال الحروب الاستعمارية.

وقد عملت المخابرات الألمانية في بداية الحرب العالمية الأولى على الاتصال بسيدي رحو ومساعدته بهدف إضعاف القوات الفرنسية، وتلقى منها مساعدات مادية وبعض الأسلحة ورسائل تشجيع، وبين 1921 و1926 شارك بفعالية كبرى في عمليات المقاومة ضد القوات المشتركة الفرنسية ـ الإسبانية إلى جانب الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي وتبادل معه عدة مراسلات، كما قام بمساع لدى باقي الزعماء في الأطلس المتوسط من أجل مؤازرة زعيم حرب الريف التحريرية. (*مقاومة صفرو*، 89).

اعترف جميع الضباط الفرنسيين الذين حاربوه بقوة شوكته وعزيمته وبأسه، وقال عنه الجنرال دالبيي Dalbiez : "...يعتبر روح المقاومة في المنطقة وأهم شخصية بها والزعيم المثالي لكل الثوار..." وقال عنه كذلك : "...إنه في كل مكان من الأطلس المتوسط وفي كل الحركات وهو معارض شديد لا يقبل أي مفاوضة ولا تغريه مقترحاتنا ولا تنال من عزمه..." (*L'Illustration* n° 3600, 143).

واشتهر بشجاعته النادرة وقتاليته، فقد نجا من موت محقق في معركة 1 يناير 1912 ضد ثكنة بريو Priaux بعد أن قُتلت دابته التي كان يمتطيها.

وأصيب بجروح وخدوش كانت أخطرها الجروح التي أصيب بها سنة 1917 حيث اضطر للخلود إلى الراحة عدة أشهر قبل استرجاع قواه ومتابعة المقاومة، وبعد ما يفوق خمس عشرة سنة من المقاومة اضطر إلى الاستسلام بعد نفاد كل إمكانياته واستسلام أهم حلفائه الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي في 27 ماي 1926، وقد استسلم سيدي رحو يوم 16 يوليوز 1926 للجنرال Meregdenberg بمدينة تازة جاعلا حدا لإحدى أمجد صفحات المقاومة المغربية الوضاءة ضد التدخل الاستعماري في الأطلس المتوسط وناحية صفرو. (*مقاومة صفرو*). وقد عومل بما يليق بمقامه من احترام وتقدير لدى سلطات الحماية حيث أطلق سراحه بعد حين واسترجع أملاكه وأراضيه واستقر بمنطقة العنوصر ومدينة صفرو ابتداء من سنة 1927، والتقطت له صورة يظهر فيها بلحية كثيفة يرتدي سلهاما أبيض وعمامة نشرت بمجلة (Cussane Balin, *L'Illustration*).

الحسن الشافعي العلوي، *مقاومة صفرو ومنطقتها للاحتلال الفرنسي*، ضمن صفرو ومنطقتها : بيئة ـ تاريخ ـ مجتمع ـ فكر، الجزء الثاني، الملتقى الثقافي الرابع، 1990.

Cussane Balin, *Un raid au sud de Sefrou*. *L'Illustration* n° 3600 du 24 février 1912.

الحسين البعاوي

الرحلات الأوربية إلى المغرب. شارك فيها بريطانيون وفرنسيون وإسبانيون وألمانيون وإيطاليون وروس. ولعل الريادة كانت للبريطانيين، فقد توافد الرحالة الأنجليز على المغرب منذ القرن العاشر (16 م). واختلفت أهدافهم ودوافعهم ؛ فكان منهم التاجر والسفير والمغامر والجاسوس والمستكشف والمبشر والأسير والرسام والباحث. وكيفما كانت أحوالهم فإن أغلبهم سجلوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم وانطباعاتهم على شكل كتب ومذكرات ورسائل وتقارير مطولة. وكيفما كان حظ هذه الكتابات من الموضوعية والدقة، فإنها لعبت دورا مهما في استصدار كثير من المواقف والأحكام التي اتخذتها انجلترا والإنجليز إزاء المغرب عبر التاريخ. كما أنها تمثل مصدرا لا غنى للباحث والدارس عنه في معرفة الكثير من الجوانب المختلفة لتاريخ المغرب. وهذه لائحة بأسماء هؤلاء الرحالة :

جيمس ألدي Jame Aldy : قام برحلتين إلى المغرب، الأولى بصحبة القبطان طوماس ويندهام Thomas Windham سنة 1551 والثانية سنة 1552. وقام رحالة آخر يدعى جيمس طوماس James Thomas، بوصف لرحلته إلى المغرب سنة 1552 عندما كان خادما للقبطان طوماس ويندهام. وفي كلتا الرحلتين يوجد وصف لأحوال التجارة في مدينتي أسفي وأگادير.

إدموند هوجان Edmond Hogan : قام برحلة سفارية إلى المغرب موفدا من قبل الملكة إليزابيث الأولى إلى بلاد السلطان مولاي عبد الملك السعدي سنة 1577. وصف فيها وصوله إلى أسفي واستقباله من طرف السلطان في مراكش.

روجر بودنهام Roger Bodenham : رحالة وتاجر جاء إلى المغرب قبل أن يقوم برحلته إلى المكسيك سنة 1564. وقد اقترح في مذكراته عن رحلاته على الساسة الإنجليز إبرام معاهدات سرية مع المغرب كوسيلة لمضايقة إسبانيا، وذلك في إطار الصراع الذي كان دائرا آنذاك على أشده بين المعسكر الكاثوليكي والمعسكر البروتستانتي.

جون ويليامز John Williams : قام برحلة تجارية وسفارية إلى المغرب سنة 1577. حيث تباحث في سياقها

مع المسؤولين المغاربة حول إمكانية استيراد ملح البارود والسكر من المغرب مقابل كور المدافع وذخائر الحربية أخرى. كما سلم في نفس المناسبة جواب الملكة إليزابيث على رسالة مولاي عبد الملك بخصوص ربط علاقات ودية بين البلدين.

فرانسيس فليتشر Francis Fletcher : رحالة ومغامر ومبشر، صحب فرانسيس دريك Francis Drake في رحلته البحرية حول الأرض. وتتضمن هذه الرحلة وصفا لمدينة تيط (بالقرب من آزمور) وأسفي والصويرة، بالإضافة إلى بعض الخصوصيات التي تميز مجال الأطلس.

هنري روبرتس Henry Roberts : قام برحلة سفارية سنة 1585 مبعوثا من طرف الملكة إليزابيث إلى مولاي أحمد المنصور السعدي : قضى خلالها ثلاث سنوات ونصفاً بالمغرب. وقد قدم في سنة 1603 مشروعا للملك الأنجليزي جميس الأول James I يحثه فيه على غزو المغرب وتنصير أهله والاستفادة من خيراته.

طوماس بيرنهير Thomas Bernhere : بعد رحلته إلى المغرب سنة 1600، بعث رسالة إلى الفلكي الإنجليزي إدوارد رايت Edward Wright، يحثه فيها على صنع آلات فلكية لفائدة الملك المغربي.

جون سميث John Smith : قام بعدة رحلات في بلدان أوربا وأمريكا. جاء إلى المغرب سنة 1604. وصف مدن سبتة، طنجة، أسفي، مراكش وفاس.

أنطوني شيرلي Anthony Sherley : رحالة ومغامر مشهور، جاء إلى المغرب سنة 1605، فمكث خمسة أشهر في أسفي، ثم انتقل إلى مراكش. وقد كان مبعوثا من طرف الإمبراطور الألماني لحث الملك المغربي على قتال الأتراك بالجزائر.

جون هاريسون John Harrison : قام بثمان رحلات سفارية إلى المغرب ما بين سنتي 1610 و1632.

روبرت بليك Robert Blake : قاد رحلات تجارية وسفارية إلى المغرب (1638 - 1639)، وقد أصبح فيما بعد أميرالا بارزا أثناء الحكم الجمهوري لأوليفر كرومويل.

ستفين سكوت Stephen Scot : تجول لمدة سبع سنوات في منطقة سوس، ثم كتب مذكراته سنة 1638 وبعثها للساسة الإنجليز راجيا منهم أخذها بعين الاعتبار في علاقاتهم مع المغرب آنذاك.

جورج كارتري George Carteret : قام برحلته سنة 1638، وسجل عنها تقريرا مهما عن المغرب آنذاك. (أعيد نشره كاملا سنة 1929).

جون ويندوس John Windus : قام سنة 1721 برحلة إلى مكناس عبر مدن تطوان والقصر الكبير وسيدي قاسم ومولاي إدريس زرهون. وقد كان ضمن البعثة السفارية الإنجليزية التي كان يرأسها تشارلز ستوارت Charles Stewart لدى السلطان مولاي إسماعيل بخصوص الأسرى الإنجليز في مكناس. وقد ترجم نص رحلته إلى العربية من طرف زهراء إخوان، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، 1993.

طوماس شو Thomas Shaw : قام برحلات إلى عدد من مقاطعات شمالي إفريقيا والشرق، ثم نشر كتابا عن رحلته سنة 1738.

طوماس بيلو Thomas Pellow : قضى معظم حياته في المغرب، أولا كأسير حرب (سنة 1721)، ثم كمجند في جيش المولى إسماعيل. تمكن من العودة إلى وطنه سنة 1738 وكتب رسالة طويلة عن حياته ومغامراته بالمغرب. ويعتبر كتابه هذا وثيقة مهمة عن تاريخ المغرب أثناء القرن الثامن عشر.

جون بريثويت Captain John Braithwaite : صحب القنصل العام البريطاني جون راسل John Russel في رحلة سفارية إلى المغرب سنة 1727. وقد سجل ملاحظاته ومشاهداته في كتاب نشر سنة 1729. وترجم نص الرحلة إلى العربية من طرف مينة ماديني، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2000.

وليام آلن William Allan : جاء إلى المغرب سنة 1834 أثناء إحدى رحلاته العديدة حول البحر المتوسط.

جون دراموند هاي John Drummond Hay : قام برحلة إلى المناطق الشمالية بالمغرب سنة 1838، ثم تولى منصب ممثل إنجلترا بطنجة من 1844 إلى 1886. كان يقيم نفسه كصديق للمغرب ولكن مواقفه فندت هذا الزعم أكثر من مرة.

إليزابيث موري Elisabeth Murray : قامت برحلة إلى طنجة، ودونت انطباعاتها حول المدينة وأهلها في كتابها الذي نشر سنة 1859.

ج. د. هوكر J.D Hooker : عالم نباتي ومدير لحدائق كيو Kew Gardens بلندن. قام برحلة إلى المغرب وجمع خلالها عينات نباتية مهمة ونقلها إلى الحديقة المذكورة. نشر كتابا عن هذه الرحلة سنة 1878.

كيتن وودفيل Caton Woodville : في سنة 1886 شارك في مهمة استكشافية جماعية عبر كامل التراب المغربي، وكان المستكشفون يتكونون من 16 ضابطا بريطانيا و800 رجل من ضمنهم حراس مغاربة. وقد نشر وودفيل مذكراته عن هذه الرحلة سنة 1914.

والتر هاريس Walter B. Harris : قام برحلة استكشافية لمنطقة تافيلالت والأطلس وشمال شرق الصحراء. نشر كتابه عن هاته الرحلة سنة 1895.

كانجهام جراهام R. B Cunninghame Graham : قام برحلة إلى المغرب في نهاية القرن التاسع عشر، زار خلالها كلا من أسفي، الصويرة، مراكش، أمزميز، وغيرها. وألف كتابا عن هذه الرحلة بعنوان *المغرب الأقصى. رحلة إلى المغرب* *Mogreb el-Acksa. A Journey in Morocco* (سنة 1898).

إديث وارطن Edith Wharton : قامت سنة 1919 برحلة في المغرب، من طنجة إلى مراكش عبر مدن الرباط، وليلي، مكناس وفاس. ونشرت سنة 1920 كتابها عن المغرب كما شاهدته في هذه الرحلة، وأهدته للمقيم العام الفرنسي آنذاك الجنرال ليوطي.

وورد برايس Word Price : صحافي إنجليزي قام سنة 1924 برحلة خطيرة أثناء حرب الريف ليلتقي بالزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي. وقد ساهم في تقديم صورة جيدة عن هذا القائد المغربي لجمهور القراء الإنجليز والأمريكان.

ويندهام لويس Windham Lewis : كاتب ورسام قام برحلة إلى المغرب سنة 1931. سجل ملاحظاته عن المغرب والمغاربة من الشمال الشرقي إلى الساقية الحمراء. إلا أنه اعتمد في كتابيه عن هذه الرحلة على ما كتبه سابقوه ؛ فجاءت نظرته مشحونة بالخلفيات والأحكام المسبقة.

بيتر مين Peter Mayne : جاء إلى المغرب كرحالة، ثم استقر في إحدى أزقة مراكش. ألف سنة 1953 كتابة *The Alleys of Marrakesh* عن سكان مراكش وعاداتهم وأحوالهم.

يضاف إلى هؤلاء الرحالة جملة من الرحالة الرسامين الذين جاؤوا إلى المغرب لأخذ صور ولوحات فنية. إلا أن رحلاتهم لم تخل من ملاحظات وكتابات عن المغرب والمغاربة. وهذه لائحة بأسماء بعضهم :

ديفيد روبرت (1796 - 1864) David Roberts : من أشهر الرسامين المستشرقين. قام بعدة رحلات إلى مصر وفلسطين والمغرب. أنجز رحلة من تطوان إلى طنجة، كان يرتدي خلالها لباسا عربيا ويمتطي فرسا عربيا ويقضي الليل في خيمة عربية.

فرانك برانغوين (1867 - 1956) Frank Brangwyn : رسام جاء إلى المغرب سنة 1894 وأقام بطنجة عدة أشهر. وله لوحات مشهورة عن طنجة والعرب.

جوزيف كراوهول (1861 - 1913) Joseph Crawhall : قضى عشر سنوات في شمال إفريقيا، معظمها في المغرب. كان يدرس سلوك الحيوانات لأخذ لوحات عنها.

أوجستوس لامبلو - Augustus Lamplough (1930 - 1877) : أستاذ بمدرسة الفنون بمدينة ليدز Leeds. قام برحلة إلى أقطار شمال إفريقيا سنة 1904 ؛ ومنذ ذلك الحين كان يستوحي مواضيع لوحاته مما شاهده بالمغرب والجزائر ومصر.

جيمس ماكبي (1883 - 1959) James McBey : في سنة 1932 استقر بطنجة، ثم قام برحلة عبر المغرب العربي قاطعا جبال الأطلس. عاد بعد الحرب العالمية الثانية إلى طنجة حيث أقام ورشة للرسم.

جون بريشويت، تاريخ الثورات في إمبراطورية المغرب بعد وفاة السلطان الراحل مولاي إسماعيل، ترجمة ودراسة مينة مادني (دبلوم الدراسات العليا)، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2000 ؛ م. بنهاشم، السياسة الخارجية المغربية في عهد السلطان المولى سليمان. (بحث دبلوم الدراسات العليا)، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، 1987 ؛ جون وندوس، رحلة إلى مكناس، ترجمة زهراء إخوان. منشورات جامعة المولى إسماعيل، مكناس، 1993.

G. M. Ackerman, *Les orientalistes de l'école britannique*. Paris, 1991 ; H. De Castries [et al.], *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*. Première série ; *Angleterre*, Tomes I, II et III. Paris, 1935 ; R. Cunninghame Graham, *Magreb-el-Acksa. A Journey in Morocco*. Evanston, Illinois, 1997 ; W. Lewis, *Journey into Barbary. Morocco Writtings and Drawings*. Santa Barbara, 1983 ; P. Mayne, *A Year in Marrakesh*. London, 1990 ; M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow. Une lecture du Maroc au 18è siècle*. Paris, 1983.

خالد شاوش

** أما الرحلات الفرنسية إلى المغرب فهي أكثر كمًا وكيفاً، ينطلق تاريخها كذلك من القرن العاشر سنة 1556، لكنها اتسعت وأخذت أبعادا خاصة ابتداء من القرن الثالث عشر (19 م). فإن رحلة E. Delacroix التي تمت عام 1832 تؤرخ لفاتحة هذه الرحلات بعد زمان الفترة في العلاقات بين فرنسا والمغرب، والذي أعقب الثورة الفرنسية 1789 واستمر إلى احتلال الجزائر 1830.

وتندرج هذه الرحلة في إطار الرحلات السفارية، التي تنتظم في سلكها غالبية الرحلات الفرنسية إلى المغرب، وهذا إلى حدود عام 1880. ولا بأس من الإشارة إلى أن السفارة الأوربية في مغرب القرن التاسع عشر تختلف عن مثيلتها المعروفة اليوم، فممثلو الدول الأوربية كانوا يقيمون في مدينة طنجة، حيث يوجد وزير "الأجناس". ومتى دعت حاجتهم إلى الاتصال بالسلطان لتقديم أوراق الاعتماد أو التفاوض والتشاور في شأن من الشؤون، وجب عليهم شد الرحال إلى إحدى عواصم البلاد الكبرى الثلاث فاس ومكناس ومراكش حيث يمكث السلطان. وتسلك الرحلات السفارية طريقين : طريق بري من طنجة إلى فاس أو مكناس عبر العرائش وسهل الغرب، وطريق بحري من طنجة إلى أحد الثغور الأطلسية ومنه إلى مراكش. وكما جرت العادة اليوم بتمكين السفارات من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، كذلك كان أوربيو القرن التاسع عشر يعينون في سفارات بلادهم علماء، وأدباء، ورسامين ومصورين. وهؤلاء هم مؤلفو الرحلات التي تهمنا، والتي دونوا فيها مشاهداتهم وأودعوها لوحاتهم ورسومهم وصورهم. فكانت هذه السفارات تقطع طريقا واحدا ذهابا وإيابا، وتسافر تسبقها راية السلطان، وتتكفل القبائل التي تمر بها بقراها وضيافتها، وإبداء مظاهر الاحتفاء بمقدمها، وتنظيم الفرجة وحفلات الفروسية في طريقها.

وتنتهي هذه السفارات إلى إحدى حواضر البلاد المذكورة، وتحظى بالاستقبال من قبل السلطان استقبالا رسميا، ثم تعود أدراجها من حيث جاءت.

ومع رحلة Ch. E. De Foucauld (1883 ، 1884) تنتقل الرحلات الفرنسية إلى المغرب من طور الرحلات السفارية إلى طور الرحلات الاستكشافية و"العلمية" خلال القبائل والصحاري والجبال، فتغيرت وجهتها من السهل إلى الوعر ومن الخصب إلى القفر، وانتقلت من العلن إلى السر. وتنكر العديد من الرحالة الفرنسيين في لبوس شتى : تزيا De Foucauld بزي اليهود، ولبس Le Marquis de Seconzac أسمال الفقرا، ومشى حافي القدمين طورا وتخفى في جبة الزهاد السائحين طورا آخر، وسار L. Gentil بين الناس بلباس عامة المسلمين. وتنكبت هذه الرحلات عن السبل المطروقة والمأهولة والمأمونة، وقصدت الطرق الموحشة والخطرة، وتجنبت الحواضر والقرى العامرة، ويممت المداشر والأحياء النائية والمعزولة.

ولم تتم جميع الرحلات الفرنسية إلى المغرب خلال هذا الطور من أطوارها بلبوس متنكرة ومستترة، فهناك لبوس أجنبية ورسمية فتحت آفاقا جديدة في وجه الرحلة الفرنسية، وقد ارتداها ضباط "البعثة العسكرية" الذين استقدمهم المخزن المغربي لتدريب الجيش منذ عام 1877، ومن معهم من الأطباء، ودور الأطباء معلوم في تاريخ العلاقات بين المغرب وفرنسا وقديم، وقد تعاظم في نهاية القرن التاسع عشر : وقد عمل الطبيب Linarès بهذه البعثة من عام 1878 إلى عام 1901، وهو صاحب "الرحلة إلى تافيلالت" (1893)، ونلقبه الكتابات الفرنسية "بفاتح المغرب الأول". وفي نفس الإطار رافق الضابط J. Erckmann السلطان المولى الحسن ما بين 1877 و1883، ودون رحلته الموسومة *المغرب الحديث*. وكانت فاتحة رحلات A. Brives الخمس إلى المغرب دعوة تلقاها في شهر أكتوبر عام 1901 من صديقه النقيب Larras الذي ينتسب إلى نفس البعثة.

وقد حظيت الرحلات الفرنسية إلى المغرب بعناية الدارسين منذ استقرار نظام الحماية بالمغرب، وكانت قوام أحد الدروس الأدبية المقررة بمعهد الدراسات العليا المغربية (كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط حاليا)، وهو الدرس الذي جمعه صاحبه R. Lebel وأخرجه في كتاب عام 1936، تحت عنوان *الرحالة الفرنسيون إلى المغرب* - *أغرابية المغرب في أدب الرحلة*.

ويندرج هذا التأليف ضمن مشروع التأريخ "للأدب الكولونيالي / الاستعماري"، الذي يعد مؤلفه من كبار المنافحين عن فكرة وجود هذا الأدب، ومن المصنفين المكثرين في بابه. ولا يهمنا هنا التفصيل في هذه القضية وما راج حولها من أنظار، وكيف انتهى هذا الأدب إلى الفشل ونسجت عليه عناكب الإهمال، وما اعتوره من هنات وسقطات. والذي يعنينا هو التأكيد على "القيمة المصدرية / البيليوغرافية لهذا العمل، الذي يؤرخ للرحلات الفرنسية إلى المغرب على مدى أربعة قرون، من منتصف القرن السادس عشر إلى مطلع العقد الرابع من القرن العشرين. وقد عُني مؤلف بترتيب هذه الرحلات ترتيباً زمانياً / كرونولوجياً، مفرداً للمهمات منها فصولا مستقلة، وجامعاً المتشابهات في فصول تركيبية، ولخص مضامينها، وأورد من بعضها نصوصاً أحياناً، واستطرد عليها بتعليقات وشروح أحياناً أخرى.

ويصدر R. Lebel في تأليفه هذا عن نزعة استعمارية واضحة وضوح النهار لا يحتاج إلى دليل : فلا أحد أجبره على التصدير في تأريخه للرحلات الفرنسية إلى المغرب بكتاب *وصف إفريقيا*، واعتبار عام صدور ترجمته الفرنسية 1556 فاتحة هذا التاريخ ومنطلقه. ولا أكرهه أحد على القول في هذا الكتاب إنه أول الأعمال الجغرافية العظيمة المتعلقة بالمغرب والتي وجدت بلسان قومه، والتأكيد على اعتماد مادته في كل التآليف الجغرافية التي صنفت بعده. وكان بإمكانه أن ينطلق من عام 1617 الذي يؤرخ حقيقة لبداية ومنطلق الكتابات الفرنسية عن المغرب، والذي صدرت فيه رحلة J. Mocquet إلى المغرب التي تمت ما بين أعوام 1601 و1605. ونعتقد أنه ربما اختار التاريخ والتأليف السابقين ليكسب بداية اهتمام بلده بالمغرب تقادما، ويعود به إلى منتصف القرن السادس عشر وليس بداية القرن الذي يليه.

ولو وضعنا أنفسنا مكان الطلبة الذين كانوا يحلسون إلى حلقة درسه هذا، وسألناه من هو صاحب *وصف إفريقيا* ؟ لأجابنا ـ كما كتب ـ بكلمة واحدة "إنه أجنبي" وكفى ! إجابة عجيبة لا نظير لها في كتب تاريخ الأدب، وورطة كان الأجدر به أن يتلافاها. ويبطل عجبنا ما دمنا نعلم أنه لم يكن في استطاعته أن يذكر الحسن الوزان الفاسي المدعو ليون الإفريقي (ت. بعد 934 / 1598) صاحب هذه الرحلة الشهيرة، وهو ينعت المغاربة بكل أوصاف التخلف والهمجية. ولا يسمح المقام بتعداد سقطات R. Lebel وإيراد مواقفه العدائية من المغرب وأهله، فلنكتف بالإشارة إلى وصفه لمعركة وادي المخازن (1579) بالكارثة، و كانت كذلك على البرتغاليين وشيعتهم من حمة الصليب، ونصراً عظيماً للمغاربة الذين شبهوها بغزوة بدر، وحين حديثه عن ثغر سلا ينعته بالكريه، ولا أدل على افتقاده الموضوعية من ختمه لتأليفه هذا بفصل معرد في مديح الماريشال Lyautey وتمجيد سياسته الاستعمارية في المغرب.

والدراسة الثانية التي اهتمت بالرحلات الفرنسية إلى المغرب هي الأطروحة التي أنجزها عبد الجليل الحجمري، وعنوانها صورة *المغرب في الأدب الفرنسي* : من Loti إلى *Montherlant* (1973). وتندرج هذه الدراسة في إطار

مقاربة حديثة متفرعة عن الأدب المقارن (imagologie)، وتطمح إلى رسم صورة المغرب من خلال المؤلفات الأدبية الفرنسية ومن بينها الرحلات التي تهمنا، في إطار تاريخي محصور ما بين 1890 و1968.

وتعود هذه الدراسة في بحثها عن جذور صورة المغرب في الأدب الفرنسي إلى زمان بعيد جداً عن التاريخ المؤطر للمادة التي اعتمدتها والموافق لنهاية القرن التاسع عشر. وترى بأن هذه الصورة قد نشأت في أحضان الخرافة التي كونها الغرب المسيحي عن المشرق الإسلامي، والتي تعود إلى أيام الحروب الصليبية والصدام مع العثمانيين. وخلاصة تتبعها لتطور نظرة الغرب إلى المشرق، من العصور الوسطى إلى بداية الحقبة المعاصرة، حدوث ازدواجية تمتزج فيها الأحقاد والمخاوف القديمة باستخفاف عصر الأنوار ورومانسية القرن التاسع عشر. ويرى المؤلف أن هذه الازدواجية هي التي تحكمت في كل ما كتب حول المغرب حتى منتصف القرن العشرين. ويولي ثورة اليونان التي اندلعت عام 1821 نفس الأهمية التي يوليها لاحتلال الجزائر عام 1830 ولمعركة إيسلي التي انهزم فيها الجيش المغربي أمام الفرنسيين عام 1844، فكلها أحداث تؤرخ للحظات اتصال الغرب بالمشرق في خضم الصراع والتقتيل والحقد، وقد أججت الأحقاد القديمة والموروثة عن الحروب الصليبية عند فريق من الرمانسيين، وظل فريق آخر يحلم بالشرق مصدر النشوة والأسرار.

وتصدق هذا الازدواجية على الرحلات التي تهمنا، وعلى صورة المغرب المستخلصة من خلالها، فاتصال الرحالة الفرنسيين بأرض المغرب وأهله، كان بالامكان أن تنشأ عنه معرفة حقيقية ومضبوطة بجغرافيته ومجتمعه، لولا تلك الصورة القائمة والموروثة عن العهود السالفة التي ظلت جاثمة على القلوب والعقول. وهكذا إذا أمكن الركون إلى سلامة وصف الأمور الطبيعية والمادية بهذه الرحلات، فإنه يتعين الحذر من وصف الأمور الدينية والاجتماعية والسياسية بها، والذي لم يسلم من الخلل والشطط، وظل مرتعاً للأحكام المسبقة والزائفة. وعلاوة على ذلك فقد تمت هذه الرحلات وشمس الحضارة ببلاد المغرب على أطراف النخيل، فتعارضت فيها معاينة الواقع البئيس مع استحضار الماضي المجيد، وحفلت بنعوت التحقير ومشاعر النفور والتسليم بعثرة الجد واليقين بالخراب المبين.

وتخلص هذه الدراسة إلى قصور الصورة الأدبية عن تغطية حقل ما يتمثله الوعي الجمعي الفرنسي عن المجتمع المغربي، وأنها لا تشكل إلا مظهرا من مظاهر هذا التمثل الذي لا يمكن الإلمام بشموليته إلا باعتماد الإنتاج الكولونيالي برمته، وتناوله في أوفق مقاربات متعددة. وتنتهي إلى زيف وخرافية هذه الصورة الأدبية، ومجانبتها الصدق وابتعادها عن الواقع بعداً لا يمكن تقدير مسافته، لعدم توفر شروط المقارنة بينها وبين الصورة الداخلية صورة المغاربة عن أنفسهم، لفراغ يد المؤلف من الدراسات التاريخية والاجتماعية التي تعين على هذا القصد، ولما كان يعتور الثقافة الوطنية على عهده من خمول وضعف.

ولم تمض هلى صدور هذه الدراسة سنوات أربع حتى أخرج عبد الله العروي كتابه *الأصول الاجتماعية والثقافية للحركة الوطنية المغربية : 1830 . 1912* (1977)، وانتقلت معه الرحلات التي تهمنا من حقل الدراسات الأدبية إلى حقل المقاربة التاريخية، وإن لم يقصد بها أصحابها إلى التاريخ ولا إلى المؤرخين. واعتمدت اعتمادا يكاد يكون تاما في الفصل الأول من فصول هذا الكتاب، والمفرد في البحث عن "أسس المجتمع المغربي".

ويهدف هذا الفصل إلى الوقوف على الكيفية التي كان المغرب يبدو بها في مفهومه الجغرافي لأهل القرن التاسع عشر، ومادام المغرب قد خضع طوال هذا القرن وإلى غاية فرض الحماية عليه لحركة استكشافية منهجية بحق، فإن هذه الحركة قد أثمرت مصادر لا غنى عنها في معرفة أحوال المغرب على هذا العهد، وإن قصد بها أصحابها إلى خدمة توجهات استعمارية. ولاحظ العروي تطورا في هذه المعرفة : فإلى حدود عام 1840 لم يتجاوز الرحالة الأوربيون مثلث طنجة . تطوان . العرائش مع دخول مدينة الرباط دخولا عابراً في بعض الرحلات، وتمت معرفة كل البلاد عدا مناطقها الجبلية والصحراوية وهذا إلى عام 1880، وبعده بدأ استكشاف الجهات الصحراوية مع بعض الجولات القصيرة في الجبال، وشرع في استطلاع هذه الأخيرة مع مطلع القرن العشرين. هذا من حيث تطور جغرافية ومجال هذه المعرفة، أما من حيث درجة فلاحها في معرفة مؤسسات المغرب وأهله، فلا أدل على ذلك من النجاعة التي استخدمت بها من قبل السياسة الأوربية ابتداء من مطلع القرن العشرين.

وقد انتقى العروي من بين الرحلات الأوربية إلى المغرب خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أحسنها وأجودها، مراعياً تسلسلها وتعاقبها في المكان والزمان. واختار بالنسبة للفترة المحصورة ما بين 1831 و1877 ثلاث رحلات بريطانية قام بها كل من A. Brooke وJ. Drummond Hay وH.E. Colville. واقتصر بالنسبة للفترة الممتدة ما بين 1883 و1908 على ست رحلات فرنسية، وأصحابها هم : Ch. E. De Foucauld وM. De Seconzac وA. Mouliéras وE. Aubin وE. Doutté وA. Brives.

وعلى غرار الحجمري كان بود العروي أن يقابل هذه الرحلات بمثيلاتها المغربية حتى يقابل نظرة الأوربيين إلى المغرب خلال التاريخ الذي يهمنا بنظرة أهله إليه، ويقارن بين الصورة الخارجية والصورة الداخلية. لكن أدب الرحلة اضمحل بالمغرب على هذا العهد، لانسداد طرق الحج البرية والتقليدية في وجه المغاربة مع استقرار الفرنسيين بالجزائر،

وتحولها شمالا صوب طنجة ثم منها بحرا. أما "الحركات" السلطانية، وبالأخص أيام السلطان المولى الحسن (1873 - 1894) فوصف الأدباء والشعراء المغاربة لها لا يعادل وصف الأوروبيين الذين شاركوا فيها. وهكذا عمد العروي إلى الإفادة من الرحلات الأوروبية في غالب هذا الفصل، على الرغم من هناتها. ونبه إلى أنه لا يبحث فيها عما يفيد التاريخ الاجتماعي، بقدر ما يروم استخلاص ما كان يبدو للأوروبيين غريبا وغير متوقع ويحملهم على عدم إنصاف المغرب وأهله.

ويعد من نافلة القول أن الرحلات الحجازية وإن أعوزت مؤرخ مغرب القرن التاسع عشر، فإن مصادر مغربية وأجنبية متنوعة وعديدة تعينه على نخل مادة الرحلات الأوروبية، وتمكنه من الوقوف على مواطن ضعفها. وهذا ما انتهى بالعروي إلى التحذير مما هو أخطر مما ذهب إليه الحجمري في أطروحته السالفة الذكر، وبيان أن الأوصاف الطبيعية والمادية الواردة بهذه الرحلات لا تسلم هي الأخرى من مجانبة الصدق وافتقاد الموضوعية : فحين نقف على صورة الغنى والازدهار التي رسمها De Foucauld للمغرب، ألا نعجب لها والبلاد خارجة لتوها من خمس أو سبع سنوات عجاف ! ألا نتساءل هل هي مجرد أحكام سياسية يقصد بها صاحبها إغراء بلده بغنيمة أقرب إليها من الفم لليد ؟ وكذلك الشأن بالنسبة لأوصاف الرحالة لأحوال المغرب عام أزمة 1908. فهي توهم بصورة بلد مزدهر في حين تصف الصحافة بلداً على حافة الخراب ! وصحح العروي بذلك الخلل الذي يعتور هذه الرحلات، وقوامه تعميم ملاحظات لا تهم إلا منطقة معينة أو لا تصدق إلا على فترة محدودة، ونبه إلى تفاقم هذا الخلل بفعل ظروف الأزمة العامة التي كان عليها المغرب خلال القرن التاسع عشر.

ونختم هذا التأريخ للكتابات التي همت الرحلات الفرنسية إلى المغرب خلال التاريخ الذي يهمنا بالدراسة التي صدر بها سعيد بنسعيد العلوي كتاب *الوطنية والتحديثية في المغرب : مجموعة دراسات حول الفكر الوطني وسيرورة التحديث في المغرب المعاصر* (1997)، وعنوانها *صورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر*. وهي مقاربة تندرج في أفق تاريخ الفكر، وتعالج أفكار وأدبيات هذا الاستشراق وأثرها في الثقافة المغربية المعاصرة.

وتروم هذه الدراسة رسم صورة المغرب دولة ومجتمعاً وثقافة في الوعي الثقافي الفرنسي في العقود الثلاثة الأولى من القرن الحالي، وتحدد ثلاثة مكونات ساهمت في إبراز ملامح هذه الصورة وهي : الموروث الثقافي، وأدب الرحلة الفرنسية، وعمل سياسة التغلغل السلمي. ولا شك أن الجديد في هذا العرض الاسطوغرافي (التأريخي) Historiographique هو المكون الثالث. مادامت أطروحة الحجمري السالفة الذكر قد دارت حول المكون الأول، واستأثرت رحلة De Foucauld بقوام المكون الثاني.

ويتخلص المكون الثالث في الخلاف الذي نشب بين الأوساط الاستعمارية في كل من باريس والجزائر حول كيفية "التغلغل السلمي"، وهل يعتمد فيه على المخزن أم على القبائل. وحملت الجزائر لواء الدفاع عن القبائل واعتبارها القوة الفعلية في المغرب. ودافعت باريس عن المخزن واعتباره القوة الشرعية به. ولجأ الفريقان واحتكما إلى المعرفة لإقامة الدليل على حصافة الرأي وسداده، وتمت الاستعانة بالعلوم الاجتماعية الناشئة في فرنسا، واستلهام الفكر الوضعي السائد في أوساطها العلمية، وذلك في سبيل الاطلاع على أحوال المغرب دولة ومجتمعا وثقافة. ونشأت عن هذه المنافسة العلمية مدرستان متغايرتان في الاستشراق الفرنسي المعاصر. وتعنى هذه الدراسة بممثلين بارزين لهاتين المدرستين : الأول هو E. Michaux-Bellaire أبرز أعضاء "البعثة العلمية في البحث" التي أنشئت بطنجة من قبل الأوساط الاستعمارية الباريسية، والثاني هو E. Doutté أنشط العاملين في "لجنة إفريقيا الفرنسية" المعبرة عن مطامح الاستعماريين القيمين بالجزائر.

وتحدد هذه الدراسة مستويين لصورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر : مستوى الملامح البارزة وقوامها انعدام مقومات الدولة به، وضمور الشعور الوطني لدى أهله، وافتراق عقائدهم بين تعاليم الإسلام وبقايا الوثنية السابقة عليه، وجمود مجتمعهم على الحالة التي كان عليها منذ أزمان غابرة. ومستوى المكونات الباطنة والبنى العميقة وقوامها ثنائية القبيلة والمخزن. وتفصل الدراسة فيهما من خلال مجمل ما كتب E. Michaux-Bellaire ومن بعض ما كتب E. Doutté.

وتحدد هذه الدراسة في خاتمتها العوائق المعرفية والموانع الذاتية التي اعتورت الاستشراق الفرنسي المعاصر، وقدحت في الصورة التي جاء بها عن المغرب دولة ومجتمعا وثقافة، وكانت وراء ما شابها من شطط في الرؤية وخلل في الفهم وفساد في التأويل.

سعيد بنسعيد العلوي، *صورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر*، ضمن الوطنية والتحديثية في المغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1997، 9 - 36 ؛ عبد الله نجمي، *المغرب من خلال كتب الرحلات الفرنسية 1880 - 1912*، ضمن مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي، ندوة نظمتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1999، 7 - 15.

8. L. Lebel, *Les voyageurs français du Maroc : l'exotisme marocain dans la littérature de voyage*, Paris, 1936 ; A. Lahjomri, *L'image du Maroc dans la littérature française, de Loti à Montherlant*, Alger, 1973 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830 - 1912*, Paris, 1977

عبد الله نجمي

٢ * في الوقت الذي كانت تجري فيه الاتصالات الرسمية المباشرة بين روسيا والمغرب زارت سفينتان روسيتان مدينة طنجة وبقيت بعرضها أزيد من شهرين واستغل الضباط الروسيون هذه المدة الطويلة لوضع خرائط للميناء والساحل المحيط به، كما أنهم زاروا المدينة وكتبوا وصفا لها ودونوا ما شاهدوه بها. وتعتبر هذه الخرائط والتدوينات أقدم الوثائق الروسية حول مغرب الربع الأخير من القرن الثامن عشر. ولازالت هذه الوثائق مخطوطة وهي محفوظة في المكتب الحكومي المركزي للبحرية العسكرية الروسية بموسكو.

انطلاقا من أربعينيات القرن التاسع عشر بدأ يزور المغرب عدد من الروسيين نذكر من أبرزهم الأديب "بوتكين" الذي قام برحلة إلى طنجة عام 1854 وكتب عنها مقالا عنوانه *طنجة* على صفحات إحدى المجلات المعروفة، كما أنه خصص لنفس المدينة فصلا كاملا في مذكراته *رسائل من إسبانيا* التي نُشرت في سان بيترسبورگ سنة 1857. وأعيد طبع هذا الكتاب بموسكو ولينگراد عام 1876. ويمكن القول أن بوتكين لم يكن مجرد سائح يتنقل من بلد لآخر قصد الاستمتاع بجمال الطبيعة، فهو كان يهتم ويبحث في تاريخ الشعوب ويحاول التعرف على عاداتهم وفهم ثقافتهم، ولم يكن كذلك يكتفي بنظرة السياح السطحية إلى الناس والأشياء. ومن هذا المنطلق فإنه جاء إلى المغرب، كما يقول في إحدى كتاباته، "قصد الالتقاء بأحفاد صانعي تلك الحضارة الأندلسية العظيمة في إسبانيا التي لازالت معالمها واقفة شامخة في عصرنا هذا".

في عام 1847 زار طنجة ويسنة "ديميدوف" وأعطى وصفا جميلا للشاطئ الشمالي للمغرب في مؤلفه المكتوب أصلا باللغة الفرنسية الذي يحمل عنوان *محطات بحرية على الساحل الإسباني من كاتالونيا إلى الأندلس*. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب يحتوي على عدد من الرسوم التي تمثل بعض الأماكن في طنجة وساحلها.

ازداد اهتمام الرأي العام الروسي بالمغرب خلال الستينات من القرن التاسع عشر بمناسبة الحرب بين المغرب وإسبانيا. واهتم بهذا الحدث جل *الجرائد* والمجلات التي نشرت عددا من المقالات التي دونها أصحابها إثر زياراتهم لمدينة طنجة ولموانئ مغربية أخرى. وهكذا أصدر السيد "سوما روكوف" كتابا عنوانه *رحلة إلى الصويرة ومراكش*. ولقد دون هذا الرحالة في مؤلفه هذا ذكرياته عن السفر الذي قام به من جبل طارق إلى الصويرة حيث استغل توقف الباخرة التي كانت تقله إلى الجزر الخالدات للتوغل بداخل المغرب حتى مراكش. وأعطى "سوما روكوف" في كتابه أوصافاً لمدينة الصويرة وناحيتها كما تحدث بإسهاب عن السكان المسلمين واليهود بداخل المدينة وخارجها. ولا بد من الإشارة هنا إلى إحدى ملاحظاته حول ما كان شائعا في أوربا عن تطرف المغربة وتعصبهم، فالكاتب ينفي هذه الشائعات ويقول:

"إن الشعب هنا ليس متعصبا كما يقال عنه في أوربا، وبصفة عامة فإنني لم أر قط في إفريقيا كلها... شعبا يبدي الصداقة للأوربيين مثل الشعب المغربي".

قام أحد النبلاء الروسيين وهو العالم والأمير "فيازيمسكي" بسفر إلى المغرب عام 1881 زار خلاله المناطق الساحلية والداخلية للبلاد منطلقا من طنجة ومارا بالعرائش والرباط والجديدة ثم مراكش حيث استقبله السلطان مولاي الحسن بحفاوة كبيرة. وتابع "فيازيمسكي" طريقه بعد ذلك في اتجاه الجزائر عبر مكناس وفاس ووجدة. وترك العالم مذكرات هامة عن رحلته وكذلك أبحاثا علمية ثمينة ذات طابع جغرافي وإحصائي وإتنوغرافي. غير أن هذه الكتابات بقيت مخطوطة ولم تنشر إلا عام 1973 في موسكو تحت عنوان "مسائل الجغرافية التاريخية وتاريخ الجغرافية".

زار المغرب الصحفي والأديب "دانتشينكو" مرتين، الأولى في عهد السلطان مولاي الحسن والثانية في عهد مولاي عبد العزيز. ولقد دوّن بأسلوب فني رائع انطباعاته وذكرياته ومختلف علاقاته مع المغاربة في عدد كبير من المناطق والمدن المغربية كطنجة والرباط والجديدة وفاس ومكناس ووزان والعرائش وتطوان وتافيلالت... ويعد كتاب *قطر الغروب الذهبي* (دراسات حول المغرب الخفي) الذي طُبع عام 1896 بسان بيترسبورگ أهم مؤلف لـ"دانتشينكو". ويتكون هذا الكتاب الذي جاء في حوالي 400 صفحة من تسعة فصول هي:

- في مملكة الأسود
- زاوية الحكاية الشرقية
- في المملكة البعيدة
- في قطر الغروب الذهبي
- الفقير الحاكم
- مفتاح العدو الرحيم
- البئر المردوم
- الجدّ الثعبان
- أثينا الإفريقية

ويحتوي كل فصل على عدد كبير من القصص والحكايات الشعبية المغربية وهو بالتالي يمثل مصدرا مهما لدراسة الأدب الشعبي المغربي. ويضم الكتاب كذلك ما يقرب من 80 رسما رائعا تمثل الطبيعة والأشخاص والحيوانات والمباني... ولقد كان لكتاب قطر الغروب الذهبي... ومؤلفات دانتشينكو الأخرى دور أساسي في التعريف بالمغرب والمغاربة وبتاريخهم وحضارتهم في مختلف الأوساط الثقافية الروسية.

لقد كان المغرب طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين محطة محبوبة عند عدد كبير من الرحالة الروسيين الذين دون بعضهم ذكرياتهم عنه وانطباعاتهم حول طبيعته وحالته السياسية والاجتماعية

والثقافية والاقتصادية، كما أن قلة منهم استطاعت طبع تلك المذكرات، ومن هؤلاء الأسماء التي سبق ذكرها وكذلك السيد "دميتربيف" الذي قضى أربع سنوات في شمال إفريقيا (من 1907 إلى 1911) وألف كتاب طُبع عام 1917 في سان بيترسبورگ وعنوانه *بعض من رحلاتي في شمال إفريقيا*. يقول "دميتريّيف" في الصفحات الأخيرة من مؤلفه : "...علينا، عندما نكون ننظر إلى مدينة طنجة، أن لا ننسى أن بلدين اثنين فقط في إفريقيا كلها استطاعا الحفاظ على استقلالهما. هذان البلدان هما المغرب والحبشة. وفي هذه المدينة يستطيع السكان أن يرفعوا بدون خوف فوق بيوتهم العلم الأحمر الذي هو العلم الرسمي المغربي، لذا فإن البواخر ترفع هذا العلم كلما اقتربت من المدينة...".

إن موضوع الرحالة الروسيين في المغرب غير معروف، وتبقى مع الأسف الشديد كتابات هؤلاء الرحالة غير معروفة كذلك لأنها غير مترجمة. غير أن بريق الأمل بدأ ينقشع في السنوات الأخيرة، ذلك أن بعض المؤسسات الجامعية المغربية بدأت تهتم بهذا الموضوع ووجهت بعضا من طلبتها الذين يدرسون اللغة الروسية إلى تكريس بحوثهم لنيل الإجازة إلى ترجمة مقالات أو فصول من هذه الكتابات إلى اللغة العربية.

تاتيانا موساتوفا، *روسيا والمغرب في الماضي البعيد والقريب*، دار النشر "ناووكا"، موسكو، 1990 (بالروسية) ؛ فاسيلي دانْتْشِينْكو، *قطر الغروب الذهبي* (دراسات حول المغرب الخفي)، دار النشر "پْروسْفيشينْيا"، سان بيترسبورگ، 1896 (بالروسية).

عبد الرحيم العطاوي

الرحلات المغربية، تعني الرحلة الهجرة والانتقال والسياحة والاستكشاف ومذكرات السفر؛ نتج عنها فنّ أدبي ثري بظواهر الحياة وتنوع الثقافات والبحث في أحوال البلدان، وقد ازدهرت الرحلة المغربية في المغرب الوسيط، ثم توقفت فيما بعد وفاة السلطان أبي عنان المريني إلى معركة وادي المخازن حيث استردت الرحلة المغربية نشاطها بعد قيام الدولة السعدية وعرفت طريقها إلى المشرق والقسطنطينية وبعض العواصم الأروبية. وحسب كتب التراجم يمكن تصنيف الرحالين إلى ثلاثة أصناف :

1) الفئة الأولى وهي أكثرهم عددا اختلفت جهات سفرها باختلاف أهدافها سواء تعلق الأمر بأداء فريضة الحج أو طلب العلم أو السياحة لكنها عادت إلى بلدها ولم تكتب عن سفرها وتميز بعضهم بحمل إجازات علماء المشرق أو الأندلس وأدخلت طائفة منهم كتب علماء المشرق منها ما اختص بالأدب ومنها ما اهتم بالفقه أو الحديث أو الدراسات الإسلامية التي تشمل علم الكلام والمناظرة.

2) الفئة الثانية وتضم أعلاماً غادروا المغرب وطاب لهم المقام بالمهجر فاستقروا به إلى الوفاة واشتهر أمرهم بتلك البلاد وتولى بعضهم مناصب سامية من فتوى وقضاء وتدريس في حين اشتغل بعضهم بالتربية والتعليم، ومن هؤلاء أبوالحسن الشاذلي وأحمد زروق وعلي بن ميمون الغماري ومحمد بن سليمان الروداني.

3) الفئة الثالثة غادروا المغرب وعادوا إليه وقد سجلوا مشاهداتهم في رحلات لم يصلنا منها إلا القليل. ويعتبر المرحوم محمد الفاسي رائد البحث والتحقيق في فن الرحلة بالمغرب. وفي العقدين الأخيرين من هذا القرن أدرك الباحثون أهمية ما تزخر به كتب الرحلات من تراث في شتى المعارف فأولوه عناية فائقة وقدموا فيه رسائل وأطروحات ووجد فيه كذلك الباحثون في الخطاب السردي موضوعا خصبا فتناولوه من منظور مناهجهم المستجدة، وبذلك تكون دراسة الرحلة قد تناولت المرجعية التاريخية والمرجعية الأدبية والتقى الفريقان في إغناء المكتبة المغربية بفن أدبي متشعب الاختصاصات يجد فيه الأديب ضالته المنشودة من صناعة نثرية وشعر ومساجلات أدبية ويرى فيه المؤرخ وعالم الاجتماع ما تفتقده الوثائق الرسمية. وبصفة مجملة فإن كتب الرحلات وخصوصا الحجازية منها، متعددة المواضيع وإن كانت رهينة بالمشاهدة والاتصال، ولكن ابن رشيد السبتي حولها إلى ديوان علم وخرج عن النهج الذي رسمه الرحالة قبله. وأما الرحلات السفارية فتنقل إلينا صورة أروبا بأخلاقها ونظمها وقوتها العسكرية.

وهكذا نجد الرحلات المغربية أصنافاً متعددة :

1) رحلات حجازية وهي أكثرها عدداً، ومن أشهرها رحلة العبدري، ورحلة أبي القاسم التجيبي المعروفة *بمستفاد الرحلة والاغتراب*، ورحلة محمد بن عمر بن رُشيد السبتي المتوفى سنة 721 المسماة *ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين مكة وطيبة* ؛ ورحلة ابن مليح المراكشي (ت. 1042) وتعرف *بأنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعاريب*. ويشتهر أبو سالم لعياشي برحلته ماء الموائد وكذلك الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، ومحمد بن عبد السلام الناصري صاحب *الرحلة الكبرى*.

2) الرحلات العامة وأهمها رحلة ابن بطوطة الطنجي التي طاف فيها أهم أقسام المعمور المعروف آنذاك.

3) الرحلات العلمية كرحلة أبي بكر بن العربي المعافري وأحمد المقري صاحب روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته بالحضرتين مراكش وفاس. ومحمد بن زاكور الفاسي المتوفى سنة 1120 نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان.

4) الرحلات السفارية وهي كثيرة، منها *رحلة الوزير في فكاك الأسير*، للوزير الغساني، ورحلات أحمد بن

عثمان المكناسي إلى القسطنطينة ومدريد ومالطة ونابولي، ورحلة الوزير ابن إدريس العمراوي، *تحفة الملك العزيز بمملكة باريز*، *والرحلة الإيريزية إلى الديار الأنگليزية*، لمحمد الطاهر الفاسي.

5) الرحلات المقامية والخيالية وهي صغيرة الحجم يغلب عليها الطابع الأدبي وتحمل آراء صاحبها في مجالات متعددة من أمن وسياسة وتجارة ومناجاة وابتهال.

كراتشكوفسكي، *تاريخ الأدب الجغرافي*، مترجم ؛ م. الفاسي، *مقدمات الرحلات التي نشرها* ؛ الحسن الشاهدي، *أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني* ؛ م. ماكامان، *الرحلات المغربية في القرنين 11و12 للهجرة* ؛ عبد العزيز بنعبد الله، *السفارة والسفراء بالمغرب عبر التاريخ* ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*.

محمد ماكامان

الرحماني، أحمد بن مبارك الجوني المراكشي الفقيه العلامة، أخذ عن سيدي الحسن الفيلالي وسيدي أحمد بن الطاهر المراكشي. كان له اختصاص بعلم النحو وله لسان فصيح وهمة عالية. وكان أحد العلماء الذين درسوا لأولاد المولى عبد الرحمان : مولاي أبي عزة ومولاي رشيد ومولاي علي ومولاي العباس.

توفي عام 1304 / 86 ـ 1887 عن نحو ثمانين سنة ودفن بروضة باب أغمات بمراكش.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 424، الرباط، 1974، 2 : 424 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2771.

الرحماني، البهلول بن علي بن بوسلهام البوبكري المحمدي، أخذ العلم عن سيدي محمد بن خدي السرغيني الزرادي وعن غيره، وكان عالما مدرسا فاضلا يسكن بالمحمديين من قبيلته ولما التقى بالمولى عبد الرحمان ألزمه سكنى الحاضرة مراكش، وكانت له عنده منزلة خاصة. درس بجامع سيدي أبي العباس السبتي وأخذ عنه أولاده الثلاثة مدة : عبد الرحمان وعبد الوهاب وعمر الفقيه وغيرهم. وُشي به عند السلطان فسجن مدة ثم رحل إلى فاس حيث توفي عن نيف وثمانين سنة عام 1272 / 55 ـ1856. ودفن بروضة العلماء هناك.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 78، الرباط، 1975.

محمد ناجي بن عمر

الرحماني، عبد الحميد بن الفاطمي بن العباس، أحد قواد قبيلة الرحامنة البارزين في الربع الأخير من القرن الثالث عشر (19 م)، إن لم يكن أبرزهم على الإطلاق وأعظمهم شأنا ونفوذاً في الدوائر المخزنية وقتئذ. فإذا كان كل من القائدين العربي بن الشرقي ومُحمد بن بلّة الرحمانيين قد تبوّءا مكانة متميزة لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873) إذ لا ذكر في مصادرنا إلاّ لهذين القائدين، كما نتبيّن ذلك من الوثائق المخزنية ذات الصلة ببيعة السلطان المولى الحسن من قبل قبيلة الرحامنة، فإن مترجمنا سرعان ما حجب الأنظار عن غيره من القواد، وأبان عن مؤهلات وصفات كان المخزن يستحسنها ويثمنها فيمن قلده من أعوانه مهام مخزنية، في الحاضرة كما في البادية.

وهكذا، صار عبد الحميد الرحماني موضع ثقة العاهل الجديد ومخاطبه المفضل والمعول عليه قبل غيره، في تنفيذ الأوامر والتعليمات المخزنية وعلى مستوى قبيلة الرحامنة بكاملها.

وأيّاً كان الأمر، ففي عهد السلطان المولى الحسن (1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894) تألق نجم القائد عبد الحميد، وأقبلت عليه الدنيا وابتسمت له الأيام إلى درجة كاد أن يلتحق بركب ثلة من كبار أعوان المخزن، كالباشا مَحمد وأخيه العربي ولد أبَّ مُحمد الشرگي، أو سعيد بن فرجي عامل مدينة فاس، أو حمُّ بن الجيلالي البخاري باشا مكناس، أو قائدي قصبة منشية مراكش أحمد أمالك ومحمد ويدة السوسي. وهؤلاء جميعا كان السلطان يكلفهم بمهام خارج إيالاتهم، بين الفينة والأخرى، كان يعهد إليهم مثلا بالإشراف على عمليات خرص الحبوب في القبائل المجاورة لهم، أو قيادة حملات عسكرية هنا وهناك، كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وهذه أمثلة وحالات نلمس من خلالها ما ذهبنا إليه من القول. فأثناء تخييم المحلة السلطانية بمنطقة سوس سنة 1882، وقع الاختيار على القائد عبد الحميد للانضمام إلى الوفد المخزني الذي تقرَّر إرساله إلى ناحية وادي نون، بقيادة الأمير مولاي الأمين بن عبد الرحمن بن هشام، وعضوية كل من الفقيه علي المسفيوي، وزير الشكايات وقتئذ، ومبارك بن الشليح، قائد گيش شراردة أزغار، وحمّان الأوديي، قائد گيش الأوداية، فضلا عن أعوان مخزنيين آخرين، مدنيين وعسكريين، للوقوف في عين المكان واتخاذ التدابير اللاّزمة لوضع حد لتجارة التهريب التي كان قد استفحل أمرها في هذه الربوع، وبالخصوص قرب مصب الوادي المذكور، على يد شرذمة من المغامرين الإنجليزيين.

وفي سنة 1884 وعلى إثر نشوب نزاعات وخصومات خطيرة بين قواد قبائل هشتوكة، وهوارة، و "رأس الوادي" أي منبع وادي سوس وأتباعهم، نودي هذه المرة أيضاً، على عبد الحميد الرحماني وحُمل مسؤولية إطفاء نيران الفتنة في هذه النواحي السوسية، والاجتهاد في إيجاد صيغ وحلول توفيقية بين الأطراف المتنازعة، حيث خاطبه السلطان المولى الحسن قائلاً : "... فقد رشحناك، لما نعهده

منك، ونعلمه فيك من النجدة والنصح والخدمة ومزيد التثبت والحزم واليقظة..."

ومن علامات ثقة السلطان بقائده، واستحسان رجاحة عقله، وقدرته على التفاوض والإسهام في حل الأزمات، إيفادُه سفيراً لدى حكومة مدريد سنة 1892، وبمعيته الفقيه عباس الفاسي كاتبا، والعربي بريشة التطواني أمينا، سعيا إلى إطفاء فتيل النزاع الذي كاد أن يشتعل في جوار مدينة مليلية السليبة، بين سلطات الاحتلال الإسبانية وأهالي قبيلة بني شيكر على الخصوص، فضلاً عن الاستماع إلى ما قد يعرضه الجانب الإسباني من قضايا ومطالب.

وأما المرحلة الثانية من مدة قيادته وما تحمله من مسؤوليات مخزنية أخرى، كباشوية مراكش ما بين 1900 و1902، على إثر عزل الباشا عباس بن داود، صهر الوزير الصدر أحمد بن موسى التوفي ونفيه إلى مدينة تيزنيت، وذلك بتدبير ومبادرة من وزير الحرب المهدي بن العربي المنبهي، فقد رافقت الثماني سنوات الأولى من عهد السلطان المولى عبد العزيز، واندرجت في سياق تاريخي مغاير تماما لسياق الفترة السابقة.

فعلى الصعيد المحلي، كان انتفاض قبيلة الرحامنة سنة 1312 / 1894، احتجاجا على اختيار المولى عبد العزيز سلطانا للمغرب، عوض أخيه الأكبر الأعير مولاي محمد بن الحسن. وبالمناسبة، وجد القائد عبد الحميد نفسه في واجهة الأحداث وفي طليعة من طالهم غضب وهيجان الأهالي من القواد، حيث تعرضت ممتلكاتهم وأمتعتهم إلى النهب والإتلاف، فلم ينفعهم إلا الفرار والاحتماء داخل أسوار مدينة مراكش.

وعلى صعيد المخزن المركزي، سطا على الحكم الحاجب أحمد بن موسى، بعد أن نجح في التخلص من منافسيه وخصومه آل الجامعي، ونصب نفسه وزيراً صدراً، فصفا له الجو، وطأطأت له الرؤوس، وأذعن الجميع لأوامره ونواهيه.

وبالرغم من هذا وذاك، فإن صاحبنا قد خرج سالما من فتنة الرحامنة. وتنكر، وذلك منذ المرحلة الأولى للمنتفضين وعلى رأسهم زعيمهم القائد مبارك بن الطاهر الرحماني، وحاربهم، وتولى إحصاء ممتلكاتهم وعقاراتهم بمدينة مراكش، على إثر انهزامهم وصدور الأوامر بمصادرتها. آنذاك، نفس الصعداء، واستعاد مكانته ونفوذه كاملين في الجهاز المخزني ولكن إلى حين، إذ بوفاة أحمد بن موسى في شهر محرم عام 1318 / ماي 1900، دشنت صفحة جديدة في حياة قائدنا، ولم تمثل مهام باشوية مدينة مراكش التي أسندت إليه إلا بارقة خاطفة.

فمن جهة، تغير المشهد المخزني مرة أخرى، وتمكن رجال جدد من أمثال المهدي بن العربي المنبهي من الوصول إلى الحكم. وجميعهم لم تكن تشدهم إلى القائد عبد الحميد أواصر وثيقة، ولا علاقات خدمة ومصلحة، على غرار ما كان يربطه من صلات وطيدة مع آل الجامعي، أو آل موسى بن أحمد. ومن جهة أخرى، كانت حالته الصحية وقتئذ قد تدهورت، إذ وافته منيته بغتة في خريف سنة 1320 / 1902، علماً بأنه كان يُعاني من مرض القلب منذ مدة، كما نلمس ذلك مما ورد في رسالة السلطان إليه، وهي بتاريخ 10 ذي الحجة 1310، الموافق لـ 25 يونيو 1893، حيث نقرأ ما يلي: "... وصل كتابك بأنك منذ سافرت من أعتابنا الشريفة أنك مريض بمرض خفقان القلب..."

والأدهى في الأمر أن نهاية المترجم قد شهدت حدثا مأساوياً، تمثل في اغتيال ابنه البكر العربي على يد ابن أخ له يدعى المهدي، وذلك في نفس اليوم الذي كان يجهز فيه إلى مثواه الأخير. وكان هذا القتيل رابع أبنائه الذكور وهم المختار، وعبد القادر، وإدريس، فضلا عن ابنتيه زينب وأم كلثوم المتوفيتين قبل وفاة والدهما.

وثائق خ. ح. مج. ح. رقم: 81، 136؛ مح. م. ع. ع. 402/6، 404/6، 409/7، 410/6، ك. 162؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929، 1933، ج. 2، ص. 210، 337، 494، ج 5، ص. 81؛ ع. الرزاق الصديقي، *الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن*، 1850، 1900، الرباط، 1997.

Paul Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Tanger, 1977, t. I, pp. 186 - 215.

مصطفى الشابي

الرحماني، عبد الرحمان بن محمد البوبكري المحمدي البهلولي، كان علامة متقنا جميل الهيأة والملبس. أخذ العلم عن سيدي الطالب بن الحاج بمراكش، وخلفه في التدريس بإذن منه، وهو أخو عبد الوهاب بن البهلول والسيد عمر بن البهلول لكنه كان أعلم منهما. وقد كاد له محمد بن بلة السوسي عند سيدي محمد بن عبد الرحمان فسجنه، فلما تشفع له طلبة المدارس أطلق سراحه، لكن توفي مسموما بإيعاز من ابن بلة في أواسط العشرة الثامنة من القرن الهجري الثالث عشر.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8: 43، ط. 1977.

محمد ناجي بن عمر

الرحماني، عبد الله بن محمد. يعكس مسار نخبة من قواد القرن الثاني عشر (18 م) ويرسم تقلباتهم في المناصب المخزنية السامية مع احتمال ما قد تجره على بعضهم من نكبات إما عن طريق خصومهم أو الوشاة أو غضب السلطان أو تمرد القبائل. وقد تتخلل هذه التقلبات حظوة ورتبة عند ولاة الأمور. فهذه الظواهر بمأساتها ورفعتها طبعت سيرة عبد الله بن محمد الرحماني. فهو إن كان صهر السلطان محمد بن عبد الله على بنته الباتول الرحمانية، فإنه ذاق مرارة السجن بآسفي ولم يطلق سراحه إلا عام 1199 / 1784، فأغدق عليه السلطان النعم وقلده

عمالة تامسنا وقيادة رباط الفتح وعينه كذلك قائداً من قواد جيوشه وأمره ببناء داره بالدار البيضاء. وشملت هذه النعم ولده محمد الزوين شقيق زوجة السلطان، فعينه قائداً وسفيراً لدى الخليفة العثماني عبد الحميد سنة 1203 / 1788.

لم تكن قيادة عبد الله الرحماني على تامسنا لتنال رضى قبائلها فظهر منها التمرد وتعرضت لحركة مخزنية أسفرت عن مقتل سبعمائة رجل منها. وفي هذا الصدد يسوق المؤرخ الضعيف هذا الحدث قائلاً : "أحس نصره الله بأهل تامسنا خرجوا عن كلمة صهره القائد عبد الله الرحماني ولا سيما مزاب والبعض من قبائل الشاوية وكانوا لا يأتون الرحماني بالدار البيضاء..."

في رجب سنة 1204 عزم السلطان سيدي محمد بن عبد الله على تأديب ابنه اليزيد المعتصم بضريح المولى عبد السلام بن مشيش، فاستقدم القائد عبد الرحمان بن ناصر العبدي والحاج الهاشمي بن العروسي الدكالي بجيوشهما، فخرج عبد الله الرحماني للقائهما وقام نحوهما بالتكاليف المعهودة في هذا الشأن. وفي الغد خرج معهما ومعه عبيد المراسي و2000 من مجندي الشاوية وبلغ مجموع عدد الجنود في هذه الحركة عشرين ألفا، غير أن الظروف الصحية للسلطان تدهورت أثناء السفر وأدت إلى وفاته في 25 رجب. وبمجرد ما انتشر نعيه دبت الفوضى في المحلة وهي بوادي كريفلة فتشتت شملها بدون قتال وتعرضت للنهب من قبيلة الصباح وأشرف الرحماني على الهلاك وانتزع المتمردون ما بحوزته من متاع وثروة تقدر بثلاثين بغلة وخمسين جملاً محملة بالمؤونة والملف والحرير والأكياس المملوءة بالنقود الذهبية والريال والدبلون والأواني الذهبية المرصعة وأحجار الياقوت. وقد ساق المؤرخ الضعيف خبر هذه الواقعة بتفصيل مع بيان ما تعرض له من إهانة وخسارة ولم يتنفس الصعداء إلا بعد دخوله الرباط وهو يتضرع لأعيانه : "ما أنا إلا منكم وفي عاركم".

تزامنت وفاة السلطان مع وجود أربعة قواد كبار في حركته هذه، وهم : عبد الرحمان بن ناصر العبدي والهاشمي ابن العروسي الدكالي وعلال بوگرين وعبد الله الرحماني وكلهم يدركون شجاعة وبطش الأمير اليزيد فتم قرارهم على بيعته بتاريخ فاتح شعبان سنة 1204 / 1789. ولما كان الرحماني شخصية بارزة في الوسط المخزني فقد كلفه اليزيد بالتوجه إلى مراكش رفقة أخيه المولى سليمان الذي عينه خليفته بهذه المدينة. ويخبرنا الضعيف عن هذه المهمة المسندة إليه : "ثم وجه أخاه للأب وهو مولانا سليمان خليفة بمراكش وبعث معه شقيقه مولانا الطيب ووجه معهما القائد عبد الله الرحماني.."

وفي سنة 1206 / 1791 عرفت هذه المدينة معارك بين الإخوة الأمراء وانتهت بمقتل السلطان اليزيد ولم يجد الرحماني مناصا من مبايعة المولى هشام فظل في خدمته متألقا حيث وصفه المؤرخ أحمد الناصري بأنه مدبر أمر دولته والقائم بأمره.

وسرعان ما دبت الفرقة في قبيلته الرحمانية التي انقسمت بين مؤيدين للقائد الرحماني وخصوم له. وأدى الشنآن بين الجانبين إلى اغتيال الرحماني فأذاع انصاره أن السلطان هو الذي أوعز لخصمه بقتله حوالي سنة 1209 / 1794. وفند السلطان مزاعمهم ونسب قتله إلى المنشقين عنه من الرحمانية. ومما زاد شكوك الرحمانيين في مسؤولية المخزن عن هذا الاغتيال، اغتيال آخر تعرض له عمر بن الداودي الرحماني قائد الصويرة، فخرجت قبيلة الرحامنة عن طاعة السلطان. وقد أشار المؤرخ محمد اكنسوس إلى هذه الحادثة قائلاً : "والذي تحدث به السلطان مولانا سليمان وأنا أسمع هو أن الطائفة المبغضة لعبد الله قتلوه وأظهروا أن مولانا هشام هو الذي أمرهم بذلك مع أنه لا علم له بذلك حتى وقع".

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري ؛ م. اكنسوس، *الجيش العرمرم*، تح. أ. الكنسوسي ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 97 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، الجز، 3.

مصطفى الشابي

الرحماني، عبد الوهاب بن محمد البهلولي المحمدي، فقيه علامة ولد عام 1242 / 26 . 1827 . أخذ عن عدة علماء منهم أبوه الذي صاحبه إلى فاس في حدود السبعين. وعن الفقيه محمد بن عبد الرحمان الحجرتي وغيره من أهل طبقته. وكان جميل الوجه حسن الخلق مدرساً مفتياً ومحققاً وجيهاً محترماً، وله خط جيد. درس الفقه والأصول والبيان، وكان عاملا على فخذ المحمديين من قبيلته الرحامنة حج عام 1280 / 1864 . وتوفي في الخامس والعشرين من جمادى الثانية أو في الشهر الذي بعدها من عام 1308 / 5 فبراير 1891.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 544، الرباط، 1977 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2784.

محمد ناجي بن عمر

الرحماني، مبارك بن الطاهر بن سليمان القائد، اقترن اسمه بانتفاضة قبيلة الرحامنة سنة 1312 / 1894 في حوز مدينة مراكش، احتجاجاً على عقد البيعة للمولى عبد العزيز بن الحسن، وتنصيبه سلطانا للمغرب وهو وقتئذ دون البلوغ، عوض أخيه الأكبر الأمير مولاي محمد الذي ظل يشغل مهام الخليفة السلطاني حتى الشهور الأخيرة من عهد والده.

والرجل هو قبل كل شيء واحد من هؤلاء القواد

العابدين الذين شهدهم القرن الثالث عشر (19 م)، إذ لولا تزعمه لحركة العصيان هذه ضد المخزن، لما اشتهر شأنه وتردد ذكره في مصادرنا.

وبالرغم من هذا وذاك، فإننا لا نعرف عنه أشياء كثيرة ودقيقة، حيث إن الوثائق المخزنية التي أمكن الوصول إليها في شأنه، وتغطي الفترة ما بين سنة 1883 و1896، لا تقدم لنا معلومات كافية، ولا تفاصيل وافية عن أسرته، ووسطه الاجتماعي، ونشأته وتعلمه، وظروف وملابسات التحاقه بالخدمة المخزنية مثلا.

ومن الشهادات النادرة حول الرجل، ما كتبه عنه الرائد شلومبرجي (Le commandant Schlumberger)، قائد البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، ما بين 1893 و1897 حيث وصفه في العبارات الآتية: "... كان متزعم أمر الثوار رجلا في الخمسين من عمره تقريبا، طويل القامة، قوي البنية، أسمر اللون، في لحيته شذب من الشعر..."

ومهما يكن من أمر، فإننا نجد الرجل، سنة 1883، قائداً بقبيلة الرحامنة، ثم بعد ذلك أسندت إليه نفس المهام في جبال الريف، حيث تولى قيادة قبائل بني شيكر، وبني بوبغرور، ويرگانر، كما نتبين ذلك من الوثائق التي ترجع إلى سنة 1888، مع قيامه بدور الوسيط والمنسق بين المخزن وقبائل هذه المنطقة، فضلا عن إشراكه، من حين لآخر في قيادة عدد من الحملات العسكرية في القبائل المجاورة، ككلعية، وكبدانة، وبني إزناسن، وأنجاد، والمهاية، وهوارة الأحلاف، والتسول...

ونفهم مما تضمنته رسالة بتاريخ 13 رمضان 1307 / 3 ماير 1890، وجهها هذا القائد إلى نائب الوزير محمد بن أحمد الصنهاجي أنه وقتئذ، كان قد عيّن على رأس مدينة تازة والقبائل التابعة لها، خلفاً للقائد محمد بن الفقيه البخاري، إنه قبل الالتحاق بمقر عمله الجديد، كان عليه أولا إصلاح ذات البين، وفض النزاع المندلع بين أهل المدينة وغياثة، الأمر الذي نجح في تحقيقه فعلا، حيث عادت المياه إلى مجاريها، ورفع الحصار عن المدينة، كما أخذت المياه تتدفق في سواقي وصهاريج المدينة بعد انقطاعها عنها عدة أيام.

بيد أن ولايته على هذه المدينة لم تعمّر طويلاً، إذ ما كادت تنقضي السبعة شهور الأولى على استقراره بها، حتى أمر بالنهوض منها "مجموعاً"، والتوجه لمدينة فاس، مقر عمله الجديد، في مصالح الخليفة السلطاني بها المولى إسماعيل، وهي طريقة مزدوجة كان يلجأ إليها المخزن، كلما دعت الضرورة إلى عزل وتهميش أحد الأعوان من منصبه. ولا ندري كم من وقت بقي في الخدمة مع المولى إسماعيل المذكور، قبل تعيينه عاملاً في ناحية وادي درعة الأوسط، والتي كان يزاول مهامه هذه بها في سنة 1309 / 1891 على الأقل.

يتبين مما سبق ذكره حول مترجمنا، حرص المخزن على استخدامه في مناطق الأطراف، أو في الجهات التي اعتاد سكانها عدم الانقياد إلى أوامر ونواهي المخزن، لأن الرجل ولاشك كان شجاعاً مقداماً، شديد المراس، وما هو في قيادة الرجال في السلم، كما هو وقت الاقتتال، وهي خصال وصفات كان المخزن يأخذها بعين الاعتبار، فيمن كان يختاره من أعوانه للعمل في مثل هذه الجهات.

ويتراءى لنا كذلك من مجموعة من الوثائق نوع من التضارب والتباين في الشهادات والأحكام الصادرة في حق هذا الرجل. فإذا كان السلطان المولى الحسن في أكثر من رسالة موجهة إلى قائده بالريف، قد توجه إليه باللوم وعاتبه، وتوعده بأشد العقاب وأقساه، إذا ما تمادى في إذاية جيرانه من القواد، واستمر في التدخل في شؤونهم ولم يقلع عن الإجحاف بأتباعه وابتزاز ممتلكاتهم، فإن عدداً من قواد الريف، كانوا لا يترددون في التنويه بسلوك هذا الرجل، وبتفانيه في الخدمة المخزنية. فقد قال أحدهم، وهو القائد حم بن بوشعيب التمسماني، في إحدى رسائله إلى السلطان ما يلي: "... فإنه أجزل جهده في نصحنا..." وذهب القائد العربي الوليشكي، وهو من القواد المرموقين والمحظوظين عند السلطان في منطقة الريف، إلى أبعد من هذا، حيث قال عنه: "... ولا يسمع سيدنا كلام في ابن الطاهر الرحماني لأنه نصوح، ويجد ويعمل بتفان ووفاء، وإنه سوف ما يُقال فيه، إنما نابع من عواطف خبيثة...".

ويبدو لنا من هذا كله، أن جرأة الرجل، وشخصيته القوية، وطموحه وميله إلى الاستبداد بالأمر، وتصدره الأحداث، كلها مؤهلات وصفات تدل على أننا لسنا أمام قائد مخزني عاد، ولكن أمام رجل متميز، وغريب الأطوار، الأمر الذي أهله، ولاشك لقيادة انتفاضة قبيلة الرحامنة سنة 1312 / 1894، بعد أن غادر مقر عمله، هاربا بنفسه وبذويه من غضب ونقمة محكوميه من أهل وادي درعة، المنتفضين هم كذلك ضد المخزن.

ومعلوم كذلك أن السلطان الجديد الذي صادف اندلاع ثورة الرحامنة حلوله بمدينة فاس، قادماً لها من مدينة مكناس، على رأس كتائب الگيش والعسكر، وبصحبته الهيئة الوزارية والمخزنية بكاملها، قد ظل هناك حوالي أحد عشر شهراً، حيث لم يتحرك من ثمة إلا أواخر شهر ربيع الأول 1313 / حوالي 20 سبتمبر 1895، متوجها إلى ناحية حوز مراكش.

وقد استغل القائد المتمرد غياب السلطان عن المنطقة لاستمالة القبائل المجاورة كالسراغنة، وزمران، ومسفيوة على الخصوص إلى دعوته، وإشراك عدد من أبنائها في شن هجمات ضد مدينة مراكش والقوى التي رفضت الالتحاق بصفوفه.

وغني عن البيان أن الفرق كان شاسعا وهائلا بين الإمكانات البشرية، والمادية، والعسكرية، والتنظيمية للدولة قائمة الذات بسلطانها، ومخزنها، وجيوشها، وبيوت

أموالها، وبين ما كان بيد جماعات من البائسين، والساخطين المستائين، حيث لا مال ولا سلاح ولا ذخيرة ولا تموين، ولالباس، سوى إقدامهم، وشجاعتهم، وجرأتهم، وسط محيط قبلي مناوىء، لم يكن رجاله قط مستعدين للانضمام إلى صفوفهم وعصيانهم، مضحين بذلك بأنفسهم، وذويهم، وممتلكاتهم، في سبيل نصرة دعوة ومشروع محكوم عليهما بالإخفاق والفشل مسبقاً. ومن ثمة اضطرارهم إلى القيام بأعمال اللصوصية والسطو، وإرهاب السكان العزل في قراهم ومداشرهم، للحصول على الزروع والضروع، والحلي والمال وتنظيم هجمات، من حين لآخر، ضد مدينة مراكش نفسها علهم يظفرون بها.

ومهما يكن من أمر، فقد أسفرت أهم المواجهات التي دارت بين مقاتلي المخزن ومتمردي الرحامنة، في الفترة الممتدة ما بين 14 أكتوبر 1894 و6 مارس 1896، إما في الضاحية القريبة من مدينة مراكش، وفي بعض الأحيان تحت أسوارها، وإما بعيداً عنها، عن ضحايا في الأرواح، وخسائر في الدواب، وخراب في البيوت والأكواخ، ونهب في الزروع والضروع. على أن عدد القتلى والجرحى في صفوف الرحامنة وأنصارهم من قبيلة حمير، وبالخصوص جماعات الخوالقة، والشهاونة، والفطانسة، واجنادغة، ونصف جماعة المصابح، ومسفيوة، وغجدامة، وتُگانة، وفطواكة، وبعض الجماعات من دكالة كالغوانم من أولاد عمران مثلا، هم الذين تكبدوا أفدح الخسائر البشرية والمادية، إذ كان أبناؤها يسقطون قتلى وجرحى بالعشرات في ميادين القتال، أمام عناصر الكتائب والتجريدات المخزنية التي كانت خيولها وأسلحة رجالها النارية العصرية، تخلف الدمار والخراب في الأنعام، والدواب، والمغروسات على السواء، ناهيك عن عشرات الأسرى والمحتجزين الذين كان يتم اقتناصهم، دون أدنى تمييز أو اعتبار لأعمارهم، أو لحالتهم الصحية، حيث كان منهم، في بعض الأحيان، الشيوخ العجزة والأطفال الصغار دون البلوغ ويساق الجميع، كما تساق الأبقار إلى زرائبها، بعد أن يربط بعضهم بعضا بالحبال، والقيود، و"العنايق".

وفي الوقت الذي اقتربت فيه المحلة السلطانية من مجال قبيلة الرحامنة أواخر سنة 1895، كان كل شيء قد انتهى عمليا بالنسبة لمبارك بن الطاهر الرحماني ورفاقه في المغامرة. فقبل هذا التاريخ وبشهور عديدة، تمكنت الكتائب والتجريدات العسكرية المخزنية من إعيائهم، واستنزاف قواتهم، ودك أرضهم دكا، ونهب وحرق مزروعاتهم ومغروساتهم، فتدهورت أحوالهم، وتلاشت قواتهم، وأخذت الجموع تنفضّ من حول قائدها. ثم أبلغ قواد الرحامنة وأعيانهم شروط المخزن لقبول توبتهم وإنابتهم، والعفو عنهم، والصفح عما صدر من بعض إخوانهم، ملزماً إياهم بدفع وأداء ما يلي :

- ذعيرة مالية قدرها 400.000 ريال
- 1.000 فرس بلوازمها
- 2.000 من رجالهم للخدمة في الجندية

وانضافت إلى هذه الشروط إجراءات زجرية أخرى اتخذها المخزن دون الإعلان عنها، ولكنها نفذت في نفس الوقت، وهي أولا اعتقال ما بين 1.500 و2.000 من رجالهم والزج بهم في سجون مراكش، وثانيا مصادرة الأملاك العقارية التي كان يملكها قوادهم وأعيانهم بنفس المدينة.

بعد ذلك، شرعت الكتائب والسرايا المكونة من عناصر الگيش والعسكر وحراك القبائل، تحت قيادة شخصيات من قرابة السلطان في الانتشار والإحاطة بأرضهم للحيلولة دون فوارهم وتشتتهم في القبائل المجاورة. وفي نفس الوقت، كلفت تجريدات أخرى من الجيش، بمساعدة قواد القبائل، بالبحث عن متزعم التمرد وأنصاره والإتيان بهم إلى المخيم السلطاني. وهكذا جيء بمحمد بن الطاهر بن سليمان الرحماني، صنو متزعم التمرد والمتورط إلى جانبه في المغامرة، وبعلي ولد الغوات الذي كان قد التجأ في مدينة دمنات، وأخيراً بمبارك بن الطاهر الرحماني الذي أُخرج بالقوة من حرم الولي سيدي علي بن إبراهيم بتادلة، ووُضع في قفص صنعت قضبانه من جعاب البنادق، ثم طوّف في أرجاء مخيم المحلة ليراه الجميع، حيث أوجع ضربا وخدشا، مع إسماعه كل أنواع السّب، والقذف، والشتم، ليزجّ به بعد ذلك في غياهب سجن مصباح بمدينة مراكش، حيث لفظ أنفاسه الأخيرة ثمة في 30 قعدة عام 1314 / 2 مايو 1897.

وثائق خ. ح، مخ. ح رقم 183 . 200 . 242 . 261 . 296 ؛ مخ. م. ع. ع. رقم ؛ كنانيش رقم 152 . 162 . 224 . 347 . 422 . 639 . 694 . 776 ؛ *وثائق وزارة الحرب بفانسن* ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929 . 1933، ج. 1، ص 372 . 396 ؛ *العز والصولة*..، الرباط، ج. 1، ص. 252 وما بعدها؛ ع. الرزاق الصديقي، *الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن*، الرباط، 1997، ص. 253 وما بعدها.

A.G.V., 3h8, *Rapport du mois d'octobre 1894*, p. 3 et suiv. ; 3h9, *Rapport n° 5, n° 56 du 5 février1896*, p. 3 et suiv., *n° 66 du mois de mars 1896*, p. 5 et suiv., *n° 91 du 1er nov. 1896*, p. 4 et suiv. ; L. Arnaud, *Au temps des Mehallas*.., Casa, 1952, pp. 91 - 121 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Tanger, 1977, t. 1, pp. 186 - 215.

مصطفى الشابي

الرحماني، محمد الزوين بن القائد عبد الله الرحماني صهر السلطان محمد بن عبد الله على أخته البتول الرحمانية وأحد القواد والسفراء المغاربة البارزين في فترة ممتدة من أواخر عهد السلطان المذكور إلى عهد ابنه المولى سليمان. وهكذا ارتبط اسمه بأحداث سياسية داخلية

وخارجية حيث قام بالمهام السفارية. وعاش الصراعات الدموية بين الإخوة الأمراء الأعداء، فشق طريقه السياسي في خضم الدسائس وعصيان القبائل وحركات المحلات المخزنية، منقلا ولاءه بين الأمراء حسب قواهم وضعفهم، فمن الأمير اليزيد إلى هشام والحسين وأخيراً المولى سليمان حيث ورد عليه وهو بالرباط في جم غفير من الرحامنة أواخر ذي القعدة 1209. وفي هذه الفترة سطع نجم محمد الزوين وذاع صيته في الوسط المخزني وازداد جاها وثروة. ولعل أول مهمة سفارية قام بها كانت في شعبان سنة 1203 حيث انتدبه السلطان محمد بن عبد الله سفيراً له لدى الخليفة العثماني عبد الحميد. وتكتسي بعثته هذه أهمية بالغة في تاريخ العلاقات المغربية العثمانية وتعبر عن سخاء المغرب وحرصه على التضامن الإسلامي. وقد أوضح السلطان هذا الإحساس الديني والدعم المادي لنصرة المسلمين والمودة مع الخلافة الإسلامية في رسالته التي حملها معه محمد الزوين ونقف على مضمونها التالي : 30 وصيفاً وفرسين من عتاق الخيل بسرجيهما المزركشين بالذهب والمرصعين بالجوهر و536 أسير منّ الله عليه بافتدائهم من النصارى وأربع سفن جهادية. وهذه المراكب قادها رؤساء البحر المغاربة من سلا إلى القسطنطينية.

وفي أثناء مقامه باستنبول اهتم بشراء الجواري العلجات لإهدائهن إلى السلطان عند عودته. وقد ساق المؤرخ محمد الضعيف حالة وقعت للزوين في سوق النخاسة وهذا نصها : "وحين كان يشتري العلجات أتته امرأة لها علجة حسنة ومغنية أرادت بيعها وهي تحفظ خمسة عشر طبعا من طبوع الآلة التركية وتضرب الكمنجة، فقال لها اتركيها عندي لأقلبها فتركتها. فأمرها بضرب الكمنجة وأمرها بأن تغني فلما سمع ذلك منها أعجبته وفي الغد أتته مولاتها المرأة التركية فقال لها كم ثمنها فقالت أربعمائة مثقال فاستقلها وردها. فقال له صاحبه محمد التليتي التطواني اشترها فإن هذه الجارية لا تكاد توجد في جواري الملوك فأبى لعدم رقته ولكونه بدويا".

ولما رجع من سفارته ونزل بالرباط في 18 شوال عام 1204 / 1789 وجد الوضع السياسي بالمغرب قد تغير بعد وفاة السلطان محمد بن عبد الله فانضم إلى الأمير اليزيد وتابع الأحداث السياسية بتقلباتها ومناوراتها. وهكذا نراه يشد أزر السلطان المولى سليمان في حركاته لتأديب بني مطهر حيث قدم عليه من مراكش بمحلة الحوز والرحامنة بالرباط في 13 حجة 1216   والتقت المحلة المخزنية بفاس فتعززت مكانة محمد الزوين لدى السلطان وأصبحت الرحامنة من القبائل المفضلة حسب ما نسب إلى المولى سليمان في خطاب له بتاريخ 8 شوال 1235 / 1819 :

"لما ولاني الله نوهت بكم وعملتكم بسوس ودرعة ووليتكم مراكش وخيرتكم على جميع القبائل وجعلت الزوين على جميع أهل الحوز وجعلته وزيراً ومشيراً وأنتم قبة الحوز وقلبه ووالله لو كنتم على الحق وظلمكم أحد لأقاتلن من ظلمكم بيدي فما عندي أعز منكم".

وإذا كانت جل المراجع تحدثت عن مهام محمد الزوين المخزنية والسياسية فإنها لم تشر إلى تاريخ وفاته.

أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى، ص. 132، 167 ؛ نشر عبد الكريم الفيلالي، الرباط ؛ م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، 193، 195، 213، 215، 261، 285، 324 ؛ تح. أحمد العماري؛ ع. الرحمن ابن زيدان، الإتحاف، 3، 183، 306، 307، 347 ؛ ع. العزيز بن عبد الله، السفارة والسفراء بالمغرب، ص. 33 و47 ؛ ع. الرزاق الصديقي، الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن، ص. 47.

محمد مناكامان

الرحماني، محمد بن **عمران** كان وزيراً وخليفة عند السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، حضر معه فتح البريجة 1182 / 1768 وكان خليفته على مراكش ونواحيها. ودربه إلى الآن يعرف بدرب ابن عمران في رياض الزيتون القديم (مراكش).

توفي عام 1200 / 1786.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1977، 6، 77، 78 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7، 3433.

محمد ناجي بن عمر

الرحمانية، سحابة، إحدى زوجات السلطان السعدي محمد المهدي الشيخ، أنجبت منه عدة أمراء كان للبعض منهم شأن عظيم في تاريخ المغرب السياسي وهم : عثمان وعبد المومن وعمر وعبد الملك. وتنسب بعض الكتابات الأجنبية إلى نفس الأم الأمير أحمد (معركة، 301 ؛ *S.I.H.M.*, F. T. I, pp. 382-83) مع أن نسبته إلى السيدة الحرة مسعودة بنت الشيخ أبي العباس أحمد الوزكيتي حقيقة يؤكدها بصفة إجمالية جل مؤرخي دولة الأشراف السعديين كابن القاضي (*المنتقى*، 1، 256) وأحمد المقري (*روضة*، 164) والافراني (*نزهة*، 146). وقد ارتبط ذكر السيدة سحابة الرحمانية في الاستغرافيا السعدية بوجه خاص بقضية الأمير عبد الملك وأخيه أحمد حينما لجأ إلى إيالة الترك بالجزائر لطلب مساعدة الباب العالي بهدف استرجاع حقهما المغتصب في السلطة سيما بعد أن سعى أخوهما عبد الله الغالب بالله ولاية العهد لابنه محمد المتوكل خارقا بذلك قاعدة وراثة الحكم التي استنها، أول مرة، مؤسس الإمارة السعدية محمد القائم بأمر الله لتفادي نظام تداول السلطة، وهي قاعدة تخول شرعية تقلد الملك للأمير الأكبر سنا داخل الأسرة الحاكمة (*S.I.H.M.*, F. T. I, p. 346). ويفيد الكاتب الإنجليزي بوفيل في هذا السياق، أن السيدة سحابة الرحمانية قد

لعبت دوراً حاسماً في تربية ورعاية الأميرين عبد الملك ابنها وأخيه أحمد طوال المدة التي استغرقها وجودهما في المنفى في كنف الحماية التركية بإيالة الجزائر. وبحكم ما تمتعت به السيدة سحابة من فطنة وبعد نظر وقوة عزيمة، فإن حرصها، كامرأة مسلمة، كان شديداً على توجيه الأميرين التوجيه السديد وتعليمهما ما هو أفيد في التقاليد التركية حتى لا يكون اندماجهما في منظومة المجتمع العثماني اندماجاً يبعدهما كلية عن خصوصيات وثوابت المحيط الحضاري المغربي (*معركة*، 301). وتتجسد بكيفية ملموسة قوة شخصية السيدة سحابة وثقلها في السياق الدبلوماسي للدولة السعدية، في الدور المميز الذي اضطلعت به حينما انتقلت صحبة ابنها عبد الملك وأخيه أحمد من الجزائر إلى ديار القسطنطينية، عاصمة السلطنة العثمانية، بعد وفاة الملك عبد الله الغالب لإقناع السلطان العثماني مراد الثالث بهدف تقديم المساعدة العسكرية اللازمة للأمير عبد الملك قصد انتزاع الملك في المغرب من يد ابن أخيه المتوكل (*نزهة*، 123). ولئن كانت أغلب الأدبيات التاريخية لا تسمح، بأي حال، بالإحاطة ولو جزئيا، بتفاصيل ذلك الدور ورصد ملامحه بدقة، فإنها مع ذلك، تجمع بنوع من الإشادة بحذاقتها وذكائها وحسن تدبرها (*تاريخ الدولة*، 46)، وهي صفات ساهمت مجتمعة مساهمة فعالة، فيما يبدو، في تعزيز دورها الإقناعي وتيسير سبل عملها التفاوضي مع الباب العالي. على أن نجاح السيدة سحابة في مهمتها هاته، لم يكن البتة، مفصولا عن سياق الأدوار الأمرى الموازية التي قام بها ابنها عبد الملك. فقد صادف سعي هذا الأمير إلى الحصول على مساعدة السلطنة العثمانية، توجه الجيوش التركية من استانبول لإجلاء القوات الإسبانية عن تونس، فكان أن رافق عبد الملك هذه الجيوش في إطار هذه الحملة العسكرية المشهورة في تاريخ الحوض الغربي من البحر المتوسط، وإن كانت المظان التاريخية قد اختلفت في تحديد الوجهة التي انطلق منها عبد الملك للمشاركة في هذه الحملة، حيث جعلها التمكروتي من العاصمة التركية بينما جعلها المؤرخ المجهول من الجزائر.

ومهما يكن من أمر، فقد أسفرت هذه الحملة العسكرية الكاسحة عن سحق قوات الأسطول الإسباني بحلق الوادي (981 / 1574) والسيطرة على تونس التي استتبعت بصفة نهائية بمجال السيادة العثمانية *La méditerranée*, pp. 425) (26 -. وعلى إثر هذا النصر المحقق، بادر عبد الملك إلى إرسال "البشارة" رفقة ثلة من رفقائه على متن "برقاطة" (مركب) إلى أمه سحابة بمعية مركبين آخرين أرسلهما من تونس "رئيس العمارة العثمانية" لزف بشرى الفتح لدى السلطان العثماني. وقد شاءت الصدف، أن يسبق مركب أصحاب عبد الملك إلى استانبول المركبين الآخرين نتيجة لسوء أحوال البحر، وهنا، طبعا، قامت السيدة سحابة بدور على جانب كبير من الأهمية لكسب الرهان المطلوب لصالح قضية ابنها عبد الملك. فقد استغلت فور توصلها بهذه "البشارة" أجواء الترقب والتوجس التي كانت تخيم على البلاط العثماني، لتعلن للسلطان مراد الثالث على وجه المفاجأة والسرعة خبر الفتح، مما كان له وقع بالغ الأهمية على الباب العالي بعد طول لحظات الانتظار والتطلع إلى الخبر اليقين. وفي الوقت ذاته، وكمقابل لهذه البشارة، التمست السيدة سحابة من السلطان العثماني أن يقدم لابنها عبد الملك العون العسكري الكافي للدخول إلى المغرب واستعادة السلطة الآيلة إلى ابن أخيه محمد المتوكل بدون وجه حق (أخذا بعين الاعتبار طبعا مقتضى قانون توارث السلطة الآنفة الذكر). ولم يكن من السلطان مراد الثالث لحظة اطلاعه على "كتاب الفتح" مع مبعوثي المركبين المتأخرين، إلا أن يكتب فرمانا للدولاتي صاحب الجزائر رمضان باشا يقرر فيه منح عبد الملك وأخيه أحمد ما يحتاجانه من جند وعتاد حربي لاقتحام المغرب. وبالفعل، فقد حصل الأمير عبد الملك بعد اتفاقات مع والي الجزائر حول شروط وترتيبات خطة التدخل على القوة العسكرية اللازمة، وتمكن من الدخول إلى المغرب سنة 1576 م والاستيلاء، على السلطة السياسية بعد فصول من المعارك الطاحنة التي خاضها بدون هوادة ضد ابن أخيه محمد المتوكل في أكثر من موضع داخل المجال المغربي.

أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور*، ١، 256 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، 64 ؛ م. الأفراني، *نزهة الحادي*، 146 ؛ ع. التمكروتي، *النفحة المسكية*، مخطوط خ.ع. ؛ م. مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، 42. 47 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5، 61. 63 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7، 261 ؛ أ. ر. برفيل، *معركة القصر الكبير*، 286 . 301 ؛ إ. حركات، *السياسة والمجتمع*، 66 ؛ ع. العروي، *مجمل تاريخ المغرب*، 3، 49 ؛ س. ألتير، *الأتراك العثمانيون*، 235 - 240 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي*، 8، 43. 44.

F. Braudel. *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II*, Neuvième édit., Paris, 1990, pp. 422 - 27 ; A. Cour, *L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc*. Paris. 1904. p. 142 ; H. Terrasse. *Histoire du Maroc*. Casablanca. 1950, T. II, pp. 184- 86 ; *S.I.H.M.*, *France*. T. I, pp. 346. 350, 382, 452, 456 : *S.I.H.M.*, *Angleterre*, T.I. p. 153.

الفقيه الإدريسي

الرحمانية، *طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ أبي* الحسن علي بن عبد الرحمن الدرعي أصلا، التمجتي التادلي دارا وزاوية وإقبارا. ينتسب هذا الشيخ في الطريق إلى الولي الشهير عبد الله بن حسون، دفين سلا (ت. 1013 . 1604). ويعد ولي سلا من معاصري أبي المحاسن يوسف الفاسي وبوعبيد الشرقي، وأحد ورثة وخلفاء، هذا الأخير في الطائفة الموصوفة بأهل الجمال في عالم التصوف

المغربي في بداية القرن الحادي عشر (17 م)، تمييزاً لهم عن أهل الظاهر أو أهل الجلال. ويرتبط علي بن عبد الرحمن بالشيخ ابن حسون بواسطة تلميذ هذا الأخير، الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي (ت. 1062 / 1652). نزيل وارزغت. ومن هنا، وعن الدادسي الوارزغتي أخذ علي بن عبد الرحمن التادلي مبادئ الطريق الصوفي، وأ... وورث... السيادة الدينية والأستاذية العرفانية. وظهرت له أحوال وإمدادات (مباحث، 192، دوحة البستان، 9 ب). وبفضله أيضاً صار شيخاً لزاوية شهيرة بدشر تحت جبل أطلس تادلا (بشارة الزائرين، 52). وقد اشتهر الدادسي، في حياته الروحية، بأنه من أهل المحبة والعشق والحضرة والأحوال، وغيرها من الأمور القلبية في التصوف (مباحث الأنوار، 191 ؛ دوحة البستان، 20 ب، 22 أ، 36 ب، 37 أ)، على غرار شيخه ابن حسون.

ومن ثم كان طبيعيا أن يتأثر المريد علي بن عبد الرحمن بشيخه الدادسي، وبشيخ شيخه ابن حسون. لكن الظاهر أن التادلي تجاوز شيخيه، عندما جعل من سلوكهما أخص طريقة اعتمدها في تربية مريديه. بل لعل هذا ما جعل اسمه يطغى على اسم شيخيه، فأخذنا نسمع بالطريقة الرحمانية بدل الدادسية أو الحسونية. فبماذا تميزت هذه الطريقة ؟

في هذا الصدد يذكر أن علي بن عبد الرحمن التادلي اعتمد أسلوب الهمة في تربية بعض المريدين (دوحة البستان، 130 ب)، على غرار سائر أهل السلوك بالمحبة. في حين رتب لغير هؤلاء أورادا، وأمرهم بقراءتها في وقتين : أولهما بعد المغرب، وكان يذكر فيه مع أصحابه حزب *الفلاح* للشيخ الجزولي، وسيد الاستغفار، وذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني، وصلاة حضرة الأسرار، والصلاة المشيشية، ثم الفاتحة مرتين. وثانيهما في الصبح، وكانوا يذكرون فيه : حزب *الفلاح* أيضاً، والمسبعات العشر، ثم *الحزب الكبير* للجزولي (*الإعلام*، 9 : 211) فضلا عن اسم الجلالة، وغيره من الأسماء الحسنى، وباسم الله الرحمن الرحيم، والتصلية، وغيرها من الأذكار المجردة (دوحة البستان، 48أ).

والملاحظ من خلال هذه الأوراد أن علي بن عبد الرحمن التادلي أضاف إلى الأحزاب التي كان يلقنها شيخه الدادسي لمريديه أذكاراً مجردة (دوحة البستان، 50 أ - 54 ب). والظاهر من خلال هذا الجمع، أنه يلتقي مع اختيارات أمثاله من شيوخ التصوف المعاصرين له، ممن يصنفون ضمن خانة أهل الجمال / أو الباطن. بل لقد شابههم في إيلاء الحضرة أهمية كبرى في التربية الصوفية. وفي هذا الصدد يؤثر عنه قوله لأصحابه : "... إخواني : اجتهدوا في ملازمة الأوقات... إخواني : حسن الظن بالله وبعباد الله... إخواني : السنة تجمعنا والبدعة تفرقنا والحضرة سيرتنا، من قام بموجب سلمنا له، ومن قام اختيارا فلا يلومن إلا نفسه... إخواني : أكثروا من ذكر الله، وأفضله لا إله إلا الله... طريقتنا هذه مخبورة، فطابعنا يطبع كل طابع ولا يطبع عليها" (دوحة البستان، 36 ب).

وجاء في رسالة بعث بها إلى أصحابه بتطوان "... وأما ما ذكرتم لنا من طريقة الحضرة، فإنها طريقة أشياخنا وأسلافنا لكن بشروطها، وهو مكان وزمان وأصول، وعدم حضور النساء والصبيان، فإن كانت هذه الشروط، فقد أذنا لكم فيها ولا يقوم أحد إلا إذا قام مغلوبا. وأما القيام بالاختيار فلا، وكذلك لا يصفق إلا إذا كان مغلوبا، كما نص على ذلك أرباب الطريقة" (رسالة، 20 أ).

وهذا يعني أن الحضرة بالأذكار والأسماء، شكلت محور النشاط الصوفي في الطريقة الرحمانية، أو قل إن طريقة شيخها مبنية على الذكر والحضرة، حسب تعبير محمد المنالي (*سلوك الطريق*، 223)، على غرار الطريقة المعنية - الفاسية، والطريقة الشرقاوية، والطريقة العيساوية، وغيرها من طرق الحضرة في التيار الصوفي الجمالي المغربي. ومن ثم، لعله ليس من المصادفات أن يتبادل آل معن والرحمانيون في فاس الثناء والتقدير (دوحة البستان، 45 أ - ب). ولعله ليس من المصادفات أيضاً، وهذا هو المهم، أن تتعرض الحضرة في زاوية الرحمانيين بفاس، للطعون والانتقادات من تلامذة الشيخ عبد القادر الفاسي (رسالة، 18 أ - ب)، على غرار ما فعلوه مع الشيخ المجذوب قاسم الخصاصي وأصحابه من أتباع الطائفة المعنية، وعيساوة وحمادشة، كما هو مشهور. لكن هل شابه الرحمانيون أهل الطوائف المذكورة في أحوالهم أيضاً ؟

نجيب بالإيجاب، ولا نؤسس رأينا على اعتماد الحضرة من لدن هؤلاء وأولئك، فحسب، بل لأننا نملك شواهد أخرى تعززه. ففي حديثه عن شيخ هذه الطريقة، وصفه أحمد الولالي، بقوله : "... ذو الأخلاق المسكية، والطبائع الدنية، والأحوال العرفانية... ظهرت له كرامات وأحوال وإمدادات... لا تلقى واحداً من أصحابه إلا ظهر لك أثر المدد اليقيني والعلمي عليه ..." (*مباحث الأنوار*، 187 - 192). ونُقل عن الشيخ علي بن عبد الرحمن التادلي قوله : "... يعتريني حال يكاد قلبي أن يتصدع منه، ففهمت منه أن الحال هو المحبة" (*الدرر المرصعة*، 298).

وتفيد هذه الشهادات في التأكيد، بلاشك، على أن محبة وأحوال الرحمانيين كانت عنيفة، وأنه لعنفها صار مباحا الوقوف، في حلقة الحضرة الرحمانية، والتصفيق والرقص (*سلوك الطريق*، 223)، على غرار ما يحصل في حضرة أهل الجمال جميعا. والأهم من ذلك أن الشيخ علي ابن عبد الرحمن التادلي كان من الشطاحين باللسان كذلك. فقد كتب محمد بن الطيب القادري يقول إنه قرأ "له كلاما كبيرا" (*التقاط الدرر*، 219). لعله من باب الشطح ونعتقد بالتالي، أن شطحاته سببت له مشاكل جمة، ولا سيما مع الصوفية الذين يصنفون ضمن خانة أهل الجلال

فقد روى بعضهم أن علي بن عبد الرحمن النادلي : "كان له في مقام الولاية دعوى عريضة، وكان أهل البصائر، من أهل وقته، لا يسلمون له ذلك، ولا يقبلونه..." (*كراسة*، 285)، ومنهم "بعض إخوانه في الشيخ..."، بحكم، "...أنه خالف شيخه في أشياء كان أوصاه بها، وتكلم معه في ذلك مواجهة فلم يرجع عنها، فتركه ونبذ معرفته..." (*كراسة*، 285).

توفي بتادلا سنة 1091 / 1680.

أ. ابن يعقوب الولالي، *مباحث الأنوار*، تح. ع. العزيز بوعصاب، 1989، مرقونة، خزانة كلية الآداب بالرباط ؛ داود بن علي السملالي السوسي، *بشارة الزائرين الباحثين في الصالحين*، مخطوط ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ج. 9 ؛ ع. بن عبد الرحمن الدرعي، *رسالة بعث بها إلى عبد القادر الفاسي*، مخطوط خ. ع. الرباط، رقم 1418 ك، ضمن مجموع، ص. 18 ؛ *رسالة* أخرى بعث بها إلى تطوان، مخطوط خ. ع. الرباط، رقم 1418، ضمن مجموع ؛ ع. المجيد الزبادي، *دوحة البستان ونزهة الإخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمن*، مخطوط خ. ح. الرباط، رقم 2339 ؛ *سلوك الطريق الوارية في التلميذ والشيخ والزاوية*، مخطوط خ. ح. الرباط، رقم 247 ع ؛ م. العربي القادري، *كراسة*، مخطوط خ. ع. الرباط، رقم 370 د ؛ م. المكي ابن ناصر الدرعي، *الدرر المرصعة*، تح. م. الحبيب نوحي، رسالة جامعية مرقونة، 1988، خزانة كلية الآداب بالرباط.

أحمد الوارث

الرحمة والأمان (زاوية -) بسوس، تقع بقرية أمان ملولنين (الماء الأبيض) بأيت تاكن من قبيلة إيزناگن (صنهاجة) على مقربة من تازناخت على الطريق الرئيسية الرابطة بين تارودانت وورززات.

أسس هذه الزاوية أحد أقطاب الطريقة الناصرية وهو حسين بن محمد بن علي بن شرحبيل البوسعيدي الدرعي (انظر ترجمته في *المعلمة*)، ويرتبط تأسيسها بالمنافسة على خلافة شيخ زاوية تامگروت أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي والصراع الذي نشب بين العلامة الشرحبيلي والشيخ موسى بن محمد الكبير ابن أخ الشيخ أحمد الخليفة.

ولعل الصلة الوثيقة التي كانت بين الشيخ أحمد بن ناصر والشرحبيلي هي التي حفزته إلى التطلع للمشيخة وتلقين الأوراد بعد وفاة شيخه. غير أن ذلك لم يتم مباشرة بعد وفاة الشيخ أحمد ابن ناصر، فقد شهد الشرحبيلي مع غيره من العلماء المقيمين بتامگروت بأن الشيخ أوصى برآسة الزاوية لابني أخيه موسى ثم عبد الله وسجل تلك الشهادة وعطف عليها القاضي أبو محمد عبد الكبير بن أحمد الدرعي وذلك في 25 ربيع الثاني 1229، كما يذكر صاحب *الدرر المرصعة* أن أحمد الهوزالي وهو أحد أصحاب الشيخ أحمد ابن ناصر سأل الشرحبيلي بعيد وفاة الشيخ إن كان أوصاه بشيء بخصوص الخلافة فأجابه بالنفي، مما يدل على تأخر فكرة رئاسة الزاوية لديه.

استمر استقرار الشرحبيلي بتامگروت، وتصدر للتدريس، فظهر شفوفه العلمي وأقبل عليه الطلبة والمريدون يتلقون عنه العلوم والأوراد ببيته، وتجاوز ذلك إلى اتخاذ مراسيم لا يتخذها عادة سوى شيخ الزاوية مثل سرد *صحيح البخاري* في رمضان وختمه في الليلة السابعة والعشرين منه (*المعسول*، 18 : 242) فزاد نفوذه وزاحم المتصدر لمشيخة الزاوية، ولم يلبث أن ادعى أنه وصيّ الشيخ، مما أثار غضب موسى بن محمد الناصري وطائفة من أصحاب الشيخ أحمد بن ناصر الذين تصدوا لإنكار مزاعم الشرحبيلي مثل محمد بن موسى الإسحاقي الذي ألف رسالة بعنوان *زجر المدعي القاصر عن معارضة الشيخ أبي عمران بن ناصر* وفيها يقول مشيرا إلى ما قام به الشرحبيلي : "...ولئن شرح الله صدره وظهر له من أمره ما يسرّه وازداد الظهور وانتفاع الناس به، فعليه بالاستقلال والانفراد عن آل الشيخ ويبني زاوية بأي بلد أراد..."

اشتد النزاع والخصام حول سرد *صحيح البخاري* خاصة، وقد استعان شيخ الزاوية بخليفة السلطان المولى إسماعيل بدرعة لمنع الشرحبيلي من ذلك، ولما لم ينفع التهديد ووُجه الشرحبيلي بشهادته السابقة وأرغم على توقيع وثيقة تبيح دمه إن لم يتبرأ من الزاوية والورد الناصري (*المعسول*، 18: 242).

هكذا تآزرت السلطان الزمنية والدينية بدرعة لإخراج الشرحبيلي من تامگروت فانتقل إلى أغلان سنة 1132 حيث استقر سنتين ثم إلى فاس التي اتصل بعلمائها خاصة الشيخ التاودي (*المعسول*، 13 : 104)، وهناك قرر الانتقال إلى سوس فألقى عصا التسيار بقبيلة إيزناكن (صنهاجة) وبنى زاويته بقرية أمان ملولنين، وقد اختار الشرحبيلي موقع زاويته بدقة حيث بناها على طريق الطلبة والمريدين السوسيين المتجهين إلى تامگروت، فكأنه أراد قطع إشعاع زاوية تامگروت على سوس، وإحلال زاويته مكانها.

نافست زاوية الرحمة والأمان تامگروت في وظائفها باجتهاد الشيخ الشرحبيلي وأصحابه وكبار تلامذته في التدريس ونشر العلوم، وفي نشر الطريقة الناصرية وإرشاد عامة الناس وتلقين الأوراد والتدخل لفض النزاعات بين الأفراد والقبائل، وضبط الأنشطة الاقتصادية بعقد الأسواق وضمان أمنها وأمن المتسوقين، فاستطاعت الزاوية أن تندمج بسرعة في محيطها القبلي وأن تستقطب كثيرا من الزوايا الناصرية الفرعية في سوس، فصارت تابعة لها، وانثال المريدون على زيارتها واستعاضوا بها عن الزاوية الأم بتامگروت، وصاروا يصرفون لها هداياهم وصدقاتهم

وأحباسهم. وحُرمت زاوية تامگروت من مداخيلها السوسية، مما أدى إلى بروز الصراع بين الزاويتين وانقسام المريدين ومقدمي الزوايا بينهما (مقدمة تحقيق كتاب *الدرر المرصعة*، ص. 64) غير أن غالب هذه الزوايا الفرعية انضوت تحت نفوذ زاوية صنهاجة، قال محمد المختار السوسي عن الشرحبيلي وزاويته : "أقبل عليه السوسيون إقبالا عظيما حتى كانت يده لا يعلى عليها في الطريقة" (*المعسول*، 18 : 245). فصار الشرحبيلي عند السوسيين، كما وصفه الحضيكي : "شيخ الطريقة الشاذلية ووارث الطريقة الصديقية العظمى وأسرار الطريقة الغازية وكان رضي الله عنه من العلماء العاملين والأئمة الزاهدين المتقين وأولياء الله الصالحين المهتدين. فقصده الناس من كل وجه للتبرك وأخذ العلم والزيارة". (*طبقات الحضيكي*، ص. 167). وحاول الناصريون إقناع الشرحبيلي بالتنازل لهم فأبى.

قام الشرحبيلي برحلة واسعة في سوس. خرج من زاوية الرحمة والأمان يوم الخميس 18 رمضان 1141 / 17 أبريل 1729 قاصدا زيارة قبر الشيخ أحمد بن موسى السملالي في جمع من طلبته وأصحابه فصار : "يدرس فيهم ويرشد العامة ويصالح بين المتحاربين ويسعى في المصالح العامة، فأقام أسواقا، وفصل قضايا كثرت الحروب حواليها" (*المعسول*، 18 : 245). وطاف في رحلته مناطق سوس المختلفة من مدينة تارودانت إلى جبال جزولة مرورا بأيت باعمران وتاغجيجت وأكلميم، وأسس خلال ذلك عدة زوايا تثبيتا لنفوذه بالمنطقة، منها زاوية النابهة وزاوية هوارة وزاوية تارودانت كما أنشأ عدة أسواق منها خميس أيت بوبكر بأيت باعمران وجمعة تيمولاي بإفران وخميس تاغجيجت.

خلفت هذه الجولة الكبرى صيتا عظيما ونفوذا كبيرا لزاوية الرحمة والأمان، ويبرز وصف الحضيكي لأعمال الشيخ الشرحبيلي إبان جولته الكبرى رأي السوسيين فيه وإقبالهم العظيم عليه وانبهارهم بشخصه واهتمامهم بمكانته واعتقادهم الكبير فيه، حيث قال : "بنى مدارس وزوايا ورباطات، وأطعم الطعام، واشتهر بعناية الله وفضله، فقصده الناس من كل وجه للتبرك وأخذ العلم والزيارة. ولقيناه مرة تبركنا به، فرأينا بحمد الله لذلك بركة وقد انتفع به الناس، وعمت بركته العباد والبلاد. وأحيا الله به سنن الدين، وأمات البدع المضلة، وردع الظلمة والجبابرة وأنصف منهم، ويؤثر عنه بعض خواص أصحابه الفضلاء العلماء الثقات، كرامات ومكاشفات باهرة، وأسرارا عظيمة عجيبة، تدل على العناية الإلهية والخصوصية الربانية..." (*طبقات الحضيكي*، ص. 168).

ولم تكن شهرة شيخ زاوية الرحمة والأمان لتنتشر بهذه السرعة لولا أن مهد له تلامذته الطريق، فرفعوا قدره باعتباره صاحب شيخ الطريقة الناصرية زاوية أحمد بن ناصر الدرعي وأقرب المقربين إليه، وباعتباره أحد كبار مشايخ الطريقة (*المعسول*، 6 : 298) بل تجاوزوا ذلك واعتبروه خليفة شيخ الناصرية، كأحمد بن إبراهيم الركني في بعض قصائده المديحية (*المعسول*، 16 : 6) وإبراهيم بن محمد التاكوشتي الظريفي الذي قال في قصيدة مرحبا بشيخه الشرحبيلي لما زار سوس، مشيرا إلى مكانة زاوية الرحمة والأمان :

وهذا الخليفة المسن له يد ... عليّ ولا تنسى لدي أو أكبرا

يهذبني في كل وقت بعلمه ... بزاوية منها المسين تحسرا

استمرت جولة الشرحبيلي عشرة أشهر لم يلبث بعد نهايتها ووصوله إلى زاويته في الأربعاء الأولى من جمادى الثانية 1142 / 29 دجنبر 1729 بثمانية أيام أن توفي تاركا لزاوية الرحمة والأمان نفوذا واسعا وسط طلبة ومريدين كثيرين، ولا تسعف المصادر التاريخية في تحديد حال الزاوية بعد وفاة مؤسسها إذ إنه لم يترك أولادا ذكورا يحلون محله، غير أنه يبدو أن الزاوية كانت مزدهرة في هذه المرحلة، ولا شك أن تلاميذ الشرحبيلي حافظوا على مكانتها، فصارت تجتذب إليها الطلبة والعلماء والمريدين. ومما يدل على ذلك ما أشار إليه عبد الرحمان الجشتيمي من أن والده عبد الله بن محمد الجشتيمي (ت. 1198 هـ) عزم على الاستقرار والسكنى بزاوية الرحمة والأمان وهجر بلده الذي لا يصلح برأيه للسكنى (*الحضيكيون*، ص. 73). ثم تولى أمر الزاوية أسباطه الثلاثة من إحدى بناته وهم محمد - فتحا - ومحمد وأحمد وهم علماء كبار جالوا لأخذ العلوم في سوس عن تلاميذ جدهم وتلاميذهم كالحضيكي ورحل بعضهم إلى فاس وإلى الشرق حيث تتلمذ للزبيدي شارح *القاموس المحيط*، كما أن أحدهم كان ماهرا في علم التصريف منكبا على تدريسه. وقد استقروا بزاوية الرحمة والأمان وعكفوا على التدريس وعلى تلقين الورد الناصري لمن كان يفد عليها زائرا ضريح جدهم الشرحبيلي حتى وفاتهم (*الحضيكيون*، ص. 53 ؛ *المعسول*، 9 : 281) بعد سنة 1214 (*المعسول*، 16 : 247) وحافظ أبناؤهم من بعدهم على إشعاع الزاوية في العلوم والتصوف وإن بدا أن ذلك الإشعاع أخذ يخفت شيئا فشيئا.

ففي القرن الثالث عشر (19 م) كانت الزاوية مقصودة يؤمها المريدون لأخذ الورد الناصري والإذن بتلقينه كما فعل أحمد بن إبراهيم الإبلالني (ت. 1290) الذي نقل عنه قوله : "سافرت إلى ناحية إيزناكن بقصد التجارة... فلقيت فيها وليا من أولياء الله من ذرية الشيخ الرباني سيدي حسين الشرحبيلي. فأعطاني عصا وقال لي هذه عوض برعي البقر، يعني الناس" (*المعسول*، 9 : 281) ومن رجالات الأسرة المنتسبين بالزاوية خلال هذا القرن علي بن عبد الله بن أحمد ثم ابنه أحمد بن علي [illegible] بن أحمد بن علي الأخذ من [illegible] بالتدريس والقضاء والإفتاء [illegible]

علي بن أحمد بن علي (ت. نحو 1320 هـ) وابنه محمد تلميذ محمد بن عبد المالك اليزيدي والحاج أحمد الجشتيمي (ت. 1355 هـ) ثم الحسين بن محمد بن أحمد آخر علماء هذه الأسرة وكان كأسلافه مشتغلا بالإرشاد والإفتاء والقضاء والتعليم (*المعسول*، 18 : 247 - 249). ثم ضعف نفوذ زاوية الرحمة والأمان أخيراً فعادت زاوية تامگروت الناصرية لبسط نفوذها على مناطق إشعاعها في القرن الرابع عشر (20 م) مستعينة بظهائر سلطانية.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 6 - 8 - 9 - 13 - 16 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. م. الحبيب نوحي، د.د.ع، كلية الآداب - الرباط، 1998 ؛ م. الحضيكي، *طبقات الحضيكي*، تح.أحمد بومزكو، د.د.ع.، كلية الآداب، الرباط، 1994 ؛ *وثائق الأستاذ أحمد بوزيد* ؛ ع. الرحمن الجشتيمي، *الحضيكيون*، مخطوط.

المهدي السعيدي

ابن **رَحْمون**، أسرة شريفة - يتصل نسبها بالعلميين اليونسيين - ؛ قال في *الدرر البهية* : هم بالعَلَم ببوزيري وتازروت وتطوان وقبيلة رهونة وشفشاون وبأزمور وفاس، وهم أهل مروءة ظاهرة ودين متين، والذي من جبل العلم إلى فاس واستوطنها منهم هو الفقيه سيدي علي بن الحسن بن علي الحسني العلمي، وكذلك الفقيه التهامي بن المكي من عدول فاس المبرزين، أسندت إليه الحسبة فأباها... وقد وقفنا - يقول إدريس الفضيلي - على ما بأيديهم من الظهائر الملوكية من صنيع الدولة السعدية وهذه الدولة الشريفة العلوية تشهد لهم بجلالة القدر وعلو المكانة وشرف النسب وكرم الحسب.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، جـ. 2 : 70 - 71 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشف أسماء عائلات تطوان*، تطوان، 1999 والمراجع المذكورة هناك.

ابن **رَحْمون، إدريس** بن الطايع بن التهامي آتي الترجمة. ولد بفاس حوالي عام 1260 / 1844 ودرس على الشيوخ : محمد بن المدني گنون، والمهدي ابن الحاج وعبد السلام بوغالب والمهدي بن الطالب ابن سودة وغيرهم، ... حلاّه تليمذه عبد السلام ابن سودة في *سل النصال* بـ"العلامة المشارك العدل الموثق الخير الذاكر المتبتل" وله اتصال بما رواه جده الشيخ التهامي بن المكي ابن رحمون... وبذلك صار سنده عندنا أعلى سند بين الأشياخ".

اتصل به ابن سودة وقد قارب الثمانين، ومع ذلك بقيت ذاكرته سليمة، قال : وكنا نجتمع ونتذاكر معه ونستفيد منه، "فكان يستحضر المسائل ويذكر الحوادث التي مرت به في حياته استحضاراً تاماً".

توفي بفاس عام 1349 / 1930 ودفن بزاوية الشيخ قاسم ابن رحمون بحومة النجارين.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* : *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2998.

ابن **رَحْمون، التهامي** بن **المكي** الحسني الفاسي، فقيه مشارك، وصوفي ناسك قال عنه في *إتحاف المطالع* : "له ولوع كبير بالتقييد والبحث والرواية والاتصال بالرجال". له مؤلفات عديدة، منها : مجموعات *إجازات أشياخه في مجلد* ؛ و*الفتح الوهبي بمن أجاز الحاج الهاشمي الرتبي*، وهو أحد أشياخه (ت. 1240) ؛ و*الدر والعقيان فيما قيدته من جهرة التيجان*، اختصر فيه فهرس أبي القاسم الزياني.

وقد نسب سكيرج في كتابه *رفع النقاب* إلى التهامي ابن رحمون هذا وألّف هو أيضاً كتابين في أنساب الشرفاء: *شذور الذهب في خير نسب* ؛ و*الأنجم الزاهرة في الذرية الطاهرة*. نبه على ذلك ابن سودة في كتابيه : *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، و*إتحاف المطالع*.

توفي التهامي ابن رحمون بفاس يوم الأربعاء سادس وعشري ذي القعدة عام 1263 / 3 نونبر 1846 ودفن بزاوية الشيخ قاسم ابن رحمون بحومة النجارين.

ابن رحمون التهامي، *مجموعة إجازات أشياخه مخطوط* ؛ أ. سكيرج، ط. 2، *رفع النقاب*، 1 : 254 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، الدار البيضاء، 1960، 1 : 72 ؛ *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : 2579.

محمد حجي

ابن **رَحْمون، عبد الرحمن** بن محمد بن عبد الرحمن المصمودي : من سكان مدينة سبتة وأعيانها، ومن علية أساتيذها والمتقدمين في العلوم بها في وقته. روى عن عالم سبتة أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهري (ت. 609) وأبي ذر الخشني، وأبي محمد بن حوط الله الأنصاري، وأخذ عن أبي الحسن ابن خروف النحوي كتاب سيبويه.

كان مشاركاً في فنون اللغة العربية، وعلم الكلام، والفقه وأصوله، وغير ذلك. وكان بجانب ذلك خطيبا مفوها. اشتغل بخطة التوثيق ببلده مدة، ثم تفرغ للتدريس بقية عمره. لقيه ابن الزبير الغرناطي صاحب صلة الصلة بسبتة، وأجازه المترجم كتابه. شارك ابن رحمون في الوفد الذي شكله سكان سبتة والذي توجه إلى الأمير ابن هود في فترة ضعف الدولة الموحدية التماسا لحماية مدينتهم وتوفي سنة 649 / 1251، عن 70 سنة.

أ. ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. ع. السلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط، القسم الثالث، 1993، ص. 224 - 225 ؛ ع. الرحمن السيوطي، *بغية الوعاة*، تح. م. أبو الفضل إبراهيم، بيروت، 1964، ج. 2، ص. 86.

محمد المغراوي

ابن **رَحْمون، عبد السلام** بن **محمد التهامي الحسني** العلمي التطواني، الفقيه العلامة العدل الموثق السري الخير الفاضل، كانت له اليد الطولى في صناعة التوثيق وإتقان فقهه، تشهد له الصكوك الشرعية المتكاثرة بأيدي الناس، وشهادة تلميذه السكيرج الذي ترجم له وصرح بأنه أخذ عنه وعن ولده مولاي الصافي هذه الصناعة الفقهية، وهو أحد الوجوه النيرة من هذه الأسرة الشريفة النبيلة التي توارثت القضاء والفتيا والتوثيق بثغر تطوان عقوداً طويلة من الزمن، ومع هذا فلم يحدد تاريخ وفاته بَلْهَ ميلاده. قال الأستاذ داود : لعلها كانت أواخر هذا القرن (يعني الثاني عشر الهجري / السابع عشر الميلادي) وأشار الرهوني إلى أنها كانت بعد ألف ومائتين والله أعلم.

ع. السلام سكيرج، *نزهة الإخوان*، ص. 60، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، (6 : 25)، مخطوط ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 294، طبع تطوان.

ابن **رَحْمون، عبد السلام** بن **محمد الحسني** العلمي التطواني الفقيه الشريف العدل الموثق الفاضل الخير من أسرة آل ابن رحمون الحسنية العلمية الشهيرة وهي غير أسرة الرحمونيين العمرانية على خلاف في نسب هؤلاء.

عرف المترجم له وأخوه الفقيه العلامة المفتي محمد التهامي بن محمد ابن رحمون بتعاطي الشهادة والانتصاب لها من عام 1151 إلى عام 1170 ولا تحصى الرسوم العدلية التي تحمل شهادته.

توفي بتطوان بعد عام 1158 / 1745.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، (7 : 4).

محمد بوخبزة

ابن **رَحْمون، العياشي** بن علي شيخ الجماعة بقبيلة رهونة. انضمّ إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وحضر جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة. وفي المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 انتخب عضواً في المجلس الاستشاري للمقاومة ؛ وقد شارك في بعض المعارك إلى أن أصيب بجروح خطيرة منعته من المشاركة في المعارك. وتوفي بعد ذلك.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **رَحْمون، قاسم** بن محمد الزرهوني الفاسي، لا علاقة له بالنسب العلمي، فالمصادر تذكر أن أصله من الرحامنة الذين استوطنوا واد السدر قرب وزان. وهو من أولياء فاس من فئة العامة بحكم احترافه للحياكة. أخذ الطريقة الوزانية عن الحاج الخياط الرقعي وعن الشيخ مولاي التهامي وعن الشيخ مولاي الطيب. ولعل انتسابه للزاوية الوزانية وتفانيه في خدمتها جعلا منه وليا مرموقا في مدينة فاس. قال عنه محمد القادري : "العارف الكبير، الشيخ الشهير، الولي الصالح الخطير، الكثير التلامذة والأتباع، الموصوف بالولاية والانتفاع". عينه الشيخ مولاي الطيب مقدما على أتباع فاس، بعد وفاة مالك بن عبد السلام المومناني السجلماسي المتوفى حوالي سنة 1140 / 1728، فهو بذلك ثالث مقدمي فرع الزاوية بفاس. توفي قاسم بن رحمون سنة 1149 / 1737 ودفن بداره بزقاق الحجر من عدوة القرويين. ويذكر القادري أن أصحابه اشتروا دارا أخرى مجاورة وجعلوها مقرا خاصا بأتباع فاس، عرفت بزاوية درب الحجر.

م. القادري، *نشر المثاني*، ج. 3، الرباط، 1982، ص. 389 - 392، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية*، مخ. رقم 12444، خ. س، الرباط، ص. 62 وما بعدها.

محمد عمراني

ابن **رَحْمون، محمد** بن **إدريس** بن الطايع بن التهامي الحسني العلمي التطواني. وأولاد ابن رحمون أشراف يونسيون من أبناء يونس بن أبي بكر، عم الشيخ عبد السلام بن مشيش، ويونس المذكور جد العلميين قاطبة كما حرره النقيب الوزير محمد بن الصادق ابن ريسون في كتابه *فتح العليم الخبير في تحرير النسب العلمي بأمر الأمير* يعني بالأمير السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

العلامة الفقيه الأديب المطلع القاضي النزيه الشريف، أخذ العلم عن والده وعن الشيخ مَحمد - فتحا - القادري، والشيخ أحمد بن الخياط الزكاري الحسني والشيخ عبد السلام الهواري، والشيخ التهامي گنون وغيرهم من علماء القرويين.

تولى القضاء بعدد من مدن المغرب وثغوره منها أسفي وطنجة، وعزل عنه بسبب موقفه الوطني من نفي الملك محمد الخامس رحمه الله، فقد كان يعارض ذلك، وهذا يعاكس سياسة صهره والد زوجته الوزير المقري الشهير، وبعد تأخيره عن القضاء ظل ساكنا بطنجة إلى أن توفي.

كان في قضائه وتصرفاته مثال النزاهة والجد، وكان له إسهام في الأدب يكتب نثراً فنياً جيداً ربطت منه صداقة الأمير الحسن بن المهدي زوج الأميرة فاطمة الزهراء بنت السلطان مولاي عبد العزيز. وقد كان هو والأديب الشاعر الوزير محمد بن موسى وزير الأوقاف بالحكومة الخليفية بتطوان شاهدي العقد وهو من بيت المترجم له.

ذكره الأستاذ المؤرخ عبد السلام ابن سودة في فهرسة *سل النصال* وأثنى عليه وأشار إلى أنه كان يتصل به عند زيارته لبعض أقاربه ومعارفه بفاس فيستفيد منه وربما قيد عنه بعض ما يستغربه من فوائده قال : ولما اطلع على تأليفنا *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* احتفل به وبمجهوده وقال له : لقد أفدت المغاربة بما كانوا يجهلونه ورفعت المغرب مكانا عاليا.

توفي رحمه الله يوم السبت فاتح محرم الحرام خمسة وسبعين وثلاثمائة وألف موافق 20 غشت سنة 1955 ودفن بعد أن صلي عليه بالجامع الكبير بطنجة بإحدى زواياها.

موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ص 3302 ؛ *وفيات 1375*، نقلا عن *سل النصال*، مع إضافات شخصية ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال*.

ابن **رَحْمون، محمد التهامي** بن محمد بن أحمد الحسني العلمي اليونسي التطواني الفقيه العدل النسابة الشريف، أصل سلفه من قبيلة بني عروس الموطن الأول للأشراف العلميين ومنه تفرقوا في البلاد، ونزل جماعة منهم بتطوان اشتهروا بالتوثيق والشهادة، ومنهم المترجم له. ولاشك أنه قرأ ما يجب لمزاولة خطة العدالة من الفقه وغيره ولكننا لم نقف على شيء من دراسته وشيوخه، وكل ما عرفنا عن الرجل أنه من عدول تطوان. وقد وقفنا على عقود من تحريره وشهادته. كما أن شهرته جاءت من عنايته الفائقة بالأنساب الإدريسية عموما والعلمية خصوصا فألف أولا كتاب *شذور الذهب في خير نسب* عرض فيه فروع الأدارسة عموما والعلمية خصوصا وتتبع هذه بعناية مميزا الخلص منهم من الدخلاء. وفرغ من تأليفه في 19 رجب القرن عام 1121 / 1709 ومن الكتاب نسخ مخطوطة في مكاتب خاصة وبخزانة الرباط.

ثم ألف بعد ذلك *الأنجم الزاهرة في الذرية الطاهرة* مخطوط يوجد بكثرة وهو في خزانة الرباط 1484د وهو المشتهر بكناش *ابن رحمون* تناول فيه الأشراف عموماً وأعقاب الإمام محمد بن إدريس الثاني وخصوصاً العلميين، فقد كان له بهم مزيد معرفة وعناية لأنهم أهله ولأنهم متكاثرون منتشرون. فحاول حصر فروعهم ووضع لذلك مشجرات، وأشار إلى الدخلاء فيهم ولا شك أن من جاء بعده كالنقيب محمد بن الصادق الريسوني في ديوانه *فتح العليم الخبير بتحرير النسب العلمي بأمر الأمير* والنقيب السيد إدريس الفضيلي في *الدرر البهية والجواهر النبوية* المطبوع على الحجر بفاس استفاد منه لسبقه وعنايته. والجدير بالذكر أن الكتابين وقع فيهما تصرف بالزيادة والنقصان ولذلك اختلفت نسخهما واهتزت الثقة بمحتواهما، إلا أننا وقفنا بالخزانة الداودية بتطوان على كناش كبير بخط المترجم له كان عند النقيب الوزير السيد محمد بن المكي الريسوني ثم صار إلى الأستاذ داود يتضمن أقساماً من الكتابين وتقاييد ومشجرات ينتفع بها في إعادة النظر في الكتابين وإعدادهما للدراسة والنشر.

لم أقف على تاريخ وفاة المترجم له إلا أنها كانت بعد عام 1130 / 1718.

ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، باب كتب الأنساب، ط. دار الفكر ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، (1 : 181) ط. الرباط.

ابن **رَحْمون، محمد الطيب** بن محمد الحسني العلمي قاضي تطوان. الفقيه العلامة المدرس العدل الناسك الراوية الحافظ. كان قاضياً بتطوان ما بين عام 1212 إلى شهر صفر عام 1225. وكانت توليته بإشارة النقيب الشريف محمد بن الصادق ابن ريسون، ثم أعفي منه في آخر عمره لكبر سنه. تعاطى التدريس، وممن أخذ عنه المؤرخ السكيرج فقد ذكر في ترجمته أنه قرأ عليه *تحفة ابن عاصم* كما وصفه بأنه كان يحفظ *مختصر خليل* عن ظهر قلب. وكان حسن العبارة لم يأت الزمان بمثله رحيما بالضعفاء والمساكين ذوي العيال. ووقع اضطراب في اسمه في الرسوم فسُمي في بعضها : الطيب وفي أخرى : محمد الطيب، وفي أخرى : محمد فقط، قال الأستاذ داود : ولعل الشخص واحد كما وقع خلاف في تاريخ وفاته فقد ذكر الفقيه الرهوني أنه توفي عام 1220، ولكنه في مختصر تاريخه *العمدة* يذكر أنه استمر قاضياً إلى عام 1225 كما سبق، وقال الأستاذ داود بأنه وجد في التقاييد أنه توفي في رمضان عام 1229، وفي تقييد آخر أنه توفي عام 1231، قال : ومن الممكن أنه كان بتطوان فقيه آخر يشاركه في الاسم والنسب، فليحقق.

(قلت) : أما الاضطراب في الاسم فلا أثر له وكثيراً ما يقع الاقتصار على بعض الاسم المركب اختصاراً كمحمد العربي ومحمد الأمين، ومحمد التهامي (ومن أقارب المترجم له : محمد التهامي ابن رحمون) ومحمد الطيب. وأما الخلاف في سنة الوفاة فلعل الصواب أنها كانت عام 1231 وهو أقصى ما قيل، وقد كان حيا عام 1229. وبعيد أن يكون هناك شخص آخر يشاركه في الاسم والنسب، ذلك لأنه لو كان ـ وهو من القضاة ـ لذكر ولو مرة، ولم نجد فيما وقفنا عليه من رسوم إلا المترجم له والله أعلم.

ع. السلام سكيرج، *نزهة الإخوان*، ص. 53، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، (6 : 24)، مخطوط ؛ *مختصر عمدة الراوين*، ص. 105، مخطوط ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، (3 : 174)، طبع تطوان ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 255 و302، طبع تطوان.

محمد بوخبزة

رحموني، بوعلام بن محمد مقاوم من مواليد 1903 ببني عنبق إقليم وجدة من والده محمد بن موسى ورابحة بنت محمد. كان من الذين خرجوا إلى الشارع يوم 16 غشت 1953 للتعبير عن سخطهم واستنكارهم ضد السياسة الاستعمارية، خلال هذه الانتفاضة أبان عن غيرة وطنية صادقة إذ قام بعدة أعمال فدائية جليلة استهدفت مصالح المستعمر.

وواصل كفاحه البطولي هذا إلى أن اعتقلته الشرطة الاستعمارية ومارست عليه التعذيب والتنكيل فكان ذلك سبباً في وفاته في نفس يوم الانتفاضة، مفضلا الاستشهاد على البوح بأسرار رفاقه على درب الكفاح.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، 524078.

رخا (أيت -) قبيلة تستوطن الكتلة الجبلية التي تفصل الحوض الأعلى لتازروالت وواد صياد بالجزء الغربي للأطلس الصغير، في مجال طبغرافي صعب الاختراق إلا عبر ممرات ومنافذ طبيعية. تحيط بها قبائل : أولاد جرار شمالا، الأخصاص غربا، إيمجاض شرقا، إفران جنوبا. وهي تابعة إداريا لعمالة إقليم تيزنيت، دائرة الأخصاص.

ترجع أقدم إشارة إلى قبيلة آيت رخا إلى القرن العاشر (16 م)، حيث صنفها صاحب *ديوان قبائل سوس* ضمن الفروع المشتركة في نازلة إفران...

ومما هو متداول محليا أن أصل ومدلول كلمة "رخا" تفيد سعة العيش وسهولة الأمر. ترد في سياق الروايات عن بداية التعمير أن المجموعات البشرية الأولى كانت تنتجع بقطعانها بين تاغلاست" و"أكني أو فرد" ثم إلى "تامگرت إرحالن"، وهو أحد الممرات المهمة بين إيفران جنوبا، ومرتفعات "أيت رخا" شمالا. ولا نعرف بالضبط متى استقر هؤلاء بالمجال الرخاوي الذي كان عبارة عن مراعي جبلية شبه فارغة. إلا أن الغالب على الظن أن العناصر الأولى قد هاجرت إلى المنطقة انطلاقا من الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير، واستقرت في النهاية في البقعة الجغرافية التي أصبحت تحمل نفس الاسم. فانضاف إليها في نهاية القرن الثاني عشر (18 م) أفواج من اليهود. ويبدو أن الجوار الجغرافي (إيفرن) والارتباط الاقتصادي هو الذي أملى هذا الحضور اليهودي المتميز. كما يستشف من رسالة من المولى سليمان إلى أحد عماله بسوس، أن القبيلة كانت تحتضن عناصر يهودية، وفيها تعليمات إلى العامل المذكور لإرجاع هؤلاء إلى موطنهم الأصلي بإيفران. ولا يستبعد أن يكون هذا الإجراء محاولة لتجميع اليهود المشتتين بين القبائل عقب تمرد أبي حلايس (1206 / 1792).

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق وهي : إد علي أويلا، أوتانن، إدورحمان، إدحماد أوبراهيم. وأهم مراكزها الحالية : اثنين أيت رخا، سيدي عبد الله أوبلعيد وهما مقران لجماعتين قرويتين.

عرفت القبيلة عبر تاريخها تغيرات واضحة في امتدادها الجغرافي، ويفيدنا المختار السوسي أن تراب أيت رخا، خاصة الجزء الشرقي منه، يعتبر جزءاً من قبيلة إيمجاض في فترة من الفترات، بينما نجد الجزء الشمالي المحاذي لإغير ملولن تحت نفوذ قبيلة أولاد جرار. وفي بداية هذا القرن، أصبح جزء من تراب القبيلة تابعا لسلطة القائد المدني. إلا أنها استمرت محتفظة بالتوازن بينها وبين القبائل المجاورة، رغم ما ينتاب هذه العلاقات من صراع مستمر.

يعتبر آل بوطعام من الأسر الرخاوية التي تركت بصماتها في تاريخ القبيلة. فحسب ما تجمع لدينا من معلومات فإن الجد الأعلى للأسرة (أحمد بن يعقوب) هاجر من قبيلة "إداويعقيل"، واستقر بـ "أغبالو نيفرات" قبل أن تقدم الأسرة على شراء أراضي "تامگرت ندمسعود"، التي أصبحت مركزاً لقبيلة أيت رخا قبل انتقاله إلى قرية "أوناتن". ومازال أفراد الأسرة يعتبرون أن لهم علاقة قرابة بقبيلة إيداويعقيل، ومازالت هذه الروابط قائمة حتى بعد الاستقرار بتراب أيت رخا. وهذا ما يستشف من الرسالة التي بعث بها أحمد بن مبارك إلى مبارك بن مسعود "باسيف أودرار" : "وأن تعطوا له (حامل الرسالة) خبر بلدنا هل فيه فائدة، وهل كانت لنا عندكم في وادي الجبل شيء".

وكانت الأسرة تعرف بآل ككوس، ويبدو أنها حازت شهرتها من خلال ما تقوم به من أعمال الزراعة وتربية الماشية، مما يسمح لها بالادخار في سنوات القحط. وكان أفرادها يكرمون الوافد ويقومون بضيافة عابري السبيل. وأصبحت هذه الخصلة تلازم بينهم، لهذا سموا بآل بوطعام. ومن الشخصيات التي لها نفوذ داخل القبيلة قبل أسرة آل بوطعام، نجد : يحيى نبودغار أمغار، محمد بن عمر أفولوس، محمد أنفال الرحاوي الذي كان يستقر بقرية بوالوس. ولاشك أن صعود نجم الأسرة يرجع بالأساس إلى رجاحة عقل مبارك بن ككوس (1847 - 1947)، وكثرة كرمه. وبهذه الميزة كان يحل كثيراً من الأمور "منها إشرافه على عمليات إصلاح ذات البين بين السملاليين والإيغشاليين". وعلى إثر رحلة السلطان الحسن الأول إلى منطقة سوس (1882)، تمت تزكيته على رأس قبيلة أيت رخا بتعيينه قائداً عليها. وأصبح منذ ذلك الحين أكثر اندماجا في سلك الخدمة المخزنية، من خلال الأعمال التي كان يقوم بها، والتي أثارت استحسان الجميع.

لقد ترتب عن حالة عدم الاستقرار التي تلت وفاة السلطان الحسن الأول، أن أصبح مقر القيادة (تامگرت ندمسعود) مستهدفا من معارضيه عدة مرات. وانعكست هذه الوضعية على مصير القبيلة، حيث توالت أحداث

خطيرة بترابها. ولعب في إطارها بلقاسم العارد ومحمد أتنال وعمر لشكر دوراً مهماً، وهم من الشخصيات المناتئة لآل بوطعام مما حدا بالقائد مبارك إلى الفرار إلى "أغبالو يفرن" لكنه سرعان ما استرجع منصبه ومكانته ضمن إخوانه الرخاويين.

تطورت الأمور بشكل خطير بوصول الگيلولي إلى المنطقة، بعدما كان منهمكا في عمليات حربية بالسهل، حيث انحاز إلى قبيلة إيمجاض في صراعه مع أيت رخا. وبإيعاز منه خضع حرب من تراب القبيلة للقائد المدني الأخصاصي لاعتبارات ترتبط بالرغبة في إضعاف القائد بوهيا الأخصاصي الذي احتمى بدحمان بن بيروك. ولم يقف القائد المدني عند هذا الحد، وإنما فرض حربا بمعية حلفائه من أيت بعمران وإيمجاض على قبيلة أيت رخا متهما زعيمها مبارك بوطعام بموالاة القائد عياد الجراري المتعامل آنذاك مع الفرنسيين. إلا أن القبائل المتحالفة لم تحقق رغبتها ومسعاها لإضعاف آل بوالطعام، لما أقدمت قبيلة إيمجاض على تجميد دعمها للقائد المدني. وهذا ما فتح باب الهجومات الانتقامية بين الجانبين من حين لآخر.

ويستشف مما أورده المختار السوسي على لسان الناجم الأخصاصي، أن القائد مبارك بوالطعام استطاع الحفاظ على وضعيته وهيبته في سياق التطورات السريعة التي شهدتها منطقة سوس عقب نكسة سيدي بوعثمان. ويبدو أن القائد المذكور وغريمه المدني الاخصاصي نسيا خلافاتهما وتحالفا على الجهاد ضمن حركة أحمد الهيبة. ويعتبر زحف حيدة ابن مَّايس (1916) أكبر تحد تعرضت له المنطقة. وكان يدرك أهمية موقع أيت رخا الجغرافي الفاصل بين قبيلة الأخصاص وحيوية زعيمها المدني وقبيلة إيمجاض بثقلها البشري. وقد أدرك القائد بوالطعام أهمية موالاة حيدة "فجاء إليه فصالحه عن قبيلته ثم توسط زيادة على ذلك في أمر المدني... كل ذلك افتياتا من غير مشاورة لأحد" وهذا الموقف جلب له غضب إيمجاض.

وخلال أطوار الصراع بين القوات الفرنسية ومقاومة الأطلس الصغير، يظهر أن قبيلة أيت رخا أبدت دعمها لزعيم المقاومة آنذاك الشيخ مربيه ربه. لا سيما وأن الشيخ بوالطعام كان من الشخصيات التي تستشار في تلك الناحية. وكانت أسرته سباقة - لفترة غير يسيرة - إلى احتضان بعض رموز عائلة ماء العينين، خاصة الشيخ النعمة بعد خروجه من ريجان (1916)، رفقة والدته الشيخة العالمة لالأ التّاجة وابنتها الشيخة يُحَانذو. وظلت هذه العلاقة مستمرة حتى بعد وفاة الشيخ النعمة، مع أخيه محمد بن عبد العزيز المعروف بمحمد الإمام. وقد حظي هؤلاء بمكانة متميزة لدى القائد مبارك وابنه الفقيه أحمد، وكانت القبيلة تدفع لهم أعشارها وزكواتها.

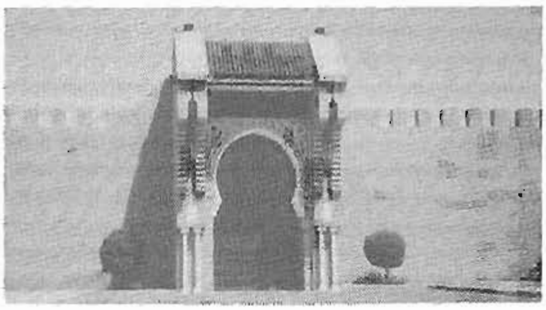
وعندما تمكنت القوات الفرنسية من فرض حصارها المتعدد الأشكال على منافذ الأطلس الصغير، وبالتالي اقتحام معاقل المقاومة، تنازل القائد مبارك عن زعامة القبيلة لابنه أحمد (1884 - 1965) الذي كان العضد الأيمن لوالده في الأمور التنظيمية لقبيلته، رغم انشغالاته العلمية كفقيه بمسجد أوتاتن.

إ. الحساني، *ديوان قبائل سوس*، مخطوط ؛ أ. بن مبارك بوالطعام الرخاوي، كنانشة، وثائق أسرة أيت بوالطعام ؛ المختار السوسي، *إيليغ قديماً وحديثاً*، الرباط، 1966 ؛ *المعسول*، الأجزاء 4 - 5 - 19 - 20.

A. Le Chatelier, *Tribus du sud ouest marocain*, Paris, 1891 ; L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au 16° siècle*, A. M., vol. XXIX, 1933 ; R. Montagne, *Les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930 ; J. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.

أحمد بومزگو

الرخا (باب -) بمراكش، يقع شمال الواجهة الغربية من السور ويعتبر آخر باب فيه يحده من الجنوب باب دكالة (Mosalik, 189) ويدخل في لائحة الأبواب التي عفّى عليها الزمن ولا توجد منه حالياً أية بقايا أو رسوم.



موقع باب الرخا القديم

(يسير الباب الحديث المسمى مكانه اليوم "باب الرخا")

وحسبما يبدو فإن باب الرخا ظل موجوداً إلى عهد السعديين على الأقل حيث وردت الإشارة إلى حومة باب الرخا في نص وثيقة تحبيس لنسخة من كتاب *المنتقى المقصور* لابن القاضي على خزانة جامع باب دكالة (Marrakech, 1, 122).

وقد اجتهد ديمومبين Demombynes في محاولة تحديد الموقع المناسب لباب الرخا في الخريطة التي وضعها لمراكش من خلال كتاب *مسالك الأبصار* حيث جعله بين باب دكالة والنهاية الشمالية لواجهة السور الغربية، وهو اقتراح مقبول بسابر محتوى ترتيب العمري لأبواب المدينة ويدعمه قرب الموقع من ضريح أحمد الصلحا، بسيدي مسعود ويلقب بـ "مول باب الرخا".

Gaudefroy - Demombynes, *Masalik el-absar*, Paris, 1927 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, 2 tomes, Rabat, 1959 - 1966.

محمد رابطة الدين

الرُّخام، هو مبدئيا الصخور الكاربوناتية المتحولة،

لا غير. لكن تعوّد الصناع إطلاق صفة الرخام على كل صخر يستعمل في الزينة له صقيل جيد وجميل. لذا أصبح من المتداول إطلاق هذه التسمية على الجزع، وأنواع الكرانيت (الأعبل)، والأكلاس والأكلاس الغنية بالمستحاثات. وقد ابتدعت لها بالإضافة أسماء تجارية.

بالمغرب، هناك أنواع مختلفة من الرخام قيد الاستغلال، أكثرها شهرة كلس لخصاص الأبيض (ناحية تزنيت)، جزع ورزازات، الرخام الرمادي بواد إيكم أو واد الشراط، الكلس الوردي بالبليدة وواد عكراش، كرانيت تافراوت والكلس المستحاثاتي لأرفود وتازارين.

تعود أهم استعمالات الرخام إلى تزيين واجهات المنازل ورحابها الداخلية.

يصعب التأكد من حجم سوق الرخام، ذلك أن الاستغلال يخضع لنظام المقالع أي أنه يتم بالمناقصات. وعلى أساس هذا التحفظ، يمكن تقدير الاستهلاك الداخلي بحوالي 200.000 متر مربع تقريبا.

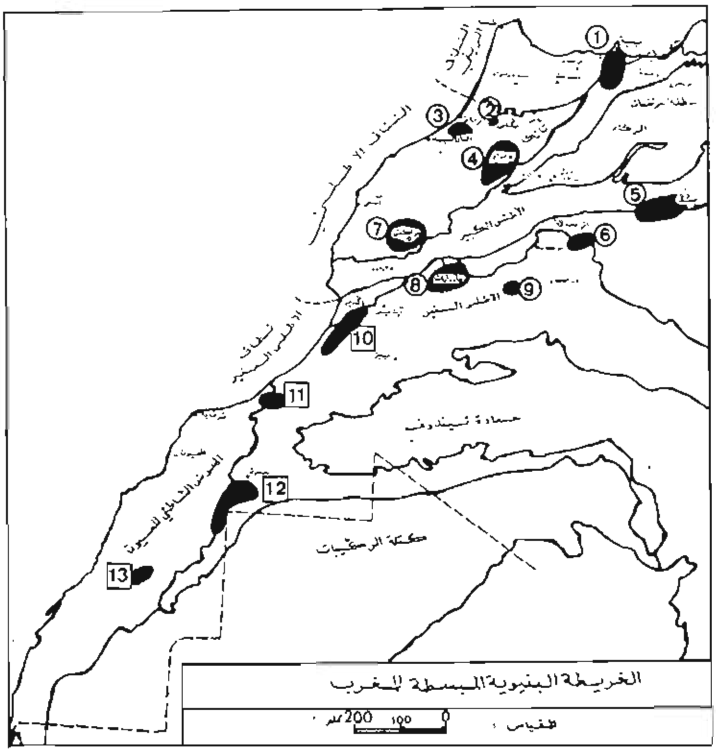
عدي عزي

* * بالنسبة لعلم وصف الصخور، لا ينعت باسم الرخام إلا الأحجار الناتجة عن تحول صخور الكلس أو الدولومي ؛ إما عن طريق التحول الشامل أو التحول التماسي. ويكون هذا الرخام إما أبيض ذا بلورات كبيرة متداخلة مع الكلست عندما تكون الصخرة الأم كلساً خالصاً ؛ وإما يتبلور ثانية على شكل بلورات أكبر عند حصول تحول ذي درجة أدنى، وبتصاعد التحول نحصل على عملية نزع الدولوميت مع ظهور بلورات أخرى كالكست، وأوكسيد المنغسيوم والبروسيت.

أما صخور الكلس والدولومي المشوبة، فتعطينا رخاما مختلف الأنواع والألوان (كالكلس الانفشاري) غالبا ما تكون معرقة (هنا تنتمي العروق إلى آفاق قديمة غنية بالطين وبالأوكسيدات المعدنية. وعندما تتعرض هذه الصخور نفسها إلى التحول التماسي مع التحول الاستعاضي (الاستبدال المعدني)، فتصبح غنية بالبلّورات (رخام بلوري) وتعطينا في آخر المطاف ما يسمى باسكارن.

بالنسبة لمستعملي أحجار الزينة (المهندسين المعماريين وغيرهم) فيسمون "رخاما" كل الأحجار القابلة للصقل والصالحة للاستعمال في الزخرفة والتزويق كالكرانيت، والبزالت، والدوليريت والغنايس، والنضيد، والحصب، والكورتزيت، والكلس والدولوميت.

ولا شك أن المنظر الجميل، ونبل مادة الرخام، كانا السبب الرئيسي في استعمالاته المتعددة منذ الأزمنة البعيدة ؛ بحيث نحت الإغريق منه تماثيل كثيرة ومتنوعة، وتيجانا عمودية، ونُصبا ومباني يتجاوز عمرها الأربعين قرنا. وهي رغم قدمها، مازالت منتصبة، تنال أكثر فأكثر إعجاب المشاهد في أيامنا هذه. فالفرس والرومان وحضارات أخرى ضاربة في القدم عاشت في حوض البحر المتوسط كالحضارة المصرية والإغريقية، شيدوا من الرخام معالم حضارية كالقصور والتماثيل والبنايات ؛ مازالت شواهد فنية رائعة. ويمكننا القول، وبدون أية مبالغة، إن الحضارة الإنسانية القديمة بنيت على معالم حضارية، استعملت فيها الحجارة الجميلة النبيلة (الأهرام بمصر، أمريكا الجنوبية، القصور والمعابد بالنسبة للإغريق، المدن الرومانية، المعابد والمساجد والكنائس).



الخريطة البنيوية المبسطة للمغرب

بدأ استعمال الرخام بالمغرب منذ الزمن العتيق، واستمر إلى زمننا هذا. فلا شك أن شالة، ووليلي، وحسان وغيرها من المعالم الحضارية المغربية تشهد بقدم استعمال هذه المادة الجميلة والنبيلة. ومنذ مطلع القرن العشرين، أصبحت صناعة الرخام بالمغرب منظمة ومزدهرة، حيث برزت كثير من الشركات تستغل الرخام بطريقة عصرية في مناطق عدة، نذكر منها هنا مقالع بوعسيلة (قرب أبي الجعد) ؛ واد يَكّم، واد الشراط، تيفلت، أگادير. ومن أهم البنايات المغربية التي استعملت فيها أنواع الرخام (بمعناه العام) نذكر على سبيل المثال فندق المنصور ومتجر مرجان بالرباط، مكاتب البريد بمدينتي الدار البيضاء والرباط ؛ وبنك المغرب والبنك المغربي للتجارة والصناعة بالدار البيضاء، وكثيراً من البنايات والمعالم العمومية والخصوصية بالمدن الكبرى.

ونشير إلى أن المغرب يحتوي على عشرات الأنواع من الرخام، تختلف عن بعضها بأشكالها وألوانها المتباينة. فهي تارة بيضاء بدون العروق الملونة أو معها، وأخرى ذات اللون

الأربد الصافي، الداكن أو البنفسجي ؛ ذات عروق بيضاء، وردية، أو حمراء مزركشة. وسنكتفي في هذا النص بذكر أهم مقالع الرخام بالمغرب.

المغرب الأوسط : تحتوي هذه المنطقة على تشكيلة جيولوجية تهيمن عليها على الخصوص، رواسب الأنظمة التابعة للكمبري، والديفوني والكربوني، والميوسيني والعهد الرابع. وتحتوي هذه الأنظمة كلها على صخور مختلفة منها الكلسية، والدولومية، والانصهارية، وغيرها ؛ وكلها قابلة للاستعمال في صناعة الرخام. ومن أهم جهات هذه المنطقة :

أ ـ الجهة الجنوبية الشرقية للمغرب الأوسط التي تنفرد بالكثير من الصخور الكلسية المتحولة المنتسبة إلى الحقبة الكمبرية، منها :

ـ منطقة بوعسيلة المحتوية على طبقات كلسية مرمرية، ذات كنه أبيض لبني مع لمسات مطعمة بعروق حمراء مزركشة.

ـ منطقة سيدي بوعابد المحتوية على أهم مقلع للرخام، على بعد كيلومترين شرق سيدي بوعابد. ويتكون هذا المنجم من رخام أبيض مخطط، ذي عروق رمادية داكنة، أحيانا سوداء بنية أو خضراء. دائما في نفس الجهة شمال غرب سيدي لمين، توجد تركيبة من الأحجار الكلسية المرمرية البيضاء، الكثيرة التصدع، والمستعملة حاليا لإنتاج الحصب والحصى وذلك لكثرة تصدعها.

ب ـ الجهة الشمالية الغربية والشمالية : تحتوي هذه الأخيرة على مقالع بالغة الأهمية، متمركزة كلها في ناحية بنسليمان، واد الشراط، واد يكم، واد أبي رقراق، واد عكراش، تيفلت.

ـ مقلع بنسليمان، يمتاز بكونه ينتمي إلى الديفوني المتوسط الغني بأحجار الكلس الشهباء إلى شهباء لؤلئية، وأحيانا وردية أو سوداء، ذات بقايا حيوانية متحجرة، وهذا ما يعطيها قيمة متميزة من الناحية الجمالية.

ـ مقلع واد يكم، ينتمي إلى الحقبة الديفونية المتوسطة، المتوفرة على أحجار كلسية كثيفة النوع، تختلف ألوانها من الأشهب إلى الأشهب الداكن، وأحيانا الأسود، مع لحم من العروق البيضاء.

ـ ملتقى واد عكراش وواد أبي رقراق، شرق مدينة الرباط ؛ تظهر هنا مجموعة من الطبقات المنسوبة إلى الديفوني التحتي المتوسط المتوفرة على أحجار كلسية مخططة وأخرى كثيفة النوع. إنه "رخام ناشز"، لأن أحجار واد عكراش هي في الحقيقة دولوميتية ذات لون أشهب وردي، يشبه في هيئته شكل تحبب صخور الكرانيت.

ـ مقلع تيفلت، يحتضن هنا الديفوني التحتي أحجار الكلس المكتّل ذات لون أربد يميل أحيانا إلى البياض، وعروق رمادية دكناء أو بنية.

ـ مقلع جبل تباينوت، قرب قرية سيدي عمار ؛ نجد هنا ثلاث دكات صخرية من الكلس المكتل الأربد، المحتوي على الكثير من أحفور المديخ المطوقة لمجموعة كلسية عليا مؤربدة كذلك ؛ متلاحمة، رقيقة التحبب، بدون مستحثات ظاهرة. ويجب ألا ننسى أن هذه المنطقة تشتمل كذلك على صخور الترافرتين المنتسبة إلى العهد الميوسيني.

ـ منطقة القصيبة، قرب قصبة تادلة ؛ نجد هنا كتلاً من صخور الترافيرتين الممتدة من العصر البليوسيني العلوي إلى العصر الرباعي الحديث.

ونشير إلى أن هذه المنطقة تنفرد بكونها تشتمل على كتل من الكرانيت الهرسني من فصيلة الأغبل كلسي، قلوي، معظمها ذات انطباع اندساسي كما هو الشأن في منطقة المانت شمال مدينة خنيفرة ؛ والماس جنوب المنت ؛ وزعير جنوب مدينة الرماني. وتتكون هذه الصخور الكرانيتية من معادن الكوارتز، والفلدسبات البوتاسي (الأورتوز)، والفلدسبات الكلسي ـ صودية (بلا جيوكلاز) والبيوتيت والموسكوفيت ذات نسج مكتل وتحبب متوسط إلى غليظ. أما لون هذه الصخور الأغبلية فهو أبيض بالنسبة لوالماس وأربد بالنسبة للمانت وزعير.

الأطلس الصغير المتوسط : وجد الكثير من مقالع الرخام والصخور المستعملة في البناء، منها :

ـ الكلس المرمري المشرط الوردي والأبيض، في نجد تيشكا وتيزينتاست ؛

ـ كلس إدشفار، وامي موقّورن، وسيدي لاشمي، وتيوت وتزارين وامجوت نتيسلبت (جنوب ورزازات) وأرفود ؛

ـ الكلس المسربن للنقوب ؛

ـ الجزع الكلسي لغرقة واكّلموس.

أ ـ ناحية النقوب : تحتوي على تشكيلة تنتمي إلى ما قبل الكمبري الثاني التحتي، الشديد التحول بالتماس مع الكرانيت ذي اللون الوردي، المنتمي لما قبل الكمبري الثاني العلوي. وتتركب هذه الأحجار من التالك، والرخام المسربن (كلس مسربن) والرخام المغنيزي.

ب ـ ناحية واد امجوط ـ نتيسليت : توجد على بعد 25 كلم جنوب شرق ورزازات، قرب طريق ورزازات ـ زاكّورة، حيث تظهر داخل تشكيلة تنتمي إلى ما قبل الكمبري، على نحو تطبقات من الكلس المتعدد الألوان (الأخضر، الأصفر، الأحمر، الأبيض، البني، الأربد، الخ...) ذات قيمة زخرفية كبيرة.

ت ـ جنوب أكّادير، في ناحية إيمي موقورن، وسيدي لاشمي فنجد تشكيلة مهمة من طبقات الكلس ذات الألوان المختلفة (الأربد والوردي والأسود) المنتمية إلى الكمبري التحتي.

ث ـ ناحية تيزنيت : تظهر في أيد أشقر طبقة مهمة من الكلس تنتمي إلى حقبة الجيورجي الكثيرة المستحثات

والتي تعطيها قيمة تضاهي قيمة الأحجار الرخامية الحقيقية.

جـ . ناحية تازارين . تنتمي التشكيلات الكلسية لهذه الناحية الى حقبتي السلوري والديفوني.

د . ناحية أرفود : نجد هنا تشكيلة تنتمي إلى العهد الديفوني، تحتوي على الكثير من المستحثات نذكر منها الرأسقدميات (رأسيات الأرجل، رباعية الخياشم، الكليمنيات والغونيتيات) التي تميز حقبة الأمسي.

المغرب الشرقي، الأطلس المتوسط والريف : من أهم المقالع في هذه المناطق :

. الحجر الكلسي الوردي، والوردي الكامد لجبل زنگال :

. الكلس الأربد المائل للصفرة لإزفزافن :

. جزع منطقة سيدي محبور المتميز بحزم ذي لون أربد مصفر وأحيانا بني ؛

. كلس منطقة العباد نهر ذو مستحثات مستبدلة على آخرها بالكلست، وهذا ما يعطي لتلك الأحجار منظرا جميلا وجذابا ؛

. كلس جبل تسنارت، ينفرد بتركيبته السرئية، والألوان البيضاء الأربدية، التي، الذي يجعلها من بين الأحجار الكلسية ذات القيمة التجارية المهمة ؛

منطقة الجبيلات : لا تحتوي إلا على مقالع قليلة المردودية وصغيرة الحجم، منها :

. الكلس التحولي الديفوني الموجود قرب مدينة مراكش، ويتصف هذا النوع من الصخور بكونه مرتصا ذا لون مزركش يبقع سوداء ؛

. الكلس الإحيائي المنتمي إلى الفيزي العلوي . الناموري، الموجود في الجبيلات الوسطى، وبالأخص قرب سيدي بوعثمان (المقلع الاميريكاني) ؛

. الباتوليت الهرسيني : يكون هذا الكرانيت من معادن الكوارتز والفلدسبات البوتاسي، والبلاجيوكلاز، والبلق الأبيض والأسود ، ذو نسج مكتل وتحبب غليظ، ولون أربد ويعتبر هذا الأخير أهم مصدر للأحجار الزينية والحصباء في المنطقة

المناطق الصحراوية : توجد كثير من المقالع المهمة بالمناطق الصحراوية، منها :

. الرخام والكلس الانتشاري التحولي لما قبل الكمبري، ذو اللون الأبيض الأزرق ؛ الموجود بكلب زيزا في ناحية بوجدور ؛

. الكلس الشعابي للغونيات، المنسوب إلى الديفوني ؛

. الكلس ذو الأورتوسراس المنتمي للحقبة السلورية الموجود بجهة اسمارة والعيون ؛

. كرانيت أحمر بهيئة سماقانية لناحية تفاديتي، وكرانيت أحمر لناحية توسال . تلي (ناحية اسمارة) القابل لإعطاء فصيلة مطلوبة جداً من الأحجار الزينية ؛

. الكلس الكثير المدخات، الموجود جبر العايديات :

. الأحجار الكلسية والدولومية البيضاء، للكمبري الموجود بناحية بوجدور.

مميزات رخام المغرب الكمية والكيفية : من بين الصخور الممكن استعمالها كرخام بمفهوم المهندس المعماري، نذكر هنا بتلخيص :

. كلس مرمري، كلس، ترافرتين، ديوريت، كرانيت (مثن، زعير، والماس)، جزع كلسي، تكتت (كلس قرني).

وإذا ما دققنا النظر في معطيات التحاليل الكيميائية، يمكننا أن نستنتج أن الأحجار الكلسية، والكلس المرمري، وترافرتين تحتوي على كمية عالية من الكالسيوم (ما بين 50.40 و55.10٪، وتصل أحيانا إلى 95٪) ومنخفض بالنسبة للمانيزيوم (ما بين 0 و4.7٪) والسليس (ما بين 0.9 و3.95٪) مما يجعل هذه الصخور سهلة الصقل وقد أجريت عدة تجارب فيزيوكيميائية على جل أنواع الأحجار الجميلة القابلة للصقل، واستنتج من هذه العملية أن الصخور المدروسة :

. عالية الكثافة (أكثر من 2.25 طن في المتر المكعب) ؛

. أغلبها قليلة الاشتراب ؛

. قليلة المسام، إذا ما استثنينا صخور أترافرتين ؛

. أغلبها شديدة الصمود ضد التقلبات الجوية، باستثناء صخور اترافرتين ؛

. أكثرها تتراوح قدرتها على مقاومة الضغط تحت الجفاف ما بين 945 daN/cm^2، مما يجعلها تتبوأ مكانة مهمة جداً، مقارنة مع الأحجار المستعملة كرخام، المتعارف عليها على الصعيد العالمي، ونشير هنا إلى أن مقاومة وصمود الكرانيت يتعدى 1700 daN/cm^2 ؛

. تمتاز بسهولة الصقل ؛

. استعمالاتها داخل وخارج البنايات الخاصة والعمومية (الواجهات، الاسوار والتظاليف) وأرصفة الطرق، وغيرها.

ورغم كثرة المقالع الكلسية والرخامية في المغرب فإنها مهددة بالانقراض أو بتشويه وتعرية أماكن استغلالها ويبدو من الواضح أن نتجه نحو استغلال الكرانيت، الذي يمثل كميات هائلة تتجاوز مئات المرات حجم أحجار الكلس والرخام المستعملة حاليا.

معادن .

. منطقة الريف الشرقي (حرف الخالدي، إزفزافن، جبل زنگال وسيدي محبور).

. الجهة الشمالية للمغرب الأوسط (تيفلت)

. الجهة الشمالية الغربية للمغرب الأوسط (اسليمان، واد الشراط، واد يكم، واد بورفراق، وواد عكراش).

. الجهة الجنوبية الشرقية للمغرب الأوسط (بوعبلة، سيدي بوعابد).

. المغرب الشرقي (جبل تاسنارت، وأولاد عوباد).

- منطقة الرشيدية (أرفود).
- منطقة مراكش (سيدي بوعثمان، درار لحاليف، مراكش گيلبر).
- منطقة ورزازات (عفرة، أجلموس، أمجوط أنتسليت، ونقوب).
- شرق الأطلس الصغير (منطقة تزارين).
- منطقة أگادير - إفني (تيويت، إمي موقورن، سيدي لاشمي، يدشفار).
- منطقة طنطان (درعة السفلى).
- منطقة اسمارة بوكراع (لعوينات، ترسال تلي، آشگاي لغشيوات، بير العابديات).
- ناحية بير انزران (منطقة گلب زيزا).

عبد الله برصحابة

الرُّخام (مسجد -) بمكناس نعتت الرسوم الحبسية هذا المسجد تارة بمسجد الرخام، وتارة بمسجد القصبة السعيدة وأخرى بمسجد سيدي عبد الرحمان المجذوب كما في هذا النص: "حبس الشرفاء الأجلة... على مسجد القصبة السعيدة الهاشمية... بحضرة مكناسة... المعروف بمسجد الرخام والولي الصالح سيدي عبد الرحمان المجذوب جميع الربع من كافة الأرض الكائنة بولجة الزيتون..."

ومن المرجح أن هذا المسجد كان متعبدا خاصا بالمولى إسماعيل وحاشيته، فقد كان به ممر وخرجة يصلان بينه وبين قصر السلطان يخرج منهما هذا الأخير لأداء الصلوات الخمس. فقد بناه المولى إسماعيل على حد قول ابن زيدان (*المنزع اللطيف*، ص. 300) "إعانة لأهل الدين على عباداتهم في أوقاتها المطلوبة وستغني عنهم كل مشقة وعذر بوجب التأخر وخصوصا حاشيته اللازمة لأداء الخمس مع السلطان في الحر والقر في هذا المسجد". وقد كان هذا المسجد آية في الضخامة والجمال لذلك أفاض المؤرخون في وصفه. من ذلك: "مسجد الرخام الفاخر ذو البلاطات المتسعة الأكناف والأعمدة الرخامية المائلة البديعة النقش والاتساق... وبالجهة الغربية منه القبة المربعة الشكل العجيبة الصنع. ذات الخصة الرخامية المتدفقة المياه اللجينية العديمة النظير... وبالجهة الغربية منها المرحاض المزخرف الأنيق البهيج يتوسطه صهريج مستطيل من ألطف ما يرى الراؤون" (*المنزع اللطيف*، ص. 300).

وقد طال التخريب هذا المسجد، كغيره من الآثار الإسماعيلية، وطويت صحائف بهجته وتفرقت أعمدته الرخامية شذر مذر، وصار بعضه ممراً يدخل منه لضريح المولى إسماعيل وضريح سيدي عبد الرحمان المجذوب. وبعضه الآخر مقبرة.

حوالة المساجد الكبرى، ص. 14؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 1، ص. 128؛ *المنزع اللطيف*، ص. 300؛ رقية بلمقدم، *أرقاف مكناس*، ص. 203.

رقية بلمقدم

الرَّخمة أو النسر المصري كما هو شائع في المعاجم، وفصيحه رَخَمٌ - بدون تاء - طائر من النسور يأكل الجيف. يصنف إلى رتبة الجوارح أو الكواسر النهارية Falconiformes وفصيلة العقبان Accipitridae. يألف الصخور الجبلية. الرخمة اسمه الشائع في شمال إفريقيا ومصر والسودان والعراق وجزيرة العرب وشمال سوريا، وتسميه العامة في لبنان الشوحة والأنوق وبالعبرية راحام ويحتمل أن الاسمين العربي والعبراني مشتقان من رحم ورخم وكلاهما يدلان على العطف والحنان الأبوي وهو من خصال هذا الطائر. ويقول المعلوف أن الرخمة سميت بذلك للونها تشبيها بالشاة ابيض رأسها وعنقها واسود سائرها. يدعى علمياً Neophron pecnopterus وبالفرنسية Vautour percnoptère و Percnoptere d'Egypte وبالانجليزية Egyptian vulture وبالإسبانية Alimoche وبالإيطالية Capovaccaio.



الرخمة

طائر أبقع يشبه النسر في شكله أصلع الرأس أصفره، المنقار طويل مصفر وقوي يساعد على أكل الجيف. يتميز بريش أبيض رخامي ملطخ وأسود على مؤخرة الجناحين عند الكبار ويضرب لون ريشه إلى البني عند الأفراد الغير البالغين. الذيل أبيض مثلث الشكل وطويل. الإناث شبيهة بالذكور: يبلغ طول الجسم 56 - 66 سم. يعيش منعزلا أو مزدوجا ونادرا وسط مجموعات قليلة الأفراد.

تشتو عدة مجموعات من شتنبر إلى فبراير في مختلف المناطق المغربية، سهول وجبال الريف والأطلس المتوسط والكبير وسهول الغرب والمناطق الصحراوية الجافة. يتوالد في المغرب منذ مارس إلى غاية شهر مايو. ينصب الزوجان العش بين أطراف الجبال الشاهقة وبين صخور الجرف الصعبة المنال ونادرا على الأشجار، ويتكون من الأغصان ومن قطع مختلفة. تبيض الإناث عادة بيضتين ونادرا بيضة أو ثلاث بيضات ببضوية الشكل حمراء مبيضة إلى مزركشة أو منقطة وكبيرة نسبيا. يبلغ طول قطرها 50.5 × 63 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 42 يوما. تبقى الصغار بداخل العش حوالي 12 أسبوعا قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا وتصير بالغة بعد 5 سنوات.

يتغذى من الجيف وبقايا جثث الغنم والمعز والغزلان والأرانب وغيرها ومن الحشرات وبعض الزواحف (العظاءة) ولا يصاد. يعيش في مختلف المناطق المغربية بكثافة ضعيفة جدا تنحصر بين 500 - 1000 زوجة كلها مهاجرة وتتوالد في المغرب في كل من تازكا والهضاب العليا والسهول الساحلية الشرقية الشمالية ومناطق ملوية العليا وقمم الجبال بضواحي فگيگ وسفوح وادي الشراط وسهول الغرب والشاوية ودكالة وعبدة والشياظمة والأطلس المتوسط والكبير والهضاب الوسطى وتافلالت وأوكنات وساغرو وفي مختلف مناطق الأطلس الصغير والساقية الحمراء وتكنة. يبدو أن كثافة هذا الطائر تقلصت كثيرا في مناطق الأطلس الكبير خلال النصف الأخير من هذا القرن. ويعيش أيضا في إسبانيا والبرتغال وإيطاليا وجنوب فرنسا وتونس والجزائر وليبيا ومصر وسوريا ولبنان وتركيا والعراق والجزيرة العربية والهند وإفريقيا الوسطى. معظم المجموعات التي تعيش في المغرب تهاجر إلى أوروبا في بداية الربيع لتتوالد منذ أواخر مارس إلى غاية شهر مايو. يقدر عدد الأفراد المهاجرة عبر مضيق جبل طارق بين 3000 و5000.

م. رمضاني، برلمة، *معلمة المغرب*، الجزء 6، ص. 1845 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

P. Bergier. *Les falconiformes marocains, statut, répartition et écologie. Annales CEEP (ex. CROP)* n°3, 1987, 160 p. ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977, 430 p.

الرخويات من الحيوانات البحرية اللافقرية تتميز بجسم لين رخو غير متفحص تغطيه صدفة كلسية (الحلزون والمحار وبلح البحر) أو قرنية باطنية (الحبار) أو بدون غشاء، كالبزاق والأخطبوط. وهي حيوانات متعددة



4324 الرخويات

الأنواع (حوالي 80.000 في العالم) منها البرية والبحرية وتشتمل على 7 طوائف : رأسيات القوائم أو الصدرأسيات Cephalopoda كالأخطبوط الممثل بثمانية أنواع في المياه المغربية والحبار والسبيدج، وصفيحيات الخياشيم أو ثنائيات الصدف Bivalvia كبلح البحر والمحار ومعديات القوائم Gasteropoda كالحلزون والبزاق وزروفيات القوائم (الإسكافيات) Scaphopoda والرخويات الحلبية. بنية الجسم متوحدة على العموم بين الأنواع.

والرخويات رأسيات القوائم Cephalopoda حيوانات بحرية تعيش في الأعماق الرملية ومنها الحبار والسبيدج والأخطبوط أو على سطح الماء يقودها التيار كما هو الشأن بالنسبة للعنقريط. عوضت قوائمها بزوائد متفاوتة الطول تقع حول الفم ومنها المجسات خالية من المحاجم ومنها الأذرع وعددها ثمانية أو عشرة تتوفر على محاجم. يقع الفم تحت المجسات ويتوفر على فكين صلبين مقرنين وعلى لسان صفيحي مقرن ومكسو بأسنان صغيرة يسحق بها المأكولات. تملك الأنواع غدة السواد تفرز مادة سوداء كالمداد تقذفه حولها لتحتجب عن أعدائها. الجذع أو المعطف عبارة عن كيس يضم الأعضاء الحيوية والقمع يستعمل للتنقلات، فمن خلاله يقذف الماء بعد أن ينفذ إلى التجويفة التنفسية وذلك بفضل تقلصات المعطف العنيفة التي تترتب عنها دفعة دسرية في الاتجاه المعاكس وهكذا تسبح أنواع رأسيات القوائم بحركات متواصلة وسريعة بفضل الدفعات.

تلعب الرخويات رأسيات القوائم Cephalopoda دورا اقتصاديا هاما في قطاع الصيد البحري وتصاد بكميات وافرة بالأخص في السواحل الأطلسية جنوب المغرب. وحفاظا على صيانة المخزون السمكي للرخويات ارتأت وزارة الصيد البحري أن تطبق الراحة البيولوجية خلال شهرين (أكتوبر - نونبر) من كل سنة تمنع البواخر والمراكب التقليدية من الصيد حتى تتمكن هذه الحيوانات من التكاثر. يوضح الجدول التالي الكمية المصطادة لمجموع أنواع الرخويات خلال السنوات الأخيرة :

السنة	1994	1995	1996	1997	1998	1999
كمية الصيد بالطن الرخويات	10.819	11.988	15.658	18.596	24.359	35.925

محمد منيري، *أخطبوط*، *معلمة المغرب*، ج. 1، ص. 205 - 206 ؛ *الحبار والحبارة*، *معلمة المغرب*، ج. 5، ص. 3305 - 3306.

Ministère des Pêches Maritimes. *La mer en chiffre*. 1999, 57 p.

محمد رمضاني

الردادة، هم أعضاء جوق اللحون الذين يعيدون إنشاد المقاطع الأخيرة من أشطار القصيدة بعداً دائماً من

طرف المنشد المنفرد، ويرددون الحربة بين أقسام القصيدة وعند نهايتها في الفصل المعروف بالدريدكة.

ويلعب الردادة دوراً أساسياً في أداء القصيدة، فهم، إلى جانب اضطلاعهم بضبط الميزان ومنح المنشد المنفرد فرصا لالتقاط أنفاسه، يُضفون على الأداء أجواء الحيوية والتدفق بفعل الحوار الذي يتم بينهم وبين المنشد، ولذلك فهم عمدة أشياخ الكريحة الذين يتحرون في اختيارهم من بين أجود الحفاظ.

عبد الرحمن الملحوني، *الشعر الوطني في الأدب الشعبي المغربي الملحون، الجفريات نموذجا*، دراسة ونصوص. القسم الأول. ص 30.

عبد العزيز بن عبد الجليل

رُديَّس. أو الرُّوديَاس أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rodiles ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1184 / 1771.

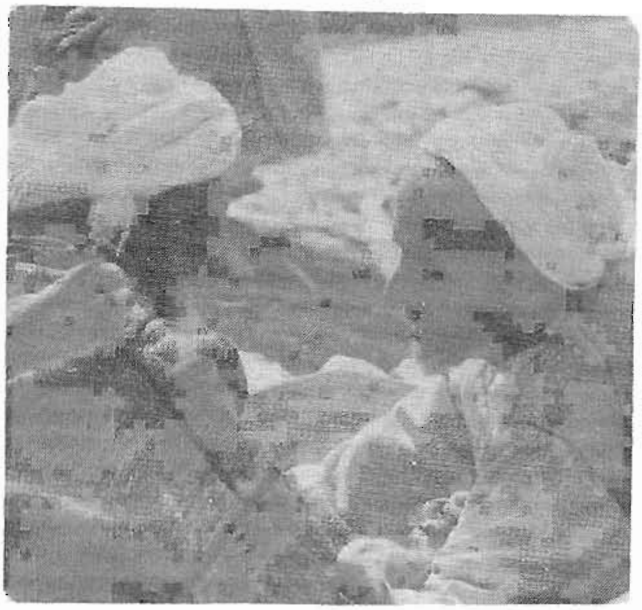
م. ابن عزوز حكيم. كشاف أسماء عائلات تطوان، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 712

محمد ابن عزوز حكيم

وهناك أولاد الروديَاس الرباطيون اشتهر منهم في الحركة الوطنية : ـ الروديَاس، إدريس.

الرزة أو العمامة، كان اللباس البلدي الأصيل بالمغرب قبل انتشار اللباس الرومي العصري الدخيل في المغرب ابتداء من 1912 يتألف في مظهره الخارجي من ثلاثة عناصر رئيسية : الرزة غطاء للرأس والجلباب رداء الجسم والبلغة حذاء للقدمين، وبسقوط أحد هذه العناصر كان اللباس يعتبر ناقصا والهندام غير كامل طبقا للعوائد والقواعد المتداولة في البلاد.

واعتبارا لما جرت عليه الأعراف والتقاليد المغربية في أساليب الارتداء، فإنه لم يكن بوسع أي شخص سما شأنه أو دنا أن يغادر بيته دون جلباب ورزة. إذ كان كشف الرأس أمراً غير مقبول ولا معمول إلاّ للبهاليل. أما الأطفال فلم يكن يسمح لهم على العكس بتغطية الرأس بالرزة ما لم يبلغوا سن الرشد. وفي هذا الصدد يقول المثل الشعبي المغربي : "الرزة بلا لحية من قلة الحيا" مما يعني بالضرورة والإجبار أن كل شخص ذكر بالغ ذي لحية وشارب لا يسمح له بترك رأسه حاسرا وإلا اعتبر "عديم الوقار وساقط المروءة وتاركا للآداب". وقد ذكر ابن رشد أن زمرة من الفقهاء ترى أن الصلاة بدون عمامة منهي عنها وإمامة الناس بدونها لا تجوز (*البيان والتحصيل*، الجزء الأول. ص. 335). وعليه فإن التخلي عن الرزة لم يكن أمرا مستساغا إلا داخل البيت وأثناء النوم وفي مناسك الحج. وبذلك فقد كان قص شعر اللحية وكشف الرأس يعتبر إهانة. فكان المخزن إذا أراد تمريغ شرف مذنب أو مقترف خطيئة قصوى والمبالغة في إذلاله طاف به الأحياء وعرضه في الساحات العمومية حاسر الرأس حليق الذقن والشارب.



والرزة قطعة ثوب على شكل شريط مستطيل من صوف أو قطن أو كتان أو طلس أو حرير تختلف جودتها ودقة صنعها وطريقة لفها على الرأس باختلاف المناسبات والمكانة الاجتماعية والمهام والمناطق الجغرافية. وكان المغاربة يتساوون كلهم في ارتدائها موسرين ومعسرين مع اختلافات واضحة بين الفئات. فكان المعسرون يقتصرون على اقتناء أصغرها حجما مما يكفي للف الرأس مرتين أو ثلاثاً على الأقل، أما الموسرون فكانوا يتخذونها من أحجام كبيرة بعضها يحيط بالرأس أكثر من عشر مرات.

وتدل الرزة في المغرب على العمامة غطاء الرأس السائد الاستعمال عند العرب منذ ما قبل الإسلام. وقد انتشرت على نطاق واسع في بلدان شمال إفريقيا مع الفتوحات الإسلامية (إبراهيم حركات، *السياسة والمجتمع في العصر الأموي*، ص. 243، الدار البيضاء، 1990). وهي لفظة تنطق بالراء وزاي المفتوحتين المشددتين وتجمع على رُزز ورزات بضم الراء وفتحها. إلا أن فعل رز ومصدره رزّ لا علاقة له بغطاء الرأس في المعاجم العربية. وقد حاولنا البحث عن أصل كلمة الرزة التي ساد استعمالها في سائر أرجاء المغرب حتى كادت أن تقصي إقصاء كليا لفظة العمامة في التداول فلم نجد لأصلها أثرا في اللغة العربية، وبذلك نرجح أنها من جذع أمازيغي إذ مازالت الكلمة الأمازيغية مستعملة في العديد من الجهات كما هي تماماً أو تنطق بالتاء المبسوطة ولا ندري هل اقتبس الأمازيغية السكان اسمها من اسم حشرة الزنبور الذي يبدو وكأنه يحمل عمامة على رأسه ومازال اسمه معروفا في سائر حواضر

عبدة ودكالة وحاحا والشياظمة وسوس وبواديها بأصله الأمازيغي حيث يدعى أرززي وبروزة وبورزيزة.

وتسمى الرزة أيضا العمامة والعصابة والشد والشان ولونها السائد هو الأبيض. لكن الشد يكون أصفر والشان أسود. ويستعمل الأول منها في منطقة جبالة وجبال الريف والشمال الشرقي من المغرب ومنطقة سوس. أما الشان فيسود في التخوم الصحراوية ويستعمل في أحيان كثيرة لتغطية الرأس والوجه والحنك والعنق كما يسدل على الكتف عند اشتداد الحرارة. وكان أحسن هذه الأنواع من الرزات في الحواضر المغربية حيث تسود الأذواق اللباسية الراقية هو "رزة القالب" وهي من نسيج ناعم أبيض زاه وكانت تلف لفا محكما وتطوى وتثنى ثنيا أنيقا حول طربوش ملبد أحمر يتكلف بإحكام تصفيفها وترتيبها حلاق الحي (الحجام) الذي كان من أهم اختصاصاته في المغرب زيادة على حلق الرؤوس وتشذيب اللحى ختان الأطفال وضرب العرق أي استخراج الدماء الفاسدة من الجسم وقلع الأضراس وأيضا ضرب الرزة على القالب أي إتقان طيها وليها. وقد استمرت الرزة غطاء الرأس السائد في البلاد إلى حدود بداية الأربعينيات حيث بدأت الطرابيش بجميع أشكالها تحل محلها وخاصة في الحواضر الكبرى وفي أوساط الشباب المنخرطين في الحركة الوطنية والداعين إلى تطوير الهندام التقليدي بما في ذلك غطاء الرأس فبدأت الرزة تزول تدريجيا من فوق الرؤوس وتوضع في متحف التاريخ.

م. فهد بدري، *العمامة*، مطبعة الحكومة، د. م 1968 ؛ م. رضا شرف الدين، *لباس الرأس في العرب*، د. ت ود. م ؛ م. عنابي، *الشاشية التونسية*، مجلة الأمل الثقافي، دون عدد ولا مكان الطبع، أكتوبر 1970 ؛ م. ابن رشد، *البيان والتحصيل*، الجزء الأول، بيروت، 1988، تح. د. محمد حجي وسعيد أعراب ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 18، الدار البيضاء، 1960 ؛ م. السعيد الرجراجي، *الفقيه محمد بن أحمد العبدي الكانوني حياته وفكره ومؤلفاته*، مراكش 2000 ؛ شهاب الدين الهيشي، *در الغمامة في در الطيلسان والعذبة والعمامة*، مخطوط خ. ع. رقم 911 ؛ إ. كربدية، *الفقيه محمد البيكوري سلفيا وطنيا ورائداً للتعليم الوطني*، مراكش 2000 ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد السلاويين*، الجزء الثاني، الرباط، 1991 ؛ إ. بن محمد العمراني، *تحفة الملك العزيز بمملكة باريز*، طنجة 1989، تقديم وتعليق زكي مبارك.

M. Chebel, *Le corps dans la tradition au Maghreb*, Paris, 1980 ; E. F. Gautier, *Mœurs et coutumes des musulmans*, Paris, 1931 ; L. Gentil, *Dans le bled Es Siba*, Paris, 1906 ; A. Benabdeljalil, *Le chant et la musique*, in *G.E.M. Civilisation Marocaine*, Casablanca, 1996 ; G. Babin, *Au Maroc par les camps et par les villes*, Paris, 1912 ; L. Brunot, *Textes arabes de Rabat*, Paris, 1931 ; G. Charmes, *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1887 ; L. Arnaud, *Au temps des mehallas*, Casablanca, 1952 ; P. Azan, *Souvenirs de Casablanca*, Paris, 1911.

محمد بوسلام

رزّوق، عبد الله مقاوم من مواليد سنة 1903 بآيت النصر بتغزة من والديه بهي بن أحمد وفاطمة بنت ابراهيم. من الأوائل الذين انخرطوا في صفوف جيش التحرير بمنطقة أيت باعمران ضمن المقاطعة الثالثة عشرة تحت إمرة محمد بن المختار.

كان من المجاهدين المخلصين الذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل الدفاع عن حوزة الوطن حيث شارك في عدة معارك منها بيجرفن، والدكنت، ومعارك العركوب وغيرها حيث أبلى البلاء الحسن وتكبد فيها العدو خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد.

توفي يوم الثلاثاء 15 شعبان عام 1415 / 17 يناير 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

رزّيمو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان سنة 1162 / 1749.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان : المراجع العربية والأجنبية في الرقم 714*.

محمد ابن عزوز حكيم

رزين (بنو -) إحدى قبائل غمارة وقد رجع منهم فريق إلى تطوان فكونوا عائلة نبيهة عريقة في المجد والغنى. وأول قاض عُرف اسمه تولى قضاء تطوان كان محمد الرزيني وصفه ابن القاضي بالفقيه النوازلي قاضي تطوان وذكر أنه توفي عام 930.

كان منهم أمراء بلاد السهلة بالأندلس، وفيهم وفرة وعدد، وبقي منهم الآن (أي سنة 712) بقية صالحة قاله صاحب *مفاخر البربر*.

الرّزيني، أسرة مخزنية من البيوتات النبيهة والفاعلة في المجتمع خلال القرن الثالث عشر (19 م) وكذلك في العقود الأولى من القرن العشرين. وهي ذات جذور ممتدة في الزمن وثرواتها ووظائفها متوارثة جزئيا، وتم دعمها، وتوسيع حجمها، وتنميتها في ظروف موائمة ومناسبة.

تمثل أسرة الرزيني أحسن تمثيل فئة الخدام المخزنيين الذين تأهلوا للخدمة بتعاطيهم التجارة مع الخارج، وورثوا خبرة وتجربة وممارسة عتها عائلاتهم في هذا الميدان. وسنحاول إبراز الدور الذي تسنى لبعض أبنائها الاضطلاع به، إن على مستوى بلدهم تطوان أو على مستوى المخزن المركزي.

ولكن، قبل هذا وذاك، من هم يا ترى، آل الرزيني ؟

لا أحد، فيما نعلم، من الإخباريين القدماء عند

بتفسير سبب حملهم هذه التسمية، ولكنهم يشيرون إلى نسبهم الأندلسي. فالفقيه أحمد بن محمد الرهوني مثلاً، والذي كان من الممكن أن يفيدنا في هذا الصدد، لو لفت انتباهه هذا الأمر، رغم ما ضمن مؤلفه : *"عمدة الراوين في تاريخ تطاوين"*، من معلومات طريفة وموضوعات مفيدة، لم يتساءل قط عن سبب تسميتهم بهذه الكنية. وأياً كان الأمر، فقد أثبت في قائمة القضاة الذين تعاقبوا على منصب القضاء في مدينة تطوان، ما بين سنة 888 / 1483. 1484 وسنة 1356 / 1937 . 1938، اسم شخص قد يكون من أجدادهم الأولين الذين ولاشك أنهم استوطنوا هذه البلدة، غداة سقوط مملكة غرناطة سنة 1492، في يد الغلاة المسيحيين بزعامة الملكين فرديناندو الأركوني وإيزا بلاّ القشتالية، ويتعلق الأمر بالقاضي محمد الرزيني الذي كان يزاول مهامه في حدود سنة 930 / 1523 . 1524.

على أنه قد يكون لاسمهم العائلي هذا علاقة بمدلوله اللغوي، إذ تردُ مادة "رَزَنَ"، أو "رزانة" مثلا في معاجم اللغة كالقاموس المحيط للفيروزبادي بمعنى العلو والسمو، والتثبت والتعقل مع أصالة في الرأي، وكلها صفات ونعوت تجسدت في أفراد هذه الأسرة الذين أمكننا العثور على بعض آثارهم وأخبارهم في المصادر.

ولعل خير دليل على ذلك، ما نقرأه في وصية السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى أبنائه الأمراء علي، وإبراهيم، وعبد الله، قبيل توجههم إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، في غرة شهر رمضان 1274، الموافق لشهري أبريل ومايو 1858، حيث أثنى العاهل على محمد ابن أحمد الرزيني المدعو الكبير المعين أمينا لركب الحجيج الأميري، وقال عنه ما يلي :

"... ومنذ نوينا توجيهكم لهذه الوجهة السعيدة، ونحن نجيل الفكر فيمن نوجهه معكم، حتى وقع اختيارنا على خديمنا الحاج محمد الرزيني لكونه نعم الرجل، واجتمع فيه من الأوصاف المحمودة ما افترق في غيره، فكونوا له بمنزلة الأولاد البررة، وليكن لكم بمنزلة الوالد الشفيق...". ولدينا أيضا دليل آخر لتأكيد ما ذهبنا إليه وهو تعيين التاجر عبد الكريم بن أحمد الرزيني، الأخ الأصغر لمحمد الرزيني السابق الذكر، أمينا وعاملاً على مدينة الصويرة، في الأيام الأخيرة من عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام في ظروف حرجة كانت تمر بها هذه المدينة، على إثراندلاع نزاع خطير بين العامل الأمين محمد بن عبد السلام بن زاكور وقواد الحامية العسكرية بها، حول الطريقة المتبعة في توزيع الكسوة على هؤلاء القواد وعلى رجالهم، حيث استثنى أبناءهم وأقاربهم العاملين في فرقتهم من عملية التوزيع هاته، وهذا ما أدى بهم إلى أن يوسعوه وابلاً من الشتم والسب والتهديد بالقتل.

وعلى أي حال، فإن محمد الرزيني هذا كان معدوداً من وجهاء مسقط رأسه وكبارتجاره أواخر عهد السلطان المولى سليمان، إذ ورد اسمه في قائمة الحاضرين سنة 1236 / 1820 . 1821، في مسجد القصبة بالمشور لعقد البيعة للأمير المولى السعيد بن اليزيد مكان عمه السلطان المولى سليمان. وبعد أن تم الأمر للمولى عبد الرحمن بن هشام سلطانا للمغرب سنة 1238 / 1822، وتولى القائد محمد بن عبد الرحمن أشعاش عاملا على المدينة سنة 1242 / 1826 . 1827، دشنت حملة قمع واعتقال في صفوف متزعمي حركة العصيان هذه، كما صودرت عقاراتهم وممتلكاتهم، إذ كان القصد من هذا كله خضد شوكتهم وكبح جماحهم. وهكذا ألقي القبض على التاجرين أحمد مارتيل ومحمد اللبادي، ووجها إلى سجن الصويرة في حين تمكن صاحبنا من الإفلات من قبضة القائد أشعاش، حيث كان غائبا عن تطوان في زيارة عمل إلى مدينة رباط الفتح، فانتهز الفرصة لمغادرتها، بل ومغادرة المغرب وذلك بإيعاز ومساعدة صديقه القائد محمد السويسي عامل مدينة الرباط. وهكذا حل بمدينة وهران عن طريق البحر وظل مقيما بها أكثر من خمس سنوات، مهتما بتجارته، متنقلا بين هذه المدينة والجزائر العاصمة.

وفي سنة 1247 / 1831 . 1832 التحق به أخوه عبد الكريم سابق الذكر، بقصد الاتجار في القطر الجزائري.

ولم تدم غربة التاجر التطواني سنوات عديدة بعيداً عن الأهل والأولاد، إذ صدر عفو السلطان عن الجميع، وأمكن للمغتربين الرجوع إلى بلادهم، وردت إليهم ممتلكاتهم وعقاراتهم، بل أكثر من ذلك، عين بعضهم في مناصب مخزنية سامية، فكان من نصيب صاحبنا محمد الرزيني أن أسندت إليه مهام وكيل المغاربة بمصر اعتباراً من سنة 1248/ 1832 . 1833، ثم قُنصل المغرب بجبل طارق وهو المنصب الذي ظل يشغله حتى سنة 1274 / 1856.

وقد قاسى الأمين محمد الرزيني الأمرين من جراء العدوان الإسباني الغاشم على مدينة تطوان سنة 1859 . 1860، وما أعقبه من احتلال، وسطو، واغتصاب ؛ وتعرض كما تعرض باقي أهالي المنطقة إلى كافة أنواع وأساليب القهر، والتشريد، والحرمان.

وما يثير الانتباه ويترك الاعتزاز والافتخار في النفس، هو غيرة هذين الرجلين وغيرهما من أفراد عائلتهما كالأمين أحمد الرزيني، والأمين عبد القادر الرزيني على بلدهم تطوان ووطنهم المغرب، حيث ساهم الحاج محمد الرزيني في وضع الخطة الدفاعية عن المدينة، وفي عمليات التنسيق بين السكان وممثلي المخزن في المنطقة، كالأمير المولى العباس، صنو السلطان الجديد سيدي محمد بن عبد الرحمن، والأمين محمد الزبدي الرباطي.

ومن المعلوم كذلك أن هذا الاعتداء الإسباني على المغرب وعلى واحدة من أهم حواضره الشمالية، بل أكثرها نشاطا وحيوية في مجالات وقطاعات ثقافية، وإنتاجية وتجارية عديدة في النصف الأول من القرن الثالث عشر

(19 م)، قد كان له عواقب وخيمة على مدينة تطوان وأهلها من جهة، وعلى المغرب بأكمله من جهة أخرى سياسيا، واجتماعيا، واقتصاديا.

ومن ثمة تراجع نفوذ ومكانة العديد من رجالات التجارة والمال وفي مقدمتهم آل الرزيني في الجهاز المخزني في النصف الثاني من القرن المذكور. إذ لم تعد لهم تلكم الحظوة والمكانة المتميزتان اللتان ظلوا يتمتعون بهما على عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام. وحسبنا أن نذكر هنا أن لا أثر لهم إطلاقا في قائمة الموقعين على بيعة أهل تطوان للمولى الحسن سلطانا للمغرب سنة 1290 / 1873، كما لا ذكر لأحد منهم في قائمة كبار تجار وأعيان هذه المدينة والتي وردت في نشرة إفريقيا الفرنسية لسنة 1908، بخلاف تضمنها أسماء تجار وأمناء آخرين كأحمد الركينة وعلي مارتيل وأحمد مدينة.

خ. ح، محفظات المولى عبد الرحمن بن هشام، ك 4 وك 5، كناش رقم 121، ص. 11 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج 9، ص. 42 ؛ ص. 71 - 74 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، 1929، 1933، ج 3، ص. 414 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، د. ت، ج. 3، ص. 278، ص. 336، 337 ؛ *مجلة الوثائق*، الرباط، 1976، ج. 3، ص. 197 - 199.

مصطفى الشابي

الرزيني، أحمد (الحاج -) التطواني الأندلسي الأمين الحازم، كان أمينا بمرسى طنجة عام 1259 وكانت بينه وبين قائد تطوان محمد بن عبد الرحمن أشعاش صداقة متينة، وتعاون وثيق مخلص في شؤون بلدهما المغرب، وكانا معا محل ثقة السلطان مولاي عبد الرحمن ووزرائه.

واستمر أمينا إلى عام 1263 وفي *تاريخ تطوان* لداود وخصوصا المجلد التاسع عشرات المراسم والرسائل السلطانية والوزارية في مختلف المهام والوظائف المخزنية تتعلق بالمترجم له وابنه وأخيه وغيرهما من أفراد هذه الأسرة التي يعرف عنها مخالطه لدولة الأنجليز.

لم أقف على تاريخ وفاته.

أ. الزهري، *عمدة الراوين*، 3، 104، مخطوط ؛ *مفاخر البربر*، ص. 79، ط. الرباط ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تر. عدد 615، م. داود، تاريخ تطوان، الجزء التاسع، طبع تطوان.

الرزيني، عبد الكريم بن الحاج أحمد سابق الترجمة أحد رجال أسرة الرزيني التطوانية. كانت الأمانة السمة الأولى للمترجم له ولأخيه ولأبيهما ولبعض أحفادهما فما منهم من أحد إلا تولى أمانة مدينة أو مرسى. وأضاف المترجم اشتهاره بالتجارة والسفر إلى الأقطار والبلدان من أجلها وتنفيذ الخدمات السلطانية. وقد عين أمينا للصويرة عام 1275 / 1858 إلى أن استعفى عام 1290 / 1873. وتوفي بعد ذلك.

أ. الزهري، *عمدة الراوين*، 3، 104، مخطوط ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، ص. 79، ط. الرباط ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، تر. عدد 615 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3، 362.

الرزيني، محمد بن الحاج أحمد أخو سابق الترجمة، تولى الوكالة عن المغرب (قنصل عام) بجبل طارق عام 1260 / 1844 وفي سنة 1269 / 1852 عين أمينا بطنجة.

وفي السنة 1274 / 1857 وقع اختيار السلطان مولاي عبد الرحمن على المترجم له لصحبة أولاده والإشراف عليهم في رحلة الحج، وأصدر بذلك مرسوما يتضمن التنويه بالمترجم.

قال صاحب *الاستقصا* : "أخبرني الحاج عبد الكريم بن الحاج أحمد الرزيني، أخو الحاج محمد المذكور آنفا، أن السلطان المولى عبد الرحمن رحمه الله لما عزم على بعث أولاده إلى الحجاز استدعى الأمين الحاج محمد المذكور فدخل عليه فأوصاه بما تنبغي الوصاية به وأخبره أن المال الذي عينه للنفقة على الأولاد المذكورين هي نفقة جمعت من حلال بعضها من أصول بتافيلالت، وبعضها من غيرها مما هو حلال، وقال له : احتفظ بذلك المال واجعل السخاء بمنزلة الملح من الطعام".

وكان من المرسوم الملكي الذي نوه فيه بالمترجم له قوله : واعلموا أننا عيّنا عشرين ألف ريال بقصد أن يشترى بها حبس في سبيل الله، عشرة آلاف ريال يشترى بها ما يكون حبسا بمكة وعشرة آلاف ريال ريال يشتري بها ما يكون حبسا في سبيل الله بالمدينة المنورة. وقد تمت الحجة ونفذت وصية السلطان. وأثبت النقيب ابن زيدان في *الإتحاف* نص عقود الشراء، والوقف وكل ذلك باسم الرزيني المذكور.

والمعروف إلى الآن عن أفراد هذه الأسرة وخصوصا المترجم له الرزيني (الكبير) السخاء والكرم والعطف على الفقراء والمساكين حتى لقب (أبا المساكين).

توفي رحمه الله بتطوان عام 1278 / 1861.

أ. الزهري، *عمدة الراوين*، 3 : 104، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 362، ومعظم المجلد الثالث، ط. تطوان.

محمد بوخبزة

الرسائل الإخوانية والديوانية، يكاد ينحصر النثر الفني بالمغرب بعد الفتح الإسلامي، في نص فريد نسب لطارق بن زياد البربري، وهو نص خطبته الحربية التي ألقاها في جنوده يدعوهم إلى القتال والاستماتة فيه. ولعل ما يحوم حول هذه الخطبة من الشكوك يجعلنا نستبعد أن تكون لطارق فعلا لأنه مايزال وقتئذ حديث عهد بالعربية ولا تتجاوز مدة اعتناقه للإسلام الخمس سنوات إذ اعتبرنا أنه أسلم مع دخول موسى بن نصير إلى

المغرب. وفي فترة الأدارسة زاد انتشار الإسلام وشيوع العربية على الألسنة، بعد أن طوّق عبد الحميد الأوربي وبرابرة المغرب عنق المولى إدريس بالبيعة، وبذلك بدأ التاريخ الفعلي للمغاربة المسلمين بتأسيس الدولة الإدريسية سنة 172 هـ كأول دولة عربية إسلامية بالمغرب الأقصى. ومازال المولى إدريس الأول يوطد أركان الدولة الجديدة حتى اغتيل سنة 177، فخلفه نجله المولى إدريس الثاني الذي وسع رقعة الدولة ورسّخ الإسلام في دواليبها، غير أن وفاته أدت إلى ذيوع الفتن وانتشار الاضطرابات والقلاقل، وتنازع أبناؤه الملك. فظهرت إمارتان كبيرتان : النكور في الشمال وإمارة بني مدرار في الجنوب، وظهرت حركات انفصالية عديدة وزعت المغرب أشلاء. وفي ظل هذه الأوضاع المضطربة ظل الأدب يتقدم نسبيا كماً وكيفاً.

وهكذا تذكر كتب الأدب ومصادر التاريخ المغربي خطبا ورسائل، وربما يكون النثر في ظل هذه الظروف الحربية والتكتلات والأحلاف أكثر ازدهارا من الشعر. فالخطباء والمترسلون مدعوون لاستنهاض الهمم ووعظ الناس والكتابة حول ظواهر المجتمع والمناسبات الخاصة والعامة.

ومن مآثر المغاربة في فن النثر عدا الخطب أو الكتابة الديوانية بعض الرسائل المنسوبة لإدريس الثاني، وهي وإن حام حولها الشك في نسبتها لقائلها، فإنها تحمل من عناصر الكتابة الفنية العربية ما يُظهر ميل المغاربة إلى اصطناع أساليب النثر المشرقي في نزوعهم إلى الأسلوب المحافظ.

وقد شهد الواقع الأدبي تحولا عميقا في عهد المرابطين نظرا لأسباب سياسية ولغوية وثقافية. فالسياسة المرابطية التي سنها يوسف بن تاشفين. ومن قبله الزعيم عبد الله بن ياسين كان لها أثر فعال في خلق وعي أدبي في هذا العهد. وتعتمد هذه السياسة على إشاعة الدين الإسلامي في الأوساط الخاصة والعامة والسهر على تعليم العربية وتلقينها لجميع فئات المجتمع. وقد أدى هذا الوضع من ذيوع الإسلام إلى اهتمام الناس بالدين وانفتاحهم على التعلم والتفقه في الدين.

نهجت الدولة المرابطية نهجا متميزا في الانفتاح على الفقه المالكي وفروعه في جميع أصقاع الامبراطورية المرابطية. وساعد هذا الوضع على نشر المعرفة الفقهية بين طائفة كبيرة من للفقهاء المسلمين، مما شجع على شيوع العربية والأدب بجميع أنواعه في بيئة أولى فيها الخلفاء والسلاطين المرابطون أهمية بالغة للفقهاء والأدباء والمعارف والآداب العربية.

كما شجع السلاطين وكبار الوزراء في الدولة المرابطية الشعراء على القول والكتاب على الترسل، فازدهرت الحركة الأدبية وظهر فيها تيار نثري، ينهج النهج المشرقي في النثر الفني. ولعل أهم كتّاب هذه الفترة من المترسلين ابن بياع السبتي المعروف بابن زنباع من رجال القرن الخامس (11 م) أديب شاعر وكاتب مترسل من آثار تطور كتابته سيره على نهج الجاحظ في الترسل الفني من حيث الميل إلى الجمل القصار واللجوء إلى الاستقراء في تقليب الفكرة ذاتها على وجود عديدة والميل إلى الأبنية السجعية والبديعية.

والقاضي عياض اليحصبي السبتي أيضاً الذي اشتهر بأنماط من الكتابة النثرية المغربية، فقد اشتهر بالكتابة الديوانية والفقهية وكتابة الأحكام باعتباره قاضيا، والكتابة التأليفية أو ما يدعى النثر التأليفي المرتبط بالكتب والمؤلفات التي وضعها وعلى رأسها كتاب *الشفا*. ولعل أهم أنماط الكتابة لديه النثر الفني وكتابة الرسائل وهذه بعض مزاياه في هذا الفن نذكرها في الملاحظات الآتية :

ـ تتوزع آثار القاضي عياض النثرية من رسائل وخطب فنية ذات طابع اجتماعي وأخوي وديني، بين عدة كتب ومصادر تاريخية. وأقدم هذه المصادر وأهمها كتاب *قلائد العقيان* للفتح بن خاقان وكتاب *التعريف* لولد القاضي عياض وكتاب أزهار الرياض للمقري. وبالعودة إلى هذه المصادر المختلفة نلاحظ تعدد موضوعات رسائل القاضي عياض وتنوعها ولاسيما الإخوانية.

فقد كان لتفتحه على العالم الإسلامي دور كبير في تبادل القاضي عياض الآراء الفقهية والمذهبية مع فقهاء المشرق وعلماء المذاهب المختلفة. فنلفيه يراسل الزمخشري وابن خاقان وابن العريف. كما يراسل تلامذته وشيوخه كابن رشد الجد.

يبني القاضي عياض رسائله وفق هرم لا يكاد يختلف فيه المترسلون في مختلف العصور. ويتألف هذا الهرم التركيبي من العناصر الآتية :

ـ الاستهلال أو المطلع : وبه يفتتح الكاتب رسالته منهيا إلى علم القارئ أو المتلقي السبب الداعي إلى تدبيج الرسالة والبواعث على ذلك إذا كانت مما يلزم ذكره، وقد يمتزج الاستهلال بالتصدير وهو ما يلزم من البسملة والحمدلة وما أشبه ذلك.

ـ ذكر غرض الرسالة وبدون هذا العنصر لا تكاد تستقيم الكتابة في الرسائل، لأن كل رسالة تحمل عناصر فكرة معينة يرد الكاتب تبليغها. واستكمالا لتصور الرسالة ووظيفتها التداولية يلزم ذكر الغرض من تأليفها ولا سيما في الرسائل الإخوانية والاجتماعية التي تكون فيها المناسبات دقيقة ومخصوصة بإطار محدّد.

ـ الخاتمة والتحية : وهي العناصر التي ينهي بها الكاتب رسالته بأن يضع حدا للكتابة بالتوقف من خلال عملية خروج من الموضوع تدريجيا على *طريقة* حسن الاختتام.

ـ كانت موضوعات القاضي عياض في رسائله الإخوانية والاجتماعية تدور غالبا حول موضوعات طرقها المشارقة من المعاتبة أو التباري أو إثبات قوة الحجة أوإظهار القدرة على الكتابة. وقد ينجرّ الكاتب من هذه السبل إلى التكلف. وهو أمر ينجم عن طلب السجع في كل جملة

والبحث عن الموازنات في اللفظ والمعنى إظهارا للذات وشحذا للمهارات القولية ونكاية في الخصوم أيضا.

. على الرغم من الإغراق في لطائف البيان وأصباغ البديع تزخر الرسائل الإخوانية والاجتماعية الفنية بألوان ثقافية تعكس اتساع أفق الكاتب وانفتاحه على جملة من العلوم والمعارف.

. من طوابع الترسل الفني في العهد المرابطي من خلال رسائل القاضي عياض استمداد ألفاظه ومعانيه من ألفاظ القرآن والسنة والفقه والأدب العربي الذي اطلع عليه.

واعتماداً على هذا الاستنتاج يمكن القول بأن القاضي عياض يمثل التوجه المغربي الإسلامي في الكتابة النثرية الفنية فضلا عن خطبه الدينية وتآليفه الفقهي والأدبي الذي تظهر فيه آثار الوعي الإسلامي واضحة لا تحتاج إلى دليل. فإن آثاره الفنية المتمثلة في رسائله الإخوانية والاجتماعية نموذج للكتابة العربية التي جمعت إلى قوة التعبير المشرقي وفصاحته قوة التوجه المغربي في إثبات الشخصية المغربية في الكتابة والاستمداد من واقع الثقافة الفروعية المغربية في العهد المرابطي والثقافة الأصولية في العهد الموحدي. ولا شك في أن القاضي عياض الكاتب جسد هذين الاتجاهين في نثره الفني ورسائله المتنوعة.

وفي عهد الموحدين نضجت الكتابة الفنية أكثر إذ كان فن الرسائل والنثر عموما يختلف عن الشعر باعتبار المقوم الفكري والعقلي الذي يكون قويا في النثر وضعيفا في الشعر مبدئيا، فإن النثر الفني والرسائل الموحدية كرّست هذا التصور. إذ أضحت الكتابة الفنية مجالا رحبا لعرض التصورات المذهبية الموحدية التي سعت جاهدة منذ عهد المهدي بن تومرت، إلى نبذ تعددية المذاهب والنحل في العالم الإسلامي، وحاولت رأب الصدع وجمع شمل الأمة حول الأصول والمصادر الأصلية بدل الفروع التي هي مدعاة للفرقة والاختلاف.

وقد كانت هذه النزعة التوحيدية الجديدة مستجيبة لظرفية تاريخية فشا فيها التمرد المذهبي الخارجي لما أرقعه الإباضية والصفرية من القلاقل في بلاد المغرب في تلك الأونة وقبلها في إمارة بني مدرار بسجلماسة.

كان لانتشار العقيدة الموحدية في صفوف أدباء هذه الفترة أثر كبير على تغيير وجه الكتابة الأدبية، فضلا عن النثر التأليفي. فإذا كانت بعض العلوم محظورة في العهد المرابطي السابق كالفلسفة وعلم المنطق والتوحيد، فإنها قد عادت إلى الصدارة في الثقافة الموحدية بحيث صار الاشتغال بها فضيلة تحسب لمن يقدم عليها ولاسيما علم الأصول والكلام والفلسفة.

ومن مظاهر التجديد في رسائل هذه الفترة ازدهار فن المناظرة، وأشهرها تلك التي جرت وقائعها بين زعيم الموحدين ابن تومرت وفقهاء المرابطين. ويظهر من جمل هذه المناظرة أنها سُبكت في لغة عربية رصينة يطغى عليها السجع وعنف ظاهر في النبرة وأوصاف قاسية تفصح عن حنق ابن تومرت وغضبه على فقهاء المرابطين. وازدهرت الكتابة النثرية والفنية في زمن الموحدين على يد الكاتب المترسل أبي جعفر ابن عطية (517 / 553) الذي عاش في الربع الأخير من ليل المرابطين، وبزوغ فجر الموحدين.

وإلى جانب كتابته الديوانية الرسمية، كان لأبي جعفر ابن عطية رسائل إخوانية واجتماعية ذات طوابع فنية رسخت صورة الكتابة الترسلية المغربية باعتماد طريقة السجع وتوالي الفواصل مع اهتمام واضح بالموازنات الصوتية والمعنوية. وحرص على الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف وتضمين الأمثال والاستشهاد بالأشعار ومأثور الكلام العربي، والسير على نهج الإرادة الموحدية في مناهضة الفروع وترسيخ مبدأ الإمامة في الخلافة وتكريس العناصر الغيبية في الدفاع عن شرعية الخلافة كالمهدوية والعصمة والدعوة إلى الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكانت هذه المضامين مادة متجددة في رسائل هذا الكاتب بما فيها الإخوانية والاجتماعية.

وفي فترة المرينيين والوطاسيين تأصّل فن الرسائل الفنية وعادت هيمنة المذهب المالكي ونظرته الفروعية في الدراسات الدينية، وأبدى السلاطين المرينيون اهتماما كبيرا بالمذهب ورجالاته وصدروا في مواقفهم عن فتاوى المالكية وآرائهم.

وأما اهتمام المرينيين بالعلم فقد كان السلطان المريني أبو الحسن نموذجا فذا في هذه المكرمة إذ كان معه وفي حاشيته مئات العلماء، والفقهاء ورجال المعرفة ممن يصحبهم ويستشيرهم في أمور الحياة والدين فضلا عن السياسة، بل ويدرس معهم الكتاب والسنة وعلوم الإسلام.

وازدهرت أوضاع الأدب شعرا ونثرا في هذه الفترة وسوف نورد مزايا الترسل الفني في هذه الفترة من خلال رصد ملامح هذه الظاهرة لدى كبير أدباء هذه المرحلة وهو الكاتب والشاعر مالك بن المرحل السبتي (604 / 699) الذي اشتهر برسائله الإخوانية والفنية وتميزت أساليب كتابته الترسلية باستمدادها لمقوماتها من التجربة العربية القديمة الشاملة لطرق التعبير عند الجاحظ والهمذاني والحريري وابن العميد وغيرهم من أساطين الكتابة الترسلية العربية القديمة.

خاض ابن المرحل في تجربة الترسل الفني فأصّل هذا الفن في الأدب المغربي بإسهامه الوافر من جهة ومزايا كتابته وطوابعها المتمثلة في اصطناع الأساليب العربية الرصينة والنزوع إلى أسلوب التزيين البلاغي والوصف الدقيق وكثرة الاقتباس والتضمين لدرجة بذ فيها غيره من كتاب المرحلة، ونفوره من التعقيد والمماطلة اللفظية ولجوؤه إلى ركوب السهل الممتنع من الأساليب التي تعكس ألوان ثقافة الكاتب ومعارفه، وتبرز قدراته اللغوية وامتلاكه

لناصية التعبير العربي، بتجنبه للحوشي والمبتذل من الألفاظ والسخيف من المعاني، وتدرجه بصورة عقلية من معنى إلى آخر بالتخلص من فكرة إلى فكرة وفق منطق تدرجي محكم يدل على وضوح القصد ومتانة البناء.

وفي فترة السعديين ازدهر الترسل الفني بالمغرب وسوف نقف في الملاحظات الآتية على بعض ملامح هذا التطور والازدهار ولا سيما في الرسائل الفنية الإخوانية والاجتماعية من خلال ما بقي منها وهو رصيد كبير وغني ومتنوع بالقياس إلى الحصاد السابق في المراحل السابقة من تاريخ الترسل في المغرب، ولعل أبرز مجموعات الرسائل التي خلفها العهد السعدي مجموعة *رسائل سعدية* تضم ما نشره دوكاستري وما نشره گنون وما حققه ودرسه مصطفى بنعلة.

واشتهر في فن الترسل نفر كبير من الكتاب يتقدمهم وزير القلم أبو فارس عبد العزيز الفشتالي الذي كان عالما بفن الكتابة متقنا لأساليبها على النهج الأندلسي ماهرا في طرق المواضيع المختلفة لا تعوزه لغة ولا معنى، وصار مدرسة قائمة الذات يسعى الكتاب الناشئون إلى التعلم في كنفها. واشتهر إلى جانب الفشتالي كتاب آخرون في بلاط المنصور ذكرهم أبو العباس أحمد بن محمد المقري وأثنى عليهم.

وكما ازدهرت رسائل السياسة والمناظرات اللغوية والرسائل الدينية والصوفية وازدهرت فنون الخطابة الفنية وعلى رأسها الخطابة الاجتماعية والإخوانية ذات الموضوعات الوجدانية كما نذكر في الملاحظات الآتية :

ظهرت فئة من الرسائل التي تخاطب المزار الشريف وتتوجه بعبارات الشوق واللهفة القلبية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وبها من المناجاة ما تتفطر له قلوب الصوفية وعشاق المقام المحمدي، وعباراتها مؤثرة ومستمدة من القرآن والسيرة على وجه خاص، وبها أذكار وأدعية ونتف شعرية.

ومن الرسائل السعدية ما تم التركيز فيه على علاقات المحبة والأخوة بين الشيوخ ومريديهم وعشيرتهم كرسائل الشيخ مَحمد ابن ناصر الدرعي إلى أهله ورسائل أحمد بن إبراهيم التساوتي الصوفية، ورسائل أحمد بن عبد الله الدلائي إلى أهله وأقاربه ورسائل التهنئة بالحج أو بالأعراس أو الصحة ورسائل التقريظ والتنويه والصداقة والمواساة وغيرها من الموضوعات الاجتماعية المتنوعة بتنوع خبرة الإنسان في وجوده اليومي ومعاناته في الحياة والعيش مع غيره.

- ازدهرت الخطابة الفنية والترسل على يد الفقيه الكاتب أبي علي اليوسي الحسن بن مسعود، الذي جال ببلاد المغرب بعد خروجه من قبيلته الأصلية أيت يوسي، ثم، استقر بالزاوية الدلائية وتصدى للتدريس وله ضلع كبير في علوم الدين واللغة والأدب. وقد عاش اليوسي فترة المخاض بين عصر السعديين وعصر العلويين، ورسائله متميزة تمثل حركة فكرية قائمة على أساس الإصلاح الديني والروحي. وتتمثل مزايا أسلوبه في الإيجاز والاتياح من روح الدين الإسلامي وحيا وشريعة، له أسلوب يميل إلى الوضوح مع المتانة على طريقة السهل الممتنع القديم، تسبق الفكرة إلى ذهن المتلقي قبل أن يلتفت إلى لبوسها اللفظي والفني. ولعل منحى اليوسي في النسك والتصوف طبع عبارته الفنية في رسائله بالاقتصاد في أصباغ البلاغة إلا في حدود ما تدعو إليه الحاجة التعبيرية والمقام والغرض، لأن القصد لديه إنما هو توصيل الأفكار والمواقف وليس البهرجة أو الحذلقة اللفظية.

ثم تطورت أوضاع المغرب الاقتصادية والسياسية في ظل الدولة العلوية، وانتشرت الثقافة والعلوم عبر الأصقاع المختلفة، واهتم سلاطين الدولة بالعلم والأدب والفكر وخصصوا الجوائز والمنح والصلات المالية الكبيرة للمبرزين من العلماء والأدباء. واشتهر نفر من السلاطين بالمشاركة في الفقه والعلم والأدب على نحو ما نقرؤه عن سيدي محمد بن عبد الله، واشتهر أدباء على عهد الدولة العلوية كابن الونان وحمدون بن الحاج وابن إدريس العمراوي والفقيه الأديب أكنسوس والأديب ابن زاكور الفاسي والزروالي وابن الطيب العلمي وظلت ملامح الكتابة الأدبية الفنية على ما كانت عليه في العهد السعدي تشمل الموضوعات الإخوانية والاجتماعية والسياسية والدينية، ولم يظهر تجديد يذكر ما عدا كتابة المقامات التي ازدهرت بصورة ملحوظة، وأما باقي الظواهر الترسلية فقد كانت على شاكلة نثر المرحلة السعدية كما يظهر في مدرسة اليوسي الفنية الذي أشرنا إلى بعض مزاياها، فالأديب ابن زاكور الفاسي (1076 . 1120 هـ) له من الرسائل والخطب ما يعكس أثر المنحى اليوسي في الكتابة في نبذ المحسنات البديعية والاقتصاد في استجلاب وسائل التزيين البلاغية إلا متى كان ذلك سانحا من غير تكلف ولا رشح جبين.

ومن أنصار هذا الاتجاه الأديب الكاتب ابن الطيب العلمي (ت. 1134) تلميذ ابن زاكور ويتفق معه في سلاسة التعبير وخلوه من التكلف وله إسهام ظاهر في فن المقامات. وممن سار على هذا النهج في الكتابة المرسلة الأديب ابن إدريس العمراوي (ت. 1263)، وله نثر ترسلي إخواني واجتماعي يغلب عليه السجع والبديع في المقامات على وجه الخصوص.

ولعل أبرز تجديد ظهر في فن الخطابة والترسل في عهد سيدي محمد بن عبد الله وإلى حدود عهد المولى الحسن الأول، هو ذلك المنحى السلفي الذي تخصص فيه نفر من المترسلين والكتاب بغية الإصلاح والعودة بالمجتمع إلى أصول الدين الإسلامي.

وإذا جاز أن نعتبر هذا المعلم الفكري أساسيا في توجيه حركة الكتابة الترسلية في المغرب في تلك الفترة فإننا نقرر

أن هذا الخطاب الجديد تفاعل وجدانيا في نفوس المغاربة مع أصوله المشرقية التي غذتها الحركة الوهابية بأساليب مختلفة، مما أدى إلى انتشار هذا النفس الإصلاحي الإسلامي لدى طوائف كبيرة من أدباء العصر العلوي، وهذا النفس سيستمر عبر الخطابة الدينية والمقالة الأدبية الإصلاحية التي تعتبر تطويراً لشكل الرسالة الفنية التي بدأت منذ ذلك الوقت تختفي لصالح الأشكال النثرية الفنية الحديثة كالمقالة الدينية الوعظية والمقالة الاجتماعية وغيرها من الفنون النثرية الفنية الجديدة في الأدب المغربي الحديث والمعاصر.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1985 ؛ الفتح ابن خاقان، قلائد العقبان، بولاق، 1283 ؛ م. ابن عياض، *التعريف بالقاضي عياض*، المحمدية ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 1 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. سعيد أعراب وآخر، المحمدية، 1978 ـ 1980 ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس ؛ *وفيات الأعيان* ؛ م. مختار العبادي، *دراسات مغربية وأندلسية* ؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة النظار*، 2 : 761 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، الدار البيضاء، 1985 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، 1 : 55 ؛ *مجموعة رسائل سعدية*، تح. ع. الله گنون ؛ فاطمة خليل القبلي، *رسائل اليوسي*، الدار البيضاء، 1981.

محمد أديوان

الرسائل السلطانية أو الرسمية. نجد معظم رسائل الفترة الوسيطية منسوخة في كتب الآداب خاصة، إذ كان الغرض الأساسي اختيار نماذج من فن الكتابة النثرية، ولهذا تعرضت في معظمها من قبل النساخ للبتر وتشويه أسماء الأعلام الواردة فيها. أما ما بقي من الرسائل على أصولها فهي غالبا تلك التي استقرت في الخزائن الأوربية خاصة في إسبانيا وإيطاليا. ويظهر أن أهم أسباب ضياع أصول الرسائل داخل المغرب الوسيطي ترجع إلى القلاقل التي عرفها وتبدلات الأسر الحاكمة به.

إذا تتبعنا هذه الرسائل منذ الفتح الإسلامي وجدناها ـ حسب ما في علمنا لحد الآن ـ محدودة العدد حتى العصر المرابطي، ومنها خاصة رسائل تهم العلاقات بين المغرب وأمويي الأندلس. وخلال الفترة المرابطية تتكاثر الرسائل السلطانية ويرتفع مستواها الأدبي باستعمال أدباء مشاهير في ديوان الإنشاء، وما بأيدينا منها معظمه منصب على الاهتمام بالأندلس. وتتميز هذه الرسائل عامة بقصرها ـ إن لم تكن مبتورة ـ مقارنة مع رسائل الفترة اللاحقة.

خلال العصر الموحدي تصبح الرسائل أكثر عددا، وقد تمكّن الباحث الإيطالي ميشيل أماري في القرن الثالث عشر (19 م) من نشر المراسلات المحفوظة في فلورنسا والتي دخلت إيطاليا من مصر وبلدان المغرب ومنها الدولتان الموحدية والمرينية. كما قام المستعرب الفرنسي ليفي بروفنصال بنشر سبع وثلاثين رسالة موحدية سنة 1360 / 1941 تحت عنوان مجموع *رسائل موحدية من إنشاء كتّاب الدولة المومنية*. وأنجز كاتب هذه المادة ـ في إطار تحضير دبلوم الدراسات العليا ـ تحقيقاً ودراسة لما يزيد على مائتي رسالة موحدية نشرها تحت عنوان *رسائل موحدية ـ مجموعة جديدة*، وكان هذا العمل حافزاً لدراسة وتحقيق رسائل عن الفترة اللاحقة والمتعلقة بالغرب الإسلامي عامة خلال القرنين السابع والثامن للهجرة (13 ـ 14 م) (فشملت رسائل موحدية متأخرة ومرينية وزيانية وحفصية ونصرية) وذلك في إطار تهييئ دكتوراه دولة بعنوان *الغرب الإسلامي من خلال رسائله*، وقد بلغ عدد هذه الرسائل ما يقرب من خمسمائة رسالة غطت مع دراستها أكثر من 1800 صفحة. هذا إضافة إلى ما نشره الباحث رشيد السلامي فيما يتعلق *بمجموعة من الوثائق المرينية* (مرقونة)، وما نشره أيضا الباحث التونسي محمد الحبيب الهيلة فيما يتعلق *برسائل عن الأمراء العزفيين* بسبتة في النصف الثاني من القرن السابع.

تختلف أحجام الرسائل "السلطانية" حسب عصرها وحسب موضوعاتها ؛ فبالنسبة لعصرها نجد رسائل الفترتين الموحدية والمرينية أطول عموما، فنحن أمام عصر ازدهار فن الترسيل، حيث ظهرت كتب مختصة فيه مثل كتاب *العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل* لأبي القاسم البلوي (مطلع القرن السابع)، *ورسائل أبي المطرف ابن عميرة* التي تهم الأندلس والمغرب وإفريقية في النصف الأول من القرن السابع، *وفصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن خطاب* التي تهم الأندلس وعلاقة المغرب الأوسط بإفريقية خلال النصف الثاني من القرن السابع، ثم ابن الخطيب أشهر أدباء القرن الثامن الذي خلف ثروة هامة من المراسلات جمع معظمها في كتاب *ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب* الذي صنفه حسب فنون الترسيل، وجميع الرسائل السلطانية لهؤلاء وغيرهم من رجال القرون السادس والسابع والثامن (12 ـ 14 م) هي منشورة في البحثين المذكورين *رسائل موحدية والغرب الإسلامي من خلال رسائله*.

وتختلف أحجام الرسائل حسب موضوعاتها، فهي أقصر ما يكون فيما عُرف بالتوقيعات أي الإجابات المختصرة والمباشرة، وفي رسائل العتاب، وكذا الرسائل الموجهة ـ بشكل عام ـ إلى ملوك النصارى، وفي هذه الحالة تخلو من المحسنات اللفظية ومن العبارات التي يصعب فهمها على المترجمين لدى هؤلاء الملوك، إضافة إلى كون العديد منها عبارة عن عقود اتفاقات أو شكايات من أعمال القرصنة... وتكون الرسائل طويلة عادة إذا كانت في موضوع البيعات أو الفتوح أو التهاني بالفتوح أو الوصايا لولاة الأمور،

وكذلك بالنسبة للرسائل الموجهة إلى سلاطين مسلمين.

تتكون أجزاء الرسالة عامة ـ إذا لم تكن مبتورة البداية والنهاية ـ من الصدر، والمضمّن، والخاتمة (التي قد تحتوي على الدعاء أو وصية إن كانت الرسالة أو الظهير صادرا عن السلطة العليا)، وهذه الأجزاء غير متكافئة :

يبتدئ الصدر فيما بقي من الرسائل المرابطية ـ إن لم تكن مبتورة ـ بعبارة مثل "كتابنا إليكم (دعاء) من حضرة (فلانة) "... ثم يرد ذكر التاريخ صراحة أو مشوها (في شهر كذا من سنة كذا) ثم المقصود من الرسالة. وفي العصرين الموحدي والمريني يبتدئ الصدر بالبسملة والتصلية في أعلى الرسالة ثم بالمكتوب عنه ثم المكتوب إليه إلا إذا كان هذا أرفع درجة من الأول فيقدم عليه كما هو حال الرسائل الواردة من الجهات إلى مركز الدولة، ثم الجهة المكتوب منها، ويؤتى بالبعدية والحمدلة والتصلية (والترضية عن المهدي إن كانت موحدية أو حفصية)، والدعاء للحاكم ثم لوليّ عهده إن وُجد. أما المرحلة الانتقالية من الصدر إلى ما بعده فيؤتى فيها بعبارة مثل : إنا كتبناه إليكم ـ كتب الله لكم (دعاء) من فلانة (الجهة..." أو كُتب ـ كتب الله لكم (دعاء)... وعادة ما يتضمن الصدر تلميحاً لمضمّن الرسالة، وهو يطول أو يقصر حسب طولها أو قصرها ومضمّنها. هذا بالنسبة للرسائل العامة، أما رسائل البيعات فلا يشتمل صدرها على المكتوب عنه أو المكتوب إليه بل تبدأ مباشرة بالحمدلة والتصلية بصورة مطولة غالباً. والملاحظ أن كثيراً من الرسائل المنسوخة حذف صدرها أو اختصر أو عُوّض اسم المكتوب عنه والمكتوب إليه بالرمز "فلان أو أبي فلان أو السلطان الكذا بن السلطان الكذا، وعُوّضت الجهة بفلانة، كما عوّض التاريخ بعبارة مثل "وكتب في كذا في التاريخ" وهذا ما يزيد في صعوبة تحقيق الرسائل غير الأصلية.

أما مضمّن الرسالة في الفترتين الموحدية والمرينية فهو عادة ما يؤتى به بعد عبارة مثل "وإلى هذا فإن..." وهو أطول أجزاء الرسالة، وإذا كانت جوابية أتي بملخص لما في الرسالة الواردة قبل ذكر الجواب عليها، ثم يؤتى بالمقصود إن كانت غير مكتفية بالإجابة. أما إذا كانت هناك أسرار يخشى على افتضاحها فإن الرسالة تكتفي بالإشارة إلى تصديق حاملها الذي يبلّغ مضمّنها شفوياً. وقد تختلف مضمّنات الرسائل حسب الجهات المكتوب إليها وحسب الهدف منها :

ـ فالرسائل المكتوبة إلى جهات إسلامية عادة ما تحمل أخبار البلاد من أمن وانتصارات إضافة إلى ذكر علاقات الودّ والإخاء، أو تقديم الدعم للجهاد في الأندلس... كثر هذا النوع من المراسلات المتعلقة بالأندلس منذ فترة معركة الزلاقة التي مهّدت لدخولها تحت سيادة المرابطين ثم الموحدين. ونظراً للتوتّر بين الخلافة العباسية والموحدين انقطعت ـ حسب علمنا ـ المراسلات بين الجهتين باستثناء رسالتين عن صلاح الدين الأيوبي يطلب الدعم ضد الصليبيين، (*رسائل موحدية*، 1/ عدد 38 و39). أما خلال العهد المريني فقد كثرت المراسلات مع المماليك في مصر والنصريين في الأندلس، فهي مع الأندلس لتأكيد استمرار دعمها، ومع مصر للتأكيد على استمرار المودة والدعوة للاهتمام بوفود الحج المغربية، وآخر مراسلة بيدنا مع المماليك تعود إلى مطلع القرن التاسع (*الغرب الإسلامي*... ع/487). غير أننا لم نجد أية اتفاقية بين المغرب وبلد مسلم في موضوع السلم والتجارة على عكس ما كان يحدث مع الأطراف النصرانية، ذلك أن "دار الإسلام" كانت تعتبر مفتوحة على عامة المسلمين بصورة تلقائية دون حاجة إلى اتفاقيات.

ـ بالنسبة للرسائل الموجهة إلى بلد نصراني، هي من نوعين (اعتمادا على الأصول التي اطّلعنا عليها) : رسائل سلطانية عادية وعقود اتفاقات ؛

فالرسائل العادية الموجهة من السلطة المغربية تتضمّن العلاقات بين الجهتين السلمية والتجارية أي تأكيد المحافظة على استمرار السلم لمنع القرصنة بين الطرفين وتشجيع التجار النصارى للتوافد على المراسي المغربية أو المغاربية، وهذا شأن مجموعة من الرسائل الصادرة عن السلطة الموحدية المركزية والجهوية (في سبتة وإفريقية) نحو جمهورية بيزا التي احتفظت بهذه الرسائل التي نشرها أماري كما ذكرنا، ونجد في بعضها الإشادة بسلوك تجار جنوة مع رعايا الدولة الموحدية في الوقت الذي لم يتورع البيزانيون عن أعمال القرصنة أحيانا في خليج تونس كما حدث سنة 596 في ظل اتفاق سلم مع الموحدين. والشكايات من أعمال القرصنة النصرانية تملأ كثيراً من رسائل المرينيين والحفصيين والزيانيين والنصريين. ولا تخلو بعض الرسائل المرينية تجاه أركون من التعبير عن علاقات المودة، خاصة وأن أركون لم تكن تعادي الدولة المرينية كما كانت قشتالة تعاديها.

أما رسائل العقود فهي تحدد غالباً مدة الهدنة بين الطرفين، وإذا لم يتم تحديدها فإنها تنتهي ـ نظريا ـ بوفاة أحد الطرفين الموقّعين عليها، وغالباً ما تتضمن هذه العقود في بداياتها ذكر المدن والجهات الكبرى التابعة للطرفين، والظاهر أن الهدف هو التنبيه على شمولية الاتفاق لها سواء للتردد عليها تجارياً أو حرصاً على عدم تعرّضها للقرصنة.

ـ بالنسبة للرسائل الخاصة بداخل الدولة تتنوع مواضيعها ؛ فمنها رسائل البيعات وهي عادة ما تتضمّن كون البيعة دعت إليها حاجة الأمة أو كان الاقتراح منها وتفضّل الأمير بقبولها، وكذلك الشأن بالنسبة لولاية العهد فهي ـ حسب زعم الرسائل المخزنية ـ تلبية لرغبة الرعية. وتُذكر في نص البيعة الشروط الواجبة عليها دون ذكر الشروط الواجبة على الحاكم. وتبدأ بالحمدلة والتصلية على

الرسول ﷺ والترضية عن الخلفاء الراشدين في صدر مطول عادة، ثم يُمهّد لظروف البيعة لإظهار الحاجة إلى الالتفاف حول الشخص المبايع مع الإشادة بنسبه. (رسائل موحدية، ج 1 / ع 40، 121، وقارن مع *الغرب الإسلامي* عدد 13 و19 و143).

رسائل الوصايا وهي غالباً ما نراها في بداية عهد الخليفة أو السلطان أو في فترات الأزمات السياسية أو انحباس المطر أو المجاعات... للتذكير بضرورة الالتزام بأحكام الشرع، وهي أيضا رسائل طويلة عموما مثل رسالة الأمير تاشفين المرابطي من منطقة تلمسان سنة 538 وهو في المرحلة الأخيرة من مقاومته لضغط الجيوش الموحدية (*صحيفة المعهد المصري* بمدريد، سنة 1955 م / 1 ـ ع / 3 ص. 110 ـ 113 نقلا عن مخطوط الأسكوريال 538 / 11 أ ـ 13 أ). ومثل رسالتي *الخليفتين* الموحدين عبد المومن سنة 543 (التي سماها صاحب *نظم الجمان* بالرسالة المنظّمة) والمستنصر سنة 617 (*رسائل موحدية*، رقم 6 و106). ثم رسالة الغني بالله النصري إزاء الضيق المالي الذي عانت منه إمارته بعد استرجاع عرشه وضغط القشتاليين عليها سنة 767 (*الغرب الإسلامي*... ع / 443)...

ـ رسائل الفتوح والتهاني بها، تتميز أيضا بطولها، وتكاد تتفق في الغرب والشرق الإسلاميين على مثل ما أوصى به الكاتب شهاب الدين الحلبي كتّاب الدواوين بقوله : "إذا كانت كتب التهاني بالفتوح فليس إلاّ بسط الكلام والإطناب في شكر الله على الفتح. ثم وصف الإقدام والصبر... على الملك وجيشه ونسبة النصر إلى الله... ولا بأس بتهويل أمر العدوّ ووصف جمعه وإقدامه، فإن في تصغيره تحقيراً للظفر به" (*حسن التوسل الى صناعة الترسل*، 335).

ـ رسائل العتاب، وهي قصيرة وبدون صدر، هدفها تقريع جند منهزم أو متخاذل عن نصرة غيره وكمثال على ذلك رسالة علي بن يوسف المرابطي (*صحيفة المعهد*... نفس العدد ص. 116 ـ 118 نقلا عن نفس المخطوط 13 أ ـ 14 أ). ورسالة المأمون الموحدي لعتاب جند وأهل مدينة أندوجر الأندلسية (*رسائل موحدية*، عدد 113).

ـ الظهائر، ومنها رسائل التزامات سياسية كالتي حدثت أحيانا بين بعض السلاطين المرينيين والنصريين للتفويض لهم في عقد اتفاق بالنيابة عنهم مع القشتاليين أو الأركونيين، ومنها أيضا تعيينات كبار رجال السلطة. وقد يرفق ظهير التعيين برسالة جمهورية أي تقرأ على الجمهور للتعريف بالمولى عليهم والتوصيه بطاعته (رسائل موحدية، ج / 1، الملحق الأول). وقد يكون الظهائر خاصة بالتوقير والاحترام، وهي قصيرة تخصّ التوصية باحترام بعض الأعيان أو الصلحاء، أو الشرفاء، وإعفائهم من المغارم والكُلَف التي يكلف بها عامة الناس. وأقدم ظهير تعرّفنا عليه هو لزاوية أيت أمغار من أحد أمراء سلا اليفرنيين سنة 489 (راجع في *المعلمة* : تميم بن زيري). وهناك ظهائر لاحقة لفائدة الزاوية المذكورة وردت في مخطوط "بهجة الناظرين" لعبد العظيم الأزموري، وكذلك لأحفاد الولي الصالح الشيخ أبي محمد صالح دفين آسفي (الغرب الإسلامي عدد 482). واستمرت ظاهرة تقديم هذا النوع من الظهائر على امتداد التاريخ المغربي دون تغيير في التعبير والمضمون تقريبا إلا ما يتعلق بوضع الطابع السلطاني في أعلاها بعد البسمله أو الحمدلة والتصلية منذ العهد السعدي.

إن معظم الرسائل السلطانية الأصلية عن الفترة الوسطية محفوظة في الخزائن الأوربية، ومنها يمكن ملاحظة أنواع الخطوط المستعملة في الفترة المذكورة وأشكال الكتابة الرسمية ولون المداد أحيانا إضافة إلى العلامات السلطانية . فنلاحظ جوانب تشابه كبيرة في هذه الرسائل شكلا ومضمونا عند المرينيين ومعاصريهم. وقد كانت هناك ثقافة عرب إسلامية مشتركة ناتجة عن تنقلات رجال الفكر والأدب وخدماتهم في دواوين سلاطين المنطقة. فابن عميرة مثلا كتب عن أميري بلنسية ومرسية وعن الخليفة الموحدي الرشيد وانتقل إلى خدمة الدولة الحفصية، كذلك أبو بكر ابن خطاب اشتغل في ديوان ابن هود أمير مرسية ثم أمير غرناطة النصري ثم أمير تلمسان، وابن خلدون تنقّل بين خدمة أغلبية سلاطين الغرب الإسلامي، والأمثلة كثيرة. ويمكن أن نرى هذا التقارب من خلال ظاهرتين في كتابة الرسائل السلطانية الأصلية. شكل الكتابة والعلامة السلطانية :

ـ فالكتابة تتخذ شكلين متميّزين في الغرب الإسلامي منذ العصر الموحدي أي خلال القرون 6 و7 و8 هـ. فإذا كانت الرسالة عقد اتفاق أو التزام أو ظهيراً تكون الكتابة بأسطر أفقية، وغالباً ما تنتهي هذه الأسطر بكلمات مستلقية إلى الأعلى بكيفية تدريجية. وإذا كانت رسالة سلطانية عادية موحدية أو حفصية قسمت إلى مجالين مثلثين، فيكتب في الأول على صورة مثلث قاعدته إلى الأعلى أسفل العلامة الخليفية وقمته إلى الأسفل عند الزاوية اليسرى للرسالة لكون كلمات الأسطر ـ وهي شبه أفقية ـ بتناقص عددها تدريجياً من الأعلى إلى الأسفل، ثم يكتب في المجال الثاني المتبقي على يمين الرسالة بشكل مقلوب حيث تنتهي قمة هذا المثلث الثاني في أعلى الرسالة وتتخذ أسطره أشكالا منحنية. وإذا لم تكتمل كلمات الرسالة كتب البقية على ظهرها في الأعلى بشكل أفقي. أما بالنسبة للرسائل المرينية والنصرية والزيانية فإن صفحتها تقسم عادة إلى ثلاثة أجزاء، يُترك أقل من الثلث في الأعلى بياضاً ويقسم الباقي إلى مثلثين متعاكسي الكتابة كما رأينا سابقا فتنتهي قمة الأول شبه قمة) المثلث الأول عند الزاوية السفلى على اليسار وقمة المثلث الثاني عند الزاوية العليا على اليمين، وقد تُختم

الرسالة في البياض الأعلى (وإن لم يكن هذا كافياً كتبت التتمة في أعلى ظهر الورقة)، وتنتهي الرسالة بكتابة العلامة السلطانية.

- العلامة السلطانية هي توقيع الخليفة الموحدي أو السلطان المريني (أو السلاطين المعاصرين له في الغرب الإسلامي) أو من ينوب عنهم وهو المسمى صاحب العلامة، وهي عند الموحدين في أعلى الرسالة في بداية عهد عبد المومن ثم استقرت بعد البسملة والتصلية، وعبارتها : "والحمد لله وحده" (*رسائل موحدية*... ع/ 126)، قالت الشاعرة حفصة الركونية مخاطبة بشعرها عبد المومن الموحدي :

امْنُنْ عليَّ بصكٍّ	يكون للدّهر عُدّهْ
تَخُطُّ فيه يُمْناك	والحمد لله وحدهْ

واتخذت العلامة نفس المكان عند الحفصيين الذين اعتبروا أنفسهم ورثة الدولة الموحدية مع تغيير بسيط في العبارة حيث أصبحت "الحمد لله والشكر لله". أما بالنسبة للمرينيين والنصريين والزيانيين فقد وضعت العلامة في آخر الرسالة وتغيّرت عبارتها فهي عند المرينيين "وكتب في التاريخ المؤرخ به" إن كانت للسلطان، أو "وكتب في التاريخ" إن كانت لصاحب العلامة. وهي عند السلاطين النصريين "صحّ هذا"، وعند بني زيان بتلمسان "صح في التاريخ". وربما كان لبعض ولاة إفريقية من الموحدين علامة خاصة تميّز رسائلهم إلى الأطراف النصرانية المتعاملة معهم. وكان لبعض ولاة العهد علامة خاصة بهم مثل أبي الحسن المريني في عهد سلطنة أبيه أبي سعيد، كما كان لبعض ولاة العهد علامتهم مثل أبي الحسن المريني في عهد أبيه أبي سعيد، وكذا بعض الأمراء المتمردين على السلطة المركزية المرينية كما كان يحدث في سجلماسة. كانت هذه العلامات تكتب بخط سميك وتنتهي بحرف هاء، مدلاة من نهايتها منعا لإمكانية أي تغيير. هذه العلامات هي غير طابع الشمع الذي تختم به الرسالة بعد طيّها ضمانا لعدم فتحها وقراءتها.

أ. عزاوي، *رسائل موحدية - مجموعة جديدة*، ج/ 1 ط. 1995 ؛ *الغرب الإسلامي من خلال رسائله* (القرنان 7 - 8 هـ)، أطروحة مرقونة : ل. بروفنصال، مجموع *رسائل موحدية من إنشاء كتّاب الدولة المومنية*، ط. الرباط، 1941 ؛ ابن أبي الخصال، *رسائل مرابطية*، (تح. م. ر. الداية)، ط. دمشق، 1987 ؛ محمد م. حمادة، *الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية*، ط/2. بيروت، 1986 ؛ الحلبي، *حسن التوسل إلى صناعة الترسل* : صحيفة (أو مجلة) المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، ع./ 1954، سبع وثائق جديدة عن دولة *المرابطين وأيامهم في الأندلس*، ع/ 1955، *نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين*، نقلا عن مخطوط الأسكوريال رقم 538 من *الفهارس العربية*. ع/ 1959 - 1960، *وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين* ؛ مصورات رسائل مغاربية محفوظة في "مكتبة التاج الأركوني ببرشلونة" نشرت ضمن *الغرب الإسلامي من خلال رسائله* : م. البشير الفاسي، *مصورات ظهائر سعدية وعلوية بكتاب قبيلة بني زروال* ؛ *مصورات ظهائر علوية لفائدة الشرفا، أولاد سيدي عبد الله بن عزة دفين جبال بني يزناسن* ؛ *ظهائر خاصة*.

أحمد عزاوي

رُسل السلاطين، يختلف الرسول عن الرقاص وصاحب البريد في كونه شخصاً يقوم بمهمته منفرداً ومصحوباً بحرس (*استقصا*، 2 : 37 و38)، يتم اختياره من طرف الملك أو وزيره أو العامل بتروّ وتمحيص حسب مواصفات دقيقة، للقيام بمهام محدودة في الزمان والمكان، وغالباً ما تكون مهامَ مستعجلة لا تحتمل انتظار ذهاب البريد أو إيابه، أو للقيام بمهام تقتضي السرية وتتطلب الأمانة (*وصف إفريقيا*، 1 : 137). وقد يكلف صاحب البريد بمساعدة الرسول مثل مصاحبته له في بعض مراحل الطريق ؛ أو حمله معه على دواب البريد (*تكملة تاريخ الطبري*، 1 : 13 وما بعدها) وتقدم هذه المساعدة للرسول في الظروف العادية أي عندما لا يكون الرسول مستعجلا وليس لمهمته طابع السرية أو الخطورة.

يحمل الرسول أثناء تنقله في مهمته رسائل وتوصيات وأوامر مخزنية تحثّ على العناية به وتسهيل مروره ومهمته، وخاصة إذا كانت الطريق والمسالك التي يسير فيها بعيدة عن المدن والمراكز العمرانية أو المؤسسات الرسمية (*رسائل موحدية جديدة*، 19، 21) (*نفاضة الجراب*، 43 و75) (*وصف إفريقيا*، 1 : 287 و2 : 119) ؛ وعندما يكون مرور الرسول بالمدن أو المراكز الكبرى فإنه يبيت عند أعوان المخزن أو الأعيان الذين يحمل إليهم رسائل وتعليمات من الطرف المرسل، ومن الرسل من يتنقل متنكراً، وغالباً ما بكثر هؤلاء في مرحلة سرية دعوة جديدة.

استغل بعض الرسل الأهمية المعطاة لهم من قبل السلطة فاشتطوا في استعمال النفوذ المخزني بابتزاز الناس الذين يقيمون عندهم والإثقال عليهم بشروط وطلبات لا طاقة لهم بها حتى تضرر الكثير منهم من ذلك واشتكوا إلى الحكام (*رسائل موحدية*) ومن المستقبلين للرسل في منازلهم من أهمل القيام بالواجب أو اعتبر إقامة الرسول عنده عادية (*نفاضة الجراب*، 3 : 89 ؛ *وصف إفريقيا*، 1 : 77).

لم يكن الرسل غالباً قارّين، بل كانت مهامهم مؤقتة وظرفية، فلكل مهمة أو ظرف معين يتم اختيار الشخص الملائم وتوضع عليه شروط وترسم له مسالك التنقل ومراحلها إضافة إلي التسهيلات، ومن أشهر الرسل الذين تركوا ما يشبه مذكرات عن رحلاتهم في العصر الوسيط ابن حوقل التجيبي العراقي، والشريف الإدريسي السبتي

ولسان الدين ابن الخطيب، وابن بطوطة والحسن الوزان وغيرهم. وبالرجوع إلى كتاباتهم نقف على كثير من التفاصيل تتعلق بأسفارهم وظروفها وليس بالمهام التي كلفوا بها.

للرسل أعراف وقوانين وتقاليد تنظم مهامهم، على الرسول مراعاتها، وبالمقابل يحظى من الطرف الآخر المرسل إليه بالتقدير والاحترام وكرم الضيافة إلا في حالات نادرة، حيث وقعت تجاوزات كانت عواقبها غير محمودة ؛ بل ذهبت بعض الدراسات إلى اعتبار بعض الأحداث التاريخية الكبرى من أسبابها إساءة معاملة الرسل التي غالباً ما تكون بسبب سوء أدب الرسول وتجاوزاته، فكثير من الحروب الطاحنة كان سببها إهانة الرسول أو قتله كالحروب التي دارت بين *ملوك الطوائف* في الأندلس بزعامة المعتمد ابن عباد والمسيحيين بزعامة مملكة قشتالة، قيل إن سببها عدم التزام الرسول القشتالي بأخلاقيات مهمته فتجاوز حده وساء أدبه أمام المعتمد فما كان من هذا الأخير إلا أن ضربه ضربة قاتلة مرتكباً بذلك تجاوزاً آخر، وهكذا يقال إن ضربة المحبرة التي قتلت الرسول القشتالي أشعلت الحروب الطويلة التي انتهت بإخراج العرب المسلمين من الأندلس ؛ والواقع أن لهذه الحروب أسباباً أخرى موضوعية غير قتل الرسول.

ومن الحالات المتعلقة بالرسول والتي استغربها الحسن الوزان في كتابه (*وصف إفريقيا*، 1 : 137) رسول حاكم مملكة تنزيتا وهي إحدى ممالك السودان، والرسول حضر لتقديم الهدية والرسالة إلى ملك فاس الوطاسي، "وكنت حاضراً - يقول الحسن الوزان - عندما حملت هذه الهدايا الفخمة وكان الذي قدمها زنجياً قصيراً غليظاً بربريّ اللسان والعادات حاملا رسالة من سيده خاطها في إحدى ثنايا ردائه وطلب من الملك أن يحل الخياطة بنفسه ليبرهن عن الاحترام الذي يكنه لسيده لأنه لم يرد أن يضع يده على رسالة أقسم ألا يمسها".

ومن الرسل من تتضاعف متاعبه وتطول معاناته عندما لا يجد المرسل إليه في المدينة التي يقيم فيها (الحاضرة) فيضطر إلى تتبع تنقلاته حتى يظفر بمقابلته، ومنهم من ينتظر الأيام والشهور حتى يعود المرسل إليه إلى مقر إقامته ويأذن له بالدخول عليه. بل إن مهام الرسل تصبح عسيرة ومعقدة إذا كانت من بلد ضعيف إلى بلد قوي، فلا يلتفت إليه المرسل إليه ولا يعيره الاهتمام إلا بعد فراغه مما هو أهم، ويتعمد بذلك تهميش البلد والمرسل في شخص الرسول.

وقد يكون سوء التفاهم أو مجرد خطإ غير مقصود سبباً في متاعب الرسول مثل ما وقع ما بين صلاح الدين الأيوبي في المشرق ويعقوب المنصور الموحدي في المغرب. فقد أهمل الرسول ابن منقذ وتركه ينتظر أياماً وذلك بسبب مخاطبة صلاح الدين ليعقوب المنصور بألقاب غير ألقاب الخلافة (*استقصا*، 2 : 181 و182).

وقد تضاءلت مهمة هؤلاء الرسل في عصرنا خفت إلى أن اختفت، وحل محلها السفراء والمبعوثون الشخصيون لرؤساء الدول.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط ١٩٨٠ ؛ الناصري السلاوي، الاستقصا، الدار البيضاء، 1955 ؛ ل. بروفنصال، *مجموع رسائل موحدية*، الرباط، 1941 ؛ أ. عزاوي، مجموع رسائل موحدية جديدة، مرقون خزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1986 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، القاهرة، د. ت.، الجزء الثالث، الدار البيضاء، 1989 ؛ الهمداني محمد بن عبد الملك، *تكملة تاريخ الطبري*، بيروت، 1961.

محمد حجاج الطويل

الرسم، إذا نحن أعطينا لكلمة رسم معناها الأوسع لا لتشمل المساحة المعمارية وحدها (الرسم على الجبس والخشب والزليج والزجاج والمفروشات الحائطية) بل لتشمل أيضاً الرقوق والورق والخزفيات المرسوم عليها والمطروزات والتزيينات المقصود منها التوشية بمختلف أنواعها على المخطوطات ولاسيما المصاحف منها. إذا وسعنا الرسم ليشمل كل هذا لم نشاطر رأي من يقولون إن الرسم المغربي والعربي عامة لم يكن له وجود قبل الاستعمار والعهد المعاصر، فهم يذهبون أيضاً إلى القول بأن الرسم إنما هو نتاج غربي مستورد. لربما كان عليهم أن يعدلوا هذا الحكم ويكتفوا بالقول بعدم وجود تقليد في الرسم الذي يتناول الطبيعة ويستخدم فيه الرسام حمالة، وحتى هذا الحكم يستدعي بعض التحفظ.

تاريخيا تحقق بفضل استخدام عدد من تقنيات وأساليب التاريخ الأثري أن أقدم التجليات الفنية لدى الإنسان تعود إلى أربعين ألف عام على وجه التقريب. فالرسم على الحجر داخل المغارات أو في الهواء الطلق موزع على جميع القارات. والمغرب من أهم بلدان إفريقيا التي توجد بها بكثافة الرسوم المنقوشة على الحجارة. وعلى صعيد آخر يعتبر الخزف المغاربي المرسوم عليه الأصل الذي احتذاه مباشرة الخزف المماثل في صقلية في أواخر العهد الحجري الحديث وفي عصر البرونز. فالأشكال الهندسية المرسومة بالأسمر والأسود على خلفية فاتحة (صفراء أو حمراء فاتحة) تشبه تلك التي تزين خزفيات الشمال الافريقي القديمة والحديثة، وتتكون من مربعات متجاورة ومثلثات ومعينات ذات أضلاع ممتدة ومن خطوط منكسرة.

من المؤكد أن تاريخ المغرب الفني لم ينته التنقيب فيه بعد. فهناك عدد من الميادين تستدعي دراسات معمقة. فالعهد السابق للإسلام لم يتوفر عنه تقويم كامل، وهنالك بحوث جارية حاليا في بعض ميادين الفن. مثل حُلي منطقة سوس وجهة الأطلس الصغير وهي تبين أن هذا الفن يمكن أن يعد فنا قائما بذاته له أصل في تقليد من الرسم

المقدس له ذات الرمزية التي نجدها في فنون الماضي السحيق.

أما العهد الروماني فيشهد على غنى فني كبير. فقد أخذ المغرب من المعمار اليوناني والمتوسطي وكيفه مع طقسه وحاجاته، كما أن وفرة البرونزيات والفسيفساء، وتنوعها مما يشهد على ذوق رفيع، فالفسيفساء تضفي نضارة على الأمكنة وتزين المقاطع من جداريات وزرابي ؛ فهي تستوحي من القنص وصيد البحر والمآدب ولذات الحب. ففسيفساء وليلي تعد من أهم قطع هذا الفن المنتمية للعهد الروماني بالمغرب، فهي تزخر بتشكيلات من الأبيض والأسود، ورسوم هندسية تمتد أغصانا ملتفة وأوراقا نباتية، غاية في الأناقة ودوائر وصورا من خطوط مستقيمة، فترى فيها رسم البطل أ ُورفي بثبات فاخرة يعزف على قيثارة محيط به حيوانات، أو ترى رسوم أشجار مورقة كثيفة أو بينها انفراجات، أو ترى رسوم طيور الحجل، والإوز أمام سلات مليئة بالورود والفواكه.

وفي دار الفتى الوسيم رسم فسيسفاء تمثل باخوس وهو على ظهر عربته، وفي جهة أخرى رسم الصياد وهو رافع مذراة ثلاثية وسط طحالب أو رسم أسماك وطيور مائية أو فسيسفاء تمثل هرقل وهو يأتي خوارقه. تميز هذا العصر برقائقه وتذوقه لكل ما هو عجيب، وبإيقاعه وتوشياته وولعه بالمسرح حتى وإن كان معنى الفرجة يوصف بأوصاف نقديه مثل "حماقة السيرك ولا أخلاقية المسرح وقساوة الخشبة وطيش رواق الألعاب".

لم يسائل المفكرون في الحضارة العربية الإسلامية الفن إلا في شكله المجرد كما يظهر في الخط والمنمنمات والرسم التصويري المصغر. فاستعمال العلاقة بين العظمة والطبيعة في ما يخص صور العالم كان يشكل تعارضا له علاقة بالنسق الديني والجمالي الإسلامي. أما الغرب فيعتبر هذه الجمالية تزينية ولا سيما فن التوريق في الزخرفة. وبهذا الصدد يقول صلاح ستيتي : "فالأشكال التي نراها أمام أعيننا ليست سوى تجميعات موقتة للذرات. فمصيرها إلى زوال. فالخط غير موجود، ليس سوى نقطة تتحرك، فكأن من شأن الفن الإسلامي أن يركز على التغيير، أن يقطع إلى مالا نهاية الصور الهندسية، من دائرة أو مضلع، ما أن يبدأ رسم هذا أو تلك حتى يتدخل الحلم الروحي للفنان فينقضه. فالتوريق بناء تشكيلي ذكي لفهم تركيبي للزمان والمكان". فهي مقاربة سعى بها الإسلام إلى إظهار الوحدة الروحية للجمالية. بيد أن النزعة التصويرية لم تكن غائبة غيابا تاما عن الفن الإسلامي. فانتشار الإسلام قد أتاح تطوراً مكن من الارتباط مع الشكل التصويري عبر مراحل : إعادة نسخ الأشكال الزهرية أو التجميعات المعمارية، ثم رسم مواضيع حية : من أسود وعزلان أو غيرها من الحيوانات، ثم إدراج صور الإنسان في الأخير.

توجد في مكتبة الفاتيكان ثلاثة مخطوطات ترجع إلى القرن السابع (13 م) وفيها قصّة "بائض ورياض"، وتتضمن صورا أيقونية علمية محدودة العدد، ولكنها تشهد مع ذلك على نوع أسلوب العلاقات الوثيقة بين مدارس البحر المتوسط الشرقي في الفن وبين العراق. فالمواضيع كما هو متوقع مطروقة بشكل واضح الاختلاف وتتخذ تلوينا أندلسيا مغربيا. وعلى صعيد آخر فالاتصال والتبادل كان قائما على الدوام بين المغرب وأوربا الجنوبية. تشير طوني مارانيني في كتابها حول الفن بالمغرب إلى حالة ذلك الرسام المتميز الذي عاش في القرن السابع عشر وكان أندلسيا من إشبيلية سقط في الاسترقاق وسمي بـ بخوان دي باريخا أوخوان دي لامورا، وقد أبدع عدداً من اللوحات الرائعة ومنها رسم صورته الشخصية وهي توجد بمتحف نيويورك (الميتروبوليتان) فقد نال حظوة عند الرسام الكبير فيلا سكيس (1599 ـ 1660) واتخذه مساعدا له. وما لبث ملك إسبانيا أن أعتقه رعيا لقيمة عمله الفني المتميز في الرسم.

تأثر الرسم الغربي بالجمالية الإسلامية عن طريق فن الخط وفن التوريق. فالتوريق صياغة تشكيلية عالمة لمفهوم تركيبي للزمان والمكان والحركة (خطية ومتموجة ومشعّعة) والحياة في سيلانها الذي لا ينتهي. في استجواب له بطنجة عام 1976 صرح الرسام هربرت باير وهو أحد أعضاء حركة باوهاوس التي أثرت على الهندسة المعمارية والرسم في أوربا فقال : "ما أن حللت بالمغرب حتى بدأت تجربة تشكيلية جديدة وغيرت أبحاثي ؛ فقد اقتحمت طريقة جديدة في الرسم ؛ عدت إلى الألوان الابتدائية وإلى الأشكال الهندسية الصرف".

يقول عبد الكبير الخطيبي : "كان فن الكتابة وفن التوريق نموذجا جماليا بالنسبة للفن الحديث. لكن ما يمكن أن يأتي به نسق جمالي لثقافة أخرى يتخذ عديداً من الطرق. ففي مستوى معين يتخذ أيضاً طريق المعيش اليومي، أو يتسرب عن طريق الضوء، أو المنظر أو الطقوس أو الإيماءات أو الوجوه أو الزهور ؛ أو عبر ليلة بدر التمام كما يعترف بذلك الكاتب الفنان الألماني بول كلي (1879 ـ 1940) في *مذكراته*. وبالجملة فذلك العطاء يتسرب عبر كل ما يمكن أن تقدمه ثقافة بمثابة كتابة صامتة لمن يعرف أن يتلقاها، لمن يقدر على أن يستضيفها".

يمكن القول إن جمالية مجتمع مّا بتوقف قبل كل شيء على بناه التخييلية، على شبكات تلقائيتها الحسية وعلى شخصية فنانيها. فقد عرف إبداع الرسم في المغرب حيوية مشهودة لا تنفك تشير بزخمها وأصالتها والتجدد المستمر لعطائها الخلاق. فهي من التعبيرات التشكيلية الأكثر تكيفا مع الحداثة، مع بقائها متعلقة بوسطها الثقافي واهتمامات عصرها ومع ظاهرية معيش داخلي منتسب لتقاليدها الثقافية. فالتجذر في الواقع الاجتماعي يعطي للرسم المغربي تعبيرية أشكال تحمل مضمونا داخليا وتترجم

سيرورة تغيرات اجتماعية جاءت نتيجة حقبة الحداثة. وهذا ما يعطيها قدرتها الخاصة على التلون وأساليبها وأمشجتها وتياراتها وتياراتها المضادة.

وهكذا فإن الابداع في الرسم بعدم إتقانه للوعي بالماضي قد تكيف بمهارة مع وضعيات غير مسبوقة مستعملا في حقها الرؤية المتسائلة حول الواقع بالرغم من كثافته، بل وحتى قتامته في بعض الأحيان.

رفض الرسم المغربي المقاربة الإغرائية التي تعامل بها الاستشراق مع المناظر والناس والأشياء، فضل التساؤل على فعالية والإيقاع الأصيل على حميمية جماله والذاتية وبصمات ذات هوية مع تشييد نفسه على العمرانية.

عندما استقل المغرب وعند بداية أعوام الستينات نظر الرسامون المغاربة إلى الرسم الاستشراقي في مظهره الاستعماري وجماليته الرخيصة بمثابة مساس بالوحدة الفنية. فنددوا بهذا النوع التشكيلي ورفضوا الاستلاب والطمس. وقد فتح الرسامون الشباب نقاشا غنيا مع المثقفين حول حقل التعبير بالرسم وحول الأصالة والحداثة والتزام الفنان سياسيا. شارك بعض الرسامين المغاربة في ابتكار مجلة "أنفاس Souffle" سنة 1966. وقد كان لهذه المجلة إسهام واسع في التفكير حول الرسم المغربي ولا سيما بنشر عدد خاص حول الفنون التشكيلية. وهكذا ظهر الفنان الرسام واعيا بمكانته المركزية في دينامية واسعة النطاق اجتماعيا وثقافيا تدعوه إلى أن يكون لا مستمعا لما يجري في بيئته وحسب، بل إلى أن يتجاوب مع ما ينتظره من هذا الوسط.

ومن جهة أخرى فإن الرسم المغربي نامى ولاشك بدافع حاجة عند الفنانين إلى التعبير ولكنه تنامى أيضاً بفضل عدد من الاتصالات والمبادلات مع بلدان أخرى في حوض البحر المتوسط. وظهر نوع من الرسم الشعبي على المستوى الفردي وتنامى بكيفية طبيعية نحو أشكال أخرى من التعبير الفني الأكثر تفتحا والأكثر تلقيا لتيارات عصرية ولتقنيات جديدة.

تذهب بعض الشهادات إلى القول بأن أول رسام مغربي قد يكون هو عبد السلام الفاسي بن العربي المولود عام 1904. فبينما كان رسام شيخ يدعى براندو يرسم أمام حمّال لوحاته في جامع الفناء بمراكش عام 1920، اقترب منه عبد السلام ليقول له إنه هو أيضاً يمارس الرسم.

غير أن تفتق مواهب عدد من الرسامين بالمغرب جاء في الأعوام الأخيرة من عهد الحماية. فقد برز مولاي أحمد الإدريسي الذي نظم أول معرض شخصي في لوزان بسويسرا عام 1952 وفي هذا العهد ظهر محمد بن علال الملقب بجمركي روسو (Le douanier de Rousseau). وكان المشغل له هو الفنان جاك أزيما. وقد نظم بنعلال أول معرض له بواشنطن عام 1952. ويمكن أن يدرج في هذه الفترة كل من مكي مرسية وحسن الكلاوي وأحمد بن إدريس اليعقوبي (نظم أول معرض ضخم له في رواق بيتي بارسونز Betty Parsons بنيويورك) وفريد بلكاهية وميلود الابيض وكريم بناني ومريم أمزيان والسرغيني الخ... وقد تابع عدد من هؤلاء الرسامين تكوينا في المغرب، بينما تكون البعض منهم في الخارج تكوين ابتدائي في غضون أعوام الخمسين كان في ميدان الرسم بالمغرب استفاد منه الشباب المغاربة في المدرسة التحضيرية للفنون الجميلة بتطوان Escuela Preparatoria de Bellas Artes، وكان من بينهم السرغيني وفخار ومرسية، ثم آخرون منهم الشفاج ومليحي وشبعة والعمراني وآخرون. نظمت مصالح الشبيبة والرياضة من جهتها ورشات للرسم. وبعد حصول المغرب على الاستقلال وذلك بين 1956 و1960، ذهب عدد من الرسامين إلى الخارج من أجل الدراسة، ومن بينهم مغارة وكريم بناني ومليحي والشرقاوي والشفاج. وبعد ذلك ببضع سنوات سافر من أجل الدراسة آخرون منهم سبعة والعمراني وحفيظ والحامدي والدمناتي رح. العلوي والرين الخ...

أنهى أجيال أخرى من الرسامين الدراسة والتكوين في مدرسة الفنون الجميلة بالدار البيضاء التي تم احداثها والتي سرعان ما ارتبطت بها أسماء بعض الرسامين منهم بلكاهية ومليحي وشبعة. وقد قام عدد من الرسامين بقطع تكوينهم بالخارج والعودة إلى الوطن، وهذا ما فتح آفاقا جديدة للرسم بالمغرب. وقد تميز الشرقاوي بأعماله القائمة على إشكالية التركيب بين الفنون التقليدية وأبحاث الرسم الغربي الحديث. فقد طمح إلى أن يكون رساما بارزاً منتميا لمدرسة باريس دون أن ينقطع عن جذوره. وكان الغرباوي من جهته متوزعا في إقامته واهتمامه بين باريس والمغرب، وما لبث أن برز رسامون آخرون عبروا عن مواهبهم على ساحة الرسم منهم أحرضان والقاسمي وبلامين وإكن وبناس وطلال والوزاني والبوجمعاوي وحريري وغطاس ودرحول وفوزي سعيد. ولا ننس الفنانات الرسامات كلطيفة التجاني وفاطمة حسن ومريم أمزيان ومليكة أكزناي وبنبوشتة ومريم العلج.

نمى هؤلاء الرسامون أساليب عديدة واتجاهات في الرسم المغربي بفضل تنوع التعبير وغناه وبفضل الحرية في ممارسة المهنة. وقد دارت اهتمامات هؤلاء الرسامين حول ثلاثة توجهات رئيسية وإن كان هذا التصنيف لا يخلو من تعسف ولكنه يستجيب على الخصوص للرغبة في موضعة الرسم المغربي بقدر الإمكان بالنسبة للواقع.

أ - الرسامون الذين اتخذوا مرجعيتهم حركات الرسم في الغرب باسم النزعة الكونية مع اتخاذ مسافة من تلك الحركات في مستوى التطبيق. وهؤلاء مقتنعون بأن الرسم الذي يستعمل فيه المحمل Chevalet هو في جميع الحالات مستورد وله مرجعيته حتى ولو أدخل فيه الرسامون رموزاً لها مرجعيتها في عرفهم الخاصة. وفي ضمن هذا التوجه يتميز فنانون آخرون بأبحاث تقترب من المشاغل

الفنية بأوربا التي لهم معها علاقات أكثر كثافة ولكن الشخصية الفنية لهؤلاء الرسامين تتجلى بوضوح في أعمالهم. ولا يمكن بأي حال أن ينظر إلى هذا التقرب كشكل من أشكال الاستلاب الغربي. فحتى وإن كانت التقنية لا تنفصل عن القيم الخاصة بها، فإنها في حال هؤلاء الرسامين تنحصر في بعد الاقتباس المشروع. فالتجريد متمثل في تعددية النزعات متراوحا من النزعة التعبيرية المجردة كما عند الغرباوي إلى التجريد الشاعري أو الرمزي أو الهندسي كما عند كريم بناني وشبعة وميلود وبلامين ومليحي والملياني والبوجمعاوي. تنمي هذا التجريد في إطار ذات الفكرة التي ميزت الفن الحديث. وهو تجريد يمتلك قوة تشكيلية وجمالية كبرى. ونجد عند بعض الرسامين ولاسيما كريم بناني حساسية قوية على مستوى الألوان. والتصويرية حاضرة في الرسم المغربي الحديث، ولكنها تصويرية خصوصية ظلت مبتعدة عن التصويرية الاستشراقية، وذلك ما يلمس عند الشفاج والدحماني ومريم أمزيان وصلادي. ومما يتعين ملاحظته أيضاً نوع من التصويرية الموضوعية من صنف الأكاديمية الجديدة، كما عند بنيوسف أو المبالغة في الواقعية كما في الرسوم بالمداد عند بنّاس.

ب ـ النزعة الرمزية أو الرسم الإشاري. يرى هذا التوجه أن الكونية ليست هي طغيان ثقافة على أخرى، بل هي جملة عطاءات خصوصية، فهي تستمد أبحاثها من الذاكرة الجمعية التي لها حضور بارز في وسطها الثقافي ويغذيها فكر تغلب عليه الرمزية. فالإشارة مقدمة في شكل مكبر أو مصغر، تشكلها إرادة تغيير الأصل Transfiguration وخلق فضاء تعبير فني أكثر مطابقة لخصوصيته. وفي جميع الحالات فإن هذه النزعة تعطي للأعمال الفنية مدى حداثي بما تنطوي عليه من التركيب وبالألوان وبالحيوية الشاعرية وبالانخراط في بعد يسعى إلى تفادي الزمن. وتتميز هذه النزعة بأسلوبين في الرسم :

1 ـ أسلوب الرسامين الذين يستعملون الإشارة الرمزية التي يعود فضاؤها إلى زمن غابر، مستوحاة من جذور ثقافية متنوعة (الوشم، الرموز، البقايا)، تمثل أحسن تمثيل متخيل الفضاء الثقافي المحلي والتقاليد الجمالية للفنون الشعبية. فالإشارة تستعمل إما في حالتها الخام أو المعدلة. فصياغتها تسفر عن أشكال عجيبة، بشرية وحيوانية كونية (كما عند الشرقاوي والميلودي وإكن وبوجمعة وأحرضان) نجد بعض أعمال بلكاهية تدور حول الرمز الهندسي بتجانسيتها، ونجد القاسمي يتحكم في إيقاع الإشارة في فضائها الأعمق.

2 ـ الرسامون المشتغلون على الحرف العربي ينتزعون هذا الحرف من نسق استعماله في الكتابة، يقومون بإعادة ابتكاره، يحولونه إلى إشارة مرسومة. الخط في هذا الاشتغال مكسر، مشعّع، يتحرك كعنصر في تركيب داخل الرسم، مدمج في جمالية حديثة. يستعمل عدد من الرسامين الحرف العربي، يموقعونه في فضاء يتقلب فيه البحث الجمالي في كامل تجليه، كما عند الرسام الحريري.

جـ ـ الرسم المسمى بـ "الساذج" ويفرض نفسه كواقع تاريخي حتى ولو كان بعض النقاد يرون فيه بقية من بقايا عهد الاستعمار. فهو شكل من أشكال التعبير لا يمكن تجاهله ولا النظر إليه فقط من زاوية التقليد الإيمائي للبيئة. إنه رسم تلقائي ولكنه يسفر عن إتقان فائق للصياغة الفنية. يتميز بنوع من النضارة وبنزوع إلى حكاية مشاهد الحياة اليومية. كان ابن علي الرباطي يرسم تجمعات الناس في ساحات القصبات بطنجة، أما بنعلال فهو الراوية الحقيقي برسمه لمشاهد مراكش بما يستعمله من قوة جبارة في التعبير. وبعد هؤلاء يضاف إليهم مولاي أحمد الإدريسي والودغيري وفاطمة حسن والغزولي أهم الممثلين لهذه الحركة. أما الشعيبية فهي حالة خاصة في هذا التيار، بتحكمها في المادة وبكثافة تعبير الألوان التي تستعملها والصياغات التي تنجزها.

بعد هذا العرض السريع لتطور الرسم بالمغرب نخلص إلى التأكيد على سماته المتمثلة في غناه وتنوعه وعلى كونه ما فتئ، يؤكد حضوره على الساحة الثقافية الوطنية. فالتعبير التشكيلي ميال إلى رفض السكونية وإلى المساءلة الدائبة والفضول وإعادة النظر في الوقائع القائمة وإلى البحث عن مستقبل جمعي. لاشك أن عدداً من النقاشات تدور حول تطور هذا التعبير التشكيلي ولا سيما في زمن العولمة حيث يسعى الإنسان إلى صيانة مخياله وإلى التفتح على آفاق جديدة وإلى استباق الأحداث على المستوى الفني حتى يتمكن من صيانة استقلالية مصيره. غير أن الرسم المغربي يتجاوز لكل السجالات يجتهد لفك كل حصار وإلى التحرر في إطار التعددية وإلى ابتكار جمالية قائمة على عمق الإحساس بالاختلاف. في إطار هذه الدينامية يظل الفنان المغربي الرسام رائدا يناضل في مجتمع يعيش تحولات مجتمع لا يتوفر فيه هذا الفنان على وضعية حقيقية. يحاول المصالحة الدؤوبة بين التجديد والموروث الثقافي والقيم الجمالية الحديثة.

Khalil M'Raber, *Peinture et identité. L'expérience marocaine*, Paris, 1989 ; M. Sijilmassi, *La peinture marocaine*, Paris, 1972 , Al *Founoun, Les arts plastiques au Maroc* (en arabe) ; *Attakafa El Jadidida* n° 7, 1977 ; Toni Maraini, *Ecrits sur l'art*, Rabat, 1989 ; M. Sijilmassi, *L'art contemporain au Maroc* ; *Souffles, situation des arts plastiques au Maroc*, 1967 ; A. Khatibi, E.A. El Maleh, T. Maraini, *La peinture d'Ahmed Cherkaoui*, Casablanca, 1976 ; A. Stouky, *Baghdad Benas*, Rabat, 1980.

عيسى إيكن

ترجمة أحمد التوفيق

رسموكة، تعرف محليا بإداكرسموكت وهي وحدة قبلية، تنتمي لاتحادية إداولتيت، وتحيط بها قبائل أيت أحمد وأيت صواب في الشمال والمعدر في الغرب وإداوبعقيل في *الجنوب وإداوسملال في الشرق*. وتغطي جزءاً من أزغارتيزنيت وجزءاً مهما من الأطلس الصغير الغربي. مركزها أنزي.

تذهب الرواية الشفوية إلى أن أصل الرسموكيين من تامدولت وأن جد ولتيتة حين غادر هذه المدينة بعد خرابها أوته القبيلة، وقد يكون ذلك خلال القرن الثامن(14 م).

بيد أن هذا الانتماء، تدعيه قبائل سوسية أخرى وهو غير مقطوع به ويحتاج إلى أدلة يقينية غير مستقصاة الآن.

كانت رسموكة في علاقتها بالمخزن المغربي ضمن كتلة جزولة ولا نشاطر رأي الكتابات الأجنبية التي أدخلتها - جازمة - ضمن القبائل التي لا تنالها الأحكام المخزنية. فالشواهد التاريخية تفيد أن وجود جزء من ترابها بسبط تيزنيت يدفعها إلى الخضوع لنفوذ قواد المخزن، لكن في نفس الآن كانت علاقتها بالمخزن في الأرجوحة :

فكلما توسع اتساع السلطة المخزنية عن طريق المحال والحراك، كلما تمكن ممثلو المركز من تطويعها وخضوعها للوظائف والكلف. مثل ما وقع زمن الموحدين حين قادت رسموكة قبائل جزولة وأعلنت البيعة سنة 552 / 1157، وأثناء نزول محلة المولى أحمد المنصور الذهبي، زمن السعديين بالسوس الأقصى. كانت كذلك ضمن القبائل التي آوته حسب شهادة صاحب الديوان.

وعلى عهد العلويين تمكن المخزن من التوغل في النطاق الجبلي على يد قواد حاحة أغناج 1225 / 1810 والكلولي سعيد 1316 / 1898.

ويبدو أن الادماج الجزئي في المنظومة المخزنية كان على عهد السلطان المولى الحسن حين نظمت حكومة سوس الأقصى، وكان الاعتراف الرسمي بثلاث قيادات رسموكية: أحمد بن الحسن، بلقاسم بن عدي، أحمد بن الحسين.

وإذا قورنت رسموكة بغيرها نجدها كثيرة بالنسبة لمجالها الترابي، مما يعكس الشأن الذي دبّ بين الأسر الكبرى بالقبيلة. ونجد كذلك حضورها في الوثائق المخزنية في الخزانة الحسنية شبه منعدم مما يفسر ضعف مشاركاتها. وكانت - على ما يبدو - تستتر وراء الإيلغيين. بالمقابل ظهرت على الساحة المخزنية أثناء أزمة "ابوحمايكت الهشتوكية" سنة 1314 / 1896 وتعرضت للنهب والتخريب مما دفع الرسموكيين أن يتحالفوا مع الولتيتيين رسوا هنيهة قلا تلهم، فتراجعت بهذا التحالف قوة سعيد الكلولي التهتري.

لقد كانت القبيلة تعتمد في معظم الأحيان على اللف الجزولي بقيادة دار إيليغ وبذلك تقوى جانبها ضد جيرانها - بعقيلة والمعدر - على عهد الحماية، قبل احتلالها عانت من مغارم القائد الكنتافي ممثل الاستعمار الفرنسي بتيزنيت. لكن جزءها الجبلي بقي صامداً وشارك ببسالة في وقعة وجان المشهورة ضد الجنرال دولا موط سنة 1917. واحتضن هذا الجزء، كذلك حركة أحمد الهيبة وخلفه مربيه ربه، ولم يخضع إلا بعد أن استنفذ كل مالديه وكان من بين آخر العائل التي استسلمت سنة 1934.

كانت رسموكة على مستوى مشاركاتها العلمية طافحة بالعلماء، منهم الأبازل في مختلف الأنصبة : فقها وتصوفا وتدريسا، وسمت الحركة الثقافية المغربية. ومن أهم المدارس بتراب القبيلة : أداي الرسموكية، تافراوت المولود، إبلماتن، دودرار، تيزگين... ويبدو أن جزءاً من العلماء، اغترفوا من معين مدرسة مجاورة هي المدرسة الأدوزية زمن نهضتها العلمية، فزادهم ذلك شرفا وتكوينا. ومن أهم العائلات العلمية : المزواريون والتامراوبون.

الحصيكي، *طبقات*. تح بومزگو : الإگراري، روضة الأفنان : الكرامي، *بشارة الزائرين* : الرسموكي، وفيات : أيت بومهارت محمد الوسخيني، *منار السعود* (ط 1994) : محمد المختار السوسي، *المعسول*، 3 ، 299 ، 386 : 4 : 209 ، 210 ، 268 ، 274 : 8 : 80 ، 170 ، 220 : 15 : 206 ، 218 : 18 : 91 ، 274. 277 : 19 : 33 ، 35 ، 150 : *خلال جزولة*، الرحلة الرابعة : *رجالات العلم العربي بسوس* : *الجموعة الفقهية*. ط. 1998 : الحسن العبادي، *فقه النوازل في سوس*، منشورات كلية الشريعة باگادير، ط 1999 : *ديوان قبائل سوس*، *معلمة المغرب*. 228 ، 837 : *أرشيف الخزانة الحسنية*.

R. Montagne, *Les Berbères* ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, pp. 348 - 351 - 352 - 480 ; Justinard, *Sous au XVI s*, 1933, pp. 14 - 82 - 115 - 156.

شفيق أرفاك

الرسموكي، أحمد بن سليمان التاغاتيني

مولداً المراكشي مدفناً. أحد أعلام الحركة الفكرية والصوفية بمراكش والجنوب عموماً خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن الثاني عشر (18 م)، وأحد أفذاذ الأسرة الرسموكية التاغاتينية، نسبة إلى قرية تاغاتين التي تسمى أيضاً رباط الصالحين، وهي أسرة علم ومجد ونباهة.

صحب والده سليمان بن يعزى الرسموكي الشيخ عبد الله بن يعقوب السملالي (ت. 1052 / 1648) بدر حالة البلاد السوسية. وكان فقيها مونقا عدلا. فتك به ويولده محمد الكنب أناس بينهم وبين التاغاتينيين عداوة، وذلك عام 1072 / 1661. غادر صاحب الترجمة قرية تاغاتين بعد مقتل والده وأخيه. ولا تفصح المصادر عن السن التي كان عليها. غير أنه يمكننا الاطمئنان إلى القول إنه كان في إبان بلوغه على أقل تقدير. وأنه قد أوتي رشده وصار أهلاً لتنظيم بينه وبين العقوبين الأحكاكيين وشائج متعددة، ترجحنا لسبق هذه الصلات وحدوثها قبل خروجه من بلده. ويفيد عدم أخذه عن الشيخ عبد الله بن يعقوب

أنه إما ولد بعد وفاته، وأما أنه كان في ابان الطفولة عندها، وانه رأى النور في حدود انتصاف المائة الحادية عشرة للهجرة. ومهما يكن فقد هرع على أثر أبيه في الانتساب لزاوية تازموت السملالية والدراسة بمعهدها، وأخذ عن وارث مشيختها مَحمد فتحا بن عبد الله بن يعقوب (ت. 1082 / 1671)، وعن أخيه أحمد، وعن نجله وسميه مَحمد فتحا (ت. 1122/ 10 . 1711). كما تتلمذ على جملة من صحب الإمام عبد الله بن يعقوب من أهل جزولة، ومنهم عبد العزيز بن أبي بكر البرجي الرسموكي (ت. 1065 / 1654)، والحسن بن علي داود السملالي (ت. 1091 / 1680).

وتمثل حواضر تارودانت ومراكش وفاس وزاوية تامگروت المحطات البارزة في رحلة أحمد الرسموكي العلمية وسياحته الصوفية، كما يعتبر الأئمة الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1960)، وعبد القادر بن علي الفاسي (ت. 1091 .1680)، وأحمد بن ناصر الخليفة (ت. 1129 / 6 .1717)، أشهر أساتذته ومشايخه وواسطة عقد أسانيده العلمية والصوفية. وتصدر بعد رحلته وسياحته للتدريس بتارودانت في حدود عام1104 /2 .1693 ، وبمراكش التي اتخذها مستقراً ومقاما ولم يغادرها إلا ستة أشهر من عام 1120 /8. 1709 فراراً بدينه من الافتقاء برقية الحراطين الذين صرح باشتهار حريتهم عند الكبار والصغار. وقد تخرج به جميع طلبة وقته وبلده، ومنهم محمد الصغير الإفراني (ت. ما بين عامي 1156 و1157 / 1174 و1744) وأحمد العباسي السملالي 1152 / 39 .1740). وأصبح قطب الافتاء في الجنوب عقوداً من السنين، وقصده أهل سوس بأسئلتهم في أمور دينهم ودنياهم.

وعكف أحمد الرسموكي على التأليف والاجتهاد والافتاء في مسائل الدين، وخلف آثاراً كثيرة في شتى العلوم التي شارك فيها من حساب وفرائض وفقه ونحو وعروض وتوقيت، ومنها : في الحساب : *تذليل أجنحة الرغاب في معرفة الفرائض والحساب* التي نظمها إبراهيم بن أبي القاسم السملالي، والمعروفة في سوس بالمنظومة السملالية، وتتألف من مائة وعشرين بيتا. فذيلها بستة وثمانين بيتا، وشرحها بثلاثة شروح : كبير عنوانه "*كشف الحجاب للأصفياء والأحباب على أجنحة الرغاب في معرفة الفرائض والحساب*" في اثنتي عشرة كراسة، ومتوسط عنوانه *معونة الأحباب على فتح أجنحة الرغاب في معرفة الفرائض والحساب* في ست كراسات، وصغير عنوانه *مفتاح أجنحة الرغاب في معرفة الفرائض والحساب* في أربع كراسات.

في الفرائض : ألف في علم الفرئض منظومة سماها *الجواهر المكنونة في صدق الفرائض المسنونة*، وتشتمل على أربعمائة واثنين وثلاثين بيتا، وهي جامعة لكل ما يتعلق بهذا العلم فقهاً وعملا. ووضع عليها شرحين : كبير عنوانه *ايضاح الأسرار المصونة في الجواهر المكونة في صدق الفرائض المسنونة* وهو مطبوع ومعروف بفرائض الرسموكي، وصغير عنوانه *حلية الجواهر المكنونة في صدق الفرائض المسنونة*.

وفي الفقه : له *رسالة في الميراث*، و*معونة الأخوان على مسألة أولاد الأعيان*، و*حاشية على الرسالة القيراونية*، و*حاشية على المختصر*، و*مؤلف في الوصية*، و*حلة العروس في أجوبة وأسئلة أهل سوس*، و*تحقيق القول في مسألة العول*.

وفي الفلك والتوقيت والتنجيم : له *الفوائد المرضية في استخراج المنازل والبروج المتوهمة والصورية*، ومنظومة *عمدة الرغاب في حل ألفاظ معونة الطلاب* شرح فيها رجز علي ابن محمد الدادسي المعروف "*بمعونة الطلاب*" في التوقيت، وتزيد علي مائتين وخمسين بيتا. وله شرح على *روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار* لعبد الرحمان الجادري، والأبيات الثمانية في *العمل بالزايرجة* لأبي العباس السبتي.

في النحو : له *أجوبة نحوية في المنادى المضاف للياء والاستغاثة والندبة والترخيم*. في العروض : له *قصيدة من ستة وستين بيتا خصصها لبحور الشعر العربي* وأعاريضها وما يلحقها من زحافات وعلل.

وله مؤلف في التوحيد، ومجموعة في *آيات الشفاء*، و*رسالة في حديث المسلم من سلم الناس من يده ولسانه*، وفي *شروط التوبة*.

وجل تراث الشيخ أحمد الرسموكي متوفر، وقد تتبع الباحث الحسن اللويزي الموجود منه والمتفرق في الخزانات الخاصة والعامة، وجمع جملة من رسائله. وذلك في الرسالة الجامعية التي أفردها له، والتي اعتمدناها في جرد ووصف الآثار العلمية لهذا الشيخ.

ولا ينبغي أن يفهم من ضمور الجانب الصوفي في المعروف والمتوفر من تراث أحمد الرسموكي اضمحلاله في ظاهره وباطنه وفي علمه وعمله، فنشأته صوفية محضة، وقد شب في زاوية والده بقرية تاغاتين المعروفة عند أهل سوس برياض الصالحين، والتي كان الشيخ أحمد بن موسى السملالي (ت. 971 / 3 . 1564) يزور رجالاتها ويقف على مشاهدهم موقف الاعتبار، ويحث على مداومة زيارتهم. وانتسب في شبابه لزاوية تازموت اليعقوبية السملالية، وانتهت به رحلته العلمية وسياحته الصوفية إلى الانتساب إلى الزاويتين الفاسية والناصرية. ولاشك أنه قد اشتهر بين أهل مراكش باعتباره من أعلام الطائفة الناصرية ذات الحظورة بهذه الحاضرة، خصوصاً بعد استقرار الإمام اليوسي بها وتدريسه في مساجدها ثلاثة أعوام كاملة وتأسيسه لزاوية رياض العروس الناصرية. لكن الثابت أن الشيخ أحمد الرسموكي قد أنف من الظهور وآثر الخمول، وانقطع في بيت علوي من مدرسة المواسين وحده مؤثراً السلامة

لنفسه في العزلة والعزبة، حتى اشتهر بين تلامذته ومعاصريه "بصاحب المدرسة".

ولم يعبر صاحب الترجمة عن ورعه وزهده في المشيخة الصوفية بسلوكه العزلة والخمول فحسب، بل بالتهوين من ركن من أركانها تعاظم أمره على عهده، وهو تلقين الأوراد. وقد سجل تلميذه محمد الصغير الإفراني موقفه هذا، في إحدى رسائله إلى محمد المعطى (ت. 1180 / 1766) شيخ الزاوية الشرقاوية في حينه. ونصه : "وكان شيخنا الفقيه الفرضي الحيسوبي سيدي أحمد بن سليمان صاحب المدرسة يقول : تلقين الأوراد اليوم لا يتوقف على شيخ ولا على اذن، لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسواء فيه جميع المسلمين". ويعني هذا الموقف المتحرر في هذه القضية التي تعد من بين القضايا الصوفية التي شغلت بال أهل الطريق بالمغرب، خلال هذا الطور الأخير من أطوار عصر التصوف، عن صفاء وسمو المسلك الصوفي الذي كان يترسمه الشيخ الرسموكي ويرغب الناس فيه. وهو يخالف فيه كثيراً من أرباب الرئاسة الروحية على عهده، وعلى رأسهم شيخه أحمد الخليفة الذي عرف بالتشدد في مسألة الاذن بتلقين الأوراد، وعدم التساهل فيها حتى مع كبار الناصريين. وقد أنكر على الإمام اليوسي تلقينه الأوراد الناصرية بعد وفاة والده محمد بن ناصر (ت. 1085 / 4 . 1675)، وقال له : لما مات أبي رأنا خليفته عزلت إلا أن آذنك ! فاستأذنه فأذن له بعد ذلك. وقد تسببت هذه القضية في افتراق الناصريين إلى فرق متنافرة، بل ومتناحرة أحياناً. وهذا يدل على تميز واستقلال النهج الصوفي الذي سار عليه الرسموكي في إطار النسبة الناصرية.

وعاش صاحب الترجمة محظوظا في علمه وفي دينه وفي ورعه وفي شهرته، وبقي عزبا إلى يوم وفاته التي حدثت يوم الاثنين فاتح رجب عام 1133 / 28 أبريل 1721. وكانت جنازته حافلة، وتبعه كثير من أهل المدينة، واختطف الناس فراش نعشه تبركاً به، ودفن في وسط القبور كما أوصى بذلك، بخارج باب الدباغ من حاضرة مراكش.

م. الصغير الافراني، الافادات والانشادات، مخطوط خاص. 16 ؛ درر الحجال في سبعة رجال، مخطوط، 33 ؛ رسالة إلى الشيخ محمد المعطي، مخطوط خاص، 6 ؛ ع. التامانتي، رحلة الوافد، تح. ع. صدقي أزايكو، 5. 177. 180. 181. 182. 183، 228، 236 ؛ م. المكي الناصري، الروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه الأكابر، تح. المهدي الغالي. د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 1990، 202. 257 ؛ م. الحضيكي، طبقات، تح. أ. بومزكو، 85. 93. 101. 118. 291. 370. 469 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 2. 366 ؛ م. المختار السوسي، المعسول، 18، 330. 337 ؛ الحسن التوزيزي، أحمد بن سليمان الجزولي الرسموكي المتوفى عام 1133 : حياته وآثاره، د. د. ع. دار الحديث الحسنية، الرباط، 1995.

عبد الله نجمي

الرسموكي، داود بن علي الكرامي السملالي، ذكره ابن سودة في الرسموكيين (249) وترجم له السوسي ضمن رجالات سلالة الكراميين (*سوس العالمة*، 188) و(*المعسول* 7 : 31) و(رجالات، 57) وهو من الأسرة الكرامية المعافرية الأندلسية الأصول ! ولعل المسوغ لذكره في الرسموكيين أن رسموكة مسقط رأسه في قرية تادارت (*المعسول*، 7 : 31) وقد استنتج السوسي أن ولادته قبل عام 1120 / 1708 بناء على مقارنات وعلى تصريحات صاحب الرجم ببعض الوقائع.

وصف بأنه عالم جيد معتن وهو يلتقي مع الحضيكي الشهير معاصره في بعض شيوخه : كما يشبهه في وضع كتاب في طبقات علماء سوس : ألف الحضيكي *طبقات علماء سوس* وألف داود بن علي *بشارة الزائرين من الباحثين في حكايات الصالحين*. كما يؤخذ من مقدمة كتابه المخطوط. وإذا كان الحضيكي قد توسع في عدد المترجم لهم وفي مساحة التراجم فإن صاحب *بشارة الزائرين* هذا عمد إلى رجال القبائل والنواحي فضم رجالات كل قبيلة كبرى أو أكثر ضمن باب، مصرحاً في مقدمة *البشارة* بأنه اعتمد فيه على الأصول المجردة من الزوائد (الورقة الأولى) وهو في أربعة أبواب كبرى أولها في رجال سملالة والثاني في رجال رسموكة وحامدة وبعقيلة والثالث في رجال انتصلت ومن جاورهم، والرابع في رجال درعة وسجلماسة ومراكش. وذكر السوسي أن هذا الصنيع من شأنه إظهار مزايا الأسر العالمة (*المعسول*، 7 : 31) واصفا صاحبه بالنقل الحرفي من عبارة أحد الرسموكيين المجهول الاسم والنسب وصاحب كتاب *لطيف الحجم في الوفيات* (انظر مطبوعة *وفيات الرسموكي*) وقارن *بالمعسول* (7 : 31) كما ذكر له في *سوس العالمة* (188) مؤلفا ثانيا سماه *منهج الراشدين في تتبع خُطا سيد المرسلين* واستظهر أنه توفي بعد عام 1164 / 1750 بكثير (رجالات، 57).

د. الرسموكي نفسه، *بشارة الزائرين*، الورقة الأولى : م. المختار السوسي، *سوس العالمة*. 185 ؛ رجالات. 57 ؛ *المعسول*. 7 : 21 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*. 249.

الرسموكي، عبد العزيز البرجي (ت. 1065 / 1655) عنون له السوسي مجرداً عن اسم أبيه أبي بكر بن أحمد بن يعقوب (*المعسول*، 5. 20) وذكره محمد حجي كاملا (*الحركة*، 607) ونسبته إلى قرية البرج برسموكة. وقد وُصف بالعلامة الكبير وبالتفنن في التأليف والتدريس والتخريج والإفتاء، والفروسية وبالأدب واللغة والتصريف والحساب فيه (رجالات، 35).

أخذ عن الشيخ ابن يعقوب الشهير جد الأسر الأدوزية وعالم سوس وشهد له تلميذه الحسن اليوسي بالنجدة والقوة والحزم والخط الرائق والكتابة والطرق النافعة في تدريس

التصريف وبالتحقيق في تدريس *المختصر الخليلي* الفقهي (*المعسول*، 5 : 21 ـ 22) وهو الذي حرك همة اليوسي لإعادة تدريس *الألفية* في النحو طلبا للبراعة واستحضار الشاهد منها على غرار ما شاهده من صاحب الترجمة (حجي، *الحركة*، 607) ومن السوسيين عامة.

له مؤلفات عديدة تتراوح بين كتب في العروض مثل *كافية النهوض في صناعة العروض*، (خ) وشرح *الخزرجية* (ح) وتذييل *صالح اللخمي في تجزئة أشطار العروض* (خ). وشرحه (خ). وأخرى في النحو واللغة *كنظم المغني* (خ) وحاشية على *كتاب الجوهري* (خ) ومؤلف في *شرح كبرى العقائد* (خ) وآخر في المديح النبوي (خ) سماه *موازنة الوتريات البغدادية* ؛ وآخر في *التحريض على قيام الليل* (خ). وله مع معاصريه معارضات ومساجلات كمؤلفه في لغز عارض به لغز معاصره الميرغتي (خ) ؛ وله مراجعات مع فقهاء مراكش (*المعسول*، 5 : 32 ـ 35) في شكل مقطوعات شعرية إظهاراً لبراعة السوسيين في القريض ورداً على من زعم عكس ذلك (نفسه) وله شرح *منظومة فقهية لبعض الازاريفيين* (خ) وغيرها (سوس، 185).

ودرس بمدرسة المولود ثم استقضي ببلدة إيليغ قبيل خرابها، وتوفي غريقا في نهر بهشتوكة سوس (حجي، 607) سنة 1065 / 1655.

م. المختار السوسي، رجالات35 ؛ *المعسول*، 5 :20 ؛ *سوس العالمة*، 185 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 607.

محمد البايك

الرسموكي، محمد بن **عبد الملك**، فقيه. ينتمي إلى إحدى البيوتات الرسموكية القديمة، وهي أسرة التامريين التي ترفع نسبها إلى زوزان بن علي الولتيتي. ولد حوالي 1290 (1873 ـ 1874) بقرية "تامرا" بتراب "إداوكارسموكت أودرار (الجبل)".

نشأ يتيما بعد أن هاجره أبوه وهو ما يزال صغيراً. تعلم على شيوخ عائلته من بين أعمامه وأخواله خاصة محمد بن العربي الأدوزي بمدرسة أدوز، التي كانت تعج أنذاك بالطلبة من مختلف الآفاق.

وبإيعاز من ابن عمه محمد إيكيگ، أكمل الرسموكي تعليمه بالأخذ عن شيوخ القرويين بفاس أمثال : أحمد بن الخياط وعبد السلام الهواري ومحمد القادري والفقيه الاغزاوي... ويظهر مما أرده عنه زميله في الدراسة الحاج أحمد الزياني، أن الرسموكي كان يسكن في بيت متواضع، مقبلا على التعبد والزهد. وكان مولعاً باقتناء جميع أصناف الكتب ومطالعتها، فتكونت لديه مكتبة متسعة. وعرف عنه أنه من الممارسين لمهنة التطبيب. واشتغل أيضا بعلم الجداول، ومن ذلك تحصل لديه مال كثير. يشهد له معاصروه بعلو كعبه في الأدب واللغة والطب، وكانت له مساجلات أدبية وعلمية مع الفاسيين. ولأسباب لا نعرفها، كثيراً ما كان الرسموكي لا يتورع عن التحامل على الفاسيين، ولم يسلم من لسانه العديد منهم، ومع ذلك كان يتمتع بتقدير كبير من لدن سكان وأعيان المدينة، وكان محل احترام الجميع لفضله ومكارم أخلاقه ونسكه.

توفي بفاس عام 1368 (1948 ـ 1949) ولم يخلف أولاداً، وكانت معظم تركته من الكتب التي كان مولعاً باقتنائها.

م. المختار السوسي، *المعسول*. ج. 5 : 133 ؛ ج.8 : 190 . 191 . 215 . 267 ؛ ج.11 : 188 ؛ ج. 18 : 15. 66. 332.

الرسموكي، محمد بن **علي** (إگيك)، ينتمي محمد ابن علي بن أحمد المزواري الرسموكي الملقب إگيك إلى أسرة علمية شريفة النسب إدريسية الأصل، نبغ أبناؤها وتسلسل فيها العلم منذ القرن التاسع (15 م) حيث عاش أولهم محمد بن سليمان بن يحيا الجزولي (ت. 806).

ولد محمد بن علي إيگيك نحو سنة 1260 بقرية تامالوكت بقبيلة إداوگارسموگت، وبها بدأ دراسته الأولية ثم انتقل إلى مدرسة أدوز فلازم العلامة العربي بن إبراهيم الأدوزي حتى وفاته ثم أخذ عن ابنه العلامة محمد بن العربي الأدوزي قليلا، وانتقل إلى المدرسة اليعقوبية الإيلالنية لدى أستاذها العلامة محمد بن علي اليعقوبي شارح *المنهج المنتخب* في الأصول فلازمه حتى حصّل عليه ما حصّل من العلوم، ولما توفي شيخه هذا ورأى أن لا أحد في سوس مثله ارتحل إلى فاس سنة 1301 فأخذ على علمائها عبد السلام بناني وعبد العزيز بناني ومحمد بناني ومحمد بن المدني گنون ومحمد القادري ومحمد مزور وعبد السلام الهواري.

رجع إيگيك من فاس وقد أجازه أساتذته فيما أخذ عنهم من علوم خاصة تلك التي أتقنها إتقانا تاما كالحساب والفرائض التي كان فيها مبرزا. قال عنه الإگراري : "له يد في علم الحساب، جمبع أعمال المنية في صدره" (*روضة الأفنان*، ص. 238) إضافة إلى اللغة والتفسير والبلاغة. ولعمق معرفته وسعة تحصيله لقب إگيك أي الرعد.

وبعد عودته من فاس انصرف إلى التدريس فشارط في مدرسة تانكرت بإيفران سنة 1314، ثم في مدرسة سيدي بوهادي بإيلالن سنة 1321 ثم في إحدى مدارس هشتوكة، غير أنه ما لبث أن فارق التعليم فاشتغل حينا بتجارة الكتب يجلبها من مراكش ليبيعها بالمواسم الكبرى بسوس خاصة موسم تازروالت، وقد جانبه التوفيق فيها فصار يزجي أيامه بالتجوال بين المدارس ومنازل العلماء بسوس مشتغلا أحيانا بالتدريس وبقسمة التركات (*المعسول*، 8 : 177).

كان الرسموكي إيگيك متقلب المزاج سريع الغضب معتدا بنفسه، لا يستقر بمكان فقل الآخذون عنه والمنتفعون بعلمه الجم، وغالب المستفيدين منه إنما أخذوا عنه بالمدرسة

الإلفية لأن أستاذيها محمد بن عبد الله الإلفي وعلي بن عبد الله الإلفي كانا يستقبلانه ويصبران على ما يصدر منه حتى يستبد منه الطلبة. قال أحد طلبة الإلفية : "... كان الأستاذ علي بن عبد الله نفسه يجلس مع الطلبة بين يديه، فيعمل عمل الحساب والفرائض إيناسا له واستنهاضا لهمم الطلبة" (*المعسول*، 8 : 178).

وممن أخذ عنه : محمد بن المؤذن السملالي وعبد الله بن محمد السملالي وإبراهيم بن علي التاكوشتي ورشيد المصلوت وغيرهم

كان إكّيك كثير الانتقاد للناس خاصة الطلبة والعلماء وأرباب الطرق، مولعا بالحط من أقدارهم وإبراز معايبهم وغرض أعراضهم. ولم يسلم منه سوى شيخيه في العلوم والطريقة التجانية العلامة الأصولي محمد بن علي اليعقوبي وشيخ التيجانية بسوس الحاج الحسين الإفراني. مما سبب له ذلك معاداة الناس الذين صاروا يطعنون في عرضه وينسبون إليه النقائص. وإلى ذلك أشار محمد المختار السوسي بقوله : "... وكان لتمكنه من العلوم يحسب له من يخافون منه ألف حساب فيقصرون رؤوسهم من لحوه، ثم يكيلون له صاعا بصاع إن غاب عنهم. فربما ينسبون له معايب قد يكون خاليا منها. ولكن حين أولع بالبحث عن عيوب الناس وبالحط منهم أولع به أيضا الناس، فصاروا يحطون من مقامه بحق وبغير حق حتى لا يتركون له حسنة ولا يبقون له منقبة". (*المعسول*، 8 : 179).

كان لدراسة المترجم بفاس أثر كبير في اتساع أفقه وتجلى ذلك في انتقاده بعض العادات والمظاهر المنتشرة في سوس مثل "*تحزابت*" وهي تلاوة تشوه القرآن بزيادة المدود أو نقصها. كما كان ينتقد تزيين المقابر والأضرحة وكسوتها بالأقمشة. وكانت له آراء تربوية ثاقبة. فكان يرى أن على الطالب أن يستمر في الأخذ حتى تحصل له الملكة، ثم عليه أن يعتمد على نفسه في التكوين والتحصيل (*المعسول*، 14 : 57).

عاش إكّيك عازباً لم يتزوج قط حتى بلغ الثمانين فأصابه الخرف وفارقه التمييز سنتين قبل وفاته فسار حتى وصل إلى المدرسة اليعقوبية بإيلالن وهناك توفي سنة 1324 / 6 . 1907. وهو أحد علماء سوس الذين لم يسعفهم الحظ في إبراز ما حصّلوا من علوم فلم يتمكن من الاستقرار بمدرسة ولا من تأليف كتاب أو رسالة. وأهم آثاره إجازته للفقيه رشيد المصلوت إجازة مطولة مفصلة عدد فيها مشايخه وما درس عليهم من علوم ومعارف إضافة إلى مشايخه في الطريقة التجانية (راجع *المعسول*، 8 : 184).

م. المختار السوسي، *المعسول*، الأجزاء 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 8 ، 9 ، 11 ، 13 ، 14 ؛ م. الإكراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، مح. حمدي أونرش، أكادير، 1998.

الرسموكي، موسى بن العربي بن إبراهيم، ولد بقرية تيروكت بقبيلة إدار كارسموكت (رسموكة) وسط جبال جزولة يوم الأربعاء 23 رمضان سنة 1283 / 29 يناير 1867 (*المعسول*، 18 : 29 نقلا عن *تحلية الطروس* للسكراتي).

بدأ موسى دراسته بمسقط رأسه ثم غادره وحفظ القرآن وأتقن حفظه على جماعة من الأساتذة الحفاظ. ثم شرع وعمره خمسة عشر عاما في دراسة العلوم فأخذ عن جملة من مشايخ تازمورت وتارودانت ومراكش : محمد بن عبد الله السملالي (ت. 1235) لازمه مدة اثنتي عشرة سنة متنقلا معه بين تازمورت بجوار تارودانت ومنتاكة وأيت مزال بإيلالن حتى أتقن عليه علوم العربية والفقه والبيان ؛ وأحمد بن محمد بن علي السندالي الأصولي الملقب أمزارك والكبير (ت. بعد 1306)، درس عليه بتيوت قرب تارودانت. أخذ عنه الأصول والبلاغة ؛ وعمر التملي الايكضي ؛ الحاج أحمد الجشتيمي أدركه أواخر حياته فقرأ عليه تبركا ؛ وعبد الرحمان بن القرشي النبلالي درس عليه كتاب جمع *الجوامع* لابن السبكي في الأصول بجامع المواسين بمراكش سنة 1311.

رجع الرسموكي من مراكش سنة 1312 وقد استتم معارفه فاندمج في الحياة العملية وبدأ بالسبيل المفتوح لأمثاله من الخريجين الجدد وهي المشارطة، فكان بقبيلة إمنتاكن (امنتاكة) نحو ستة أشهر، ثم انتقل إلى قبيلة المنابهة شمال شرقي تارودانت، ثم استقر بتارودانت سنة 1314 تاركا المشارطة لتعاطي التجارة. وقد أتاح له الاستقرار بهذه المدينة التعرف على علمائها وفقهائها، كالقاضي محمود الخياطي الذي أعجب بمداركه وتحصيله للعلوم وبعمق معرفته بالنوازل وإتقانه لها. فعيّنه متلقيا للشهادات (عدلا) وعضواً في مجلس الشورى، وهو مجلس يتكون من علماء يعينون القاضي في مهامه. بقي الرسموكي ممارسا لعمله حتى جلا عن تارودانت إلى تازمورت سنة 1322 بعد أن سجن ظلما هو وولي نعمته القاضي محمود الخياطي.

عاد موسى الرسموكي إلى تارودانت لما لبث بعد سجن القاضي محمد بن عبد الرحمان بلجزيد الروداني أن ولي قضاء الجماعة بها في شعبان 1326 / نونبر 1902. ويشمل قضاء الجماعة الإشراف على القضاء بالقبائل السوسية الممتدة من رأس الوادي وقبائل الأطلس الكبير كمكتاند إلى إيلالن بالأطلس الصغير وهشتوكة وماسة (*الفهرس العلمي*، ص. 46) بتعيين عشرات النواب يتولون الفصل بين المتخاصمين إضافة إلى ضبط التوثيق وتلقي الشهادات بهذه المنطقة المترامية الأطراف. وبقي الرسموكي متوليا هذه المهام مدة خمس وثلاثين سنة موزعة على مرحلتين .

الأولى من سنة 1326 (في *خلال جزولة* 1325، ج. 4 : 140) عقب عزل القاضي البزيد الروداني وسجنه إلى 1332 تاريخ تعيين القاضي الناظمي الشرادي الفاسي بتارودانت.

الثانية : من سنة 1337 عندما عاد القاضي الشرادي

إلى فاس وأشار بتعيين الرسموكي في منصب القضاء، إلى سنة 1361 تاريخ إحالته على التقاعد، وقد كان القاضي موسى الرسموكي يقوم في هذه المرحلة بالتدريس بالجامع الكبير حسبما ورد في رسم مؤرخ بسنة 1339 (*وثائق أحمد بوزيد الكنساني*) ومن تلاميذه محمد التيملي المسناتي أخذ عنه إذ ذاك (*المعسول*، 8 : 293).

اشتهر القاضي موسى الرسموكي بالنزاهة والاستقامة والإنصاف خلال توليه قضاء الجماعة، فكان متحريا لا يسرع في الأحكام بل ربما أبطأ، كما أغلق باب الشفاعة في الحقوق وأنصف من المقربين قبل الأباعد، ووقف في وجه المتلاعبين ولو كانوا من الرؤساء، (راجع حول موقفه من تدخل وزير العدل والباشا الأگلاوي في إحدى القضايا *المعسول*، 18 : 17).

ونتيجة لذلك لم يُؤثل أملاكا ولا كانت له ثروة، وصفه المختار السوسي، فقال : "كان فريدا في كل أحواله، فقد أبرز منه هذا المركز الذي كان فيه زهاء خمس وثلاثين سنة درة صافية، وياقوتة فريدة، وإماما مبرزاً قلما يوجد له نظير، فقد تولى قضاء تارودانت وهي إذ ذاك عاصمة سوس... فيستنيب عنه عشرات النواب، وكان بذلك في ملتقى سيول الأموال لو أنه كان يهتم بجمعها، ثم مضى له زمن طويل كان مظنة تأثيل الأموال ولو شيئا فشيئا، ولكن كم يطول عجب القارئ إن أخبرناه بأنه لم يتأثل ولو حقلا واحداً، ولا ظهرت له أموال مثل ما تظهر لأمثاله الذين يكونون في مثل مركزه ولو بضع سنين (*المعسول*، 18 : 10).

وقال فيه المدني بن الحسني رئيس مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى : "ما رأيت بين القضاة اليوم مثل سيدي موسى الروداني، فإنه عندي من بقية السلف فيما ينهجه من أحكامه، وإنها لأشبه عندي بأحكام قضاة الأندلس (*المعسول*، 18 : 12).

كما كان الرسموكي مفتيا تُعرض عليه القضايا والنوازل فيفتي بمذهب مالك متبعا في ذلك كبار فقهاء المذهب، وكانت له آراء جريئة مخالفة لما جرى به العمل في سوس بين العامة، يتجلى ذلك في موقفه من بيع الثنيا، وقد أفتى بحرمته وعمل جهده على منعه، وكتب في ذلك فتاوى عديدة (*خلال جزولة*،4 :176 ؛ *فقه النوازل في سوس*، ص. 359).

لم يمنع الاشتغال بالقضاء موسى الرسموكي من أن تكون له اهتمامات أخرى، كالاهتمام بالتقييد، فاتخذ كنانيش يحفظ بها ما يعن له من أخبار وتاريخ وأدبيات وأحداث سمع عنها أو شهدها بنفسه، واعتنى بالخصوص بتسجيل أخبار وفيات العلماء والفقهاء من أهل سوس، كما اهتم بتواريخ تنصيب الرؤساء والقواد والنظار وغيرهم من أرباب المناصب الهامة في المجتمع، وقد استفاد محمد المختار السوسي من هذه التقاييد واستعان بها في تآليفه التاريخية والأدبية، ووصفها قائلاً : "... مقيدات هذا القاضي كثيرة، وذلك يدل على غاية الاعتناء منه" (*خلال جزولة*، 4 : 177) ؛ وياقتناء الكتب خاصة نوادر المخطوطات إما بالشراء أو النسخ، فاجتمعت له بفضل ذلك خزانة حافلة ضمت كتبا هامة قليلة النظير ما بين كتب الفقه والأدب والتاريخ والفهارس، ومن نماذج ما تحتويه نسخة عتيقة من كتاب *الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة* لعبد الرحمان التمنارتي، وهي الأصل الذي نسخ منه الباحث الفرنسي الكولونيل جوستينار النسخة الموجودة بالخزانة العامة بالرباط، وكتاب *النور الباهر في نصرة الدين الطاهر* ليوسف بن عبد الله الإسلامي وهو أحد يهود تارودانت الذين أسلموا، وقد بيعت هذه الخزانة الهامة بعد وفاة ابنه أحمد بن موسى.

ومن اهتمامه بالأدب، أريحيته الأدبية أي ما اتصف به من فكاهة ودعابة لا يتصف بها عادة إلا الأدباء الظرفاء خاصة عندما يختلي بأمثاله من الأدباء، أو في مجالسه الخاصة التي يكون فيها بعيداً عن مهام القضاء التي تفرض عليه لزوم الوقار والسكينة، فيملأ مجالسه بإنشاد الأبيات والمقطعات ورواية الطرائف والمستملحات. كما خصص يوم الأربعاء من كل أسبوع لنزهات يقوم بها مع علماء المدينة الأدباء كعبد الله خرباش وأحمد بن المصلوت الهواري وغيرهما فيقضون اليوم في مذاكرات وإفادات علمية وإنشادات أدبية. كما كان يستغل زياراته للحواضر الكبرى كفاس ومراكش للقاء الأدباء والتعرف عليهم، وترقب زياراتهم لتارودانت لاستضافتهم، مثل علي بن عبد الله الإلغي والشاعر محمد بن الحاج الإفراني وشاعر الحمراء محمد بن إبراهيم المراكشي.

ومن إبداعاته الأدبية : قطعات اقتصرت في الغالب على الإخوانيات، وعلى غرض المدح والوصف والسخرية والهجاء، وكان غالب إبداعه في المساجلات تحية لصديق أو ردا على تحية، أو قياماً بالواجب في التهنئة أو التعزية، أو غير ذلك من الموضوعات المرتبطة بحياته الاجتماعية، غير أن ذلك لا يقدح في شعره ولا ينزع عنه ما وصف به من أنه شعر لطيف وممتع رغم قلته.

وله مراسلات عديدة مع معاصريه، ويختلف أسلوب رسائله حسب المرسل إليه، فإن راسل الأدباء والعلماء فإنه يطيل النفس ويعتني بالصنعة، كما يتفنن في الأسلوب مستعينا بالسجع ومستعملا المجاز والتشبيه والاستعارة على غرار الكتاب الأندلسيين، مع ترصيع الرسائل بالأمثال والأبيات الشعرية من الشعر العربي القديم أو من إبداعاته الخاصة.

ومن نماذج هذه الرسائل ما كاتب به القاضي الفاطمي الشرادي الفاسي بعد أن غادر تارودانت واستقر بفاس، يتشوق إلى لقائه ويصور ما ترك بالمدينة من فراغ، قال : "أما بعد، فهل عرفت كيف تركت بعدك القلوب تشوقا،

وغادرت أوداءك برحيلك محرقا، فما أنت إلا الوبل الذي صادف محلا فقلع جذوره، ثم كسا وجه البسيطة زهوره، أو النهار المشرق الذي يطلع بعد ليلة السرار، فطلع بشمس وضاءة صافية الأنوار، فالشكر لسعد السعود الذي ساقك إلى سوس حتى علاه الحبور والسرور بعد العبوس..." (*المعسول*، 18، 18).

أما إذا كاتب الرؤساء والقواد فيعبر على حسب الحاجة متوسلا بالعبارة البسيطة السهلة التي لا تشكل على الأفهام رعيا للقصد منها فهدفها تحقيق ما يتعلق بالمهام الرسمية أو مجاملة من لابد من مخاطبته دون التفريط في حسن السبك وقوة الأسلوب.

توفي القاضي موسى الرسموكي يوم 2 شوال 1361 / 13 أكتوبر 1942، ودفن بمقبرة باب الخميس بتارودانت مخلفا ذكراً حسنا ما زالت تتداوله الأفواه. وقد رثي بأشعار كثيرة.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الأجزاء 4، 6، 7، 8، 10، 11، 14، 16، 18، 19؛ *خلال جزولة*، ج.4، تطوان؛ اليزيد الراضي، *شعر داود الرسموكي*، أكادير، 1992؛ رشيد المصلوت، *الفهرس العلمي*، الدار البيضاء، 1405/ 1985؛ الحسن العبادي، *فقه النوازل في سوس، قضايا وأعلام*، الدار البيضاء، 1999؛ وثائق أحمد بوزيد الكساني تارودانت.

المهدي السعيدي

الرسموكية، مدرسة في قلب قبيلة إداوگارسموكت، تقع مدرسة دوّدرار الرسموكية العتيقة، تنحشر وسط ركام من التلال الجبلية وكأنها حجابها "تخيروا لها موقعاً اتفقت عليه كلمتهم، بإشارة من العارف الرباني أحمد بن محمد من المرس بأرباض ماسة، مع ثلة صالحة من آل الدشيرة... بين أكمات لا يترآى لعين الناظر" شيدت المدرسة في ملك رجل من آل بورجالات يدعى محمد لشگر، وهذا التأسيس، وقع فيما غلب على الظن، في أواخر القرن الثاني عشر (18 م). ومما يستشف من وثائق المدرسة أن القبيلة كانت تتكلف بجميع مستلزمات تسييرها وتدبيرها، بما في ذلك شرط الأستاذ المدرس. ففي سنة 1287 كان "مقدار شرط الفقيه (محمد بن إبراهيم التودماوي) أربعين مثقالا فقة، وثلاثون غرائر من الزرع بصاع الأربعاء، ونوافله من الزبدة...". تعاقب عليها بالتدريس والاقراء، منذ إحداثها ما يناهز سبعة عشرين من الشيوخ والأساتيذ ذوي أصول مختلفة (إيداوگاسموكت، أدوز، ماسة، أراريف، إلغ...) أشهرهم : صالح بن إبراهيم الرسموكي (ت. أواخر ق. 12)، إبراهيم بن محمد المحجوبي (ت. 1252هـ)، العربي بن إبراهيم الأدوزي (ت. 1286)، محمد بن محمد بن أحمد الأدوزي (ت. 1276)، عبد الرحمن بن أحمد الماسي (كان حيا 1379)، علي بن الطاهر المحجوبي (ت. 1387)، عبد العزيز الأدوزي (ت. 1336)، محمد بن علي المزواري (ت. 1335)، سيدي عبدو المقري (ت. 1383)، محمد بن علي المحجوبي، صالح بن عبد الله الإلغي...

وعلى الرغم من تعدد المدارس المتناثرة بتراب القبيلة (تيزگين، تافراوت، المولود، تاملوكت...) فإن مدرسة دوّدرار ستأثر بالريادة العلمية، وكان منحاها العام هو الاهتمام بالنقد والأدب والقراءات، وتخرج منها عدد غير من الطلبة.

وثائق المدرسة : *وثائق الأستاذ صالح بن عبد الله الإلغي* ؛ *المعسول*، 3، 8281 ؛ 8 : 214، 10، 77، 11؛ 188 ؛ 5 ؛ 108، 70، 112، 134، 214، 129، 65، 115 ؛ 4، 28 ؛ *رجالات العلم العربي* سوس، 225، 128، 124، 241 ؛ الاگراري، *روضة الافنان*، تح. حمدي أنوش، ص. 201، 280، 329 ؛ *مدارس سوس العتيقة*، 110 ؛ *خلال جزولة*، 1، 33 ؛ *سوس العالمة*، 159.

أحمد بومزگو

رشاد، بوشعيب أحد رواد المسرح المغربي بالدار البيضاء، ينتمي إلى الجيل الحضري المحافظ الذي أفاق على وقع تغلغل الاحتلال الأجنبي فتفتح على الحداثة من موقع وطني أصيل.

اغترف من المعين الحضاري المتشعب، الثري والمتناقض، الذي رافق نشأة العاصمة الاقتصادية الفتية في ظل العولمة الأولى التي عقبت الحرب العالمية العظمى وأعدت للثانية. تلقى الدروس البصرية الأساسية عن طريق السينما الصامتة التي كانت مدرسة متميزة، تركز على التشخيص والحركة والإخراج، ولعة الإبداع الجسدي والتقني دون سواها. بالموازاة مع ذلك، كان التراث الشعبي مايزال يتمسرح بزخم كبير في حلقات الساحات العمومية، معتمدا على النصوص البطولية والعقائدية للموروث الموحد، وتلاقح الآداب الإقليمية، وتوقيع الأهازيج والفكاهة والموعظة، وكانت معه الحركة الوطنية، تحتكم إلى الدين الإسلامي وإلى الفكر الشرقي، وتنتقي من النبوغ الدخيل، وتندمج في المسار النضالي الذي ألهب الجيل وأحيى الدينة.

عرف بوشعيب رشاد في بداية حياته الفنية باسم شعيب الحاج قاسم. تتلمذ في عصامية تامة على التيارات التي



كانت تعبر الشارع البيضاوي، وأسهم بقسط وافر في الجهود التي عملت في مرحلة أولى على تجنيب التعبير التلقائي الشعبي المسرح مزالق الابتذال والدونية. فكان من الذين أسسوا لمسارح الأحياء في صورتها الأولية، في ذات الساحات التي كانت تقام عليها الحلقات، منافسة المسارح الأجنبية المشارب ومنها مسرح العبث الذي ظهر كملهاة جديدة تشغل الناس، والشباب منهم على الخصوص، توظف الألعاب البهلوانية، ومهارات السحر وخفة اليد... (الراس المقطوع). ومن أجل خلق هذه الانتفاضة الثقافية، وتقويم التيارات المدسوسة والدفع بها في اتجاه أخلاقي وطني ذي جمالية فنية أصيلة، عكف الرواد على إنشاء الأنشطة الثقافية خلال مواسم لها حرمتها لدى العموم، فتميزت من بين هذه التظاهرات على سبيل المثال "حفلات رمضان" التي كانت تعرف العروض المتواصلة لبعض الروايات الاجتماعية والطرائف الفكاهية والأناشيد الوطنية والقراءات الشعرية، إضافة إلى ترتيل الذكر الحكيم، كل ذلك في جو احتفالي مفعم بالحماس والعفوية...

خلال كل مرحلة البدايات، كانت لغة الإبداع في مجملها هي العربية الدارجية. واستمر ذلك إلى أن تبين التخطيط الاستعماري لطمس الهوية الوطنية بكل مقوماتها. فسرى في أوساط النخبة الفنية تعليمات الإجماع باعتماد اللغة العربية الفصحى في إنجاز كل عمل إبداعي ذي بال.

لاشك أن أقدم مرحلة للإنتاج المسرحي في صيغته النظامية الكلاسيكية قد انبثقت إرهاصاتها عن جو المقاومة والبطولات التي خاضها الكفاح المسلح ضد احتلال البلاد، والأصداء التي خلفها، زيادة على الرواج المتزايد للعروض التمثيلية المتقدمة الآتية من الشرق والغرب. وقد أذكى جذوتها زخم أحداث المقاومة الحضرية التي تعددت إثر إعلان الظهير البربري (1930) وإلى رفع وثيقة المطالبة بالاستقلال (1944) ثم تصعيد العدوان الاستعماري بنفي رمز سيادة البلاد آنذاك السلطان محمد بن يوسف.

يعتبر بوشعيب رشاد من أهم نشطاء هذه المرحلة. أسس جمعيته الفنية سنة 1942، في خضم دوامة الحرب العالمية الثانية، وأسماها "الفرقة التمثيلية البيضاوية". أنتجت الفرقة كل أعمالها الأساسية باللغة الفصحى إلى حدود انفجار الأزمة الوطنية سنة 1953 حيث قررت كل الأوساط الثقافية الملتزمة اعتماد موقف حدادي مقاطع لكل مظاهر الاحتفال، ومناصر لفترة الكفاح المسلح الحاسمة التي توجت باستقلال البلاد.

وافقت مرحلة التأسيس هاته، على الصعيد الوطني، مرحلة عطاء متميزة عند الفنان بوشعيب رشاد.

كانت المسرحية الأولى، "قصة نبي الله يوسف"، على غرار جل أعمال البدايات في ذلك الوقت، ذات صبغة تاريخية، لها مغزى رمزي، تواجه العدوان من أرضية الوثوق الديني.

جاءت بعدها أعمال مبتكرة ذات طابع درامي اجتماعي وانتقادي أصيل. نذكر من بين عناوينها : "بالنسب ينتفي الفساد"، "دموع اليتيمة"، "أولاد الأغنياء"، "حكمة الله". وقد مثلت جميعها في أكثر من عرض، مهيكلة في أربعة فصول لكل واحدة، ومعتمدة الوسائل العصرية في الملابس والماكياج والديكور والصوت والإنارة. وقدم معظمها على خشبة المسرح البلدي للدار البيضاء، الذي كان أهم قاعة للعرض المسرحي الحديث بالمغرب على الإطلاق.

اقتضى تعقيد الوظائف الفنية الحديثة من أجل إعداد العروض، أن يقوم شعيب رشاد، رئيس الفرقة، بوضع القصة والإخراج ويفوض عملية الكتابة مثلا لشركاء من الشباب المثقف، برز من بينهم المرحومان إدريس الخياطي في مرحلة أولى وخاصة عبد الرزاق أحمد الهراوي، وكلاهما من الرعيل البيضاوي لجامعة القرويين.

شكل الإبداع المسرحي في حمأة الاحتلال بوتقة هائلة لأدوات الثقافة المغربية تشحذها وتطورها فنيا كما تسخرها للنضال من أجل الانعتاق. من ذلك أن المؤلف، في الفرقة التمثيلية البيضاوية مثلا، يكتب الرواية في صيغتين اثنتين : إحداهما مكتملة تعتمد على توزيع الأدوار وإجراء التمارين، والأخرى هزيلة، منقوصة من كل المواقف والمقاطع ذات النفس الوطني، تقدم للرقيب، يقرأها بتمعن ويطبع على كل صفحة يجيزها. ثم يكون الامتحان الثاني ليلة العرض إذ يحضر الرقيب ومعه النسخة المختومة للتأكد من التطابق بين النصين المكتوب في كراسته المتواضعة والمشخص على الركح. وكثيرا ما كانت تنتهي السهرة بمركز الشركة في محاسبة عسيرة. وأجمل ما في الأمر أن هذه الأحداث كانت تدخل في سجل مفاخر الفرقة، تشجع على الاستمرار ولا تثني عنه بحال من الأحوال. وغالبا ما كانت تعد العروض لتوافق المناسبات الوطنية، يأتي على رأسها عيد العرش، فلا يندر أن تقام السهرة بالشباك المقفل من فرط الإقبال عليها.

كما نحسب لرئيس الفرقة التمثيلية البيضاوية السبق في العديد من الأعمال التأسيسية. منها إبداع صيغة العرض المسرحي الأكثر ملاءمة لوضع الجمهور المغربي آنذاك. فمعلوم أن أغلبية المجتمع كانت من غير المتعلمين الذين لا يحذقون اللسان الفصيح بما يكفي، لذا وجب الإلحاح على المؤلف البليغ، متخرج القرويين، في أن يبسط لغته، على أن يأتي الباقي من مهارات الإخراج والتشخيص. إضافة إلى أن رفع الستار يكون على رواية هزلية من فصل واحد، تقدم بالعامية، تأتي مقبلة للطبق الدسم الموالي، ويؤلفها ويخرجها رئيس الفرقة ويشخص فيها الدور الأول.

وقد تولى بوشعيب رشاد التنقيب عن المواهب الواعدة وإبراز العديد ممن أنصفهم المستقبل فسطع نجمهم. نذكر من

بينهم حمادي عمور، الذي انتقل بعد ذلك إلى فرقة المنار ثم إلى الإذاعة الوطنية ؛ وعبد الرزاق الهراوي، الذي أسس في أواسط الخمسينيات فرقة العروبة المسرحية التي قامت بعد وفاة المؤسس على إدارة المسرح البلدي ؛ ومحمد عفيفي، الذي انخرط في الفرقة الوطنية ؛ وثلة من الشخصيات الفكاهية المتميزة من بينهم عبد الرحمان الصويري، المفضل الحريزي، بوجمعة وجود، عبد الرحيم التونسي...

وحتى معضلة الأدوار النسائية التي لم تكن تجد لها حلا في الغالب إلا بإسنادها لشباب متنكرين، قد وجدت بعض حلها في البنية الأسرية التي ميزت الفرقة التمثيلية البيضاوية. بل وبلغ تكافؤ الفرص بين الجنسين إلى حد منح مسؤولية تأليف رواية "حكمة الله" إلى الممثلة الموهوبة التي اضطلعت فيها بالدور الأول والتي وصفت وقته بأنها "أول فتاة مغربية تقوم بالتأليف المسرحي".

عرفت بداية عهد الاستقلال طفرة كبيرة، ظهر خلالها كم هائل من الأسماء والأنشطة. لكن بعد فترة المقاطعة، التي استغرقتها مرحلة الفداء التي عمت التراب الوطني بزعامة مناضلي الدار البيضاء، ابتعد جل الرواد عن الساحة الفنية إلا قلة قليلة كان من بينها شعيب رشاد. عاد متجردا من بطانته الأولى من الرعيل المثقف، فاشتغل على الرواية الهزلية باللغة العامية كما دأبت على ذلك الموجة الجديدة. وواصل في أناة ومثابرة عمله الذي لا يكل في سبيل اكتشاف المواهب وتكوين الجيل. وقد اهتم حتى بميدان المنوعات، فظهرت على يده بعض الأصوات المتميزة منها محمد البورزكي ولطيفة الجواهري... وما انفك يملي الروايات على شركائه الجدد، ويخرج ويمرن. وبقيت إبداعاته متميزة بالنفس الأخلاقي المرح، يحبكها ويجول بها عبر البلاد يقربها من عموم الناس مسليا ومصلحا.

لما رحل شعيب رشاد إلى عفو الله، في خريف سنة 1398 / 1977 بعد حياة من الخلق والنضال، والكفاف والعفاف، انتهى معه جيل البناة العصاميين، وخبت جذوة المدينة القديمة كمركز إشعاع ثقافي يعج بالطاقات.

في منتصف القرن الماضي، وفي حميمية الدروب، بين باب مراكش وسيدي بوسمارة والسور الجديد (*التناكر*، الجزء8، ص. 2573)، كانت خطوات قليلة فقط تفصل بين دار شعيب رشاد والبشير العلج والحبيب القدميري وبوشعيب البيضاوي ومحمد ماسيست وأحمد عبدان ومصطفى الغرباوي وعبد الرزاق الهراوي، وغيرهم كثير، خاصة إذا أضفنا إلى أقطاب الفن المسرحي رموز الفنون الأخرى والآداب والعلوم. أما اليوم فقد أقفلت كل هذه الأبواب وأهمل ذكر أصحابها ومعهم نصيب تليد من ذاكرة الأصالة والإبداع لحاضرة الدار البيضاء العالمة، الذكية والجملية.

إدريس الفاسي

ابن **رشد الجد**، محمد بن أحمد القرطبي، أبو الوليد فقيه الأندلس وعالم العدوتين. ولد بقرطبة في شوال عام 450 / نونبر - دجنبر 1058، وبها نشأ ودرس على كبار علماء ذلك العصر، فأخذ أصول الفقه وفروعه عن الفقيه المتفنن أبي جعفر أحمد ابن رزق (ت. 477)، وعليه كان اعتماده وظل يتذكر مجالسه طوال حياته ويستحضر مناقشاته للمسائل العويصة في المذهب ويستشهد بآرائه في دروسه ومؤلفاته ؛ وعن الفقيه الحافظ محمد ابن خيرة الأموي (ت. 487) وكبير المفتين بقرطبة محمد بن فرج ابن الطلاع (ت. 497). وتتلمذ في علوم الحديث على الإمام الراوية أحمد بن عمر العذري الدلائي (ت. 478)، وشيخ جماعة المحدثين حسين بن محمد الغساني الجياني (ت. 478)، كما أخذ اللغة عن إمامها في الأندلس عبد الملك بن سراج (ت. 489).

أدرك ابن رشد شأواً كبيراً في مختلف العلوم التي درسها وبخاصة الفقه الذي وعى أصوله وفروعه، ونمّاه بالتدريس والإفتاء والتأليف طوال حياته، حتى أصبح كبير فقهاء العدوتين بدون منازع، وتخطت شهرته حدود الغرب الإسلامي إلى مصر وما وراءها من بلاد المشرق، وأصبحت اجتهاداته التي كثيراً ما يعبر عنها بقوله : "الذي يظهر لي ... الظاهر" معتمدة معدودة من المصادر التي يرجع إليها فقهاء المالكية شرقاً وغرباً، سواء منهم معاصروه أو الذين أتوا من بعده.

كان محمد ابن رشد - بإجماع من ترجموا له - ناسكاً عفيفاً، كريم الخلق سهل الحجاب، كما كان أستاذاً بطبعه، يجب التدريس ويحسن طرق التبليغ، تسعفه مادة غزيرة، وتفكير منظم، وذاكرة قوية، وعبارة منطلقة، وحرص على نفع الطلبة. ولم ينل ابن رشد تقدير الأوساط العلمية ببلده وكفى، بل أجلّه الناس في العدوتين، حتى أمير المسلمين ملك المرابطين في مراكش، واعتقده أهل قرطبة بصفة خاصة وأحبوه لأنه كان إمامهم وخطيبهم في الجامع الأعظم الذي كان يسع أهل المدينة جميعاً، ورأوا فيه العالم بالشريعة المتحلي بها، إياه يستفتون في مسائل دينهم ودنياهم، وإليه يفزعون فيما يلم بهم من ريب الدهر ونوائبه.

تخرج على يد ابن رشد عدد من فقهاء الأندلس ومحدثيها ومؤرخيها النابهين أمثال قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن أصبغ (ت. 536) وسارده الملازم له محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الوزان (ت. 543) والقاضي عياض بن موسى السبتي (ت. 544) وعبد الملك ابن مسرة اليحصبي (ت. 552) والمحدث محمد بن يوسف ابن سعادة (ت. 556) والمفسر الحافظ علي بن عبد الله ابن النعمة (ت. 567) والمؤرخ خلف بن عبد الملك ابن بشكوال (ت. 578).

وبالرغم على ما كان يتمتع به ابن رشد من حظوة واعتبار لدي المرابطين، سواء منهم ملوك مراكش والأمراء حكام الأندلس لم يتقلد أيَّ خطة رسمية إلا في العقد الأخير من عمره (عام 511 / 1117) حيث أسند إليه قضاء

الجماعة بقرطبة والإمامة والخطابة بجامعها الأعظم. ويبدو أنه لم يقبل ذلك إلا بإلحاح من علي بن يوسف بن تاشفين. وكان في هذا الوقت منهمكاً في تأليف *البيان والتحصيل* كما سنرى.

يعتبر كتاب *البيان والتحصيل* أهمّ مؤلفات ابن رشد، وأعظم موسوعة فقهية أبقى عليها الدهر من تراث الفقه المالكي بالأندلس، وضمنها سماعات الفقيه محمد العتبي القرطبي (ت. 314) من تلاميذ الإمام مالك مباشرة. وقد كتب ابن رشد في مقدمة *البيان والتحصيل* أن جماعة من أصحابه فقهاء، جيان جازوه في صدر عام 502 وبعض الطلبة من أهل شلب يقرأ عليه في كتاب الاستلحاق من *العتبية*، فمر بمسألة أشكلت على القارئ والحاضرين، فشرحها لهم بما أزال غموضها، ورغبوا إليه أن يتتبع عويص هذا الكتاب بالشرح والبيان، فرد عليهم ابن رشد بأن *العتبية* كلها بحاجة إلى توجيه وتوضيح، ضارباً لهم المثل بأول مسألة فيها تتعلق بالوضوء، تبدو وكأنها لا غبار عليها مثيراً حولها أحد عشر سؤالاً لم يحيروا لها جواباً. "فتنبهوا لذلك وشرهوا إليه وحرصوا عليه" واشتد إلحاحهم، فلم يجد ابن رشد بداً من إسعافهم والشروع في تحرير كتاب *البيان والتحصيل* مرحلة مرحلة. حتى إذا حل عام 511 وقد أكمل نيفاً وخمسين جزءاً، أي نحو نصف الكتاب، امتُحن بالقضاء وشغلته أمور المسلمين عن التأليف، فلم يعد يتفرغ إليه إلا يوماً واحداً في الأسبوع ينقطع فيه عن الناس. ومضت أربعة أعوام هكذا في القضاء، لم ينجز خلالها الشيخ إلا أربعة كتب أو خمسة، قال: "فأيست من تمامه في بقية عمري إلا أن يريحني الله تعالى من ولاية القضاء، وكنت من ذلك تحت إشفاق شديد وكرب عظيم، وذكرت ذلك لأمير المسلمين وناصر الدين أبي الحسن علي بن يوسف ابن تاشفين - أدام الله تأييده وتوفيقه - في جملة الأعذار التي استعفيت بسببها، وغبّطته بالأجر على تفريغي لتمامه، فقبل الرغبة فيما رغّبته فيه من الثواب، وأسعف الطلبة فيه لما رجاه بأن تثقل بذلك موازينه يوم الحساب...".

تدارك ابن رشد ما فاته أيام القضاء بعد إعفائه منه أواسط عام 515، فأقبل بكليته على كتابة ما بقي من *البيان والتحصيل* حتى أتمه في مستهل ربيع الآخر من عام 517. ثم طلبوا منه أن يمهد له بمقدمات تنبئ عن مسائله، فرأى أن يكتفي *بالمقدمات الممهدات* التي كان يوردها أثناء تدريسه للمدونة بعد أن هذبها ورتبها، لتشابه أبواب *المدونة والمستخرجة*.

وقد حققت بالاشتراك مع جماعة من الفقهاء المغاربة كتاب *البيان والتحصيل والمقدمات الممهدات* ونشرتهما كاملين لأول مرة دار الغرب الإسلامي في بيروت، *البيان والتحصيل* سنة 1404 / 1984، في عشرين جزءاً، *والمقدمات* سنة 1408 / 1988 في ثلاثة أجزاء.

ولابن رشد الجد مؤلفات أخرى، منها *فتاواه*، التي حققها المختار التليلي كأطروحة جامعية، ونشرتها كذلك دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة 1407 / 1987 في ثلاثة أجزاء. ثم نشرت في المغرب في جزءين؛ و *اختصار المبسوطة* ليحيى بن إسحاق الليثي؛ و *تهذيب مشكل الآثار* لأحمد الطحاوي؛ و *اختصار الحجب* على مذهب مالك بن أنس مما رُوي عن زيد بن ثابت؛ *وفهرست الشيوخ*، وتنسب إليه كتب أخرى ربما ضاعت.

ومما يدل على استمرار حظوة ابن رشد عند المرابطين بعد إعفائه من خطة القضاء، أنه عندما انتهت هيعة القشتالين التي استمرت نصف سنة توغلوا أثناءها في ديار المسلمين بالأندلس حتى وصلوا إلى ما لم يصلوا إليه قط، وهم يتلفون ويحرقون ويقتلون ويأسرون، شد ابن رشد الرحلة - على كبر سنه - إلى مراكش (3 ربيع الأول عام520 / 29 مارس 1126) ليُطلع أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين. وقد نزل ابن رشد على الرحب والسعة في بلاط الملك المرابطي الذي استضافه شهراً تعرّف منه خلاله على أحوال الأندلس، واستفتاه في أمور تهمّ الدولة. ولم يكد يرجع ابن رشد إلى قرطبة حتى ألمّ به مرض ألزمه الفراش أربعة أشهر وأياماً، ومات ليلة الأحد حادي عشر ذي القعدة عام520 / 28 نونبر 1126 ودفن عشية الأحد بمقبرة عباس مدفن سلفه شرقي قرطبة.

"وكان مشهده حفيلا - يقول تلميذه ابن الوزان - والتفجع عليه جليلا، لم ير أحد من أهل زماننا مشهداً أكثر تولهاً وتفجعاً منه. وبحق فقد كان - رحمه الله - طود علم، وإنسان فضل وحلم، وكوكب ذكاء، وفهم، وواحد جلالة وديانة، وفذ رجاحة وأمانة".

م. ابن رشد الجد نفسه، *البيان والتحصيل*، المقدمة : تلميذه علي ابن الوران في خاتمة *نوازل ابن رشد*، مخطوط : تلميذه القاضي عياض في *الغنية*، تح. ماهر زهير جرار، بيروت.1982، ص. 54 - 57 : تلميذه أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي، *فهرسة*، طبعة جديدة عن طبعة سرقسطة سنة 1893 بإشراف زهير فتح الله، 1923، ص. 243 : تلميذه خلف ابن بشكوال في *الصلة*، مصر.1922، 2 : 572 - 577، رقم 128 : محمد بن عياض، *التعريف بالقاضي عياض*. تح. م. بن شريفة، فضالة، د. ت، ص. 123 ; أحمد الضبي، *بغية الملتمس*، طبعة جديدة عن طبعة مجريط القديمة سنة 1881، ص. 20، رقم24 : م. الحجاري ومن معه، *المغرب في حلي المغرب*، تح. شوقي ضيف، سلسلة *ذخائر المغرب*، 10، د. ت، 1 ، 105 : ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي، تطوان، د. ت، ص. 107 مع الهامشين، 1 و 2 : م. الذهبي، *تذكرة الحفاظ*. ط. 2، حيدر أباد الدكن.1222، 4 : 65 : ابن أبي زرع، القرطاس، تح. الهاشمي الفيلالي، الرباط، 1936، 2 : 89 : صلاح الدين الصفدي، *الوافي بالوفيات* 1962، 2 : 114 : ع. الله اليافعي، *مرآة الجنان*، حيدر أباد الدكن.1337، 3 : 225 : أبو الحسن النباهي، *المرقبة العليا*، مصر، 1948، ص. 98 : إبراهيم ابن فرحون، *الديباج المذهب*، مصر عام1351، ص. 278 : أ. ابن قنفذ القسنطيني، *شرف الطالب*، الرباط، 1972، ص. 60 : مؤلف مجهول، *الحلل*

الموشية، تح. سهيل زكار، و ع. القادر زمامة، ص. 90 ـ 97 ـ 98 ؛ مجهول، مفاخر البربر، بعناية ليفي بروفنسال، الرباط، 1934، ص. 52 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، المحمدية، عام1980، 2 : 59 ؛ حاجي خليفة، *كشف الظنون*، اسطنبول. 1941 ـ 1942، ص. 261 ـ 1912 ؛ ع. ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، بيروت، د. ت، 4 : 62 ؛ إسماعيل البغدادي، *هدية العارفين*، اسطمبول، 1951، ص. 2 :85 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، بيروت، 1249، ص. 129، رقم 276؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، فاس، 1926 .1930. 4 ، 54 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1980، 4 : 52. 58 ؛ ع. رضى كحالة، معجم *المؤلفين*، دمشق، 1957، 8 : 228 ؛ إحسان عباس، *نوازل ابن رشد*، *مجلة الأبحاث للجامعة الأميركية*، بيروت، م. حجي، *تقديم البيان والتحصيل*، الجزء الأول ؛ *تراث الأندلس*، الدار البيضاء، 1964، ج. 2 : 24ـ26.

محمد حجي

ابن **رشد الحفيد،** 520 ـ 595 / 1126 ـ 1198) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، عرف عند مؤلفي أوربا في العصر الوسيط بالشارح، أي شارح أرسطو. ولد بقرطبة في عائلة من القضاة شهيرة، فقد تقلد جده أبو الوليد ثم والده أعلى المناصب في الإمامة والقضاء. تعمق الحفيد في دراسة الفقه ودرس الطب. ولا نجد في المصادر إشارة إلى من أخذ عنهم الفلسفة.

في سنة548 / 1153، كان أبو الوليد بمراكش، ويبدو أنه حضر إليها على عادة وجهاء الأندلس تعبيرا عن ولائه للخليفة الموحدي عبد المومن، وفي ضمن ذلك نوى القيام بزيارة لتربة المهدي بن تومرت بتنمل، ويذكر لنا أنه قام في مرتفعات الأطلس أثناء هذه الزيارة بعلميات رصد فلكية. وهذا يدفع إلى التساؤل عما إذا كان الاشتغال بالفلك قد كان ضمن الاهتمام الأول عند ابن رشد في بدايته، إذ يظهر أن شرحه لكتاب الماجسطي من تأليف شبابه، ولطالما عبر على ضرورة تأسيس علم فلك طبيعي لا رياضي وحسب، وآخر إشارة إلى هذا المشروع وردت عنده في الشرح الكبير لكتاب ما بعد الطبيعة (آخر مقاله اللام).

وفي المرحلة الموالية كبر النشاط العلمي لابن رشد في عدة اتجاهات : ففي الفلسفة وضع مختصرات للكتب الطبيعية لأرسطو : كتاب الطبيعة، كتاب السماء والعالم، كتاب الكون والفساد، الآثار العلوية، كتاب الحيوان، كتاب النفس. وفي الطب وضع كتاب الكليات (عام 1163) ؛ وفي الفقه وضع كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد (عام 1163).

توطدت علائق ابن رشد الفيلسوف بأمراء الموحدين في عهد كل من أبي يعقوب يوسف (1163 ـ 1184) وأبي يوسف يعقوب المنصور (1184 ـ1199)، وكان لهما ولع بالاطلاع على العلوم والتعمق فيها، ولربما بحث بحثاً في هذا النهج على أثر مؤسس الدولة، ابن تومرت، عن عماد لسلطانهم.

وكان الذي قـدّم ابن رشد للخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن عام 1169 هو أبو بكر ابن طفيل. وقد اشتهرت المقابلة بين الرجلين بفضل ما نقل عنها أحد تلامذة ابن رشد للمؤرخ عبد الواحد المراكشي، وكان لها أثر رئيس في قصة الفلسفة بالغرب الإسلامي، إذ أنها كانت وراء قرار ابن رشد بالتصدي لشرح كتب أرسطو الكبرى. فقد كان قبل هذا التاريخ شرع في وضع شروحه الوسطى، وكان مشتغلا بها في إشبيلية حيث كان قاضيا عام 567. وفي المدة ما بين 1171 و1180 كان يتردد على إشبيلية وقرطبة ومراكش، وفيها وضع الشروح الوسطى على أرسطو ووضع الكتب التي بيّن فيها مواقفه من المتكلمين في قضايا الدين في الإسلام ولا سيما رده على الغزالي بكتاب "تهافت التهافت".

وفي عام 1182 حل محل ابن طفيل الذي أدركه الهرم في منصب طبيب البلاط عند السلطان أبي يعقوب. وبعد وفاة هذا الأخير عام 1184 استمر ولده السلطان يعقوب المنصور يرعاه ويمتعه بالحظوة، فكان أن عينه قاضي القضاة بقرطبة. وفي ما بين عام 1180 و1193 اشتغل ابن رشد في وضع سلسلة شروحه الكبرى لأهم كتب أرسطو وهي بالتتابع كتاب النفس وكتاب ما بعد الطبيعة، كتاب البرهان أو التحليلات الثانية.

لم يقتصر ابن رشد على شرح أرسطو، ولكنه رمى إلى كمال معرفي عندما شرح بعض كتب ابن سيناء وجالينوس في الطب، وبطليموس في الفلك وأفروديز ونيقولا الدمشقي في ما بعد الطبيعة والفارابي في المنطق.

تعرض ابن رشد في آخر حياته (1195) لإبعاد السلطان له فترة عابرة، ويظهر أن العداء الذي حمله له الكثيرون كان بسبب مذاهبه الفلسفية، ولكن الأسباب الحقيقية لتلك النفرة تظل محاطة بالغموض في أعين المؤرخين، فقد أمر الخليفة بأن يقيم منفيا في لوتشينا وهي بلدة قريبة من قرطبة، ولكنه استدُعِي بعد ذلك في جماعة من ذوي العلم والجاه فقدم على السلطان بمراكش حيث مات بعد مدة قصيرة من وصوله (10 دجنبر 1198).

لم يعد تأثير ابن رشد على من بعده أمرا يحتاج إلى رثبات. فعمله من أحجار الزاوية في الفلسفة في العصر الوسيط، فقد كانت أعمال ابن رشد في ما بين القرن الثالث عشر والرابع عشر حاسمة من حيث تأثيرها على الفكر اليهودي والفكر المسيحي، وصارت لها سمعة أسطورية، كما قد يستنتج من بعض التصوير الإيقوني عند أندريا دا فيرانزي، مثلا، وفي بعض الأشعار كما عند فيون Villon ومن بعض الملاحم كما عند دانتي. فقد وصلت معظم أعمال ابن رشد إلى الغرب اللاتيني بسرعة، وفي أقل من ثلاثين عاما بعد موته. فقد أقدم ميشيل سكوت Michel Scot على ترجمة الشروح الكبرى التي أشرنا إليها من العربية مباشرة، وكان ذلك الانتشار السريع سببا في إثارة بلبلة في

أذهان أوساط الكنيسة بعد 1240، إلى حد أن إدانات قد صدرت ضد الفكر الرشدي من خلال دروس شيوخ الفن في جامعة باريس وعن سلطة الكنيسة الرسمية عام 1227. ومع ذلك فقد توالت ترجمات كتب ابن رشد إلى العبرية واللاتينية لمدة ثلاثة قرون، وظهرت في أقل من مدة قرن (1494 ـ 1560) عدة طبعات للمتن الرشدي المترجم.

تلخيص بعض أعماله : *مختصر كتاب النفس*. في هذا التأليف، أراد ابن رشد أن يقرر عن طريق الاستدلال ما بدا له في موضوع العلم بالنفس بشكل أكثر ما يكون مطابقة لخلاصات كتاب الطبيعة وأقرب ما يكون إلى مقاصد أرسطو. فالمسألة الجوهرية وهي معرفة ما إذا كانت النفس، وقد عرّفها تبعا لأرسطو بمثابة صورة جسم، يمكن أن تكون مفارقة، هذه المسألة تتخرج في مسألة طبيعية أعم، مفادها : بأي كيفية توجد في المادة صورة مفارقة ؟ فإذا كانت النفس يمكن أن تفارق بالقدرة العقلية، فمن المترتب على ذلك أن نتساءل عما إذا كانت هذه القدرة تأتي بالقوة تارة وبالفعل تارة أو أنها بالفعل على الدوام كما يرى ذلك معظم الشراح، ولكنها إنما هي في حالة طفولتها في وسط من الرطوبة ؛ أو ما إذا كان بعضها موجوداً بالقوة وبعضها الآخر موجوداً بالفعل، وما إذا كانت أزلية أو قابلة للتكون والفساد ؟ كثيرة هي الأسئلة من هذا القبيل والمتعلقة بالمشكل الذي تطرحه نظرية العقل عند أرسطو : ما هي طبيعة هذه القوة المهيأة لتلقي المدركات وهي المسماة "العقل المادي" (العقل المنفعل عند أرسطو) وما هو دور الصور الخيالية في عملية الإدراك. فقد وقع شراح أرسطو، ولا سيما ثامسطيوس، في الغلط عندما جعلوا من العقل مادة أو جوهرا أزليا لها كل ما للمادة من مميزات كما هو متعارف عليها، أي أنها تتعرض لصور التكون والفساد. بناء على هذه التحليلات رفض ابن رشد رأي ابن باجة الذي غالط عندما قال إن الصور الخيالية هي المقوم للمدركات كما أن العين أساس مادي للبصر. فعلاقة المدركات بالصور الخيالية عند ابن رشد هي بمثابة علاقة الحاسة بالمحسوسات أو علاقة البصر بالمرئيات. وبهذا الاختزال تمكن من أن يشدد بقوة على ما جاء في النص الأرسطي من كون العقل المادي أزليا، وهو تقرير البصر بالعين ضروري لتفادي التناقضات الناتجة عن وجود صورة غير مادية في قوام جوهر قابل للتكون والفساد. فأصل الغلط في نظرية أرسطو في العقل يوجد في كون الشراح، ولاسيما ثامسطيوس وبعده ابن سيناء، قد خلطوا نظرية العقول الثلاثة عند أرسطو بنظرية أفلاطون بخصوص المثل الخالدة.

جوامع ما بعد الطبيعة. عزم المؤلف على أن يجعل كتابه هذا في خمسة فصول، غير أنه لم يحرر منها سوى أربعة هي ما وصل إلينا في النص العربي والترجمة اللاتينية. فالمفروض أن تلخيص ما بعد الطبيعة يتطرق للأقسام الثلاثة لهذا العلم، والضروري منها اثنان : موضوع الأول هو الجوهر المحسوس وأنواعه والمقولات العشر ؛ وموضوع الثاني هو مبادئ الجوهر المحسوس : الجواهر المفارقة ومبدؤها الأول (الغاية القصوى والفاعل الأول). الإله، العلوم الجزئية والمنطق ومبادؤها. في هذا العلم القائم على الاستدلال المرتبط بالدليل، انطلاقا مما هو معروف لدنيا إلى ما هو معروف بالنسبة للطبيعة، أو انطلاقا من الفرضيات البدهية بنفسها أو القريبة من أن تكون كذلك، هناك سؤالان متماثلان بوجهان الأبحاث : هل في الجوهر المحسوس المركب من مادةً وصورةً، أو مبادئ سابقة عنه ؟ هل يوجد جوهر اعتباره أصل الجوهر المحسوس، أو أن هذا قائم بنفسه ؟

أما علم الكائن بما هو كائن، فدراسة المفاهيم المشتركة التي تكون في نفس الوقت مواضيعه تحدد على التوالي (في ترتيب أكثر نسقية ما ترتيب الكتاب الرابع من كتاب ما وراء الطبيعة) مفاهيم الموجود والمادة والعرض والكم والكيف والعلاقة والجوهر والشيء والواحد والمثل والمعارضة والأخر والفرق والقوة والفعل والكامل والناقص والكل والجزء والسابق واللاحق والسبب والمادة والصورة والمبدأ والعنصر والضروري والطبيعة.

إذا أمعنا النظر في التتابع المنطقي الموجود في الفصول المكونة لكتاب ما بعد الطبيعة فإن بعض الاستنتاجات تتبين من التقسيم الأول لهذا العلم الذي يشغل كل الفصول السابقة للفصل الرابع (الأقسام الثلاثة الأولى للتلخيص) : فالكائن لا يدخل في المقولات لا من جهة اشتراك الاسم ولا من جهة الترادف وإنما من جهة السابقية واللاحقية : بالنسبة أولا، ثم بالنسبة لبقية المقولات ؛ فالجوهر هو أصل وجود مجموع المقولات الأخرى ؛ فالجوهر الأصلي مركب من مادة وصورة، وكلاهما جوهر ؛ فالمحمولات (الكليات) والمدركات المتعلقة بالجواهر المحسوسة ليس لها وجود خارج النفس وليست عللا للخواص المحسوسة. إنما الصور والمادة المخصوصة وحدهما علتا الموجود الفردي ؛ فالصورة والمادة العامتان ليستا قابلتين لا للتكون ولا للفساد. فنقد مذهب المثل عند أفلاطون، أي الصور غير الضرورية لشرح تكوُّن الكائنات المحسوسة المتوقف على العلل الأربع، يبرز شمولية فكر أرسطو. فقد جعل هذا الأخير من مبدإ فاعلا بالعرض (الصورة الأفلاطونية)، ومن ثمة جعله بعيدا عن الجوهر مبدأ فاعلا بالجوهر ومن ثمة قريبا من هذا الجوهر.

فوجود جواهر مفارقة، مبادئ عقلية بالضرورة للجوهر المحسوس، يتقرر بناء على استنتاجات كتاب الطبيعة، وبالنسبة لابن رشد خاصة، بناء على فرضية وجود محركات غير مادية، من هنا تظهر صعوبتان رئيسيتان داخل هذه الميتافيزيقا : كيف يصح لأشياء أزلية أن تكون مبادئ لكائنات قابلة للفساد ؟ كيف يصح أن تكون مبادئ عقلية ذات علم بالأشياء التي هي مبادئ لها.

فنظرية الفعل، باعتباره سابقا في جميع الاعتبارات

عن القوة، إذا رُدت إلى الحركة المحلية، تمكن من إيجاد تلاق ورابط بين الكائن الأزلي والكائن القابل للفساد، وفي هذا الانسجام يرى المؤلف العناية الإلهية.

أما الصعوبة الثانية فتجد حلها بالاستناد إلى نظرية الفيض وبالإحالة على ما ورد في القرآن (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، 67 ـ 14) فما هو فائض من فاعل العلم بما هو عالم هو معلوم بالضرورة. يضاف إلى ذلك أن المعقولات بالنسبة للإنسان وبالنسبة للعقول المفارقة انطلاقا من العقل الفعال ووصولا إلى الإله باعتباره من نفس النوع ولكنها معروفة بكيفية غاية في مزيد النبل من قبل الإله بالنظر إلى علم الإنسان بها، من جهة ؛ ثم إن مذهب أرسطو وأتباعه في ما يتعلق بالعقل الفعال يقول ضمنيا بأنه يعلم ما هو في العالم السفلي، من جهة أخرى : ففرضية ابن رشد تقول إن الإله، وهو النهاية الوحيدة والقصوى للعلل الثلاث الفاعلة والصورية والغائية، يعرف العالم الذي هو أسفل منه. فهذه الفرضية (ولعلها من أصل ديني) تشكل فرقا بارزاً بين متيافيزقا أرسطو ومتيافيزقا ابن رشد.

فلما كان الاختلاف أكثر احتمالا في جنس الجوامع منه في الشرح الكبير فإن ابن رشد قد أفصح عن مراميه. فإذا استثنينا بعض نقدات موجهة لثامسطيوس الذي حاول في موضوع التكون التلقائي أن يعود إلى آراء أفلاطون، أو موجهة للرواقيين الذين يقولون، على ما جاء عند الاسكندر، بالتدبير الإلهي الذي يطال الأفراد، فإن ابن رشد قد ركز نقده على ابن سيناء ومن ثمة على متكلمي الإسلام. فعندما أنكر هؤلاء المتكلمون سابقية الممكن في الزمن بالنسبة للشيء الممكن، فقد اضطروا إلى إنكار حرية الاختيار في العلوم العملية. فالقول بوجود سابق في الزمن لفاعل، كما هو رأي المتكلمين، يجعل بالضرورة بلا جواب هذا السؤال : كيف يسبق الزمن فاعل الزمن ؟ فأزلية الحركة، وهو ما يرفضه المتكلمون، فرضية ضرورية لكي لا نتصور الإله فاعلا في القوة قبل أن يكون فاعلا في الفعل. فالاستيقان من فهم عقلي لوجود الكون (كوسمولوجيا) وكذا القول بحرية الإنسان في الاختيار هو ولاشك هدف من أهداف الضمير الديني عند ابن رشد في عصره.

فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال. ليس هذا التأليف تعليميا ولا استدلاليا، بل إنه يندرج في مقام خاص من جهة الجدل الديني. هدفه إضفاء القبول والتجويز على جهة الشرع على العبارة الفلسفية وجلعها من أمور الشرع التي تلزم كل عالم مسلم. فطرق المعرفة الثلاث، البلاغية ـ الشعرية والجدلية والبرهانية هي في نظر ابن رشد كونية ونهائية، ولكن البرهانية وحدها تقود إلى معرفة الله معرفة يقينية. فالشرع الوارد بالوحي استعمل هذه الطرق الثلاث لتعليم الناس، فقد استعمل المثال والمجاز لإقناع عامة الناس، واستعمل الجدل لإقناع المعارضين، واستعمل الإشارة التي يعود حق تأويلها بالضرورة إلى الذين يملكون علم البرهان، فهؤلاء، وحدهم أضيفوا إلى الله في معرفة تأويل كلامه. فالعقول الكبرى من بني الإنسان يجد الإيمان عندها أساسه في العلم.

كشف مناهج الأدلة في عقائد الملة. يتناول الاستدلال على نظرية معارضة للنظرية الواردة في "فصل المقال"، وهي التطابق الشديد بين الوحي والفلسفة. فشعائر الدين بسيطة ويقينية، مجردة من جدال المتكلمين الذي يتضايق به عقل العامة ولا يجد لها العالم أساسا منطقيا. لها معنى ظاهر مطالب بإدراكه عامة الناس، ومعنى باطن لا ينكشف إلا لأهل العلم بالاستدلال ؛ فذات الله وصفاته وأفعاله كما هي معروفة حسب المعنى الظاهر يمكن فهمها دون اللجوء إلى جدلية قائمة على الخلاف، وهي أداة سجالية نظر إليها المتكلمون خطأ على أنها غير قابلة للخطأ ؛ فمشيئة الله ثابتة، ولكن لم يرد ما يفيد أنها أزلية ولا أنها مخلوقة ؛ والعالم موجود، ولكن لم يرد في شأنه ما يفيد أنه مخلوق من عدم أو مخلوق من شيء سابق الوجود. فالرجل من العامة والرجل من أهل العلم، وهم الطبقتان الفعليتان، يتمتعان بدرجة متكافئة من اليقين إزاء الشرع كما ورد به الوحي. فالضالون إذن هم ثلاثة أصناف : مبسطو الاستنتاجات العلمية لإشاعتها مثل الغزالي، والذين حاولوا إخضاع معطيات الشرع الوارد به الوحي للعلم (ربما كان هذا الغمز موجها لابن سيناء) ؛ والمتكلمون الذين يجهلون في مناقشاتهم أدوات علم الاستدلال.

تهافت التهافت. رتب ابن رشد هذا الكتاب على غرار ترتيبه لشرح كبير من الشروح التي وضعها على كتب أرسطو. كتبه رداً على الغزالي في كتابه *تهافت الفلاسفة*، أراد أن يبين فيه أن عبارة الغزالي في الرد على الفلاسفة هي من قبيل الاقناع وتبقى بالنسبة لمعظم الناس دون مستوى اليقين الاستدلالي. فالهدف يفسر هذا المسعى المضوع فلسفيا. فقد تأثر الفارابي وتأثر ابن سيناء على الخصوص بالمتكلمين الأشاعرة والفلاسفة المسلمين، ولذلك رفضا الدخول معهم في مجادلة. أما ابن رشد فقد عرض آراء تلاميذ أرسطو ومشاطريه في آرائه ودافع عنهم بعبارة اقناعية أقوى من عبارة معارضيهم. وهكذا جاء الكتاب غير استدلالي بالضرورة، ففيه حث على التأكد من يقينية الآراء المقدمة وعلى التعمق في الفلسفة والعلم. وقد جاء غنيا بمقدمات ونتائج تدخل في العلوم الفلسفية والدينية. وترجع أهميته بين كتب ابن رشد إلى أربع نقط على الأقل : 1) عرض عدد كبير من أطروحات أرسطو على أنها نتائج استدلالات مقررة وحاصلة ؛ 2) نقد الحجاج الأشعري وأسسه باعتباره استدلالا مبنيا على القياس ؛ 3) بيان عدد من أطروحات ابن سيناء نسبها الغزالي لعامة الفلاسفة منذ

مذهب الممكن والضروري، ومثل الطابع العرضي للوجود أو الجواهر العقلية المفارقة المتمتعة بنفس ؛ 4) شرح مذهب ابن رشد الفقهي الذي بسطه في كتابه "فصل المقال"، والمتعلق باعتبار المعرفة الاستدلالية العقلية مقبولة في الشرع الإسلامي. استعمل ابن رشد كل هذه العدة لكي يجيب عن ثلاثة تقريرات هي التي من وراء الإدانات التي صدرت عن الغزالي : 1) اتهام الفلاسفة بالقول بعدم العالم وكون الاتهام ناتجا عن رؤيا تشبيهية عند المتكلمين ؛ 2) القول بأن الله يعلم الجزئيات : فالقضية غير مطروحة بشكل صحيح عند المتكلمين. وعلى أثرهم ابن سيناء، عندما استعملوا الاستدلال القياسي بين علم الدين وعلم الإنسان ؛ 3) اعتبار البعث بالأجسام قضية غير فلسفية، فهذه المسألة تعود تاريخيا إلى عهد أنبياء بني إسرائيل ؛ فخلود الروح عند قدماء الفلاسفة كانت مسألة ذات طابع فكري سجالي.

* المنطق : م. س. سالم، ابن رشد ، *تلخيص الخطابة*، القاهرة، 1967 ؛ *تلخيص كتاب أرسطو في الشعر، تأليف أبي الوليد ابن رشد*، القاهرة، 1971 ؛ ابن رشد، *تلخيص كتاب الجدل*، القاهرة، 1979 ؛ ع. بدوي، *أرسطو في الشعر : الترجمة العربية القديمة مع شروح الفارابي وابن سينا وابن رشد*، القاهرة، 1954 ؛ م. بويغ، *تلخيص كتاب المقدمة*، بيروت، 1932 ؛ م. قاسم، ابن رشد، *تلخيص المقولات*، القاهرة، 1980 ؛ ابن رشد، *تلخيص العبارة*، القاهرة، 1981 ؛ *تلخيص كتاب البرهان*، القاهرة، 1982 ؛ ع. بدوي، *ابن رشد*، الكويت، 1984 ؛ ج. علوي، مقالات في *المنطق والطبيعيات*، الدار البيضاء، 1983. * الطبيعة : ج. علوي، *تلخيص السماء والعالم لأبي الوليد بن رشد*، فاس، 1984 ؛ أ. ف. الأهواني، *ابن رشد، تلخيص كتاب النفس*، القاهرة، 1950 ؛ أ. بدوي، *الخاص والمخصوص لابن رشد*، ط. 2، بيروت، 1980. * ما وراء الطبيعة : م. القباني، *ابن رشد، تلخيص مبادئ الطبيعة*، القاهرة، 1907 ؛ أ. أمين، *ابن رشد، تلخيص مبادئ الطبيعة*، القاهرة، 1958 ؛ م. بويغ، *تفسير ما بعد الطبيعة*، بيروت، 1938. * الأخلاق والسياسة ـ الدين والقانون : ج. ف. حوراني، *كتاب فصل المقال*، ليد، 1959 ؛ أ. ن. نادر، *ابن رشد، كتاب فصل المقال*، بيروت، 1968 ؛ م. عمارة، *فصل المقال، تأليف أبي الوليد ابن رشد*، القاهرة، 1959 ؛ م. قاسم، *كتاب كشف مناهج الأدلة*، القاهرة، ط. 2، 1964 ؛ م. بويغ، *ابن رشد، تهافت التهافت*، بيروت، 1930 ؛ س. دنيا، *ابن رشد، تهافت التهافت*، القاهرة، 1964 ـ 1965. * الطب : *كتاب الكليات*، العرائش، 1939. * كتب عامة : أ. ف. الأهواني، ابن رشد في *(A History of Muslim Philosophy, I)*، تحت إشراف م. م. شريف، فيزبادن، 1963.

* Logique : F. Lasinio, *Il commento medio di Averroès alla Poetica di Aristotele*, Pise, 1872 ; *Il commento medio di Averroès alla Retorica di Aristotele*, Florence, 1877 ; A. Badawi, *Averroès. Paraphrases in libros Rhetoricorum Aristotelis*. Le Caire, 1960 ; C.E. Butterworth, *Averroès Three Short Commentaries on Aristote : "Topics", "Rhetoric", and "Poetic"*. Albany, 1977 ; G. Jehamy, *Averroès, Paraphrase de la logique d'Aristote*, 3 vol., Beyrouth, 1982 ; D.M. Dunlop, *Averroès on the modality of propositions*, *Islamic Studies*, Karachi I (1962), trad. angl. N. Resher in *Studies in the History of Arabic logic*. Pittsburg, 1954. * Physique : *Rasa'il Ibn Rusd*, Haydarabadn 1947 ; J. Puig, *Averroès Epitome in physicorum libros*. Madrid, 1983 ; G. Nogales, Averroès, *Epitome de anima*. Madrid, 1985 ; F.S. Crawford, *Averroès, Cordubensis Commentarum Magnum, in Aristotelis de anima Libros*. Cambridge (Mass), 1953 ; H. Galje, *Die Epitome der Pana Naturalia des Averroès*. Wiesbaden 1961 ; H. Blumberg, *Epitome of Pana Naturale Tanslated from the Original Arabic and the Hebra and Latin Version with Notes and Introduction*. 1961. * Métaphysique : M. Horien, *De Métaphysie de Averroès (1198) nach. dern. Arabischien übersetzt und erlautert*. Halle, 1912 ; S. Vandes Berche. *Die Epitome der Metaphyie*. * Ethique et politique : L. Berman, *Excerpts from the lost arabic original of Ibn Rusd's Middle Commentary on the Nichimachean Ethics*, *Oriens*, 20 (1967) ; E.I.J. Rosenthal, *Averroès Commentary on Plato's Pepublic. Edited with an Introduction. Translation and Notes*, Cambridge, 1956. * Théologie et droit : L. Gauthier, *Ibn Rochd (Averroès) Traité décisif (Façl al-maqal) sur l'accord de la religion et de la philosophie suivi de l'Appendice (Dhamima)*, texte arabe, traduction française remaniée avec notes et introduction, Alger, 1942, Paris,1983 ; G.F. Houran, *Kitab façl al maqal*, Leyde, 1959 ; *On the Harmony of religion and philosophy*. Londres, 1961 ; A.N. Nader, *Ibn Rusd, Kitab fasl al maqal*. Beyrouth, 1968 ; J. Muller, *Philosophie und theologie von Averroès*. Munich, 1875 (éd. et trad. du *Kasf manahig al-adilla fi 'aqa'id al-milla*) ; M. Alonso, *Teologia de Averroès*. Madrid/Grenade, 1947 ; G. Vajda, *Deux versions hébraïques de la dissertation d'Averroès sur la science divine*. *Revue des études juives*, 13, 1954, B. H. Zeller, *Averroès Destructio destructionum philosophiae Algazelis*, in the latin version of Calonimos. Calonimos, Milwaukee, 1961 ; S. Vanden Bergh, *Averroès Tahafut al-Tahafut (The incoherence of the incoherence)*, Londres, 1954 ; *Ibn Rush al-hafid, Bidayat al-mugtahid wa-nihayat al-muqtasid* (ouvrage fondamental de droit musulman). Le Caire, s. d. * Médecine : *Kitab el culiat (libro de las generalidades) por Abu el walid Mohamed Ben Roxd el andalusi (Averroès)*. Larache, 1939. * Ouvrages généraux : P. M. Alonso, *Teologia de Averroès*, Madrid, Grenade, 1947 ; G.C. Anawati, *Bibliographie d'Averroès (Ibn Rushd)*, Alger, 1978 ; A. Badawi, *Histoire de la philosophie en Islam*, II, Paris, Vrin, 1972 ; M. Cruz Hernandez, *Historia del pensamiento en el mundo islamico*, II, Madrid, 1981 ; E. Renan, *Averroès et l'averroïsme* (1852), Paris, 1949 ; H.A. Wolfson, *The twice-revealed Averroès*, Speculum, 36, n° 3, 1961. * Quelques études relatives aux œuvres des notices : R. Arnaldez, *La pensée reeligieuse d'Averroès, I : La doctrine de la création dans le Tahafut*, *S. I.*, VII, 1957, 99 - 114 ; *II : La théorie de Dieu dans le Tah.*, ibid., VIII, 1957 ; *III : L'immortalité de l'âme dans le Tah.*, Ibid, X, 1959 ; M. Fakhry, *The antinomy of the eternity of the world in Averroès*, *Le Museon*, 66, 1953; L. Gauthier, *La théorie d'Ibn Rochd (Averroès) sur les rapports de la religion et de la philosophie*. Paris, 1909 ; G. Houran, *Averroès musulman*, in *Multiple Averroès*. Paris, 1978 ; J. Jolivet, *Divergences entre la métaphysique d'Ibn Rusd et d'Aristote*, *Arabica*, t. XXIX, fasc. 3, 1982 ; M. Mahdi, *Averroès on human wisdom and divine law*, in J. Grospy (éd.), Ancient and Moderns, New York, 1960 ; A.F. Mehren, *Etudes sur la*

philosophie d'Averroès concernant son rapport avec celle d'Avicenne et Gazali, Museum de Louvain, 1909, 10 - 30 ; E. Weber, *Les apports positifs de la néotique d'Ibn Rushd à celle de Thomas d'Aquin* in *Multiple Averroès*, Paris, 1978, 211 - 249.

عبد العلي العمراني جمال

الرَّشّاي، أو الرُّشَيْ أو الروشاي. أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rosal - Rochel : وهو اسم مدينة إسبانية وكان منهم عبد الرحمن بن أحمد الرشاي عالم يدرس بجامع القصبة، وقد أوصى بصرف ثلث ماله للعناية ببرج مرتين ولقراءة القرآن بجامع القصبة ولشراء أرض تخصص لدفن المسلمين : توفي عام 1174 (1761) وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*.

محمد ابن عزوز حكيم

الرشّاي، أحمد بن عبد الرحمن التطواني، الفقيه العلامة المدرس النفاعة المفتي الصالح الزاهد الرحالة المشارك. كان بهي الطلعة نظيف البزة حافظاً محققاً في الفقه المالكي لا يشق غباره فيه، حببا متودداً متواضعاً من رآه أحبه. لذلك كان محل حب وتقدير من كافة الطبقات لمحاسن أخلاقه وسعة صدره وعفته ونزاهته وصيانته. كان يؤم الناس بجامع (الربطة) بحي الصباغين، ويدرس بالجامع الكبير مختلف العلوم لأنه كان يحسن التفسير والفقه والنحو والتوقيت إلى فنون أخرى، رحل إلى المشرق ودخل تركيا وأقام بها ما شاء الله حتى عرف لغتهم. ولما عاد من وجهته أكب على التدريس والعبادة، ونال بتطوان مالاً منه دار من أكبر دورها وأحسنها بحي (المطامر) آلت إلى السيد علال الخطيب ومازالت لحفدته إلى الآن، وأوصى ببعض مخلفه لطلبة العلم الشريف المقيمين بالمدرسة المجاورة للجامع الأعظم بتطوان (لم يبق لهذه المدرسة اليوم عين ولا أثر) كما كان له روض نزه بحجر الديوان بحي (قاع الحافة) وقد انقرض الآن عقبه بعد وفاة حفيدة له منذ سنوات.

أخذ عنه كثيرون وانتفع به من لا يحصى لانقطاعه للعلم والتعليم ويكفي أن نذكر من تلاميذه أبا العباس ابن عجيبة والسكيرج المؤرخ وغيرهم. وكان إلى جمال وجهه وكمال سمته شديد الحياء والخجل يعتريه انقباض ويُرْتَجُ عليه حال إقرائه ويتلجلج لسانه إذا رأى من لا عهد له به بالمسجد حتى حكي أنه رأى - وهو في مجلس درسه - فقيراً متصرناً ذا هيئة بلحية مخضبة وبعنقه سبحة وبرأسه عمامة ضخمة، فخجل ووقف. فأعلمه الطلبة بحال الرجل الداخل وأنه أميّ لا في العير ولا في النفير وأن عادة المتفقرة لباس مثل ذلك، فسري عنه. ووقفت على مخطوطات فقهية لكتب معتبرة كانت ملكا له. ظل الرجل على هذه الحال إلى أن توفي في 24 رجب عام1210 / 3 فبراير 1760. ومن غريب الاتفاق أن لفظ (رُشَي) عادة بحساب الجُمل (1210). فكان لقبه رمزاً لسنة وفاته. وقد أشار إلى هذه تلميذه الفقيه الأديب عبد القادر المنون التطواني في نظم تاريخ وفاته فقال :

لا تسل عما اعتراني يا أخي ... إنني قد همتُ وجداً بِرُشَي

وترالت ادمعي لما سأى ... في (كذ) من رجب عام (رُشَي)

ومن أثر الترحم له بيتان له أوصى أن يشيع بها لقبره، مازال البيتان يقرآن في الجنائز لدى بعض الطوائف العساوية بتطوان، وكانت جنازته مشهودة ودفن جنب قبر الشيخ أحمد الورزيزي الشهير رحمهما الله.

ابن عجيبة، *أزهار البستان*، ص. 206، مخطوط ؛ سكيرج، *نزهة الإخوان*، ص62، مخطوط خاص ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4: 162، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 ، 187.

محمد زخيرة

ابن رُشَيْد، **أحمد** من صلحاء مدينة فاس في النصف الثاني من القرن السادس (12 م). لم يرد له ذكر فيما بين يدينا من المصادر باستثناء كتاب *المستفاد* لمحمد التميمي الذي أفرد له ترجمة مقتضبة. نعته فيها بـ"الشيخ" واعتبره "من أهل الجد والاجتهاد". وقد استقى التميمي أخباره مباشرة منه كما أسند له بعض أخبار عباد فاس. ومن المرجح أن ابن رشيد كان مندمجاً في شبكة من الأصحاب الذين يجتمعون حول الشيخ أبي مدين الغوث خلال إقامته بمدينة فاس. فالتميمي يخبرنا أن ابن رشيد كان من أصحاب الشيخ أبي عبد الله محمد البلنسي الذي كان بدوره من أصحاب الشيخ أبي مدين. ولا ندري هل ثمة علاقة عائلية أو أسرية كانت تربطه مع أبي الحسن علي بن رشيد أحد صلحاء فاس في نفس الفترة.

وملخص ما يرويه محمد التميمي أن أحمد ابن رشيد أراد المسير من فاس لقضاء حجة الفريضة وهو ما يزال صغيراً إلا أن والدته منعته من ذلك قبل أن تأذن له بعد أن رأت في منامها قائلا ينبهها إلى أن وقت حجه قد جاء. وبعد أن ترك لها كل ما يملك، خدم أياماً بفاس فتوفر له اثنا عشر درهماً، ولما كان يوم خروجه من فاس إلى مكة، خرج بعض أصهاره في تشييعه، فناوله ثلاثة دراهم. فكملت عنده خمسة عشر درهماً، فأنفق منها من فاس إلى البادية اثني عشر درهماً، ووصّله باقي ذلك. مع ما خدمه بالبادية أياماً إلى مدينة الإسكندرية. وتتخلل ترجمته مجموعة من الكرامات التي تدور حول تخطيه لصعوبات

التي لقيها خلال سفره إلى المشرق وانتقاله ما بين فاس وبجاية والإسكندرية ومكة والمدينة.

م. التميمي، *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما والاها من البلاد*، مخطوط، ورقة 98، 103.

محمد الشريف

ابن رُشَيد، **إدريس** بن يحيى بن محمد بن عمر الفهري، يكنى أبا العلاء، وينتسب إلى أسرة ابن رشيد الفهرية بسبتة، وهو حفيد الرحالة الشهير محمد بن عمر بن رشيد صاحب *ملء العيبة*. كان إدريس فقيها عدلا وكاتبا وأثنى عليه ابن الأحمر ووصفه بالصاحب.

توفي إدريس ابن رشيد سنة 788 / 1387.

ابن الأحمر، *نثير الجمان*، تح. م. رضوان الداية، بيروت 1976، ص. 460 ؛ م. حجي، محقق، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص 131، 223 ؛ . بن القاضي، *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، تونس، 1971، ج 1، ص 214.

رشيد السلامي

ابن رُشَيد البغدادي، **محمد** بن أبي بكر، أصله من قصر كتامة، كان كثير الأسفار جال في البلاد طلبا للعلم، دخل الأندلس فأخذ عن بعض علمائها مثل أبي يحيى بن عبد الرحمن ابن عبد المنعم ابن الفرس. ورحل إلى المشرق فأخذ عن علماء دمشق وبغداد واستقر بها وغلبت نسبتها عليه. وزار مصر فأخذ عنه بها عدد من أهل العلم.

كان عالما فقيها شافعي المذهب، نظارا فيه، محبا في العلم كثير الاشتغال به في مجالسه. واختص في الوعظ والتذكير، فكان يعقد مجالس وعظ مؤثرة ينفعل الناس لها كثيرا.

له قصائد مشهورة سماها *الوترية في مدح محمد أشرف البرية*، وهي تسع وعشرون قصيدة على عدد الحروف، وفي كل قصيدة منها واحد وعشرون بيتا.

عاد إلى المغرب بعد سنوات طويلة قضاها في المشرق، ودخل مراكش صدر سنة 655/ 1257، وأقام بها مدة تتلمذ فيها عليه عدد من علمائها وطلبتها ذكر بعضهم ابن عبد الملك المراكشي الذي يعد أحدهم، وقد خصه بأوسع ترجمة له وأثنى على طريقته في الوعظ والخطابة والإنشاء، وأشاد بذكائه وسرعة بديهته، وحسن إيراده للإجابات على الأسئلة التي كانت تطرح عليه، وسعة حفظه في الشعر والنثر. وقد احتفى به أهل العلم بمراكش، فمدحه من أدبائها أبو موسى هارون السماتي الإشبيلي، وأبو محمد عبد الواحد بن عبد الرحمان أحد أحفاد عبد المومن الموحدي بقصائد طويلة.

ثم رحل إلى الأندلس ودخل غرناطة وغيرها من المدن، وكان شأنه في زياراته عقد مجالس الوعظ. ورجع إلى مراكش وبقي بها مدة خرج بعدها إلى المشرق فحج، ولم يعد إلى بغداد التي كانت قد سقطت بيد التتر سنة 656/ 1258، ووصله الخبر وهو بمراكش بفقد بعض أفراد أسرته في تلك الكائنة. ولاشك أن هذا هو السبب الذي جعله يقرر العودة إلى المغرب للاستقرار به. وفي طريق رجوعه إلى المغرب وافته المنية بتونس في محرم سنة 663/ أكتوبر - نونبر 1264، وخلف بمراكش أحد أبنائه وكان فقيها هو أبو العباس أحمد، وبها توفي سنة 679/ 1280.

ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984، ج. 8، ص. 274 ؛ ع. الله كنون، *ترجمة الواعظ البغدادي صاحب الوتريات*، *مجلة البحث العلمي*، ع. 1966/7، 269، 279.

محمد الغزاوي

ابن رُشَيد، **رشيد** بن يحيى بن محمد بن عمر الفهري السبتي، تربى في وسط عائلي تميز بنبوغ عدد من أفراده في ميدان الفقه والخطابة والكتابة كوالده يحيى الفقيه الخطيب العدل بمدينة فاس المتوفى سنة 750 / 1350 وجده محمد القاضي الخطيب، لذلك بزغ نجم رشيد ولمع في سماء الأدب حتى إنّ ابن الخطيب كان يصفه بالفقيه الحسن الرواء، المعظم المزان على الأغراض السلطانية، العذب الحديث والفكاهة.

في إطار الصراع حول السلطة والحكم بين الأمير المريني عبد الحليم بن عمر والوزير المستبد عمر بن عبد الله بن علي الياباني برز بعض أهل العلم والفقه بمدينة فاس القديم للمساهمة في هذا الصراع السياسي، فكان سعيد ابن رشيد قد اختار مساندة الأمير المريني عبد الحليم وانضم سنة 763 / 1362 إلى حاشيته وقلده خطة العَلاَمة وقدمه على رياسة القلم الأعلى.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج 2 ؛ ص. 307، 352، 353 ؛ تح. السعدية فاغية، الدار البيضاء، 1989، ج 3، ص. 37، 39 ؛ ابن الأحمر، *مستودع العلامة*، تح. م. التركي ومحمد بن تاويت الطنجي، تطوان، 1964، ص 71 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص 197، 539.

رشيد السلامي

ابن رُشَيد السبتي، **محمد** بن عمر بن محمد بن عمر الفهري، أحد أعلام المغرب الكبار، وأحد الرحالة المشهورين. ولد عام 657/ 58، 1259 بسبتة التي كانت تمور وقتها بالعلماء والفقهاء والأدباء. درس على شيوخ كثيرين منهم مالك بن المرحل، وأبو الربيع الإشبيلي النحوي، وأبو إسحاق القبتوري، وأبو إسحاق التلمساني...

لم يقتنع بما أخذ عن شيوخ سبتة، فرحل إلى فاس، وأخذ عن علمائها، ولما ملأ وطابه رجع إلى سبتة وتصدر للتدريس بها.

وكما أخذ عن علماء فاس، أخذ أيضا عن علماء المشرق الذين لقيهم أثناء رحلته إلى الحج في تونس ومصر والحجاز والشام كابن دقيق العيد وابن النحاس... وقد رافقه في هذه الرحلة صديقه ابن الحكيم اللخمي ذو الوزارتين فكان له نعم العون والرفيق.

. حل بغرناطة بدعوة من صديقه ابن الحكيم، وتولى الخطابة بمسجدها، والتدريس بها فتقاطر عليه العام والخاص، فطارت شهرته لاتساع معارفه وفصاحة لسانه. وقد بقي بغرناطة إلى سنة 708 / 1309 فغادرها لما قُتل صديقه الوزير ابن الحكيم.

أمَ مراكش فأسندت له الإمامة والخطابة بها، ثم استدعي إلى فاس حيث أقام بقيه عمره محترما معظما موقرا من العامة والخاصة إلى أن توفي بها.

ترك ابن رشيد عدد من المؤلفات في مختلف العلوم المتداولة يومئذ، أحصى منها الحسن الشاهدي 21 مؤلفا (*أدب الرحلة بالمغرب*، 1 : 148) لعل أشهرها رحلته التي سماها "مَلء العيبة في ما جُمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة" وقد سجل فيها أحداث الرحلة التي أعملها مع صديقه الوزير اللخمي إلى الحج مرورا بتونس ومصر والحجاز والشام. وقد استمرت رحلته هذه ثلاث سنوات من 683 إلى 686/ 1284 . 1287 . وكان أثناء هذه الرحلة حريصا على زيارة المراكز العلمية ولقاء العلماء يأخذ عنهم ويأخذون عنه ويسألهم ويناقشهم، وقد أثبت ذلك كله في هذه الرحلة التي لم تكن من أجل أداء فريضة الحج بل كانت إلى جانب ذلك رحلة علمية استفاد منها وأفاد.

كانت هذه الرحلة معروفة ومتداولة بين العلماء، في المشرق والمغرب، يستفيدون منها وينقلون عنها كما فعل المقري والعياشي وغيرهما. ورغم شهرة الرحلة فلم تبق منها إلا نسخة واحدة بالأسكوريال تقع في سبعة أجزاء، ضاع منها الأول والرابع، وقد طبعت أخيراً.

ذلك هو ابن رشيد العالم والأديب الذي قال فيه ابن الحاج البلفيقي : "من أهل المعرفة بالقراءات السبع، وصناعة العربية، وعلم البيان والآداب، والعروض والقوافي، مشاركا في غير ذلك من الفنون... أديبا خطيبا بليغا ذاكرا متأدبا يقرض الشعر على تكلف، ويجود النثر، ويبصر مواقع حسنة".

توفي بفاس يوم 23 محرم عام 721/ 22 فبراير 1321 ودفن بمطرح الجلة من مقبرة القباب.

م. ابن رشيد السبتي نفسه، *ملء العيبة*، تح. م. الحبيب ابن الخوجة، تونس، 1981، الكتاب كله ؛ تعريف المحقق ابن خوجة بابن رشيد، ج. 2 : 25 . 29 (وانظر هناك 38 من مصادر ترجمته) ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ع. الله كنون، *النبوغ المغربي* ؛ م. ابن تاويت التطواني، *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى* ؛ الحسن الشاهدي، *أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني*.

محمد الحاتمي

الرشيد بن **الشريف** العلوي، المؤسس الحقيقي لدولة العلويين بالمغرب إذا اعتبرنا فتحه لقاعدة الملك، مدينة فاس، واتخاذها عاصمة للدولة الناشئة، واعتبرنا كذلك توحيده لمعظم جهات المملكة خلال مدة حكمه القصيرة (1075 . 1082/ 1664 . 1672).

عندما توفي مولاي الشريف في رمضان من سنة 1069 (1695 م) وبويع ولده مولاي مَحمد، حدث بين الرشيد وهذا الأخير تنافر جعل الرشيد يترك سجلماسة ويتوجه شمالا للبحث عن مساندين له فيما سيصبح لاحقا مواجهة مفتوحة مع أخيه مولاي مَحمد. وبعد إقامة قصيرة ببلاد الدلاء، ثم بفاس لاستكشاف الأوضاع توجه شرقا إلى نواحي تازة حيث حظي بدعم أحد شيوخ التصوف، أبي عبد الله اللواتي. وقد أمده هذا الشيخ بالرجال، فاحتاج إلى المال الذي حصل عليه بهجومه على أحد الأثرياء من يهود نواحي تازة، واستيلائه على ذخائره من الذهب والفضة. وقد تقوى أمره بعد ذلك وأصبح يشكل خطرا حقيقيا على المولى مَحمد المستقر بشرق المغرب. وبسرعة تحولت المنافسة بين الأخوين إلى مواجهة عسكرية مفتوحة قتل فيها مَحمد بن الشريف، فبايع الأحلاف وبنو إزناسن أخاه الرشيد وتوحدت بذلك السلطة العلوية في يد هذا الأخير.

لم يكن المولى الرشيد قائدا عسكريا مقداما فقط بل كان رجل سياسية له من النباهة وبُعد النظر ما يسمح له باستباق الأحداث والتخطيط لها بما يلزم من الحكمة والدقة. وقد قامت هذه السياسة على التروي والأخذ بالأسهل من الأمور قبل المرور إلى ما صعب منها. وبعد أن استعصت عليه مدينة فاس، وهي باب الغرب بالنسبة للدولة العلوية الناشئة، فضل المولى الرشيد أن يغض عنها الطرف وأن يعزز سلطنه في المناطق الشرقية والشمالية ـ الشرقية قبل أن ينقض على باقي البلاد.

وبما أن الدولة لا تقوم إلا بالمال والرجال فقد سعى المولى الرشيد إلى توفير هذين العنصرين بضمان القوة القتالية الضرورية والبحث لها عن الوسائل المادية التي تفي بحاجياتها. لذلك ركز المولى الرشيد على تكوين جيش يقوم مقام العصبية القبلية التي يفتقد إليها، وفتح الطرق التجارية مع الشمال والجنوب حتى يتحصل لديه ما يكفي من مدد لإرساء قواعد الدولة الجديدة. وقد اعتمد بالنسبة للجيش على شراكة وهم خليط من العناصر العربية والبربرية المستقرة بنواحي أنكاد وتلمسن. أسكنهم السلطان بالقصبة التي سميت باسمهم بعد فتحه لمدينة فاس. كما عزز هذه القوة العسكرية الفتية بعقد تحالفات مع بعض الأعيان ذوي النفوذ والسلطة، مثل عبد الله أعراص الريفي الذي سهل له بسط حكمه في منطقة الريف. أما الركيزة الثانية التي اعتمد عليها المولى الرشيد في

بداية أمره فهي التجارة حيث سهر على تأمين الطريق الرابطة بين سجلماسة والساحل المتوسطي. كما شجع التجار الأوربيين على الاستقرار بمراسي الريف لتنشيط التجارة الخارجية ولجلب ما تحتاجه الدولة الناشئة من سلع ومواد حربية. وبذلك اكتسب المولى الرشيد من القوة البشرية والثروة المادية ما جعله قادرا على ترسيخ أسس الدولة بالشريط الممتد بين تافيلالت والبحر المتوسط، ثم الانطلاق في مرحلة ثانية لإخضاع ما تبقى من البلاد.

لم تكن مدينة فاس تشكل فقط باب المولى الرشيد باتجاه الغرب والساحل الأطلسي بل كانت تمثل كذلك رمز الشرعية السياسية في البلاد، إذ لا تكتمل سلطة سياسية لها طموحات على المستوى الوطني الواسع إلا بضمان ولائها، حتى وإن كانت العاصمة السياسية بمراكش أو غيرها من المدن. لذلك جعل الأمراء العلويون منها هدفا لحركتهم منذ البداية. وكانت أول محاولة في هذا الاتجاه هي التي أقدم عليها مولاي مَحمد بن الشريف في سنة 1059 / 1649، لكنها باءت بالفشل، فأقنعت العلويين بأنها "ثمرة لم تنضج بعد" فحولوا اهتمامهم عنها لبعض الوقت. وفي سنة 1075 / 1665 عزم المولى الرشيد على فتحها لكنه لم يتمكن من دخول فاس الجديد إلا بعد حصار ومحاولات استغرقت ما يقرب من السنة. أما المدينة القديمة فكانت تتطلب أكثر من مجرد القوة العسكرية كي تدين بالطاعة للسلطة الجديدة.

كانت مدينة فاس قد استقلت عن حكم الدلائيين وأصبحت في قبضة رئيسين هما أحمد بن صالح الليريني المتزعم لجهة الأندلس، وابن الصغير رئيس جهة اللمطيين. وكان لزاوية الفلقليين نفوذ كبير بالمدينة، الشيء الذي جعل المولى الرشيد يقصد شيخها، أحمد بن عبد الرحمان الفاسي، ويعقد معه تحالفا للإيقاع برئيسي المدينة وتسهيل دخول العلويين إليها. وهو ما حصل بالفعل. ثم إن المولى الرشيد نجح في الحصول على دعم العلماء، وفي مقدمتهم علماء الأسرة الفاسية، لتغريق ذمة ابن الصغير والليريني، فقُتلا وحيزت ثروتهما الهائلة إلى بيت المال.

كان إخضاع مدينة فاس ضربة للدلائيين وإن كان حضورهم السياسي بهذه المدينة أصبح محدودا ورمزيا لا أكثر. لكن نجاح المولى الرشيد في الاستيلاء عليها وجعلها عاصمة لمملكته كان يكتسي أكثر من دلالة، وكان يؤذن بسقوط ما تبقى من المناطق المستقلة.

كانت الإمارة الدلائية أهم عقبة وقفت في وجه العلويين منذ البداية، وكان الأمراء العلويون يدركون كذلك أن سقوطها سيعني سقوط السد أمام المد العلوي العارم، بحيث لن يمنعهم بعد ذلك مانع من اكتساح بلاد المغرب. وهذا ما حدث بالفعل، فبعد تخريب الزاوية الدلائية في ذي القعدة عام 1078/ أبريل 1668 وترحيل أهلها إلى تلمسان أصبحت طريق مراكش مفتوحة في وجه المولى الرشيد.

ونظرا لهشاشة حكم الشبانات بهذه المدينة فقد سهل عليه إخضاعها في وقت يسير (1072/ 1669)، ومنها توجه إلى سوس حيث قضى على إمارة السملالين (1080/ 1670).

هكذا استطاع المولى الرشيد إخضاع البلاد وتوحيدها في ظرف وجيز، ربما يفسر نجاحه بضعف وهشاشة الكيانات الإقليمية أكثر مما يفسر بقوة الدولة العلوية الناشئة. لكن هذا السلطان العلوي تمكن على الرغم من قصر مدة حكمه من إرساء أسس الدولة الجديدة فزودها بنواة عسكرية صلبة ووسع قاعدة الدولة بعقد تحالفات مع القوى الجهوية المؤثرة، وخاصة بمدينة فاس التي تعتبر قاعدة الحكم ومصدر المشروعية الدينية والسياسية. وتوفي المولى الرشيد بمراكش عام 1082 / 1672 بعد أن وحّد البلاد ووضع أسس الدولة العلوية الفتية.

أ. الناصري، *كتاب الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، الجزء السابع ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف*، تح. ع. الهادي التازي، الدار البيضاء، 1993 ؛ *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، الرباط، 1931، الجزء الثالث ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، الرباط، 1986.

محمد المنصور

ابن **رُشيد، علي** أبو الحسن من صلحاء مدينة فاس وأحد "أصحاب" الشيخ أبي مدين شعيب. ولا نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من كتب المناقب والطبقات والتراجم ومعاجم الأعلام. ولو لا ترجمة محمد التميمي له في كتاب *المستفاد* لظل أمر هذه الشخصية الصوفية مجهولاً، ولا ندري إن كانت تربطه علاقة عائلية أو أسرية مع ولي آخر من أولياء فاس، هو أبو العباس أحمد بن رشيد سابق الترجمة. ومن المؤكد أنه عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري (12 م) لأن محمد التميمي (المتوفى سنة 603 أو 604 / 1207 . 1208) سطر ترجمته اعتماداً على المعاينة والمشاهدة الشخصية، بل إنه ينفرد بذكره ضمن لائحة أصحاب أبي مدين الغوث. فقد كان ابن رشيد يصلي به إذا اجتمع عنده الأصحاب، ربما لطيب نغمته بالقرآن وخشوعه، إذ كان "خاشعاً حاضر القلب لا يكاد يسمعه أحد إلا خشع وبكى". ويبرز التميمي بعضاً من خصاله التعبدية والتقشفية، قائلا : "وكان مجتهداً قواماً صواماً، ظهرت له براهين من نور يضيء عليه إذا صلى. ومروءته ودينه كثير". إلا أن التميمي لم يورد له أية كرامة أو برهان أو مكاشفة.

محمد ابن عبد الكريم التميمي، *المستفاد من مناقب العباد بمدينة فاس وما والاها من البلاد*، مخطوط، ورقة، 146 . 147.

محمد الشريف

الرشيد بن المامون الموحدي، بويع مطلع سنة630/ 1232 وعمره لا يتجاوز أربع عشرة سنة. وكانت فترة حكمه فترة اضطرابات وضعف شلت أوصال الدولة الموحدية، التي لم تنجح في إعادة الأمور إلى نصابها، بسبب انقسام الصف الموحدي إلى معسكرين، والتخلي عن عقيدة ابن تومرت، وخروج القبائل الزناتية بقيادة بني مرين، وقبائل الخلط ومعقل عن الطاعة. علاوة عن الاستقلال الفعلي لإفريقية والمغرب الأوسط والأندلس عدا إشبيلية والجزيرة الخضراء. فضاق الخناق على الموحدين بمراكش، وقلت مواردهم.

وصل الرشيد إلى الحكم في هذا السياق، وعمل بمساعدة عمه أبي محمد سعد بن المنصور، جهد المستطاع لإعادة الاستقرار، لكن المشاكل كانت أكبر، وقضى وقته على رأس قواته، محاولا بث الروح في دولة أصابها الهرم، ولهذا لم يعرف له إسهام بذكر في مجال البناء والتشييد.

دخل الرشيد مراكش سنة 630، بعد أن واجه خصمه يحيى بن الناصر وانتصر عليه، فعفى عن أهل مراكش وأمنهم على أنفسهم وممتلكاتهم، وكافأ قوات الروم وحلفاءه من عرب الخلط بالأموال الوافرة، ووصلته البيعات من كل الجهات. وقد وفد عليه عمر بن وقاريط من جبله، مصطحبا معه إخوة الخليفة الرشيد، بعد أن تركهم أبوهم المأمون في حمايته. وقد نسج ابن وقاريط علاقات قوية مع مسعود شيخ قبيلة الخلط، ثم غادر مراكش إلى هسكورة، وهنالك غير ولاءه لصالح يحيى الناصر، وكان ذلك إيذانا ببداية مرحلة من الاضطرابات، لم ينجح الرشيد في احتوائها.

دفع قيام بلاد هسكورة وهزالة وأكلاوة، الخليفة الرشيد إلى تنظيم حركة إلى هنالك، ثم قفل راجعا على وجه السرعة بعد أن تأكد أن يحيى بن الناصر وابن وقاريط وجموعهم، كانوا يريدون مراكش. وحصلت بين الطرفين معركة انسحب يحيى على إثرها إلى الجبال. ورجع الرشيد إلى مراكش. وكان لهذا النصر أثر في رجوع بعض مشايخ الموحدين إلى الطاعة، ومن بينهم أبو عثمان سعيد الجدميوي، الذي عمل على إقناع غيره من الشيوخ بالرجوع إلى معسكر الرشيد. ولما عزموا على ذلك، حال شيخ الخلط دون رجوعهم، وحاول اغتيالهم بإيعاز من ابن وقاريط، لكن دون توفيق. وكان ذلك من أسباب عزم الرشيد على الإيقاع بمسعود الخلطي، وإعماله الحيلة في استدراجه إلى مراكش، وقتله رفقة جماعة من أصحابه، حينئذ رجع جملة من الموحدين إلى مراكش، بعد أن اشترطوا على الرشيد أن يرجع إلى مذهب ابن تومرت، فاستجاب الخليفة لهم وبالغ في إكرامهم.

كان مقتل شيخ الخلط سببا في رجوع هذه القبيلة إلى العصيان، وتحالفها مع ابن وقاريط ويحيى بن الناصر وكان عيثهم بأحواز مراكش قد أزم أحوال الناس، فارتفعت الأسعار، وانعدمت الأقوات، وبدت بوادر المجاعة. وقد حاول الرشيد مواجهة الخلط خارج مراكش، لكنه انهزم أمامهم، فأخلى مراكش وقصد الجبل في اتجاه سجلماسة، دون أن يتأثر بمطاردة الخلط له، وسقطت مراكش في يد غريمه يحيى آخر سنة 632/ 1235.

استقر الرشيد بسجلماسة وبلاد القبلة بضعة شهور، إلى أن آنس من نفسه القدرة على الحركة، فخاطب عرب سفيان واستجاشهم، ولما قطعوا وادي أم الربيع، حصلت مواجهة شديدة بين قواد الرشيد وقوات يحيى بن الناصر، فانهزم هذا الأخير. ورجعت بلاد صنهاجة ودكالة ورجراجة إلى نفوذ الرشيد، ثم دخل مراكش وهو عازم على مطاردة خصومه بشمال البلاد، خصوصا بعد أن تغيرت التحالفات من جديد، فالخلط استنصروا بابن هود الجذامي، بإشارة من ابن وقاريط، وتركوا يحيى الناصر الذي توجه إلى بني معقل، فأجاروه ثم اغتالوه وساقوا رأسه إلى الخليفة الرشيد، الذي سرعان ما قصد فاس، وأقام بها أياما ريثما يتوصل بجباية غمارة وفازاز. وأعطى أمره بقتل بعض شيوخ العرب المعتقلين بمراكش، وأنعم على الموحدين بالمال والأنعام، ثم عاد إلى مراكش صدر عام 634/ 1236.

لم تتوقف مناورات عمر بن وقاريط، فقد اختار الابتعاد إلى الأندلس، وأقام عند ابن هود، ثم أقنعه بالاستيلاء على سلا، فمده بمركبين من أسطوله، لكنه لم يتمكن من مراده، ورجع عنها خائبا. ويشير صاحب *البيان المغرب* إلى حالة الاستقرار التي عرفتها البلاد ما بين 634 و636، بفعل حركات الرشيد بين مراكش وفاس، فقد وصلته بيعة أهل سبتة وإشبيلية، ورجع ابن الأحمر إلى موالاة الدولة الموحدية، كما انتهى عصيان عمر ابن وقاريط إثر اعتقاله بإشبيلية وتسليمه للرشيد، الذي أمر بسجنه بأزمور صحبة مجموعة من أشياخ الخلط، قبل أن يأمر بقتلهم جميعا سنة 635/ 1238. وعلى الرغم من الحماس الذي أبداه الرشيد من أجل إعادة الدولة إلى سابق قوتها، فإن المشاكل كانت أكبر من إمكاناته، فقد أدت كثرة الفتن وقلة الأمطار وغلاء الأسعار وانتشار الوباء عام 637/ 1240 إلى فراغ البلاد الغربية من ساكنتها، علاوة على ما كانت تعرفه أحواز مكناس وفاس والقصر من اضطرابات سببها حركة بني مرين المتوثبة، وخلافات مستمرة مع بني رياح وبني عسكر وممثلي الدولة الموحدية. لقد حاول الخليفة الرشيد احتواء توسعات بني مرين، لكنه انهزم أمامهم ثلاث مرات في ظرف سنتين، وكانت بينه وبينهم مهادنات ومراسلات، وانتهى [illegible] إلى الاستقرار بمراكش، مكتفيا بنفوذ [illegible] إلى غاية وفاته سنة 640/ 1243.

[illegible] المرحدين، 1985 ؛ ابن أبي زرع، [illegible] الاستقصا، ج. 2، الدار البيضاء،

1953 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، 1978.

محمد فتحة

الرشيد، محمد مقاوم من مواليد سنة 1937 بالدار البيضاء من أبويه عبد القادر بن محمد وفاطنة بنت محمد. كان معروفا بغيرته الوطنية وكفاحه البطولي حيث عمل بجد وإخلاص في صفوف المقاومة السرية بمدينة الدار البيضاء مع منظمة الهلال الأسود تحت مسؤولية لحسن الأكلاوي، وناضل بكل شجاعة وإقدام في سبيل تحرير الوطن.

وقد شارك في تنفيذ العديد من العمليات الفدائية منها إحراق أوربي بداخل سيارته بطريق مديونة واغتيال متعاونين سنة 1955 بالإضافة إلى مشاركته في إضرام النار بمتجر للدخان بدرب الإسبان.

ونظراً لنشاطه البطولي طاردته قوات الاحتلال ففر هاربا ولم يعرف له أثر إلى اليوم حيث أصبح في عداد المفقودين من يوم الأحد 13 ذي الحجة 1375/22 يوليوز 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال* ؛ *شهادة عبد القادر الرشيد شقيق المترجم.*

محمد رحيد

الرشيدية حاضرة تافيلالت تقع مدينة الرشيدية على طريق القوافل التي كانت تربط بين شمال المملكة والبلدان الافريقية المجاورة. وكانت تسمى سابقا قصر السوق اعتبارا لمكانتها في ترويج أهم البضائع المتبادلة بين القوافل. ومع مطلع السبعينيات من القرن العشرين، وبالضبط بمناسبة تدشين عملية المسيرة الخضراء عام 1975 من طرف الأمير مولاي الرشيد، أخذت المدينة تسميتها الجديدة.

يرجع تطورها العمراني أساسا إلى موقعها الجغرافي في سافلة حوض زيز الأعلى، بين الجبال الأطلسية والصحراء، وإلى استفادتها من جمع أكبر قسط من المياه المتسربة من أعالي الحوض، التي أسهمت في تعزيز اقتصاد المناطق شبه الصحراوية على مدى العصور.

أحدثت جماعة الرشيدية، سنة 1959، على مساحة 2200 هكتار، وهي تضم حاليا أزيد من 62.500 نسمة، تتوزع على حوالي 10.500 أسرة. من بين أهم القبائل التي تكون الجماعة، نخص بالذكر آيت ازدك والحراطين والشرفاء.

يستقبل الموقع تساقطات مطرية لا يتعدى معدلها السنوي المائة مليمتر، مع وضع حراري يتجاوز 38 درجة كمعدل للحرارة القصوى لشهر يوليوز، و1.1 درجة كمعدل للحرارة الدنيا لشهر يناير. وادي زيز الذي يخترق المدينة، يتحول بعد خروجه من الأطلس الكبير الشرقي إلى مجرى شديد الموسمية يتأرجح بين الشح العميق في الغالب، وطاقات طارئة للفيضان.

تعتمد الجماعة في اقتصادها على الفلاحة والصناعة التقليدية والتجارة والسياحة. وهي تضم سوقين أسبوعيين، وثلاثة فنادق مصنفة وخمسة فنادق غير مصنفة.

يعتمد القطاع النظامي للتعليم على 14 مدرسة يلجها 10.250 تلميذا، وثلاث مؤسسات إعدادية لفائدة 6.271 تلميذا، وأربع ثانويات لفائدة 3.975 تلميذا، ومؤسسة واحدة للتعليم العالي يؤمها 973 طالبا. يضاف إليها خمس مؤسسات للتكوين المهني تابعة للقطاع العمومي وأربعة للقطاع الخاص.

يتهيكل قطاع الصحة حول مستشفيين اثنين، يضمان 22 طبيبا و158 ممرضا، و5 من المراكز الصحية، بها 10 أطباء و67 ممرضا، و3 سيارات للإسعاف.

كما تتوفر البلدية من أجل تقديم الخدمة العامة على خبرة 15 من الأطر العليا و82 إطار متوسط وفرقة قوامها 205 من العمال.

تستفيد الجماعة من خدمات المكتب الوطني للماء الصالح للشرب الذي يزود أكثر من 11.000 مستفيد، ومن خدمات المكتب الوطني للكهرباء لفائدة حوالي 22.700 شخص.

عدد الوكالات البريدية أربعة، كما تتوفر شبكة الهاتف الثابت على خط أوتوماتيكي بطاقة 6.300 مشترك.

ومن بين المعالم الدينية والاجتماعية، يوجد 16 مسجدا ومركزا ثقافيا واحدا وخزانة وداران للشباب وأربعة أندية نسوية.

موحى حدوش

ابن **رشيق، عبد الوهاب** بن يوسف بن محمد بن خلف بن محمد بن أيوب الأنصاري القصري، من أهل قصر عبدالكريم، وأصل أسرته من الأندلس، كان أبوه قد استوطن القصر وبه ولد المترجم في شعبان سنة 587/ غشت - شتنبر 1191.

كان والده عالما من تلاميذ عياض وابن العربي، وعنه أخذ العلم ابنه عبد الوهاب بمسقط رأسه. وتتلمذ أيضا لبلديه الشيخ أبي محمد عبد الجليل القصري (ت. 608/ 1211) وغيرهما. وصحب من علماء بلده قصر عبد الكريم أيضا الشيخ أبا العباس أحمد بن محمد بن هابيل العبدري المعروف بالأشقر.

كان فقيها مالكيا عالما، جمع الفضل ونبل الأخلاق والورع. رحل إلى المشرق واستوطن مصر وتصدر لتدريس العلم بالجامع العتيق بالقاهرة، واحترف بها أيضا خطة العدالة. وعاش بها قليل ذات اليد.

توفي ليلة عيد الفطر سنة 650هـ/ 4 دجنبر 1252 برباط الأمير فخر الدين عثمان بن تزل بسفح جبل المقطم بالقاهرة.

جمال الدين ابن الصابوني، تكميل إكمال الإكمال في الأسماء والأنساب والألقاب، بيروت، عالم الكتب 1986، ص. 160، 161. بغداد، 1957.

محمد المغراوي

الرَّصَاص، معدن سنجابي اللون (أشهب أزرق) كامد بسبب التآكل : ثقيل الوزن، لين، ثقله النوعي 11.35، ووزنه الذري 206.91 ؛ ينصهر في 334° سغ، كثير الاستعمال في الصناعة، ورمزه الكيميائي Pb وكثيراً ما نجده مجتمعا مع الكالسيوم (Ca) والحديد (Fe) والمنغنيز (Mn) في الصرانيات. يجتمع أيضاً بالكبريت (S) والفضة (Ag) والتوستدط (Pb) والكالسيوم (Ca) في الكبريتيات والفضيات والفوسفاط والكربونات.

تعتبر الغالينة أهم المعادن الخامة للرصاص وتسمى أيضاً كبريت الرصاص (PbS). نظامها البلوري مكعب. صلابتها 2.5 - 3، كثافتها 7.2 - 7.6. لونها أشهب أسود لامع.

نجد معدن الرصاص في الصخور الرسوبية الكربوناتية أو الحتية وفي الصخور البركانية الرسوبية، وخاصة في الاركزة الجرمانية المكونة من الكاربونات ومن المرو، والبيريت والنحاس والبلند.

على المستوى الاقتصادي المغربي يأتي ترتيب الرصاص إلى جانب الخارصين بعد الفوسفاط مباشرة.

تتوزع رواسب معدن الرصاص بالمغرب إلى :

1 - رواسب طبقانية، ينحصر وجودها في اتجاه قاعدة صخور الغطاء الرسوبي : نذكر منها هنا مناجم :

- بوبكر - تويسيت - بيدان (جنوب وجدة) ذات التمعدنات المتمركزة في كتل طويلة أو مختلفة التشعب، وتوجد هذه الكتل في ثلاثة مستويات يعلو بعضها البعض الآخر وذلك في نسق كربوناتي شديد التدلمت ينسب إلى اللياس والبازوسي. وقد اكتشف بالمغرب في هذه المنطقة التي ما تزال تحت الاستغلال، احتياطات جديدة تقدر حاليا 65 ملايين طن بنسبة 14٪ من الرصاص و4.5 ج من الفضة لكل وحدة من الرصاص. أما قبل هذا، فقد تجاوز إنتاج الرصاص والخارصين بالمنطقة المليون طن.

- ميبلادن (شرق شمال ميدلت) تتكون رواسبها من كتل رصاصية تنحصر بين صدعين في اللياس الأوسط والعلوي الطيني الكربوني التجاوزي فوق صخور القاعدة القديمة لنهر ملوية. تقدر الاحتياطات المؤكدة بنحو 600.000 طن بنسبة 8٪ من الرصاص.

- زيدة (شمال غرب ميدلت)، يوجد الرصاص هنا على شكل كتل غير منتظمة في صخور الاكور التابع للبيرموترياسي. بلغ الاحتياطي الحالي بنحو 11 مليون طن بنسبة ... من الرصاص.

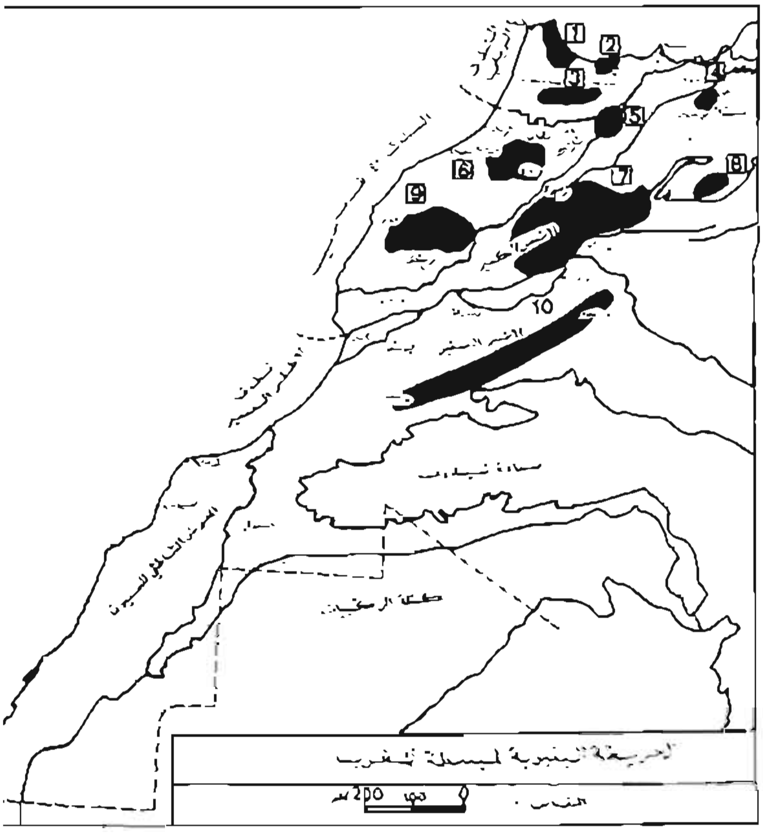
- تاسمرط (... شمال غربي) يوجد هذا الراسب في صخور ... تحت كمبرية (دولوميت بامجوط) الكثيرة الانكسارات الملوءة بالسيليس حيث ينحصر وجود الرصاص الذي يصاحبه أحيانا الخارصين والنحاس.

- إقليم ركو (الطرف الجنوبي الشرقي للأطلس المتوسط، على بعد بعض الكيلومترات غرب قرب ركو) : تركبة هذه المنطقة أساسا كربوناتية من صنف اللياس، تمعدناتها الرصاصية عموماً على شكل تكدسات كربوناتية على مقربة من التقصفات الكبرى الاقليمية.

2 - رواسب عرقية ينحصر وجودها أساساً في صخور القاعدة حيث تقطع المستويات الأكثر صلابة :

- عنيس (جنوب شرق مدينة الرشيدية). تقطع هنا الرواسب العرقية حجر الرمل الأوردفيشي. طول هذه العروق يصل إلى 6 كلم، وسمكها 0.5 إلى 1.5 متراً، يوجد أغلبها في صدوع شبه رأسية، على هيئة أعمدة مشتملة على الجالينا، البلاند، الكالكوبيريت، والبيريت ؛ أما الشوائب المعدنية فتتمثل في السيديريت والكالسيت والباريت والمرو. ويحتوي الركاز على حوالي 60٪ من الرصاص. هذا وقد استغل إلى حدود سنة 1977 أكثر من 20.000 طن من الرصاص، ومازال الاستغلال قائماً حتى الآن بطريقة يدوية.

- أحولي (شمال شرق ميدلت)، نجد العروق المتمعدنة



في راسب ميبلادن الطبقاني وفي وسط صخور الشيست المتحولة، وجرانيت ملوية القديمة والنسق البركاني. التمعدن هنا إما على شكل كتل، أحيانا متقطع وغير منتظم، وإما على هيئة عروق، كعرق هُنْري، وعرق جُورج. ويوجد التمعدن أساساً في الجالينا المتأكسدة، والسيروسيت، والانجليزيت والبلاند. أما بخصوص الشوائب المعدنية فتشمل المرو والباريت والفلوريت. يقدر الاحتياطي الحالي في عروق أحولي بما يناهز 5 مليون طن بنسبة 2.8٪ من الرصاص.

- جبل عوام (غرب مدينة امريرت)، توزع تمعدنات الرصاص بهذه المنطقة على خمسة مجاميع من العروق (سمكها من 1 إلى 10 أمتار، وطولها يصل إلى 5 كلم) توجد كلها في الصخور الباليوزوية للمغرب الأوسط الهرسيني. ومن المعادن الحاملة للرصاص هنا، نذكر السيد يريت، والجالينا ؛ إما الشوائب المعدنية فتتمثل في المرو والكالسيت والباريت. يصل الاحتياطي بمنطقة جبل عوام إلى ما يفوق 80.000 طن من الرصاص.

3 - رواسب مكسرية، ونذكر هنا تمعدنات جبل بوظهر : يوجد جبل بوظهر شمال شرق مدينة الرشيدية، وينفرد بكونه يشتمل على تمعدنات ممكزة في الشعاب المرجانية الدوميرية المرتكزة على الصخور الباليوزوية. ومن هذه المعادن الجالينا، البلاند، البيريت، الكالكوبيريت ؛ أما الشوائب المعدنية فتتمثل في الكلسيت، السيديريت، الانكريت، الباريت والمرو.

ونشير هنا إلى أنه توجد رواسب مكسرية أخرى كالرواسب الموجودة في التكوينات الكربونائية والرملية في تافيلالت، المعايدر، الأطلس الكبير الشرقي، والأطلس المتوسط لتازة.

لقد وصل إنتاج هذه المجموعة منذ بداية استغلال المنطقة ما يزيد على 100.000 طن من الرصاص المركز.

مناجم معدن الرصاص

1 - الريف الباليوزوي

2 - بوكوية

3 - منطقة وزان

4 - منطقة المرتفعات (بوبكر، تويسيت، بيديان)

5 - كتلة تزكا (الأطلس المتوسط لتازة)

6 - جبل عوام

7 - ميبلادن، زايدة، أحُولي، بوظهر، تافيلالت، مفيس

8 - منطقة الأطلس الصغير

9 - منطقة الجبيلات والرحامنة (شمال مراكش).

عبد الله بوصحابة

الرصراصة، أو الكلس العضوي المزخرف. تعرف الرصراصة عندنا باسمها اللاتيني ترافرتان (Travertin). وتعتبر عدانيا تكوينا كاربوناتيا ثانويا. تستعمل في تزيين واجهات البيوت وفي التبليط الراقي، وتدمج تجاوزا من طرف الصناع في حيز الرخام (الرخام، الجزء 13).

وهي بديعة التكوين والتطور والهيئة، وإن كانت منقطعة العلاقة بأي كلس متحول من شأنه أن يربطها بالرخام. تخرج عن المألوف مقارنة مع الأكلاس الأولية، البحرية منها والبحيرية، وحتى مع الثانوية الأخرى كالقشرات الكلسية بمختلف سحناتها. ذلك أنها تتوضع على السطح بحجم يمكن أن يضاهي التكوينات الأولية تماما، وبسرعة قياسية تتفوق بها على كل الأكلاس.

أصل المشيدات منها عضوي بامتياز، يمكن أن يتراكم بإيقاع أقصى مضبوط بالمواسم المناخية للسنة، يتحقق متى توفرت العاليات الكلسية والرطوبة الكافية وظروف الاستيقاف من أجل الترسيب. كل القواعد صالحة لاستقباله، مع تفضيل للعنصر النباتي، تلتف التغليفات الكاربوناتية من حوله. جل السحنات الموصوفة من النوع المسامي الخفيف، المعروف برصراصة القصب. يتهيكل تثبيت مادة المحلولات على أساس تصفيفات متوالية من جاليات الطحالب والفطور، هي التي تثبت المادة الكلسية المشبعة للمحلولات وتفسر السحنات المزخرفة، المترددة الوشاحات والمتعاقبة التلوين التي تكسبه، عند اكتمال التطور والتصلب، جمالية الرخام والصقيل التام المبرقش اللماع.

هناك ترافق أكاديمي بين الرصراصات واللبائد، يكاد لا يذكر أحدهما بدون الآخر. لا يبدو أن التمييز بينهما ذو طبيعة خلقية سلالية : الرصراصة متينة، مقاومة ومنتظمة البنية، واللبيدة (tuf) هشة، غالبا ما تظهر بوصفها ترسبات متراكبة وستائر طبيعية عند منابع الفرشات المائية الجوفية الكارستية.

تتركز الظهورات الرئيسية للرصراصة واللبيدة بالمغرب، عند حافات الجبال والهضاب الكلسية الكافية الرطوبة، السانحة البنيات والتوجيه.

أحسن الأوضاع متوفرة ولاشك في المحيط الشمالي والغربي للأطلس المتوسط، نظرا لطابعه الكاربوناتي العام لمعدل التساقط الذي يتأرجح بين 500 و1000 ملم، وللميل التفضيلي للفرشات الهيدروجيولوجية إلى الشمال الغربي، ولتمتع الحافات بالتوجيه الظليل الرطب المواتي للمجتمعات الحيوية الغنية بالطحالب والنباتات المائية من المواقع الأكثر تعبيرا، المدرج الواسع الغني بمختلف السحنات والمتوافر التوضعات كما وكيفا، الذي تتوسطه

مدينة الحاجب. لقد أخذت جل المواد التحليلية المعتمدة لهذا العمل من موقع الحاجب بوصفه مرجعا معياريا لأنواع الرصراصة والليمة بامتياز، بما في ذلك اللقطات المرافقة عن السحنات المجهرية وذات المقياس الطبيعي التفصيلي والشامل. حقول أخرى ذات أهمية تعلو وتحف بمدينتي صفرو والقصيبة.

على مسافات أطول، توجد التراكمات الرصراصية المرافقة لهوامش الأطلس الكبير. وهي بالطبع شديدة اللاتماثل بين السفوح الشمالية الرطبة والجنوبية التي غالبا ما تجمع بين جفافي التوجيه القاحل والبرودة، ومتناقصة الكتلة والامتداد حسب تناقص الرطوبة من الغرب إلى الشرق. من أشهر المواقع الموصوفة تلك المرتبطة بشلالات إيمزار إيدا أوتنان، وأوزود. والأودية من حول دمنات.

حقول معقدة تحيط بالأعراف الكاربوناتية بمنطقة جبالة، غرب سلسلة الريف في أقصى الشمال، وتهم الهوامش الغربية للأطلس الصغير، بالسفوح المقضبة للتغليفات البحرية لسوس ماسة تزنيت. أما في الريف، فتبدو الرصراصة أساسا كتطور تلحيم لمواد الانهيال الغزيرة جدا التي تحيط بالعوارض والفلسات والقدات، وكلها قائمة البنية، نشيطة النائية، أحدثت في دولومي الترياس شبكة شقوق كثيفة تسببت في التطعيم بالفتات وبمحاليل التلحيم. وأما من حول الأطلس الصغير الجاف، حيث لا تنتظر مواد ترطيب من هذا القبيل، فإن النوع الخاص من الرصراصة هنا، يبدو كما لو كان آخر مواد إفراغ للأودية الموسمية الجبلية، في صورة قذى لبيدي، ترمي به في اتجاه الصحراء، داخل المنخفضات الموالية للحمادات.

من الواضح أن الرصراصة في كل هذه الأوضاع لا تستجيب دائما للتعريف السحني المعروف، وأنها كباقي الأجناس الصخرية لا تنحصر في التعريف الظاهراتي البسيط والضيق ولكنها تتحدد بجملة معايير منها المرفلوجي والصخاري والعدائي. إحلالها مكانة الجنس الصخري الشامل، سمح باكتشافها كظهورات ذات انتشار أوسع بكثير مما كان يعتقد.

وعليه، فإن الرصراصة من المشيدات القارية الخاصة المتميزة بنشئها العضوي. مرت ظروف الرصراصة في المغرب بمراحل ازدهار وانكماش. يعتبر مجمل المناخ الحالي فترة تراجع، يمكن أن نشهد خلالها التكوين الفعلي للرصراصة، لكن في أوضاع محطية ضيقة، حول العيون الظليلة وضمن الأودية والآجام البليلة الغدقة. على أن النيوجين والرباعي قد شهدا مراحل تشييد استثنائية الحدة، تنتمي بالأساس إلى مناخ متوسطي أرطب من الحالي، نذكر منها البليوسين الأوسط، المعروف كذلك باتساع المحالات البحيرية في ظروف بيومناخية زاهية، ومنها فترات بذاتها من دوري الملوياني والعميري من الحقب الرابع المغربي (الرباعي المغربي، الجزء ١١).

الخاصية الإلزامية للمشيد الرصراصي أن يكون الانطلاق من تأليف عضوي، تضطلع به المثريات المنتظمة داخل جاليات حية مستندة بصفة تفضيلية إلى آحراج مائية. يساعد النبات في تسريع التراكم الكلسي حيث إنه، لأغراضه الوظيفية، يركز المحاليل ويستخلص الغاز الفحمي. في هذه المرحلة البدائية، تتحقق الشبكة الهيكلية المشعة المسامية، والتي لا غنى عنها في ضبط الانتساب إلى الجنس وإن كانت، إلى هذا الحد، عبارة عن سجاد طحلبي متفاوت التغليف الكلسي، غض التكوين واهي المقاومة. لكن سرعان ما يتحول إلى مصيدة فعالة تتركز بها ترسبات كلسية أخرى فيزيو - كيماوية وعناصر فتاتية من الطين والأكاسيد القارية. تواتر تصفيف الجاليات الطحلبية والفطرية مع ما شابها هو الذي يعطي تتابعات الشرائح الدقيقة المتعارية إلى داكن فاتح. وهي التعبير المباشر على إيقاع الفصول، البارد والحار في النطاق المعتدل، والجاف والرطب في عروضنا المتوسطية.

في البدايات، تتراكم هذه المواد القارية على شكل تلال عضوية، تماما كما لو كانت حشفات مرجانية وسط البحار. لكن مرور الوقت من خلال تكرار دورات التحليل والترسيب وتزايد التبلر والتصخر، يمحو أكبر جزء من البنيات الظاهرية المعبرة، مبسطا السحنات ومقربا إياها من الكلس الكتلي الصلب الاعتيادي، رغم بقاء الآثار الأصيلة في السحنات المجهرية.

إذا ما قارنا الرصراصة، من وجهة التصخر والتمعدن، مع باقي التطورات التكلسية القارية الأخرى، ألفيناها في وضعية يمكن أن نقول عنها إنها وسطى بين الكلس البحيري والقشرة وأنها بمستوى الحث أو الحجر الرملي، وذلك بالاحتكام إلى ما يلي من القواعد.

يكفي في الاحتباس المفضي إلى ترسيب الكلس البحيري أن يكون طوبغرافيا. وما نعلمه عن هذه الظروف في بلداننا، خلال فترتها الزاهية المعتدلة المناخ في البليوسين الأوسط، أنها ترفقت بالأطيان دون ما تغيير يذكر، ولم تحدث أي عسف في مضمونها السلكاتي.

يوجد تكوين القشرات الكلسية تحت رحمة البيومناخات بالضرورة، إذ ينتج عن الانحباس الكيماوي التجفيفي القاسي الذي يؤدي بالتدرج وعلى المدى الزمني الطويل إلى التغيير الحاسم للأطيان والعسف العميق للمادة الترابية الفتاتية السليسية بتحويلها كلية إلى مادة كلسية.

تأتي الرصراصة في وضعية بينية، الانحباس فيه أحيائي أيضي صرف، وهي قادرة بذلك على تثبيت الكلس بأسرع السبل الممكنة طبيعيا، بحيث يتم بالإيقاع الموسمي للحياة النباتية في النطاق المعتبر، منشئا المتوال العضوي -

المعدني الأول، ومثبتا إياه بدفعات متتالية من تبلر الكلس. وقد بدا لنا، في السايس على سبيل المثال، أن تصخر الرصراصة يتم، على غرار التحجر في الحث، بوصفه عملية واسعة للتلحيم على أساس قاعدة مسامية، في وسط فتاتي قاري معد لانسياب المحاليل. يتحول بالموازاة المضمون الطيني للرصراصة بصفة سريعة، لكن بدون عمليات عسف ملموسة.

هناك من الطوارئ أحداث يمكن أن تكثف من إنتاج الرصراصة وأن توسع من رقعة انتشارها. حدث من بينها بصفة فعالة خلال الرباعي، أزمات بنائية قوت الأحجام الطوبوغرافية وعددت خطوط المنابع وعتبات التأكسج المسببة للترسيب الكلسي. كذلك الشأن بالنسبة للحوادث البركانية التي تزيد من الاضطرابات الجوية وأنوية التكاثف وبالتالي من الترطيب في العاليات التي اعتراها الفوران، ومعها زيادة تفسيخ الأكلاس بتوافر إشباع المحاليل بالغاز الفحمي. يصحبها تراكم الأكلاس في السافلات ذات الجو الأصفى والعتبات المعددة لفرص التأكسج.

ومن المثير للانتباه أن فترتي الرصراصة القصوى التي عرفها الرباعي قد وافقت، في الملوياتي والعميري بالضبط، إضافة لنزعات الترطيب المناخي الضرورية، أهم أزمات البنائية والبركنة التي شهدها الحقب.

مرة أخرى، يتأكد الدور الحاسم الذي تلعبه الجبال المغربية بفعل شموخها وتوسطها للمجال الوطني. فبالإضافة إلى قيامها بتوزيع الموارد المائية والترابية بأكثر ما يمكن من التوازن وأبعد ما تسمح به الأوضاع العرضية، فإنها كذلك، عن طريق دينامية المحلولات، تدفع بمختلف السحنات الكلسية القارية إلى كل السافلات منوعة الركائز الصخرية ومطعمة الأتربة وموفرة مواد نافعة جديدة للأشغال العمومية والبناء والزينة. وإلى أمد قريب، كان جنس الرصراصة مجهول المعالم في جل مظاهره، مهضوم الملامح بين الكلس البحيري والقشرة الكلسية. أما وقد اكتشفت الآن بعض تجلياته، فإنها تسمح، ليس فحسب بمعرفة أقوم لأصقاع واسعة من التراب الوطني، ولكن كذلك باستجلاء بديع لفترات ثرية، غنية بالماء والحياة، تضيف تفاصيلها الغناء للتاريخ الطبيعي للمغرب.

J.P Adolphe et C. Billy, *Biosynthèse de calcite par une association bactérienne aérobie. C. R. Ac. Sci.* Paris, t. 278, 1974 ; J. Casanova, *Morphologie et biolithogenèse des barrages de travertins.*. Paris, p. 45 - 54, 1981 ; D. Fassi, *Les formations carbonatées secondaires : croûtes et travertins. R.G.M.*, p. 183 - 220, 1994 : L. Mathieu, *la géomorphologie et la géologie quaternaire comme bases fondamentales pour une juste définition et une cartographie rapide des sols et des milieux. Application dans la province de Taza (Maroc) et dans la cuvette d'Andapa (Madagascar).* Thèse Fac. Sci. Agro. Gembloux, Belgique, 1017 p., 1977 ; J. Nicod, *Facteurs physico-chimiques de l'accumulation des formations travertineuses. Essai de synthèse. Médit.* 1 - 2, p. 161 - 164, 1986 ; J. Vaudour, *Travertins et croûtes calcaires. Bull. Assoc. Géog. Fran.* Paris, 479 - 480, p. 203 - 210, 1981 ; A. Weisrock, *Géomorphologie et paléoenvironnement de l'Atlas atlantique.* Thèse. Paris, 1986.

إدريس الفاسي

الرصيف القاري، يطلق اسم الرصيف القاري على مساحات تحت بحرية شاسعة تمتد من الشواطئ حتى مستويات قد تفوق أعماقها 200 متر، وهو معدل لأعماق (ما بين 60 و400 متر) يتغير بها شكل وطبوغرافية القعر بشكل جدري حيث يتكسر الانحدار التدريجي والطبيعي للتضاريس تحت بحرية لينشأ عنها جرف سحيق قد يتعدى الألفي متر.

على السواحل المغربية المترامية على واجهتين (متوسطية وأطلسية) فاختلاف المعطيات البيئية واختلاف التاريخ الجيولوجي لهاته الواجهتين أدى، بالطبع، إلى اختلاف في تكوين، شساعة وعمق الرصيف القاري فيهما. أما على الساحل المتوسطي فلا يتعدى عرض الرصيف القاري 15 كلمترا وعمقه حوالي مائة متر ويقسم حسب استقرارية معطياته الرسوبية إلى ثلاثة مناطق : منطقة سبتة، منطقة الحسيمة والمنطقة الشرقية. خلافا لذلك فإن عرض الرصيف القاري على الواجهة الأطلسية للمغرب لا يقل عن 15 كلمترا وقد تفوق أعماقه 200 متر. وإذا كان عرض الرصيف القاري قد يتعدى 110 كلمتر فإن المعدل العام يتأرجح ما بين 40 و60 كلمترا. يمكن تقسيم الرصيف القاري الأطلسي للمغرب كذلك إلى ثلاثة مناطق : منطقة أولى تمتد من "رأس سبارطيل" إلى "رأس غير" قرب أكادير وتتميز برصيف قاري عرضه يتأرجح بين 30 و50 كلمتر وعمق أقصاه 200 متر. أما المنطقة الثانية فتمتد بين "رأس غير" و"رأس بارباس" وقد يتعدى عرضه 110 كلمتر، أما المنطقة الثالثة وتوجد في أقصى جنوب المغرب فلا يتعدى عرضها 60 كلمترا وعمقها 120 متر.

ونظرا لشساعة الرصيف القاري وكذلك تعدد وتباين المعطيات البيئية فيقسمه الخبراء إلى طبقات أو مستويات مختلفة تدخل في تحديد معالمها معطيات عدة كالضوء، وطبيعة الدعامات، والرطوبة، ونسبة غمورها بالماء، إلخ. وهاته المستويات هي (من الساحل نحو العمق) : ما فوق الساحلي (Adlittoral)، فوق الساحلي (Supralittoral)، بيساحلي (mediolittoral)، تحت الساحلي (infralittoral) وما تحت الساحلي (Circalittoral). ولكل من هاته المستويات ظروفه البيئية التي تجعل من ساكنته الحيوانية والنباتية أحياءً مميزة له، لكن وبصفة عامة فإن الحياة تزدهر وبشكل أكبر في المستويات أو الطبقات السطحية والمغمورة في نفس الوقت بالماء حيث تكثر الأملاح المعدنية وتتوفر الطاقة الضوئية والشمسية اللازمة لتحويل هاته الأملاح

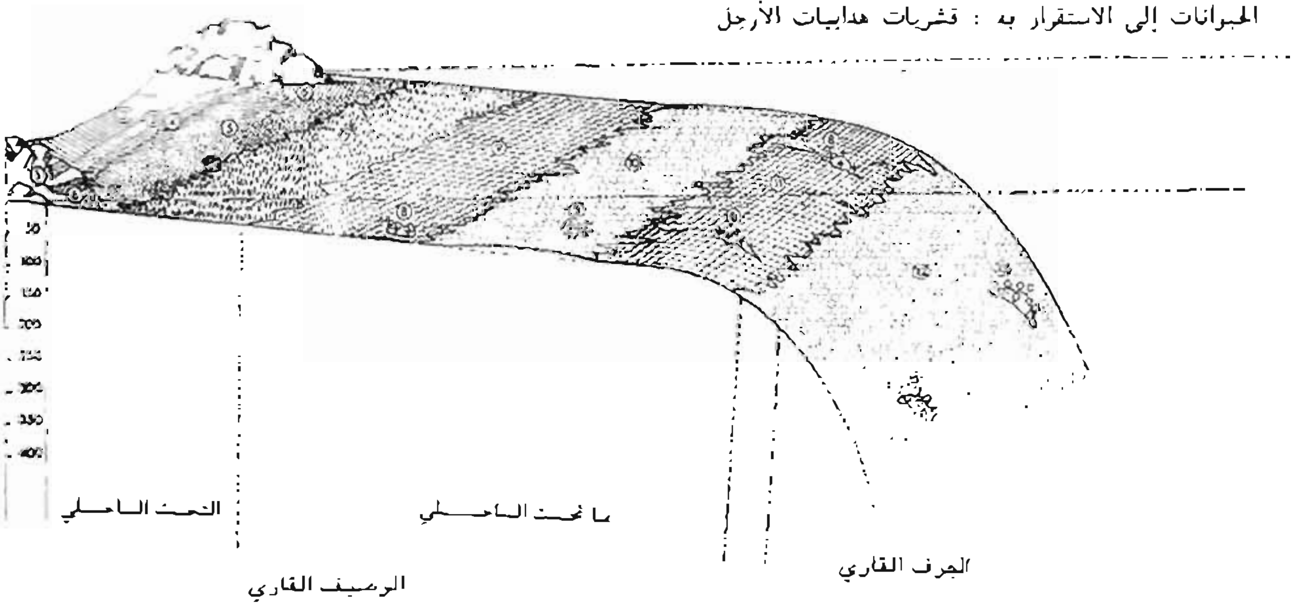
المعدنية إلى مواد عضوية نباتية صالحة للإستهلاك من طرف الحيوانات. أما خصائص هاته المستويات فهي :

- المستوى ما فوق الساحلي وهو مستوى لا يصل إليه ماء البحر إلا في حالة العواصف وهيجان هذا الأخير، حيث ترتفع الأمواج لتصل إلى مواطن لم تكن لتبلغها في ظروف عادية وهكذا فهي مواطن تحت التأثير الدائم للملوحة وضباب البحر لكن تحت تأثير ماء البحر في ظروف استثنائية فأحياؤها أرضية بشكل عام لكنها قد تتحمل الملوحة (Halophiles). أما الحيوانات التي تعيش في هاته الطبقة (Etage) فهي قليلة التنوع وتتكون في غالبيتها من حشرات ثنائيات الأجنحة (diptères) كبعض أنواع الذباب والناموس وكذلك من غمديات الأجنحة (Coléoptères). أما النباتات فهي تعتمد أساسا على زهريات ملحية (Phanérogames halophytes) تعيش فوق الكثبان الرملية المجاورة للشاطئ والمغمور دوما بضباب بحري محمل بملح البحر.

- المستوى فوق الساحلي : ويتميز بكونه قد تغمره مياه البحر بصفة استثنائية لكن منتظمة خلال كل فترة مدّ كبرى ونظرا للنسبة العالية للرطوبة فيه. فظروفه أقرب للظروف البحرية فتحتمي منه مثلا غمديات الأجنحة التي تعيش فقط على اليابسة لتستبدل برخويات ساحلية جد متأقلمة مع ظروف هذا الوسط حيث يمكنها البقاء مدة طويلة دون ماء لكنها لا يمكنها العيش أبدا بمنأى عن البحر كما تظهر كذلك بعض النباتات الأشنة (lichens) لا تستطيع العيش تحت الماء، لكن لا تطيق العيش دون رطوبة عالية ودائمة.

- المستوى بيساحلي وينعت به منطقة المد والجزر حيث استقرارية وجود الماء (عند كل مد) أدى بالعديد من الحيوانات إلى الاستقرار به : قشريات هدابيات الأرجل (Cirripèdes)، مزدوجات الأرجل (Amphipades) ومستويات الأرجل (Isopades) ورخويات كذلك كمعديات الأرجل (Gasteropades) وثنائيات الصدفة (Bivalves)، لكن تبقى كلها حيوانات وإن كانت لا تستطيع العيش بدون ماء فهي تتحمل عدمه لبعض الساعات (طيلة الجزر) كما أنها تتحمل تقلبات الظروف البيئية كالملوحة والحرارة الناتجة عن توالي مرحلتي المد والجزر. أما بالنسبة للنباتات فوفرة الماء واستقراريته خلال مرحلة المد أمن لبعض الطحالب جل الظروف الأساسية لنموها خاصة تلك التي هي أكثر تحملا لتوالي مرحلة المد والجزر وكذلك ما ينتج عنهما من تقلبات الظروف البيئية الأخرى ومن بين هاته الطحالب بعض الطحالب الكلسية (Coralines) أو جنس Ulva، المنتشر بشكل كبير في الشواطئ الصخرية والمعروف بـ"خز البحر".

- المستوى التحت الساحلي : ويمتد من منطقة الجزر حتى حوالي 40 مترا من العمق، فهو إذن مستوى تغمره المياه بشكل دائم وتتسم ظروف البيئة بكثير من الاستقرار والتوازن مما يوفر للعديد من الأحياء الملجأ والغذاء وأماكن ظروف التوالد، إلخ، ونظرا لقربه من اليابسة ولوفرة مياهه وتعرضه باستمرار للطاقة الشمسية فهو يعد من أغنى الطبقات والمستويات حياة حيث أن الأملاح المعدنية القادمة من اليابسة تُذاب في مياهه وتحول بفعل الطاقة الضوئية والشمسية إلى مواد عضوية ضرورية لنمو الحياة وتكاثرها. ولذلك فهو مستوى توجد فيها كل الشعب الحيوانية وأغلب النباتات (الطحالب والزهريات البحرية) وهو بذلك مستوى يلعب دورا أساسا في استقرار الظروف البحرية داخل هذا الوسط.



1 . 2 صخور محيطة بمنطقة رسوبية
3 . شاطئ (طبقات مافوق، فوق بيساحلية)
4 . 5 . 6 . مشاهر مختلفة للمستوى تحت ساحلي
7 . مشاهر الزهريات، حوالي 40 مترا نهاية الطبقة التحت ساحلية
8 . 9 . مشاهر الطحالب الكلسية والحيوانات ذات الهياكل الصلبة
النقب مشاهر ما تحت ساحلية تعيش في الرمال والأوحال

- مستوى ما تحت البحري : ويمتد على أعماق تفوق الأربعين مترا تقريبا وحتى الجرف القاري. يتميز هذا المستوى بضآلة الضوء فتقل بذلك أو تنعدم لقدرة النباتات على تحويل الأملاح المعدنية إلى مواد عضوية وبالتالي فهي لا تستطيع النمو ولا التكاثر بل ولا حتى التواجد. وبما أن هاته الطحالب هي اللبنة أو الحلقة الأولى في السلسلة الغذائية والبيئية في الوسط البحري فإن كل الحلقات المرتبطة بها كالحيوانات العاشبة أو اللاحمة لن تستطع التكاثر بشكل سريع ومكثف بل ومنها من لا يستطيع الوجود في هذا الوسط المظلم.

أما معالم الحياة في هذه الطبقة فهي تعتمد أساسا على الحيوانات خاصة تلك التي تستغني في غذائها عن النباتات. لكن هناك عشائر تعيش على الدعامات الصلبة خاصة الصخرية وهناك عشائر تحت فوق أو داخل الرمال أو الأوحال. فبالنسبة للدعامات الصخرية وبالإضافة إلى القليل من الطحالب الكلسية هناك العديد من الحيوانات خاصة تلك التي تتوفر على هيكل خارجي صلب كالحزازيات، والمرجانيات وشوكيات الجلد وبعض القشريات. أما فيما يتعلق بالدعامات الرملية فعدم وجود أمواج وحركية مائية دائمة يجعل الأوحال والمواد العضوية تترسب فوقها مما يعطي لهاته الرمال طابعا وحليا غنيا بالمواد العضوية ومما يسهل بالتالي وجود حيوانات تعتمد بالأساس في تغذيتها على المواد العضوية العالقة في الماء أو الممزوجة بالرمال ومن بين هاته الحيوانات هناك العديد من الاسفنجيات واللواسع الريشيات (Pennatulaires) وشوكيات الجلد خاصة النجيمات وخيار البحر وكذلك بعض الرخويات معديات الأرجل وثنائيات الصدفة.

أما الأهمية الكبرى للرصيف القاري بالنسبة لبلادنا فتكمن أساسا في غنى مياهها بالموارد البحرية ذات القيمة الاقتصادية الكبيرة من أسماك وقشريات ورخويات. فإذا كانت المياه الساحلية الغير العميقة تكتنز موارد هائلة من الرخويات القواقع خاصة في مصبات الأنهار والبحيرات المالحة فإن هناك موارد أخرى عالقة أو قعرية تعيش في مناطق أكثر عمقا. بل وإن الظروف البيئية (التيارات البحرية خاصة) التي تميز الرصيف القاري المغربي تجعل من مياهه إحدى أغنى المياه في العالم من حيث الموارد السمكية كالسردين مثلا أو الموارد الرخوية كرأسيات الأقدام والتي تصدّر في معظمها إلى اليابان.

A. Berraho, *Ressources halieutiques et potentialités aquacoles au Maroc*. Expo. Lisb., 1998 ; J.M. Peres, *Précis d'océanographie hydrologique*. Paris, 1976 ; R. Mathieu, *Les sédiments du plateau continental du Maroc atlantique entre Dar Bouazza et Mohammadia. Bull. Inst. Pêches Maritimes*, n° 16, 1986 ; B. Jaaidi, *Les environnements, sédimentaires actuels et pleistocènes du plateau continental atlantique marocain entre Larache et Agadir*, Doctorat de 3ème cycle, 1981 ; F. Monario, *Exploracion aceanografica del Africa occidental desde el Cabo Ghir y Cabo Juby*, Inst. Esp. Ocosnog. n° 20, 1947.

محمد منيوي

* * يمكن تصنيف الموارد المعدنية، في عرض السواحل، إلى فئتين تطوريتين. فئة تخص المواد المنقولة من طرف التيارات البحرية، والأخرى تصرفها الأنهار. الواقع أن تمييزا من هذا القبيل هو مجرد تبويب تقني، إذ يحدث أن توجد المادتان معا، وغالبا ما يرجع لهما تأمين التوضعات التي تسمح بالاستغلال الاقتصادي.

هناك بلدان تستغل مناجم القصدير (أندونيسيا، التايلاند) أو الماس (ناميبيا)، وأخرى تستخرج كاربونات الكالسيوم (بهاماس، إسلاندا)، ومع ذلك يبقى المورد المعدني الأساسي للرصيف القاري متمثلا في مواد البناء، وخاصة منها الرمل، والناتجة عن تفكك وتوضع مواد السواحل البحرية والعناصر التي تحملها التيارات.

استغلال الرمال والحصبة، في عرض السواحل، يرجع بالنسبة لبعض البلدان إلى العصر الوسيط، حيث كانت القوارب المسطحة أو الطوفيات تقصد في فترات المد القيعان الرملية الضحلة وترخي فيها إلى أن يحين الجزر وتثبت على اليابس. عندئذ تشحن الرمال والحصبة بالمجرفات. ومتى عاد المد، طفا القارب ورجع إلى الشاطئ من أجل التفريغ.

يشكل الفسفات موردا آخر، ناتجا عن تيارات الصعود المؤدية إلى ترسيب أملاح الفسفور الكامنة في المياه المحيطية. بإمكان توضعات الفسفوريت المتراكمة أن تخول حالات استثمار (السنغال).

من بين الموارد الأخرى، يمكن اعتبار الرمال السوداء. وهي توضعات غنية بالحديد والتيتان والزركونيوم، ناتجة عن تعرية الكتل المتضمنة للمعادن الحديد - مغنيزية، صرفتها الجداول. يحصل تراكمها بمستوى مصاب الأنهار على شكل رواسب تتحكم فيها طاقة التيارات، البحرية والنهرية، وكذا طبوغرافية الشاطئ. توجد أهم التوضعات المعروفة بالمغرب عند مصاب أم الربيع وتانسيفت وتيدسي ولهوار وأدودو، عند الساحل الأطلنتي. وقد حصلت الإشارة، بالساحل المتوسطي، إلى رمال سوداء تهم الشواطئ بمقربة من ملوية وكيس.

في الوضع الراهن، يتم تطوير منجم واحد فقط، ما بين إفني وطرفاية، لمعالجة رمال الزركون بموقع بويسافن.

يمثل الرصيف القاري كذلك مجال استكشاف بترولي. المناجم المكتشفة متعددة، نذكر منها، على سبيل المثال، المنتمية لبحر الشمال ولعرض كابندا.

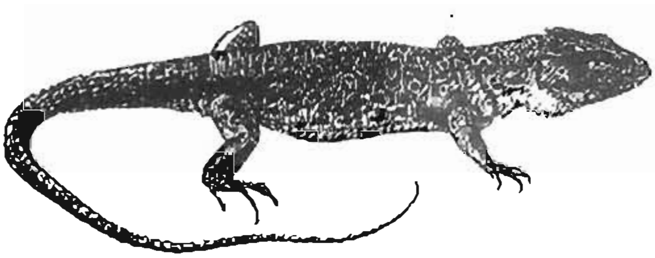
أما في ما يخص المغرب، فإن الأشغال جارية في عرض القنيطرة - اللكوس، والرباط - أسفي، وفي عرض طرفاية. وقد أبانت الدراسات الأولية عن مواطن تشابه جيولوجية وجيوفيزيائية مع ما هو معروف في مواقع أخرى، موفرة بذلك قرائن قوية.

في بعض الجهات (خليج المكسيك على الخصوص)، يحصل أن ترتبط الهيدروكربورات بجبس الطبات

الاخترافية الملحية. تعطي مناجم كبريت من طراز "القلنسوة الصخرية" (cap rock) يستخرج هذا الكبريت "بطريقة فراش" (Frasch process)، التي تعني حقن الاسنارات ببخار الماء على حرارة عالية جدا وتحت ضغط مرتفع، واسترداد الكبريت السائل في المقابل.

عدي عزي

رضاعة البقر، كما هو شائع في الدارج بأقطار إفريقيا الشمالية ومصر، جنس حيوان من الزواحف Reptilia ومن رتبة متفرقات الألسنة وفصيلة العظاءات Lacertidae. يعيش في المناطق الجافة وشبه الجافة الإفريقية والآسيوية وأوروبا الجنوبية ويتحمل حرارة مرتفعة. اسمه العلمي Lacerta lepida Daudin var. pater أي العظاءة العينية وبالأمازيغية تازرموميت وبالفرنسية Lézard ocellé وبالإنجليزية Lizard وبالإسبانية Lagarto ocelado. يدعى محلية في مصر وسقاية في الشام ويعرف في البوادي المغربية وبشمال إفريقيا رضاعة البقر أو رضاعة البكرات



رضاعة البقر

يتميز بجسم رشيق ويبلغ الطول الأقصى للكبار جمعا بين الجذع والذنب 60 سم، الرأس دائري ومسطح قليلا، كبير لدى الذكور وصغير عند الإناث. الذنب رشيق وطويل جدا يتعدى 30 سم ويحمل حلقات رقيقة ومزدحمة، القوائم طويلة وقوية تنتهي بخمسة أصابع طويلة ذات مخالب، يحمل العنق 9 .13 حرشفة وعلى ظهره 62 .78 حرشفة رباعية الأضلاع ومصففة بدقة. الحراشف البطنية صغيرة مرتبة على 8 .10 صفوف طولية و28 .35 صفا مستعرضا. المنطقة الشرجية محاطة بـ 2 .4 حراشف شبه دائرية. لونها أخضر أشهب مبقع بالأسود والأصفر على الظهر وأبيض مصفر على البطن، ويتغير لونه حسب المناطق والسن ؛ الصغار زيتونية اللون ومبقعة بالأبيض المصفر وبخطوط داكنة على كل جانب. يقضي الليل والأيام الباردة في الجحور وبين شقوق الصخور ويستأنف نشاطه نهارا. يأخذ مكانه غالبا فوق الصخور ويمد رأسه عاليا ليتمكن من مراقبة ما يحيط به. يختفي طيلة فصل البرودة وينشط ما بين مارس وأكتوبر. فمه خال من الأسنان والسم. يعيش منعزلا أو مزدوجا في أغلب الأحيان وكثيرا ما يشاهد في المراعي بين قطيع الغنم والبقر إلا أنه لا يرضعها كما هو منسوب إليه.

حيوان بيوض يتغذى من الخنافس والعناكب والعقارب وأم الأربع والأربعين والفئران الصغيرة وصغار الطيور وبعض الفواكه. ينسب إليه أيضا أنه يتغذى من بيض الحجل وغيره من الطيور إلا أن هذه المعطيات تحتاج إلى براهين للتأكد منها. شائع في معظم المناطق الوسطى والجنوبية والشرقية بالمغرب : الحوز والأطلس المتوسط والكبير وعوينة توركوز وزاكورا وورزازات وتنغيگ وأرفود والريصاني والطوز والراشيدية وهضاب حمادة وطانطان والعيون والسمارة وگرسيف وتاوريرت وبني إزناسن. مضايق في عدة مناطق من طرف الرعاة الذين يطاردونه لألوانه الزاهية كما يستعمل في الطب التقليدي وفي عالم السحر، فنجد عدة نماذج مجففة عند بائعي الأعشاب.

يتوالد في الربيع - أبريل ومايو - وتضع الإناث بداخل التراب 15 .18 بيضة بيضاء، تظهر الصغار في غشت - شتنبر وتتغذى من النمل وحشرات صغيرة أخرى.

م. رمضاني، بوبريص، معلمة المغرب، الجزء 5، ص 1627 . 1628 ؛ الزواحف، معلمة المغرب، الجزء 13 ؛ أ. مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية. مكتبة لبنان. ط 3 1988 ؛ أ. المعلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

Salvador, *Guia de los anfibios y reptiles españoles*, Madrid, 1974, 274 pp. ; J. Bons, *Les Lacertiliens du sud-ouest marocain : Systématique, Répartition géographique, Ethologie, Ecologie*, Rabat, 1959.

محمد خريعة

الرِّضَنْدُو، ويكتب أيضاً الرضنضر والردندو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Redondo وArredondo ؛ وهناك من يعتقد أن اسم هذه الأسرة الأصلي هو المدوَّر وعندما أرغمت على كتابة اسمها بالحروف اللاتينية لأنها ظلت بالأندلس بعد سقوط غرناطة فقد ترجمته إلى اللغة الاسبانية بدليل أن كلمة Redondo أو Arredondo معناها المدور، مع الإشارة إلى أنه توجد باسبانيا مدينة اسمها Redondo وأخرى اسمها Arredondo. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1180 / 1767.

الرِّضَنْدُو، أحمد بن الحسن الذي اشترى بعض أملاك أولاد النقسيس المصادرة لصالح بيت المال في شهر رجب 1079 (دجنبر 1668).

الرِّضَنْدُو، علي الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1124 (1712).

الرَّضَنْدُو، علي (الحاج -) بن الحاج محمد الفقيه المتوفى سنة 1180 (1766).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون*، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 733.

محمد ابن عزوز حكيم

الرضوان (عرف)، يندرج هذا العرف ضمن نسق العلاقات الرعوية في بلاد الظهرة بالجهة الشرقية من المغرب. وليس هناك ما يدل دلالة واضحة على أصل هذه الكلمة وجذرها التاريخي في إطار ما تختزنه الذاكرة الجماعية للقبائل الرعوية بالمنطقة من تراث شفاهي زخم. لكن يبدو على الأرجح أن الكلمة تحيل اشتقاقا على مفهومي الرضى والتراضي وهي دلالات تصب في المعنى الوظيفي العام الذي يكرسه عرف الرضوان داخل المنظومة الرعوية المحلية. لأن العرف في الواقع هو نظام تعاقدي بين الرعاة الذين لا يملكون سوى قوة عملهم وجماعات القبائل التي تملك قطعان المواشي، حيث يتم بموجب هذا التعاقد العرفي تأجير الرعاة بحصة معينة من رؤوس المواشي فضلا عن بعض المواد الغذائية والكسوة التي تمنح مكارمة (على وجه المحاسنة الواجبة) على رأس كل سنة من طرف القبائل المتعاقد معها، مقابل التزام الرعاة برعي قطعان المواشي وتعهدها بالعناية والرعاية التي تستحقها داخل المجال الرعوي، مأكلا وشربا وعلوفة.

عدد رؤوس المواشي	قيمة الرضوان (أو أجرة الراعي) السنوية	المكارمة (أو المحاسنة الواجبة)
ما بين 300 و400 رأس من الغنم (أي «عصا» (1) واحدة)	18 شاة في حالة ما إذا كان التعاقد بوحدة «العصا» («الليلة» (2)) فيمنح الراعي شاة واحدة على كل ليلة	200 ريال + 2 قالب سكر + 10 «قرديات» (3) زرع + الكسوة (سلهام + نعال)
الإبل	- جذع واحد مقابل جمل واحد - خروف مقابل جملين - خروفة مقابل 3 جمال وكلما ارتفع عدد الجمال عن هذا الحد تحدد قيمة الرضوان بناء على اتفاق يتم بين الراعي وصاحب الإبل حول الحصة الواجب أداؤها خرفانا وماعزا	- 4 «قرديات» من الزرع - قالب سكر - 400 دريال للجمل الواحد إضافة إلى الكسوة والنعال

وينتشر عرف الرضوان بصيغ تختلف أو تتقارب بهذا القدر أو ذاك داخل جل قبائل المجتمع الرعوي ببلاد الظهرة بوجه أعم. ففي أولاد البوكايس والطوال اللتين تنتميان إلى مجموعة حلف أولاد الحاج يجري العمل بعرف الرضوان بالصيغة التالية :

1) عصا : قطيع من الأغنام يتراوح عدده بين 300 و400 رأس.

2) الليلة : وحدة قياس تعادل 10 شياه سنويا.

3) قرديات : جمع قردية وهي صاع يزن 5 كيلوغرامات.

ويترجم هذا العرف في بعده التنظيمي بنية مجتمع رعوي ترتكز في نمط معاملاتها على اقتصاد عيني بدرجة أساسية حيث لا وجود للنقد إلا لماما، وهي بنية تشتغل فيها باستمرار آلية توزيع ثروة الماشية بين الكاسب والمعدم وفق نموذج تأجيري يعيد دوما إنتاج نفس التراتبات الاجتماعية القائمة محليا بين مختلف الجماعات.

معاينات ميدانية ؛ روايات شفوية.

Tag Boutayeb, *Des mutations agro - pastorales à l'urbanisation dans le Maroc oriental* (Thèse de doctorat d'Etat), Toulouse, 1987.

محمد النقب

ابن رضوان، أسرتان فاسيتان، إحداهما من الخزرج الأنصار النجاريين كانوا بمالقة ولهم فيها أعلام كبار، "واستقر خلفهم بفاس. ولهم بيت وحظوة بها" (*بيوتات*، ص 70). والثانية أصلها من بني زروال شمالي مدينة فاس.

ابن رضوان، عبد الله بن يوسف النجاري المالقي يكنى أبا القاسم من قبيلة الخزرج العربية. استوطن أجداده بالأندلس وأنشأوا هناك بيتا هو بيت بني رضوان النجاريين الذي اشتهر بالعلم وخدمة الأمراء والملوك. فكان جده رضوان عالما فقيها، تولى القضاء والخطابة لأمير مالقة أبي سعيد، كما تولى أخوه محمد الوزارة لنفس الأمير. أما والده فهو الفقيه يوسف الذي تولى قيادة ديوان الجند في عهد الأمير إسماعيل بن أبي سعيد صاحب مالقة. ولد ابن رضوان بمالقة سنة 718 / 1319 ونشأ وتربى في هذه البيئة العلمية. فدرس أولا على أبيه وأجازه إجازة عامة ثم على خاله أبي الحكم بن القاضي أبي القاسم بن ربيع. كما أخذ يتردد على كثير من علماء وفقهاء مالقة وغرناطة ليغترف من منهل الإسلام والفكر كعلوم العربية وعلوم القرآن كالتفسير والقراءات، وعلوم الحديث وأصول الفقه والتصوف والفلسفة وعلم المعقولات. ومن أبرز شيوخه وأساتذته في الأندلس الفقيه العالم قاضي مالقة أحمد بن عبد الحق الجدلي والإمام المحدث أبو جعفر الطنجالي والقاضي الفيلسوف أبو بكر بن منظور والعالم أبو عبد الله ابن أبي الجيش الصريحي الذي قرأ عليه *الكراسة والجمل وألفية ابن مالك والإيضاح والأسرار العقلية* لأبي العز،

والخطيب العدل الحافظ أبو القاسم بن بزي، قرأ عليه كثيراً من كتب القراءات وكذلك الحديث ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود والشمائل والشفا. وسمع على الشيخ الفقيه قاضي الجماعة أبي البركات ابن الحاج السيرة والعمدة ودرر السمط، كما تفقه في علوم النحو على الفقيه الصالح الصوفي أبي علي عمر بن عتيق الهاشمي والفقيه العالم الصوفي عبد الله بن سلمون وأستاذ الجماعة ورئيس النحاة ابن الفخار البيري وغيرهم. ولازم كبير كتاب بني مرين أبا محمد عبد المهيمن الحضري والقاضي أبا إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى، وأبا العباس بن يربوع السبتي. وأخذ في تلمسان عن إمام المعقولات أبي عبد الله محمد الآبلي وأبي عبد الله محمد بن النجار وغيرهما. كما أخذ بتونس عن قاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام الهواري وغيره. ولاشك في أن ابن رضوان كان سعيد الحظ في الاتصال بكل هؤلاء العلماء والأخذ عنهم لأنهم كانوا في زمنه رموز الثقافة الإسلامية في الغرب الإسلامي. وكان ابن رضوان ذو التكوين الرصين يتطلع إلى مزيد من التألق ويطمح إلى خدمة ملوك المغرب من بني مرين كباقي أقرانه من العلماء والفقهاء، إذ لم تعد تغريه وظيفة القاضي والعدل التي كان يشرف عليهما بمالقة. كما لم تعد تناسب مركزه العلمي. لذلك فضل الهجرة إلى المغرب والاتصال بعلمائه وأعيانه ومحاولة التقرب من ملوكه وأمرائه. لقد كان أبو الحسن المريني سلطان وقته حيث طارت شهرته وحبه للعلماء في آفاق الأندلس، وأصبحت مجالسه العلمية تستقطب كبار علماء الغرب الإسلامي كله، فكانت منار اهتمام ابن رضوان وسبب سعيه للانضمام إلى هذه الصفوة.

رحل أولا إلى سبتة بعد واقعة طريف التي انهزم فيها جيش بني مرين سنة 741 / 1341، فاتصل بالسلطان أبي الحسن ومدحه. وكان لإبراهيم بن أبي يحيى التسولي قاضي العسكر وخطيب السلطان الفضل الكبير في تسهيل اللقاء بين السلطان وابن رضوان، وإذ كان قد تعرف عليه خلال سفارات قام بها إبراهيم إلى ملك غرناطة وأعجب حينها ببراعته في الأحكام كقاض، واختبر إمكانياته الخطابية وقدراته العلمية وإجادته وإتقانه لفن الترسل وخباياه ودقته في كتابة الوثائق. فكان ذلك سببا كافيا - حسب ابن خلدون - لأن يتدخل لدى السلطان ويعرفه بشخص ابن رضوان وثقافته الواسعة والمتنوعة، ويقربه من مجلسه. وكان إبراهيم هذا يستنيب أخاه في التحدث والخطبة بفاس، فكانت فرصة مهمة أن يتصل ابن رضوان بأبي محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي رئيس الكتاب واحد كبار علماء العصر، فاختص بخدمته وأخذ عنه أسرار خطة الكتابة وأصول الترسيل. واستفاد من علمه الغزير ونهل من خزانته التي كانت تضم أزيد من ثلاثة آلاف سفر في الحديث والفقه والعربية والأدب والمعقول وسائر الفنون (التعريف، 513). وعند رحيل السلطان سنة 748 / 1348 لغزو إفريقية وقمع تمرد الأعراب هناك، اصطحب معه كعادته صفوة من العلماء، إلى جانب حاشيته كعبد المهيمن وابن رضوان. وفي تونس التقى هذا الأخير بالمؤرخ الكبير ابن خلدون الذي صاحبه واستفاد منه كثيراً واتصل بعلمائها الكبار، فازدادت حظوته لدى السلطان ولمع نجمه بين الاقران إلى أن تعكر الجو وتلبد بعد ثورة بني سليم على السلطان والغدر به ومحاصرته بالقيروان. كما ثار أهل تونس على أتباعه وحاشيته الذين اعتصموا بالقصبة حيث ولدُ السلطان وأهله. وانتفض شيخ الموحدين أبو محمد بن عبد الله بن تافراكين مع أعراب بني سليم على أبي الحسن وحاصروا القصبة فدب الهلع والخوف وانفض من حول السلطان بعض حاشيته وأقربائه من أمثال كاتبه عبد المهيمن بينما صمد ابن رضوان وبقي مع خدمه يقاوم الثائرين إلى أن انجلت الأزمة وتمكن أبو الحسن من الاقلاع سالما من القيروان إلى سوسة ومنها إلى تونس. فتركت هذه الوقفة النبيلة لابن رضوان أثرا بليغا في نفس السلطان ورعاها له. وعندما قرر أبو الحسن العودة إلى المغرب عام 750 / 1350 استخلف ابنه أبا الفضل وترك معه ابن رضوان يكتب له مدة إلى أن غلبهم على تونس الفضل بن السلطان أبي يحيى الحفصي، وتمكن الأمير المريني من الفرار إلى المغرب والالتحاق بأبيه في الوقت الذي فضل فيه ابن رضوان البقاء في تونس ما يقرب من العام. وإذا كنا نجهل الأسباب والدوافع الحقيقية التي اضطرت ابن رضوان إلى عدم مرافقة الأمير المريني، فإن الأمر قد يكون له صلة برغبته في الانتظار حتى تتجلى بعض الأحداث الغامضة خاصة بعد أن شاع في البداية خبر غرق أسطول السلطان أبي الحسن ثم نجاته وانقلاب ابنه أبي عنان عليه. لكن خطر الطاعون الأسود الذي جرف الناس والحيوان بإفريقية عجل من تحرك ابن رضوان وخروجه مع بقية أتباع السلطان من تونس والسفر عن طريق البحر إلى المرية بالأندلس. وهناك دعاه أبو الحجاج ابن الأحمر صاحب غرناطة للانضمام إلى بلاطه وعرض عليه وظيفة كاتب العلامة إلا أن ابن رضوان رفض هذا العرض لأنه كان يتطلع إلى خدمة ملوك بني مرين ويرغب في تحقيق مستقبل سياسي زاهر في فاس. لذلك اضطر للعبور إلى العدوة والقدوم على سلطانها الجديد أبي عنان الذي استقبله بحفاوة كبيرة، وحفظ له موقفه الإنساني مع والده عند أزمته في القيروان وفرار الأقرباء من حوله، فقرّبه من مجلسه وكلفه بالكتابة عنه تحت رياسة صاحب القلم الأعلى محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي الذي اختص ابن رضوان ورعى موهبته الفذة فألحقه بالمجالس الخاصة وأنابه في كتابة العلامة خلال فترات غيابه. وحينما أرسل أبو عنان وزيره ابن أبي عمرو إلى بجاية على رأس حملة عسكرية، انفرد ابن رضوان بالكتابة عن السلطان. ولما عاد الوزير من مهمته سخط عليه أبو عنان وساءت العلاقة بينهما وأقصاه من بطانته

وأرسله ثانية إلى بجاية واليا عليها وجعل لابن رضوان الكتابة والعلامة معا في عام754 / 1354 . فكان هذا المنصب الجديد تحولا مهما وانطلاقة حقيقية لمسار ابن رضوان السياسي وبداية لتحقيق طموحاته في البلاط المريني. بقي في وظيفته كصاحب القلم الأعلى والعلامة مدة ثلاث سنوات من754 / 1354 إلى757 / 1356 ، وعزل بعد ذلك دون أن يقطع صلته بحاشية السلطان. وبعد مقتل أبي عنان سنة 759 / 1358 على يد وزيره الحسن بن عمر الفودودي واستبداده بالحكم وحجره على السلطان الطفل أبي بكر السعيد أعيد ابن رضوان إلى وظيفته السابقة وبقي فيها طيلة حكم أبي بكر حتى سنة760 / 1359 . ويبدو أن ابن رضوان لم يعد ينفرد في عهد السلطان أبي سالم (760 / 1359 ـ 762 / 1361) بمنصب صاحب العلامة والقلم الأعلى لوحده بل زاحمه فيه أشخاص آخرون اختلفت روايات المؤرخين في تحديد أدوارهم الحقيقية وعلاقتهم بهذا المنصب. فابن الأحمر يذكر أن عليا بن محمد ابن مسعود الخزاعي شارك ابن رضوان في الكتابة عن السلطان أبي سالم، أما ابن خلدون فينفي ذلك ويقرر أن ابن رضوان لم يتول ذلك المنصب قط وأن الخزاعي المذكور هو الذي كان صاحب العلامة لأبي سالم في حين اسندت لابن خلدون خطة الإنشاء والتوقيع والسر لنفس السلطان. إلا أن ابن رضوان سرعان ما استعاد منصبه وموقعه من جديد وأصبح كاتب العلامة لعدد من خلفاء أبي سالم كتاشفين بن أبي الحسن (762 / 1361 ـ763 / 1362) وأبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن (763 / 1362 ـ 767 / 1366) وعبد العزيز بن أبي الحسن (767 / 1366 ـ 774 / 1373) وأبي زيان محمد بن عبد العزيز (774 / 1373 ـ 776 / 1375) ثم في الولاية الأولى لأبي العباس أحمد بن أبي سالم (775 / 1374 ـ786 / 1385). وكان ابن رضوان قد اصطحب هذا السلطان في حركته إلى مراكش لحصار عبد الرحمن بن أبي يفلوسن الثائر بها لكنه توفي وهو في الطريق بمدينة أزمور أو بمدينة آنفا على الأرجح سنة 783 / 1382 ودفن هناك بمقبرة الحاج صالح.

لقد كان لمنصب ابن رضوان السامي وخدمته ثمانية ملوك من بني مرين الاثر الأكبر في صقل موهبته واكتساب خبرة ومعرفة كبيرتين بدواليب وأسرار المخزن المريني الشيء الذي جعله معدودا بين أشهر رجالات الدولة المرينية ويتصدر موقعا متميزاً بين صفوة كتابها النجباء. لذلك لم تتوان كتب التراجم في الثناء على شخصه والاعتراف بمكانته العلمية والدينية، فلا عجب إذن أن ينبهر بشخصه علماء كبار عاصروه وسعدوا بلقائه والاتصال به. فهذا ابن الخطيب يكاتبه ويخاطبه نظما ونثرا، وهذا ابن خلدون قرينه يتودد إليه ويفتخر بصحبته له، وهذا ابن مرزوق يعترف بأهليته وصفاته السنية. ويكفي ابن رضوان أنه صنع وحافظ على موقعه المتميز بين هذه الرموز الفكرية والسياسية فاستطاع بذلك أن يكسب ود ورضى سلاطين بني مرين بدون أن يتورط في مؤامرة أودسيسة وهو أمر لا نجد له مثيلا، إلا فيما ندر.

بالرغم مما عرف عن شخصية ابن رضوان الفكرية ومقارعته لعلماء عصره. فإن الزمن لم يحفظ لنا من إنتاجه الأدبي والسياسي والعلمي إلا بالنزر القليل بقي مشتتا بين المصادر في شكل إشارات وعناوين. فرسائله التي كتبها للمرينيين لا نعرف عنها شيئاً، ولاشك أن الكثير منها كان معروفا في زمنه ولو وصلتنا لكانت بحق وثائق أساسية للكشف عن أحداث أهم وأخطر فترات تاريخ المغرب في عهد بني مرين. وذلك بحكم منصبه في هرم الدولة وبحكم معاصرته لمرحلتين مختلفتين من تاريخ بني مرين، مرحلة القوة التي انتهت مع أبي الحسن وأبي عنان ومرحلة الأزمات والصراعات السياسية التي بدأت بعد وفاة أبي عنان واستمرت إلى نهاية الدولة. فما وصل إلينا من إنتاج ابن رضوان الغزير هو مجرد بعض الأشعار في فنون شتى كالمديح والرثاء والوصف والزهد والورع والمولديات وردت جلها متفرقة في بعض المصادر *كالإحاطة والكتيبة الكامنة* لابن الخطيب ونثير *الجمان* لابن الأحمر *ونفح الطيب* للمقري. ثم مجموعة من رسائل الاخوانيات تبادلها مع كل من ابن الخطيب وابن الحاج النميري وابن الأحمر. وذكر صاحب *فهرس الفهارس* والأثبات أن لابن رضوان *فهرسة* من طريق السرّاج وابن الأحمر غير أنه لم يتم العثور عليها.

إن أهم ما تبقى من إنتاج ابن رضوان كتابه المشهور باسم *الشهب اللامعة في السياسة النافعة* وهو كتاب جليل يندرج ضمن ما يعرف عند المفكرين المسلمين بعلم السياسة أو السياسة الملوكية، ألفه سنة 762 / 1361 بأمر من السلطان أبي سالم المريني على سبيل الإمتاع والانتفاع، تناول فيه فضل الخلافة وحكمتها وسير الملوك وتدبير الرأي والمشورة والوزارة والكتابة والخطط الدينية والعملية وسياسة الحروب وغيرها من الأحكام السلطانية. وإذا كان ابن خلدون وابن الخطيب لم يشيرا قطّ إلى كتاب *الشهب* هذا. وهو أمر يثير الاستغراب، فإنه مع ذلك اعتبر من أهم ما كتب في بابه خلال القرن التاسع (15 م) حيث تأثر به ابن الأزرق (ت. 896 / 1491) ونقل عنه كثيراً في كتابه *بدائع السلك في طبائع الملك*، كما انتشر صيته في مؤلفات المغاربة وغيرهم كأبي زكرياء السراج في *فهرسته* وأحمد باب التنبكتي في *نيل الابتهاج*.

ملعبة الكفيف الزرهوني، تح. م. بن شريفة، الرباط، 1987، ص. 163 ـ 164 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة 1975، ج. 3، ص. 443 ـ 456 ؛ *ملحق الإحاطة*، تح. عبد السلام شقور، تطوان 1988، ص. 144 ـ 155 ؛ *أوصاف الناس في التواريخ والصلات*، تح. م كمال شبانة، المحمدية، د. ت، ص. 55 ؛ *نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 140 ـ 141 وتح. السعدية فاغية، مطبعة، الدار البيضاء، 1989، ج. 3، ص. 47 ـ 48 ـ 66 ؛ *الكتيبة الكامنة*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1963، ص. 254 ـ 259 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 173 ـ 376 ؛ ابن رضوان، *الشهب اللامعة*، تح. علي سامي النشار، الدار البيضاء، 1984 ؛ ابن الأحمر، *النفحة النسرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق 1992، ص. 53 ـ 55 ـ 57 ـ 59 ـ 60 ـ 62 ـ 63 ـ 65 ؛ *نثير الجمان*، تح ؛ م. رضوان الداية، بيروت، 1976، ص. 233 ـ 247 ؛ *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 29 ـ 30 ـ 31 ـ 32 ـ 34 ـ 35 ؛ مستودع *العلامة*، تح. التركي ومحمد ابن تاويت الطنجي، تطوان، 1964، ص. 51 ـ 56 ؛ *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 70 ؛ *فهرس السراج*، مخطوط، خ. ع حرف ك 1242 أول مجموع ؛ يحيى ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا*، بيروت، ط. 2، 1988، ص. 514 ـ 515 ـ 523 ـ 525 ؛ ابن الأزرق، *بدائع السلك*، جزآن، تح. م ابن عبد الكريم، ليبيا ـ تونس، 1977 ؛ أ. ابن القاضي، *جدوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 435 ـ 437 ؛ *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي، أبو النور، القاهرة، تونس، 1970، ج. 3، ص. 280 ؛ أحمد باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، على هامش *الديباج* لابن فرحون، القاهرة، 1351، ص. 145 ـ 147 ؛ م. حجي، محقق، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 130 ـ 155 ـ 220 ـ 279 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968، ج. 6، ص. 106 ـ 112 ؛ *أزهار الرياض*، الرباط 1978، ج 2، ص. 345 وج. 3، ص. 196 وج. 4، ص. 296 ـ 300 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، باعتناء إحسان عباس، بيروت، ط. 2، 1982، ج. 1، ص. 441 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج. 8، ص. 223 ـ 228 ؛ إحسان عباس، *ابن رضوان وكتابه في السياسة*، كتاب العيد، بيروت، 1967.

رشيد السلامي

ابن **رضوان، عثمان** الوزروالي الفاسي وصفه في *بيوتات فاس* بـ "الفقيه الأستاذ النحوي المقري الحيسوبي شيخ ابن الأحمر. توفي بفاس سنة 788 / 1386 (*بيوتات*، ص 70).

ابن **رضوان، محمد** بن يوسف النجاري الفاسي ولد بفاس سنة 967 / 1559، ودرس على كبار شيوخ عصره فتخرج مشاركاً في اللغة والأدب والفقه والفرائض والحساب والطب. لقيه أحمد المقرى في مدينة مراكش وترجم له في كتابه *روضة الآس* قائلاً عنه : "وهو من ذرية الإمام رئيس الكتاب الشهير أبي القاسم ابن رضوان صاحب المؤلَف في *السياسة* وغيره" وذكر جملة من أشعاره.

توفي عام 1014 / 1605.

إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة، الرباط، 1974، ج. 21 ؛ *درة الحجال*، بيروت، 1970، ج. 1 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، الرباط، 1983، ص. 338 ـ 339.

محمد حجي

الرَّطْل، كلمة يونانية (Litra) استُعملت للدلالة على وحدة للوزن ووحدة للكيل، غير أن استعمالها للوزن هو الغالب، وتتخذ "صنوج" الوزن من بلوات زجاجية أو من معادن الرصاص أو الحديد أو النحاس.

وقد استعملت في المغرب عدة أرطال يمكن تصنيفها إلى قسمين الأرطال الشرعية والأرطال العرفية.

1. فالرطل الشرعي هو الرطل الشائع في الكتب الفقهية الذي تتعلق به الأحكام الشرعية من زكاة وغيرها، وقد عرف باسم "رطل مكة" أو "رطل الكيل" أو "الرطل البغدادي" ومع أن مقدار وزن الرطل في البلدان الإسلامية يختلف تبعا لاختلاف البلدان والأزمان واختلاف الأشياء الموزونة، فقد اتفق فقهاء مختلف المذاهب على اختيار الرطل البغدادي أساسا للوزن في الحقوق الشرعية وفي المعاملات مع اختلافهم في تقدير وزنه. فحسب فقهاء المذهب المالكي يساوي الرطل 128 درهما شرعيا أو 12 أوقية، ونظراً لأننا حققنا وزن الدرهم الشرعي = 2.9116 گرام، فإن وزن الرطل البغدادي يساوي (128 x 2.9116) = 372.68 گرام، وقد أثبت الفقيه عمر الگرسيفي (ت. 1214 / 1799) أن الرطل البغدادي يعادل رطل مكة، فقد حدد بأن الرطل 12 أوقية وأن الأوقية تساوي أحد عشر درهماً غير ثلث أي 10.67 درهماً، وهو ناتج قسمة 128 على 12، وبما أن الگرسيقي يجعل الرطل 12 أوقية تتأكد معادلة الرطل البغدادي لرطل مكة بضرب 12 في عدد دراهم الأوقية الواحدة وضرب الحاصل في وزن الدرهم الشرعي يساوي (12 x 10.67 x 2.9116) = 372.68 گراماً وبهذا الرطل تحل المسائل في المعاملات الفقهية سواء في قيم الكيل أو قيم الوزن.

وانطلاقا من معرفتنا لوزن الدرهم الشرعي بعدد حبات الشعير بالگرام أمكن أن نعرّف اجمالا ببقية المكاييل الشرعية وأوزانها التي يعتبر الرطل إما مضاعفتاها كالدرهم أو أجزاءها كالوسق، وذلك حسب الجدول التالي :

الكيل	نسبته	مضمجبات الشعير (ح)	وزنه بالگرام (غ)
الدرهم	الوحدة الأساسية	50.4 ح	2.9116 غ
الاوقية	10.67 درهما	537.6 ح	31.0571 غ
الرطل	12 أوقية	6451.2 ح	372.6848 غ
المد	1.33 رطل	8601.6 ح	496.9131 غ
الصاع	4 أمداد	34406.4 ح	1987.6532 غ
الوسق	60 صاعا	2064384 ح	119259.1360 غ
5 أوسق	نصاب الزكاة	10324920 ح	596295.6800 غ

جدول وحدات الكيل والوزن الشرعية المتفرعة عن الرطل

2 . أما الرطل العرفي فهو الذي يستعمل في الحياة العملية في الأسواق المغربية وقد عرف المغرب أرطالا متعددة في المجال التجاري تختلف باختلاف البضائع الموزونة، وكان الرطل إلى حدود القرن الثاني عشر (18 م) يتخذ على أساس عدد ما يزنه من المثاقيل الفضية (المثقال عشرة دراهم شرعية يزن 29 غ) ثم تحول في القرن الثالث عشر (19 م) إلى عدد الريال الفضي من السكة الفرنسية الوازنة 25 غ. وتصنع الأرطال من معادن النحاس والحديد والحجر المنحوت أحيانا. ويقوم المحتسب بمراقبتها على الدوام، وتوجد منها ثلاثة أرطال مشهورة. هي : الرطل العطاري والرطل البقالي والرطل الخضاري حسب البضائع التي توزن به ويوضحها مقارنة بوزنها بالگرام وبعدد الريالات مع بيان أجزائها ومضاعفاتها حسب الجداول الآتية :

أ . الرطل العطاري : لوزن السكر والشاي والتوابل ويزن 20 ريالا = 500 غ

اسم الوزن	وزنه بالكيلو والگرام	وزنه بالسكة المخزنية
القنطار العطاري	50 كيلو	
نصف القنطار	25 كيلو	
ربع القنطار	12 كيلو و500 گرام	
الرطل منه	500 گرام	20 ريال
نصف الرطل	250 گرام	
ربع الرطل	125 گرام	
الأوقية	30.25 گرام	

ب . الرطل البقالي : لوزن الفواكه والسمن والسلع البرية، ويزن 32 ريال = 800 غ

اسم الوزن	وزنه بالكيلو والگرام	وزنه بالسكة المخزنية
القنطار البقالي	80 كيلو 25 گرام	
نصف القنطار	40 كيلو	
ربع القنطار	20 كيلو	32 ريال
الرطل منه	800 گرام	
نصف الرطل	400 گرام	
ربع الرطل	200 گرام	
الأوقيتين	100 گرام	
الأوقية	50 گرام	

ج . الرطل الخضاري : لوزن الخضر واللحم والفحم والصوف، ويزن 40 ريالا = 1000 غ

اسم الوزن	وزنه بالكيلو والگرام	وزنه بالسكة المخزنية
القنطار النحاسي	100 كيلو	
نصف القنطار	50 كيلو	
ربع القنطار	25 كيلو	
الرطل منه	كيلو 1 = 1000 گرام	40 ريال
نصف الرطل	500 گرام	
ربع الرطل	250 گرام	

د . رطل السوق، وهو رطل خاص يدعى "رطل السوق" تمييزا له على بقية الأرطال الشائعة ويدعى كذلك ماركو (Marco) وهو من الصنوج الوزنية التي كانت مستعملة بأوربا خاصة في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وانجلترا. واستمر العمل به هناك إلى أن تم تطبيق النظام المتري الذي شمل مختلف المقاييس عند منتصف القرن الثالث عشر (19 م). وقد وقع استيراد هذا الرطل فاستعمل في المغرب ـ حسب ما وقفنا عليه ـ خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وقد وجدنا في النطق المحلي بسوس ومراكش بإضافة الهمزة في أوله "أماركو"، وكان يصنع في أوربا ثم أصبح يقلد صنعه في مراكش وفاس وهو "صنجة نحاسية" معدة للوزن بحيث تتألف من ثماني قطع هي : النصف والربع والأوقيتان والأوقية والثمان والثمن ونصف الثمن وربعه وثمنه. وكل قطعة تحتضن الأصغر منها لتكون في النهاية قطعة واحدة.

ومن حيث وزن هذا الرطل فهو يتألف من 16 أوقية كل أوقية تزن31.8 غ والرطل في المجموع يزن 508.2 گرام، وقد راقبه الفقهاء، فكان يزن 11520 حبة من حبوب الشعير = 11520 x 0.4412) =5083 غ كما يزن 20 ريالاً من سكة مولاي عبد العزيز.

وختاما فإن هذه الأرطال كانت مصدراً لاختلاف الأوزان، فإن كان الرطل الشرعي يزن 12 أوقية والرطل العرفي 16 أوقية فإن ضبطهما في الوثائق بوحدة الگرام كان عسيراً لأن الريال المستعمل كوحدة للوزن كان الريال الفرنسي من 25 غ غير أنه استعمل أحيانا الريال الحسني في بعض المدن مثل مراكش ويزن29،116 غ والرطل منه من 20 ريال = 32 582 غ وأحياناً استعمل الريال العزيزي كما في فاس ويزن 25،3 والرطل منه 506 غ، وقد كان هذا مصدراً للاختلاف. وفي مطلع القرن الرابع عشر (20 م) - في عهد الحماية - 1912 استعمل الريال الفرنسي لتوحيد الأرطال، ثم الانتقال مباشرة إلى نظام الكيلوگرام، عندما حددت الأوزان المغربية على أساس النظام المترى الأوروبي بظهير 14 أكتوبر 1914 (23 ذي القعدة 1332).

ع. أفا، *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، الرباط، 1993، ص. 70، 144، 163 ؛ *مسألة النقود في تاريخ المغرب*، أگادير، 1988 ؛ *نظام القابيس والأوزان المغربية وتطورها نحو النظام المترى ضمن كتاب فكر وتاريخ*، الرباط 1998، ص. 185 - 200 ؛ ع. الكرسيفي، *رسالة في تحقيق أوزان النقود*، ص. 144 ضمن كتاب *النقود المغربية في القرن18* : جورج لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، ص. 407.

عمر أفا

الرَّطَلْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ratal - Artal .

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 716.

محمد ابن عزوز حكيم

الرطل، محمد الرباطي، أديب وفقيه تتلمذ في الموسيقى الأندلسية على عالم الرباط المشارك إبراهيم التادلي الذي ذكره من بين تلامذته، وحلاه بلقب شيخ الصنعة والعالم بالموسيقى.

وقد لقنه بصفة خاصة ميزان بسيط رصد الذيل واحدى صنعات الحجاز الكبير. وفي هذا الصدد يقول التادلي متحدثا عن نفسه : ولما عاد المؤلف إلى الرباط لم يجده فيه (أي طبع رصد الذيل). ولما سمعه منه شيخ الصنعة الفقيه محمد الرطل الرباطي وهو عالم بالموسيقى بالرباط تعجب وقال له : يا فقيه، أتحسن هذا، وهي نغمة رصد الذيل ؟ فأجاب : نعم، ثم ألح عليه في تعلمها لفقدها بالرباط فصار يتعلمها ما تيسر له ذلك هو ومعه الشريف سيدي المكي الفيگيگي الرباطي وعلمت بالرباط أيضاً السيد محمد الرطل العربي بوجندار صنعة كبرى من الحگازي الكبير، ولكن صعبت عليهما لكثرة أدوارها وموازينها وتلحيناتها، فلم يدركا منها حتى دخولها.

كان الرطل الرباطي جيد العزف على الرباب حسن الغناء، بصوته وإلى ذلك كانت له مشاركة في عدة فنون كما كان طبيبا ومعدلا.

إ. التادلي، *أغاني السقا*، مخطوط، ص. 77، *الباب السابع*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الرعد، من الظواهر الكهربائية للجو، ويظهر الرعد عادة عندما تصبح الحمولة الكهربائية للسحب كافية لخلق فصل ما بين الشحنة الإيجابية والشحنة السلبية وهذا الفصل يمكنه أن يتم ما بين منطقة وأخرى داخل السحب أو ما بين السحب وسطح الأرض. وتظهر هذه الظاهرة على وجه الخصوص في السحب العاصفية من نوع الركام المزني التي يصل ارتفاعها عادة في العروض المغربية إلى حوالي 10 كيلومترات وهي مكونة أساسا من قطرات من الماء في الطبقات السفلى ومن بلورات من الجليد في مستوياتها العليا.

وعملية فصل الحمولة الكهربائية داخل السحب هي من الشروط الأساسية لنشوء العواصف الرعدية كما أن نقل هذه الحمولة يتم عن طريق التيارات العمودية المتصاعدة والنازلة، فالحمولة المشحونة إيجابيا هي في الغالب ذات كثافة خفيفة تحملها التيارات المتصاعدة، والحمولة المشحونة سلبيا تكون ذات كثافة نسبيا كبيرة تستقر في المستويات الدنيا، لذلك فإن الأجزاء العليا من السحب الرعدية والمكونة من بلورات من الجليد تكون ذات شحنات إيجابية بينما قاعدتها والمكونة من قطرات مائية تكون ذات شحنات سلبية.

في مرحلة معينة من التطور يخلق داخل السحب قطب مزدوج للحقل الكهربائي يفصل ما بين مختلف الطبقات الداخلية وما بين قاعدة السحب وسطح الأرض حيث يوجد باستمرار حقل كهربائي ضعيف مشحون إيجابيا. عندما يكون التيار الكهربائي يخترق العاصفة الرعدية تتركز القوة الإليكتروديناميكية المصاحبة وتزداد داخل قناة ضيقة حجم الضغط الناتج عن ذلك مما يؤدي في الأخير إلى انفجار هو الدوي المميز للرعد. ففي خلال أقل من ثانية ينقل الرعد حمولة تقدر بحوالي ما يعادل مائة مليون مصباح كهربائي وخلال هذا الجزء من الثانية تتحول أيضا هذه الحمولة إلى طاقة إلكترومغناطسية وهي في نفس الوقت طاقة سمعية وحرارية.

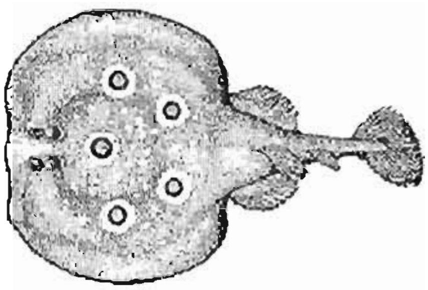
والعواصف الرعدية في المغرب من نوعين، نوع مرتبط بالأمطار التصاعدية ذات الأصل الحراري وهو النوع الذي يتردد على المغرب خلال الصيف خاصة مع الزيادة في وثيرة الوضعيات الجوية القارية والتي يصبح على إثرها الهواء، في المناطق الداخلية غير مستقر يفسر في الغالب على أمطار نوعا ما مهمة مصحوبة بعواصف رعدية لكنها محدودة في الزمان والمكان. أما النوع الثاني فهي تصاحب

الأمطار الجبهية التي تسود خلال الفترة الممتدة من أكتوبر إلى أبريل وهو النوع الذي يمكن أن يدوم لعدة أيام وعلى مناطق شاسعة.

علي البليشي

الرعّادة أو القُوَيْع الرعّاد، كما هو في المعاجم، جنس أسماك غضروفية بحرية متوسطة وكبيرة القد من رتبة الأشلاق أو الشلقيات Rajiformes وفصيلة الرعاديات Torpedinidae منها ثلاثة أنواع تعيش في المياه البحرية المغربية. تدعى بالفرنسية Torpilles وRaies électriques وبالإسبانية Tremolina وبالإنجليزية Electric ray وTorpedo.

الجسم مسطح يشبه الراية في الشكل والبنية، الفتحات الخيشومية على السطح البطني للجسم. تعيش الأنواع في البحار الدافئة وجسمها مكهرب بملك عضوا خاصا يُحدث رعشة قوية عند لمسه لأي شيء، يخدر جسم الضحية عند الملامسة.



الرعادة

الذيل ضخم والقرص سميك وجوانبه لحميه؛ الأعضاء الكهربائية نامية جدا على كل جانب من الرأس. يتراوح طول الجسم حسب الأنواع بين 60 .180 سم. تتغذى من كل أصناف الحيوانات الصغيرة القاعية.

تصاد بالجبيبات والشباك المستقيمة وحبال الصنانير العمقية. تستهلك منها "الأجنحة" فقط وتباع طرية ونادراً مملحة أو مجففة. توجد باستمرار في الأسواق السمكية المغربية.

يعيش نوع "تريسينتي" Torpedo nobiliana المسمى بالفرنسية Torpille noire في المياه البحرية المغربية على الأعماق الرملية والوحلية بين 10 .150 م وأحيانا في أعماق تتعدى 500 م وهو نوع قاعي مستقر يتغذى من كل أصناف الحيوانات الصغيرة القاعية. يبلغ طوله الأقصى 180 سم وشائع بين 60 .80 سم.

الرعادة الرخامية Torpedo marmorata : تسمى بالفرنسية Torpille marbrée وتعيش في أعماق مختلفة بين 20 .200 م أحيانا في أعماق تتعدى 500 م هو نوع قاعي مستقر. يبلغ طوله الأقصى 180 سم وشائع بين 60 .80 سم.

ا. مصطفى الشهابي. *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*. مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مدمة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, FAO, 1998, 263p.

محمد رمضاني

الرعي في المغرب القديم. تشير النصوص القديمة إلى التمجيد الذي حظيت به حيوانات هذه المنطقة، فهي تتحدث عن "آلاف القطعان من الغنم ونفس العدد من قطعان الأبقار، وهي توجد في مراعي لا حدود لها" (Ovide, Métamorphoses, 4, 630 - 640)، وأن هذا النشاط كان أساس الحياة الاقتصادية المورية إذ أن "الناس أجمعين من الأمير إلى الراعي لهم ما يكفيهم من الجبن والحليب الطري واللحم. والحليب متوفر في كل يوم لأن النعاج تلد ثلاث مرات في السنة" (Homère, Odyssée, 4, 85 - 90).

وتذهب الرحلات الجغرافية حول هذا الموضوع إلى حد تغييب ممارسة الزراعة من طرف ساكنة شمال إفريقيا التي تعتمد على الرعي والترحال. وهذا ما نجده في رحلة بوليبيوس الذي قال : "توجد في إفريقيا الخيول والأبقار والأغنام والماعز بأعداد كثيرة جدا تجعلني لا أظن وجود مثلها في باقي العالم المسكون، وهذا يرجع لكون الشعوب الإفريقية كانت تعيش من قطعانها ومعها لم تمارس الزراعة" (Périple de Polybe, 12, 3, 3 - 4). كما أشارت باقي الرحلات الجغرافية التي وصفت سكان موريطانيا (المغرب القديم) بأنهم كانوا يعتمدون على ممارسة حياة التنقل بقطعانهم بين المراعي. كما نجد ذلك في رحلتي سكولاكس وحانون (Périple de Scylax, 112 et Périple d'Hannon, 6). تبين هذه الإشارات التاريخية أن قطعان الماشية كانت تتكون من الأغنام والأبقار والماعز والخيول والدواب وغير ذلك، مما يكشف عن أهمية هذا النشاط في الحياة الاقتصادية القروية قبل السيطرة الرومانية على المغرب القديم.

وتكشف خطية المواقع القروية في المغرب القديم عن أهمية ممارسة الرعي في المناطق التي تستجيب لشروط ممارسته. فقد أشار "ماريون" أن طبيعة أشكال المواقع القروية في الجهة الشرقية تكشف عن ممارسة الرعي واستغلال الغابات في هذه المنطقة. وساعدتنا أشكال الاستغلاليات الفلاحية على الوقوف على جوانب خاصة من البنايات عن ساحات وإسطبلات لتربية الحيوانات. ففي موقع جرف الحمرا تقع بنايات ثانوية في الجهة الشمالية الغربية، وتتكون من خزانات ومحلات للماشية حيث تظهر أرضيتها مغطاة بأحجار مصففة. وفي المناطق المجاورة أكدت الأبحاث انتشار عظام الحيوانات خاصة الأبقار، مما

يدل على أن هذه البنايات هي إسطبلات لتربية الأبقار.

ومما يزيد من التأكيد على أهمية النشاط الرعوي في المغرب القديم الاهتمام الذي أولته المصادر التاريخية للغابات والبراري والمرجات، باعتبارها مناطق ممارسة النشاط الرعوي والثروة الحيوانية. فبالرغم من أن "سالوستيوس" يعتبر أن غالبية أراضي ليبيا الغربية عقيمة من حيث الأشجار والماء غير أن هذه الصورة العامة سرعان ما تنضح عندما يتم التركيز على المغرب القديم الذي يقول عنه "سترابون" أنه تميز بغابات غنية ذات أشجار عالية ومتنوعة، وأنها مجال استقرار القبائل المورية التي تحصر تنقلاتها بين المناطق الداخلية والمناطق الجبلية.

ونظراً لأهمية قطاع الرعي في المغرب القديم فقد عمدت السلطات الرومانية إلى محاولة التحكم في هذا النشاط عن طريق الدخول في علاقات متباينة مع أهم القبائل المورية التي تمارس هذا النشاط. هذا ما يكشف عنه ملف العلاقات التي كانت تربط روما بالقبائل المورية والذي تبين مدى اهتمام الرومان بالمجالات الرعوية التي كانت مكملة للمجالات الزراعية، مما استدعى حنكة دبلوماسية سخرتها روما للتحكم في هذه القبائل التي بقيت تعتمد على التنقل والترحال.

D.-P. Kehof, *Pastoralism and agriculture*, *JRA*, 3, 1990, p. 386 - 398 ; J. Granet, *La loi agraire de 111 et l'élevage*, *Pallas*, 35, 1989, p. 141 - 153 ; L. Borson, *Aperçu de l'élevage bovin dans l'antiquité*, *Ethnozootechnie*, 32, 1983, p. 38 - 50 ; M. Ponisch, *Exploitations agricoles romaines de la région de Tanger*, *B.A.M.*, V, 1964, p. 243 - 252 ; A. Jodin, *L'exploitation forestière du Maroc Antique*, *Act. du 93ème Cong. Nat. des Soc. Sav.*, Tours, 1968, Paris, 1970, p. 415 ; J. Desanges, *Pline L'Ancien, Histoires Naturelles*, Livre V, 1 - 46, Paris, 1980, p. 148 - 149 ; L. Emberger, *Les limites naturelles de la forêt de Mamora*, *Bulletin de la Société des Sciences Naturelles du Maroc*, t. 9, 1929, p. 220 - 222; P. Boudy, *Economie forestière nord-africaine*, 2, *Monographie et traitement des essences forestières*, Paris, 1950, p. 102 - 125 ; M. Euzennat, *Le Limes de Tingitane. La frontière méridionale*, Paris, 1989 ; J. Ramin, *Atlas et l'Atlas*, dans *Annales de Bretagne et des pays l'Ouest*, 1977, p. 531 - 539.

محمد البريدي

الرعي والرعاة، حين تكون القطعان وافرة العدد في مناطق تربية الماشية يعهد برعيها إلى أفراد تنحصر مهمتهم في السهر عليها. ويستلزم الرعي الانتجاع نحو المناطق التي يتوفر بها الكلأ، الشيء الذي يفترض التنقل عبر مجال غير مجال القبيلة صاحبة الماشية، مما يحتم ربط علاقات بين القبائل المعنية بالأمر تسمح بانتجاع القطعان طبقا لقوانين أو أعراف يتفق عليها وطبقا لنظام معين. فقد كانت تحدد مسبقا مجالات الرعي، والطرق المؤدية إليها، والوقت المناسب لانطلاق القطعان نحو المراعي، والكثافة التي يمكن أن يتحملها كل مرعى. وكانت القبيلة (أو القبائل) المعنية بالأمر تعين شيخ المراعي الذي يعهد إليه بالسهر على تطبيق هذه المقتضيات.

وكما أن الرعي كان عموميا، فقد كانت تسند كل قطعان القبيلة إلى راع عمومي يُشغّله كل الكسابة، أو كانت تُرعى بالتناوب من أشخاص ينتمون إلى مختلف المجموعات المالكة للقطعان.

تختلف وضعية الراعي المادية منها والاجتماعية باختلاف المناطق، وبصفة عامة، كان يتم تشغيل الرعاة وقت الجز. ويتم التعاقد - في مناطق مثل بني مسكين - لا مع فرد بل مع أسرة حيث إن كل أقارب الراعي يمكنهم أن يساهموا في عملية الرعي (إن اقتضى الأمر ذلك) ؛ ويكون الراعي رجلا ثقة يحظى بمكانة داخل المجتمع. بينما يتم التعاقد على العكس في مناطق أخرى - كالغرب - مع فرد غالبا ما يختار من بين الفئات الأقل حظوة في المجتمع (من بين المسنين أو العجزة أو الأطفال).

كان يتم التعاقد - عند بني مسكين - بين صاحب القطيع والراعي بطريقة شفوية وفق طقوس متعارف عليها، فتقدم للراعي وجبة طعام (بمثابة قربان) تتيح اشتراك الطعام، مع كل ما يوحي هذا الطقس من تقارب بين الأفراد واستحالة الخيانة والغدر ؛ ثم يُنصَّب الراعي حيث تقدم له كسوة أو قيمة مالية تعتبر هدية. ويعدد نصيبه، مقابل عمله في هدايا تمنح له في فترة الخصوبة، وحصة من الحليب ومن الصوف وربع البهائم التي تولد خلال السنة.

أما في مناطق كالغرب، فقد كان الراعي يعمل مقابل ربع سنوي زهيد.

بصفة عامة، عندما يبدأ الراعي مهمته يقدم له "تسبيق" مادي أو عيني و"سلف" مادي أو عيني كذلك : كما يقدم له كل ما يحتاجه من ضرورات الأكل. والجدير بالملاحظة أن السلف لم يكن يعوّض، مما يجعله يساهم في الحفاظ على الوضع القائم وتحويل الراعي إلى قن وعقد الرعي إلى وضعية اجتماعية، بحيث يبقى الراعي مرتبطا بسيده بحكم الدين الذي عليه. ويعتبر كل تخل عن العقد بمثابة جريمة يعاقب عليها.



يمنع على الراعي أن ينيب عنه شخصا آخر، أو أن يترك القطيع وحده في المرعى أو أن يغيّر مجرى الانتجاع دون إذن من سيّده؛ كما يتحمل كل ما يمكن أن ينتج عن مثل هذه التصرفات من عواقب كالسرقة أو كضياع في صفوف القطيع. كما كان عليه أن يساهم في الضرائب المؤداة عن القطيع.

العقد المبرم بين الكساب والراعي غير محدود في الزمان، إذ يستمر العمل به حتى بعد وفاة أحد الطرفين الشيء الذي يفسر ظاهرة الصحبة والعزابة. ولكن يمكن فسخه من لدن السيد، مما يجعل وضعية الراعي شبيهة بوضعية الخماس. ولا يمكن أن يفسخه الراعي إلا في حالات استثنائية كالذهاب إلى الحج أو الإصابة بمرض عضال.

بيد أن حق الراعي في الربح ومساهمته في الضرائب ومسؤوليته القضائية في حال سرقة أو ضياع في صفوف القطيع جعله يتحول إلى شريك. بينما يلاحظ كذلك أن الهدية أخذت تتحول تدريجيا إلى أجرة.

في فترة الحماية قامت الإدارة الفرنسية بتغيير الاتفاقيات المبرمة بين القبائل والمتعلقة بالانتجاع الشيء الذي كان له تأثير على علاقات القبائل فيما بينها (كما هو الشأن مثلا بالنسبة لبني مگيلد وبني مطير)، إذ ستضطر بعضها إلى التنقل نحو مناطق جديدة. كما عملت الحماية على تقليص مجالات الرعي وتحويل أجودها إلى أراضٍ فلاحية لصالح المعمرين الشيء الذي كان له تأثير نفسي وسياسي سلبي بالنسبة للقبائل التي أصبحت محرومة من جزء من أراضيها، فكان عليها أن تعيد النظر في علاقاتها السياسية الداخلية.

كما صاحب تقليص المجال الرعوي خصوصاً بعد الاستقلال، نمو ديمغرافي وكثافة على مستوى الماشية. فصار احتلال المجال لا يتم، كما كان عليه الشأن سابقا، في إطار القبيلة وإنما يخضع لقرارات اقتصادية واجتماعية وسياسية تتخذها مجموعات متنافسة لكل منها رهاناتها الخاصة. وهكذا أصبحت تتحكم في المراعي مجموعة من كبار الكسابة، تستحوذ عليها، بل وتمنعها عن غيرها، وذلك على حساب صغار الكسابة والرعاة. أضف إلى هذا أن جزءاً من المراعي حُول إلى أراضٍ فلاحية تنتج من أجل السوق، وبذلك سنصبح أمام تعدّد وتشتّت بالنسبة للمراكز التي تتخذ القرارات المتعلقة بالرعي.

هكذا فإن جل الأراضي الرعوية - التي تتوزع خمسة ملايين من الهكتارات فوق الأراضي الجماعية وخمسة عشر مليون هكتار فوق أراضٍ تعتبر بدون مالك - غير خاضعة لأي قانون وتستغل عمليا من نفس الأشخاص الذين أخذوا يتملكونها ولا يدعون منها إلا قطعا صغيرة للرعاة وصغار الكسابة. بل إن هذه الفئة من كبار الكسابة، التي تحتل المراعي الجماعية وتتصرف فيها وكأنها ملك لها، صارت تفوّتها كراءً لآخرين، مما يؤدي إلى نشوب نزاعات إذ يعترض صغار الكسابة على ولوج أجانب عن القبيلة إلى هذه المراعي. ذلك أن الرعي أصبح، أكثر فأكثر، يخضع لمنطق رأسمالي لا يعير أي اهتمام للأعراف التي كانت تنظم سابقا استغلال المراعي. كما أن شراكة الكسابة مع بعض المدينيين يؤدي إلى تزايد الكثافة الحيوانية فوق نفس المساحة، مما يفقر الأرض ويعرضها للتصحر، كما يعرض الماشية للتلف في أوقات الجفاف.

وبما أن كبار الكسابة يسعون إلى أن يوجدوا بمختلف المناطق التي بها كلأ وتكون بها الأثمان مرتفعة، ونظراً لكونهم لا يستطيعون مراقبة القطعان والرعاة بكيفية مباشرة، فقد أخذوا يلجأون إلى الشراكة مع صغار الكسابة الذين سيتحولون تدريجيا إلى مجرد عاملة في خدمة فئة تحتكر سوق الماشية واللحم.

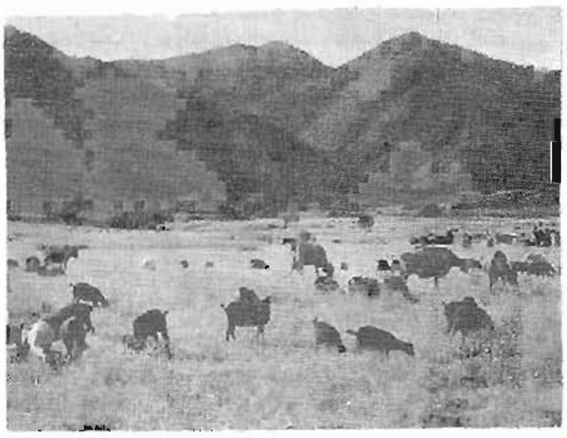
Lefébure Claude, *Accès aux ressources collectives et structure sociale : l'estivage chez les Ayt Atta (Maroc)*, in Equipe Ecologie et Anthropologie des Sociétés Pastorales : *Production pastorale et société*, Cambridge, Paris, 1979, pp. 115 - 126 ; P. Pascon, *Etudes rurales. Idées et enquêtes sur la campagne marocaine*, Rabat, 1980.

عبد الجليل حليم

الرعي والمراعي بالمغرب. المراعي أراض هامشية لا تصلح للزراعة نظرا لعدة عوامل كقلة التساقطات المطرية، أو وعورة التضاريس، أو ضعف خصوبة أو سمك التربة، أو ارتفاع نسبة الملوحة، أو كثرة الأحجار...

تغطي المراعي المغربية حوالي 65 مليونا من الهكتارات، 9 ملايين منها غابوية أو شبه غابوية. يقدر الإنتاج العلفي للمراعي سنويا بحوالي 8.86 مليار من الوحدات العلفية (الوحدة العلفية تساوي كيلو واحد من الشعير)، أي ما يعادل 8.86 مليون طن من الشعير. يغطي هذا الإنتاج 70٪ من الحاجيات العلفية للماشية المقدر عددها بحوالي22 مليون رأس.

تقسم المراعي إلى عشر مناطق، تتميز كل واحدة منها عن الأخريات بتركيبتها النباتية وظروفها المناخية



والترابية. تشمل هذه المناطق غابات وسهوبا وأشكالا أخرى من المراعي. وهي إما أراض في ملك الخواص أو جماعية أو عمومية. وأكبرها مساحة هي أراضي الجموع التي تمتد على حوالي 11 مليون هكتار.

منذ زمن طويل كانت تربية المواشي بالمغرب تعتمد على الحيوانات الصغيرة، والترحل والانتجاع. الشيء الذي جعلها تتكيف وتتعايش في حالة توازن مع المجال الطبيعي لمدة طويلة. لكن أنظمة استغلال المراعي تغيرت كثيرا في العقود الأخيرة. حيث ازدادت الحاجيات من الموارد العلفية ومن الحطب وتقلصت مجالات الرعي، واستقر السكان بالمراكز، فاشتد استغلال المراعي المجاورة لها. وهكذا صارت الحمولة الرعوية تتجاوز في أغلب الحالات ثلاثة أو خمسة أضعاف إمكانات المراعي. إضافة إلى هذا تعتبر سنوات الجفاف من العوامل التي تساهم في ظاهرة تدهور المراعي.

تتجلى أهمية الرعي الاقتصادية في مؤشراته في مجال النسيج الاقتصادي الوطني. ففي السنة الفلاحية 1996 ـ 97، مثلت تربية المواشي 25٪ من الناتج الإجمالي الداخلي، و25.8٪ من الإنتاج الفلاحي الإجمالي، و8 ملايير درهم من القيمة المضافة. وكانت تضمن 20٪ من فرص الشغل في المجال الفلاحي، وتؤمن العيش لـ18٪ من عدد المستثمرين الفلاحيين. كما يقدر عدد المستثمرين الفلاحين الذين يزاولون تربية المواشي بـ1.100.123. وتنسب 30٪ من مساهمة تربية المواشي في الدخل الوطني إلى إنتاج الأغنام، و4٪ إلى الماعز.

أما في ما يخص أعداد رؤوس القطيع فإنها تتوزع على الشكل التالي :

السنوات	1974	1996	1998	1999
الأغنام	11.437 000	16.726.000	14.784.000	14.588.000
الماعز	4.230.000	5.703.000	4.959.000	4.704.000
الأبقار	3.211 000	2.383.000	2.569.000	2.565.000

يعود تطور أعداد رؤوس الأغنام والماعز إلى التقلبات المناخية وتأثيرها على كميات العلف وثمنه، وكذلك الوفيات. إضافة إلى هذه التقلبات الحولية يلاحظ تقلبات فصلية.

من حيث الجوانب البيئية، تتميز المجالات الرعوية بتنوع كبير يجعلها متكاملة في ما بينها. الشيء الذي يمكن من قابلية استغلال مواردها العلفية.

من جهة أخرى مكنت دراسة المراعي من التعرف على حوالي 114 منظومة بيئية رعوية موزعة على 10 مجالات رعوية، يعيش فيها حوالي 4.000 نوع نباتي، أغلبها من الأعشاب الحولية معتدلة الاستساغة أو الأنواع المعمرة قليلة الاستساغة بل سامة أحيانا.

يتجلى تقسيم المجال الرعوي بالمغرب في المناطق العشر المذكورة أسفله :

. الهضاب الشرقية ووادي ملوية :

تمتد المنطقة على مساحة تقدر بـ5.249.950 هـ، تشمل سهوب الحلفاء والشيح. يتغير إنتاجها الرعوي حسب التقلبات المناخية والظروف البيئية. فيتراوح سنويا ما بين 40 و150 وحدة علفية.

بفضل ممارسة الرعي طوال السنة تتمكن المنطقة من سد ثلثي حاجيات القطيع. ويوفر الثلث الباقي من بقايا المزروعات والشعير وكسب الشمندر المجفف.

يتكون القطيع أساسا من مليونين من الحيوانات المجترة الصغيرة، 29٪ منها من الماعز والباقي من الأغنام. سلالة الغنم السائدة في المنطقة هي سلالة بني گيل التي تشتهر بتحملها للظروف المناخية القاسية، وبلذة لحمها. يقدر معدل الإنتاج السنوي للرأس الواحد بـ16 كيلو من اللحم الحي و2 كيلو من الصوف. وهو أعلى إنتاج على الصعيد الوطني.

غير أن هذه المراعي عرفت في العقدين الأخيرين من القرن العشرين استغلالا مفرطا أدى إلى انتشار الأنواع ذات الأهمية الرعوية الكبيرة، وانتشار الأنواع قليلة القيمة الرعوية. إضافة إلى هذا تعرف المنطقة توزيعا غير متوازن للموارد المائية. الشيء الذي ينتج عنه عدم استغلال الموارد الرعوية بصفة متوازنة.

. الأطلس المتوسط . تبلغ مساحة المنطقة حوالي 1.213.050 هكتار. تشمل غابات الأرز والبلوط وماطورالات الشجيرات المختلفة الأنواع، والمروج. يتراوح إنتاجها الرعوي سنويا ما بين 240 و300 وحدة علفية في الهكتار. تساهم مراعي المنطقة بنسبة 70٪ من حاجيات القطيع. والباقي يوفره الاستغلال الفلاحي على أشكال مختلفة مثل التبن والحشيش المجفف والشعير والعلف المركز. وذلك في فصلي الخريف والشتاء المصادفين لفترة البرد وقلة العشب. وتجدر الإشارة إلى أن القطيع يمارس ظاهرة الانتجاع ما بين الجبل والدير.

كان يقدر عدد الماشية في سنة 1990 بحوالي 1.586.800 رأس، 85٪ منها من الأغنام التي تسودها سلالة تمحضيت. يلاحظ أن نسبة الوفيات في صفوف الخرفان مرتفعة. الإنتاجية الحيوانية ضئيلة نسبيا. إذ تقدر بحوالي 11.4 كيلو من اللحم الحي سنويا لكل رأس من الأغنام و8.0 كيلو في ما يخص الماعز.

عرفت تربية المواشي بالمنطقة تغيرات جذرية أدت إلى اضطرابات في استغلال المجال. نتجت التغيرات عن نقض العقود القبائلية التي كانت تقنن ممارسة ظاهرة الانتجاع، وتوسع مساحات أراضي المزارع على حساب المراعي. مازالت هذه التغيرات تعتبر مصدر النزاعات ما بين

الجماعات المستغلة لنفس المجال. وتشكل نتائج هذه النزاعات عوائق حمة تحول دون تطبيق مشاريع التهيئة الغابوية والرعوية.

- الأطلس الكبير الأوسط والشرقي : تمتد المنطقة على مساحة قدرت بحوالي 2.269.750 هـ. يتكون الغطاء النباتي بغابات وماطورالات. يتراوح الإنتاج الرعوي السنوي ما بين 100 و240 وحدة علفية في الهكتار. ويغطي ما بين 60 و100٪ من حاجيات القطيع. بضمن تنوع الطبقات النباتية تموينا علفيا لمدة طويلة في السنة. لكن الاستغلال المفرط لهذه الموارد كان السبب الرئيسي في تدهورها.

قدر القطيع سنة 1990 بحوالي 934.000 رأس، 75٪ منها من المجترات الصغيرة. ترعى الماعز في الارتفاعات العالية بينما تبقى الأغنام في السفوح. يلاحظ أن نسبة الوفيات عالية عند صغار الماشية. تتراوح الإنتاجية لكل رأس ما بين8.6 و14.7 كيلو من اللحم الحي بالنسبة للأغنام وما بين 5.5 و12 كيلو من اللحم الحي للماعز.

تتميز المنطقة بعزلتها خارج نطاق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المغربية. وتتمثل هذه العزلة في الإنتاج التقليدي والاقتصاد الضعيف. إن تنويع الأنشطة قد يساهم في تخفيف الضغط الرعوي على المجال.

- الريف وهوامشه : تمتد المنطقة على مساحة تقدر بحوالي 916.550 هـ. تسود المنطقة غابات الأرز والبلوط والعرعر وماطورالات مشكلة بنباتات مختلفة كالدوم والقستوس والطران. يتراوح الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 150 و500 وحدة علفية في الهكتار. وهو يغطي ما بين 57 و84٪ من حاجيات القطيع. ويعوض الباقي بما ينتج عن المزروعات.

يتشكل القطيع بحوالي 963.599 رأس. نصف العدد من الأغنام والنصف الآخر من الماعز. سلالة الماعز محلية، وسلالة الأغنام السائدة لبني حسن الموجودة بسهول الغرب

تتراوح الإنتاجية سنويا ما بين 12 و19 كيلو لكل رأس من الماعز وما بين 16 و18 كيلو لكل رأس من الأغنام.

تنفرد المنطقة بوعورة المسالك وندرة الموارد العلفية في فصل الشتاء، ونقص التأطير. وذلك ما يعيق كل محاولة للتنمية الاقتصادية.

- المعمورة والهضبة الوسطى.

تقدر مساحة المنطقة بحوالي 809.100 هـ. يتكون غطاؤها النباتي بغابات البلوط والعرعر والزيتون البري، وبماطورالات مشكلة بالدوم والقستوس، بالإضافة إلى الأراضي الزراعية. كما توجد بالمنطقة عدة غابات اصطناعية من الأوكاليبتوس والصنوبر والأكاسيا. يقدر الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 400 و500 وحدة علفية في الهكتار. تساهم المراعي الطبيعية في تلبيةحاجيات القطيع بنسبة 59٪ مقابل 38٪ بالنسبة للمنتجات الزراعية.

كان عدد القطيع في سنة 1990 يقدر بحوالي 1.355.300 رأس، 90٪ منها من الأغنام. تتراوح نسبة الوفيات عند صغار الماشية ما بين 10 و26٪. تقدر الإنتاجية من اللحم الحي لكل رأس بحوالي 15 كيلو لكل رأس.

يعتبر نقص العلف في فصل الشتاء من العوائق التي تحول دون نجاح محاولة تنمية الرعي بالمنطقة

- الهضاب والسهول شمال الأطلس.

تمتد المنطقة على مساحة تقدر بما يقارب 1.275.000 هكتار. تتكون الغطاء النباتي بتشكيلات من الجُنَيبات مثل الدوم والأعشاب الحولية أو البصلية بالإضافة إلى السدرة. يتراوح الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 100 و240 وحدة علفية في الهكتار. باستثناء بعض المجالات المروية. تتميز المنطقة بزراعة الحبوب الطرية وبتربية المواشي المعتمدة على الأغنام أساسا. يمارس الرعي في فصلي الشتاء والربيع. يقدم التبن للماشية في فصل الخريف. وترعى الماشية في الصيف ما بقي في الحقول بعد عملية الحصاد. يستعمل العلف المركز من كبار الكسابين. تساهم المراعي في تلبية حاجيات الماشية بنسبة تقارب 36٪. ويصدر الباقي عن المزروعات في الأراضي المروية.

في سنة 1990 كان القطيع يقدر بحوالي 2.220.400 رأس، 93٪ منها من الأغنام التي تسودها سلالة الصردي. تتراوح الإنتاجية من اللحم الحي ما بين 22 كيلو لكل رأس في تادلة، و11.2 في الشاوية. و19 في السراغنة.

تتمثل العوائق التي تحول دون نجاح تنمية القطاع في الأمراض الناتجة عن ارتفاع نسبة الفليور في المياه وندرة المياه واتساع رقعة الأراضي المزروعة

- الساحل الأطلنطي :

تمتد المنطقة على مساحة تقدر بحوالي 77.160 هـ. يتشكل غطاؤها النباتي بأعشاب حولية وبصلات مرافقة للدوم والكندول الذي هو نوع شجيري تبسي وخاص بهذا المجال. يتراوح الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 150 و200 وحدة علفية في الهكتار. تستغل الماشية المراعي في فصلي الشتاء والربيع. وتصل مساهمة المراعي في تلبية حاجيات الماشية بنسبة 73٪.

كان القطيع يقدر في سنة 1990 بحوالي 1.071.000 رأس، 99٪ منها من الأغنام. تقدر الإنتاجية الحيوانية سنويا بحوالي 16.4 كيلو من اللحم الحي لكل رأس.

تعرف المنطقة نفس العوائق المذكورة أعلاه

- تشكيلات أركان :

تمتد المنطقة على مساحة تقدر بما يقارب 1.459.550 هـ. يتميز غطاؤها النباتي بتشكيلات أركان ومحليا بتشكيلات العرعر. يتراوح الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 115 و155 وحدة علفية في الهكتار. تتميز المنطقة بإمكانية استعمال مختلف الموارد العلفية الناتجة عن أشجار أركان. تساهم المراعي في تلبية 70٪ من حاجيات القطيع.

في سنة 1990 كان القطيع يتكون بحوالي 1.323.000 رأس من الحيوانات المجترة الصغيرة. ثلثا العدد للماعز والثلث الباقي للأغنام. الإنتاجية الحيوانية ضعيفة، إذ تتراوح ما بين10.3٪ من اللحم الحي لكل رأس من الأغنام، و13.6 كيلو بالنسبة للماعز.

أما في ما يخص العوائق فإنها لا تختلف في مجملها عن التي ذكرت سابقا.

- المنطقة شبه الصحراوية :

تمتد المنطقة على مساحة تقارب 5.666.950 هـ. يتميز غطاؤها النباتي بتشكيلات سهبية مكونة من الشيح والقطاف وأنواع أخرى. لا يتعدى معدل الإنتاج الرعوي السنوي 120 وحدة علفية. تساهم المراعي في تلبية حاجيات المنطقة من العلف بنسبة 91٪.

كان يقدر عدد القطيع في سنة 1990 بما يقارب 2.605.400 رأس، 60٪ منها من الأغنام التي تتكون من عدة سلالات مثل سَاغْرو، وسيرْوا والرّحَالي والدُمّان. تقدر الإنتاجية الحيوانية سنوياً بحوالي8.8 كيلو لكل رأس. وأعلى إنتاجية سنويا للصوف على الصعيد الوطني هي التي تعطيها سلالة سيرّوا وهي 3 كيلو لكل رأس.

تعتبر شساعة المجالاتُ من أهم العوائق التي تحول دون القيام بالتأطير اللازم.

- الصحراء :

إنها أكبر منطقة إذ تبلغ مساحتها 46.552.450 هـ. يتميز غطاؤها النباتي بتشكيلات سهبة صحراوية وشجيرية ومحليا شجرية مكونة ن أنواع الطلح. إنتاجها الرعوي ضعيف، إذ لا يتعدى سنويا 30 وحدة علفية في الهكتار ما عدا مراعي وديان الطلح التي يصل إنتاجها محليا إلى 70 وحدة علفية في الهكتار.

تعرف جل هذه المناطق تدهورا تتفاوت درجاته من منطقة إلى أخرى.

تفاديا لاستفحال تدهور المراعي، اتخذت الدولة منذ 1969 إجراءات لتهيئة واستثمار هذه المجالات شملت عدة مناطق. وذلك لتحسين إنتاجيتها وضمان استدامتها. لكن النتائج لحد الآن تبقى في مجملها غير مرضية. فمازالت أراضي الزراعة تتوسع على حساب المراعي، ومازالت المراعي تتدهور، ومازالت مشاركة السكان ضعيفة في برامج التهيئة.

Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II et Utah State University. *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc, phases I, II et III*. Rabat. 1993 ; Ministère de l'Agriculture et de Mise en Valeur Agricole. *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc. Schéma Directeur d'Aménagement des parcours*. Rabat. 1995 . Ministère de l'Agriculture du Développement Rural et des Pêches Maritimes. *Colloque national de l'agriculture et du développement rural*. Rabat 19 - 20 juillet 2000.

عبد الحي ابن عطية الأندلسي

ترجمة عبد المالك بنعبيد

الزعيني، أسرة أندلسية انتقل بعض أفرادها إلى فاس ومراكش ابتداءً من القرن السادس (12 م) ذكرهم صاحب *بيوتات فاس الصغرى*، واستمر ذكرهم . كما في *رفع الالتباس* . بفاس إلى عام 1045 / 1635 كما برسم مكتوب على رق غزال، وكان لأحدهم بلاد بخولان (سيدي حرازم).

ابن الأحمر. *بيوتات فاس* : ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1 : 225

الزعيني، علي بن محمد الإشبيلي، ولد هذا الأديب البليغ الناظم الناثر بإشبيلية عام592 / 1195 . وكان سلفه يعرفون ببني الحاج نسبة إلى هيصم.

قرأ القرآن الكريم بالسبع وبالإدغام الكبير عن أبي عمرو بن العلاء على أبي بكر القرطبي، وبقراءتي الحرميين. وبعضه بقراءة أبي عمرو على أبي بكر بن عبد النور، وأكثر عنهما، وأجازا له. وأخذ بين سماع وقراءة عن أبي إسحاق بن غالب وآباء بكر السقطي، وابن طلحة وابن قسوم ولازمهم.

توفي بمدينة مراكش سحر ليلة الأربعاء 24 رمضان 666 / 1267 ، ودفن عقب ظهره بجبانة الشيوخ مقاربا مقابلة باب السادة أحد أبواب مراكش. وكان الحفل في جنازته عظيماً لم يتخلف عنه أحد. ومن شعره قصيدة مطلعها :

علاك علتْ علوَ النيّرَيْنِ مصاعدةً لأعلى الطلعَيْنِ

وأخرى مطلعها :

حنيني إلى البيت العتيق شديدُ وشوقي إلى وادي العقيق يزيدُ

ع. الزعيني نفسه. مقدمة كتاب *برنامج شيوخ الزعيني*. تح. إ. شبوح. دمشق1962 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، س. 5 ق 1، ص 323 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*. تح إحسان عباس. بيروت1968، 1، 311، هامش 1.

أحمد متفكر

الزعيصني، علي بن لجبة بن يحيى بن خلف الإشبيلي. سكن مدينة مراكش وروى فيها عن أبيه وأبي بكر عتيق الفصيح وأبي جعفر بن مضا وأبي محمد بن حوط الله.

كان متين الأدب، شاعراً مجيداً، كاتباً بليغاً، بارع الخط، كتب الكثير وراقة وإنشاء، وله : *اختصار متقن لكتاب أغاني الأصبهاني*.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*. س. 5 ق 1، ص 414.

الزعيني، محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان، شريسيّ وشقيّ الأصل سكن مدينة مراكش طويلا وروى عن

أبي بكر بن أبي جمرة، وأبي عبد الله بن حميد وأبي القاسم بن حبيش وأبي موسى الفزولي.

كان محققا بعلوم اللسان نحوياً ماهراً، وأديباً بارعاً، وشاعراً مجيداً، وكاتباً بليغاً، طيب النفس، حسن الأخلاق، جميل المعاشرة، فاضل الطباع.

درّس بمراكش وقرأ عليه بعض أولاد المنصور. له اختصارات في كثير من كتب العلم والأدب والتاريخ مثل: *اختصار تفسير القرآن* لابن عطية *ومحكم* ابن سيده *ومطمح* *أبي الفتح وقلائده ومقدمات ابن رشد* وغير ذلك. وكتب بخطه الكثير وتلبس في مراكش بعقد الشروط والشهادة.

توفي بمراكش في حدود عام 620 / 1223.

م. عبد الملك، *الذيل والتكملة*، س 6 / 96

الرعيني، محمد بن سعيد المنعوت أيضا بالسراج الفاسي، شيخ محدّث نفاع، أخذ عنه إسماعيل ابن الأحمر وآخرون.

توفي بفاس سنة 778 / 1376.

إ. ابن الأحمر، *الفهرس*، مخطوط؛ *بيوتات فاس الصغرى*؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1؛ 225.

الرعيني، محمد بن عبد الرحمن بن محمد الفاسي الملقب بالركن. فقيه مبارك، ولي قضاء معدن عوام، قرب مدينة فاس. وتوفي سنة 598 / 1201.

ابن الأبار، *التكملة*؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1، 225.

أحمد متفكر

الرغاي، أسرة رباطية لها فروع. منها فرع في السراغنة إذ نصادف عند الضعيف شخصا يحمل اسم سليمان الرغاي السرغيني أثناء الفتنة التي أعقبت وفاة السلطان مولاي إسماعيل. وسعى أبناء السلطان لاستقطاب الأنصار ضد بعضهم البعض مثلما فعل المستضيء ضد أخيه مولاي عبد الله سنة 1158. كان الرغاي هذا قائدا للسراغنة في ذلك الوقت. ومنها فرع في جيش البخاري الذي أنشأه السلطان مولاي إسماعيل، مثل المختار الرغاي الذي توجه ضمن بعثة طلابية إلى إيطاليا على عهد السلطان المولى الحسن سنة 1291. ومنها فرع فاسي برز بالتدريس في القرويين كما برز في هذا الفرع الفاسي محمد الرغاي الذي عاش بالرباط وعمل كاتبا بالصدارة وبالأحباس. وولي نظارة أحباس مراكش وكان أبوه حيسوبيا. وله ترجمة في جريدة *السعادة* وترك تأليفا لم يخرج إلى الوجود. ومنها فرع رابع هو الأكثر شهرة عاش بالرباط منذ مدة غير معروفة. ومن الجدير بالذكر أن في الجزائر قرية تسمى رغاية اشتهر أهلها بالجهاد، ولا ندري ما إذا كانت هناك علاقة لأسرة الرغاي بها. وأشار مؤلف *الفهرس في عمود نسب الأدارسة* بدون ذكر سنة، انتساب هذه الأسرة إلى الشرفاء. لكن ذلك يحتاج إلى تحقيق.

ومن جهة أخرى يقال بأن أصل آل الرغاي الرباطيين من منطقة تسمى سيدي يعيش رغيغاية. ويصف محمد بوجندار هذه الأسرة بكونها من بيوتات العلم بالرباط. وأقدم من ذكرهم من أعلامها أحمد الذي كان فقيها وعدلا وخطيبا بمسجد مولاي سليمان وعاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر (19 م). ولم يضبط بوجندار تاريخ وفاته إذ اكتفى بالقول بأن وفاته حصلت أواسط هذا القرن. لكن محمدا بن علي دينية يقول بأن تاريخ وفاته كان بعد سنة 1280 / 63 - 1864. وخلّف ابنه محمدا الذي كان أديبا وشاعرا وتوفي سنة 1315. كما ورد اسم الطاهر الرغاي عند ابن زيدان أنه أخذ العلم عن عبد الرحمان بن محمد بصري المكناسي، ولم يثبت أصله ولا المدينة التي ينتمي إليها. ونعلم من ظهير مؤرخ في 7 ربيع 2 عام 1267 للسلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام أرسله إلى قائده الجيلاني بن بوعزة أن السلطان كلّف الطاهر الرغاي بحمل المال وقدره 13.592 مثقال إلى القائد المذكور قصد توزيع رواتب الجيش.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 50، ومن 208 إلى 218؛ دينية *الانبساط*، ص. 190، ومن 247 إلى 252؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 2، ص 466، 498؛ وج. 5، ص. 18 و388؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، نح. العماري، ص. 149؛ المريني العباسي، *الفهرس في عمود نسب الأدارسة*، طنجة، 1986؛ *روايات شفوية أدلى بها السيد محمد الأمين الكتاوي وبعض آل الرغاي بالرباط*

الرغاي، محمد بن أحمد كان أبوه من فقهاء الرباط وعدوله وخطيبا بمسجد مولاي سليمان. أما محمد هذا فهو من مشايخ الرباط، درّس القرآن والحساب وفنونا من الأدب، وكان شاعراً متمكنا من اللغة العربية، نسخ الكثير من الكتب مثل *نفح الطيب ووفيات الأعيان والإحياء* للغزالي، ونسخا من *شرح الغرناطي على الخزرجية* وأخرى من *معاهد التنصيص*، وكان يبيع من ذلك ما طلب منه بالثمن الغالي خصوصا لأعضاء المخزن من كانت فيه أهلية من الوزراء والأمراء، وكان يهتم بتعليم الخط لكل من كان يقرأ عليه ويقرئه أمهات الكتب. ومما كتبه بخط يده *الشاطبية ومنية ابن غازي ومختصر خليل*. وكان يقصده كبار الطلبة ليأخذوا عنه الحساب الذي كان بارعا فيه. وكانت له مسامرات مع نجباء الطلبة أمثال الشيخ عبد الرحمان لبريس وأخيه عبد القادر والشيخ محمد الوردبغي، وكل واحد من أولئك كانت تعقد عنده جلسة ليلة بالتوالي وبحضور الشيخ الرغاي الذي كان يعرض على رفاقه

المسائل المستعصية لمناقشتها واستجلاء غموضها، وكان يحفظ كتاب *القاموس*.

كانت للرغاي خزانة متوسطة مشتملة على أجود المؤلفات وغريبها، وجلها بخط يده، مع اعتنائه بمقابلة ما يستنسخه وإصلاح الأغلاط، ومن شغفه بجمع الكتب أنه كان يستورد منها من مصر والشام ومن الهند حتى صارت له خزانة يضرب بها المثل، وبعد وفاته تهافت عليها الطلبة، وأكثر هذه الكتب اشتراها بعض علماء الرباط، وجه بعضها لبعض البلدان، وكانت كتبه متميزة بتجليد خاص على نسق واحد، وعندما كان بفاس في بعض الخدمات السلطانية استحضر كتبه واستجلب عدة مجلدين إلى منزله مدة طويلة إلى أن انتهوا من تجليدها على نسق خاص عرفت بكتب الفقيه الرغاي لأنها معلومة بعنوانها المكتوب بخط يده المشهور.

كان بارعا في تجويد القرآن، وله معرفة بفن الأوفاق وسر الحرف أخذ ذلك عن أستاذه الطاهر ضاكّة، كما أخذ عنه علم التنجيم وكان يميل إلى العزلة ولا يخالط إلا خاصته المذكورين قبل.

له أشعار منها قصيدة أنشأها في ختم السلطان مولاي الحسن *صحيح البخاري*، وقصيدة في مدح بعض علماء الرباط، وثالثة في مدح أحد أولياء الرباط المشهورين وهو سيدي الحسن بن سعيد .

توفي سنة 1315 / 1897 ودفن بالزاوية الناصرية بالرباط.

م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط 1986، ص. 208 ـ 218.

الرغاي، محمد بن التهامي. ولد في العقد التاسع من القرن الماضي، تلقى العلم عن كل من إبراهيم التادلي وأبي حامد البطاوري والمفتي الجيلاني بن إبراهيم، أما بفاس فأخذ عن أحمد الخياط ومحمد القادري وعبد المالك الضرير والتهامي گنون والعباس التازي وغيرهم.

فقيه عدل وخطيب شغوف بالتعليم. زهد في خطة العدالة رغم فقره رغبة في تلقين المبتدئين وتكوينهم في العربية ـ بعناية كبيرة ـ تكوينا في البلاغة والمنطق والأصول والوضع، ومن هيامه بالمهنة أنه أسس مدرسة قرآنية علمية جددت معالم المدرسة المباركية التي تعد نواة المدارس العربية الحرة بالرباط.

كان يحرض الطلبة على النساخة التي كان يقول عنها إنها تصف المطالعة، ولكنه اهتم بنسخ بعض الكتب المطبوعة عوض أن يتجه إلى غيرها من المخطوطات العربية، وكان يغضب إذا شارك الطلبة في دروس غير دروسه لأنه كان يقول "إن التخليط من عوائق التحصيل، ومنْ فُتح عليه باب فلْيلزمْه". ومن مزاياه أنه كان يجمع تلاميذه بعد ظهر كل جمعة في بيته فيتهافتون على تقييد قطع وقواعد له، وكذلك كان يقيم نزها للطلبة في عشية الخميس لا تقل فائدة عن نادي الجمعة.

له تقاييد منها ختم *أرجوزة الشيخ الطيب بن كيران في الاستعارة*، وشرح على *لامية الأفعال*، كما أن له خطبا مختصرة قيمة.

توفي في 27 شوال 1358 / 9 دجنبر 1939 وأُقبر بمقبرة سيدي محمد الضاوي.

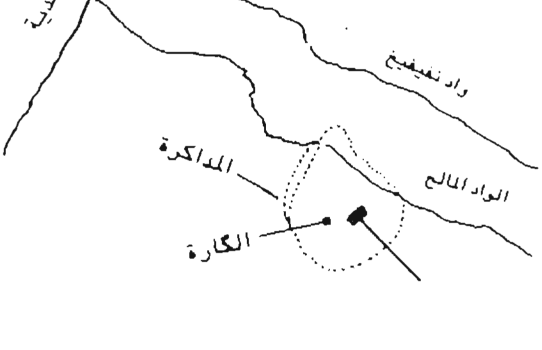
ع. الله الجراري، من *أعلام الفكر المعاصر*. الرباط 1969، ج. 2.

الرغاي، المختار البخاري من الطلبة المهندسين الذين وجههم السلطان مولاي الحسن إلى إيطاليا سنة 1291 / 1874 رفقة عدد من زملائه مثل محمد بناني الفاسي وعبد السلام عبنوس الأوديي وذلك في إطار البعثات الطلابية التي أوفدها السلطان إلى البلدان الأوربية. وقبل أن يتوجه الرغاي لتعلم اللغة الإيطالية وتلقي الدروس الرياضية مكث مع أصحابه في طنجة لتعلم "مبادئ الألسن". وإذا كان ابن زيدان يقول بأن الرغاي مكث خمسة أعوام في إيطاليا فإن محمد المنوني يجعل مدة هذه الإقامة تسعة أعوام. وبعد مقدمه بمدة عينه السلطان في جملة موظفي دار السلاح بفاس فأسند إليه وظيفة سامية إذ كان أحد المسيرين بها. ومن الجدير بالذكر أن دار السلاح افتتحت سنة 1309. وكان الرغاي يعمل تحت إمرة الكولونيل بريكليف الإيطالي الذي سبق للسلطان أن عينه مديرا عاما لهذه الدار.

ع. الرحمان بن زيدان، *الإتحاف*، ج. 2، ص. 466، ص. 498، طبعة سنة 1990 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، الجزء الأول، يناير 1973.

عبد الإله الفاسي

الرفاخة، موقع تاريخي جرت به معارك ضارية لمقاومة الفرنسيين الذين احتلوا الدار البيضاء والشاوية قرب بلدة الگارة عند المجموعة القبلية المسماة المداكرة، بإقليم الشاوية شرقا، لا يبعد إلا قليلا عن الضفة اليسرى للواد المالح الذي يسير نحو مصبه بشواطئ المحمدية.



في إطار اكتساح الشاوية وغزوها بالقوة، تقدمت قوات عسكرية فرنسية في عهد السلطان عبد العزيز نحو الرفاخة التي وصلتها في الصباح الباكر من يوم 29 فبراير 1908، بقيادة ضابطين، كبرگولاي وروسو.

ولم يمض إلا وقت قصير من تلك الصبيحة حتى كان ردّ الفعل عنيفا من جماعات من المقاومين، كل منهم ظل يعمل لحسابه ويسدد طلقاته إلى العدو، فكان على الغزاة يوما عسيراً، فقدوا فيه أكثر من ثلاثين قتيلا وما يزيد عن خمسين جريحاً.

وتوقّف القتال بعد غروب الشمس، وانسحب المقاومون إلى جهات مختلفة ولم تشهد الرفاخة عراكا في ما توالى من الأيام. وظن الجيش الفرنسي أنه هيمن على الموقف.

لكن المقاومة نشطت بعد ذلك بأيام بدءاً من 8 مارس، واستمر العدو في تقييم خسراته وإحصاء قتلاه وجرحاه، الأمر الذي دفع بالجنرالين داماد وموانيي إلى إقامة شبكة من المراكز العسكرية المحصنة بالمنطقة. وعلى مقربة من الرفاخة، قتل الضابط بوشرون، فقرر داماد تغيير اسم الگارة المجاورة باسم "بوشرون" (Boucheron)، كما أقام في عين المكان لوحة تذكارية تحمل أسماء الضباط وبعض الجنود الذين لقوا حتفهم هناك في مختلف المواجهات، إلا أنها أُتلفت بعد أيام. لكن بعدما استتب الأمر لسلطات الحماية، أقامت نصبا من الاسمنت والحجر منقوشة عليه تلك الأسماء، ببلدة الگارة / بوشرون وجعلته يتوسط مدارة بين الطرق فيها، ولم يزل قائما حتى زال الاستعمار.

الشاوية. التاريخ والمجال، منشورات لجنة الشاوية، كلية الآداب بنمسيك، الدار البيضاء، 1997.

Dr. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947, pp. 169 - 173 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939, p. 50 - 51.

أحمد بنجلون

الرفّـــاع، عبد الرحمان مقاوم من مواليد سنة 1918 بحودران ناحية الخميسات. دفعته غيرته الوطنية إلى الانضمام إلى صفوف المقاومة المسلحة حيث قام بعدة عمليات فدائية بالصحراء ببوعنان وبوذنيب والريش وكزامة، ثم الطاووس حيث سجن سنة 1951، وفي أواخر سنة 1954 انتقل إلى الخميسات مواصلا عملياته الجريئة ضد المعمرين حيث كان مسؤولا على فرقة تتكون من 13 فرداً قامت بعدة عمليات فدائية كإحراق مزارع المعمرين والحصول على مسدسات وتفجير القنابل، وإثر مشاركته في أحد الهجومات ألقي عليه القبض حيث تم تقديمه للمحاكمة العسكرية.

توفي يوم 11 شعبان 13/1415 يناير 1995.

المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

الرفاعي، أسرة رباطية أصلها من الأندلس، وأول قادم منهم إلى هذه العدوة الشيخ أحمد الرفاعي الغرناطي، وهو ينحدر من سلسلة تصل إلى سيدي محمد كون جد أشراف بني كولان ذي القبر المشهور بواد زا، يتصل نسبه بالمولى إدريس.

الرفاعي، أحمد بن **محمد** بن محمد المدعو بالقسطالي، من سلالة الشيخ أحمد الرفاعي القادم من الأندلس.

لتلميذه محمد بن التهامي شهادة فيها ذكر لأستاذه الرفاعي ولأبنائه وأشقائه وشجرة نسبه وهي مؤرخة بغرة ربيع الثاني 1243 ومن إمضاء العالم محمد المكي بن عبد الله بناني الرباطي. وقف على هذه الشهادة القاضي صالح الحكمي قائلا بصحة جميع ما تضمنته شهادة العلماء، كان أحمد الرفاعي من العلماء والأدباء. له منظومة في *علم الخط* وشرح عليها ضمنه الإشارة إلى علم الجدول الذي كانت له مهارة فيه أخذه عن أستاذه المعطي مرينو. ومن الذين أخذ عنهم الشيخ الرهوني والقاضي عمر بن العروصي.

كان الرفاعي ذا خط جيد تعلمه على يد عبد السلام سبّاطة الأندلسي وعلى يد ابن عمه وأستاذه مولاي أحمد الرفاعي واستكمل ذلك على يد الشيخ العالم محمد التهامي العلمي الوزاني، وهذا الأخير أخرجه من فاس إلى داره بقبيلة بني ورياجل بمدشر الدردار بوادي ورغة بقصد الكتابة فكتب له كتبا عديدة خلال السنوات الأربع التي مكثها عنده، بعد ذلك انتقل عند الشيخ الكبير علي بن أحمد بن الطيب بن الشريف الوزاني الذي استدعاه إلى زاويته بوزان ليكتب له عدة كتب بدورة وذلك ما أنجزه صاحبنا خلال أربع سنوات أخرى وهي كتب في التصوف والمصحف الكريم. ومن عنده انتقل الرفاعي عند الوزاني المذكور محمد التهامي فأقام عنده مدة بوزان حيث كتب له التعديل، وبقي كذلك إلى أن وقع خطه في يد السلطان مولاي سليمان، فأرسل في طلبه واستخدمه كاتبا فكتب له تفسير الإمام البقاعي وعينه لتعليم أولاده ومنهم الأمير مولاي عمر، كما أقامه والياً على فاس مكان ابن عبد الصادق سنة 1232 لكنه عجز عن القيام بهذه الوظيفة فعزله وولى مكانه الحاج محمد الصفار سنة 1233 فعاد لمرافقة السلطان مولاي سليمان وأولاده ولما اعتلى مولاي عبد الرحمان كرسي الحكم وكان يعرفه ويقدر كبر سنه وعجزه عن الخدمة اتخذه لتأديب ولده مولاي أحمد.

له *منظومة في صناعة الخط* التي اشتهرت في المغرب، وطلب منه أن يجعل لها شرحاً سماه *حلية الكتاب* ومنية *الطلاب* ورتبه على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة، وله أرجوزة، وشعر خاطب به الأديب ابن عمرو.

توفي عام 1256 / 1840.

م. بوجندار، الاغتباط، ص.38 ـ 48 ؛ م. زنيبة، مجالس الانبساط، ص 163 ـ 165.

الرفاعي، الطاهر بن أحمد بن العباس شخصية فذة في عالم الأدب مع أخلاق عالية وتحمس كبير للذود عن مبادئ دينه. وكان ذا حنكة سياسية واطلاع واسع على ما يجري في العالم، كما كان عارفا باللغة الفرنسية التي تعلمها ضمن الرعيل الأول من الشبان الذين درسوها بأول مدرسة فتحت بالرباط وهي ثانوية مولاي يوسف، وكان كفيف البصر إلا أنه من الوطنيين الغيورين ذو فهم وذكاء كبيرين. هو من الأشخاص الثلاثة الذين يعود لهم الفضل في فكرة إنشاء مدارس محمد الخامس بالرباط. توفي في 19 جمادى الأولى عام 1364 / 2 ماي 1945.

ع. الجراري، من *أعلام الفكر*، 2، 310 ـ 313.

عبد الإله الفاسي

الرفاعي، محمد (الحاج -) بن العباس الرباطي، ولد بالرباط حوالي سنة 1304 / 1886. وتشير بعض الكتابات إلى أن عائلته هاجرت إلى المغرب من غرناطة وأنها تنتسب إلى الأدارسة من أهل البيت (*الاغتباط*، 18).

تلقى محمد الرفاعي تعليمه الأولي في الكتاتيب القرآنية، ثم دروسه العلمية في مختلف الحلقات التي يعقدها العلماء، أمثال أبي شعيب الدكالي وأبي حامد البطاوري والجيلاني بن إبراهيم وأحمد جسوس ومحمد العباسي ومحمد الرغاي.



عمل محمد الرفاعي في بدايته كاتبا في المخزن الشريف، وعندما لم يتحمل ظروف المهنة زهد في ذلك وتعاطى للتجارة الحرة، غير أن الحظ لم يساعده في أسواقها فاحترف خطة الشهادة (*أعلام الفكر*، 2 : 125). وقد كان محمد الرفاعي عدلا مبرزاً عُرف بدماثة أخلاقه وطهارة ضميره واستقامته وسيرته الحميدة (العربي المسطاسي، شهادة شفوية).

ترعرع محمد الرفاعي في فترة شائكة من تاريخ المغرب المعاصر حفلت بأحداث كانت لها تأثيرات هامة في اتجاهات الفكرية والسياسية. فقد عاش الصراع بين السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ واستقرار الأول بالرباط وما أثار ذلك من ردود فعل عند الأعيان وعامة الناس. كما ظروف دخول الفرنسيين إلى الرباط وما تلا ذلك من تغيير جذري في الحياة العامة وما أثاره من قلق علماء العدوتين من التعامل مع "الكافر المحتل".

وبتأثير من أخيه الطاهر الرفاعي ثم بصفة خاصة من أستاذه ابن شعيب الدكالي والوطني الكبير أحمد الشرقاوي والشاعر والأديب محمد الجزولي تميز محمد الرفاعي عن كثير من أقرانه من علماء الرباط بدوره الإيجابي ومشاركته في الحياة الاجتماعية والعلمية بالعاصمة. وقد جعله ذلك ينخرط من العمل الوطني منذ انفجار قضية الظهير البربري في 16 ماي 1930 وأصبح أحد الأسماء الوطنية الفاعلة والظاهرة في فئة فقهاء وعلماء مدينة الرباط. مما جعله يكون في مقدمة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944.

وكغيره من الموقعين، تعرض محمد الرفاعي لعنف السلطات الاستعمارية ولاضطهادها، وكما يذكر بعض أفراد عائلته ومعارفه من قدماء الحركة الوطنية. فقد حاولت السلطات الفرنسية الضغط عليه لسحب توقيعه فقال رحمه الله للضابط ولبطانته من الجلادين : "لو وجد السبيل لوقعتُ العريضة بدمي لا بقلمي". وقد كان مع الجيلالي بناني من أكبر الموقعين سنّاً على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

وخلف ستار مهنة العدالة، ساهم الرفاعي في الحياة السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية بمدينة الرباط، وكان ينشر أحيانا بعض أفكاره وآرائه في جريدة *الأطلس* بدون توقيع. وفي أواخر أيامه اضطره الزمن الغادر للتوظيف بدافع الحاجة الملحة فتولى إمامة جامع باريز الذي كان يشرف على معهده ومرافقه وزير التشريفات قدور بن غبريط. إلا أن انحراف صحته وضعف سنه لم يقويا على تحمل أجواء فرنسا وشتائها البارد، فلم يجد بدّاً من العود إلى مسقط رأسه متوعك الصحة وإثر مرض عضال أعيا الأطباء علاجه التحق محمد الرفاعي بربه ليلة الخميس 21 محرم عام 1370 / ثاني نوفمبر 1950، ودُفن بضريح جده أبي العباس الكراري الرفاعي الكولاني الغرناطي بزنقة أبي العباس المتفرعة من السويقة بالرباط.

م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، الرباط، 1987 ؛ ع. الجراري، من *أعلام الفكر المعاصر* : العربي المسطاسي، شهادة شفوية، جلسة بمنزله يوم 27 أبريل 2001 ؛ وثيقة المطالبة بالاستقلال، *تراجم الموقعين*، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 1996.

عثمان بناني

الرفراف، طائر متوسط القد أزرق مخضر اللمعان وجميل المنظر، يسمى في المعاجم مازور ورفراف وفي الشرق العربي صياد السمك وألو الرقص في مصر ومخبط الماء أي خانطه في لبنان وفلسطين وسوريا. يصنف إلى رتبة الجواثم وفصيلة القرليات أو القاوندبات Alcedinidae، يتميز بذنب وقوائم قصيرة وبمنقار طويل جدا. يدعى علميا Alcedo Atthis وبالفرنسية Martin pécheur d'Europe والإنجليزية Kingficher وبالإسبانية Martin pescador وبالإيطالية Martin pescatore.

طائر أسود المنقار طويله، أزرق الظهر والذنب أحمر البطن والصدر، أبيض العنق، عيناه محفوفتان جهة الخلف ببقعة بنية حمراء متبوعة ببقعة بيضاء، لون الجناحين أزرق رمادي، قوائمه بلون المرجان. يبلغ طول الجسم16 ـ17 سم ووزنه 30 ـ 45 غ وتبلغ بسطة الجناحين 25 ـ 28 سم ؛ الإناث شبيهات بالذكور. يعيش منعزلا في أغلب الأحيان أو مزدوجا ويألف ضفاف الأنهار والبحيرات القاربة والساحلية يقتات من أسماكها ويبيض بداخل الجراف والجدران المجاورة لها.

طائر مستقر في المناطق الرطبة المغربية وخاصة منها البحيرات الطبيعية الأطلسية ومصبات الأنهار وضاية سيدي بوغابة وبحيرة مولاي بوسلهام المعروفة بالمرجة الزرقاء ومعظم خزانات مياه السدود المغربية. يعيش أيضا في شمال الجزائر وتونس وفي أوروبا الجنوبية والوسطى وآسيا الغربية، منه عدة مجموعات تشتو على مصب نهر النيل وفي البحيرات المجاورة له.

يتوالد في المغرب منذ مارس إلى غاية شهر غشت. يحفر الزوجان بواسطة المنقار غارا أفقيا وسط جدران عمودية مجاورة لضفاف الأنهار والبحيرات. يبلغ قطر الغار 5 ـ6 سم ويتراوح طوله ما بين 60 و100 سم وينتهي بحفرة كبيرة غير مفروشة يوضع فيها البيض. يتوالد عادة مرتين في السنة وتبيض الإناث4 ـ8 بيضات بيضوية الشكل بيضاء، يبلغ وزنها 4 ـ5 غ ويبلغ طول قطرها 19 ×22.5 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 19 ـ 21 يوما. يعتني الأبوان بالصغار مدة أربعة أسابيع قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا.

يتغذى من الأسماك وأحيانا من الحشرات والقشريات. يأخذ مكانه على أغصان الأشجار أو على الصخور المطلة على البحيرة أو النهر ليترقب الأسماك من بعيد ثم يطير بسرعة فائقة ويغوص عموديا في الماء ليمسك السمكة بين شفتي منقاره ويعود إلى مكانه ليبتلع فريسته بكاملها أو يقدمها لصغاره.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

الرفروفي، عيسى بن سليمان عالم زاهد من أهل قرية تاجنيت بتادلا، قام برحلة علمية واسعة إلى المشرق في أوائل القرن السادس الهجري (12 م) شملت عدة أقطار، أخذ خلالها عن الفقيه الشافعي الشهير أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي (ت. 507) ببغداد، والفقيه المالكي الشهير أبي بكر الطرطوشي (ت. 520) بالإسكندرية وغيرهما. ثم استقر بعد عودته بقريته تاجنيت منفرغا للعلم والعبادة.

وكان من بين أعلام التصوف الأوائل في القرن السادس (12 م) بالمغرب. وانفرد بالحديث عنه ابن الزيات التادلي في *التشوف* وذكر أنه كان "من العلماء الأعلام". ولم يذكر تاريخ وفاته.

ي. ابن الزيات، التشوف، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1984، ص 108

محمد المغراوي

الرفّاس، يحيى قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل وفر إلى أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال ومنها التحق بلشبونة حيث انضمّ إلى حاشية الأمير مولاي الشيخ ابن السلطان المذكور وظل بجانبه إلى أن اعتنق الأمير دين النصارى.

Archivo General de Simancas (España) : San Roman, Fr. Antonio de, *Jornada y muerte del Rey Don Sebastian*, Valladolid 1603 ; J.M. de Queiroz Velloso, *Don Sebastian* (Traduccion Española por Ramon de Garcia sol), Madrid, 1943.

محمد ابن عزوز حكيم

الرفاكي، أسرة ← **الرفاكيون**

الرفّاكي، أحمد بن محمد السوسي. من أهم شيوخه والده المؤرخ الإكراري منه تمكن وأمعن في مختلف العلوم. وزار فاسا ولم يستغرق بها إلا وقتاً وجيزاً.

حاول أن يتبصر في علوم عصرية كالجغرافيا. وواكب إيديولوجيات سائدة في عصره. بل هو ميّال إلى ما يوافق تكوينه وتربيته.

سجن سباباً أسبوعين لكتابته رسالة استنكار ضد قائد قبيلة أكلو. كما كان له فضل كبير إبان الحماية في إدخال أهل المنطقة إلى حرب الاستقلال، مدنيين كانوا أو عسكريين.

وعلى عهد الاستقلال كان رئيس الحزب مكرها بالقبيلة، إذ كان يتحاشى الظهور.

وعلى مستوى الوظائف امتهن التعليم ثم القضاء، وكان من الأوائل الذين عينهم المغفور له محمد الخامس. ودشن عمله بأگلميم ثم التحق بمدينة أگادير "لحسن إدارته" وكان رئيس لجنة الأمانات بعد الزلزال.

وشُهد له بالعدل، ولا يخاف في الله لومة لائم، كما أنه رفض مناصب سامية خوفا من الوقوع في التجاوزات. وحاول أن يقرض الشعر ولم يفلح، وترك موجه وارتطم بموج القضاء الذي أخذ منه كل وقته. واشتهر بسبحات صوفية مُكثراً من زيارة المزارات.

توفي في 27 جمادى الأولى عام 1398 / 5 ماي سنة 1978.

الرفاكي، محمد بن إسماعيل الإگراري، تلقى تعليمه الأولي في إگرار وأيت جرار، وبعد أن أخذ عن عمه المدني التحق بمدرسة إيغلالن لدى شيخها الحاج مسعود الوفقاوي. وفي سنة 1946 التحق بكلية ابن يوسف بمراكش وأخذ بها شهادة الإجازة. وكان من أنجب الطلبة. ومن أهم شيوخه بها : محمد المختار السوسي ابن خالته، وعبد الوهاب الخلفي الدكالي المعروف بالصحراوي. وعبد السلام جبران المسفيوي، والرحالي الفاروقي في البلاغة وعلم الأصول، وآخرون. على يد هؤلاء الأبازل تمكن المترجم من ناصية العلوم خاصة الفقه وعلم الأصول. وقد غادر مراكش مكرها ـ مثل أخيه المذكور أعلاه ـ سنة 1950 لأسباب سياسية.

فقد كان دخوله لحزب الاستقلال مبكراً منذ وصوله إلى مراكش، وكان عضواً مسيراً نشيطاً. وساهم في بناء وتسيير المدرسة الحسنية الحرة بأگادير ومدارس أخرى بجهة سوس إلى جانب أقرانه كالحبيب الفرقاني.

كان هذا النشاط سببا مباشراً في سجنه بسجن العاذر مدة غير قصيرة، وبعده نُفي إلى قريته إگرار وحوصر نشاطه السياسي. وبعد حين تمكن ـ رغم المراقبة ـ من السفر إلى فاس متنكراً بمزاولة مهنة السياقة لدى العائلة الشرقاوية الفاسية.

ومن الوظائف التي زاولها : التعليم غداة الحماية ثم القضاء بعد الاستقلال. إذ أمسى حاكما مفوضا بتيزنيت ثم بأگلميم، وأنيطت به شؤون جيش التحرير لفترة وجيزة (56 ـ 1957).

بعدها احتفظ بمنصب القضاء إلى سنة 1970 حيث تلقى تكوينا مكثفا بمعهد القضاء بسلا عاماً ونيفاً. وكان من العشرة الأوائل، وكان خريتا في القانون الجنائي.

وقد خول له هذا التكوين التدرج في المراتب القضائية، وكان آخرها منصب وكيل الملك. وألقى عصا تسياره بمدن عديدة : اگلميم، تارودانت، گرسيف (بزو)، انزگان وأگادير.

وكان أيضاً شغوفا بالقراءة، لكنه ـ مع الأسف ـ لا يُعير للكتابة أي اهتمام، وكنت ألح عليه في كتابة مذكراته، لكن هيهات.. وكان يتحاشى الحديث عن مساهماته في الحركة الوطنية.

ورث خزانة جزء منها مخطوطات فقهية وكنانيش والده التي هي جديرة بالدراسة لقيمتها التوثيقية. ومن حسن الطالع أنه أضاف إليها كتبا معظمها مطبوعات وموسوعات.

كان محمد بن إسماعيل أرفاك اجتماعيا، تقلب في الحياة بطريفها وتليدها، حسن العاشرة، يألف ويؤلف. وما يعجبه فيه تأصيله للنصوص الفقهية وتحسينها في نفس الآن، مما يجعله على الدوام، مخاطبا طيِّعا لمختلف الفئات العمرية والثقافية. بالمقابل كانت له جرأة لافتة للنظر.

توفي بعد مرض عضال يوم الجمعة 18 شعبان عام 1418 / 19 دجنبر 1997 صباحا، ودفن بمقبرة إحشاش بتالبرجت القديمة بأگادير. وحضر تأبينه شخصيات ذات صيت رسمي وسياسي وعلمي.

الرفاكي، مَحمد بن إسماعيل الإگراري، نشأ وتعلم بقرية إگرار، وبعدها أخذ العلوم الأخرى بتازروالت على يد الشيخ عيسى الجراري، ثم مكث قليلا بمدرسة سيدي بوصحاب برأس الواد عند الشيخ سيدي عبد الله أو الفيض.

وبعد أن أخذ عن عمه المدني التحق بجامع بن يوسف سنة 1947، وبقي بها إلى أن حصل على الشهادة الثانوية. لكن نشاطه في الحركة الوطنية فرض عليه الهروب إلى بلده الأصلي، زمن الأگلاوي الذي كان أعوانه يلاحقون الطلبة الوطنيين.

كانت له مولات في علمي الفقه وعلم التوقيت، وفي الثقافة العامة. بيد أنه لم يمتهن إلا وظيفة التعليم وكانت له طرق تربوية تفرَّد بها في وسط الأگلويين والتزنيتيين.

وحين كان المقاوم عبد العزيز الماسي قائداً بملحقة أگلو فرض عليه قبول منصب مشيخه أگلو.

ولم يحل هذا المنصب من فُقدانه الصيت بين بلدييه، حيث يشهد له معاصروه بحسن التسيير والتدبير والتوفيق بين متطلبات الإدارة ومتطلبات السكان.

غرق في البحر المحيط خلال النصف الثاني من ذي الحجة عام 1385 / أبريل 1966، وقد كانت جنازته خير دليل على صيته، إذ انتظرته وفود كثيرة من قبيلة أگلو ومضاربها أياما بليلها ونهارها، حتى لفظه البحر الذي ابتلعه، وقد كان ـ رحمه الله ـ مولعا بصيد السمك.

الرفاكي، المدني بن أحمد بن محمد الإگسراري، ترجم له محمد المختار السوسي، وذكره عرضا المقاوم الأستاذ عمر الساحلي. نشأ في دار أخيه المؤرخ الإگراري،

وأخذ عنه، ولازمه ولم يتجاوزه حتى تخرج. وكان له نصيب في مختلف العلوم وعلى رأسها الفقه.

وخولت له هذه المكانة المشارطة في مدارس عديدة بماسة وهوارة وتازروالت وشتوكة وغيرها. وكان اصطدامه ببعض الطرقيين سببا في هذه الانتقالات.

وهو من الموقعين لعريضة "استنكار ما يحاك ضد عاهل المغرب المغفور له محمد الخامس بزعامة الأگلاوي". وكانت هذه المبادرة بقيادة مولاي سعيد الرداني. وحين ضبطت اللائحة بطريق تمنار بحاحة، طرد المترجم من وظيفة الشرط بسيدي بيبي على يد الضباط الفرنسيين. من تلامذته أفراد من أسرته ومن أقرانهم، مثل عبد الرحمن أرفاك الشاعر والأديب صاحب الديوان الشعري، والحسين وجاج رئيس جمعية علماء سوس، والحسين بو العاقل التالوستي الجراري؛ أحد شيوخ المدارس العتيقة بسوس.

توفي في ثالث شعبان عام 1392 ـ 13 / 9 / 1972.

الرّفاكيون، يعرفون في الوسط السوسي بارْفَّاكَنْ، مفرده أرفاك. من مهرة تجار القوافل، تناط بهم مهام كثيرة منها : قيادة القافلة والسهر على ضمان ضرورياتها من خفر ومن حمولة ومتاع، وبهم يُهتدى في المفاوز والقفار والمسالك.

كما أنهم خبراء بشؤون البيع والشراء من ربط وعهد أو عقد وتواصل وما إليها.

وقد يبدو أن هذه الوظائف لا نجدها مجتمعة في معظم الرفاكيين إلا لماما، لذلك يحصرها اللغويون عادة في وظائف ثلاث لا غير وهي : الجمّال والمُكري والحادي.

إن وظيفة "ترفاكت" عرفت تطوراً واكب تطور التجارة القافلية بسوس، وواكب تداخلات الأفراد والقبيلة والمخزن.

ولامراء في أن الرفاكي اعتمد على علاقاته العائلية والمصلحية قبل كل شيء. فأثناء تنقلاته يستعين بها في الإيواء والإقامة من كلف المئونة والعلف وغيرهما.

بالمقابل يستفيد من الحماية التي يوفرها له القواد والشيوخ، إذ تتوفر بعض العائلات القيادية، ذات نفوذ تجاري مثل الإيليغيين والتمنارتيين والگلميميين على روزنامة من مراسلات تبودلت بين قيادات سوس وشيوخها يلحون فيها على شد عضد بعض التجار بتوفير الخفر لهم وإيوائهم. وقد لامسنا كثرة تداولها في الجهات التي لا تنالها أحكام المخزن عادة. إضافة إلى استعانتهم برؤساء الزوايا لما يتمتعون به من أردية التوقير من المخزن والسكان على السواء.

ولا شك أن المخزن المغربي اهتم بضبط أمن المسالك التجارية من خلال التكثير من "النزايل" لا ستخلاص الرسوم على البضائع التجارية. وتخترق "الطريق السلطاني أو المخزني" التي يطلق عليها محليا "تبريدا المخزن". ويفيد الشيوخ أن عرضها أربعون ذراعا، احتفظ على معالمها إلى عهود متأخرة، بينما الآن ـ مع الأسف ـ امحى أثرها وغزاها الحراثون والملاكون.

ويبدو أن وجود المخزن الفعلي اعتراه وهن في مناطق السوس الأقصى، لذلك ـ حسب ما ترفر لدينا من معلومات ـ ركز وجوده ببعض الحواضر والقبائل الكبرى : تارودانت، أگادير ومضاربها : گسيمة ومسگينة، اشتوكة، هوارة..

بيد أن هذه السياسة تغيّرت تدريجيا أثناء حركتي المولى الحسن 1882 و1886، إذ أمسى وجود الأجهزة المخزنية أكثر فعالية من ذي قبل. لكنها لم تصل إلى المستوى المطلوب لمواجهة كل التهديدات الأجنبية بالجنوب.

فقد لاحظنا التكثير من دور المراقبة في المنافذ معتمدة على التزود بالمواد البشرية / العسكرية والمؤن من الإدالات السوسية بمراكز : تارودانت وتزنيت ـ بعد سنة 1303 هـ ـ وأيت باعمران واشتوكة، مع التركيز على موارد الصويرة وحاحة التي هي عصب التموين على الدوام.

من خلال هذه التحولات غدت مصالح عائلات تجارية مرتبطة أشد الارتباط بالوجود المخزني مثل عائلات إليغ وآل بيروك وآل تمنارت وعائلات رودانية واشتوكية وغيرها. بل إننا لا مسنا لأول مرة ـ حسب اعتقادنا ـ استفادة بعض الأسر من "ظهير الرفاكة" الذي تجاوز الطابع العام الذي يخوله ظهير التوقير والاحترام.

فأثناء نزول المولى الحسن بمكان أمْزّوْرْ بقرية إگرار قبيلة أگلو، منح الأسرة الإگرارية ظهير الرفاكة.

وغني عن التذكير أن المحلة السلطانية سنة1299 / 1882 نزلت بالمكان المذكور سبعة أيام، وزّع خلالها السلطان ظهائر التوقير والتولية لفائدة رجالات السوس الأقصى. ولم يكن والد المؤرخ الإگراري المشهور، صاحب روضة الأفنان، من المحظوظين، بينما ابنه استفاد مثل أقرانه من العلماء، إذ لم يكن حظ والده من العلم إلا قليلا. لذلك أشار ـ والعهدة على الرواية المحلية ـ على السلطان بظهير الرفاكة.

وقد افتقدنا ـ مع الأسف ـ النص الأصلي لهذا الظهير، وثمة ثقاة من أبناء المؤرخ يؤكدون أن أهمية الظهير تكمن في إعفاء حامله من الرسوم إعفاء تاماً. بل حتى من يرافقه في الظهير عبارة "ومن معه". وفضلا عن ذلك يناط إيواؤه ـ أو إيواء مرافقيه ـ بالقبائل التي يمر بترابها.

ويبدو أن الأسرة استفادت من ربط علاقات تجارية وحميمية مع مثيلاتها بأيت باعمران وبتزنيت ومضاربها وانتهاء بالصويرة. بينما علاقاتها مع "التجارة الصحراوية" لم تذكرها الرواية بالمرة. وغني عن البيان أن هذه التجارة الأخيرة اعتراها وهن نتيجة تضرر التجارة السودانية من الاحتلال الفرنسي لمجالها.

بالمقابل أمسى إشعاع السلطة المخزنية بالجنوب المغربي في تناقص مستمر بعد زمن الگلولي والباشا حم، حيث

دخلت القبائل السوسية في اضطرابات كان لها وقع سيء على التجارة.

وقد لفت انتباهنا وثيقة مؤرخة بـ 23 رمضان 1322 / فاتح دجنبر 1904، من توقيع المدعو الحاج علي الذي لا نعرف عنه أي شيء. ومن مقاصدها تنظيم دخول الرفاكيين والمسافرين إلى قصبة تزنيت.

وتشير هذه الوثيقة إلى ما يتعرض له هؤلاء من نهب وسرقة مما يطرح إشكالية الأمن أثناء ضعف الوجود المخزني زمن المزميري. بل إنهم يتعرضون لشطط على يد بعض الشيوخ والعرفاء المحليين "إنفلاس". ولدرء هذه الاعتلالات فُرض على الرفاكيين النزول بفندق منصوب داخل سوق الخميس بالمدينة، مدعم بمحلة مخزنية تحميهم من كل آفة.

إلا أن هذه الاجراءات - على ما يبدو - لن تكون لها فعالية نتيجة ضعف المركز منذ وفاة الوزير أحمد بن موسى، كما أن الظهائر المخزنية فقدت هيبتها ومفعولها. لذلك لا غرو أن الرفاكيين اعتمدوا من جديد على أرصدتهم المالية والمعنوية والعصبية.

ومع دخول الحماية الفرنسية تغيّرت البنى التقليدية المعتمدة من ذي قبل، وتغيّر أسُّ التجارة، وفقد معظمهم مراكزهم، واحتفظ جزء يسير منهم بوظيفتهم بعد تغيُّر الخطى واندماجهم في الوضع الجديد.

رواية شفوية لثقاة على رأسهم العم العربي أرفاك، والوالد عبد الرحمن ؛ م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، الرباط، 1990، الجزء الأول، ص. 255 و716 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 13، خلال جزولة ومصادرة الأخرى ؛ م. بن أحمد الإكراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش، طبعة1998، *كناشة الإكراري* ؛ إ. بن أحمد الإكراري، *كناشاته* ؛ ع. الساحلي المتوكل، *المعهد الإسلامي بتارودانت*، الدار البيضاء، 1990 ؛ مقال بجريدة "المنظمة" ع 178 بتاريخ 29 شعبان، 1418 موافق24 دجنبر 1997، (حول الوطني محمد بن إسماعيل أرفاك)، مقالاتنا المختلفة حول تاريخ سوس.

شفيق أرفاك

رفوال بول Révoil Paul موظف من موظفي السلك الديبلوماسي الفرنسي قام بالأدوار الطلائعية في حبك شبكة النفوذ الاستعماري الفرنسي على المغرب في السنوات الأولى من القرن العشرين. وكان من واضعي الخطة المعروفة بخطة "التسرب السلمي" (La pénétration pacifique)، حسبما قال أوجين أوبان Eugène Aubin صاحب كتاب *مغرب اليوم* الصادر سنة 1904، وذلك للتلبيس على "البلهاء الاشتراكيين" في البرلمان الفرنسي وإخفاء الزحف الاستعماري من جهة الجزائر المبنيَ عي "الباسفكاسيون المتسرب" (La pacification pénétrante) على حد قوله.

وُلد رفوال بول يوم 23 مايو 1856، واشتغل بالمحاماة في محاكم باريز بعد الحصول على الإجازة في الحقوق. ثم إنه التحق بديوان نائب كاتب الدولة في البحرية والمستعمرات، فاطلع لأول مرة على قضايا التوسع الاستعماري وذلك سنة 1886. وتضلع فيها حتى صار الكاتب العام للمجلس الأعلى للمستعمرات. ثم إنه انتقل إلى ديوان وزير الفلاحة فيما بين 1890 و1893. مما يفيد اتساع خبرته وشبكة ارتباطاته السياسية التي ألحقته بوزارة الخارجية، حيث عين قنصلا عاما على غير سبل السلم التقليدي في التعيينات. وفي سنة 1895، انتقل إلى رتبة الوزير المفوض ليكون نائب المقيم العام الفرنسي في تونس. فتعززت خبرته الاستعمارية بالعمل الميداني في إفريقيا الشمالية. ولذلك أسندت له رئاسة المفوضية الفرنسية في المغرب بطنجة في *فبراير* 1900 خلفا لدي مونبيل (De Monbel). وقد اختاره لهذا المنصب وزير الخارجية ديلكاسي الذي جعل نصب عينيه، منذ تربعه على كرسي الوزارة سنة 1899، إلحاق المغرب بباقي المغرب العربي المحتل بكل ما يسنح من الوسائل. وكانت أول خطوة في هذا الاتجاه، احتلال واحات تدكلت يوم 28 دجنبر 1899 والشروع في ضم ما يتصل بها من واحات توات وكورارة إلى الجزائر المستعمرة. وكان من مهام رفوال في طنجة ممارسة شتى وجوه الضغط الديبلوماسي على المسؤولين المغاربة ليسكتوا عن ذلك الغزو الصارخ وليكرّسوه ويستسيغوه تحت أنظار المغاربة وتحت أنظار الرأي العام الدولي. وذلك ما انكب رفوال على السعي فيه وإخراجه إلى حيز النفوذ، علما بأن الوزير الحاجب أحمد بن موسى (الملقب بـا احماد) توفي فجأة في ماي 1900. وأصبح المغرب بعد وفاته عرضة لتنافس الوزراء على السلطة، مع عجز السلطان الشاب المولى عبد العزيز عن القبض بناصيتهم والتحكم فيما صار يدخل الجهاز المخزني من الاضطراب. فوقع تحت تأثير بعض حاشيته من الضباط الانجليز الذين نصحوا له بفتح باب الإصلاح بدون حيطة ولاحذر، مما تتبع رفوال كل تفاصيله عن كثب وظل يرفع به التقارير للوزير ديلكاسي. من ذلك ما كتب له به بتاريخ 4 فبراير 1901، مشيرا انتباهه إلى ما أصبح لممثلي إنجلترا وألمانية من النفوذ لدى المولى عبد العزيز، ومنذرا باحتمال انفجار أزمة سياسية في المغرب من شأنها في قوله : "أن تهز أركان الامبراطورية برمتها وأن تفتح بغتة المسألة المغربية". ثم أضاف متسائلا : "أليس في ذلك ما يحملنا على التشاؤم أكثر مما يحملنا على التفاؤل ؟ ذلك بأننا كنا نسعى إلى حد الآن في أن نظل متمكنين من اختيار اللحظة التي تطرح فيها هذه المسألة على بساط الدرس، متمكنين من شروط التفاوض بشأنها ومن كيفية حلها. فلا ينبغي أن يعزب عن أذهاننا أن اقتحامنا لتوات قد زاد بشكل ملموس في إنضاج المسألة المغربية. وما كان احتلالنا لتلك الواحات [...] إلا ليزرع بذور القلق في المخزن ويثير انتباه الحكومات الأوربية، وذلك بما دخل من التغيير على ما كان التوازن السياسي

في المغرب قائما عليه من قبل [...] فنحن اليوم تحت مزيد من المراقبة مما أصبح يخشى من جانبنا، ومهددون من جهتين، فإما أن نزيد في حدة القلق إذا نحن دأبنا على تعزيز تسربنا، وإما أن نتقهقر عن المواقع المكتسبة إذا نحن التزمنا السكون إفراطا في الحذر". ويبدو أن هذا التقرير كان له أبلغ الأثر على ديلكاسي. وأنه هو الذي حمله على فتح باب التفاهم مع انجلترا بخصوص المغرب. كما نؤكد ما قاله أوجين أوبان من أن رفوال هو صانع شعار "التسرب السلمي"، فهو الذي وكل له أمر بلورته في عين المكان. وكان ذلك يقتضي أول ما يقتضي. إضفاء صبغة المشروعية المغربية والدولية على انتزاع واحات توات وقطعها عن كل ما كان يتصل بها من أقاليم الجنوب الشرقي المغربي. وذلك بحمل المخزن على إمضاء وثيقتين مجحفتين. أولهما وقعه وزير الخارجية المغربي عبد الكريم ابن سليمان يوم 20 يوليوز 1901 في باريز لدى سفارته إلى فرنسا. والثاني وقعه نائبه محمد (فتحا) الجباص (بعقد الجيم) في الجزائر يوم 20 أبريل 1902. والوفقان كلاهما من حبك رفوال ومن صياغته. ذلك بأنه هو الذي تفاوض مع عبد الكريم ابن سليمان بشأن الوفق الأول. فقد كان في رفقته لدى سفارته إلى باريز، ليس بصفة كونه وزير فرنسا المفوض في طنجة، ولكن بصفة الوالي العام على الجزائر بعد أن وقع الاختيار عليه لذلك المنصب في شهر أبريل 1901 ليجمع بيديه كل وسائل الضغط على المغرب وليحول "التسرب السلمي" إلى "باسفيكاسيون عسكرية". وكان وفق يوليوز 1901 ستارا ديبلوماسيا لذلك بما تقرر في بنوده التسعة من اعتراف المخزن الضمني بإلحاق واحات الجنوب الشرقي المغربي بالجزائر المستعمرة، وعن التذرع ببدأ حربة الجمعة لقبائل ذوي منيع وأولاد جرير لطمس قضية الحدود بين الإيالتين وحمل السلطات الفرنسية تضم إلى واحات توات كل الأقاليم المغربية المؤدية إليها عبر بشار والقنادسة ووادي الساورة. وكان على رفوال، وقد أصبح واليا عاما على الجزائر أن يجعل من هذه الاتفاقية التي أقيمت في الظاهر على مبدأ تعاون الجانبين من أجل تسكين قبائل الحدود، إلى وسيلة لإثبات تفوق الجانب الفرنسي المتغلب على الجانب المغربي المغلوب. وذلك ما جاءت اتفاقية أبريل 1902 الموقعة في الجزائر بين محمد الجباص الآنف الذكر والجنرال كوشمير Cauchemez بكل جزئياته المجحفة. وكان هذا الجنرال، وهو قائد الجيوش الفرنسية المرابطة على التخوم الجزائرية المغربية، إنما يعمل بأمر رفوال وبإرشاداته. وقد انتهز رفوال الفرصة ليستقطب الوزيرين المغربيين المذكورين لمصالح فرنسا، ساعده على ذلك الترجمان قدور ابن غبريط الذي جعله رفوال من يوم تعرف عليه في مفوضية فرنسا سن الرمح في خطة "التسرب السلمي". كما يعتبر رفوال ممن كان له يد في إذكاء فتنة بوحمارة الذي كان معروفا لدى السلطات الفرنسية في الجزائر، حيث قضى فيها سنينا من الوقت يتمرس على أعمال التدليس والشعوذة. وقد انطلقت ثورته في أكتوبر 1901 يوم كان رفوال صاحب الحل والعقد في الجزائر. وكان في حاشية هذا الفتان الدعو دلبرل Delbrel وهو من الجواسيس الفرنسيين المتسربين من الجزائر. ومما يذكر أيضا من مناورات رفوال، أنه عاد إلى طنجة في شتنبر 1902 في زيارة عابرة ليلتقي بخلفه في المفوضية الفرنسية سان - ريني طاياندييه Saint-René Taillandier وبول كامبون Paul Cambon سفير فرنسا في لندن الذي كان من دعاة التفاهم مع انجلترا ومن صناع الوفق الودي بينها وبين فرنسا.

على أن قدم رفوال سرعان ما زلت به في الولاية العامة على الجزائر، ذلك بأنه ساير المعمرين المتطرفين في أقصى مطالبهم. فأحدث محاكم استثنائية خاصة بالجزائريين تفصل فيما يرتكبون من الجنح بما يطيب للقضاة المعينين من الأحكام، ولا سبيل فيها للاستئناف. فثارت ثائرة أنصار الفكر الحر في البرلمان الفرنسي. وألزمت الحكومة بعزل رفوال عن منصبه. فعاد إلى وزارة الخارجية في باريس مكلفا بمهمة. ولم يعد اسمه يذكر إلا بعد استقالة الوزير دلكاسي نزولا عند ضغط الحكومة الألمانية في يونيو 1905، ذلك بأن خلفه على كرسي الوزارة كان هو رئيس الحكومة بول روفيه Paul Rouvier الذي كان عديم الخبرة بالمسألة المغربية وله ميل شديد إلى التفاهم مع ألمانيا. فوجد في رفوال خير من يساعده في كلا الأمرين. فإن خبرة رفوال بشؤون المغرب وبرجالاته كانت من الدرجة الأولى. وكان من جهة أخرى معروفا بعدم مسايرته لما كان دلكاسي يكنه من العداء لألمانيا، فإنه قال عنه ذات مرة : "المصيبة هو أن دلكاسي نافر كل النفور من التباحث مع ألمانيا. لأن الألمان على حد قوله مطبوعون على المكر". وكان ديلكاسي من الجيل الذي عاش الهزيمة الفرنسية أمام الجيوش الروسية سنة 1870 ولم يكن لينساها. بينما ينتمي رفوال وريفيو وأصرابهما إلى الجيل الذي نشأ بعد الهزيمة فكانوا ينظرون إلى الألمان في المغرب على أنهم شركاء، أكثر مما هم منافسون. وعلى هذا الأساس ألحق رفوال برئاسة الحكومة ليقوم بالأدوار الطلائعية فيما جرى من المباحثات بين بول روفيه ورادلين Radolin سفير ألمانيا في باريس. وقد أسفرت تلك المباحثات يوم 8 يوليوز 1905 عن تبادل رسالتين بين الجانبين تثبتان اتفاقهما على عقد مؤتمر دولي لفك المسألة المغربية، وترسمان الخطوط العريضة لعقده، منها سيادة السلطان ووحدة تراب المغرب والمساواة بين الدول في استغلال السوق المغربية ومصالح فرنسا وإسبانيا الخاصة الناجمة عن الجوار. كما أسفرت يوم 28 شتنبر من نفس السنة على وفق يحدد برنامج المؤتمر ومكان انعقاده. وبذلك صارت خطوط المناورة الاستعمارية الكبرى ضدا على المغرب كلها بيد رفوال الذي تقرر إسناد رئاسة الوفد الفرنسي إليه في الخزيرات. ولذلك عين سفيرا في سويسرا

مراعاة للرتب والتشريفات. وجاء إلى الخزيرات على رأس أكبر وفد، يساعده أوجين رينيو، بصفة كونه المندوب العام لصندوق الدين الدولي. وقد نشرت يوميات رفوال عن المؤتمر، ويستفاد منها على ما يعتريها من الاقتضاب، كيف استطاع أن يحول المؤتمر من أداة دعا سلطان المغرب لعقدها لجعل حد للزحف الاستعماري الفرنسي في المغرب إلى أداة تفتح أبواب التسرب الأجنبي في البلاد على مصاريعها. وشهد الجميع بما بذل رفوال من وجوه المخاتلة والمكايسة حيال الوفد الألماني والوفد المغربي لتعزيز أدوات النفوذ الفرنسي في المغرب. وكان من جزائه أنه عين سفير لفرنسا في مدريد في يناير 1907. لكنه ما لبث أن تخلى عن الوظيفة الديبلوماسية ليدخل سلك الأبناك فإنه أنهى مساره الوظيفي في البنك الفرنسي العثماني بما يقترن في ذلك من الرواتب المعتبرة.

Annuaire diplomatique français, 1907 ; P. Révoil, *Journal tenu pendant la Conférence d'Algésiras, 12 janvier - 9 avril 1906*, Paris, 1939 ; P. L. Rivière *Traités, Codes et Lois du Maroc*, T. I, Paris, 1924 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967 ; C.R. Ageron, *Histoire de l'Algérie contemporaine, 1871 - 1954*, Paris, 1979.

ابراهيم بوطالب

الرفود (أعراف) منظومة من الأحكام العرفية التي كانت تنظم علاقات بعض القبائل المغربية فيما بينها. وهذا المصطلح الذي كان مستعملا خاصة في قبائل زعير والقبائل المجاورة لها كزمور والشاوية وبني حسن وأعراب الرباط. ووجدنا مدينتي الرباط وسلا تلتجئان إليه كذلك لتنظيم علاقاتهما مع القبائل المجاورة. فما هي أصول الرفود ؟ وما هي أحكامه ؟

من حيث الأصل اللغوي، نجد في مادة الرفود رَفَدَه يَرْفِده رَفْداً أي أعطاه، وأرفده أعانه. والمرافدة : المعاونة ؛ ترافدوا : أعان بعضهم بعضاً.

والرفود عرفا، يعني تبادل التحملات والالتزامات من أجل حفظ الأمن وسيادة الهناء بين طرفين، ولا بد من وجود متحملين أي ملتزمين وضامنين للأطراف المتنازعة أي لإخوانهم إذا تعلق الأمر بقبيلة أو فرقة أو دوار. أما سكان المدينة فالغالب أن يكون المتحمل بهم هو الحاكم. وكان يطلق على هؤلاء المتحملين اسم : الرفَادة مفردهم رَفَّاد.

والملاحظ أن الرفادة كانوا في كثير من الأحيان من بين قواد المخزن المعيَّنين بظهائر سلطانية. وقد يتولى الرفادة شيخ أو واحد من الأعيان مسموعي الكلمة وذوي النفوذ في قبائلهم وكان السلطان كثيرا ما يفضل أن يكون الرفَّاد الفوقي، أي المتحمل الأعلى والضامن لإخوانه، هو القائد المخزني. على هذا الأساس، فالترافد يعني التعاون على حفظ الأمن ودوام الصلح بين القبائل.

وبما أن الرفاد كان يتحمل بتعويض الضرر الذي تسبب فيه إخوانه أو محكوموه، وفي الوقت نفسه يضمن إنصافهم وأخذ حقوقهم إذا ما تعرضوا لضرر، من الطرف الذي خرق الرفود ؛ فيكون العطاء وارداً في هذه الحالة مثلما ورد في المعنى اللغوي. وقد يتعدى المعنى الاصطلاحي للرفود كممارسة عرفية إلى معاني أخرى، حسب الحالات التي تستدعي اللجوء إلى عرف الرفود.

ومن خلال المستندات الرسمية والمصالحات بين القبائل أمكننا تمييز عدة حالات يدخل فيها مصطلح الرفود.

- فهناك الرفود من أجل حفظ الأمن، أي حالة تبادل التحملات والالتزامات، لاستتباب الأمن بين المترافدين. وتهم هذه الحالة خاصة تأمين السبل.

- وهناك حالة الرفود بين المدينة والبادية، وهي تعني إحلال الانفراج محل التوتر لتشجيع التبادل التجاري والتواصل الإنساني.

- وهناك حالة اللجوء إلى الرفود من أجل مواجهة الأخطار الخارجية. وهذه الحالة الأخيرة كانت تفرز أحلافا مقدسة لمواجهة خطر خارجي أو عدو مشترك. وفي هذه الحالة الأخيرة نجد أنفسنا أمام الأحلاف القبلية المعروفة باللُّفُوفْ (جمع لَفّ)، وهي أحلاف كانت تجمع عدة قبائل تُكوِّن ما يشبه الاتحادية في مواجهة اتحادية قبلية أخرى، كلَفّ أيت عطا مثلا الذي كان يواجه لَفّ أيت يافلمان.

لكنّ خصوصية الرفود تكمن في أن أحلافه تخضع للمكان وللزمان. بمعنى أن أحلاف الرفود لا تتعدى مدة سنة قابلة للتجديد كما سنرى.

وهكذا، نلاحظ مثلا أن مسألة حفظ أمن السبل أي تأمين المارة والمسافرين والقوافل التجارية، كانت من الأمور التي يهتم بها المخزن اهتماماً متزايداً. وقد زاد هذا الاهتمام خلال القرن الثالث عشر (19 م) مع تزايد التدخل الأجنبي وتوظيف رؤوس أموال أجنبية في التجارة الداخلية، وما صاحب ذلك من اضطراب في أمن الطرق. فكان السلاطين، نتيجة ذلك، يشجعون القبائل فيما بينها أو بينها وبين المدن على اللجوء إلى الرفود لأجل حفظ الأمن، وتأمين الطريق. وقد نالت الطريق الرابطة بين الرباط والدار البيضاء اهتماما خاصا في أواخر القرن الماضي.

ففي سنة 1891 مثلا، نجد السلطان يأمر بالترافد بين أعراب الرباط وزعير وسكان مدينة الرباط والأوداية، حيث اجتمع قواد القبائل المعنية وأعيانها وترافدوا بحضرة السلطان، بحيث تحمل كل واحد "بدرك ما عسى أن يصدر من أحد من الكل بالطريق والخيام وألزمه لنفسه الالتزام التام على قاعدة القبائل وعرفهم في ترافدهم..." وأمضى السلطان أي وافق على ما جرى وأوجب العمل بمقتضاه. وهدد من خالفه بدفع الذعيرة المقدرة زيادة على عقاب السلطان.

وفي حالة ترافد المدينة مع البادية، كان الرفاد يقوم أحياناً بعمل الزطاطة. وفي هذه الحالة، يجب على من يريد

الخروج من المدينة إلى البادية، لقضاء مصالحه كالتاجر الذي يسوق قافلة أو الكواشة الذين يريدون صنع (الفحم) ؛ أن يدفع أجرة الرفاد الذي يتحول إلى زطّاط يمنحه حمايته أو يدفع إليه علامته المعروف بها. ولهذا كان الزطاط يعرف بالكاسي وكأنه ألبس من يحميه كسا».

وهكذا فهناك فرق دقيق بين الرفود الذي يعني التزامات معنوية في الغالب، والزطاطة التي تعني تقديم خدمة مؤقتة مقابل أجر متفق عليه.

وقد يعني الرفود في بعض الحالات التعبئة لمواجهة خطر محتمل أو عدو مشترك كما لاحظنا في الحالة الثالثة.

فنجد مثلا أن عددا من القبائل تترافد فيما بينها بهدف الهجوم على غيرها. فهي تلجأ إلى تأمين مؤخرتها وتلتزم الدخول في حلف هجومي أو دفاعي موجه ضد طرف ثالث.

كما حدث في حالة مواجهة الاحتلال الأجنبي للمغرب سنة 1907 لجوء قبائل الشاوية إلى إعلان الترافد والتضامن فيما بينهما لمواجهة التدخل الفرنسي بالدار البيضاء. وفي هذه الحالة يجد المرء نفسه أمام حلف مقدس، يضم مجموعة من القبائل لجأت إلى عرف الرفود لتأمين السبل وتوفير الأمن وتوجيه الطاقات وجهة واحدة هي مواجهة الغزاة، والدفاع عن البلاد والوطن عامة.

وعلى كل حال، فعُرف الرفود لا يتعلق بممارسة عرفية تختص بها القبائل الضاربة في الهوامش والبعيدة عن الحاضرة أو عن سلطة المركز فحسب ؛ بل يتعلق الأمر بمنظومة من الإجراءات المتعارف عليها كانت تشترك فيها المدينة والبادية حتى ولو كانت تلك المدينة مما اشتهرت بحمايتها للشرع ومحافظتها على التقاليد الإسلامية مثل مدينتي سلا والرباط.

وثائق خ. ح. الخاصة بعهد مولاي الحسن 1870 .1894 : ومولاي عبد العزيز1894 .1907 : علال الخديمي، *عرف الرفود وحماية الأمن بنواحي الرباط وسلا خلال القرن التاسع عشر.* ضمن كتاب *التاريخ وأدب النوازل*، دراسات مهداة للفقيد محمد زنيبر، نشر كلية الآداب بالرباط، 1995.

علال الخديمي

الرفيسة، نوع من الطعام الدسم يصنع من قطع الرغيف المطبوخة في اللبن والزبد بمقادير معينة، ويكثر تناول الرفيسة في البادية المغربية أثناء فصل الربيع.

وتُعدُّ الرفيسة في مناطق الشاوية دكالة وعبدة بفطائر رقيقة من الدقيق الخالص تُهيّأ خصيصا لهذه الطبخة يقال له "مسمّن" ويقطع قطعاً صغيرة ثم يسقى بمرق به لحم أو دجاج في الغالب. وعند بعض الأسر بالحوز من قبائل زمران يُعدّون هذه الوصفة يوم عيد الأضحى بقطع معلومة من لحم الأضحية لأن الثريد بمنطقة الحوز كان دائماً يعد باللحم ويوضع بقصعة من طين أو خشب فيستدعى الناس لأكلها بالبت أو ترسل إلى الجيران أو المعارف فيجتمع عليها الأهل والأولاد في شكل حلقة (*التشوف*، 290).

ويُعد أهل فاس الرفيسة من السميد الرقيق على شكل رغايف تُطهى في الفرن ثم تفتت وتطبخ بالعسل المحلول في الماء مع الزعفران. ينثر عليها بعد الطهي اللوز المفروم وتزين بالسكر والقرفة والسنبل ويجعل في وسطها حفرة تملأ بسمن أو زبد طري تغمس فيه اللقمة قبل أكلها (كتاب الطبيخ، 193).

بالإضافة إلى الرفيسة أو تارفيست، هناك أسماس الذي يعده المصامدة سكان مناطق الأطلس الكبير الغربي، ويقطع ويسقى بمرق به لحم كتف الغنم (*أخبار المهدي*، 33) وتاربوصت (*إثمد العينين*، 180 : 1) التي تعني بالأمازيغية خلط الخبز بالحليب أو اللبن.

البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط1971 ؛ ابن الزيات، *التشوف*، الدار البيضاء،1984 : ابن تجلات، *إثمد العينين*، الرباط، 1986 ؛ مجهول، *كتاب الطبيخ*، مدريد،1982 ؛ ابن رزين التجيبي، *فضالة الخوان في طيبات الطعام*، الرباط، 1971.

عبد الرزاق ازريكم

الرقائق، طحالب ساحلية تعيش في منطقة المد والجزر أو في أعماق جد منخفضة. وككل الطحالب وخلافا للنباتات القارية فليس لها أوراقا ولا ساقا ولا جذورا تمتص عن طريقها المواد الغذائية والأملاح المعدنية الموجودة في الرمال والأوحال لتحولها بعد ذلك إلى مواد عضوية بل كل ما تحتاجه الطحالب من الوسط الذي تعيش فيه هو نقطة على دعامة تلتصق فيها. أما المواد اللازمة لنموها وتطورها فتمتصها مباشرة من الماء.



الرقائق

وكما يدل اسمها على ذلك، فهاته الطحالب هي على شكل رقائق قد يتعدى طولها الخمسة أمتار وهي حسب الأنواع يمكن أن تعيش أكثر من عشر سنوات في أعماق منخفضة كمنطقة المد والجزر خاصة في مياه تكثر فيها الأمواج حيث إن هاته الطحالب لا تستطيع العيش في المياه الراكدة نسبيا والتي قد ينشأ فيها تلوث ما وبذلك فهي طحالب تدل على المياه الصافية.

تعتمد الرقائق في توالدها على جيلين اثنين وهما الجيل الطوربوغي (Sporphytes) تخرج منها بذورا (البوغ) تعطي مباشرة رقائق أخرى بعد إنباتها. أما الجيل الثاني فهو

الطورمشيجي (Gametophytes) على شكل خيوط نباتية قد تكون ذكرية أو أنثوية تُخصِّب أولاها ثانيها لتعطي رقائق جديدة.

تستغل الرقائق في العديد من بلدان العالم خاصة في آسيا ويُستخرج منها العديد من المواد الأولية المستعملة عادة في ميادين عديدة خاصة في الصناعات الغذائية والصيدلية إلا أنه في المغرب فإن الاهتمام بهذا المجال، أي الطحالب، مُنصب أساسا على بعض الأنواع من الطحالب الحمراء (Rhodophycées) خاصة النوع Gelidium sesquipedale وذلك رغم طول السواحل الوطنية التي تناهز 3.500 كلمترا، ورغم شساعة المجال البحري الذي يتعدى مساحة المغرب كله ورغم كذلك كثرة أنواعها التي تتعدى 500 نوعا.

Riadi H., *Etude nationale sur la biodiversité - Flore marine*, PNUE / Min - Envi., 1997 ; Gayral P., *Les algues de la côte atlantique marocaine*, Nature au Maroc II, 523 p. 1958 ; Auteurs nombreux, *Les algues marines et leur utilisation*, PENN AR BED n° 37.

محمد سبري

الرقص، هو مجموعة متناسقة للحركات الجسدية في تسلسل معلوم يوافق في الغالب متتالية إيقاعية، وهو كذلك تعبير إنساني آلته الجسد إذ يستجيب لإيقاع الموسيقى بحركات إرادية وأخرى غير إرادية.

وتختلف الرقصات عن بعضها في طبيعة إشاراتها ورموزها أولا، وسرعة أدائها وتطور مساراتها الايقاعية ثانيا، ثم تنسيقاتها الفردية والجماعية، والرقص هنا ليس مجرد شكل فني مستقل بذاته، غايته الإنجاز الجسدي لإيقاع الموسيقى، بل هو كذلك تواصل وتعبير واكتمال لتفتح الشخصية داخل محيطها الاجتماعي.

بالمغرب أغلب الرقصات تؤدى بصفة جماعية إذ ترتبط بممارسة القبيلة أو الطائفة، وتمثل عبر مختلف مظاهرها وضروبها تعبيراً حيا عن روح الجماعة، وهذا لا ينفي وجود مظاهر فردية متفرقة تبرز معالمها في رقصات الفتيات في الأعراس والمناسبات العائلية.

تتعدد الرقصات الجماعية بتعدد القبائل، ويشكل هذا التعدد حاجزاً أمام فهم كامل وتركيبي، ومع ذلك يمكننا أن نحصر الأمر في عدد محدود من الرقصات باعتمادنا على نماذجها العامة فقط وتجريد هذه النماذج من المتغيرات الجهوية الكثيرة التي تمس كل نمط فتعدد صيغة وتنوع أساليب إنجازه وأدائه.

ويقتضي بنا التصنيف الأولي إلى اعتماد الفئات الآتية :

- الرقصات الجماعية الكبرى كأحيدوس وأحواش
- الرقصات الحربية كتاسكيوين والعلاوي والنهاري والهيت
- الرقصات الحوارية كتيسينت وهوارة
- الرقصات الصوفية كتلك المعتمدة لدى عيساوة وحمادشة

في بعض هذه الأنماط، يمكن أن يتحد الرقص تماما مع الشعر الشعبي المرسل إلقاء، أو المغنى إنشاداً وترنيما، وأن تستنجد الرقصة الجماعية بخدمات شاعر يجيد الإرتجال ويتدخل في وقفات الرقصة ومواقف الجمل الموسيقية، ويتوفر هذا الشاعر عادة على فراسة جيدة وملكة في تقدير المواقف واستدعاء معانيها ؛ وقد تنتظم بمناسبة الرقص وحوله مبارزات شعرية.

والرقصة كذلك ليست فقط مجموعة حركات ترتبط بالشعر والإيقاع والموسيقى، بل هي كذلك تشكيل لفضاء رمزي، إذ غالبا ما تكون هناك قصة أو خرافة تفسر ميلاد الرقصة وتؤسس لرمزيتها الخاصة، وكذلك الأمر بالنسبة للرقصات ذات الطابع الحربي أو الرقصات التي تعتمد على الحوار الراقص

وفي هذا المجال الواسع تبرز رقصتان جماعيتان هما أحيدوس وأحواش تغطيان أغلب المناطق في جبال الأطلس وما يحيط بها من قبائل إلى غاية التخوم الصحراوية، لكن للرقصتين أشكال وتعابير متعددة تجعل اختزالها في وصف عام متعذراً وصعباً، وهنا أيضا سنضطر إلى اعتماد نماذج بعينها للتمثيل والاستشهاد

أحيدوس مثلا هي تلك الرقصة التي تتخذ مراكز لها قبائل الأطلس المتوسط، كما يمتد استعمالها إلى السهول المجاورة وإلى شرق الأطلس الكبير : وليس لنا لحد الآن تفسير شاف لمعنى كلمة أحيدوس، رغم أن بعض الباحثين في فترة الاستعمار قد قال بارتباط اللفظة بـ "أخيدوس" (بالخاء) وهو الجلباب الخشن الذي كانت تلبسه الرجال في القبائل الأطلسية.

هذه الرقصة قد ترافق جل مناسبات القبيلة وتنطلق عادة في ليالي الصيف الدافئة حيث أصوات البنادير تكسر صمت الليالي وهي تستدعي للرقص شباب القبيلة وكهولها، فيحلو السمر ويتمكن الجميع من الاندماج بسهولة داخل الحفل لأن أحيدوس يعتبر فنا للهواة وفنا للمشاركة رغم أن دور المحترفين والمتمرسين ضروري ومهم لكي لا تتحول الرقصة إلى فوضى.

هؤلاء المتمرسون بفن الرقص يسهمون في تنشيط الفقرات وتغيير الإيقاعات واقتراح أشعار جديدة : لذلك نجد أصحاب الحفل يعلمون أن وجود هؤلاء ضمان لكي ترتقي الرقصة نحو مستوى جمالي محبوك الأجزاء، وأن غيابهم يؤدي إلى انحصار الرقصة في تقديم عرض باهت لا طعم له ولا روح.

نميز غالبا ما بين أحيدوس الأكبر "أكسوات" وأحيدوس الأصغر "أمزيان"، فالأول يجمع أكبر قدر من المشاركين المهرة والمختصين ويستعمل لغة وصيغ محكم الحركات

فيعطي للنوع طابعه النبيل وقيمته الجمالية، ويبعث في القبيلة أسباب نخوتها وأنفتها. لذلك ينعقد هذا الأحيدوس في المناسبات الكبرى. أما النوع الأصغر فهو الرقصة العامة أي تلك التي يستطيعها كل الشباب والهواة ممن ليست لهم تجربة الكبار والمحترفين، كما أن عدد المشاركين فيه محدود ومن خصائصه أيضاً سهولة الإيقاع والحركات.

لكن الحدود الفاصلة بين النوعين من أحيدوس غير محددة بدقة، لا يستثني أحدهما وجود الآخر، بحيث يمكن أن يترابط النوعان في حفل واحد، خصوصا وأن الراقصين الممتازين يودون بين الفينة والأخرى الرجوع إلى السهولة والمرح البسيط والترويح عن النفس ومشاركة من هم دونهم تجربة ودربة.

وهذا الأمر هو الذي يجعلنا نفترض وحدة المراحل في أحيدوس من جهة، ووجود متتالية مثلى تتدرج من الثقيل إلى السريع كما هو الحال بالنسبة لكل الرقصات الجماعية الأخرى ؛ يمكننا إذن أن نقبل تقطيعا نموذجيا تبرز ضمنه عدة مراحل لهذه الرقصة.

- تماوايت وهو موال فردي في صيغة النداء الفردي المتحرر من الإيقاع، تنشده في مقام الصبا امرأة أو رجل له صوت قوي وصادح يستعمل معه طبقة من الغناء الرأسي ؛ ويمكن لهذا الموال الأطلسي أن يشكل نوعا قائما بذاته ومنفصلا عن الأحيدوس.

- مرحلة رصينة الإيقاع تشتهر بمقاساتها الخماسية وجملها الغنائية المسترسلة

- مرحلة معتدلة السرعة تتضمن إيقاعات ثنائية سريعة وأخرى ثلاثية ومركبة لتختم الرقصة في قوة وحيوية.

وبما أن الكلمة والإيقاع هما الأساس في أحيدوس، فإن التنظيم المقامي بسيط لا يغطي إلا مسافة لحنية صغيرة لا تتجاوز حدود الرابعة التامة (سلما من أربع نغمات فقط)، وبالتالي لا يمكننا الحديث عن مقامات في هذا المجال إلا بالقدر الذي يسمح به التقريب بين مجموعة محدودة من النغمات وبين ما يمكن أن تكون عليه لو استكملنا السلم النغمي.

يستعمل أحيدوس آلة إيقاعية واحدة قد تتعدد هي نفسها في أيدي الراقصين، وهذه الآلة هي البندير وتسمى كذلك "ألون" (بتشديد اللام)، وهي آلة إيقاعية في شكل إطار خشبي دائري به ثقب جانبي يسمح لإبهام اليد اليسرى بإمساك الآلة والتحكم فيها لتبقى اليد اليمنى حرة في التوقيع على الإطار الجلدي في نقرات تبادلية بين اليدين وبين وسط الإطار وحاشيته.

أغلب الجمل الغنائية في أحيدوس تنتمي إلى تقاليد "إزلان"، وتثبت الألحان في الذاكرة بواسطة النص الشعري الذي يعقلها ويؤثر في عروضها ومبناها. وهذه الأشعار غالبا ما تعتمد على ثنائيات، يسمى فيها المصراع الأول "لغا" ويسمى الثاني "أوماس" بحيث يتم الغناء بالتناوب بين مجموعتين في شكل حوار، ولأن الشطر الأول يتصل مباشرة بالشطر الثاني دون توقف فإن ذلك يحقق دائرة غنائية يصعب التمييز بين بدايتها ونهايتها إلى أن يبادر أحدهم بتغيير البيت فيتبعه الباقون.

المهم أن يكون هناك توافق إيقاعي بين الشعر والجملة الغنائية، أما القافية والروي فقد تصبح في موقع ثانوي إزاء المتطلب الأول، وفي غالب المرددات نجد مقاطع صوتية ليس لها من معنى إلا أن تحقق الملائمة بين عروضي الشعر والموسيقى (أوا داوا مثلا) وقد يستعملها المغني لاستظهار اللحن بكامله قبل أن يتذكر الشعر أيضاً.

يتكون أحيدوس غالبا في دائرة من الراقصين والراقصات حيث تتصل الأكتاف مع بعضها رجلا فامرأة فرجل وهكذا دواليك، وهذه الدائرة تنتج تموجات مع الإيقاع والنغمات وتتيح المقابلة بين دوري الغنائي الثنائي ؛ ويبدأ الراقصون في حركات تكاد لا ترى تفاصيلها لأن الجميع يستسلم للإيقاع يقودهم للحركات المطلوبة فتلتقط الأجساد نبرات الضروب فتتأرجح وتجعل هذا الإحساس يمر من كتف لأخرى.

وفي كل مرحلة تتنوع الحركات بحيث تكون الأكتاف المتصلة مقرونة بحركة داخلية للأيادي نحو مركز الدائرة، ثم دوران بسيط يمنة ويسره، ثم حركات للأيدي كذلك أماما وخلفا نحو الصدور متشابكة الأصابع أو متصلة ببعضها في رفق ؛ وفي مرحلة أخرى يتوقف الدوران ليستند الجسد على أحد الأرجل بتنكيس الخصر فتبدأ التشكيلات المختلفة لحركات الأكتاف والأيدي والأرجل بقيادة وتنسيق أحد الضابطين لإيقاع البندير وفي العادة لا تنحني المرأة بل تكتفي بالإيماء ؛ وفي فترة أخرى تنفصل الأكتاف كذلك لتسمح بحركات مختلفة في شكل انحناءات وتأرجحات الجسد وحركات الأيدي.

لكن الواضح أن كل قبيلة تمزج حركاتها بشكل خاص ولو باعتماد نفس العناصر : حركة الأكتاف متصلة ومنفصلة، حركات الأيدي متصلة ومتشابكة ومنفصلة، حركات الأرجل المتبادلة، تأرجحات الجزء الأعلى من الجسد، الإنحناءات والتموجات الجسدية.

قد يعتمد الراقصون فيما بينهم شفرة معينة للتواصل، كأن يقوم العازف الأساسي مثلا برفع البندير أو إدارته حول الإبهام للإعلان عن توقف الرقصة زمنا يكفي لتسخين البنادير وبداية فترة أخرى من الرقص.

موضوعات الأحيدوس كثيرة ومتعددة بعضها في الدفاع عن الدين والايعاز بالتقوى، وبعضها يتطرق للحياة الاجتماعية، وأخرى للحب والهيام، وأخرى أيضاً للنقد تارة والموعظة طوراً ؛ كل غناء يوافق حصة من الرقص يفصل بينها توقف يسير لربما أطلق أحد الراقصين العنان لصوته بموال يدعى "تماوايت" وهذا الموال يمكن اعتباره شعارا صوتيا يعبر في اختزال عن الأطلس المتوسط.

تماوايت إذن هي غناء مرتجل يتكون من أربعة أشطار يؤديه صوت قوي وجميل ينحتق بعد كل فصل تصفيق الحضور وزغاريد النساء. وتماوايت نداء للحب كما هو نداء للتعبئة الجهادية ومناسبة مواتية للتحدث عن حال المجتمع. وهو كذلك وسيلة للتواصل في القرية سواء داخل الأحيدوس أم في حقول العمل. ومن مكان لآخر في القرية تتعالى نداءات تماوايت بألغازها لتكسر الرتابة والوحدة وقد ينشأ حوار تلقائي بين عدة أماكن من الجبل.

وقد سادت بشأن أحيدوس بعض التأويلات التي ترجع الرقصة إلى أصول جاهلية ووثنية بدعوى أنها من رواسب الطقوس القديمة المتعلقة بتقديس الأرض والشمس تارة، أو تستمد جذورها من عبادة اليونان لديونيزوس. لا شيء يجعلنا نساق وراء هذه التأويلات. نعتقد بالمقابل أن الرقصة في نفسها عناصر الدلالة والمرجعية الكافية في النشاط الاجتماعي الأمازيغي، لكنها ككل الرقصات قد تتعارض مع مبادئ المتشددين في منع الاختلاط ومنع الرقص والموسيقى. ليست الأصول الوثنية، التي لا نعلم ماذا فعل بها الزمن من أكثر من إثني عشر قرنا، هي التي ستحدد رمزية الرقصة، بل هي مقتضيات التماسك والتآزر والتواصل.

فلنأخذ مثلا أسطورة إملشيل في شرق الأطلس الكبير: يحكى أنه في زمن غير معروف، كان هناك شاب وفتاة منعهما الأهل من الزواج رغم حب كبير نشأ بينهما، فاستسلما للبكاء حتى امتلأت الأرض بعبراتهما، ونشأت عند ذلك بحيرتان هما "إسلي" (الزوج) و "تسليت" (الزوجة). وقد لجأ الحبيبان إلى الولي الصالح سيدي حماد أولمغني، حامي إملشيل، فمنحهما رعايته وفرض على القبيلة أن لا يتعرض أحد سبيل المحبين؛ وفي رواية أخرى نجد أن الحبيبين قد تحولا من كثرة الحزن والبكاء إلى بحيرتين. وتقول الأسطورة أيضاً إن القبيلة منذ ذلك التاريخ أصبحت تنظم موسما للخطوبة مداره الاقتران الحر بين الزوجين وعقد قران جماعي في القبيلة لتخفيف المؤونة ماديا على العرسان الجدد.

في أحيدوس كذلك إعادة إنتاج للحركات اليومية التي نشاهدها في الحقل وكل مجالات عمل الرجل والمرأة على السواء، حيث نستطيع المقارنة بين أية حركة في الرقصة وما قد يقابلها من حركات العمل (حرث وزرع للبذور، رعي على الماشية، ودوران على الساقية، وطحين للحبوب، وحصادة ودرس...)، كما أن الرقصة إذ تعبر عن اتحاد الجهود والتآزر لا يتنافى فيها ذلك مع تخصص كل فرد فيما يوكل إليه من دور في العمل الجماعي.

وتتغلب مبادئ القبيلة في الرقصة على أية اعتبارات أخرى، بحيث يحدث أن ترقص المرأة إلى جانب رجل ليس من محارمها، لأن الرقصة تستدعي ذلك. وما وجود رقصات تجعل فيها النساء خماراً على أكتافهن ونقابا على وجوههن إلا تعبير رمزي لا يمت للحجاب الشرعي بصلة، بل هو شرط للرقصة يشد ... الأمازيغي، وظيفته التركيز والانسجام.

كلمة أحواش مصطلح يحيل في مناطق محدودية مختلفة، أبرزها منطقة سوس، على نوع من الرقصات الجماعية تجتمع به القبائل والدواوير معنية في مكان رحب يسمى "أسايس" (ساحة الرقص) ويتبع من يسميه "أسرير" أو "أساراك" يجتمعون لإحياء رقصة أحواش وما يتعلق بها كسهرة فنية أدبية راقصة. يفسحون المجال لكل من يستطيع الإسهام برقصه أو شعره أو غنائه أو إيقاعه.

لكي يكتمل الأحواش يلزمنا إذن أربعة عناصر وهي: الشاعر والراقصون والموقعون والجمهور. فالشاعر يسمى "أمريز" أو "أنظام" وهو مثال للنخوة، لا يتجول بين القبائل، ولا يتكسب بشعره كما يفعل "الرايس" مثلا.

والراقصون يسمون "إمسوسن" وهم عصب الرقصة وزينتها يصطفون وينتظمون ويمتثلون لإشارات أكبرهم خبرة ويسمى "أعلام" (بتشديد اللام)، وهذا الشخص القائد ستجده في رقصات أخرى يتحكم في سيرها لأنه يجمع ما بين دقة الحركة والذوق اللازم ومعرفة الإيقاعات والأوزان والألحان.

أما الموقعون أو عازفو الإيقاع، فيدعون بـ"إنقارن" يوزعون الأدوار في ما بينهم ويمنحون للراقصين ديناميكية وأرضية قوية للحركة. وأخيرا ليس هناك أحواش بدون جمهور يشجع، ويصفق، ويثير حماس الشعراء. لكن مفهوم الجمهور هنا يختلف عما نعرفه عادة كلما تعلق الأمر بالفصل بين العرض والتلقي في فنون أخرى. ففي أحواش يمكن للجمهور أن يشارك وأن يتحول في بعض الأحيان من موقع المتفرج إلى موقع آخر داخل الأحواش يمارسه مع من كان يتفرج عليهم فقط.

لعل أنسب وقت لأحواش هو تلك الساعات الليلية الجميلة التي تتخذ من الصيف زمنا لها ومن البادية السوسية والصحراوية مرتعا، حيث يشكل هذا الفصل مبررا للحفلات والأعراس تتيمن بموسم فلاحي سلمي، بالعمل والضنك. لذلك حين ينتهي الناس من جمع محصولهم من الأرض وثمار الأشجار، ويتفرغون لزيارة الأحباب وعقد الزيجات ولإقامة الحفلات المختلفة، تنشأ الحاجة إلى رقصة أحواش العريقة.

وقد تكون لكل قبيلة أماكن معلومة لتنظيم هذه الرقصة حيث يلتقي أبناء القبيلة في ساحة رحبة تسمى "أسايس" تكون رقصة أحواش متضمنة لعدة عناصر نجملها في ثلاثة وهي المناظرة الشعرية أو الإنشاد، الرقص الجماعي أو الثنائي، الحوار والحكي (تازرارت)؛ وكل من هذه العناصر قد يستقل بفن قائم الذات. لكن جودة الأحواش هي قبل كل شيء، من جودة شعرائه، فهم من يمنح المناسبة أجمل معانيها ومن يضفي على المواقف زخما من الشاعرية والرمزية والإيحاءات.

تختلف الرقصة من منطقة إلى أخرى في حركاتها وإيقاعاتها وألحانها وأوزانها وأسمائها ومصطلحاتها الفنية ومراسيمها وألبستها. لكنها في الغالب تتأرجح ما بين قطبين، أحدهما أمازيغي خالص والآخر ينبئ عن ارتباط مع العمق الإفريقي. وفي ذلك نسمع مثلا عن نوعين "أشلحي" و"أبودرار". أشلحي يقتضي استعمال البندير وأبودرار يقتضي وجود الطبل الكبير "كانكا" (بالجيم المصرية).

حين يقبل الليل يتوافد الموقعون ببنادير هم : إنهم "أيت أوحواش" (أهل الأحواش)، وتجتمع عناصر الرقصة تدريجيا في نفس المناسبة تتحلى النساء بما لديها من جواهر وتتهيأ لدخول الرقصة. ينطلق في الأفق صوت حاد لأمرير الشاعر مقترحا أول مقاطع الغناء فترددها الجماعة قبل أن تلتحق بهم الفرقة المكلفة بالإيقاع الذي تتنامى فقراته تدريجيا من البطيء إلى السريع.

المشاركة في الأحواش ليست فقط لمجرد الترفيه : إنما تمنح الفرصة لحل بعض النزاعات داخل القبيلة. ستستعمل المناسبة وخصوصا الحوار الشعري "أبراز" وسيقبل المتنازعون تحكيم القبيلة في الأحواش حيث تستطيع الرقصة أن تنزع فتيل المشكل، وتبسطه فتجعله شيئا تافها. حيث يشارك الجنسان في الرقصة، يكون التمييز بينهما واضحا (فمجموعة النساء مقابلة للرجال أو في صف أو دائرة حولهم) وفي أماكن أخرى أحواشات غير مختلطة منها ما هو للنساء فقط، وأخرى للرجال فقط.

الإيقاعات كثيرة ومتنوعة في شكلها وطبيعتها وهي تحبل بمواقع النبر وتنويعات الأداء ؛ وخلافا لأحيدوس تتوافر لأحواش ممارسة متطورة للتعدد الإيقاعي المتزامن، ففيه نجد تقنية التوزيع بين الآلات لكل منها ضرب خاص، وفي جنوب المنطقة السوسية وشرقها نجد الطبل مثلا يمسك بالوحدات الكبرى للجمل الغنائية والثقيلة، كما يتدخل مرات بأزمنة مضادة للدفع بالجميع إلى حركية جديدة.

أما المقامات فهي ذات طابع خماسي النغمات ثابتة السلاليم، إذ يسهم في دقتها وجود آلة نغمية من قبيل الناي المعدني "تالعوات" التي تسبق الغناء بتقسيماتها الحرة في ما يدعى بـ"أستارا" (أي التجوال).

لكل منطقة أحواش خاص يمكن أن يكون مختلطا أو منفصل الجنسين، بغناء أو بدونه، لكن الراجح أن تتحد في الأحواش عدة كفاءات في الرقص والغناء، والشعر والإيقاع. وفي هذه الحالة تكون القيادة ثلاثية بين الرايس وأعلام وأمرير الشاعر وينسق الثلاثة حركاتهم وتدخلاتهم لنجاح كل فقرات الرقصة. ويستعمل الراقصون كل إمكانات الجسد لمحاكاة الإيقاع وتثبيته كالتصفيق والركز متعدد الضربات "تامريقت اودار" وطائفة أخرى من التعابير الجسدية.

يبدأ الأحواش كما أسلفنا بأستارا حيث يقوم عازف الناي بارتجالات نغمية تهيء السامع وتنبه الراقصين وتعين الشاعر على استبطان جو الغناء وكل من لبى النداء والتحق بفضاء أسايس فقد دخل في الرقصة.

يقترح الشاعر أول مزدوجة شعرية في شكل بيتين أو شطرين "نيتماتين أو مارك" يسمى البدء في النظم عند بعضهم "يوسي أراسال"، ويكرر الشاعر هذه المزدوجة مرات حتى يستوعبها الحضور فينطلق الغناء الجماعي في قوة ويقتسم الجملة فريقان يقومان بالغناء بصفة تبادلية بديعة، وغالبا ما يتأخر نقر الإيقاع حتى يبدأ الغناء بزمن يسير. يتحرك الإيقاع رصينا ثقيلا فنقول "إزاي" ومعنى الكلمة أنه ثقيل، ويصل تدريجيا إلى مرحلة السرعة الفائقة فنقول عنه هذه المرة "إمسوس".

حركات الأحواش كثيرة يصعب حصرها لأنها تستنجد بالأجساد والأيادي والأرجل والتصفيق. كما أن الرقص الجماعي قد يضيف حوارات راقصة لها حكايات رمزية. لذلك يجب أن تعتمد الدراسة على نماذج بعينها تشتهر بغنى الحركات وجمال التنسيق بين الراقصين ومن تلك النماذج على الخصوص أحواش ورزازات أحواش أولوز أحواش إيمينتانوت وقاسمها المشترك : أن المشاركة فيها متاحة للرجال والنساء، أن الرجال يقومون بدور المصاحبة الإيقاعية والموسيقية بينما تحيط بهم النساء وتقمن بتأمين الرقصة وأن عناصر أحواش الكامل الموجود من نظم وغناء ورقص وإيقاع وموسيقى.

في نموذج ورزازات تتبادل النساء الأدوار في غناء جملة موسيقية رباعية المقياس والوزن في نفس الوقت بعد أن يكون الأحواش قد خرج من المرحلة الأولى في "إزاي" التي تشبه النداء الجماعي غير المحدود بإيقاع إلا ما كان من نقرات متفرقة للطبل الكبير تتدخل مصحوبة بنقرات متتابعة متصلة للبنادير في ما يشبه طلقات البارود.

في نموذج إيمينتانوت يصل التبادل والتناظر الغنائي مداه بحيث لا يكتفي الفريقان بتبادل الغناء حول جملتين بل يتقلص العمل فيهم شطرين من نفس الجملة. وهنا يغني الرجال مثلا لوحدهم جملة موسيقية من أربعة مقاييس رباعية الزمن فتعيد النساء نفس الجملة في طبقة صوتية خماسية الزمن، وينتقل المقياس من أربعة أزمنة إلى ثلاثة تهيئا للتقليص والسرعة، وتمس السرعة كذلك مبدأ التناول التبادلي للغناء بحيث يصبح ذلك حول أجزاء الجملة الواحدة خاصا بمقياسين فقط من الوزن الثلاثي فتختتم الحصة إذن بالمرور من وزن بسيط إلى مقابله المركب والسريع.

ولا يقتصر الحوار على الغناء فقط بل تشارك فيه كل ملحقاته، فالبنادر تشارك، والتصفيق يشارك، والحلي نفسها تشارك، بحيث نجد أن في لحظة من اللحظات المتسمة بالهدوء، تصمت الآلات ويحجم الراقصون عن الغناء فنسمع للحلي خشخشة معبرة تملأ السكون قبل أن يستأنف الجمع غناءه وحركاته.

بعد أحيدوس وأحواش، هناك رقصات أخرى تزكي

صفة القيفماء التي تنعت بها فنون المغرب وحضارته وهو الشيء الذي يبرز معه خصائص جهوية وتتمحور حوله إشارات خاصة ودالة ورمزية لها أصول في الثقافة المحلية. وتتوزع هذه الرقصات في اتجاهين متباينين تارة ومتكاملين تارة أخرى هما الإغراء والقوة، وبعبارة أخرى الأنوثة والذكورة، نستعمل هذين المحددين لغرض العرض فقط، علما بأن الحدود تكاد تنتفي في الرقصة ما بين التعبير الغرامي واستعراض القوة.

وإذا كانت الرقصات ذات الطابع الحربي رقصات رجالية تستعمل القوة والترهيب والتخويف، ولها أدوات تحمل دلالاتها معها (الخنجر، السيف، العصا، البندقية، محافظ وأوعية البارود، وجود الفرس...) فإن الرقصات الوجدانية تعتمد على الحوار الغرامي صريحا أو رمزيا، تبرز فيها المرأة بأنوثتها وحليها.

لكن المظاهر الخارجية للرقصة ليست هي التي تحدد طبيعتها الحربية، لأن الأسلحة المذكورة قد يتم توظيفها للترميز إلى الذكر في حواره الغرامي، دون أن تكون لها وظيفة قتالية، لذلك فالرقصات الحربية التي تغيب المرأة هي تلك التي تبين عنها حركاتها الموحية بالمبارزة والصياح والركز والتربص وطلقات البارود والفروسية وأساليب المراوغة والتخفي. ومن أمثلة ذلك رقصات شرق المغرب، إحياضن (أولاد سيدي حماد أوموسى)، أقلال، وتاسكيوين.

في رقصات شرق المغرب (العلاوي والمنكوشي والنهاري) تعبير خالص عن مجتمع الرجال وعن قوة الطبيعة، وتذكير بالفروسية والرماية. ويظهر ذلك في اللباس والأدوات وفي الحركات القوية ونظام الإشارات بالكر والفر والتنسيق في حركات الأكتاف والأرجل.

من أدوات الرقصات المذكورة نجد العصا والبندقية ترحي بصفة مباشرة إلى جو القتال والتدريب الحربي. كما أن الراقص الفارس يبدو ممنطقا بحزام أوعية للبارود وأسلحة شخصية؛ وفي كل رقصة يمكننا أن نميز في اللباس والهيئة ما بين ثلاثة فئات: "العرفا" وهم أصحاب الإيقاع، والشيوخ وهم الموسيقيون، و"الباردية" أي الفرسان الرماة: هؤلاء يلبسون زيا فاخرا بينما يفضل الآخرون تبسيط لباسهم حتى تسهل حركتهم في الرقص.

وكما في فيالق الجيش يعتمد الراقصون على شفرة معينة لتنسيق الحركات وهي ألفاظ تحيل على ضربات محددة في العدد ونسب الإيقاع، منها مثلا "السابسية" و"العراشية" و"الصقلية" و"البونت" أما حركة الأكتاف فيسمونها "تزلويجة".

"إحياضن" هم أحفاد الولي الصالح سيدي حماد أوموسى، الذي ولد في بومروان جنوب أكادير سنة 1450 م. وهذا الولي تنسب له الذاكرة الشعبية قدرة جسمانية خارقة وألعابا بهلوانية خاصة، كما أنه اشتهر بكشف ما يخفيه المتحدث أمامه، ومعرفة منطق الحيوانات، وتحويل الرمل إلى ذهب، وشفاء المشلولين، ومنح الخصوبة للنساء والحيوانات والنباتات.

اشتهر أتباعه بالجهاد والرماية والألعاب البهلوانية. كما اشتهروا بنزوعهم إلى التجوال داخل القبائل المصمودية عامة والسوسية على وجه الخصوص. وذلك ما أهلهم لمعرفة الأخبار وتكوين قاعدة فنية مشهورة بقيمتها كذخيرة قديمة في الرقص والألعاب البهلوانية.

أما في سهول درعة والمناطق السابقة عن الصحراء فنجد رقصة أقلال في صيغتين: أولاهما يعطي الأهمية للغناء الجماعي الرتيب تصاحبه ضربات الدف المربع ونغمات الناي في إيقاع رباعي رصين، وثانيهما تفرد للمبارزة بالسيف حيزا معلوما يسمى "صقل السيف".

تتكون الفرقة من الرجال في عدد لا يقل عن سبعة أفراد: راقصي السيف، وعازف ناي، وأربعة من أصحاب الإيقاع يستعملون الدف المربع والهراز، ويغنون في بساطة جملا بطيئة توافق نبر الإيقاع نفسه

هذا البطء في الإيقاع يفرض بطءا في الرقص وإيحاء بالمبارزة قد نجد له مثيلا في العرضة النجدية أو رقصات حضر موت. مما يتيح لنا البحث عن أصول غابرة لم تكن القرون المتعاقبة كافية لمحوها.

في جانب آخر نجد رقصة تاسكيوين تمثل لنا أبرز مثال وأوضحه للرقصات الحربية، إذ اجتمعت فيها كل مقومات النوع. إذ يثبت كل راقص على كتفه الأيسر هلالة من البارود "تيسكت" (مفرد تاسكيوين)، ويتمنطق بحزام المقاتلين ويأتي بخطوات متنوعة تفيد بأنه داخل فصيلة من الجيش، كما نجد محاكاة لطلقات النار في نقرات التعريجة. تصاحبها صيحات وتوقيع منتظم بالأرجل.

يقوم الراقصون بإنجاز مجموعة من الإيقاعات بخطاهم المنظمة: مرة في صف مستقيم حيث يسير الراقصون خلف بعضهم، وأخرى في اتصال للأكتاف، ثم دورات ذات اليمين وذات الشمال. تعتمد الخطة الإيقاعية للرقصة على تناوب الموازين المختلفة.

إيقاع ثنائي القسمة من أربعة أزمنة، يعقبه إيقاع ثلاثي القسمة ثنائي الزمن يتميز آخره بنبر قوي، ثم إيقاعات متصلة من ستة وعشرة أزمنة، ثم انقطاع على إيقاع أعرج من خمسة أزمنة، فعود على بدء.

ويظهر أن التشكيلات المختلفة تلبي حاجة الراقصين إلى مصاحبة التغيرات التي تطرأ على حركاتهم.

في جانب آخر تبرز الكدرة لتؤثث سهرات بعض القبائل المتاخمة للصحراء، والتي تتخذ من كلمتهم مركزا لها. ...د الذي تراه سوى امرأة تراوح بين الحجاب والسفور، تظهر يداها منقوشتان بالحناء الصحراوي الأسود، تتفاعل مع الإيقاع المتصل الرتيب وتسهم بحركاتها في تصعيد التوتر بينما يصاحبها الحضور من نساء ورجال بالغناء والتصفيق.

هذه المرأة القوية هي رمز المرأة الصحراوية "القادرة" تشتق اسم الرقصة بإبدال القاف جيما مصرية. بينما الخطأ

الشائع يلصق التسمية بآنية الإيقاع. تتصدر الراقصة مجلسها وهي على ركبتيها في وضعية بين القيام والقعود، تستعمل حركات اليد والأصابع وتميل برأسها ونصفها الأعلى يمنة ويسرة، وهي غالبا ما تغمض الجفون تحقيقا للخشوع إلى غاية الدخول في شبه إغماءة.

من الخصائص الفنية لهذه الرقصة أنها في تفردها تزاوج بين الأدائين الفردي والجماعي وتقيم توازنا فعلا بين الإيقاعات الثنائية والثلاثية.

على بعد نحو أربعين كيلومترا جنوب أگادير، توجد قبيلة هوارة ذات الأصول العربية والتي امتزج فنها بما أبدعته القبائل الأمازيغية المجاورة. تنتظم الرقصة في شكل صف من الراقصين الرجال ومعه في كل جانب راقص فردي إمرأة ورجل سيكون عليهما أن يؤديا حركات حوارية ترمز إلى المبارزة والإغواء.

أهمية هذه الرقصة في ثراها الإيقاعي أولا وفي قوة التعبير في الحوار الراقص، إنها متتالية مضبوطة من المقاييس والموازين المعقدة، إذ نصادف أهم الإيقاعات الخماسية والسباعية في تناوب بديع مع الإيقاعات الثنائية والثلاثية المألوفة في رقصات أخرى، والتي تبين براعة العازفين الهواريين وتقسيم الأدوار فيما بينهم بحيث يحتفظ "الناقوس" عادة بالضربات المتصلة المتساوية، بينما البندير ينوع في الضروب ويفاضل في الأزمنة إذ يرتجل تأخيرات في النبر وتنويعات في الأزمنة المضادة وصروف التثنية والتثليث والتركيب.

تقول إحدى الأساطير المؤسسة لرمزية الرقصة إن أفعى عظيمة حالت بين القوم ومنابع المياه فتطوع أحد الرجال لملاعبتها وسحبها تدريجيا خارج مجال الماء، وهكذا ستعتمد الحركات على القفز ودوران الراقص والراقصة على نفسيهما فيما يشبه مراقبة الغريم لغريمه.

وعرف المغرب الرقص الحديث في اتصاله مع الحضارة الأوربية الحديثة رقصات أخرى استهوت الشباب فقلدوها ؛ ولم يقتصر الأمر على فن الباليه الذي ظل انتشاره محدودا في بعض المدن الكبرى حيث توجد المعاهد الموسيقية والمدارس الحرة لفنون الرقص، بل تعداه إلى الرقصات المرتبطة بالمنوعات الغربية التي وصلتنا بالوسائط الإعلامية المتعددة عبر "موضات" متعاقبة (الجاز والشارلستون قبل الروك والجيرك والتويست وقبل موجات البوب والديسكو والرقص الحديث).

في مجال الرقص الكلاسيكي، قليل هم المغاربة الذين أنتجوا نشاطا يستحق الاهتمام رغم أن هذا النوع يدرس بالمعاهد الموسيقية منذ مدة طويلة فيما يناهز نصف قرن، لأن النجاعة تقتضي مساندة مجتمعية لكل ممارسة، وفي غياب هذه القاعدة نجد بعض الجهود المحمودة تتطور نحو أسلوب مغربي يحاول المزج بين التراث الشعبي والإنفتاح على الرقص الأكاديمي المعاصر الذي يرتبط مع التيارات العصرية في المسرح وينهي الانغلاق القطاعي بين الفنون.

أحمد عيدون

الرقعي، محمد (الحاج -) **الخياط**، أصله من رقعة وهي من قرى بلاد لمطة قرب فاس. استوطنت أسرته مدينة فاس بحي الشرشور. وبعد وفاة والده انتقل إلى قبيلة بني مستارة وعاش تحت كفالة خالته، وبها حفظ القرآن وتفقه في الدين. اتصل بالشيخ عبد الله بن إبراهيم العلمي مؤسس الزاوية الوزانية وأخذ عنه التصوف وصار من خاصة أتباعه، ثم عينه مقدما على أتباع فاس، وأسس بعد وفاته أول فرع للزاوية الوزانية في درب الشرشور بحي الشرابليين. اعتبر القادري الحاج الخياط الرقعي من مشاهير أولياء فاس، وتتجلى هذه الشهرة في كثرة أتباعه وشعبيته في صفوف العامة، وإليه يرجع الفضل في التعريف بالطريقة الوزانية بمدينة فاس. توفي عام 1115/1703 ودفن بزاويته التي بنى عليها السلطان مولاي إسماعيل قبة، والتي أصبحت مقرا خاصا بفقراء تلمسان وتافيلالت وتوات القاطنين بفاس.

محمد القادري، *نشر المثاني*، ج. 2، الرباط، 1982، ص 149، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 1، طبعة حجرية فاس،1899، ص. 230 - 231.

محمد عمراني

الرّق أو الرگ (جغرافيا) ← **الصحراء**

الرّقّ أو الاسترقاق في المغرب مؤسسة اجتماعية قديمة قامت على أسس شرعية وأخرى عرفية. والاسترقاق هو أكثر أشكال الإخضاع والإكراه قهرا وإرغاما لبني البشر، ومن سماته الأساسية العمل وتقديم الخدمات بالقوة، كما يكون الفرد الواقع في الرق في ملكية شخص آخر، فيصبح ملزما بالرضوخ لطلباته مهما تعددت وتنوعت. والظاهر أن بدايات الاسترقاق في المغرب تعود على الأقل إلى فترة الاحتلال الروماني، حيث كان العبيد يشتغلون في الفلاحة واستخراج المعادن، دون أن يشكلوا أغلبية العاملين في الزراعة. وكان عدد السود ضمنهم نادرا، وتقدمهم مختلف الفسيفساء خداما لدى بعض العائلات الثرية. ومن الصعب جدا معرفة الكيفية التي وصل بها العبيد السود من قلب إفريقيا إلى ضفاف المتوسط، نظرا للصعوبات الكبيرة التي كان يطرحها التنقل عبر الصحراء إلى حدود القرن الرابع ق.م.

وفي أعقاب نمو تجارة القوافل مع الفتح الإسلامي، أثار ذهب السودان والعبيد انتباه تجار القوافل المغاربيين. ويذكر الإدريسي بأن المغاربة كانوا يبيعون هناك الصوف والنحاس والمصنوعات الزجاجية، ثم يحصلون مقابل ذلك على الذهب والرقيق. لكنه لا يعطي أي أرقام. وبصفة عامة، يؤكد الباحث محمد الناجي الذي أنجز دراسة رائدة في الموضوع اعتمدناها أساسا في تحرير هذه المادة، أن البدايات الأولى

للرقيق الأسود في المغرب قديمة جدا دون شك ومع ذلك فإن دراسة الموضوع بنوع من الدقة والشمولية تظل ممكنة لأسباب كثيرة بالنسبة لمغرب القرن الثالث عشر (19 م)، وبالرغم من محدودية هذه الفترة المدروسة، فإنها كافية لتقديم صورة عامة عن واقع الاسترقاق في تاريخ المغرب، لكن مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار للمستجدات الطارئة على الساحة المغربية، ومن أهمها وجود الحركات المناوئة لبقاء الاسترقاق واستمراره في بلدان العالم الإسلامي.

ويبدو أن الأوربيين ممن زاروا المغرب كانوا يعانون من لبس واضح في مخيلتهم عن لون الرقيق في أرض المغرب، إذ منهم من كتب في رحلاته بأنهم بيض، بينما أكد آخرون بأنهم قد كانوا سوداً. وأجمع جل الزوار والرحالة الأوربيين على أن الرقيق في المغرب وفي جنوب حوض البحر المتوسط بوجه عام كانوا يحظون بمعاملة طيبة لا علاقة لها إطلاقا بالقساوة الشديدة التي كان يُعامل بها الأفارقة السود في أمريكا. أما في المغرب، فقد وصفهم الأوربيون بأنهم عبارة عن خدم يتمتعون بمعاملة جيدة ويحاطون بكثير من العناية من حيث الطعام واللباس والإيواء، بل وأنهم عادة ما يحتلون مكانة هامة في بيوت أسيادهم.

وإذا كانت الأرقام الخاصة بالرقيق خلال الحقبة الوسيطية والحديثة نادرة جدا، فإن الأمر يظل صحيحا حتى بالنسبة للقرن الثالث عشر (19 م)، وذلك على الرغم من وجود معطيات إحصائية لا يستهان بها لكنها متناقضة : إذ تبلغ أعدادهم حسب گرابير Graberg، حوالي 120.000، بينما يرى گودار Godard، أن هذا الرقم لا يعبر عن الواقع لأنه لا يدخل في الحساب الجهات الشمالية التي تتوفر على ساكنة هامة من العبيد السود والملوَّنين، فيقترح رقم 500.000، وهو ما يعادل عشر مجموع سكان المغرب وقتئذ. بينما قدرت "الجمعية البريطانية المناوئة للاسترقاق" عددهم سنة 1885 بـ 50000 فقط. أما ريدجواي Ridgeway مبعوث العاهلة ڤكتوريا إلى المغرب، فقد تحدث في تقرير عام أنجزه حول أوضاع المغرب العامة عن وجود ما لا يقل عن 300.000 من الرقيق في المغرب سنة 1893.

إن هذه التقديرات المتضاربة وإن كانت لا تخلو من أهمية، في غياب إحصاء رسمي دقيق، لا تميز بين العبيد الحقيقيين والأحرار المعتقين. ومع ذلك فهي تعبِّر عن الإحساس العام السائد آنئذ عند الأوربيين والذي كان يفيد بأن عدد الرقيق في المغرب كان كبيرا. وفضلا عن ذلك يحتل الرقيق مكانة واضحة في الذاكرة الشعبية المغربية بفعل حضورهم القوي في الأساطير الشعبية وفي قصائد الملحون بصفة خاصة. أما في جنوب المغرب، فإن الطبونوميا تذكر الأحياء بوجود أسماء معروفة لبعض العبيد، وتكفي العودة في هذا السياق إلى كتابات المختار السوسي.

وبوجه عام، تختلف وضعية العبيد في المجتمع المغربي السائد حسب وجودهم في البوادي أو المدن. ففي المدن، يتحدث لوطورنو Le Tourneau، عن بضعة آلاف بالنسبة لفاس، ويشير إلى أن وجودهم كان ملحوظا جدا للأجانب في مراكش دون أن يقدم أرقاما تعزز أقواله. وكان امتلاك خادمة واحدة على الأقل من الضروريات في الحواضر. وإذا استندنا إلى فتوى فقهية قدمها عزوز بن المفضل، فإن الرجل الغني هو الذي يملك المال والماشية والعقارات وليس هو الشخص الذي يملك مسكنا لائقا وجارية تخدمه وما شابه ذلك. أما الثري حقا، فهو الذي يملك فضلا عن أشياء كثيرة عدداً كبيراً من الرقيق. أما بسطاء الناس وعامتهم، فعادة ما كانوا يشترون رقيقا قبل الزواج، إذ تعتبر النساء المقبلات على الزواج الحصول على خادم أو خادمة من العبيد شرطا أساسيا. ويتجاوز الأمر هنا مسألة التخفيف عن صاحبة البيت من مشاق العمل المنزلي اليومية، لأن امتلاك أمة سوداء اللون هو من بين الأشياء المطلوبة والتي ترفع من مستوى وقيمة ربة البيت، خاصة وأن تلك الأمة يمكنها أن تقدم للزوج خدمات من نوع خاص ربما ترفض الزوجة الحقيقية تقديمها إلى زوجها.

ولم يكن استرقاق السود في مغرب الأمس أمرا قاصرا على الحواضر، إذ تكشف بعض الوثائق المكتوبة عن حضورهم القوي في البوادي المغربية وفقا لما يشبه خريطة لتوزيع الرقيق، وذلك مرورا بأراضي الغرب شمالا إلى أقصى السوس جنوبا. ففي دواوير منطقة الغرب، يمتلك السكان رقيقا أسود من كلا الجنسين، وإذا كان الاسترقاق نادرا في منطقة جبالة، فهو كثير في جهات أخرى. ففي الشاوية مثلا، هناك حضور هام للرقيق في البيوت، كما تمتلك الزاويا العشرات منهم. وفي الجنوب، تخبر الوثائق المحلية بوجود أعداد مهمة أيضا في أراضي إداوتنان. وعلى أبواب المناطق الصحراوية والواحات، يرتفع عددهم إلى درجة أن الأشغال اليدوية تكاد تصبح من اختصاصهم دون غيرهم. وفي الصحراء ذاتها، فقد كان الرحل الميسورون يملكون عددا من الرقيق في خدمتهم. أما في سوس، وهي المحطة النهائية للقوافل، فقد كان الرقيق الأسود عملة رائجة إلى حد بعيد، وتوجد في كتابات المختار السوسي نماذج لأثرياء يملكون أزيد من خمسين رقيقا يحرثون الأرض. ومن بينهم أحد العلماء الذي كان يملك حوالي السبعين من العبيد الذكور المتزوجين والذين يعتنون بممتلكاته تحت العيون اليقظة لبعض أقربائه.

وكانت الأسر القوية النفوذ في المنطقة، كما هو الحال مع آل بيروك، يملكون أعدادا كبيرة من العبيد ربما تتجاوز كل التقديرات : حوالي 150 حسب الضعيف الرباطي. كما كانت تحتضن زاوية إليغ حوالي 700 من الرقيق، لكن عددهم تراجع بتراجع مكانة دار إيليغ، فتحولوا تدريجيا إلى مزارعين، أو هاجروا نحو المدن بل وإلى أوربا. وفي أقصى الشمال، ترددت الأقوال بأن الشريف عبد السلام

الوزاني كان يملك 700 من العبيد. غير أن كل الأرقام الواردة أعلاه لابد أن تستعمل بكثير من التحفظ.

وفي مناطق المغرب الداخلية، هناك من الأثرياء من كان يكتفي ظاهريا بعشرات من العبيد حتى لا يكشفوا عن درجة ثرائهم الحقيقية، خوفا من إثارة انتباه موظفي المخزن الذين لا يمكن أن يسلم من تهديداتهم سوى المنحدرين من أصول عريقة لها مكانتها التقليدية، أو الأفراد الذين يمارسون مهام معينة لفائدة المخزن. ففي أواسط القرن الثالث عشر (19 م)، بلغ إلى علم السلطان عبد الرحمن بن هشام أن قائد دكالة البوعزيزي محمد بن إبراهيم كان يملك 400 من العبيد. وأن عائلة أوبيهي الحاحية تملك أزيد من 300 من الرقيق. ومن غير المستبعد أن يمتلك بقية القواد الكبار أعدادا مماثلة على الأقل : فقد اشترى أحد سماسرة الگندافي تسعة عشر عبدا في صفقة واحدة، كما كان الأگلاوي يقدم هداياه على شكل عشرات من العبيد. أما رجال المخزن، فقليل منهم من كان يصل إلى مثل هذه الأرقام وفي حوزته أزيد من مائة. وفي حالة الوفاة، غالبا ما كان المخزن يضع يده على المال الناض والخيول والعبيد.

وشكل العبيد في محطات تاريخية دقيقة سنداً للسلطة المخزنية كانت أبرزها هي تجربة عبيد البخاري الذين بلغ عددهم الإجمالي حسب طيراس Terasse، في نهاية حكم السلطان إسماعيل ما بين 30000 و50000. وفي سنة 1837 حاول عبد الرحمن بن هشام جمع شتات عبيد البخاري في الشمال، لكن محاولته فشلت. وفي 1847 تجددت محاولة جمع 500 من أبناء العبيد الصغار في الشمال، لكن الحصيلة لم تتجاوز 50 طفلا، بينما فر الباقون نحو الجبال. وفي عهد محمد بن عبد الرحمن، كان العبيد الفارون من قساوة أسيادهم يُلحقون بالجيش، كما كان يتم شراء البعض منهم لنفس الغرض لكن في سرية تامة. وفي عهد مولاي الحسن استُقدمت أسر كثيرة من الحراطين من سوس لتقوية الجيش.

ويبدو أن هناك هوة ساحقة بين عبيد الخواص وعبيد المخزن الذين كانوا يسمون بالوصفان، مفردها وصيف. ويتميز عبيد المخزن بوضعية خاصة لا علاقة لها ببقية العبيد سواء في الحواضر أو البوادي. فالعبيد الذين كانوا في خدمة المخزن، ومن أبرزهم عبيد البخاري، كانوا في عداد الأحرار بحكم أنهم لا يباعون في الأسواق ولا يشترون إلا إذا اتضحت عدم قدرتهم على التعلم والتحصيل لخدمة المخزن. وكان منهم العدول والشهود وأئمة للصلوات الخمس ما عدا صلاة الجمعة التي يجب أن يكون القائم بها حراً خالصا. فالوصيف إذن هو من الرقيق الذي تمكن تدريجيا من الانفصال عن وضعه السابق كخادم، فتحول إلى صنف جديد يقدم خدمات بالغة الأهميةويقوم بمهام حساسة لفائدة المخزن في أعلى مستوياته. غير أن هناك حالات تتعلق ببيع رقيق المخزن. إذ تكشف الوثائق عن "بيع أوباش الإماء" اللواتي عُرضن للبيع في الأسواق بالمزاد العلني في لحظات متعاقبة إلى أن يرتفع ثمنهن إلى المستوى الذي يقبله الصدر الأعظم أو الحاجب. وغالبا ما كانت تعرض للبيع خادمات وفدن من القصر من تركات القواد والعمال، بينما كان يحتفظ بالجميلات منهن وباللواتي يُتقنَّ الطبخ الجيد وبعض الصنائع.

وكان لعبيد المخزن إسهام خاص في خدمة الأمراء وتربيتهم، إذ غالبا ما كانوا يرسلون إلى جهات نائية من البلاد رفقة مجموعة من العبيد يسهر السلطان الحاكم على انتقائهم بكامل العناية، فيعهد لهم بتربيتهم على شظف العيش تحت المراقبة اليقظة لأحد العبيد ممن لا يتسامحون ولا يخالفون أوامر السلطان. وخير نموذج في هذا السياق، هو مولاي الحسن الذي كانت تربيته في وسط قاحل لا ماء فيه ولا شجر بزاوية في الطريق الفاصل بين أسفي ومراكش، وذلك تحت عيون يقظة لعبيد كانوا كلهم من كبار السن وعاشوا أياما وتجارب كثيرة مع سلاطين سابقين.

أما حين يكون العبيد في خدمة السلاطين، فيسمون "عبيد الدار"، ويحتلون قمة هرم الرقيق في المغرب، فيحظون بالاحترام، بل كان يخشاهم حتى كبار موظفي المخزن المركزي بحكم قربهم الشديد من شخص السلطان. ويكون كبيرهم هو قائد المشور أو الحاجب، ثم يليه قواد المجموعات، ومنهم الفراشون، والمؤقتون، وأصحاب السجادة والموسيقيون والحجامة وقايد الماء ومُول الوضوء وغيرهم من الحمّارة والجمّالة.

وكان عدد "عبيد الدار" كبيراً ومتنوعاً، فيلازمون السلطان في حياته اليومية سواء تنقل في حركاته أو أقام بأحد قصوره، وقد يكون منهم الوصفان والأحرار. وكانت خدمة العبيد بداخل القصر تفتح أمامهم مجالا للترقية وبلوغ المراتب العالية، وهناك عدة نماذج في هذا السياق : ففي أيام السلطان سليمان، برز اسم محمد السلوي الذي أصبح وزيراً، كما سبق له أن مارس مهامه كعامل على جهات عديدة من البلاد، إلى أن أصبح "وزيرا للأجناس"، وكثيرة هي المعاهدات مع الدول الأجنبية التي تحمل توقيعاته. وهناك نموذج أحمد بن مبارك وزير السلطان سليمان الذي هيمن أحفاده من بعده لمدة قرن من الزمن على مناصب عليا في جهاز المخزن المركزي. فقد كان موسى بن أحمد حاجبا وصدرا أعظم أيام محمد بن عبد الرحمن. ثم هناك بَاحْمَاد المشهور الذي كان وزيراً وصدراً أعظم في عهد مولاي الحسن. ناهيك بالمكانة الكبرى التي بلغها الشخص نفسه أيام السلطان الفتى عبد العزيز. وقد كانوا يحظون بكل مظاهر التبجيل والأبهة، ويدفنون بعد موتهم في مقابر الأسرة السلطانية.

ويمارس العبيد على اختلاف أصنافهم مجموعة من الأنشطة المتنوعة كانت تشكل ممارساتهم في الحياة اليومية. ومع ذلك، يمكن تصنيف الرقيق من حيث الجودة

ومستوى التكوين والتربية بل والكفاءة. فالمخزن المركزي وكبار موظفيه إلى جانب القواد الكبار كانوا يحرصون بعناية على امتلاك فصيلة راقية من العبيد والإماء من ذوي المهارات الرفيعة والنادرة. وهناك مجموعة من المقاييس يمكن اعتمادها، كإتقان فن الطبخ، واللباس كمظهر خارجي، والحالة الصحية للرقيق، وظروف عيشهم بوجه عام.

وإذا تم اعتماد فن الطبخ كمقياس وعن مهارة الطبخ وعلاقته بالرقيق، فإنه لابد من الانطلاق من التباين الموجود في جودة التغذية بين البادية والمدينة وبين مأدبات القصر السلطاني وكبار القواد. فقد وردت إشارة سنة 1885 إلى تحضير 34 صنفا من الطعام بمناسبة حفل استقبال سلطاني، فكان انبهار القواد الوافدين من مختلف أصقاع البوادي كبيرا جدا. لأن خبرة الطبخ الواسعة تلك لم تكن في متناول الجميع. وكانت الإماء الطباخات من الدرجة الرفيعة يُبعن بأثمنة عالية، وهذا في حالة عرضهن للبيع في أسواق النخاسة. ونظرا لهذه الندرة، فقد حرص المخزن على تكوين طباخيه من الطراز الرفيع بتوزيع صغار السن من الإماء على القواد والأعيان المقيمين بالمدن الشمالية بوجه خاص (حالة والدة القائد أشعاش)، ثم أعيان الرباط مثل آل بركاش، ومرج وجازوليت وغيرهم. وقد تطول فترة تكوينهن، وتنتهي عادة بتسليم اعتراف لهن بالمهارات التي تعلمنها في ميدان الطبخ.

لكن مع ذلك، يظل المغرب بعيدا كل البعد عن نماذج الجواري الوارد ذكرهن في قصص *ألف ليلة وليلة*. وإن كانت هناك حالة إحدى الجواري التي بيعت في الجديدة بألف ريال لكونها عارفة بالعزف على آلة العود وتتعاطى الآداب. بالإضافة إلى حالة السلطان محمد بن عبد الرحمن الذي كان مولعا بالموسيقى، فكلف الصفاوري، وهو أحد مشاهير الموسيقى في عهده بتمرين بعض الجواري على فنون الموسيقى. وربما تابع خلفه مولاي الحسن النهج نفسه. وبالنسبة للرجال من الرقيق، كان الحرص على تعليم البعض منهم إلى جانب فنون القتال حرفا معينة مثل البناء والبستنة والزراعة بوجه عام. فكانوا يسلمون إلى مزارعين قصد تعليمهم زراعة الخضر وغراسة الكروم، وقد طرحت صعوبات كثيرة أثناء تعليمهم ولم تكن النتائج دائما حسنة. ويبدو أن أكثرهم حظاً هم وصفان القراءة الذين كانوا يسلمون منذ سن مبكرة إلى معلمين حضريين. أما عبيد المخزن، فكانت تفتح أمامهم آفاق لتعلم أمور دقيقة برفقة أمناء المراسي لتعلم الحسابات المعقدة، لأن السلاطين، كانوا يكلفون وصفانهم الذين يحظون بثقتهم بمراقبة حسابات بيت المال أو بنقل مبالغ مالية كبيرة من منطقة إلى أخرى، فكانت معرفتهم بالحسابات ضرورية لتكليفهم بمهام من هذا القبيل.

ويختلف اللباس والمظهر الخارجي للرقيق حسب مكانة السيد وثروته. غير أن عبيد المخزن كانوا هم الأفضل في هذا الباب، إذ يحصلون على كسوة في الصيف وأخرى في الشتاء. وكذلك الأمر مع عبيد القواد وأعيان الحواضر. وبالنسبة للنساء، فإن الخليلات والمحظيات أكثر حظا، وقد يحصلن على قفطان رفيع وحلي نفيسة. لكن دون أن تصل إلى مستوى ملابس وحلي الزوجة الشرعية.

وعلى مستوى ظروف العيش من سكن وتغذية وعلاج، يمكن أن يسكن بعض الرقيق في مسكن رفيع من أربع غرف يغبطهم عليها حتى الأحرار. وقد لا تتجاوز أحيانا ركنا عاديا ينزوي فيه العبد داخل بيت السيد في جو يطغى عليه البؤس والحرمان. غير أن الحياة غالبا ما تكون قاسية جدا لأولئك العبيد ممن يشتغلون في المزارع والحقول، فلا يسكنون سوى أكواخ أو نوايل من الخشب أو القش. وتكاد تكون حالات سوء التغذية بل والمجاعة أمرا معهودا في الأماكن النائية، حيث يُكتفى بالتمر كمادة غذائية وحيدة، مما يجعلهم عرضة للأمراض بسهولة كبيرة. وفي حالة مرض العبيد، يحاول العديد من الأسياد أن يتخلصوا منهم في أسرع الأوقات بطريقة أو بأخرى، فيتخمونهم بالطعام لتسمينهم حتى لا يفطن الزبناء إلى مرضهم الداخلي فيشترونهم. غير أن تلك الحالات لم تشكل القاعدة، إذ كان الأسياد يحاولون في غالبيتهم مواجهة أمراض عبيدهم منذ البداية حسب الإمكانات المتوفرة كالاعتماد على خبرة الحجامة، بينما كان المخزن يلجأ إلى خدمات الحكيم. أما أنواع الأمراض المنتشرة في أوساط الرقيق فقد كانت كثيرة، ومنها الجدري والسفلس التي كان يعتقد أنها صنف من الجذام، والعلاج الذي كان شائعا هو اتباع نظام غذائي نباتي لمدة أربعين يوما بدلا من استعمال الميركور.

ويمكن تصنيف العبيد إلى مراتب متباينة، كما أن هناك علاقة وثيقة بين سلوك الرقيق وبين الوضعية العامة لأسيادهم. وليس من النادر أن يتصف بعض الرقيق بممارسات منافية للأخلاق كشرب الدخان والخمر وممارسة الشعوذة، بل ومخاطبة الجن حسب اعتقاد البعض (عبيد خدام). وعلى عكس ذلك، هناك العبد المرافق والملازم لسيده، سواء في الحركات السلطانية أو القائدية، أو في المهام الخاصة كالأمناء مثلا. بل كان منهم من يصحبون أسيادهم إلى الديار المقدسة، وهناك نموذج قائد دكالة الذي رافقه عشرة من عبيده إلى الحج، وهو شيء لا يمكن أن يحققه الأحرار لأنفسهم بسهولة. وحين يكلفون بحراسة الأبواب ومخازن الحبوب أو الزيت، فهي كالقلاع التي يستحيل على الغير اقتحامها. بل كان بعض العبيد يسهرون على الثروات والعقارات ويتحملون مسؤولية تنميتها لفائدة السيد وكأنهم رجال أعمال. ثم هناك الحراس في الزوايا والأضرحة، ومعلوم أن الزوايا تملك ثروات نقدية (الربيعة)، فضلا عن الثروات العقارية والأراضي الفلاحية المعروفة بالعزيب، مما جعلهم يحظون بالتقدير لدى السكان ومقدمي الزوايا أنفسهم.

ثم هناك خصال نبيلة اشتهر بها العبيد في المغرب، وهي الوفاء والإخلاص للسيد وأفراد أسرته، وأبرزها نموذج "دادة" التي تسهر على تربية الأبناء من ولادتهم إلى حين زواجهم وربما حتى بعد الزواج. وكان ابتعاد دادة أو غيابها عن البيت لسبب من الأسباب يؤثر في النفوس نظرا لأهميتها العاطفية. وهناك القلق الذي ينتاب الرقيق الذين يشتغلون داخل بيوت كبار الأعيان كلما حل المرض بأحد أفراد الأسرة أو سافر بعيدا عن البلد. بالإضافة إلى الحزن الذي يصيب عائلة السيد عند وفاة العبد الوفي لأنه تفانى في الخدمة إلى حد نكران ذاته ونسيانها. وفي هذا السياق هناك نموذج لأحد قواد مكناس الذي أسره الفرنسيون، فأبى عبده إلا أن يرافقه إلى السجن. وأيضا نموذج العبد الذي رفض بتاتا الكشف عن المكان الذي يخفي فيه سيده كنزه على الرغم من الضرب المبرح الذي تلقاه في كل موضع من مواضع جسده.

غير أن هذا الوضع لم يكن يشمل كل الواقعين في الرق لوجود عدد كبير منهم في وضع مخالف جدا، إذ كان المشتغلون في الحقول أكثر تعاسة وأقل حظا. إذ كان عليهم حفر الخطارات وعصر الزيتون اعتمادا على مجهودهم العضلي فقط. أما في أراضي المخزن وفي المزارع التي كانت تمتلكها الزوايا والأشراف، فقد نجدبعض العبيد يشتغلون إلى جانب المياومين الأحرار. ومع ذلك، فإن العبيد لم يشكلوا قطّ عنصرا أساسيا لضمان استمرارية الإنتاج. ومن غير المؤكد أن استعمال الرقيق في البلدان الإسلامية ومن بينها المغرب كان يقتصر على الخدمة المنزلية، لأن هناك نموذج أحمد المنصور السعدي الذي استقدم عددا من العبيد من السودان للسهر على مزارع السكر ومعاصره.

وإذا كان بعض الرقيق يحيون حياة رغيدة في الوسط الحضري، فإن بعضهم الاخر كان يعيش في الجحيم. وعلى الرغم من أن العنف كان يشمل الأحرار والعبيد في الآن نفسه بحكم سيادة الاستغلال وسيطرة الرجل على المرأة والأولاد، وبحكم هيمنة سلطة القواد ونفوذهم في مغرب ماقبل الحماية، فلا مجال للاستغراب أمام ما يمكن أن يتلقاه العبيد من الضرب المبرح لأسباب حقيقية أو مفتعلة. وإذا كان الشرع يسمح للسيد بأن يؤدب رقيقه بعشر ضربات حسب الونشريسي، فإن المجال قد يفسح أمام التجاوزات التي لايمكن إيجاد حد لها. ورغم أن العبد كان له الحق شرعا ومن الناحية النظرية في أن يطالب بعرضه للبيع أو بتحريره من الرق في حالة الإفراط في سوء معاملته، فإن الواقع قد أثبت في كثير من الحالات بأن الهروب هو الملاذ الوحيد، فيلجأ العبد الفار إما إلى أحد الأضرحة أو إلى المخزن أو حتى إلى قنصل أجنبي. وإذا لم يتمكن من الفرار، فإن مصيره هو التعذيب والعقاب، فيقيد بالسلاسل والأغلال، ويجلد بالسوط أياما وليالي تصل به إلى حدود الإغماء. وقد يتلقى خمسين جلدة مقابل مخالفة بسيطة ارتكبها في قيامه بأشغال البيت، وقد يُرمى بالرصاص وتذهب حياته هدرا. وفي هذا السياق، هناك نموذج علي مزين من قبيلة شتوكة بسوس الذي ذبح أحد عبيده أمام المحلة المخزنية احتجاجا على تظلم الولاة في القبيلة. وهناك حالة أخرى تم فيها تجريب مدى فعالية السم في أحد العبيد الذي مات في حينه. وإذا كانت مثل هذه الحالات منعزلة حقا ونادرة الوقوع، فقدكانت مع ذلك موجودة وحاضرة كمؤشر على التباين الذي كانت تعرفه الحياة الاجتماعية في مغرب الأمس.

لكن ماذا عن الحياة العائلية والجنسية للرقيق في المغرب البائد؟ وإذا كانت للعبيد حياة عائلية، فكيف كان يتصرف فيها الأسياد؟ من المؤكد أن العبيد كانوا يتزاوجون فيما بينهم، إلا أنه ليست هناك ضمانات حقيقية بأن يحترم السيد ذلك الزواج. وفيما يخص هذه النقطة، فإن الوثائق المخزنية التي اعتادت الإفصاح عن معطيات لا يستهان بها تخص العبيد في حركيتهم خلال النهار تلوذ بالصمت في شأن ما كان يجري خلال الليل، وهو الوقت الذي كان يفسح فيه السيد المجال لنفسه لإشباع رغباته الجنسية. وهذا الموضوع لا توجد عنه أصداء متناثرة إلا في الفتاوى الفقهية ؛ وقد وردت الإشارة في المعيار إلى جهات معينة في المغرب كانت تقدم فيها النساء للضيوف. وهكذا تشتغل النساء في العمل الشاق طول النهار، وتتحولن إلى مصدر للمتعة واللذة الجنسية في الليل.

وبطبيعة الحال، كانت هناك اختلافات بين الممارسات الجنسية عند القرويين والحضريين : ففي المدينة، تتحمل الزوجة الشرعية مسؤولية الحفاظ على الخلفة. أما المتعة الجنسية فتتطلب توفر الرجل على أربع نساء شرعا، ويمكنه في الآن نفسه أن يمتلك من الإماء والمحظيات والخليلات ما لا عد له ولا حصر. ويبدو أن الاهتمام كان كبيرا في المجتمع المغربي البائد بالعناصر السوداء، فالحبشيات تفوق درجات حرارتهن فيما يبدو مثيلتها عند أخواتهن البيض والباردات أحيانا برودة الثلج الأبيض. وكثيرة هي النوازل الفقهية التي تميط اللثام عن تبرم النساء البيض من سلوك أزواجهن الجنسي لكثرة ارتباطهم بالخدم السود فتقلن عن الأزواج : كل عقله مع سودائه.

وكانت العائلات الميسورة تقدم للأبناء قبل الزواج خادمة ثقة كهدية، الغاية منها أن تقدم إليهم نوعا من التربية الجنسية التجريبية. وانطلاقا من هذه الظاهرة، يمكن الحديث عن غياب العنصرية في مسألة الجنس، خاصة وأن الخادمة قد تلد مع سيدها فتحول تبعا لذلك إلى زوجة شرعية. وهي ظاهرة قوية الحضور في عالم القواد والعمال، وخاصة في المدن الحضرية كفاس معقل نشأة البرجوازية المغربية الصاعدة. وهذا على الرغم من إلحاح الرجال وحرصهم الشديد على استعمال خليلاتهن من الإماء والجواري مختلف وسائل منع الحمل التقليدية الشائعة

وقتئذ على علاتها. غير أن النساء كنّ يتلاعبن في ذلك، لأن الإنجاب من السيد كان إحدى الخطوات الأساسية والمضمونة في طريق الانعتاق.

وبناء عليه، فليس من الغريب أن تغيب الأسماء العائلية عند العبيد، بل حتى أسماؤهم الشخصية تتغير حسب رغبة السيد الجديد. وقد يباعون في الأسواق دون أدنى اهتمام بروابطهم الأسرية، وهذا من أقسى مظاهر الاسترقاق سواء في المغرب أو خارجه، على الرغم من أن الشرع يمنع بيع الأطفال قبل نمو أسنانهم. ومع ذلك، فقد كانت الأسواق مليئة بهم، بحكم أن الرقيق ليس سوى بضاعة. وكان من الصعب جدا أن يتعرف أحد العبيد على والده الحقيقي لتعدد حالات المضاجعة الجنسية بين السيد وجواريه المتزوجات. وتعرض في أسواق النخاسة كثير من الإماء الخادمات اللواتي تُبعن بأثمان بخسة، لأن السوق تتيح فرصة مواتية للتخلص من الإماء اللائي قد يخلقن مشاكل عويصة سواء مع الزوجة الشرعية أو مع الأبناء والأصهار.

وهناك حالات عديدة لأشخاص لم يترددوا في احتراف كسب الرقيق وتربيته من أجل الإنجاب وبيع الأبناء بالربح في الأسواق لاعتبارهم أفضل من تربية أربع بقرات من حيث المدخول. وعلى العكس من ذلك تماما، فإن هناك من الأسياد من كان يحاول جاهدا أن يضمن حياة عائلية مستقرة للرقيق الخاضع لإمرته أملا في استخلاص أفضل النتائج منهم في مختلف الأعمال التي يمارسونها وأملا في الحفاظ على تماسكهم وعدم تفكيرهم في الفرار منهم.

وفي مغرب الأمس كانت حالات الفرار لا تقتصر على العبيد، بل تشمل الأحرار أنفسهم نتيجة للتقلبات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية العامة، ومنها حالات الفرار الناتجة عن الاستدانة من التاجر أو الثري المغربي مسلما كان أم يهوديا مرابيا أو من التجار الأوربيين ووكلائهم. وقد يفر أيضا الأشخاص الذين يعيشون وضعا مشابها للرقيق مثل الخماسة. كما كانت ظاهرة فرار الرقيق عامة سواء في المدن أو البوادي، وسواء لعبيد الأثرياء أو الأقل ثراء منهم. بل وحتى عبيد المخزن وعبيد الزوايا قد كانوا يفرون، وفي ذلك دليل على أن وضعهم كان غير مريح، وأنهم كانوا مستعدين للتعبير عن رفضهم لذلك الوضع عن طريق الفرار.

وكان العبيد الرافضون لوضعهم لسبب من الأسباب لا يترددون في استغلال الصراعات القائمة بين القبائل للفرار عندعناصر تنتمي إلى قبيلة مناوئة قد تكون مجاورة أو نائية. كما شكلت الزوايا ملجأ مفضلا للعبيد الذين كان البعض منهم يتحول إلى خادم لفائدة الزاوية ليضمن بقاءه بعيدا عن سادته القدامى. وقد يتجه العبد الفار إلى المخزن، وقبل سنوات الستين من القرن التاسع عشر كان المخزن يعيد العبد الفار إلى سيده. لكن بعد ذلك التاريخ تقرر إدماج العبيد الفارين إلى المخزن في صفوف الجيش الرسمي. وقد تحقق ذلك بصفة تدريجية، فكانت البداية مع العبيد الفارين من القواد والشيوخ، ثم شمل بعد ذلك عبيد الخواص. لكن هناك حالات عديدة لبعض الفارين من الرقيق ممن كانوا لا يقبلون اللجوء إلى المخزن ويفضلون المغامرة بالذهاب بعيدا إلى جهات أخرى، وكان من الصعب جدا العثور على العبيد الفارين، لكنه لم يكن أمرا مستحيلا. لأن الفارين يضطرون إلى المرور عبر المسالك الطرقية العامرة والمأهولة. كما كانت الزوايا تشكل مصدرا ثمينا لتتبع تحركات العبيد الفارين، إلى جانب موظفي المخزن من القواد وشيوخ القبائل. وهناك حالة الشيخ الذي نصح أبناءه بعدم منح الصدقة إلى المجرم القاتل والعبد الهارب والفار من سلطة المخزن. وعلى الرغم من العقوبات القاسية التي كانت تلحق بالفارين من الرقيق، فإنهم لم يترددوا في إعادة الكرة من جديد.

ومع ذلك فإنه من الصعب اعتبار حالات الفرار كمؤشر على وجود حالات تمرد أو ثورةفردية أو ربما حتى جماعية. ولا يمكن بتاتا الحديث في حالة المغرب عن ثورة عامة للعبيد. وهي حالة لو تم التسليم جدلا بوقوعها، فإنها لا يمكن أن تقع إلا في الجنوب حيث يعيش عدد هام من الرقيق المجتمعين في إطار العمل الفلاحي الجماعي المعروف بقساوته الشديدة. لكن الغريب في الأمر أن هناك عدة حالات للفرار لا يرفض فيها العبيد الفارون مبدأ الاسترقاق في حد ذاته، بل يطالبون فقط بالانتقال إلى ملكية سيد آخر. غير أن هناك حالات أخرى متطرفة أقدم فيها العبيد أحيانا على قتل أسيادهم في الشياظمة وأولاد زيان مثلا.

وفي غالب الأحيان، قد يتحول الفارون من الرقيق إلى لصوص ؛ فربما تكون البداية هي سرقة ما يمكن الاقتيات به، ثم يتحول الأمر إلى حرفة يمارسها العبد الفار ويتخذ منها وسيلة للانعتاق. وربما تكون البداية أيضا بالانخراط في عصابات لصوصية، وتلك هي حالة العبد بلال في حاحة الذي اعترض طرق المسافرين ونهب الزوايا لمدة عشر سنوات دون عقاب، فلجأ في نهاية الأمر إلى حرم إحدى الزوايا. وتوجد حالات مماثلة في الحوز ومليلية، حيث لم يتردد بعض العبيد الفارين في المساهمة في أعمال التهريب على حدود مليلية.

ويبدو أن الإسلام لم يحرر الرقيق بصريح العبارة، لكن الله تعالى حث المؤمنين من عباده على القيام بذلك، فتكررت الآيات القرآنية التي تحبذ فك الرقاب، وهي من الحسنات التي يُكافأ عليها فاعلها بأفضل الثواب. وفي هذا السياق، هناك نموذج لأحد قضاة سوس الذي ذكر المختار السوسي أنه حرر كل عبيده قبل وفاته، إلا أنها تظل حالة نادرة. وفي المدن هناك بعض الشرفاء أو كبراء الأعيان الذين يقومون بتحرير بعض عبيدهم رغبة في الثواب.

ويعتبر الخطف والاغتصاب في صفوف النساء الأحرار لتحويلهن إلى جوار ينتهي بهن المطاف في أسواق النخاسة أمرا معهودا ومنتظم الوقوع في مغرب ما قبل الحماية. وتتراوح أعمال الخطف بين عمل الهواة الذين يختطفون الناس عند الحاجة وبين المحترفين، وعادة ما تتم العملية في الليل، وتمس الأطفال فيوضعون داخل التلاليس، كما تمس الإناث أكثر من الذكور. وقد برزت أسماء مشهورة في هذا الإطار مثل "الحاج مول الگربة" في قبيلة الزبايدة، وبوقطيب الذي كان مختصا في سرقة النساء بمنطقة زعير.

وكان الأمر على مستوى من الجدية والأهمية، إذ خصص له مولاي الحسن حيزا هاما في رسالته إلى رعاياه بمناسبة حلول مطلع القرن الهجري الجديد (1300 / 1882 . 1883) نقرأ فيها : "ومن المنكر الذي لا يسع التغافل عنه والتساهل في أمره، هذا الخطاب النازل الوقتي الذي هو المجاهرة باستعباد الأحرار واسترقاقهم بدون وجه شرعي، فإن المستعبد للحر هو أحد الثلاثة الذين لا يقبل الله منهم صلاة" (*إتحاف*، ج. 2، ص. 229). غير أن الأمور استفحلت بعد 1893، حيث ارتفع عدد الاختطافات عن طريق العنف في صفوف النساء الأحرار وأطفالهم في المناطق الجبلية لبيعهم كعبيد في سوق النخاسة. ومما كان يشجع اللصوص على تلك الممارسات وجود طلب كبير على الرقيق من كبار القوم واستعدادهم لدفع أثمان عالية مقابل الحصول عليهم. وبما أن العمال والقواد "عمال الوقت" كانوا يشتركون أيضا في العمليات بالتستر عليها، فذلك يعني أن تركيبة المجتمع هي التي كانت تشجع على قيام بعض المغامرين بممارسات من هذا القبيل، مما كتب لها الاستمرار.

وفي السياق نفسه، تقدم مقتطفات من رسالة للسلطان محمد بن عبد الرحمن المعطيات الآتية : «وغير ذلك من المنكرات وأشنعها وأبشعها ما يرتكبه الأشياخ الفجرة من بيع النساء على ما بلغنا. وصورة ذلك أن يقبض الرجل وتوظف عليه الذعيرة، فلا يفي بها ماله وتكون عنده الزوجة المرغوب فيها، فيتحمل الراغب فيها بما بقي من الذعيرة ويسلمها له ويجعلها العدول الفجرة في صورة خلع، ويدخل بها الراغب قبل وفاء العدة (...)" (ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 3، ص. 121). وهذا ما يفسر بسهولة سبب امتلاء دور القواد والعمال بالجواري والخدم والإماء من مختلف الأشكال والألوان، مما يجعلهم يتحولون هم بأنفسهم إلى نخاسين يتاجرون في الرقيق. وأبرز نموذج في هذا السياق هو الأگلاوي بدون منازع.

ومن جهة أخرى، كانت المجاعات من بين الأسباب التي تدفع بعامة الناس إلى بيع الأقارب والأبناء مقابل قطعة من الخبز أحيانا. ويمكن اختيار مجاعة 1879 كنموذج حدثنا عنه ابن زيدان مرة أخرى فقال : "ولما دخلت سنة خمس وتسعين بقي (السلطان) مقيما بمراكش شفقة على رعيته لما دهمها في تلك السنة من حبس المطر، وارتفعت بسببه الأسعار، وبلغ ثمن المد من القمح بمكناس أربعة عشر مثقالا، فضج الناس وافتتنوا وكاد أن يأكل بعضهم بعضا، وصار المرء يفر من أخيه وأمه وبنيه ويبيع الوالد ولده(...)".

وشكلت محاربة الاسترقاق على الصعيد العالمي قضية بالغة الأهمية لبني الإنسان قاطبة، فكانت الدنمارك أول الدول الأوربية التي اتخذت مبادرة إلغاء الرقيق الذي استهدف السود سنة 1792، فالتحقت بها فرنسا سنة 1794 وبريطانيا سنة 1807، والولايات المتحدة سنة 1808. وفي مؤتمر ڤيينا المنعقد سنة 1814، حاولت بريطانيا استخدام نفوذها لحث دول أجنبية أخرى للاقتداء بسياستها، فأقرت جل الدول الأوربية مجموعة من القوانين، أو وقعت اتفاقيات تمنع تجارة الرقيق الأسود. وقد ألغي الاسترقاق في المستعمرات البريطانية سنة 1833. وفي 1842 وقعت الولايات المتحدة وبريطانيا اتفاقية أشبورتون Ashburton، فنصت على أن تستعمل كلاهما مراكبها البحرية على امتداد السواحل الإفريقية لتطبيق المنع في تجارة العبيد. وفي 1845، تم تعويض التعاون بين القوات البحرية الفرنسية والإنجليزية بحق الزيارات المتبادلة للمراكب الخاصة بكلا البلدين. وفي هذا السياق، حصل العبيد الفرنسيون على حريتهم سنة 1848، والعبيد الهولنديون أيضا سنة 1863. وحين تأسست جل الجمهوريات الجديدة في أمريكا الجنوبية، فقد حرصت على تحرير كل العبيد. غير أن البرازيل مثلا لم تعترف بإلغاء الرق إلاّ في سنة 1888.

وفي بلدان العالم الإسلامي وفي المغرب بوجه خاص، بذلت بريطانيا جهودا لا يستهان بها للقضاء على الاسترقاق أو على الأقل لمنع استمرار تجارته علنا في الأسواق. وكانت البداية في الأربعينيات من القرن التاسع عشر في منطقة البحر المتوسط بوجه عام، حين تأسست الجمعية البريطانية المناوئة للاسترقاق سنة 1839 : "British and Foreign Anti-Slavery Society"، فشنت بريطانيا حملة قادتها ضد تجارة العبيد في بلدان حوض المتوسط. حيث أقام أحد مبعوثي الجمعية، وهو جيمس ريتشاردسون Richardson، في مالطة بهدف الشروع في حملة ضد الاسترقاق في المغرب وتونس وطرابلس.

في تونس استجاب الباي للدعوات البريطانية لأنه كان ينوي الاعتماد على بريطانيا لدرء خطر الغزو الفرنسي. فتم منع تصدير العبيد من تونس سنة 1841، ثم منع بيع العبيد في جميع الأسواق التونسية سنة 1842. وفي أبريل 1842 منع جلب العبيد إلى تونس فأصبح كل عبد تطأ قدماه تونس يعتبر حرا. وبعد خمسة شهور، أصبح الأبناء الذين يولدون من أبوين عبدين أحرارا، إلى أن أعلن عن الإلغاء النهائي للاسترقاق في تونس سنة 1846. وفي الخمسينيات من القرن التاسع عشر، صدرت بعد الفرمانات

في شأن تجارة الرقيق الأبيض في جورجيا وبلاد القوقاز، وأخرى في 1875 في شأن تجارة العبيد السود في أرجاء الأمبراطورية العثمانية، باستثناء الحجاز حيث كانت هناك معارضة قوية واعتبر إلغاء الاسترقاق عملا متنافيا مع الإسلام.

أما في المغرب، فقد اتخذت الأمور اتجاها مخالفا تماما: إذ يخبرنا دانلد مكنزي Donald Mackenzie، بأن مبعوث الجمعية البريطانية ريتشاردسون قد بذل محاولة أولى سنة 1844 ليبلغ السلطان عبد الرحمن بن هشام رسالة في الموضوع، فرفض عامل الصويرة نقلها إلى مراكش. ولم يكن هذا الرفض سوى تطبيق لتعليمات سلطانية، لأن بوسلهام بن علي في طنجة قد سبق له أن تلقى عرضا مماثلا من مجموعة بريطانية وفرنسية رغبت في الاجتماع بالسلطان للتباحث معه في موضوع منع تجارة الرقيق، فأمره السلطان بأن لا يسمح لهم بالتنقل إلى مراكش، ويكتفي باستلام رسائل منهم في الموضوع.

وفي أربعينيات القرن التاسع عشر، لم تكن هذه المحاولات لتحقق النجاح المطلوب، لأن الحكومة البريطانية لم تعزز مبادرات الجمعية المناوئة للاسترقاق، بحكم أن النفوذ البريطاني ظل عاديا. ويجب انتظار سبعينيات وثمانينيات القرن نفسه لتصبح الجهود حقيقية وفعالة نسبيا في هذا السياق. وتحتفظ الوثائق البريطانية في لندن بنسخة لرسالة جوابية هامة من نائب السلطان محمد بركاش إلى سفير بريطانيا جون دراموند هاي بتاريخ 31 يناير 1884، تعكس جزءاً هاما من الجهود التي بذلتها بريطانيا لإقناع السلطات المخزنية بإلغاء الاسترقاق. كما تقدم لنا موقف المخزن من الاسترقاق بوجه عام وردود فعله أمام تلك الدعوات التي لم تجد صدى لها على النحو الذي كانت تتمناه بريطانيا.

ويبدو أن الأمور لم تتجاوز هذا الحد، وظل المخزن ثابتا من حيث مواقفه المبدئية في شأن الاسترقاق بالمغرب. وإذا كانت تجارة الرقيق قد تراجعت بشكل جدي في حوض البحر المتوسط منذ أواسط القرن التاسع نتيجة للمراقبة الصارمة التي مارسها البريطانيون انطلاقا من مالطة، فإن التجارة العابرة للصحراء لم تعبأ بالمبادرات الدبلوماسية مهما تعددت على امتداد السنوات اللاحقة. وإذا كانت الطرق الشرقية التي تفضي إلى توات وتافيلالت قد ضعفت فيها حدة تجارة الرقيق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة للوجود الفرنسي في الجزائر، فإن الطرق الساحلية قد تزايدت أهميتها. ويؤكد ميج بأن الفترة الممتدة بين 1840 و1870 قد سجلت عبور أزيد من 4000 من الرقيق في اتجاه المغرب. غير أن السنوات اللاحقة ما لبثت أن سجلت تراجعا مهما كما تشهد بذلك المصادر الأوربية نفسها.

ومع ذلك، فإن محمد الناجي الذي اشتغل كثيرا في هذا الموضوع اعتمادا على مصادر مغربية قد أكد بأن تجارة الرقيق ظلت مهمة من حيث حجمها إلى حدود نهاية القرن التاسع عشر على الأقل وقد تراجعت تجارة الرقيق بصفة مؤكدة في مناطق المغرب الشمالية، بما في ذلك أسواق النخاسة بفاس ومكناس وسلا حيث كانت الحركة نشيطة من قبل. وكذلك الشأن بالنسبة للمناطق الساحلية، إذ سجلت أسواق الجديدة والدار البيضاء تراجعا واضحا. أما في المغرب الشرقي، فقد أصبح من النادر أن ترد الإشارات عن بيع الرقيق في سجلات الأمناء بوجدة. ومع ذلك فإن هذا التراجع ليس عامّاً ولا متواصلا على مستوى مجموع البلاد. ففي الجنوب مثلا، ظلت حركة تجارة الرقيق محتفظة بأهميتها المعهودة فيما يبدو، وخاصة في أسواق مراكش حيث تصل أعداد هامة من العبيد ليتم توزيعهم من جديد على جهات أخرى في المغرب. وتؤكد الأرقام الواردة عند الناجي أن السنوات الممتدة بين 1876 و1880 قد سجلت بيع 4.000 من الرقيق سنويا في مراكش. هذا وتجدر الإشارة إلى أن المغرب لم يوقع على اتفاقية بروكسيل التي صدرت قراراتها المناوئة لاستمرار الرق في 2 يوليوز 1890، بينما وقعت عليها إيران والأتراك العثمانيون.

ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، ج. 2 و3 : المختار السوسي، المعسول، أجزاء مختلفة.

Ennaji Mohamed. *Soldats, domestiques et concubines. L'esclavage au Maroc au XIXe siècle*. Casablanca, 1994 ; Ennaji Mohamed et Ben Srhir Khalid. *"La Grande Bretagne et l'esclavage au Maroc au XIXe siècle"*, *H.T.*, vol. XXIV, fasc. 2, 1991 ; Chater Khalifa. *Dépendance et mutations précoloniales : la Régence de Tunis de 1815 à 1857*. Tunis, 1984 ; Murray Gordon. *L'esclavage dans le monde arabe VII-XXe siècles*. Paris, 1987 ; Mackenzie Donald. *The Khalifate of the West*. London, 1911 ; Miège J.L., *Le Maroc et l'Europe* t. IV ; Godard Léon, *Description et histoire du Maroc*, Paris, 1860, t. 1. *British Documents* in the Public Record Office.

خالد بن الصغير

الرقاص، عند المغاربة هو الساعي عند المشارقة. أي الرسول الذي يصدر أو يرد بالكتب والمخاطبات من جهة إلى أخرى. وقد أورد المصطلح عبد الله ابن بلقين في مذكراته بقوله : "وأما الرقاصة من المغاربة"، وابن القطان في نظمه "وجه رقاصا" و"هؤلاء الرقاصين"، وابن صاحب الصلاة "ونهض الرقاص" و"سرى الرقاصون" وابن عذارى "وبعث رقاصا إلى أمير مكناسة" "فعند وصول الرقاص بالكتاب إليه" و"ركب الرقاص" "أن يبعث الرقاصون" "وجاء بالكتاب رقاص".

ولفظة الرقاصة ما تزال متداولة في المغرب إلى اليوم، وهي تقال كناية عن سرعة حركة الفرد وكثرة تنقله من مكان إلى آخر. وهي في نفس المعنى الذي كان يعطى لحاملي المراسلات في العصر الوسيط. وهو لفظ ينتسب

إلى الاصطلاح المغربي الأندلسي. والراجح أنه يعود إلى ما قبل الفترة المرابطية بدليل وروده عند عبد الله ابن بلقين أمير غرناطة (488 هـ تاريخ التأليف). وابن القطان (628/ 1230).



لكن رصد مراحل تطور الرقاصة بالمغرب يظهر أن هناك فرقا بين البداية الأولى لظهور الرقاصة، وبين الرقاصة بعد 16 ربيع الأول 543 تاريخ صدور الظهير المنظم للبريد أو للرقاصة على عهد عبد المؤمن بن علي الكومي : حيث أصبحت الرقاصة بعد هذا التاريخ نظاما له قواعد مضبوطة يسير عليها، وأسس معلومة شكلته كنظام بديع في ترتيب : فهناك الرقاص العادي وهو الرسول الذي لا يحترف الرقاصة بل له مهمة أخرى يقوم بها كالتجارة أو غيرها، وتسميته بالرقاص العادي تأتي لكونه دائم ركوب الطريق وموصل الرسائل إلى الجهات التي يقصدها أو يسير بها، وهذا النوع من الرقاصة ليس له أسس، فهو لا يرتبط بمدة محددة لإيصال الرسالة فيها، لأن مهمته هاته ثانوية، وتختلف وسيلة نقله بحسب إمكانياته الخاصة، وهو يتقاضى على مهمته هاته بحسب ما يمنحه له المرسل، على أن نوع الرسائل التي يتكلف بها هي في الغالب رسائل لعامة الناس.

أما الرقاص المستعجل، فهو رقاص يرتبط بمهمة سياسية أو عسكرية أو إدارية... بحسب مضمون مخاطبة الأمير أو مراسلة الوالي أو أحد موظفي الدولة، فهو يتنقل بين المراحل والمدن ممتطيا صهوة فرسه، ليجد في كل محطة يصلها وبعد كل مرحلة يقطعها حصانا مسرجا ملجما متطبه إلى المرحلة التي بعدها.

ولم تكن مراحل تغيير الحصان شبيهة بمراحل السير التي ذكرتها كتب المسالك، بل كانت لهم محطات معلومة ترتبط بعدد الأيام التي يلزم قطع الرحلة فيها، أي أن المسافة المرغوب اجتيازها تتوزع إلى مراحل بعدد الأيام التي يلزم قطع المسافة فيها. وكانت الدولة بعد ظهير تنظيم الرقاصة هي التي تتكفل بالدواب وعلفها وزادها حتى لا يكلف الرقاص الناس مؤونة رحلته خلاف ما كان سائدا قبل ذلك.

وتحقيقا للاستعجال كان الرقاص يسري الليل والنهار قاصدا وجهة المرسل إليه، حيث تنقل لنا المصادر حقيقة هذه السرعة وحرارة هذا الاستعجال أثناء إيصال الكتاب بقولها "وطارت إليه طيارات الاستعجال" و"طارت الركبان". وكان الرقاص يستعمل أنواعا خاصة من الخيول الجيدة المسرجة مثل الخيول النزارية والحمدية والمسيلية والأزابية، وإلى جانبها كان يستعمل السفن والمراكب البحرية خصوصا في الربط بين صفتي البحر المتوسط وقد تسرع به الرياح وقد تؤخره.

لقد عكست المصادر السرعة التي كان الرقاص المستعجل يقطع فيها المسافات، فقد قطع المسافة بين سلا ومراكش في يومين فقط، والمسافة بين مرسية ومراكش في ستة عشر يوما، ويصفنا ابن صاحب الصلاة بأنها شديد السير، وهذا دليل على أنه كان جادا في سيره، وفقا للمهمة التي كان يوكلها له الأمير أو الخليفة، فهو من كان يعينه إذا كان صادرا من عنده، أما رقاصو الولايات فقد كان الوالي أو الأمير هو من يعينهم. أما أجورهم ورواتبهم فالملاحظ أن ما كان يؤدى لهم لم يكن يكفيهم للسير أو يساوي قدر الجهد الذي كانوا يبذلونه، لذلك كانوا يكلفون الناس بعضا من مؤونتهم وعلف دوابهم، إلى أن جاء ظهير تنظيم البريد الذي تكلفت الدولة بموجبه بزادهم وعلف دوابهم، إضافة إلى إجزال العطاء لهم بسخاء، بحسب قيمة الرسالة الواحدة ووجهتها والمسافة التي سيعبرها. أي أن العطاء كان يختلف بحسب الرحلة.

المقري، *النفح* 2، 150، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968؛ *مذكرات الأمير ابن بلقين*، 157، تح. أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، ص. 163، 198، تح. محمود علي مكي، بيروت، 1990؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، 74، 76، 77، 78، 126، 200، تح. عبد الهادي التازي، بيروت، ط. 3، 1987؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، 4، 21، 29، تح. إحسان عباس، بيروت، 1980؛ قسم الموحدين، 50، 51، 66، 85، 301، 302، 321، 345، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، البيضاء، 1985؛ المراكشي، *المعجب*، 376، تح. سعيد العريان وآخر، البيضاء، 1978.

محمد البركة

ابن **رقاصة، خليفة** بن إبراهيم وهو ابن عم خليفة ابن رقاصة قهرمان دار الأمير يوسف بن السلطان يعقوب المريني ثم القيم على أموال القصر عندما أصبح يوسف ملكا. وينتمي الاثنان إلى أسرة بني رقاصة (أو بني رقاصة) من اليهود المعاهدين بفاس الذين كان لهم شأن كبير في بلاط بني مرين أيام ملوكهم الأوائل. وقد لقب ابن رقاصة هذا بالصغير تمييزا له عن ابن عمه خليفة الكبير الذي نكب هو وأخوه إبراهيم وموسى بن السبتي وذويه. وكان ذلك على يد الحاجب عبد الله بن أبي مدين عند ما أحس بمعاظم نفوذهم وتغلبهم على هوى السلطان وحاشيته

فاعتقلهم وقتلوا جميعا في معسكره بمنصورة تلمسان وهو محاصر لها سنة 701 / 1302، إلا أن خليفة الصغير نجا من هذه المجزرة واستبقي حيا لصغر سنه حينذاك. وفي عهد السلطان أبي الربيع سليمان 708 / 1309 .710هـ/ 1311) استعمل خليفة الصغير بداره وكلفه ببعض المهن مما سهل عليه الاتصال بحاشية القصر وبالسلطان مباشرة وكانت في نفسه رغبة جامحة للانتقام من الحاجب عبد الله بن أبي مدين قاتل أسرته. وعندما تمكن ابن رقاصة من مصاحبة السلطان والاستئثار بخدمته والاستحوذ على اهتمامه، أصبح المتصرف في دولته حتى إن ابن أبي مدين لم يكن يقدم على شيء من أمور الدولة إلا بعد مشاورة اليهودي الذي كان جميع الجيش ينادونه بسيدي أبي خزر (*بيوتات*، 58). استغل ابن رقاصة نفوذه وسلطته ودسّ إلى السلطان أن الحاجب ابن أبي مدين يعرض باتهام السلطان في ابنته، وأن صدره وغر بذلك وأنه متعرض بالدولة وأنه من دعاة آل يعقوب من بني مرين (*العبر*، 7 : 479). وفي رواية أخرى أن ابن رقاصة استعمل براءة مزورة ونسبها إلى جارية من جواري السلطان سليمان تخبر فيها ابن أبي مدين أنها تحبه وأعطاها ابن رقاصة للحاجب عند انصرافه من المشور وطلب منه أن لا يقرأها حتى يصل إلى داره، ثم خلا اليهودي بالسلطان وأعلمه بالخبر. فغضب سليمان وطالب بإحضار حاجبه وأمره بأن يعطيه البراءة التي لم يكن يعلم بمحتواها ثم أمره بالانصراف. وبعد ما علم السلطان ما في البراءة ظن أن ابن رقاصة كان صادقا فيما أخبره به فثارت ثائرة السلطان وقرر قتل حاجبه، وكان مقتله على يد قائد الروم في جيش السلطان غنصالو النصراني عندما طعنه بالقرب من مقبرة الفقيه الإمام أبي بكر بن العربي المعافري بفاس. إلا أن وزير السلطان سليمان بن يرزيكن تحسر على مقتل صديقه الحاجب وتفطن إلى مكر ابن رقاصة فأخبر السلطان بأن ابن أبي مدين كان ضحية خديعة اليهودي وهدفا لانتقامه، وأطلعه على براءة كان الحاجب بعثها معه قبل مقتله ليقدمها إلى السلطان ويخبره بأنه يتنصل من التهم التي الصقها به اليهودي ويتبرأ منها تماما. بعد ذلك أدرك أبو الربيع مكيدة ابن رقاصة وندم على تسرعه في قتل حاجبه، فأمر بالتنكيل بخليفة وذويه من اليهود وقتلهم جميعا.

م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 381 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 58 .60 ؛ *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 21. 23 ؛ *النفحة النسرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 39 .42 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 483 . 484 و497 . 498 ؛ أ. ابن القاضي، جدوة *الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 438 .439 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 81 .99 .100 ؛ مادة بنرقاصة، *معلمة المغرب*، مطابع سلا، سلا، 1992، ج. 5، ص. 1443.

Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13e et 14e siècle*. Paris. 1966. p. 393 - 395 : M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris. 1986. p. 106 - 266 : A. Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides (1269 - 1331), Histoire politique et sociale*. Paris. 1987. p. 176.

رشيد السلامي

الرقّي، عبد الله بن **حسين**، المدعو القبّاب. والرقي نسبة إلى الرقّة، بلدة بشاطئ نهر الفرات من أرض العراق قيل إن أصله منها. وقد فسر بعضهم الرقي، من الرق، بقاف معقودة، وهو الهضبة الحصوية. أما القباب، فهو أحد أسماء الأسد.

كان مولد الرقي بزاوية سيد الناس، بفزواطة من درعة، في تاريخ غير محدد. وبتلك القرية تلقى تعليمه الأولي ؛ ثم أخذ عن عالم درعة في وقته، الشيخ أحمد بن علي الحاجي (ت. 998/ 1590). وهو الذي لقنه ورد الشاذلي، عن أبي القاسم الغازي، عن علي بن عبد الله السجلماسي، عن أحمد بن يوسف الراشدي، عن الشيخ أحمد زروق البرنسي الفاسي. ولما استد ساعده انتقل من زاوية سيد الناس إلى تامگروت، حيث علا صيته، وضاع عرفه، ودعيت الزاوية الحسينية، نسبة إليه.

ترجم للرقي عدد من الكتّاب، منهم محمد المكي الناصري، في *الروض الزاهر*، الذي قال فيه : "هو القطب الجامع، والغيث الهامع، خاتمة الزاهدين، وإمام السالكين، عالم الشريعة، وأستاذ الطريقة، وسلطان الحقيقة، قطب الزمان، وعنصر العرفان، والحامل في وقته لواء أهل العيان، ونخبة النجباء الأعيان، مربي المريدين، وترجمان العارفين..."

والملاحظ أن الناصري المذكور لم يشر إلى مستوى المترجم العلمي، ولا إلى العلوم التي كان يتقنها ؛ شأنه في ذلك شأن الإفراني، الذي وصفه بأنه "أحد الأفراد السالكين للسنة، في أقوالهم وأفعالهم، ومن المجتهدين في العبادة". ويتفق باقي من ترجموا له على أنه كان زاهدا متقشفا، في مأكله وملبسه، كثير الصلاة، مشتغلا بالذكر آناء الليل وأطراف النهار، دائم الصيام، لا يفطر إلا يوم الجمعة. ولذلك صنفه أصحاب المناقب في درجة القطبانية. ومنهم من جعل مرتبته فوق مرتبة الشيخ الغازي، صاحب سجلماسة (ت. 891. 1574).

يعتبر الشيخ الرقي المؤسس الثاني للطريقة الناصرية، بعد شيخه الغازي. فـ"كان ورد المتجردين عنده سبعين ألفا (من الهيللة)، والمتوغلين سبعة آلاف، والطلبة ألفا، والنساء كذلك". ذلك الورد الذي يرتكز أساسا على "لاإله إلا الله". لذلك كله نرجح أن التصوف كان هو الغالب عليه، أكثر من العلم. والدليل على ذلك أنه عمل، بمعية تلميذه الشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاري على استقطاب مَحمد ابن ناصر "لينفعهما بعلمه". ونقل صاحب *الدرر*

كلام أحمد ابن إبراهيم الأنصاري، مخاطبا والد الشيخ مَحمد ابن ناصر، حيث قال : "إنا نريد أن تترك لنا ولدك سيدي مَحمد يقيم عندنا بالزاوية لبث العلم ونشره...". فلو كان الشيخ الرقي عالما لما طلب هو وتلميذه من الناصري الإقامة بتامكروت، للاضطلاع بالتعليم.

وننسب إلى الرقي أقوال تنوه بالخمول، وتنفر من التهالك على حطام الدنيا، وتدعو إلى الزهد، والصدع بالحق، والابتعاد عن الشبهات ؛ بما في ذلك "السبب". ولما اتهم بتعاطي الكيمياء قال : "خدمنا لا إله إلا الله، حتى وجدنا بركتها، فمن ظننا بغير ذلك فقد ظلمنا".

ويظهر أن الرقي كان من بين الأعلام الذين عكسوا عصرهم. فقد تميز عصره باستشراء الفتن والحروب، نتيجة الصراع الدائر بين أبناء المنصور الذهبي، وتضييق قواد السملاليين على أهل درعة ؛ ولاسيما في ميدان الجباية ؛ كان التصوف ملاذاً لكثير من الناس.

وباستثناء تردد الرقي إلى تافيلالت لزيارة شيخه أبي القاسم الغازي، لم نعرف له رحلة. لذلك يظهر أنه كان قليل السفر.

توفي الرقي أثناء عودته من تافيلالت، قادما من زيارة شيخه أبي القاسم الغازي، بإزاء ثنية سجلماسة، على بعد حوالي خمسة عشر كلم من تامگروت، بعد زوال يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الثانية عام 1045/ 23 نونبر 1635.

وحمله تلميذه الشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاري إلى تامگروت، ودفنه بها، وبنى عليه الضريح المشهور. ومن كبار تلاميذه، فضلا عمن ذكر، أبو بكر السكتاني.

محمد المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط خ. ع. الرباط 2990 ك ؛ م. الإفرازي، *صفوة من انتشر*، طبعة حجرية، فاس ؛ م. المكي الناصري، *الروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه السادات الأكابر*. تح. المهدي الغالي، سنة 1999 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج. 2 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 3 :1328 ؛ *التقاط الدرر* ؛ م. الحضيكي، *طبقات...*؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، ج. 1 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية...*؛ *الحركة الفكرية*، ج. 2.

أحمد عمالك

رقوان (تربة)، يميز سكان المغرب بين أنواع مختلفة من الأتربة كأتربة "ترست"، أبياض أو بياض، الحمري، الرمل أو إكيضي، رقوان أو ارقوان... وكما هو معلوم أن هذه التصنيفات المحلية من طرف الأهالي تعنى أساسا بالمظاهر السطحية كاللون والنسيج...

وعلى هذا الأساس يطلق سكان الدير الشمالي للأطلس الكبير الغربي اسم رقوان على تربة حمراء إلى سمراء ـ محمرة ذات نسيج طميي ـ طيني ـ رملي، موردة أحيانا. ونجدها بالخصوص فوق البروزات الترياسية الحمراء أو فوق السطوح الطميية الرباعية الوسطى أو الحديثة. وهي أضعف الأتربة حسب الأهالي.

كما يسمي سكان السهول الداخلية (الحوز، البحيرة ـ السراغنة، تادلة...) التربة رقوانا أو "رقوانة" التربة الدقيقة النسيج اللينة التي تغطي السطوح المنبسطة أو الخفيفة الانحدار. وهي حسب البعض تربة رقيقة لا تمسك الماء لحدرث السيل فوقها بسرعة، ولأنها تتعرض للتنشيف بسرعة كذلك (سهل السراغنة ـ البحيرة). ولاستصلاحها لا بد من قلبها وتهويتها. وحسب البعض الآخر هي تربة ثقيلة وغليظة تتطلب مياها كثيرة (الحوز الأوسط).

وعندما تشغل تربة رقوان مجالات واسعة منبسطة يسمونها "الرك". وعندما تكون المساحات محدودة يطلقون عليها "الروكية" أو "رقوانة". ولعل هذه التسميات مشتقة من الكلمات العربية التالية :

ـ إما من الفعل رَقَنَ أو أرْقَنَ أو رَقَّنَ أو ترقَّن أو ارْتَقَن أو استرقن بمعنى اختضب بالرقان أو الرَقُون وهو الحناء أو الزعفران. وربما المقصود هو تلون هذه التربة أحيانا بلونهما (5YR 4/4 : أدكن ـ محمر، أو 5YR 5/4 : أحمر مصفر).

ـ وإما مشتقة من رَقَّ وهو ضد غلظ (لسان العرب). والرُّق أو الرِّق ـ وهذا يذكرنا بكلمة "الرك" التي يطلقها الأهالي على هذه التربة ـ أو الرَقَقُ : الأرض اللينة الواسعة (المنجد في اللغة والاعلام+ لسان العرب)، أو الأرض الرقيقة (لسان العرب).

والرَقاق : الأرض السهلة المنبسطة المستوية اللينة التراب تحت صلابة، أو الأرض اللينة من غير رمل (لسان العرب). والرُقاق أو الرَقاق : الأرض المنبسطة أو المستوية اللينة أو التي نضب عنها الماء (*المنجد في اللغة والاعلام*). والرَقَّة : الأرض التي يغطيها الماء ثم ينضب عنها (*المنجد في اللغة والاعلام*)، أو كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء أيام المد (الفيض) ثم ينحسر عليها (*لسان العرب*).

وفعلا، فإن المجالات التي يوجد بها هذا النوع من التربة هي في أغلبيتها الكبرى أراض منبسطة ومستوية لينة التراب تشكل سهولا ممتدة كما هو الحل بسهل البحيرة ـ السراغنة على الطريق الرابطة بين قلعة السراغنة وبن جرير، والذي يتعرض أثناء التهاطل أحيانا لمد المياه التي تنحسر عنه بعد بضعة أيام. من كل هذا يظهر أن تربة رقوان مرتبطة في معظمها بمواد فتاتية لينة (طين، طمي ورمال) منقولة ومنشورة من طرف السيل. إذا تمثل هذه المنقولات الصحر الأم الذي تكونت فوقه هذه التربة.

من الناحية العلمية الترابية توافق تربة رقوان مجموع الأتربة الدكناء (السمراء) الشبمدارية ذات المناخ الترابي البارد خلال الفصل المطير وذات المركب المشبع، وكذلك الأتربة الدكناء شبمحلية ذات المركب المشبع والتي تتطور

في ظروف مناخ ترابي ساخن خلال الفترة المطيرة، وكذلك أتربة الكلسا - Sierozems ذات المركب المشبع المتطورة تحت مناخ ترابي بارد خلال الفترة الممطرة (مختبر التربة التابع لمكتب الحوز). وهذه الأصناف الثلاثة هي أقسام ثانوية لقسم رئيسي هو الأتربة السدبالية (C.P.C.S. 67 وAubert, 65)، كما أنها تشغل مجالات واسعة من المناطق الجافة وشبه الجافة المغربية لدرجة أنها تعد التربة المميزة لهذه المناطق.

وتتطور هذه الأتربة بالخصوص فوق المواد الطميية - الطينية - الرملية الحديثة التي توضعت خلال الفترة الرباعية السلطانية الرطبة على وجه الاحتمال. هذه المواد تارة تكون سميكة إذ قد يصل سمكها 2م فوق مواد متكلسة، وتارة أخرى تكون متواضعة السمك مع وجود مكلس فتوت في الأعماق أو وجود مواد غرينية خشنة منقولة (الحوز الأوسط). كما نجد هذه الأتربة أحيانا فوق الأتربة الحمراء الكستانية التي تشكل صخرا أماليا، والتي من المحتمل أنها تكونت في ظروف مناخية أرطب من الظروف الحالية.

أما المناخ السائد بمجالات هذه الأتربة فهو المناخ المتوسطي، لكن المناخ المتوسطي ليس وليد الحاضر، بل يظهر أنه ساد خلال الرباعي كله، لكن مع تزايد أهمية التجفيف نحو الحاضر. كما يظهر أن دور المناخ في التترب كان أقل أهمية خلال العشرات الآلاف السنوات الأخيرة من الرباعي (Raynal, Aubert, 62). لذا يرى البعض أن المناخ الحالي ليس له سوى دور ضعيف جدا في تطور وتكوين هذه الأتربة، خاصة الكلساء، التي تتميز بضعف التطور (مكتب الحوز). في حين يرى البعض الآخر أن أتربة الكلساء تمثل بالتأكيد الأتربة النموذجية بالمناطق الجافة الأكثر تأقلما مع المناخ الحالي خاصة بالحوز (A. Sassan, 67)، حيث إن التربة الدكناء ناتجة عن حلول ظروف تعاشيبية Steppisation خلال نهاية السلطاني حيث تكونت أتربة سهبية دكناء، وأتربة حمراء فتية والتي تطورت لتعطي الأتربة المناخية الحالية المسماة بالكلساء كما هو الحال بالحوز (Sassan, 67).

أما العوامل الإحيائية المميزة لتكوين هذه الأتربة فتتمثل في سيطرة النباتات السهبية. فقد كانت هذه المناطق قديما مجالات تعاشيبية شجرة تتكون من أشجار من السدر (Ziziphus lotus) وبستق الأطلس (Pistacia atlantica) والسنط (Acacia gummifera)، لكن هذه التعاشيب الشجرية تدهورت نتيجة الظروف التالية: نزوح المناخ نحو التجفيف، اجتثات الغطاء النباتي الذي تحول إلى غطاء عشبي خفيف ومتفرج ذي دورة انباتية سريعة. وازداد هذا التدهور حدة مع توسع المجالات المزروعة واستعمار الأرض وإثارتها: مما أدى إلى اختفاء النباتات التي تعيش في ظل الأشجار (Sassan, 67). ومن نتائج ذلك حدوث اختلال خطير في تجدد المادة العضوية بهذه الأتربة، أي غياب عامل مهم في استقرار بنياتها وخصائصها الفيزيوكيماوية.

وهكذا فمن المعطيات التحليلية لأتربة رقوان نجد:

- أن نسبة المادة العضوية محدودة جدا لكنها جد معتدلة (0.3 - 1.7٪). ويمكن أن يعزى هذا الضعف إلى الاستعمال القديم لهذه الأتربة والنزوح نحو التجفيف. لكن ظاهرة السدبالة واضحة جيدا، بحيث يلاحظ توزيع جيد للمادة العضوية بمجموع القطاعات الترابية مع وفرة بالمسكات السطحية. وهذه خاصية عامة للأتربة بالمناطق الجافة ونصف الجافة أي تناقص تدريجي للمادة العضوية مع التعمق، لكن نسب المادة العضوية بأتربة الكلساء أضعف مما نجده بالأتربة السمراء (الدكناء).

- أن نسبة الهيدروجين تدور حول 8.5، أي أتربة رقوان خفيفة القاعدية كما تحتوي على قواعد مستبدلة (K, Na, Mg, Ca).

- أن نسبة الكاربون على النتروجين (ك/ن) دائما أقل من 10. هذا يعني أن الأزوت العضوي موجود كليا بدبال التربة، وأن نسبته جد ضعيفة إذ تمر من 1.62٪ بالمسكات السطحية إلى 0.07 بالمسكات العميقة. ويمثل هذا الضعف خاصية أخرى هامة بالنسبة لأتربة رقوان. كما يعبر مؤشر ك/ن عن انخفاض وضعف العنصرين العضويين الأصل (الكاربون والنتروجين) الأكثر أهمية بالتربة.

- أن أتربة رقوان تظهر قطاعا كلسيا متمايزا، بحيث تتلقى المسكات السطحية دائما كلسة حوالي 10٪ من الكلس الاجمالي خاصة بأتربة الكلساء. ويعبر ذلك عن ضعف عملية الحلحلة في مجموع القطاعات. وترتفع هذه النسبة بالمسكات السفلى حيث تتراكم حبيبات الكلس في الأعماق. لكن أحيانا يغيب القطاع الكلسي تماما بحيث لا تتعدى نسبة Cao3 35٪ خاصة عندما تكون العالية المزودة بالرواسب الغرينية التي تمثل الصخر الأم لأتربة رقوان فقيرة من الكلس.

- أن ألوان هذه الأتربة تتراوح بين:

- الأدكن - البيج (الصوفي) Brun - Beige، الأسمر - الفاتح Brun - clair، الأسمر، الأدكن - الأحمر= 5YR 4/4، الأسمر - المحمر - الفاتح= 5YR 3/4 و5YR 3/3، الأحمر - المصفر: 5YR 5/6 و5YR 4/6.

- وبما أن أتربة رقوان تكونت على حساب مواد لينة طميية - طينية - رملية أو طينية - طميية - رملية، فإن خصائصها الآلية جيدة:

أنسجة متزنة، بنيات جيدة: جلطة بالمسكات العليا وصفاحية بالمسكات السفلى، مسامية جيدة نسبيا. لكن البنيات السطحية تكون أحيانا مصمتة، متصلبة بخثة وشاحية وسنتمترية، وهي ناتجة عن ظاهرة التصفيح Glaçage السطحي والمترتب عن عدة عوامل: التعرية الغشائية، انذكاك التربة نتيجة النقل السطحي الذي

تتعرض له العناصر الدبقية (طين، دبال)، التعرية الريحية، مما يسمح بتكوين قشيرة مكونة من الطمي والطين بعد اليبس.

من الناحية الزراعية تظهر أترية رقوان خصائص فيزيائية وكيماوية جيدة، الرطوبة المعادلة متوسطة إلى كافية حوالي 20٪ الذخيرة المائية النافعة كافية. التشيف سريع، الخصوبة الكيماوية لائقة، لكنها أحيانا ضعيفة إلى متوسطة، بحيث قدرة التدال حول 15 ملمعادل /100غ من التربة. نسب الفوسفور P2O5 والبوطاسيوم متوسطة إلى ضعيفة انعدام الملوحة والتنلبة في معظم الأحيان. ورغم وجود الكلس بالمسكات السفلى، فإن هذا التكلس لا يحد من تعمق الجذور ولا يغير من الخصائص الزراعية لهذه الأترية، كل هذه الخصائص تجعل لأترية رقوان سلوكا مانيا حدا إذ أنها قابلة للري بالغمر أو بالرش.

المنجد في اللغة، الأعلام، دار الشرق، بيروت، 1973 : *لسان العرب*، للإمام أبي الفضل جمال الدين بن محمد، بيروت : أحمد زورال، *دراسة جيومورفلوجية لدير أطلس مراكش بين وادي الزات وتسارت*، الرباط، 1987 : إدريس الفاسي ـ محمد البدراوي، *تربة الحمري*، *معلمة المغرب*، الجزء 11، ص. 3584 ـ 3986، مطابع سلا، 1421 ـ 2000 : *تحريات ميدانية*.

G. Aubert, *Cahier, ORSTOM*, serie pédologie, volume 3, fascicule 3, 109 p., 1965 . *Les sols de la zone aride. Etude de leur formation et de leurs caractères, de leur utilisation et de leur conservation. Les problèmes de la zone aride*, Paris, 127 - 150, 1962 ; J. Lozet et G. Mathieu, *Dictionnaire de science du sol. Technique et Documentation*, Paris, 1990 ; O.R.M V A.H/ *Rapport sur les sols du Haouz*, 1978 ; R. Raynal, *Plaines et piedmonts du bassin de la Moulouya*, 1961 ; A. Sasson, *Recherches, écophysiologiques sur la flore bactérienne de sol des régions arides du Maroc*, Tanger, 1967

أحمد زورال

الرقيواق. أسرة تطوانية أصلها من الأندلس أنجبت بعض الفقهاء. تذكر الوثائق من بينهم : الهاشمي بن علي الرقيواق الذي كان يتعاطى العدالة من سنة 1234 / 1819 إلى سنة 1245 / 1829 ؛ والهاشمي بن محمد الرقيواق الذي تعاطى نفس الخطة من سنة 1248 / 1832 إلى سنة 1250 / 1834.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان : المراجع العربية والأجنبية* في الرقم 735.

محمد ابن عزوز حكيم

الرقيواق، عبد السلام (الحاج ـ) بن الحسن الطنجي، موسيقي، اشتهر بامتلاكه نسخة خطية جيدة لكناش الحايك انتهت إلى ورثته. كان الفراغ من نسخها يوم الجمعة 15 شوال 1325.

وقد أعيد تصوير هذه النسخة وإخراجها في نسخ مرقومة، وذلك بتاريخ 30 أكتوبر 1981 كما تبين من عبارة واردة في ختام الطبعة باللغة الفرنسية، جاء فيها أن محمد ابن الحسن الحايك جمع النوبات الإحدى عشرة في عام 1130/1701 (كذا، والصواب 1717). وفي هذا مخالفة لما أجمعت عليه المصادر وهو أن جمع الحايك لكناشه تم في سنة 1214/1799 ـ 1800.

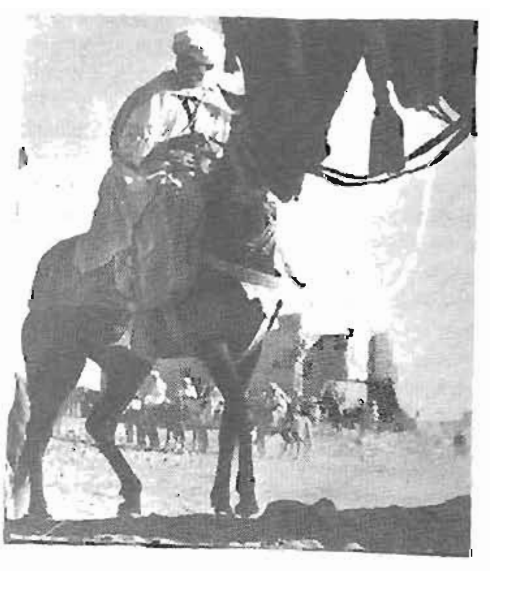
تحتوي نسخة ورثة الرقيواق على مقدمة الحايك بأكملها، وهي تخلو ـ على غرار نسخة الحايك الأصلية ـ من قائم ونصف الرصد، وقائم ونصف الحجاز المشرقي. كما تخلو من الادراج والبراول.

وعلى الرغم من تأخر تاريخ نسخة الرقيواق بنحو عشرين سنة عن مراجعة *كناش الحايك* من لدن لجنة الوزير الجامعي، فإنها احتفظت بالاشعار الأصلية لنسخة الحايك بما فيها أشعار نوبة رمل الماية التي كانت في موضوعي الغزل ووصف العشي، بدلا لموضوع المديح النبوي الأمر الذي يمكن أن نستنتج منه تشبث أرباب الموسيقى الأندلسية في مدن الشمال ـ أيا مئذ ـ بمستعملات الحايك الأصلية وعدم اطمئنانهم إلى التعديلات التي أدخلتها لجنة الوزير الجامعي عليها.

نسخة ورثة الرقيواق، طبعة مصورة في 30 أكتوبر 1981 ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *الموسيقى الأندلسية المغربية، فنون الأداء*، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 129، محرم 1409/ سبتمبر 1988، ص. 141 ـ 142.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الركَاب. هو ما يضع فيه الراكب رجله ليمتطي الدابة، وعند استوائه على ظهرها يبقى رجله في الركاب إلى أن ينزل، فهو أداة تساعد على ركوب الدواب. كان الركاب في البداية رقيقاً مزعجاً ثم صُنع الركاب العريض



المريح فاعتُبر ذلك قفزة تقنية تدخل في إطار تحسين قيادة الدواب والتحكم فيها للزيادة في راحة الراكب، ويُستعمل الركاب عادة في الخيول والبغال، وتطوّر عبر التاريخ ؛ بدءاً من الركاب البسيط المصنوع من الحبال إلى الركاب الخشبي والحديدي إلى الركابات المزخرفة والمنقوشة والمموهة بالذهب والفضة، وكان لها صناع متخصصون في حوانيتهم بمدينة فاس زمن الحسن الوزان (*وصف إفريقيا*، I : 188 - 189).

بلغت الركابات ذروة التألق والأبهة عندما صُنعت من الفضة ثم من الذهب (*المسند*، 130 - 452 و453 ؛ *البيان*، 4 : 126) ؛ وتدل الإشارات والأوصاف في المصادر أن الركاب الوسيطي قريب جداً من الركاب التقليدي المستعمل الآن في الفروسية التقليدية (التبوريدة) في المغرب.

عرفت المدن الكبرى وجود عدد من الدكاكين التي تصنع الركابات، بل وجدت دكاكين متخصصة في نوع منها خلال العهد المريني والوطاسي (*وصف إفريقا*، 188 و189). ومما يدل على تقدم المغرب فيما يمكن تسميته "صناعة تجهيز دواب النقل" أن الطلب على تلك المصنوعات كان كبيراً في الداخل والخارج خاصة من بلاد السودان وإفريقية وغيرها، كما أرسلت الركابات ضمن الهدايا التي يرسلها ملوك المغرب إلى رؤساء الدول (*المسند*، 452 و453 ؛ *العبر*،7 : 226 و227 ؛ *البيان*، 4 : 26 ؛ *القرطاس*، 387 ؛ *الاستقصا*، 4 : 128 - 130).

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط 1984 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر 1981 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، د. ت ؛ ع. ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، بيروت، 1948، وتطوان، 1960 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1955.

محمد حجاج الطويل

الركْب، سفر جماعي على ظهر الدواب عرفه المغرب طوال العصر الوسيط، (انظر *ركب الحاج*). وأكثر الركبان الأخرى في المغرب كانت تستند لزيارة الصلحاء والأولياء كركب زيارة أبي يعزى، وزيارة رباط شاكر ورباط ماسة أو تجمع المتصوفة سنوياً على ساحل البحر المحيط قرب الصويرة (*التشوف*، 185 و213 و214 - 215 - 216 - 217 - 222 ؛ *أنس الفقير*، 26 -27 و71 ؛ *ملتقط الرحلة*، 66 و68 و75 و95) ؛ وتتعدد الأمثلة التي تزخر بها كتب المناقب والأنساب وغيرها، فالتنقل الجماعي إذن كان نشيطاً داخل البلاد وطيلة السنة، لكن الفصل الملائم كان دائماً فصل الربيع والصيف.

يختلف الركب عن القافلة في كونه يضم في العادة علّية القوم وأعيانهم الذين لهم القدرة على السفر البعيد المَدى وتحمّل مصاريفه، إذ لا يستطيع الضعفاء والفقراء تحضير مستلزمات الركب من مصاريف متعددة ودواب وجمال للركوب وحمل الأمتعة والزاد والعلف، ودواب احتياطية وعبيد وخدم يقومون بأشغال أسيادهم ويسهرون على راحتهم. عكس ما يكون عليه الحال في القوافل التي غالباً ما تكون تجارية، إذ يكتفي الأغنياء من التجار ببعث من ينوب عنهم من الوكلاء ويتجنبون بذلك مشاق السفر، فلا يتنقلون مع القوافل العابرة للصحراء إلا للضرورة القصوى، أما عامة الناس فغالباً ما يسافرون، بشكل جماعي (أقل عدداً) إما مشياً على الأقدام أو على الحمير (*النزهة*، 3 : 232 ؛ *التشوف*، 125 و176 و 202 ؛ *ملتقط الرحلة*، 66 - 68 - 75 و95). وفي الأسفار البعيدة قد يستعين هؤلاء - في بعض المراحل - بكراء الدواب، وقد يستفيدون من اريحية بعض المحسنين، لكن المعول عليه هو السعي على الأقدام (المصادر نفسها).

تتعرض الركبان مثلَ بقية أشكال التنقل الجماعي لخطر مهاجمة اللصوص وقطاع الطرق، وابتزاز القبائل التي تمر بها، ولا يسلم من ذلك الأغنياء ولا الضعفاء (*التشوف*، 304 و340 و423 ؛ *أنس الفقير*، 7 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 227 ؛ العبدري، *الرحلة* ؛ *وصف إفريقيا*، I : 149 ؛ *الاستقصا*، 3 : 50 و84، 5 : 189).

يسير الركب مثله مثل القافلة بدليل من مرحلة إلى مرحلة، أي أنه يتخذ عدة أدلاء لهم معرفة ودراية بالمناطق التي يمر منها الركب، وتطول مدة سفره أو تقصر بحسب الظروف التي يسافر فيها، فليست الرحلة مضبوطة بالفصول أو الزمن مثل سفر القوافل إلى السودان، مثلا فموسم زيارة ولي من الأولياء مرتبط بالشهور القمرية وينتقل موعده عبر الفصول، ويتنقل الركب كذلك من مرحلة إلى أخرى ومن مكان إلى مكان بحسب طبيعة الطريق وتوفر الأمن أو انعدامه، فقد يضطر الركب عند ظهور مانع أو عائق إلى تغيير الطريق أو التوقف عن السير لفترة في انتظار تغير الظروف، فابن عابد الإدريسي مثلاً في كتابه *ملتقط الرحلة* ذكر : "أن السيول والجداول يتم قطعها عبر المخاضات" لأن الأعماق غالباً قليلة ؛ إلا أن السيول أحياناً تكون خطراً على من يقطعها وهكذا : "يتم قطع وادي غيغاية في خوانق مولاي إبراهيم أكثر من 22 مرة والمسافة لا تتعدى 3 كلمترات"، والملاحظة نفسها سجلها البكري عن إفريقية.

وعن العوائق الأمنية أورد صاحب *الاستقصا* نصاً عن *العبر* : "وفصلوا (الوفد المصري) من المغرب إلى بلادهم في ذي الحجة 707 محملين بما أعطاهم السلطان أبو ثابت، ولما انتهوا إلى بلاد بني حسن في ربيع من سنة 708 بعدها اعترضهم الأعراب بالقفر فانتهبوهم..." فالرحلة حسب النص استغرقت أزيد من ثلاثة شهور رغم قرب المسافة من فاس إلى الصحراء المغربية الشرقية ؛ ويختلف السير اليومي للركب عن القوافل في كونه مرتبطا بمواعيد محددة، لذلك كان اختيار الوقت الملائم للسير أو للتوقف مسألة نظرية فقط أي أن الركب كلما وجد في مرحلة أو

منطقة من المناطق الجو الملائم والظرف المناسب قطع مسافات كبيرة ربحاً للوقت الذي قد يضيع في أمكنة أخرى غير ملائمة ومنازل المغرب. وقد قضت وسائل النقل الحديثة على أسفار الركبان. ينظم هذا النوع من التنقل الجماعي بالوسائل التقليدية والحديثة، مثل ركب مولاي إبراهيم، وركب مولاي عبد السلام وركب مولاي بوعزة وغيرها.

الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*. نابولي إيطاليا، د. ت.، الجزء 3 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*. بيروت، د. ت. ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1981 • التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 • ابن صاحب الصلاة، *تاريخ المن بالإمامة*، بيروت، 1964 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر، 1911 • العبدري، *الرحلة*، الرباط، 1968 ؛ الماجري، *المنهاج الواضح*، مصر، 1933 • أ. ابن عابد، *ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضر موت*، الدار البيضاء، 1988 ؛ أخزي، *هداية الملك العلام*، مخطوط • أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، 1968 ؛ أبو سالم العياشي، *ماء الموائد*، ط. حجر فاس.

J. Celerier. *L'Atlas et la circulation au Maroc. Hesp.*, pp 447 - 497

محمد حجاج الطويل

ركب الحاج المغربي. يرجع تأسيس ركب الحاج المغربي إلى عهد الشيخ أبي محمد صالح، دفين أسفي، المتوفى سنة 631/ 1234 ؛ حيث كانت الدعوة إلى حج بيت الله الحرام أهم أركان طريقته، حتى سميت طريقة الحجاج. وقد دعي ذلك الركب، الذي يعد الأول من نوعه، بالركب الصالحي، نسبة إلى مؤسسه.

ولتمهيد الطريق التي كانت مليئة بالمخاطر، عمد أبو محمد صالح إلى تأسيس عدد من الرباطات بمختلف المراحل التي ينزلها الحجاج، في ذهابهم وإيابهم ؛ انطلاقا من أسفي إلى مكة المكرمة. وللحفاظ على تلك الرباطات، استقر بعض أولاد الشيخ وحفدته، بتلك المراحل، للإشراف عليها. منهم عبد العزيز بن أبي محمد صالح، الذي أقام بالقاهرة حتى وفاته، ثم حفيده إبراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح بالإسكندرية، ثم ولد هذا الأخير، أحمد بن إبراهيم.

ولما تزايد عدد الحجاج بتزايد حتى نشأت خمسة ركاب، كانت كالتالي : الركب السجلماسي والركب الفاسي والركب المراكشي والركب الشنجيطي والركب البحري.

ولنبدأ الحديث بالركب الفاسي. تأسس هذا الركب في أوائل دولة بني مرين. ولعل أول ركب منه هو الركب الذي وجهه السلطان يوسف بن يعقوب المريني سنة 703/ 1304. وقد استمر هذا الركب على عادته تلك، حتى القرن الثالث عشر (19 م)، لأنه أصبح هو الركب الرسمي للدولة المغربية. وللإشارة فقد طرأ عليه تغيير في عهد السعديين، حيث صار الركب المراكشي هو الركب الرسمي للدولة.

وعلى الرغم من ذلك، فقد ظل الركب الفاسي يحظى بعناية خاصة لدى الحجاج المغاربة، كما يتبين من النماذج التي ساقها الأستاذ المنوني في كتابه *ركب الحاج المغربي*.

وعدد العطايا والإمدادات التي كان سلاطين المغرب، في العهدين المريني والعلوي، يقدمونها إلى الحجاج ليسروا لهم أداء فريضة الحج، فضلا عما كانوا يسدون إليهم من خدمات، لتذليل بعض مصاعب الطريق : حيث كانوا يستوصون بهم خيرا، لدى حكام الحرمين الشريفين، ويصحبونهم بعدد من الجند المسلحين، لحمايتهم من اللصوص، وقطاع الطرق.

وعندما يحين وقت السفر، يتهيأ الركب للخروج فيبدأ الإعلان عن الاستعداد بالمساجد، حيث يدعو الخطباء، الناس إلى الحج، ويذكرونهم بفضله، في خطب وعظية، تحثهم عليه، وتشوقهم إلى زيارة مقام الرسول صلى الله عليه وسلم. وبعد ذلك، يتم النداء في مدينة فاس، للإعلان عن يوم خروج الركب، الذي غالبا ما يوافق السابع والعشرين، أو الثامن والعشرين من جمادى الثانية. ويتم خروج الركب من باب الفتوح، لينزل بولجة العسال، على الضفة اليمنى لوادي سبو : حيث تضرب الأخبية، ويأتي الناس للتوديع والتشييع "يوم خروج الحجاج من فاس، يوم موعود ومشهود، قل من يبقى بالمدينة إلا خرج، ودب ودرج، الرجال والولدان، والأحرار والعبدان. فما أعجب من ذلك اليوم، ولا أحسن منه منظرا، أو مخبرا يروق البصر، ويهيل بالفكر. عادة جميلة استندوا إليها، وطبيعة جبلوا عليها" (الإسحاقي بنقل المنوني).

وكان السلطان هو الذي يعين له أميرا يكون من بين الأعيان، دينا، ثريا، عريقا في النسب وقد غلبت عادة تعيين أمير الركب الفاسي من مدينة فاس، في عهد العلويين. ومن أشهر البيوت التي تولت إمارته آل عديل. وإلى جانب الأمير هناك القاضي والقائد : فضلا عن حامية عسكرية، تكونت في عهد يوسف المريني من خمسمائة فارس. وكان للركب علم خاص، يحمله بعض الحجاج، وطبل يضرب، إعلاما بالإقامة والظعن، وخباء متميز. وقد يصحبه بعض أبناء السلاطين، وبناتهم وأمهاتهم. أما عن عدد المشاركين في الركب، فيمكن أن يقدر بعدة مئين.

أما عن طريق الركب، فإن كتب الرحلات تفيد عن الطريق التي يسلكها مختلف الركاب، بدقة متناهية. بل إن بعض الرحال قد أفرد موضوع المسالك بالكتابة على حدة. كما فعل محمد المرابط الدلائي (ت. 1099/ 1689)، ومحمد بن منصور العامري (ت. حوالي 1170/ 1756)، ويفرد لطريق الركب فقرة خاصة عندما تتطرق إلى الركب الناصري.

كان الركب المغربي عامة، يلاقي حفاوة وترحابا

كسرى، من لدن عامة الناس وخاصتهم، في أكبر مراحل الطريق، مثل تونس، وطرابلس، والقاهرة، وينبوع، ومكة المكرمة. ومن جملة التآزر الذي كان يتم بين الركاب، أن الركاب المغربية قد اعتادت ألا تغادر مصر، إلا مع خروج المحمل المصري، ليشارك الحجاج المغاربة في الحفل، بل إن بعضهم كان يرافقه حتى مكة ؛ كما وصف ذلك بعض الرحالين، كأبي سالم العياشي.

وكان سلاطين المغرب، منذ عهد بني مرين، حتى عهد المولى سليمان (1792 . 1822)، يكرمون سرفا، مكة والمدينة والنبي. فيبعثون بالصرة صحبة بعض أبنائهم، أو إخوانهم، من الأمراء . الذين يتوجهون مع الركب. ومنهم من حبس أملاكا على الحرمين، مثل المولى إسماعيل الذي حبس زيتون حمرية. ومنهم من كان يبعث بهدايا سنية إلى علمائهما، وطلبتهما وأشراف الحجاز عامة، ونخص بالذكر السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

وفضلا عن "الصرة"، كان الركب الفاسي يحمل هدايا أخرى إلى المشرق، تتألف من مصاحف، وكتب قيمة، وجواهر فاخرة، عدد منها المنوني ما وجهه يوسف وأبو الحسن المرينيان، والمولى إسماعيل، وابنه عبد الله، وحفيده سيدي محمد بن عبد الله. فقد بعث هؤلاء بالمصاحف المزخرفة، والأموال الكثيرة، والجواهر النادرة، هدية إلى الحرمين ؛ مشفوعة برسائل مبعوثة إلى روح رسول الله صلى الله عليه وسلم، يؤكدون فيها ولاءهم للجناب النبوي، ويتضرعون إلى الله لحل أزماتهم.

وكان حكام المشرق، بدورهم، يبعثون بهدايا وطرف نادرة إلى ملوك المغرب، نمثل لهم بالناصر بن قلاوون، ملك مصر، والشريف سرور، أمير مكة المكرمة.

واعتاد الركب الفاسي، إذا قفل من الحج، أن ينزل بضواحي تازا، فيبعث بالبشير إلى فاس ليعلم بقدوم الحجاج ؛ فيهيء له سكان فاس حفلا بهيجا، على غرار احتفالهم بخروجه.

وكان هذا الركب، كثيرا ما يلتقي، في الطريق، مع بعض الركاب المغربية الأخرى، أشهرها الركب السجلماسي ؛ حتى إنهما قد يتحدان تحت رئاسة أمير واحد ؛ غالبا ما يكون أمير الركب الفاسي. وقد حدث هذا في عام 1121 / 1709، في الركب الذي حج فيه الشيخ أحمد ابن ناصر (ت. 1129 / 1717). وقد يجتمعان، ويبقى كل أمير منهما على رأس ركبه : مثلما وقع في ركب عام 1101 / 1690، الذي كان اليوسي والأمير عبد الملك بن إسماعيل من بين المشاركين فيه.

ويظهر أن الركب السجلماسي كان من أقدم الركاب المغربية، فهو الركب الذي وفد معه إلى المغرب جد الأسرة العلوية، الحسن بن قاسم الداخل. وأول أمير له . حسب المصادر . هو أبو إبراهيم العمري، الذي كان يقيد الحياة أوائل العهد المريني. وكان غالبا ما يسلك الطريق الوسط، المار عبر فيكيك، فبسكرة، فشط الجريد، فصحراء الفزان، فطرابلس، ثم يسير محاذيا للساحل، عبر الجبل الأخضر وبرقة. وقبل أن يصل إلى الإسكندرية، يتنكب إلى اليمين، ليقصد بولاق : فيعبر نهر النيل إلى القاهرة. ومنها يستأنف السير إلى السويس : فيعبر صحراء التيه (سيناء). ومنها إلى العقبة فالوجه ليدخل إلى بلاد الحجاز وينتهي إلى مكة المكرمة.

ويظهر أن الركب السجلماسي قد أصبح يكون مع الركب الناصري، ركبا واحدا منذ سنة 1072 / 1662.

وفي عهد السعديين أصبحت مراكش، من جديد، عاصمة للبلاد : فصار ركب الدولة ينطلق منها. فدعي الركب الرسمي بالركب المراكشي. ويرجع الأستاذ المنوني أنه تأسس في أيامهم، وانقطع بعد انقراض دولتهم، لاسيما وأن العياشي تحدث عن ركب مراكش عام 1072 / 1661 ووصفه بالضعف.

ومهما يكن، فقد كان له . شأنه في ذلك شأن باقي الركاب . أميره ودليله ومناديه وحملة علمه. وكان السعديون يعتنون به، عناية خاصة ؛ فيوصون به ملوك الحرمين. كما كانوا يبعثون معه بهداياهم السخية إلى الأماكن المقدسة.

بالإضافة إلى هذه الركاب، عرفت منطقة الصحراء ركبا آخر، دعي بالركب الشنكيطي، كان يجتمع به مريدو الحج من سائر جهات تلك الأصقاع.

وعلاوة على الركاب البرية سافر كثير من المغاربة إلى الحج عبر البحر. ولم يكن ذلك مرتبطا بتقدم الملاحة البحرية، كما هو معلوم في القرن الثالث عشر (19 م)، ولكن قبل ذلك بزمن غير يسير . من ذلك الركب الذي سافر ضمنه الأديب محمد بن علي الرافعي التطواني، عام 1096 / 1685 ؛ حيث أبحر من مرسى تطوان، وعاد إليها على الطريق نفسها. كما كان بعض الحجاج المغاربة يفضلون الرجوع على طريق البحر.

إلا أن الركب البحري قد نسخ مختلف الركاب في القرن الثالث عشر (19 م). والراجح أن لاحتلال فرنسا لبلاد الجزائر علاقة بهذا التحول. لذلك لم يعد هناك حديث عن الركب المغربي. وإنما عن الحجاج المغاربة، الذين أصبحوا يتوجهون إلى الحج على متن سفن في ملك شركات أجنبية، معظمها أوربية. وهذا ما خلق للحجاج عدة مصاعب، حتى إن بعض السلاطين فكروا في منع الحج، لاسيما بعد تدخل السلطات القنصلية، للضغط على المخزن المغربي لاستحداث محجر صحي، لأن الوباء قد دخل إلى المغرب، مع الحجاج أحيانا. وبما أن الدول الأوربية كانت تسعى إلى التغلغل في البلاد . فإنها كانت، كذلك، تخشى من سريان العدوى إلى رعاياها المقيمين بمختلف المراسي المغربية. من أجل ذلك اتخذت. عن طريق قناصلها . مواقف تعسفية ضد سفن الحجيج. وقد بدأت الصراعات بين

القناصل والمخزن المغربي، حول هذه القضية منذ مستهل *القرن الثالث عشر (19 م)*، ومافتئت تتزايد حيث فرض أولئك القناصل على الحجاج أن يقضوا حجرا صحيا بأحد الموانئ الأوروبية، قبل أن ينزلوا بطنجة. كما اقترح بناء محجر صحي، تارة بجزيرة تاورة - قرب سبتة - وتارة أخرى بضواحي *طنجة* ؛ وأخيرا استقر الأمر على بنائه بجزيرة الصويرة. على أن ضغوط الأوروبيين لم تتصاعد إلا بعد تأسيس المجلس الصحي، في سنة 1831 - حسب الأستاذ البزاز - أو في سنة 1840 - حسب الأستاذ ج. ل. مييج -. ولعل رأي الأول أقرب إلى الصواب، مادام ذلك المجلس كان يباشر أعماله منذ سنة 1836. فقد تدخل لمنع سفينة الحجاج العائدين من مكة، في 8 شتنبر، من النزول إلى البر، قبل قضائها مدة بالمحجر الصحي، على الرغم من أنها قضت حجرها الصحي في مالطة. وكان ذلك شأن سفينة حجاج أخرى، عادت إلى المغرب في شتنبر 1842، على الرغم من أنها تحمل شهادة تثبت سلامة ركابها. ويتضح من خلال رسالة بعث بها المجلس الصحي إلى السلطان مولاي عبد الرحمن، "أن السبب الذي استوجب اتخاذ هذا الإجراء (المنع من النزول إلا بعد قضاء حجر صحي) يكمن في تفشي الطاعون باستمرار، في الإسكندرية بمصر، وهو الميناء الذي يبحر منه الحجاج، والذي يعد القادمون منه من أخطر العناصر على الصحة العمومية". وينتهي المجلس إلى الإشارة على السلطان بأمر سلطات مختلف المراسي بمنع نزول الحجاج - وحتى أمتعتهم - إلا بعد الخضوع لمراقبة صحية صارمة، بمدينة *طنجة*. فما كان جوابه إلا أن قبل، وبعث برسالة إلى عمال المراسي "بأن لا يقبلوا من يرد من مراكب الحجاج"، إلا بعد أن يكونوا مروا بمدينة *طنجة*. لكن على الرغم من أنه لم يبد موافقته على مرورهم بأحد محاجر أوربا، فإن القناصل اعتبروا صمته دليلا على قبوله. والدليل على ذلك أن المندوب الصحي أرغم سلطات تطوان على عدم السماح لسفينة مالطية قادمة من الإسكندرية، وعلى متنها مائة وعشرون حاجا، بالدخول إلى المرسى ؛ في دجنبر 1845.

وما أن اندلع وباء الكوليرا في المغرب، سنة 1867، حتى شعر المخزن المغربي بضرورة إقامة محجر صحي، اختار له جزيرة الصويرة مقرا. ذلك أن الوباء كان قد اجتاح مكة المكرمة، في سنة 1865. ومنها انتقل الحجاج إلى مختلف جهات العالم. ولما علم به القناصل الأوروبيون المعتمدون في المغرب، رفضوا السماح للحجاج المغاربة بالنزول إلى البر، كما منعوا عنهم المؤن التي حاول المخزن إرفاقهم بها ؛ حتى أدى الأمر إلى وفاة عدد كبير منهم. ومن ثم لم يكن أمام المخزن المغربي سوى حل واحد، فأمر بإحداث محجر صحي بجزيرة الصويرة، بواسطة ظهير مؤرخ في 10 رجب 1283/ 18 نونبر 1866.

وإذا كان ضغط القناصل، في ظاهره، كأنه يسعى إلى حفظ البلاد من آفة الوباء، فإنه في حقيقة الأمر كان يرمي إلى وقاية الأوروبيين المقيمين في المغرب، قبل حماية المغاربة. ويذكر الأستاذ البزاز أن المحجر الصحي أصبح عبئا ثقيلا على الحجاج، أضيف إلى ما كانوا يعانونه من الجوع والنوء، وعسف أصحاب النقل، والمغارم التي كانوا يؤدونها عند دخولهم لبعض المراسي، كالإسكندرية. بالإضافة إلى ذلك فإنهم أصبحوا مضطرين إلى قضاء مدة معينة في حجر صحي، شبيه بالسجن.

وهكذا أمر السلطان بتكوين مخيمين، غربي الجزيرة، أحدهما ينزله السالمون، والآخر ينزله المصابون. وأمر بإعداد كل ما يلزم لإقامتهم، طوال مدة الحجر. كما انتدب فرقة من الحراس للحفاظ على الأمن، ومنع الاتصال بين نزلاء المخيمين. وعلى الرغم مما اتخذه المخزن من تدابير، فإن المجلس الصحي قد تدخل، دون إذن من السلطان، ليشرف على تنظيم ذلك الحجر. فانتدب طبيبا، وبعض الممرضين الأوروبيين للوقوف على "النزلاء". فكان هؤلاء يمنعون كل اتصال بين المخيمين، وبين نزلاء الجزيرة وباقي سكان المدينة. والأدهى من ذلك، أن مندوبي المجلس كانوا يعمدون إلى تطهير ثياب الحجاج وأمتعتهم، عن طريق تبخيرها بالكبريت وطرحها في الهواء الطلق ؛ الأمر الذي كان يثير سخط الحجاج. كما أن نزولهم جميعا بجزيرة الصويرة، يزيد بعضهم مشقة ؛ لأن منهم من يقطن بشمال البلاد، أو شرقها. لذلك فليس من مصلحة هؤلاء أن ينزلوا هنالك، ثم يضطرون إلى سفر آخر، وهم متعبون، يحملون الأثقال...

وكان الحجاج مضطرين إلى الإقامة، في الحجر، ثلاثة أيام إذا كانوا سالمين. وإذا كانوا مصابين، فإن مدة الحجر قد تطول، لتصل إلى خمسة عشر يوما أو أكثر. هذا مع العلم أن تلك الجزيرة لم تكن ملائمة لنزول الحجاج، الذين كانوا يتعرضون لكل ألوان المهانة والمشاق، ولاسيما إذا كان البحر في حالة المد. وبسبب ضيق مساحة الجزيرة ؛ فلا يمكن أن تستوعب كل الحجاج، الشيء الذي جعل المجلس الصحي يفرض على بعضهم قضاء حجر صحي بأحد الموانئ الأوروبية.

وخلاصة القول، فعلى الرغم من تقلص مدة السفر، من ثمانية عشر شهرا إلى حوالي سنتين، في الركب البري ؛ إلى ما يناهز خمسة أشهر، في الركب البحري ؛ فإن مصاعب الحجاج لم تزد إلا استفحالا.

فعلاوة على ما كانوا يلاقونه من ابتزاز من قبل أرباب المراكب، وعسف المجلس الصحي ؛ أصبحوا من بين عوامل نقل الكثير من الأوبئة والأمراض إلى بلاد المغرب. فكان حجاج الركب البري الموبوؤون لا يصلون، إلا نادرا إلى المغرب، إذ يموتون قبل الوصول، بسبب طول مدة السفر. كما أن جراثيم كثير من الأمراض والأوبئة لا تتحمل شدة حرارة الصحاري التي يقطعها الحجاج ؛ لذلك كانت تموت،

أيضا لنفس السبب. أما مع تقليص المدة، وانخفاض الحرارة، بسبب اللجوء إلى النقل البحري، فقد أصبحت الجراثيم تتنقل بسهولة. وبناء على ذلك كانت العدوى تنتقل بسرعة.

أبو سالم العياشي، *ماء الموائد* ؛ الإسحاقي، *الرحلة* ؛ ابن مليح السراج، *أنس الساري...* ؛ أحمد بن ناصر، *الرحلة...* ؛ م. بن عبد السلام الناصري، *الرحلة الكبرى* ؛ م. المنوني، من حديث *الركب المغربي...* ؛ م. الأمين البزاز، *حول الحج المغربي في القرن التاسع عشر*، مقال نشر في مجلة "*دار النيابة*" العدد السادس، السنة الثانية، ربيع 1985، ص. 75 .87 ؛ حول *الحج المغربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين* : مآسي الحجر الصحي والنقل البحري، م. س. ن. العدد السابع، صيف 1985، ص. 66 .76.

أحمد عمالك

ركب الحاجّ الناصري، نسبة إلى الزاوية الناصرية بدرعة، يتميّز عن ركاب الحاجّ الأخرى المشار إليها آنفاً. وأول ركب نظمه الناصريون، كان في سنة 1070 /1660 مع شيخ الزاوية الناصرية مَحمد ابن ناصر ؛ بعدما كان أهل درعة يحجون مع الركب السجلماسي. ويبدو أن استقلال الناصريين بركب خاص بهم أضحى ضرورة ملحة، لا سيما بعد أن بدأ صيت زاويتهم يعلو في مختلف جهات بلاد المغرب... وعلى الرغم من هذا الترجيح، فإننا لا نستطيع أن نجزم بأن الشيخ مَحمد ابن ناصر توجه في تلك السنة على رأس ركب خاص به مستقل عن الركب السجلماسي، اعتماداً على العدد الكبير من الحجّاج الذين رافقوه.

على أن الحال قد تغير في أثناء حجته الثانية، وهي الحجة الأولى لابنه أحمد الخليفة، سنة 1076 / 1665 . وأفادت إشارة وردت عند أحمد بن خالد الناصري أن أهل درعة أضحى لهم ركب خاص. ففي حديثه عن حجة الشيخ أحمد الخليفة الثانية، في سنة 1096 / 1685 ، قال "وبات، أي الركب، أول ليلة بالوادي المسمى بأسيف أزاغ، كما جرت به عادة ركب الحاج من أهل درعة". وكان أسيف أزاغ أول مرحلة في طريق الركب، يبيت بها الحجاج، منتظرين أن يلتحق بهم أتباع الناصريين القادمين من مختلف الجهات. وأشار المصدر المذكور إلى أن عدد الحجاج الذين رافقوا الشيخ أحمد الخليفة، في تلك الحجة "لا يحصى".

ونستيقن من هذا الرأي، إذا علمنا أن كتاب *الرحلة الناصرية*، يفيد أنه صار لهؤلاء ركب خاص بهم. فقد أكد الشيخ أحمد الخليفة، عند حديثه عن حصار طرابلس، أن الركب الناصري شارك في الدفاع عن المدينة المحاصرة، فقال : "ونحن وركبنا معهم مستهلين بالشهادة، رافعين أصواتنا بالتكبير". وكان ذلك في أثناء حجته الثانية، سنة 1096 / 1685 . ولما مر بسجلماسة، في حجته الثالثة سنة 1109 / 1698، ذكر في رحلته أن الركب السجلماسي توجه إلى المشرق، قبل حلول ركب الناصريين بها، بزمن غير يسير.

بناءً على هذه القرائن نستخلص أن للناصريين ركبا خاصا بهم، اعتاد مريدوهم وأتباعهم أن ينضموا إليه، فور الإعلان عن موعد انطلاقه. لكننا لا ندري هل كان هذا الركب منتظما أم لا ؟ وما يمكن أن نجزم به أنه ظل مستقلا عن الركب الفاسي، الذي كان هو الركب الرسمي. أي أن المخزن لم يكن يتدخل لتعيين أميره، أو تزويده بجند لحمايته.

ولعل هذا الاستقلال كان سببا في إقدام السلطان المولى إسماعيل على منع الشيخ الناصري من التوجه إلى الحج، في سنة1119 / 1707 . وباستثناء هذا الحدث الذي يندرج في سياق خاص، فإننا لم نقف على أي تدخل في شؤون ركب الحاج الناصري، طوال الفترات اللاحقة.

وقبل الحديث عن الأدوار التي اضطلع بها شيوخ الناصريين، وأعمالهم طوال السفر، يبدو من المفيد أن نحدد أهم معالم الطريق التي كان ركب الحاج يسلكها.

من خلال كتب الرحلات الناصرية، تمكننا من تتبع أهم مسالك الركب ؛ كما استطعنا ضبط مواقيت خروجه.

1) مواقيت انطلاق الركب : ينطلق الركب من تامگروت فيما بين منتصف ربيع الثاني وأواخر جمادى الأولى. وهكذا فقد خرج ركب سنة1096 /1685 ، يوم 16 ربيع الثاني، وركب سنة 1109 / 1707، يوم 5 جمادى الأولى - مع العلم أنه منع. أما ركب عام1121 /1709 ، فقد غادر تامگروت يوم 24 جمادى الأولى. وهذا مما يدل على أن الركب كان يقطع المسافة الفاصلة بين تامگروت ومكة المكرمة في مدة تنيف عن سبعة أشهر ؛ وهي مدة أقصر مما يستغرقه في أثناء الإياب، حيث كانت تتعدى ثمانية أشهر في المتوسط. وقد تصل أحيانا إلى سنة كاملة. وهذا راجع إلى أسباب سنرجع إليها لاحقا. وللإشارة كذلك فإن يوم الانطلاق كان، في الأغلب هو يوم الخميس، لأنه ورد فيه حديث، كان شيوخ الناصريين يتيمنون به، معتقدين أن ذلك من السنة. وفي اليوم الموعود يجتمع الحجاج خارج تامكروت، في مكان دعي بالأندر، حيث كانت تضرب لهم أخبية يقيم بها من يردون على الزاوية، استعداداً للتشريق، أو بعد عودتهم من الحج ؛ حتى يتسنى توديعهم أو المباركة إليهم. ويقع هذا المكان شمالي تامگروت. ويعتقد أواخر الناصريين أن الشيخ يوسف الناصري أعد منزلا لاجتماع الحجاج في المكان ذاته.

2) الجانب التنظيمي في الركب : قبل انطلاق الركب يعين له أمير وقاض، وتقدم كل قبيلة رجلا. يكون هؤلاء بمثابة "مجلس" الركب، يمكن أن ينعقد للبت في بعض القضايا الشائكة التي تستوقف الحجاج، في بعض مراحل الطريق : مثل الوباء أو قطاع الطرق واللصوص، أو حين يضل بعض الحجاج.

ونتيجة لتعرض ركب الحاج لبعض المخاطر، يضطر إلى كراء الأدلاء، وحمل السلاح للدفاع عن النفس. ولم يخف الرحالة انزعاجهم من تلك الظواهر. فتواترت نصائحهم لمن يجيئون من بعدهم، بحمل السلاح والاستعداد للقتال.

3) طريق الركب : ينطلق الركب بعد صلاة الصبح، نيجدّ السير، عبر تزي - ن - تافيلالت، ولا يتوقف إلا بعد أن يصل إلى أسيف أزاغ : حيث يبيت الركب. وفي اليوم التالي يتوجه رأسا إلى تافيلالت. وهنالك يتصى الحجاج بعض المآرب، ولا سيما شراء الرواحل والقرب : ويبيتون ليلتهم بماجن الفرفة، وهي قرية تقع شرقي واد زيز، مقابلة لتابوعصامت. ومنها يظعنون، ليؤموا تلفمت، حيث عند الركب أن يخيم، فيتقدم أتباع الناصريين وتلاميذهم من أبت عباس والمناطق المجاورة : لأخذ الورد أو تجديد العهد بشيوخهم. ومنها يقصدون القنادسة، حيث توجد زاوية ابن أبي زيان الناصريه. فكان الركب يقيم بها يومين أو أكثر : ثم يواصل الركب انعطافه نحو الشمال الشرقي. وبعد أن يمر ببشار، يتوقف بفگيگ، حيث كانت لأهل البلدة مصاهرة مع شيوخ الناصريين. كما اشتهرت برخص الثياب، ولا سيما البرانس الرفيعة الجودة. يقول أبو مدين الدرعي : "واشتروا (أي الحجاج) بها ما يصلح لهم من الثياب والبرانس، إذ لا موضع الكسوة فيه رخيصة منها." ومنها كان الحجاج يشترون ما يكفيهم ودوابهم لثلاث مراحل. وقد اشتهر بنو عبد الجبار من بين الأسر التي كانت لهم عناية خاصة بالركب الناصري. وتنعقد حول قصورهم سوق تجارية كبرى، يلتقي فيها تجار تافلالت وتوات وتلمسان. ثم يدخلون مجال قبائل حميان، وأهم مرحلة به قرية أبي سمغون، وهي أول مرحلة من بلاد المغرب الأوسط. يجمع الرحالة على أن تلك الجهات لم تكن تخلو من قتال، وكان أهلها يقومون بقطع الطرق ونهب الحجاج : لذلك كان الركب يضطر إلى الإقامة بها يوما وليلة، على الأقل، حتى يتأتى للحجاج أن يتأكدوا من سلامة الطريق.

وبعد أبي سمغون يجدّ الركب السير حتى يصل إلى عين ماضي، حيث تلتقي طرق الركاب الحجية، ولا سيما الركبين الفيلالي والفاسي، وقد عرفت هذه البلاد رخص الغنم والإبل، بسبب كثرتها.

ومن عين ماضي يتجه الركب صوب بسكرة، التي تبعد عن المرحلة السابقة بحوالي اثنتي عشرة مرحلة، بعد أن يتركوا واحات الأغواط ذات اليمين. ويفصل بين عين ماضي وبسكرة عدد من المراحل، أشهرها واد الطرفة ثم وادي بوملول، ثم وادي دمت، فالترميات. ويعتقد الحجاج أن هذه المرحلة، هي منتصف الطريق بين فاس وطرابلس.

وأكبر مرحلة تلي الترميات، واد سيدي خالد الذي يعد أول بلاد الزاب. وبينها وبين بسكرة يتوقف الحجاج عند خلوة عبد الرحمان الأخضري - صاحب *السلم المرونق* - وقرية مليلة، حيث بات ركب سنة 1121 / 1709.

واعتاد ركب الحاج الناصري أن يقضي ببسكرة أحيانا يومين على الأقل. وقد دخلها الركب، في حجة الشيخ أحمد الخليفة الرابعة عصر 1121 / 1122 عصر السبت 23 رجب / 17 شتنبر 1709. ومن هنا يتجه الركب إلى توزر التي تبعد عن بسكرة بحوالي ثمانية أيام ؛ وهي قاعدة بلاد الجريد ؛ ومن أول أعمال تونس. ومنها إلى قابس يستغرق الركب حوالى ستة أيام. ولما يرتحل من هذه المدينة يقصد طرابلس، التي يصلونها بعد مسير حوالي أسبوعين، في أحسن الأحوال، لأن مفازة الفزان، الفاصلة بين المدينتين من أخطر المفاوز، التي يقطعها الركب.

وبين القاهرة ومكة المكرمة مسيرة أربعين يوما، تتخللها مراحل كثيرة، أولاها عجرود عند مدينة السويس ؛ ومنها يتوجه بعض الحجاج، ولا سيما الصعاليك، إلى جدة عبر البحر. ولعل ظاهرة ركوب البحر إلى جدة، لم تستفحل إلا في القرن الثالث عشر (19 م).

وبعد أداء مناسك الحج يؤم الركب المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم : فيتبع الطريق نفسها : من مكة إلى رابغ، فمستورة، فبدر، فالصفراء، فالروحاء، فذو الحليفة، ثم أخيرا المدينة. ويقطع هذه المراحل في عشرة أيام.

وقد اعتاد بعض الحجاج ألا يزوروا المدينة، فيتفرق الركب إلى فرقتين، عند بدر : فيبعث قاصدو زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، جل أثقالهم مع الآخرين، ليلتحقوا بهم في ينبع النخل. كما اعتادوا أن يدخلوا المدينة المنورة يوم الإثنين ثاني محرم، فيمكثون بها خمسة أيام ويغادرونها بعد صلاة الجمعة، عبر الطريق نفسها، إلى أن يشارفوا بدرا، فيتنكبون عنها يمينا، قاصدين ينبع النخل : حيث يستريحون يوما أو يومين، ثم يظعن الركب بعد صلاة صبح اليوم الموالي ؛ فيتجه إلى العقبة. وتنقسم هذه المسافة إلى أربع مراحل كبرى.

ومن العقبة يغرب الركب، ليتوجه صوب عجرود : فيتقسمها إلى ثماني مراحل. وللإشارة فإن الطريق من ينبع إلى القاهرة منضبطة المسالك في الذهاب والإياب.

وعند دخول مصر يخص الركب الناصري باستقبال رائع ؛ يشارك فيه المغاربة المقيمون بالقاهرة، وأمراء الجند، وكثير من أعيان البلد. وكان الركب الناصري غالبا ما يدخل القاهرة خلال العشر الأوائل من شهر صفر، فيبعث الحجاج برواحلهم وبعض أثقالهم مع الجمالين إلى كرداسة، في انتظار اللحاق بهم ؛ بعد قضاء مختلف مآربهم وأوطارهم.

وكان من عادة الناصريين أن ينزلوا بقرب مسجد الحسين، بدور يهيئها لهم بعض المغاربة، مثل الحاج محمد الشرايبي، الذي كان مقيما بالقاهرة. وغالبا ما كانت إقامة الركب الناصري، خلال حجات أحمد الخليفة الأربع تناهز الشهر. وبعد ذلك يعبر الركب نهر النيل، فينزل بقرية

أسابيع، ليجتمع الحجاج. من أجل ذلك يضطرون إلى قضاء حوالي أسبوع في انتظار أن يلتحق الكل بالموكب ؛ لينطلقوا بعد صلاة الصبح، قاصدين الإسكندرية. وتنقسم هذه المسافة إلى خمس محطات كبرى، يقطعها الركب فيما يزيد عن عشرة أيام. وقد يقيم بالإسكندرية يومين أو ثلاثة، يزور الحجاج خلالها أضرحة بعض الأعلام، مثل الطرطوشي وابن الحاجب وغيرهما.

ويظهر أن سبب مرور الركب الناصري بالإسكندرية راجع إلى وجود جماعة من تلاميذ الناصريين، كان الشيخ أحمد الخليفة قد قَدَّمَ عليهم، في أثناء حجته الرابعة، الحاج محمد الناضوري.

وبعد الاسكندرية تتزايد الأهوال، وتشتد المشاق، ولا سيما أن الطريق التالية تعد أكبر مفازة يقطعها الركب. وتمتد إلى برقة، تبلغ مسافتها مسيرة شهر كامل. وكان الحجاج ينزعجون منها أشد الانزعاج عندما يصل الركب إلى طرابلس، يتلقى أعيان البلد شيخ الناصريين بالترحاب، فيستضيفه بعضهم. كما فعل محمد بن أحمد المكني، مفتي طرابلس : في أثناء حجة الشيخ سنة 1122 / 1710. بل لقد التقى هذا الأخير بوالي البلد، وبعض كبار رجال الدولة. فبالغ هؤلاء في قضاء مآرب الحجاج ؛ حتى إن والي طرابلس أمر من يقف للبحث عن بعض ما سرق لأحدهم.

وكان الحجاج يعيرون لهذه المدينة أهمية بالغة، لأنهم يكترون منها الرواحل، ويجابلون الأدلاء، والجمالين، كما يشترون منها كثيراً من الزاد. لذلك فبفور حلول الركب بها، ينشغل هؤلاء بكل ما يقيم اودهم ؛ فيبيعون ما حملوه من سلع، ويبحثون عما يحتاجون إليه. لذلك كله تطول إقامتهم بها، لتتعدى أحيانا خمسة عشر يوما. واعتاد بعض أهل طرابلس، ولا سيما علماء المالكية وتلاميذ الناصريين أن يشيّعوا الركب طوال مرحلة أو مرحلتين.

ومن طرابلس يشد الحجاج الرحال، لعبور مفازة نفزاوة، وهي أيضاً من الصحاري المعطشة، متوجهين إلى قابس، التي يصلها الركب بعد حوالي عشرة أيام من السير الحثيث (ليلاً ونهاراً). وبقابس يقيم الحجاج، عادة يومين، للاستراحة، والبحث عن جمالين جدد، لأن الجمالين الذين يرافقون الركب من مصر، قد اعتادوا أن يرجعوا مع الركب التونسي، الذي يكون في أثناء وصول الركب الناصري إلى قابس، في حالة تأهب للتشريق.

4) ركب الحاج زاوية متنقلة : حافظ شيوخ الناصريين ؛ من رأس الطائفة إلى يوسف بن محمد الكبير (ت. 1197)، على الأقل ؛ على نفس المنهاج الصوفي. وتمسكوا بنشر طريقتهم في الحضر والسفر. وعن طريق ركب الحاج انتشرت الطريقة الناصرية في كثير من بلدان العالم الإسلامي. وتمت الإشارة إلى أن شيوخ الناصريين عنوا عناية خاصة بتلقين الأوراد لكثير من سكان المدن والقرى والمداشر التي كانوا يمرون بها. بل لم يكونوا يترددون في تقديم النقباء والتفويض إليهم ؛ ليسهروا على نشر الطريقة ورعايتها.

وإذا حاولنا أن نؤرخ لانتشار الطريقة الناصرية بطريق ركب الحاج، فيمكن بدء الحديث من سنة1076 / 1665، أثناء حجة الشيخ محمد ابن ناصر الثانية ؛ حيث عقد هذا الشيخ محبة مع كثير من السكان الذين مرَّ بهم الركب، وخاصة في تونس وطرابلس والقاهرة. يشير الحسن اليوسي إلى أن المشارقة كانوا يأخذون عن شيخه محمد ابن ناصر في أثناء حجته الورد يدونون السنة والزمان والمكان. أما في عهد ابنه الشيخ أحمد الخليفة، فقد تطور الأمر إلى تعيين المقدمين. وتذكر المصادر أنه أعطى "الإذن" لكثير من الناس، نذكر منهم محمد الأخصاصي بالمدينة المنورة، ومحمد بن منصور السفطي بمصر، والحاج عيسى بن خليفة ببرقة، وعلي بن عبد الصادق بطرابلس، وعبد الله المجذوب بحمة قابس.

وإذا علمنا أن طريق الركب كانت تمر بجهات ظلت هامشية، بالنسبة للسلطات التركية الحاكمة ؛ وكان سكانها متروكين لأنفسهم، فقد نقدر مدى ما كان متصوفة الناصريين يضطلعون به من أجل تقويم سلوك أولئك السكان.

فبالإضافة إلى تدخلاتهم في أثناء رحلاتهم، لبث التربية الصوفية، استطاعوا أن ينشئوا "خلايا"، على طول طريق ركب الحاج، نذكر منها في المغرب الأوسط تلمسان ووهران وقسنطينة، وقرية جلال، وأم الخير وبسكرة وسيدي خالد. وفي تونس حامة مطماطة، وتوزر وقابس وصفاقس. أما في ليبيا فقد اشتهر أتباع الناصريين وزواياهم في طرابلس، وتاجوراء ومصراته وبرقة ..... وفي مصر استأثرت القاهرة بالنصيب الأوفر من الأتباع. وبما أن الطريقة الناصرية تميزت ببساطة أورادها، وقوة تعاليمها ولا سيما التفتح على سائر المذاهب، فقد أقبل مختلف الناس على الانخراط في سلكها. فقامت تلك الخلايا بالاضطلاع بنفس الأدوار التي قامت بها أم الزوايا.

هذا علاوة على ما امتاز به شيوخها من مكارم الأخلاق والعلم والصلاح ؛ الأمر الذي خولهم الاحترام والتقدير لدى سكان تلك البلدان. وعمل أولئك الشيوخ كل ما في وسعهم لدعوة الناس إلى أتباع السنة وترك البدع. وتصدوا إلى محاربة العادات والتقاليد الفاسدة. من ذلك مثلاً :

1) السماع الذي استعمله بعض المتصوفة.

2) الاختلاط بين النساء والرجال.

فبصدد المسألة الأولى ؛ لما وصل الشيخ محمد ابن ناصر، في أثناء حجته الأولى إلى طرابلس، وجد جماعة من أتباع شيخ صوفي يستعملون السماع بالدف : فبعث إليهم من يأمرهم بترك تلك العادة، "وإلا اعتزلوا عن أصحابه"، ولم يزل بهم حتى تركوا السماع.

5) الوساطة والتحكيم : لم يقتصر دور شيوخ الناصريين وتقدمييهم على محاربة ظواهر السلب والنهب،

وقطع الطرق، والتصدي للعادات والتقاليد المنحرفة ؛ حيث كان لهذه الأمور ما يبررها، كانتشار عدم الاستقرار والفقر، وتوالي القحوط والأوبئة، في تلك الجهات ؛ علاوة على بعدها عن مراكز الإشعاع الثقافي ؛ بل تدخلوا للتحكيم في الخصومات، وتوسطوا بين المتقاتلين، وانتصفوا للمظلومين. ونستحضر، في هذا المقام، عدة أمثلة منها :

فيما يتعلق بالنزاعات بين القبائل، توسط الشيخ أحمد ابن ناصر، بأبي سمغون، بين ثلاث قبائل متناحرة، كان القتال بينها متواصلا طوال أجيال خلت. ولما ندبها إلى الصلح لم تتلكأ أية واحدة منها عن الاستجابة إلى طلبه. ولبجعل ذلك الصلح نافذا، أمرها بالتعهد كتابة بالالتزام به. وليقف الشيخ على تنفيذ الصلح، حرر مقتضياته كتابة، وأعطى كل فريق نسخة منه... ؛ ولإبراز بعض مظاهر المصالحة، لم يغادر الشيخ المنطقة إلا بعد أن شاهد الناس يتبادلون الضيافة، ويلاقي بعضهم البعض. يقول بصدد ذلك : "فتوافوا وتضايفوا إتماما للعقدة وتأكيداً لها وزيادة في إشاعتها.. وإزالة الضغن والشحناء..."

وقد تمت الإشارة إلى التدخل الذي قام به الشيخ نفسه لدى قبيلة السليمة، لفسح المجال أمام الحجاج، والكف عن إذايتهم. وفي سنة 1154 / 1741 توسط أبو مدين الدرعي بين أولاد سيدي عبد الجبار - غربي بسكرة - الذين تقاتلوا بسبب خلاف حول أرض زراعية. فكان تحكيمه ناجعا، إذ التزم الفرقاء بمقتضيات الصلح التي ارتضاها لهم ذلك الشيخ.

وإذا كانت تلك القبائل استجابت لوساطة الناصريين، فيمكن أن يستدل بذلك على المكانة المرموقة التي تبوأها هؤلاء لديها، علما أنها كانت تحيى حياة هامشية، بالنسبة للسلطة المركزية. ولم يكتف شيوخ الناصريين بفض النزاعات، وإقرار الأمن بين السكان ؛ بل توسطوا حتى بين الحكام وبعض الخارجين عن طاعتهم.

ومن أمثلة ذلك وساطة الشيخ أحمد الخليفة بين السلطان المولى إسماعيل، وابن أخيه أحمد بن الحفيد، الذي أعلن العصيان في المنطقة الشرقية. فاستطاع الشيخ أن يحسم الخلاف بين الرجلين، ويصلح ذات بينهما.

6) الجانب العلمي في ركب الحاج الناصري : تمت الإشارة إلى أن شيوخ الناصريين قد حظوا بالتقدير والاحترام لدى سكان القرى والمدن التي كانوا يمرون عليها. فتعلق بهم العلماء والطلبة أينما حلوا وارتحلوا. وإذا كان هؤلاء الشيوخ قد جمعوا بين التصوف والعلم، فلا غرابة أن يكون ركب الحاج بمثابة مدرسة متنقلة، عقد العلماء والطلبة خلالها، حلقات علمية أثناء إقامتهم وظعنهم. فكانوا يتناظرون ويتذاكرون ؛ ومنهم من يتابع دروسا منتظمة، "فيختم" في الرحلة كراسات وكتبا، قد "يسلكها" عدة مرات. ففي سياق حديث أبي سالم العياشي عن مداومة الشيخ مَحمد ابن ناصر على التدريس، يقول : "وكان الشيخ في سفره هذا (حجة 1070) وفي غيره، لا يخل بدرس العلم وإقراء المتون، وإملاء الفنون ...".

وذلك ما يزكيه بالمعايشة الحسين بن ناصر، صنو الشيخ المذكور حين يقول : "ختمت على الشيخ الأخ الشقيق شمس المعارف سيدي مَحمد ابن ناصر *خليل بن إسحاق* ست مرات، ثلاث بأغلان عام ثلاث وخمسين وأربع وخمسين، وختمة فيما بين مصر وطرابلس الغرب وبسكرة النخل عام سبعين، وختمتان فيما بين ذلك عام ستة وسبعين وسبعة وسبعين ؛ *والتسهيل* كذلك، ثلاثا بالبلد واثنان كذلك....".

واستجاز العلماء الناصريون وطلبتهم بعض كبار العلماء المشارقة، فأجازوهم. ومن أمثال هؤلاء، محمد البقري بمصر، وعبد الله بن سالم البصري، بمكة المكرمة، والملا إبراهيم بن الحسن الكوراني، بالمدينة المنورة. وكما استجاز الناصريون هؤلاء العلماء، فقد أجازوهم بدورهم. من ذلك مثلا، أن أحمد الخليفة وأخاه عبد الله قد أخذا عن العالمين أحمد ومحمد ابني قاسم البقري بمصر. وأثبت محمد المكي الناصري نص الإجازة في كتابه فتح الملك الناصر. وتدبّج الشيخ أحمد الخليفة وإبراهيم الكوراني، فأجاز كل منهما الآخر. ولم يكتف الناصريون بالتلقي، بل تصدروا بدورهم للتدريس، ولا سيما بمصر ؛ حيث كان ركب الحاج يقيم مدة طويلة، تتراوح بين شهر وشهرين، فيعقد العلماء حلقات علمية يحضرها طلبة العلم، من أجل التحصيل والمناظرة. ومن بين من اقتعدوا كراسي التدريس بالجامع الأزهر عبد المالك التاجموعتي، وأحمد الهشتوكي اللذين أجازا طلبة وعلماء من مصر ومن غيرها. وأقام محمد الصغير الورزازي الناصري بمصر، مدة ؛ فاشتغل بالتدريس، حتى توفي هنالك، سنة 1139 / 1727. وإذا كان الشيخ أحمد ابن ناصر، لم يتصدر للتدريس، فقد أجاز بعض الطلبة والعلماء بكل من المدينة المنورة، ومصر.

وظل حبل التواصل ممدوداً بين العلماء، في كل من المغرب ومصر - على الأقل - في عهد الشيخ يوسف الناصري (1157 - 1197). واستمرت هذه العلائق نشطة حتى مستهل القرن الثالث عشر (19 م) على الأقل ؛ وهو التاريخ الذي سجل بدء تراجع ركب الحاج الناصري.

تذكر الرواية الشفهية المتواترة عند الناصريين، أن الشيخ مَحمد ابن ناصر، صحب معه في أثناء رحلتيه الحجيتين عدداً من التلاميذ. وكلما عثر على كتاب نفيس، إلا واستعاره ليوزع كراريسه عليهم. ثم يأمرهم بنسخه ؛ ليحمله إلى تامگروت. وبهذه الوسيلة انتقل إلى الزاوية عدد كبير من الكتب.

وفي عهد ابنه أحمد الخليفة، تضاعفت مقتنيات دار الكتب بما جلب إليها من المشرق. منها جل مصنفات ابن الأجدابي. ولما زار هذا الشيخ القاهرة في حجته الأخيرة، اشترى عدداً من الكتب. وفي الوقت ذاته اقترض مبلغاً

مالاً كبيراً، أنفقه كله في اقتناء الكتب. وأضاف عبد الحي الكتاني، بصدد المناسبة نفسها، أن هذا الشيخ أنفق مائة مثقال ذهبي في شراء الكتب. ومن التحف التي جلبها الشيخ أحمد الخليفة إلى المغرب، النسخة اليونانية من صحيح البخاري : اشتراها من مكة المكرمة، بثمانين ديناراً ذهباً.

ويتميز في مختلف الركاب، عادة، ثلاث فئات اجتماعية هي :

أ) أعيان الحجاج : وتتكون هذه الفئة من الشرفاء والتجار وذوي الحيثيات.

ب) صعاليك الحجاج : وهم ذوو الفاقة والبسطاء، الذين يرافقون الركب لتقديم بعض الخدمات في أثناء الطريق.

ج) العبيد والخدم، الذين يصطحبهم الشيخ الناصري، وأعيان الحجاج.

وإذا كان "مجلس الركب" يمثل القبائل، ويتدخل للنظر في بعض المشاكل التي تطرأ بين الحجاج، فإن "شورى الركب" كانت بأيدي أعيانه، الذين يقومون بفض مختلف القضايا. ومن الأمثلة التي نود سوقها، في هذا المقام، ما نستفيده من كلام الشيخ أحمد الخليفة، حين استشكل أمر الطريق، في مفازة برقة، فقال : "وجمعنا أعيان الركب لنستخبر ما عندهم، وما عليه حالهم، وما هو الأصلح لهم. واتفق رأيهم، بعد مراجعة في الكلام ومراسلة، ومناقشة ومواصلة، أن يتوجهوا متنكبين طريق سلوك". نفهم من هذا أن حسم الأمر قد تطلب عقد جلسة، تخللها الأخذ والنقاش، للتباحث في تلك النازلة.

وقد سبقت الإشارة إلى أن أولئك الأعيان، عقدوا مجلساً آخر، لما اعترضت طريقهم فيضانات بعض أودية الصحراء، قبل أن يتنكبوا ذات اليسار، للمرور عبر واحات عين ماضي. أي أن الأعيان، هم الذين كانوا يقررون فيما يستوقف الركب من النوازل : طوال الطريق. وأنهم تبعاً لذلك، كانوا بمثابة السلطة العليا، في ركب الحاج الناصري.

هذا عن "مجتمع الركب". أما فيما يختص بحياة الحجاج، طوال الرحلة، فقد استمرت فيها مختلف المظاهر. فقد ظل الحجاج متمسكين بكل الممارسات اليومية التي يعيشونها زمن الاستقرار : من تقاليد واحتفالات ومآتم. وهكذا فبالإضافة إلى تلقي العلم وتلقينه، والتجارة وتبادل النقود وصرفها ؛ احتفل الحجاج بالزفاف والعقيقة، ومنهم من توفي في أثناء الطريق. من ذلك أن المدعو علي بن أحمد الرسموكي قد عقد قرانه بصفية بنت علي بن عبد العزيز البوعنانية، في بداية الرحلة. ودخل بها بعد أن جاوز ركب سنة 1095 / 1685 وحملت منه. وما يزال معها كذلك حتى المدينة المنورة. وفي أثناء عودة الركب الناصري من حجة سنة 1122 / 1710، "أخذ الطلق إحدى مملوكات" الشيخ أحمد الخليفة، فوضعت ولداً ذكراً، عند حلول الركب بوادي الحفنة. وتوفي الشيخ وبنت حفيدة في شهرها السابع من ميلادها. وهذا ما يؤكد أن كثيراً من حجاج، ولا سيما أعيانهم، كانوا يصطحبون معهم نساءهم وجواريهم، وبعض أطفالهم.

وخلاصة القول إن الزاوية الناصرية مثلت حضوراً متميزاً في مجتمع، سواء على صعيد المغرب، بمدنه وقراه ومداشره، أو صعيد بلدان الإسلامية، التي يمر عليها ركب الحاج الناصري. وظل شيوخها يعملون على ترسيخ تعاليم طريقتهم، في الظعن والإقامة ؛ الأمر الذي أسهم في توثيق الصلات، عن طريق انتقال الأفكار والأسانيد والكتب، وبعض طرق التدريس بين المشرق والمغرب. اضطلع الناصريون، في كل ذلك، شيوخاً أو مقدمين أو أتباعاً، بالدور الرئيسي، وحظوا بمكانة رفيعة لدى سكان تلك البلدان.

وعلى الرغم من الصعوبات التي كانت تعترض سبيل ركب الحاج الناصري، في بعض مراحل الطريق، فقد استطاع الشيوخ الناصريون تذليلها ؛ بفضل التنظيم المحكم الذي تواضعوا عليه : سواء بجعل الركب زاوية متنقلة، تضطلع بمختلف أدوارها المعهودة، من ذكر ووساطة وتعليم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، أو بالحرص على استمرار مختلف مظاهر الحياة، في المنشط والمكره.

م. ابن ناصر، *إتحاف الماهر* ؛ أبو سالم العياشي، *ماء الموائد* ؛ م. المكي الناصري، *الروض الزاهر* : *فتح الملك الناصر*، *طلعة الدعة* : *الدرر المرصعة* ؛ أ. ابن ناصر، *الرحلة* ؛ أ. الهشتوكي، *هداية الملك العلام*، رحلة ؛ أبو مدين الدرعي، *الرحلة* ؛ محمد الحليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ محمد بن عبد السلام الناصري، *الرحلة الكبرى*، *المزايا فيما أحدث بأم الزوايا* ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات* ؛ ح. الورثيلاني، *نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار*، تح محمد بن أبي شنب، بيروت، ط. 2، 1974 ؛ م. ابن ناصر، *فهرسة*، نسخة علي الريسوني، شفشاون ؛ القادري، *نشر المثاني/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996 ؛ *التقاط الدرر* ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ رضا كحالة، *معجم المؤلفين* ؛ الزركلي، *الأعلام* ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ ح. مؤنس، *أطلس تاريخ الإسلام*، *الزهراء للإعلام العربي*، القاهرة، الطبعة الأولى، 1407 / 1987 ؛ م. المنوني، *من حديث الركب المغربي*، *دليل دار الكتب الناصرية*، *البخاري الصحيح* : *معلمة المغرب* ؛ م. ماكمان، *أدب الرحلات*، د. ع مرتونة ؛ أ. التوفيق، *أبو الحسن علي بن سليمان الدمنتي البوجمعوي* ورسالته إلى الأتاي بحث نشر في *النهضة والتراكم*، دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية، مهداة إلى الأستاذ محمد المنوني بمناسبة عيد ميلاده، الدار البيضاء، 1986.

Michaux-Bellaire, *Conférences sur les confréries religieuses du Maroc*, A.M., vol. 27, 1927.

أحمد عمالك

ركراكة أو رجراجة، قبيلة من فروع قبيلة مصمودة الأمازيغية الكبرى، استوطنت منطقة الشياظمة بإقليم الصويرة منذ ما قبل الاسلام إلى اليوم، واشتهرت عبر التاريخ الإسلامي بالطائفة الركراكية المنتسبة إلى سبعة رجال المشهورين برحلتهم إلى مكة المكرمة فأسلموا على يد رسول الله (ﷺ) ففازوا بشرف الصحبة ثم عادوا إلى بلدهم مشمرين عن ساعد الجد لنشر الإسلام والتصدي لأعدائه، يتوارث خلفهم عن الأسلاف هذه المهمة التي تختلف ظروفها وملابساتها من عصر إلى الآن. وتروي بعض كتب التاريخ المغربية للمرغيتي واليوسي والمختار السوسي أن أصل طائفة رجراجة المشهورة بالصلاح والجهاد في سبيل نصرة الدين أنهم من بقية الحواريين المومنين بالمسيحية (الدوناتوسية) انتقلوا من جزيرة الأندلس راكبين على سفينتهم حتى خرجوا بإقليم حاحة بمرسى (أكوز) وذلك قبل الإسلام عند مصب وادي تانسيفت وبنوا بها مسجداً لعبادة الله يسمى : (مسجد الحواريين) وبالأمازيغية : (تيمزگيدا ن حورن) وسكان المنطقة من المصامدة يتبركون بهم ويعظمونهم واختلطوا معهم بالمصاهرة والتناسل، وكانوا يحفظون عن أسلافهم أن نبيّاً سيبعث، فبقوا يترصدون مبعثه. وحين بلغهم نبأ مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، هبوا لتلبية دعوته فجمعوا رؤساء المغرب، وساروا في وفد عظيم تحت رئاسة سبعة رجال المشهورين إلى مكة.

إن من الثابت تاريخيا هو أن منطقة حاحة وركراكة كانت منطلقا للدعوة الإسلامية بالمغرب وظلت مركز إشعاع ديني، ورباطا للدفاع عن العقيدة الصحيحة ضد البدع الضالة وبالأخص عند ظهور برغواطة بتامسنا، وظل السادة الركراكيون متصفين بالخير والدين والصلاح والاستقامة والتمسك بأذيال الشريعة، والاجتهاد في الأعمال الصالحة وتعمير المساجد وإطعام ابن السبيل والضعيف وذوي الحاجة والإقبال على تعاطي المكرمات وهذا ما جعلهم معظمين محترمين لدى جيرانهم من قبائل الشياظمة وحاحة وغيرهم من المغاربة المواظبين على زيارة السادات السبعة رجال والاجتماع للدوران على أضرحتهم وزواياهم خلال فصل الربيع من كل سنة، وهم :

- سيدي واسمين في ظرف جبل الحديد بالشياظمة.
- سيدي عبد الله أدناس على طريق وادي تانسيفت.
- وسيدي عيسى بوخابية بوادي تانسيفت.
- وسيدي يعلى بن واطل في آمسكن
- وسيدي سعيد بن يبقى غرب وادي شوشوا (شيشاوة)
- وسيدي أبو بكر اشماس باقرمود.
- سيدي صالح بن أبي بكر اشماس بأقرمود نفسه.

وقد تكاثر الركراكيون بالتناسل حتى بلغ عددهم حسب الإحصاء الأخير حوالي مائة ألف نسمة بمعدل نصف سكان قبائل الشياظمة البالغ نحو مائتي ألف نسمة.

وموسم ركراكة الذي تقيمه قبائل الشياظمة ويتوافد المحبون للركراكيين من كل أنحاء المغرب يبتدئ من يوم 20 مارس وينتهي مساء يوم 27 أبريل مستغرقا 39 يوما يزور فيها المشاركون 14 زاوية و25 ضريح ولي وولية بمعدل يوم وليلة لكل مقام يستضيفهم أهل دفين الضريح فيبيتون فيه مستغرقين الليل كله في الذكر وتلاوة القرآن والعبادة إلى وقت الأذان فيصلون الفجر ثم يعودون إلى التلاوة والاذكار إلى أن تطلع الشمس فيجتمع الناس إلى مقدميهم الأكابر من المرابطين ويستنبطون نوعاً حسنا من التوسل فيقول الأولون ويرد عليهم الآخرون إلى أن يدخلوا الروضة المقصودة فيصلون جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم المرة بعد المرة ثم بجلس الجميع سواء من كان داخل الروضة أو خارجها ثم يقرؤون سورة ياسين، وبعده يشتغلون بالدعاء والابتهال إلى الله تعالى والتضرع إليه بأنواع الأدعية لأنفسهم ولغيرهم من المسلمين ويختمون الدعاء، فيخرجون من حينهم ويذهبون قاصدين غير ذلك الولي. وهكذا دواليك.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 4، ص. 7 : ع. الله الركراكي السعيدي، *السيف المسلول*، ص. 27 : مخطوطة (طاطا) من تأليف محمد بن أحمد التملي عام 846 حول *أصول الركراكيين وأنسابهم* : مخطوطة : : *العيون المرضية في ذكر بعض مناقب الطائفة الركراكية*. لأبي الفضل عبد الكبير ابن سعيد وهي مؤرخة بربيع الأول عام 1312 والمخطوطتان من إخراج الأستاذ عمر أفا.

محمد أيت الحاج

الركراكي، إبراهيم بن سعيد بن علي بن محمد المراكشي فقيه مدرس مؤلف، له *شرح على التحفة* في مجلد، قال في ديباجته : (هذا تقييد مختصر كالشرح للتحفة *العاصمية*، لخصت فيه ما وقع عليه الاختيار مما تضمنه شروحها، وربما أزيد من غيرها مما تتم به الفائدة)، وقال في آخره : (وكان الفراغ من مبيضة هذا التقييد ضحى يوم الأربعاء عشية يوم الأحد السادس عشر من شهر الله صفر عام تسعة وسبعين ومائة وألف). وله *شرح على الزقاقية*.

توفي عام 1190 / 1776.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1. 187 : ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 7 : 2409.

الركراكي، أحمد (الحاج -) **الأمين** الرباطي، عمل أميناً بالمراسي خلال القرن الثالث عشر (19 م)، عينه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان أمينا بمرسى الجديدة سنة 1281 / 1864 ثم أمينا بمرسى الدار البيضاء سنة 1283 / 1866.

ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها*، ص. 222.

الرگراگي، أحمد (الحاج -) المؤلف الرباطي. درس على الشيخ الصوفي فتح الله بناني وعلى بعض علماء الرباط، كما درس بالقاهرة أيام مكوثه بها قصد طبع مؤلفات شيخه البناني، واستغرق بقاؤه بالقاهرة مدة تزيد على العشر سنوات. كما عمل بإحدى مطابع مصر كمحرر ساعدته على طبع مؤلفات شيخه. ومع قيام الحرب العالمية الأولى عاد إلى مسقط رأسه الرباط ليشتغل بوزارة الأوقاف ومنها عين ناظراً للأوقاف بالصويرة، ومنها إلى مراكش ثم عاد إلى الرباط سنة 1346 / 1927، وكانت مدينة وجدة خاتمة تطوافه كناظر للأوقاف التي عمل فيها بكل حزم ونشاط وضبط إلى أن أصيب بداء الفالج الذي ألزمه الفراش، وبعد أشهر من مرضه أعفي من عمله وعاد إلى مدينة الرباط. من مؤلفاته: *الشموس المنيرة في تاريخ الصويرة* مطبوع؛ *عشرة أيام في مراكش*.

عرف بحسن الحديث وحضور الذهن وطلاقة اللسان.

توفي بالرباط عام 1374 / 1955 ودفن بضريح مولاي المكي.

ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، 2، 9؛ ع. العربي بنعبد الله، *الموسوعة العربية*، 2، 95.

احمد متفكر

الرگراكي، الجيلالي الرباطي. من خدام المخزن في عهد السلطان مولاي الحسن الذي عينه أمينا لمستفاد مدينة الجديدة ابتداء من عام 1301 / 1883، والمستفاد يعني الضرائب على التجارة الداخلية وموارد أملاك المخزن، وتركات المنقطعين من الوارث لهم ورسوم البريد الذي نظم في العهد الحسني.

ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها*، ص. 225؛ ن. التوزاني، *الأمناء بالمغرب على عهد المولى الحسن*، الرباط، 1979، ص. 133، 114.

عبد الإله الفاسي

الرگراكي، عبد الرحمن بن زكريا بن محمد، كان شيخا صالحا متحققا بعلم الكلام. رحل من المغرب الأقصى إلى الأندلس وسكن قرطبة وولي قضاء إستجة من كورها. وكان شديدا في أحكامه.

درّس بقرطبة وناظر علمه فيها، وذكره عدد من مشايخ الأندلس كابن حوط الله الأنصاري وأبي الربيع بن سالم الكلاعي ضمن شيوخهم. وكان من الفقهاء الذين عارضوا أبا الوليد بن رشد الفيلسوف وسجلوا عليه بعض المؤاخذات التي أدت إلى نكبته ونكبة عدد من المشتغلين بالفلسفة من أصحابه سنة 593.

توفي الرگراكي سنة 605.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، ج. 3، ص. 51.

محمد الفراري

الرگراكي، عبد الفتاح بن محمد بن علي الرباطي. ولد بالرباط في ثامن عشر شعبان عام 1344 / 3 مارس 1926. تابع دراسته الابتدائية والثانوية في المدارس العصرية وتخرج من قسم تكوين المعلمين بثانوية مولاي يوسف قبل أن ينخرط في سلك التعليم الابتدائي، والتحق بمدرسة المعلمين الإقليمية بالرباط، أول ما أسست في أوائل الخمسينات، فدرس في السنة التحضيرية عقوداً من السنين. وكان المشرف على تدريب الطلبة المعلمين بهذا القسم الذي هو أساس التعليم. وتخرج على يده عدد لا يحصى من المعلمين، متأثرين بأسلوبه البيداغوجي الحي لاسيما في دروس المحادثة التي كان يبدع فيها.



وبعد ذلك أسندت إليه مناصب سامية في وزارة التربية الوطنية زاولها بكفاية إلى أن أحيل على التقاعد. وأدركته الوفاة بالرباط يوم ثالث عشر رمضان عام 1415 / 13 فبراير 1995.

وثائق عائلية وإدارية ومعرفة شخصية.

محمد حجي

الرگراكي، عبد الله بن محمد بن الطيب الرباطي. ولد بالرباط حوالي سنة 1321 / 1903. بدأ تعليمه بالكتاتيب القرآنية ثم دخل المدرسة الابتدائية العربية/ الفرنسية، والتحق بعد الشهادة الابتدائية بمدرسة مولاي يوسف بالرباط.

ونظراً لظروف عائلته المادية، التحق عبد الله الرجراجي بالوظيفة العمومية وهو في بداية شبابه، فعيّن موظفا بالخزانة العامة بالرباط. فكان بذلك أول مغربي يلتحق بهذا العمل الجليل، وأصبح مع مرور الوقت الرائد المغربي الأول في علم الوثائق والمكتبات في المغرب.

وقد ساعدت ظروف العمل والصفات الحميدة التي كان يتمتع بها المترجم على أن يتطور علميا وثقافيا داخل

الخزانة العامة. فطيلة سنوات عديدة وجد عبد الله الرجراجي نفسه بجانب نطاحل من العلماء الفرنسيين بالخزانة العامة يتابع عملهم ويقتفي أثرهم ويتعلم منهم، وقد كان على رأس هؤلاء، ليفي بروفنصال (Lévi Provençal) الذي كان في هذا الوقت يشغل منصب مدير الدراسات بمعهد الأبحاث المغربية العليا ونائب محافظ الخزانة العامة. والذي وضع فهرسا للمخطوطات العربية التي اهتمت الخزانة العامة بجمعها منذ تأسيسها إلى غاية سنة 1920 (ل. بروفنصال. *فهرس المخطوطات العربية*، 1 : 7)، والأستاذ بلاشير (Blachère) والدكتور رونو (H.P.J. Renaud) اللذان اعتنيا بوضع فهرس موجز للمخطوطات التي دخلت الخزانة العامة بين سنتي 1921 و1930.



وقد عاش عبد الله الركراكي كل محاولات وعمليات فهرسة الرصيد المخطوطي الهام بالخزانة العامة بالرباط. كما ساهم في الجهود التي كانت ترمي إلى تزويد الخزانة العامة بأرصدة جديدة من المخطوطات.

ولتكملة ما قام به بروفنصال وبلاشير ورونو، قام عبد الله الركراكي بمعية ج. س. علوش (Allouche) مدير قسم الآداب العربية بمعهد الأبحاث العليا المغربية ومحافظ القسم العربي بالخزانة العامة بوضع فهرس من جزءين للمخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة للفترة من سنة 1921 إلى 1953. وقد صدر الجزء الأول سنة 1954 والجزء الثاني سنة 1958. ويُعتبر هذا العمل الجليل الذي قام عبد الله الجراري مع علوش خدمة متميزة لثقافتنا الوطنية ووسيلة فعالة تعطي للباحثين فرصة للتعرف على تراثنا القومي الأصيل وتعريفا بما تحتضنه الخزانة العامة المغربية من ذخائر علمية وأدبية نفيسة. وقد أظهر هذا العمل العلمي الجاد الذي شارك في إنجازه عبد الله الرجراجي والذي جاء وفق شروط الفهرسيين الجهابذة مدى تمكنه من حرفته وتضلعه في علم الفهرسة والمخطوطات واطلاعه الواسع على عالم الثقافة والأدب.

وقد لعب عبد الله الركراكي دوراً هاماً في نشر هواية القراءة والاطلاع بين التلاميذ والطلبة في مدينة الرباط، وما يزال يتذكر بعض قدماء خريجي مدارس محمد الخامس ما كان يقوم به الرجل عندما كان قيّماً على مكتبة باب شالة للخزانة العامة، فقد كانت هذه المكتبة مركز استقطاب لشباب المدينة وبعض رجالاتها. وذلك قبل تأسيس مدارس محمد الخامس المجاورة والتي ستصبح المكتبة عمليا جزءاً منها وامتداداً لها (امحمد ابن العازي، شهادة شفوية).

وقد استطاع عبد الله الركراكي من خلال عمله في الخزانة العامة أن يربط علاقات وثيقة مع العديد من الشخصيات التي لعبت أدواراً مختلفة في الحياة الوطنية والعلمية والاجتماعية. وهذا وضعه في قلب النضال الوطني وجعله يندمج في صف الوطنيين الأحرار المناهضين للاستعمار، وأعطاه حق التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944.

ونظراً لكفاءة عبد الله الرجراجي ولقدرته ولباعه الطويل في تسيير شؤون الخزانة العامة عُين بعد الاستقلال مباشرة مفتشا للخزائن المغربية ومحافظا للخزانة العامة حيث بقي في هذا المنصب إلى حين بلوغه سن التقاعد وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى بمدينة الرباط سنة 1399 / 1978.

ليفي بروفنصال. *فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط*، 1997 ـ 1998 : محمد ابن الغازي، شهادة شفوية، جلسة بمنزله يوم 23 يونيو 2001 : *وثيقة المطالبة بالاستقلال. تراجم الموقعين*. المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير. 1996 : أحمد قرمون، شهادة شفوية، جلسة بمكتبه يوم 3 ماي 2001

عثمان بناني

الركراكي، عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله فقيه أخذ عن عمه محمد الركراكي آتي الترجمة، وعن شيخ الجماعة عبد الواحد الشريف وعن المفتي الحافظ أبي عبد الله الترغي المساري، وعن أحمد المنجور وغيرهم.

له مشاركة تامة في العلوم، يستظهر مختصر *خليل* ويشارك في كثير من العلوم كالمنطق والبيان. اطلع المقري في مكتبته على كتب نادرة لم يسبق له ولا لبلديه التلمسانيين الوقوف عليها، كحواشي اللقاني على *توضيح خليل*. فأهداه الركراكي نسخا منها، انقلب بها المقري إلى أهله مسروراً. وكانت محط استغراب علماء تلمسان قاطبة.

من مؤلفاته : *اختصار منظومة ابن زكري في علم الكلام* ؛ *وشرح نظم مغني اللبيب*.

أ المقري، *روضة الآس*، 315، 316 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، 3، 142 رقم 1098 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2، 285.

أحمد منفكر

الركراكي، علي بن سعيد من فقهاء السوس الأقصى في عهد الموحدين، نزيل جزولة بجبل الكست كان

عالما ماهرا في اللغة العربية وأصول الفقه وأصول الدين. وكان فضلا عن ذلك من حفاظ المذهب المالكي المتعمقين في فروعه. قام برحلة إلى المشرق حج فيها ولقي خلالها جماعة من أهل العلم منهم العالم اللغوي أبو موسى الجزولي "لقيه على ظهر البحر وتكلم معه في مسائل العربية" (*نيل الابتهاج*)، كما أتيح لعدد من أهل المشرق الاتصال به والأخذ عنه.

ألف كتاب *مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل على كشف أسرار المدونة*، أبان فيه عن تمكنه من فروع الفقه المالكي، ولخص فيه" ما وقع للأئمة من التأويلات على كلام القاضي ابن رشد والقاضي عياض وتخريجات أبي الحسن اللخمي" (*نيل الابتهاج*)، وتوجد من هذا الكتاب عدة نسخ مخطوطة في خ. ع. بالرباط وخ. ق. بفاس.

كان حيا سنة 633 / 1236.

أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، 1989، ص. 316.

محمد المغراوي

الركراكي، محمد بن **عبد الله** المراكشي، المدعو بوعبدلي، مشارك في علوم القرآن والحديث والفقه وغيرها من الشرعيات واللسانيات. تولى خطة القضاء في مناطق مختلفة أيام أحمد المنصور الذهبي، وبعد وفاة القاضي أبي القاسم الشاطبي سنة 1002 / 1594 ولي محمد الركراكي قضاء الجماعة بحاضرة مراكش. صحب المنصور في رحلته الأخيرة إلى فاس فقدمه لإقراء التفسير بالقرويين "ووقعت له مع فقهاء فاس بحضرة السلطان المنصور مناظرات انجلت عن تحقيقه وتوحده بالبراعة في الفنون" (*صفوة*) وذكر ابن القاضي في *الجذوة* أن المنصور أمره باختصار *الكشاف* للزمخشري "والكلام في مواضع سقطه". وقد سجل محمد العربي الفاسي صاحب *المرآة* عند كلامه عما جرى به العمل بالمغرب من أن القول قول والد القتيل فيما نهب من مال ولده بدون بينة، مشهداً رائعاً للمجلس العلمي لأحمد المنصور بفاس الذي كان يحضره القاضي الركراكي.

وبعد وفاة المنصور رجع الركراكي إلى مراكش وانكب على التدريس والإفتاء والتأليف إلى أدركته الوفاة سنة 1022 / 1614.

ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ ع. الرحمن الفاسي، *بستان الأذهان*، مخطوط ؛ *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ *شرح العمل الفاسي*، مخطوط ؛ ع. الله الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس، ص. 99 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، د. د. ع. مرقون ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1976، ج. 5 : 248 ـ 250 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 389 والهامش 41.

محمد حجي

الـركراگيون السوسيون، اعتنت كتب التراجم بإشكالية الانتساب إلى الركراگيين وملاقاتهم بالرسول عليه الصلاة والسلام، وبانتمائهم إلى الصحابة. وقد أنكر كثير من السوسيين هذا الاعتقاد، واعتبره "مردوداً وأمشاج أخلاط" وقليل منهم سايره بالسماع والقول مثل محمد بن سعيد المرغيثي السوسي المراكشي (ت. 1063)، وحذا حذوه من المتأخرين صاحب كتاب *السيف المسلول*.

واختلف كذلك حول أسباب دخول الركراگيين إلى حاحة وسوس موطنهم الثاني.

فقد كان دخولهم إلى جبال جزولة بقيادة "واسمين" فراراً من ملك فاس ابن خزر المغراوي بتاريخ 432. وهذا الإكراه هل كان مرده رغبة هذا الملك في نقل واسمين لما اشتهر وذاع صيته قصد التبرك به، فكَرِهَ ذلك بعض أولاده فخرج عشرة منهم إلى سوس، وقيل إنَ ذلك كان نتيجة الجراح التي أثخنها ابن خرز في الشرفاء الأعيان ؟ !.

ومن العشرة الفارين، اتفقت المصادر على أربعة فقط، بينما الستة الباقون، فهم زاهدون وتائهون بقفار أحواز درعة.

إن مصدر المعلومات هو "عقد عتيق" كتب سنة 846، أي بعد أربعة قرون ونيف من التاريخ المذكور أعلاه. شهد بصحته شهود ينتسبون للركراگيين بعد ثلاثة قرون أخرى. ودام الإشهاد بذلك ما بين 1148 و1315.

وكيف ما كان الأمر، فمن المتأخرين من اهتم بالأمكنة التي تبوأها الركراگيون بالسكنى في سوس. ويمكن إجمالا أن نذكر منها : ماسة "سيدي وساي" اشتوكة "سيدي علي بن أيوب" تِزِلْمي بمجاطة "سيدي عبد الله"، دُوِيمْلالْن بتافراوت "عبد الرحمن بن عاصم، وقيل ابنه عبد الله"، ومزارات أخرى بواد نون بتاگوست وبإفران وأيت باعمران ورأس الواد.

وكثيرة هي العائلات السوسية التي تفرعت عن هؤلاء، منها : الإيديكليون والساليون والتمگدشتيون وآل أگني إيديان الإيغشانيون والدوملالنيون والصوابيون. ونظراً للغموض الذي يكتنف الأصل، فقد تنازع الركراگيون مع البكريين حول الانتساب لسيدي وساي بماسة، ومع الدغوغيين حول الانتساب لأبي القنادل بفونتي (أگادير).

ولا يمكن أن تنسينا هذه الاختلافات تلك الأدوار الجليلة المنوطة بعائلات ركراكية كان لها شرف نشر الإسلام والاحتفاظ على جذوة العلم متوقدة بمدارس سوس، وقد ذكر صاحب كتاب *السيف* سبعة منهم وترجم محمد المختار السوسي لشخصيات أخرى.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3، ص. 110، 4، ص. 5 ـ 25، ص. 305 ـ 5، ص. 150، 1، ص. 137 ـ 147 ؛ *خلال جزولة*، 3، ص. 167 و168 ؛ م. الإگراري، *روضة الأفنان*، 193 ـ 197 ؛ الحضيگي، *طبقات*، تح. أحمد بومزگو، مرقون ؛ الكراي، *بشارة الزائرين*، مخطوط ؛ ع. الله الركراگي السعيدي، *السيف المسلول*،

طبعة 1987، ص. 25، 39، 46، 49، 73، 74، 85، 87، 112، 116، 119، 203، 242، 252 ؛ التراجم، الأرقام، 15، 77، 78، 173، 178، 227، 265، 308.

محمد ابن الحاج

الروك، ويكتب الرَوك ورُوك، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Roque وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1147 / 1735.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 717*

الركّاب، محمد، «أشهر من نار على علم» بالنسبة للسينما المغربية ولا يزال، حيث لقب بعدة ألقاب منها، المشاغب، المناضل، لكن أهمها كان «مسيح السينما المغربية» لما عاناه الرجل في هذا الحقل مخلفا إبداعات تبرز رغم قلتها لعل أشهرها فيلمه التحفة (حلاق درب الفقراء) الذي يشكل انعطافة متميزة في تاريخ السينما المغربية سواء على مستوى الطرح الفكري أو على مستوى كتابته السينمائية.

كما يعتبر محمد الركاب مرجعا نظريا لكثير مما يروج راهنا من آراء وتصورات ومقترحات في القطاع بفضل ما أدلى به المرحوم وشارك به في العديد من التظاهرات الثقافية والفنية شفويا وكتابة وتدريبا.



ولد محمد الركاب سنة 1942 بمدينة آسفي في عائلة متواضعة جدا نزحت برمتها إلى الدار البيضاء، حيث كان والده يشتغل كعامل بمقر العمالة. ومنذ منتصف الخمسينيات تفتق ذهن الصبي محمد على عالم السينما بإقباله على قاعاتها المنتشرة في عدد من الأحياء الشعبية على رأسها سينما الكواكب رفقة عينة من زملائه الذين سيرافقونه درب الإبداع والمعاناة كان من ضمنهم الراحل محمد الزياني والمخرج أحمد البوعناني.

حصل سنة 1960 على شهادة الباكالوريا علمية من ثانوية محمد الخامس ليقضي سنة بعد ذلك بمدرسة فوجيرار Vaugirard بباريز التحق بعدها بالمدرسة العليا العمومية للسينما بالاتحاد السوفياتي UGIK ليحصل من هناك على دبلوم في شعبة التصوير السينمائي ضمن أول فوج. قضى بعد ذلك سنة بجامعة بروكسيل الحرة لدراسة علم النفس.

تشكل سنة 1967 انطلاقة فعلية ورسمية لمحمد الركاب في مجال الإبداع الفني بالتحاقه بالإذاعة والتلفزة المغربية حيث أنتج وأخرج العديد من الأعمال التلفزيونية : برامج، وأفلام وثائقية وروائية، وربورتاجات وسهرات ومسرحيات من أبرزها :

1968 : «كاميرا 4» منوعات تلفزيونية وقعه صحبة مخرجين آخرين هما : المرحوم حميد بنشريف وحسن المفتي.

. (التضحية) مسلسل . (رامدا) وثائقي عن سكان أوريكا بالدار البيضاء . (بصمات) برنامج خاص بتوثيق بعض العائلات الثقافية والفنية المغربية كان ضمن حلقة خاصة بالمخرج السينمائي محمد عصفور.

كما صور وأخرج في نفس الرحلة عددا من المسرحيات منها : (الحراز) للطيب الصديقي . (زيارة غريب) لصلاح الدين بنموسى . (بنت العم) لمصطفى التومي . (بوحمنة) لعلي الحداني... وتؤرخ نفس السنة المذكورة لأول ظهور لمحمد الركاب على الشاشة السينمائية كممثل بأدائه لدور صغير في الفيلم الروائي الطويل (الحياة كفاح) الذي وقعه كل من المرحوم أحمد المسناوي ومحمد التازي.

وفي سنة 1972 أخرج شريطا قصيرا بعنوان (الحصار) شارك فيه كل من المرحوم مصطفى التومي وحسن الصقلي.

أما أول شريط روائي سينمائي طويل سيوقعه محمد الركاب فكان (رماد الزريبة) سنة 1976 بمعية ستة مخرجين آخرين هم : مصطفى وعبد الكريم الدرقاوي، سعد الشرايبي، نور الدين گونجار، عبد القادر القطع، ثم العربي بلعكاف.

والواقع أن فكرة الفيلم من أساسها تعود للركاب الذي كان من المفروض أن يخرجه بمفرده، لكن ثمة مشاكل إنتاج وإدارته عاقت المشروع أدت إلى تدخل العديد من الأطراف التقنية ممن ذكر فوقعوا الفيلم كمخرجين وهذه سابقة فريدة من نوعها في السينما المغربية، ورغم ذلك ظل الفيلم ولا يزال يحمل بصمات محمد الركاب التي ستبلور بالخصوص في فيلمه المقبل (حلاق درب الفقراء) إلى درجة أن كثيرا من النقاد السينمائيين والباحثين المغاربة ينسبون (رماد الزريبة) بكامله للركاب وحده.

انطلاقا من سنة 1977 وإلى غاية 1980 التحق بالمعهد العالي للصحافة كمدرس في شعبة «السمعي البصري» حين تتلمذ وتخرج على يده عدد من الصحفيين اللامعين في القطاع الإعلامي بمختلف منابره.

وخلال هذه الفترة أخرج محمد الركاب رفقة طلابه ثلاثة أفلام وثائقية هي :

(مدن الصفيح) ، (المخطط المديري لبني ملال) ، (مهرجان أصيلا الثقافي الأول)...

ثم حلت 1982 ليستأثر محمد الركاب باستقلالية إخراج وإدارة تصوير أول فيلم روائي طويل له (حلاق درب الفقراء) عن مسرحية بنفس العنوان ليوسف فاضل الذي شاركه كتابة السيناريو. هذا الفيلم الذي يشكل كما أسلفنا انعطافة مهمة ومتميزة في تاريخ السينما المغربية لجرأة طرحه الفكري وكتابته السينمائية المغايرة حيث ولجت الكاميرا الحارة الشعبية المغربية مصورة أدق تفاصيلها اليومية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بوأت الفيلم مكانة مرموقة وجعلته يحظى بتنويه خاص من الصحافة المعتمدة في المهرجان السينمائي الوطني الأول المنعقد بالرباط سنة إنتاجه كما حصل في ذات العام 1982 على جائزة أحسن تصوير في مهرجان أيام قرطاج السينمائية بتونس، ثم على جائزة أفضل ممثل : محمد الحبشي في مهرجان واغادوغو ببوركينافاصو.

ويبدأ من هذا الفيلم ستنطلق معاناة محمد الركاب تجاه سوء توزيعه وعدم قدرته على سداد بعض ديون إنتاجه الشيء الذي أدى به الاعتقال. كما أن ظروف ترطيبه من قبل بمختبرات المركز السينمائي المغربي الرطبة أدت إلى إصابة الركاب بداء السل. وتلك كانت شرارة معاناته مع المرض الذي سيودي بحياته ثماني سنوات فيما بعد.

ورغم هذا يعود نفس الثنائي الركاب ويوسف فاضل لصياغة سيناريو الفيلم الروائي الثاني للمرحوم وهو (مذكرات منفى) الذي قدم للجنة صندوق الدعم السينمائي المغربي فرفضت منحه ثلاث مرات متتالية!!

ويتمحور الفيلم حول قضية فلسطين انطلاقا من حادثة اغتيال أحد الزعماء السياسيين بمصر سنة 1944 من المدعو أحمد صالح بركات عن قصة لصلاح عيسى.

ولعل من سخرية القدر ألا تقرر لجنة صندوق الدعم السينمائي الجود على (مذكرات منفى) بمنحة هزيلة إلا بعد أن كان محمد الركاب على حافة القبر حيث كان مقبلا على إجراء عملية جراحية لاستبداله رئتيه كانت نسبة نجاحها جد ضئيلة! عن هذه المنحة المتأخرة صرح لنا المرحوم في آخر حوار أجريناه معه بباريز قبيل وفاته سنة 1990 قائلا :

«في شهر دجنبر 1989 حينما تقرر بعثي لفرنسا لإجراء عملية جراحية جد خطيرة بأمر من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، كانت نسبة نجاحها ضئيلة، حينذاك قررت لجنة صندوق الدعم منح الفيلم لا لشيء إلا لتأكدها من وفاتي لتبرئة ذمة أعضائها. لكن ها أنت ترى أن القدر أعادني حيا فطرح لديهم مشكلا الآن».

ورغم ذلك لم يتوان محمد الركاب دقيقة واحدة عن الاشتغال على فيلمه، كتابة وبحثا عن مصادر تمويل وكان يجهد نفسه في العمل وهو بالمستشفى إلى أن أصيب بذبحة جديدة دخل على إثرها غرفة الإنعاش، ليفارق الحياة يوم الثلاثاء 26 ربيع الأول عام 1411 / 16 أكتوبر 1990 بباريز حيث مات وفي حلقه غصة إخراج فيلم مجهض.

خ. الخضري، كتاب دليل المخرجين السينمائيين المغاربة، باللغتين العربية والفرنسية ؛ حوار أجريناه مع المرحوم الركاب نشر بجريدة العلم السينمائي يوم 21 أكتوبر 1990 إضافة إلى صفحات أخرى من نفس الجريدة نشرت معلومات وآراء عنه وللمرحوم الركاب

خالد الخضري

الركَّة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم : Roque وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1187 / 1773.

م. ابن عزوز حكيم، كتاب *أسماء عائلات تطوان ؛ والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 719.*

محمد ابن عزوز حكيم

الركن، مكان تاريخي يقع غير بعيد عن تازة قرب الطريق القديمة التي كانت تربط هذه المدينة بفاس، إلا أنه لم يبق له ذكر.

وقعت بالركن معركة حاسمة في عهد الدولة السعدية، أيام السلطان أحمد المنصور، في مطلع القرن الحادي عشر (17 م) بين الناصر بن عبد الله الغالب الذي اندفع إلى حمل السلاح بمساعدة الإسبان لاسترداد ما سمّاه حقه المشروع في خلافة والده، وبين عمه أحمد المنصور الذي تمت له البيعة بعد واقعة وادي المخازن (30 جمادى الأولى 986 / 4 غشت 1578). وكان الناصر على إثر هذه البيعة وما تلاها فرّ إلى البرتغال عن طريق العرائش. نزل الناصر بمليلية يوم 3 شعبان عام 1003 / 13 أبريل 1595، وتقدم نحو تازة فاستقبلته أحسن استقبال واتخذها قاعدة لملكه بعد أن بايعه أهل الريف والبرانس وغيرهم، وشكل جيشا من المتطوعين تمكن من هزم فرقة عسكرية بعث بها المنصور لقتاله، فأمر المنصور ولي عهده محمد الشيخ المامون في فاس بخروجه إلى الناصر في جيش قوي.

والتقى الفريقان بمكان الركن في صيف عام 1004 / 2 غشت 1595، في مواجهة ضارية استعملت فيها كل أسلحة الوقت، بما فيها النارية، على قلتها.

وشهد أطوار المعركة التي دامت ثلاثة أيام، المدعو بتِرس طريبولت (P. Treillault)، أحد خدام أحمد المنصور، وهو من أصل فرنسي، كما روى بعض أطوارها المدعو بولو بلتزار وهو إسباني، ولا ندري من أين استقى أخبارها.

وأسفرت الواقعة عن مقتل عدد كبير من جنود الجانبين وقوادهم كما قُتل الناصر، وأمر محمد الشيخ المامون بقطع رأسه وإرساله إلى مراكش.

محمد الصغير الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشاذلي، ص. 177 - 179، الدار البيضاء، 1998 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 5، ص. 145 - 146.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, T. II, p. 198, Casablanca, 1930 ; H. de Castries, *S.I.H.M.*, *France II*, 1ère série, p. 205 - 212.

أحمد بنجلون

ركنام، إدريس بن الطاهر مقاوم، ولد سنة 1903 ببني خيران إقليم خريبگة. كان من أشد الناس عداوة للاستعمار الأجنبي وتعلقا بوطنه فشارك في ثورة الملك والشعب في ذكراها الثانية بمدينة خريبگة.

وخلال هذه الانتفاضة قام الشهيد بعدة أعمال فدائية كإحراق وتخريب منشآت المعمرين بالإضافة إلى تحريض الناس على الانتفاضة. ونظراً لنشاطه هذا لا حقته الشرطة الاستعمارية وأطلقت عليه الرصاص فاستشهد بتاريخ ثاني محرم عام 1375 / 21 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

الركني، أحمد بن إبراهيم ينتسب إلى الأسرة الركنية من قرية الركن قرب طاطا، من أسرة صنهاجية تسلسل فيها العلماء والصلحاء منذ القرن العاشر (16 م) (*سوس العالمة*، ص. 149).

ولد أحمد الركني أوائل القرن الثاني عشر (18 م) ونشأ بين يدي والده العالم الفقيه المدرس إبراهيم بن عبد الله وأتم دراسته على ما يظهر بتامگروت على الشيخ حسين الشرحبيلي (*المعسول*، 16 : 6) وأخذ بعد ذلك بفاس وعاد أدراجه ليستقر بمسقط رأسه، وليتصدر هناك للقضاء والفتوى والتدريس بمدرسة تاتلت السفلى، مما يظهر عمق معرفته للعلوم التي حصلها، وقد وصفه بعض أصحابه بأنه مبرز في اللغة والنحو والفقه ووصفه بالصلاح والاستقامة والزهد في الدنيا (*المعسول*، 16 : 10).

أهلته مكانته في المنطقة لأن تكون له صلات بالسلاطين العلويين فاتصل بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله، عندما وفد على أگادير سنة 1170 ومدحه بقصيدة مطلعها :

قلبي من الصبر الجميل سليب — جلد يعاني الكارثات صليب

وقد آب الركني من هذه الزورة بالإكرام وتجديد الظهائر الملوكية التي كانت لأسلافه بالاحترام والتوقير.

بقي الركني مستقراً ببلده الركن حتى وفاته بعد سنة 1170 / 1756.

من مؤلفاته شرح *قواعد الإعراب* للزواوي سماه *الحاوي على منظومة الزواوي* انتهى من تأليفه سنة 1167 (*المعسول*، 12 : 252) و*أجوبة فقهية*، وكتاب *شفاء القلوب ومواهب علام الغيوب في مناقب سيدي محمد بن يعقوب* أتمه في عاشر محرم 1167، قال في المقدمة : "فهذه أوراق مشتملة على بعض مناقب الولي الصالح سيدي محمد بن يعقوب من صنهاجة فم تاتلت رضي الله عنه رأيته منقولا عمّن عاصره أو قرب من عصره أو تلقيته بالسماع ممن لا أتهمه بالكذب راجيا نيل بركته وأن أنخرط بذلك في سلك أهل محبته التي هي أرجى .." (ص. 1 - 2) اشتمل هذا الكتاب على كرامات الشيخ ابن يعقوب إضافة إلى كرامات أبنائه وأحفاده، حيث بدأ الركني بالحديث عن نسبه المنتهي إلى جد الصنهاجيين ثم برر اهتمامه بجمع أخباره وكراماته مستدلا بأحاديث نبوية وأقوال المتصوفة، وأورد حكايات تشير إلى مكانة هذا الرجل الرفيعة تتضمن علاقته بشيوخه وبأهل عصره من العلماء والرؤساء والسلاطين. وقد دفع الركني إلى تأليف هذا الكتاب تعلقه بزاوية إمي نتاتلت التي انتشر إشعاعها بقوة في منطقة طاطا كلها، إضافة إلى صلته المتينة بأبناء هذه الأسرة العلمية الصالحة خاصة أحفاد مؤسس الزاوية محمد بن يعقوب التاتلتي.

ويكثر الركني في كتابه من النقل عن قاضي تارودانت عبد الرحمان التمنارتي في كتابه *الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة* ويمزج بين النثر والشعر فيورد أحياناً مقطعات شعرية تتضمن حكما وأمثالا يعزز بها أقواله.

ويظهر من خلال إيراد القصائد المطولة والمقطعات أن الركني كان مغرما بالأدب وأنه كان يستحضر كثيراً من الأشعار، وقد وجدت له بعض القصائد تتفاوت جودتها فمنها قصيدته السابقة في مدح السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وأخرى في رثاء صديقيه محمد بن الحاج أحمد ومحمد بن إبراهيم اليعقوبيين (ت. 1134).

وقصيدة أخرى في رثاء مرابطين يعقوبيين توفوا مَقْدَمَهم من الحج، (*شفاء القلوب*، ص. 70 - 74) وهذه القصائد الساذجة من أولياته كما يظهر من تاريخ نظمها وقد علق المختار السوسي على أشعاره بقوله : وأيا كان فالرجل فقيه وليس مثله من ينساق مع الأدباء ما دام لا يقول إلا تلك المنظومات.." (*المعسول*، 16 : 9).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 - 16 ؛ *سوس العالمة*، ط 2، الدار البيضاء، 1984 ؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، طنجة، 1989؛ أحمد بن إبراهيم الركني، *شفاء القلوب ومواهب علام الغيوب في مناقب سيدي محمد بن يعقوب*، مخطوط.

الركني، محمد بن **إبراهيم** من الأسرة الركنية الصنهاجية العالمة أخت الأسرة اليعقوبية المشتهرة في الجنوب المغربي تسلسل فيها العلم منذ القرن الحادي عشر للهجرة، ولد سنة 1960 بقرية الركن وبها بدأ دراسته فحفظ القرآن وبدأ أخذ العلوم على قريبه العلامة محمد بن يوسف الركني (ت. 1287) بمدرسة تاتلت أوفلا، ثم انتقل إلى قرية إيرزان في ضواحي تارودانت فأخذ بمسجدها الكبير

على العلامة الحسن التملي (ت. 1308) تلميذ الزاوية التمكدشتية وعن عبد الله بن أحمد بن الحاج الحنكيري وقد لازم تلك المدرسة حتى غادرها وقد حصل علوم عصره من فقه ولغة وأصول وحساب.

غادر الركني مدرسة إيرزان بعد أن أتم أخذ العلوم وبدأ حياته العملية بالشارطة في مساجد سوس فبدأ بمسجد إيليغ بالفائجة (باسم تاتلت وهي غير إيليغ تازروالت) ثم مسجد تامجيرنت بسكتانة يحفظ فيها القرآن ويدرس العلوم وقد اشتهر بالشدة في معاملة طلبته. كما كان يشتغل بالنساخة التي أهله خطه الجميل لممارستها. وكان يتصدى للإفتاء وفصل النوازل.

وكان لمقامه بمدرسة إيرازان التي تعتبر فرعا لزاوية تيمكدشت أثر في ميله للتصوف بمجاهدة النفس والإكثار من الأذكار وقد كان شيخه الحسن التملي تلقن الطريقة الدرقاوية من شيخها سيدي المعدري، فسار على خطاه واتصل بالشيخ الحاج علي بن أحمد الدرقاوي وصار من مريدي الزاوية الإلغية يزور شيخها ويرافقه وينسخ له كتب التصوف كرسائل مولاي العربي الدرقاوي وديوان الحراق والعهود الشعرانية.. ويدافع عنه أنصار الطرق المنافسة.

وكان لمرعه الصوفي أثر كبير في حياته التي أمضاها في التقشف والزهد مع الحرص على الظهور بمظهر العلماء في التدريس والإفتاء، ولو أن اشتغاله بالتصوف أثر على معارفه. حتى توفي عن سن عالية سنة 1333.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 16: 46-47: 19. 46 ؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، ص. 214.

الركني، محمد بن يوسف ولد بقرية الركن قرب طاطا، قبل سنة 1230. وكان والده موثقا حافظا لكتاب الله فأشرف على تعليمه فحفظ القرآن وأتقن قراءاته. ثم اتجه إلى الشارطة بقرية أقا إيزنكاض بالحاج من أهلها، ولم يكتف بما حصل من علوم القراءات التي لا تتيح له سوى التدريس، بينما يفتح له إتقان العلوم أبواب الحياة الاجتماعية. فاتصل بالعلامة محمد ابن أحمد الإيزنكاضي وأخذ عنه الفقه والعربية والفرائض والحساب والأصول وغير ذلك. ثم رحل إلى مراكش فأخذ عن علماء مسجد ابن يوسف، وعاد إلى سوس عالما محصلا. وصفه محمد المختار السوسي فقال: "كانت له السعادة في عمله المستقيم. وفي تلاميذه وفي كل ما يزاوله، لأنه عالم ورع رباني، ولعله أكبر الركنيين الذين نعرفهم" رجالات العلم العربي، ص. 213.

استقر محمد بن يوسف الركني بمدرسة تاتلت أوقلا ثمانية عشر عاما، ثم انتقل إلى مسجد قرية "أورار" حيث شارط ابن عمه بن أحمد الركني، ولزم التدريس فتخرج به نحو سبعين تلميذا منهم أخوه عبد الرحمان بن يوسف (ت. قبل 1285) وقريبه محمد بن إبراهيم الركني (ت. 1309) والحسين بن محمد اليعقوبي (ت. نحو 1316). كما اشتغل بالإفتاء في النوازل ومزاولة الأحكام على عادة العلماء في الانتصاب لتلك المهام. وكان له ميل إلى الأدب وقرض الشعر بالخصوص في غرض الإخوانيات. وقد اشتهر بالتزام التقوى والتعفف عن الأموال إلى أن فاجأته المنية نحو عام 1287.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 16: 19، 22؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، 213؛ *خلال جزولة*، 3: 125؛ *سوس العالمة*، ص. 149.

المهدي السعيدي

الرَّكْوَة، ماعون جلدي كان أكثر انتشاراً واستعمالا من غيرها بسبب وفرة الجلود ولاعتماد السكان في المغرب آنذاك (العصر الوسيط وما بعده) على نمط العيش المرتكز على الرعي والنشاط الفلاحي. زراعة وتربية مواشي وصيد. من جهة. ولمرونة الأدوات والأثاث والمواعين الجلدية وملاءمتها أكثر لحياة الترحال والنجعة (*العبر*، 404). والركوة من الأوعية الجلدية التي كانت تستعمل لتخزين الماء ونقله من مكان إلى آخر وقد كانت عادة للاستعمال الشخصي (*التشوف*، 263، 360 و*أنس الفقير*، 82). والكلمة مستعملة إلى يومنا هذا في الكثير من المناطق والبوادي وخاصة في جهة الشاوية. ورديغة، ومضمونها هو نفسه الذي ساد في العصر الوسيط وما بعده؛ وتجمع في اللهجة الدارجة على صيغة "ركاوي" وهي مختلفة الأشكال والأحجام. فهي كالقربة إلا أنها أصغر منها وأصلب وأمتن. وقد تردد ذكر هذه الأنواع في المصادر وارتبط بالمتصوفة الذين كانت المياه من كراماتهم (*التشوف*؛ *المقصد*).

والركوة المستعملة للوضوء قريبة من الركوة المعروفة اليوم في جهة الشاوية. ورديغة من حيث الشكل إلا أنها أكبر حجماً، ونظراً لغلاء الجلود الطبيعية. (جلود البقر والماعز والضأن)، فقد تكيفت صناعة (الركاوي) مع الظروف الجديدة فأصبحت تصنع من الكارتشو والمطاط المستعمل؛ فهي مخروطية الشكل ومدعمة بشرائط من



الركوة

جلد متين مخاطة أو مثبتة بمسامير، ومنها كما أشرنا الصغيرة المعدة للاستعمال الشخصي سواء للوضوء أو للشرب، وتختلف الركوة التي تستعمل للشرب في كونها مرنة لا يمكن وضعها على الأرض قصد الوضوء وليست الركوة وعاء زائداً بل كان لابد منه للمسافر والمتنقل بصفة عامة، فالرعاة والحطابون وكل المشتغلين بعيداً عن معين للمياه لابد لهم منها، وكل متصوف ومومن حريص عل أداء الصلوات الخمس في أوقاتها كانت الركوة من ضرورياته في التنقل أو السفر (*التشوف*، 252 ـ 364 *والمقصد*، 122 و145 *والنقل والتنقل*، ف 2).

الركوة الكبيرة المعروفة في جهة الشاوية ـ ورديغة كثيرة الاستعمال ففيها يتم جلب الماء إلى المسكن وفيها يحتفظ به للاستعمالات اليومية أو لورود البهائم، وتحمل الدابة منها ركوتين وتختلف عن الروايا والقرب التي استعملت في التاريخ الوسيط والحديث من حيث الشكل فالروايا والقرب تتخذ عادة من جلود الضأن والماعز والأبقار، وتُحمل معلقة مباشرة على الدواب أو على محامل، لكن لا يمكن وضعها على الأرض واستعمالها بسهولة مثل الركوة.

أ. ابن قنفذ القسمطيني، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، ج 1، بيروت، د. ت ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. التوفيق، الرباط، 1984 ؛ ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ م. حجاج الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، أطروحة مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1998 ؛ *تحريات ميدانية في جهة الشاوية ـ* ورديغة، مذكرات خاصة.

محمد حجاج الطويل

ركُود، علال مقاوم من مواليد سنة 1922. كافح في سبيل استقلال المغرب وعودة رمز سيادته إلى عرش أسلافه، حيث انخرط في صفوف جيش التحرير بالمنطقة الشمالية ضمن تشكيلة محمد بن علال بقيادة مركز بورد ناحية إقليم تازة، وقد عرف بين إخوانه المجاهدين بالشجاعة والبطولة. شارك في العديد من المعارك البطولية التي شهدتها المنطقة ضد المحتل الفرنسي. توفي يوم 9 فبراير 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

الركوش، أسرة أسفيَة عريقة أندلسية الأصل. أعطت العديد من العلماء والتجار والصناع التقليديين البارعين نذكر منهم على الخصوص :

الركوش، الحاج الحسن بن محمد بن علي، أحد أثرياء مدينة أسفي وكبار التجار داخل المغرب وخارجه خلال القرن الثاني عشر الهجري. أسس مع أبيه السيد محمد بن علي الركوش شركة تجارية تتعامل مع الدول الأجنبية، لذا كان يرحل إلى أوروبا للتجارة بها ولجلب البضائع منها.

توفي عام 1199.

الكانوني، *أسفي وما إليه قديماً وحديثاً*.

الركوش، محمد بن الحاج المكي بن الطيب المدعو "سطاعش"، أحد الصناع التقليديين الفنانين البارعين في النجارة والنقش، عاش خلال النصف الأخير من القرن الثالث عشر والثلث الأول من القرن الرابع عشر للهجرة. يقول عنه الفقيه الكانوني : "أحد النبغاء في النجارة والنقش والتخريم، وقد أودع آثار فنه في قبة الشيخ أبي محمد صالح وفي دور الأمراء والقواد".

توفي عام 1329.

محمد الكانوني، *أسفي وما إليه قديماً وحديثاً*.

الركوش، الهاشمي (الحاج -) بن محمد بن الحاج الهاشمي أحد علماء مدينة أسفي. عاش في أواخر القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة، درس في بدايته بمسقط رأسه ثم بفاس على يد جملة من علمائها، وبعد رجوعه إلى أسفي درّس مختلف العلوم في الجامع الكبير ثم في الجامع الفوقاني بعد وفاة العلامة سيدي عبد الرحمان المطاعي عام 1347 / 1928. وكان الفقيه الحاج الهاشمي الركوش أول خطيب بمسجد الحاج مَحمد بن محمد بوقفطان حفيد الشيخ أبي محمد صالح وذلك يوم الجمعة 7 من رمضان عام 1345. ومعلوم أن هذا المسجد يوجد بطريق بياضة، وهو مقابل للحديقة العمومية المعروفة بـ "جنان الفسيان".

تقاييد بنهيمة، مخطوط ؛ م. الهسكوري، *ماضي التعليم في أسفي، مخطوط* ؛ كريدية إبراهيم، *الفقيه محمد الهسكوري*، دار وليلي للطباعة والنشر، 2000، ص. 137.

عبد الرحيم العطاوي

الركُون، مقر القيادة المخزنية، والزعامة القبلية منذ القديم بقبيلة أيت السيمور الباعمرانية، وترجع أهمية المكان إلى توفر عدة عوامل، كالممر الذي حفره وعمقه واد تانگارفا فصار طريقا للقوافل التجارية (تابريدا) الذي يربط بين هضبة ـ ظهر ـ بالأخصاص وسهل ـ تاگراگرا ـ.

وبالركون عين ثرّة ومياه جوفية على عمق ثلاثة أمتار إلى خمسة أمتار، وفي عين المكان بقايا قلعة للمرابطين كمحرس لباب ذلك الوادي (حسب الرواية الشفوية).

ومن أشهر قادة الركون القائد باكريم بن إبراهيم التاسلاني الباعمراني من قادة السلطان الحسن الأول سنة 1299 (معلمة المغرب، 1011) وهو الذي تسلم قيادة محلة هذا السلطان عندما ودعها قائده أحمد بن الشيخ همو الخلفي بتيغزا. وكان باكريم هذا هو قائد ركون الذي سمي أحيانا بتانگارفا. (ابن جرنة) (إتحاف أعلام الناس، 2 : 243).

وبالركون أيضا مقر القائد علي . بوحلايس . من قبيلة أيت السيمور توفي سنة 1340 (روضة الأفنان، ص. 120) ونفس الشيء في طاقة ريحان لصاحب المسرل، ص. 29.

وإلى ركون هذا لجأ القائد إبراهيم بن عدي بوفوس الشهير ببوغيا عند أصهاره وهو مجروح ومنهزم في معركة قبلية فدفن في تانگارفا (طاقة ريحان، ص. 30).

وفي الركون مقر زعامة قبيلة أيت الخمس حتى الآن، ومنهم الشيخ الحسين بن يحيى (روضة الأفنان، ص. 125) ومن نفس العائلة الشيخ اليزيد والشيخ سعيد الوطني المعروف، ومازال ركون مسموع الكلمة، ومعترفا له بالزعامة حتى الآن، وفي عين المكان مجموعة من قباب الصالحين، ومدارس عتيقة للعلم والروايات.

معلمة المغرب، 2703 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 243 ؛ الأكراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش ؛ م. المختار السوسي، *طاقة ريحان*، ص. 30 ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقون

رِكُونْتْ، (موقع ومرسى ومعركة) يتوفر مركز ركونت في قبيلة أيت إخلف على كثافة من السكان ويقع على تابريدا طريق القوافل التجارية الرابطة بين شمال المغرب وجنوبه. ورغم أنها لا تبعد عن المحيط إلا بقليل من المسافة فإنها تتوفر على مياه حلوة من الآبار.

لذلك كانت القوافل تنزل فيها للاستراحة، كما كانت ملتقى جميع حجاج الجنوب عند الذهاب إلى أداء الفريضة عبر تابريدا هذه، وذلك حول ضريح مقدس لصالح من قبيلة أيت باعمران أصلا، وهو أقدم من هناك من الصالحين واسمه سيدي محند ؤزرو، وفيه تُحلَّف القبيلة من أنكر ما نسب إليه والناس يعتقدون فيه الخير والبركة.

وركونت المرسى البحري عبارة عن صخور گرانيتية برزت من قعر البحر حتى البر على شكل رصيف وهي بمثابة جدار طبيعي يحمي الزوارق من أمواج المحيط العاتية. وقد لعبت تلك المرسى دوراً كبيراً في الصيد البحري منذ القديم، وهي مقصد السكان ومصدر عيشهم وبالمنطقة ثروة سمكية غزيرة ومتنوعة.

أما معركة ركونت ضد الإسبان فاشتهرت في حرب تحرير أيت باعمران سنة 1377 / 1957، وبما أن هذا الموقع كان قريبا من مدينة سيدي إفني وهو موقع ستراتيجي يربط بين إفني ومركز الإسبان بتابلكوكت. فقد احتله جيش التحرير الباعمراني فتولى المرحوم بُوشْرُوضْ الحاج محمد مع البالكوكي المحفوظ تعجير القنطرة هناك ففسدت خطة الإسبان من أجل إنقاذ المحاصرين بمركز تابلكوكتْ حتى قُبِضوا جميعا بمساهمة القائد عبد العزيز الماسي.

لذلك عزم الإسبان على احتلال موقع الركونت عن طريق البحر وفعلا خرجت القوة الإسبانية عن طريق المرسى لكن بدون جدوى بفضل العوامل الطبيعية المتمثلة في الخنادق الطبيعية التي حفرتها مياه الأمطار في المنحدر، فعمد الإسبان إلى احتلال الموقع عن طريق إسقاط المظليين لكن الباعمرانيين استعملوا طريقة القناصين. وهي غرس الأوْتاد بشكل كثيف في مكان هبوط المظليين، لذلك لم ينج منهم أحد مما جعلهم يقذفون السكان بحراً وجواً. لكن جيش التحرير كان دائما بالمرصاد، وبذلك هَزَمت قوةُ الإيمان بالله وبالوطن قوة الظلم والعدوان.

الحسين جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقون.

الحسين جهادي

الرگيبات، تجمع قبلي كبير في الصحراء، ينتسب إلى الشيخ سيدي أحمد الرگيبي (الجد) أتي الترجمة كان يعيش في درعة ومات بها في أواخر عهد الدولة المرينية تاركاً زوجته حاملاً فوضعت ولداً سمي باسمه (الابن) ومات هذا بدرعة في مكان يعرف بالرگبة أو الرگيبة تاركاً زوجته حاملاً فولدت ولداً سمي كذلك أحمد الحفيد.

ويربط الشيخ ماء العينين بين هذا اللقب والدور الذي كان يؤديه الشيخ سيدي أحمد الرگيبي في تربية المريدين وصقل نفوسهم بالأذكار "فقد كان هذا الشيخ كثير الذكر جهراً، وكان الناس يقولون إذا رأوه : هذا الرقيب أو أتاكم الرقيب لمداومته عليه حتى سمود به، ثم صار يقال لأولاده الرگيبات" (*الحركة الصوفية*، ص. 168).

وتذكر كتب المناقب أن أحمد الرگيبي الحفيد ساح سياحة صوفية في شبابه، وبعد رجوعه من السياحة أنف من المقام بدرعة فهاجرها وهو ابن عشرين سنة نحو الساقية الحمراء، حوالي سنة 1019 / 1610، ونزل بأرض الاخنيگات التي اشتراها من أهلها وهم بنوحفيان بستين تنظاراً من الذهب على وجه الكرامة، وهي أرض تمتد إلى وادي التبيكة بإزاء جبل زيني على شاطئ البحر. (*تبيين الأشراف*، ص. 93، *جوامع المهمات*، ص. 71، *اللبث*، ص. 69).

وعند حلوله بهذه الأرض اعتزل في خلوته عشر سنوات في مكان يعرف الآن بخلوة سيدي أحمد الرگيبي، وبعد خروجه من خلوته أقبلت عليه وفود القبائل التي شاعت فيها أخباره بالهدايا والهبات قصد التبرك به والانتفاع من علمه، فكثر أتباعه وامتد نفوذه في الآفاق.

ساهم بدور فعال في الحركة الاصلاحية في أقاليم المغرب الجنوبية، فكان يرشد الناس إلى الإسلام الصحيح

على طريقة الشيخ مَحمد ابن سليمان الجزولي ويحارب الظلم والفساد ويعمل على استتباب الأمن وإصلاح ذات البين بين القبائل، ومما يؤثر عنه في ذلك شفاعته لدى السلطان لبعض القبائل التي كانت تمارس النهب في الجنوب المغربي. يقول المختار السوسي في ذكر هذه الشفاعة : "اتفق أن كان عرب من معقل يسمون (تاكنة) يقطعون السبيل بين (فاس) و(مراكش) فهمَّ السلطان بالإيقاع بهم، فأجفلوا بين يديه إلى الصحراء من حوز (سوس) فتقصّى السلطان آثارهم وتوغل في الصحراء، فالتقى به الشيخ سيدي أحمد، وقد نزل هناك وشيكا بعدما اشترى أراضي واسعة إلى الساحل الاطلانطيكي، فتداول مع السلطان في أمر غرمائه ليبقي عليهم، فيعمروا معه تلك الأرض ضد البربر الذين كانوا متأصلين فيها، فدفع للسلطان مالا كثيراً يقال إنه أتى به على وجه الكرامة، فكان هذا هو سبب خدمة كل قبائل (تاكنة) لأولاد الشيخ سيدي أحمد الركائبي إلى الآن" (*المعسول*، 12 ـ 88).

ولا تُستبعد مساهمة هذا الشيخ في الحركة الجهادية التي انطلقت من الساقية الحمراء لمقاومة الغزو البرتغالي للجنوب المغربي والتي قادها مجموعة من الصلحاء والصوفية الذين عاصرهم مثل الشيخ عامر الهامل جد أولاد أبي السباع، وسيدي أحمد العروسي وسيدي أحمد بوغنبور وشرفاء أسا وغيرهم (*الليث*، 89 ـ 94) على الرغم مما ينسب إلى هذا الشيخ من كرامات، فإنه لم يكن صوفيا متجرداً ولا صاحب طريقة تواكلية، ولكنه كان منخرطاً في الحياة مثل كثير من الصوفية العمليين الذين حاربوا التواكل ودعوا إلى العودة إلى الإسلام الصحاح.

وبعد تراكم ثروات أبناء الشيخ سيدي أحمد الركيبي من الإبل والأغنام لم تعد أرض الخراويع تستوعب قطعانهم فانقسموا إلى قسمين : ركيبات الشرق، وهم أبناء قاسم، ويَسمُون إبلهم بما يشبه القاف ؛ وركيبات الساحل وهم أبناءَ علي واعمر وإبراهيم، ويَسِمُون إبلهم بما يشبه الكاف.

وقد عمَّق المستعمر هذا الانشطار، فأصبحت قبائل الركيبات بعد الحماية منقسمة إلى قسمين، قسم تابع لإسبانيا وقسم تابع لفرنسا، لكن هذا الانشطار لم يؤثر على وحدة القيم عند الركيبات والمبادئ التي أوصى بها الشيخ أحمد الركيبي أبناءه وحثهم على التشبث بها ومنها، "أن لا يزوجوا بناته إلا لعالم أو حامل القرآن أو شريف وأن لا يتزوج واحد منهم إلا بشريفة" حرصاً على شهامتهم وكرامتهم (*تبيين الأشراف*، ص. 93 *جوامع المهمات*، ص. 72) .

وقد تنامت قبائل الركيبات بسرعة وتكاثرت بكثافة قوية بفضل مرونتها وانفتاحها وتسابق القبائل إلى الانتساب إليها وتحالفها الدائم مع القبائل المجاورة لها وتنامي ثرواتها الحيوانية. فصارت أضخم تجمع قبلي في الصحراء المغربية، وأصبحت البلاد الصحراوية تسمى بتراب الركيبات. ويقدر المجال الحيوي لهذه القبيلة بـ 400 ألف كلم مربع (*الليث*، ص. 14).

وتقدّر صوفي كاراتيني Sophie Caratini عدد أفراد هذه القبيلة في بداية الغزو الفرنسي للصحراء بـ 35000 ألف نسمة، في حين يقدرهم محمد باهي انطلاقاً من بعض الكتابات الأجنبية الأخرى بـ 50000 ألف (*الليث*، ص. 163).

الركيبيّ، أحمد (الشيخ سيدي -) جد قبائل الركيبات أضخم التجمعات القبلية في الصحراء المغربية ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي وفاطمة بنت رسول الله (صلع) عن طريق مولاي عبد السلام بن مشيش دفين جبل العلم كما يقرره النسابون الذين اهتموا بتأصيل قبائل الجنوب المغربي.

يميز المهتمون بالتحقيق في نسب قبائل الركيبات بين ثلاثة أشخاص يحملون نفس الاسم : المترجم له الجد، وابنه وحفيده.

عاش الركيبي، الشيخ سيدي أحمد الجد في أواخر الدولة المرينية في زمن انتشرت فيه الفتن والنزاعات والأوبئة، انتقل من شمال المغرب إلى تافيلالت واستقر عند أبناء عمه بسجلماسة، وتزوج بالسيدة فاطمة الزهراء بنت الشريف محمد الفاضل، ثم انتقل إلى وادي درعة وتوفي بنواحي زاگورة تاركاً زوجته حاملا.

الركيبي، أحمد (الابن -) ولد بعد وفاة والده الشيخ سيدي أحمد الركيبي فحمل اسمه كما تقضي ذلك التقاليد المغربية، عاش في نواحي وادي درعة وتوفي بها في مكان يعرف بالركبة أو "الركيبة" تاركاً أيضاً زوجته حاملا. فسمي المكان الذي توفي به بقلب سيدي أحمد الركيبي نسبة إلى مكان الذي دفن فيه، ولذلك يكون لقب الركيبي أطلق لأول مرة على هذا الشيخ، وحمل ابنه من بعده اسمه ولقبه" (*الليث*، ص. 73).

الركيبي، أحمد (الحفيد -) ولد حوالي سنة 999 / 1590 بنواحي درعة، وانتقل إلى الصحراء فهو يمثل النواة الأولى للتجمع القبلي الركيبي في الصحراء المغربية، وهو صاحب الزاوية المعروفة باسمه في الساقية الحمراء. اشتغل في بدايته بتحصيل العلم، فلما حفظ القرآن بالروايات السبع ساح في الأرض متعبداً على طريقة الصوفية، ولما رجع من سياحته إلى درعة أنف من الاستقرار بها وانتقل إلى الساقية الحمراء.

توفي حوالي سنة 1074 / 1665 عن عمر يناهز 75 سنة، ودفن في الساقية الحمراء بوادي الحبشي، وخلّف

أربعة أولاد وثلاث بنات. إبراهيم وعلي وعمر وقاسم وسلطنة وحواء وحورة.

الركيبي، سعيد بن أحمد مقاوم ولد سنة 1934 بالساقية الحمراء. انخرط في صفوف جيش التحرير بمركز مركالة تحت قيادة أبا الشيخ جلال سنة 1956، وقد كان نشيطا في عمله متحمسا في إيمانه معروفا بشجاعته، شارك في عدة معارك بالصحراء المغربية ضد الجيش الإسباني، كمعركة أم العشار ومركالة التي استشهد فيها سنة 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

الركيبي، علي بن أحمد، وقد تفرعت عنه عدة بطون منها: أولاد موسى، السواعد، أولاد داود، المؤذنين.

الركيبي، عمرو بن أحمد تفرعت عنه البطون التالية: أولاد لشيخ، النهالات، أولاد الطالب، أهل الدليمي (*قبائل الصحراء المغربية*، ص. 46).

الركيبي، قاسم بن أحمد وهو أكبر الأبناء، وجد القواسم، وقد تفرعت عنه عدة بطون منها: البيهات، أهل إبراهيم وداود، الفقراء، سلام، أهل الحسن واحماد، أهل القاسم وإبراهيم، الحنحة أهل سيدي علال، السلالكة، أولاد سيدي احماد، الحميدنات وغيرهم.

الركيبي، محمد عبد الرحمان من نخذ أولاد الطالب ساهم بدور فعال في نشر الدرقاوية في الصحراء، توفي سنة 1379 / 1959 (*المعسول*، 12، 172).

الركيبي، محمد محمود بيد الله من أعلام أولاد الشيخ البارزين في العلم والفتوى. اشتهر بفقه النوازل، وله في ذلك مجموعة من التآليف. (*وفاء علماء الصحراء لبيعة الملوك العلويين*، ص. 54).

الحاج الأحسن البعقيلي. *بين الأشراف أهل دائرة الرسائل وقبلة توجه كل سائل*. الدار البيضاء، 1358؛ م. المختار السوسي. *المعسول*، ج. 2؛ م. سالم ولد لحبيب بن لحسين بن عبد الحي. *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*. تح. مصطفى ناعمي. الرباط، 1992؛ محمد أحمد باهي. *الليث سيدي أحمد الركيبي*. ط 2. الرباط، 1999؛ صناتي شيبنا ماء العينين. *قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها*. الرباط، 1919 / 1998؛ محمد دحمان، *اسماعيل ولد الباردي*، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه. الرباط، 1999.

Caratini Sophie. *Les Rgaybat (1610 - 1934), des chameliers à la conquête d'un territoire*. Paris, 1989.

محمد الظريف

الركيبي، الناجم ولد مرزوك مقاوم ولد سنة 1929 بشبكة قبيلة أيت لحسن فرقة الجورن إقليم طنطان. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 وبقي يعمل فيها بكل نزاهة وإخلاص وبسالة نادرة حيث كان دائما في المقدمة في المعارك الطاحنة التي دارت رحاها بين جيش التحرير المغربي وقوات الاحتلال الفرنسي والإسباني.

استشهد رحمه الله في معركة العركوب بالساقية الحمراء، بعد أربعة أيام من الحصار الذي فرضه الجيش الإسباني بعدما غامر بنفسه لجلب مدفع من وسط المعمعة، حيث أصيب برصاص العدو وهو عائد بالمدفع بحمله على كتفيه وذلك سنة 1378 / 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*

ابن **ركيطة**، أسرة تطوانية ويكتب أيضا بركيطة، أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة [illegible] اللاتينية هكذا Burreque : [illegible] مسيحية تحمل اسم Burguete وBurgueta : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

والفرد الوحيد من هذه الأسرة التي تذكره الوثائق هو :

ابن **ركيطة**، علي الذي بصفته [illegible] بحامية تطوان كان من بين سكان المدينة الذين وقعوا على بيعة الأمير مولاي سعيد بن اليزيد الذي نودي به سلطانا بتطوان يوم 12 جمادى الأولى 1236 / 15 فبراير 1821.

م. ابن عزوز حكيم. *كشاف أسماء عائلات تطوان، والمراجع العربية والأجنبية* في الرقم 246.

محمد ابن عزوز حكيم

الركيك، اداولد عمار مقاوم ولد سنة 1933. ينتسب إلى قبيلة الركيبات السواعد التي أبلت البلاء الحسن ماضيا وحاضرا من أجل الحرية والاستقلال.

انخرط في الجيش الإسباني حيث اكتسب خبرات كبيرة في الفنون الحربية. ولما تهيأت له الظروف فر بسلاحه والتحق بجيش التحرير بالمقاطعة التاسعة في مركز تافودارت تحت قيادة صالح بن عسو الجزائري وذلك بتاريخ 1956.

شارك ضمن فرقته في عدة معارك بالصحراء المغربية

ضد الجيش الإسباني إلى أن استشهد بمعركة الدشيرة بتاريخ 17 يناير 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

الركينة، أسرة تطوانية شهيرة، أصلها من الأندلس، كآل الطريس، أو آل مدينة مثلا. لا ندري، على وجه التحديد، من أين وفي أي تاريخ قدم أجدادهم الأولون إلى هذه الديار الأندلسية، هل دخلوها في ركاب طارق بن زياد أو موسى بن نصير، إبان فتحها وإخضاعها إلى الحكم العربي الإسلامي ؟ أو أنهم استقروا بها، فيما بعد، كأن يكونوا مثلا قد وصلوها في رفقة عبد الرحمن الداخل الأموي، الهارب من نقمة وبطش العباسيين ؟

ونفس الغموض يكتنف أيضا تاريخ وملابسات استقرارهم بمدينة تطوان، على أن الغالب على الظن أن يكون ذلك قد حدث غداة سقوط غرناطة سنة 1492، في يد الغلاة المسيحيين.

الركينة، أحمد. ولد في 26 صفر عام 1268 / 18 فبراير 1852. يُعد بكل تأكيد أبرز وأشهر شخصية انبثقت من هذا البيت، إذ تسنى له الاضطلاع بمهام سامية وخطيرة في الجهاز المخزني، كالأمانة، والحجابة، والوزارة، مدة ما يقرب من أربعين سنة، اعتباراً من أواسط العقد الثامن من القرن التاسع عشر.



وفي بداية أمره، وقبل الانخراط في سلك الخدمة المخزنية، وجريا على عادة أقرانه من أبناء الأسر التي تنتمي إلى وسطه الثقافي والاجتماعي، اشتغل لحسابه، في مجال التجارة والأعمال، وهو الأمر الذي مهّد له السبيل وأهّله، في مرحلة لاحقة، للعمل في سلك الأمانة في المدن والمراسي، ولكن دائما في مناطق التخوم والأطراف، كمدينتي وجدة أو مليلية، وذلك منذ سنة 1303 / 1886.

وقد لا نبتعد عن الصواب، إذا ما اعتبرنا اختيار صاحبنا لتحمل المسؤولية في مثل هذه الجهات الصعبة المنال والانقياد، سياسيا، واجتماعيا، وجغرافيا، دليلا قويا على الثقة الكبرى التي كان يحظى بها في الدوائر المخزنية العليا من جهة، وعلى مؤهلات الرجل وقدراته على التفاوض والتعامل مع مخاطبيه من المغاربة والأجانب على السواء.

وأيان كان الأمر، فإننا نجده، في بداية عهد السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن، يشغل مهام أمين الصائر بدار عديل بفاس، وبالضبط في سنة 1314 / 1897، قبل أن يُعين حاجبا، غداة وفاة الوزير الصدر أحمد بن موسى في شهر مايو 1900. وقد احتفظ بمنصبه هذا إلى أن خرج المُلك من يد المولى عبد العزيز سنة 1907، حيث عيّن السلطان الجديد المولى عبد الحفيظ بن الحسن أحمد الكريسي حاجبا في مخزنه.

وفي مستهل سنة 1903، وبعد أن أبان الدعي الفتّان الجيلالي عبد السلام الزرهوني المدعو الروگي بوحمارة قدرات ومؤهلات حربية وسياسية رفيعة، مكنته من هزم جيوش السلطان المرة بعد الأخرى، ونجاحه في الإفلات من يد رجاله، تقرر تعزيز الوجود المخزني في المناطق الشرقية بوحدات من الگيش، والعسكر، وحراك القبائل، في كل من وجدة، وفگيگ، وعجْرود (قصبة السعيدية) على الخصوص، كما تقرر نقل أفرادها بحراً، من العرائش إلى وهران، ومن هذه الأخيرة إلى الجهة المعينة لخدمة كل فريق منهم، مروراً بالتراب الجزائري طبعا، ومحاذاة للأراضي المغربية، عملا بما نص عليه الاتفاق المبرم بين المغرب والسلطات الاستعمارية بالجزائر سنة 1901.

وكان القصد من هذا كله تعزيز النفوذ المخزني بهذه النواحي، والعمل على طرد الثائر وأتباعه منها، واستمالة قبائلها وعشائرها إلى جانب المخزن، بعد أن انحاز معظمها إلى حزب المتمردين.

إلا أن شيئا من هذا كله لم يتحقق لصاحبنا ولا لمن كان تحت إمْرته من الجند المخزني وقواده، إذ استدعي إلى مدينة فاس، بعد مُضيّ حوالي سنة ونيف على التحاقه بوجدة وناحيتها، وعُيّن مكانه الباشا عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي الذي حل بالمنطقة أواخر شهر غشت 1904.

وبعد فرض نظام الحماية على المغرب سنة 1912،

وانفراد إسبانيا بالحكم في منطقة الشمال، انضم أحمد الركينة إلى مخزن الخليفة السلطاني بمدينة تطوان، الأمير مولاي المهدي بن إسماعيل بن السلطان المولى الحسن، حيث أسندت له، أول الأمر، مهام وزير المالية، قبل أن يصير صدرا عظما فيما بعد.

وقد وافاه أجله المحتوم سنة 1343 / 1924 - 1925، ووُري التراب بالزاوية الحراقية بمسقط رأسه.

الركينة، محمد، ولد بمدينة تطوان سنة 1875، وتولى أمانة المستفاد والجمرك عدة مرات، في مسقط رأسه وبمدينة العرائش أيضا، على عهد السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ. وفي سنة 1928، استقر بمدينة طنجة حيث عُيِّن ناظراً للأحباس بها، وكان على قيد الحياة سنة 1934.

الركينة، محمد بن محمد، عُرف بالفقيه، وكانت سكناه، في حدود سنة 1841، بحي الطرنكات الذي كان وقتئذ، حسب قول صاحب تاريخ تطوان من أقدم حومات تطوان.

ويبدو أنه قبل انخراطه في سلك الوظائف المخزنية، اشتغل في مجال التجارة، إذ أشارت وثيقة بتاريخ 28 يبراير 1850، إلى طرود من أثواب ومنسوجات "مرزاية"، و"مركان"، و"سحون"، وجهها إلى مراسل له بمدينة فاس يُدعى محمد المؤذن.

ثم في مطلع شهر أكتوبر من سنة 1852، أُسندت إليه خطة الحسبة بهذه المدينة، مكان الحاج المهدي الشرتي الذي كانت قد صدرت الأوامر المخزنية بإلقاء القبض عليه واعتقاله. وظل صاحبنا يشغل هذه المهام حتى أوائل شهر غشت من سنة 1856.

وفي أواسط شهر يناير 1860، أي في خضم وقائع حرب تطوان، نُودي عليه مرة ثانية لتولي نفس المهام، ولكن لأيام معدودات فقط، إذ في ليلة الأحد 4 يبراير من نفس السنة "خرج هاربا من النصارى ...". وفي هذه المدة الوجيزة، تمت تعبئة أرباب الأرحي والفرانات بالمدينة، وعشرات النساء والرجال، مسلمين ويهودا، يشرف عليهم العامل محمد الحداد والمحتسب محمد الركينة المذكور، وذلك من أجل تهييء الخبز وأنواع أخرى من العجائن للمجاهدين والجند الذين كانوا في ركاب الأمير مولاي العباس، صنو السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بن هشام، القائد العام للجيوش المغربية وقتئذ.

خ. ح، كناش رقم 21، ص. 40، وص. 63 ؛ رقم 172، ص. 120؛ رقم 234، ص. 14 ؛ رقم 763، ص. 487 ؛ مخطوط ح رقم 105: أ. الرهوني، عمدة الراوين، تح. جعفر بلحاج السلمي، المحمدية، جرمان، 1998 ؛ م. داود، تاريخ تطوان، ج. 3، ص. 336 وما بعدها ؛ ج. 8، ص. 349 وما بعدها

A.G.V . 3h15. *Rapport en date du 6 octobre 1903* 3h14. *Rapport n° 208, en date du 31 décembre 1903*, p. 2 et suivantes

مصطفى الشابي

الرماة، فرقة عسكرية تقوم بعملية الرمي أثناء المعارك. كان الرمي أولاً بالسهام ثم صار بالقذائف النارية. ولقد لعبت فرق الرماة دوراً أساسياً في التاريخ العسكري المغربي ؛ سواء على مستوى القبائل أو المدن. وبرزت بعض المدن المغربية بتنظيمات الرماة فيها وتأثيرهم في حياتها السياسية والاجتماعية كمدينتي سبتة وفاس على سبيل المثال، فقد اكتسب الرماة بهما مكانة اجتماعية مرموقة، الأمر نفسه يلاحظ في القبائل التي كان مقدمو الرماية فيها يترقون إلى مناصب القيادة.

والجدير بالذكر هو أن للرماية أصولا دينية ثابتة كوسيلة للجهاد الذي شرعه الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام. وإذا كان الجهاد ركنا أساسياً في الإسلام وفرض عين أحيانً على كل مسلم، وفي الغالب فرض كفاية للقادرين عليه، كما هو معلوم عند الفقهاء، فإن تعلم وسيلته التي هي الرماية يعتبر من أوجب الواجبات.

ومن هنا كانت القبائل المغربية عبر التاريخ الإسلامي تُغْلي من شأن الرماية، وتحرص على تعليم أبنائها فنون الرماية والفروسية. وتربي فيهم مبادئ التعاون، وإيثار مصلحة الجماعة، والتضحية في سبيلها. فكان لكل قبيلة أو فرقة مقدم للرماية وكان مفروضاً على كل أسرة أو خيمة أن تقدم فردا من أبنائها على الأقل لتعلم الرماية والفروسية استعداداً للطوارئ. وكانت القبائل تتباهى في المواسم والأعراس بفرسانها ورماتها. فهي بذلك تشهر على الملأ استعدادها وتستعرض قوتها وزينتها. ومازالت بقية من آثار تلك الاستعدادات والاستعراضات، تلوح خافتة من أثر التطور، كما يلوح بقايا وشم في ظاهر اليد.

ويبدو أن تنظيم الرماة في طائفة خاصة قائمة بذاتها، وشبيهة بمؤسسة الزاوية حدث مع الشيخ علي بناصر الذي أسس بمدينة مراكش زاوية الرماية. وهو الذي وضع القواعد الأولى التي حددت واجبات الرماة تجاه شيخهم وواجبات المقدم حيال الرماة. فمن واجبات الرماة (الرمي)، طاعة الشيخ وتقديم الإعانة إليه خلال الحرث والحصاد وزيارته خلال الأعياد، وفي كل عيد يقدم الرماة أو الإخوان كمية من الصابون. وكان الشيخ يرد الهدية بأحسن منها حيث كان يمنح إخوانه شيئاً من البارود والرصاص.

أما واجبات شيخ الرماية، التي حددها علي بناصر فهي: على الشيخ أن يعلم المنخرطين في الطائفة كيفية الرماية وقواعد سيرة الرماة ويحافظ على الوفاق بينهم ويعاملهم باللين فلا يوبخ أحداً بحضور الآخرين.

وعلى الشيخ أن يتصف بالأخلاق الحميدة، فلا يكذب ولا يسرق ولا يزني ولا يرتكب المحرمات. وإذا ثبت على الشيخ ارتكاب إثم، فإن عليه أداء ذعيرة قدرها عشرة مثاقيل وذبح أربع بهائم للإخوان في الطائفة. أما الذي يتخلف عن أداء الواجب من الإخوان فعليه أداء ذعيرة خمس أوقيات، زيادة على أداء أجرة الذي عوضه في خدمة الشيخ أثناء الحرث أو الحصاد مثلاً.

إن أهمية موضوع الرماية يظهر من خلال تناولها في مؤلفات عديدة، فزيادة على كتب الحديث التي تناولتها في باب الجهاد، يجدر بنا أن نشير إلى أن أول مؤلف خاص بأصول الرماية التي ترجع إلى العهد الإسلامي الأول هو الذي ألفه ابن هذيل الأندلسي في القرن الثامن (14 م) بأمر من الأمير محمد بن يوسف بن إسماعيل النصري. وقد عمد Louis Mercier القنصل الفرنسي والمفتش العام للشؤون الأهلية بالمغرب إلى ترجمة مؤلف ابن هذيل، ونشره تحت عنوان : *"حلية الفرسان وشارة الشجعان"*، *La parure des cavaliers et l'insigne des preux* (Paul Gueuthner, edit. Paris).

وقد اطّلع الضابط المترجم Martin صاحب كتاب : *أربعة قرون من تاريخ المغرب*، على مؤلف ابن هذيل لكنه لم يتمكن من ترجمة النسخة التي عثر عليها لصعوبة قراءتها حسبما ذكره.

وفي مؤلفه : نجد مارتان يُعْطي اهتماماً خاصاً لطائفة الرماية وينقل بعض المؤلفات والصحف التي دونت فيها قواعدها. وما يثير الانتباه هو أن مارتان اعتبر طائفة الرماة طائفة دينية ذات صبغة وطنية، وأرجع إليها كل أو معظم مواقف المغاربة تجاه التدخل الأجنبي.

وبالفعل، فإذا تذكرنا أصول الرماية المرتبطة بالجهاد، وإذا علمنا دور رجال الدين والعلماء في جهاد المغاربة ضد الغزو النصراني، منذ انطلاق الحملات الصليبية ضد المغرب إلى عهد الاستعمار تأكد لنا - بالفعل - أن ظهور طائفة الرماية في القرون الحديثة ارتبط بالجهاد ومقاومة الاحتلال الأجنبي. وإذا علمنا أن طائفة الرماية كان لها حضور قوي في بعض القبائل المجاورة للسواحل مثل قبائل الشاوية حيث توجد زاوية النواصر. وإذا تأكدنا من أن معظم زعماء الجهاد في هذه القبائل كانوا من مقدمي طائفة الرماة فهمنا الدور الفعال الذي كان يقوم به الرماة المجاهدون وعلمنا لماذا أولاها الضابط الفرنسي ذلك الاهتمام !

وبالجملة، فقد اشتهر الرامي المغربي بتصويبه ودقة استهدافه للعدو، ولا شك أن هذه المهارة لم تكتسب إلا بالتدريب على الرمي وركوب الخيل. ولقد بينت لنا معارك المقاومة التفوق الحاسم في التكتيك وفي دقة رمي الفارس المغربي بخلاف الفرسان الأوربيين الذين كانوا لا يصوبون رميهم إلا إذا ثبتوا فوق الأرض. أما اليوم فيبدو أن العلم الذي حذقه الغربيون قد جعلهم يتفوقون، وجعل سلاحهم أفتك من سلاح "رماة الحذق" !

عبد الله أزيطان، كتيب في *الرماية وفضائلها*، مخطوط ؛ ع. الخديمي، *أصول الرماية والرمي في التراث الشعبي*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 أكتوبر، 1998.

A.G.P. Martin, *Le Maroc et l'Europe*, Paris, 1928.

علال الخديمي

رمـاة سبتة كان لهم دور حيوي ليس للدفاع عن المدينة فقط، وإنما لمراقبة مياه الزقاق كذلك. ومنذ الفترة الموحدية بدأ المؤرخون يشيرون إلى رماة المدينة ودورهم في المعارك البحرية، سواء محلياً أو دولياً خلال الحملات المغربية بالأندلس أو بمناطق المغرب الأوسط. وسرعان ما أصبحوا يشكلون طليعة الجيش المغربي.

لقد وصف ابن الخطيب سبتة بأنها "دار الناشبة" لكن الأنصاري هو الذي يقدم لنا معلومات في غاية الأهمية حول تقنية الرماية لدى السبتيين. فهو يشير إلى وجود خمس عشرة منجرة في أيامه - بعد أن كانت أربعين في فترة سابقة - وكلها معدة "لعمل القسي". عشرون منها كانت توجد بالمر الأعظم، وهو الأمر الذي يشير إلى أهمية تجارتها داخل المدينة، بينما كانت العشرون الأخرى توجد بمنازل المعلمين والصناع. فقد تخصصت بعض الأسر السبتية في صنع القسي كبني القنطري وبني العاقل وبني العاقل وبني ابن غالب وغيرهم. ومن المؤكد أن هذه الحرفة كانت تحظى باحترام السبتي لأننا نجد الشرفاء والمتصوفة وبعض علية القول من الذين امتهنوها. كما أن الأوصاف التي أطلقها الأنصاري على بعض الصناع مثل "الشيخ" والشريف والوجيه والحسيب والمتقدم الحسن والفاضل تؤكد هذا الطابع وتلك الأهمية. ويبدو مع ذلك أن هذه الحرفة كانت خاضعة لرقابة السلطات المحلية. فمن بين ديار الإشراف التي وُجدت بسبتة نجد دار الإشراف على البناء والنجارة وما يرجع إليها.

لكن أهم نصوص اختصار الأخبار هي المتعلقة بالسهولة الكبيرة التي كان السبتيون يستعملون بها الرماية والأماكن المخصصة لها. فحسب الأنصاري كان عدد المرامي المعبر عنها بالجلسات وأماكن السبق المعلومات للرماة أربعة وأربعين مرمى. بالميناء تسع جلسات، جلسة الحفير [...] المخصوصة بالقاضي وصدور الفقهاء من العدول وغيرهم، إذ الرمي طبع لأهل سبتة طبعوا عليه، فلا تلفي منهم شريفاً ولا مشروفاً ولا كبيراً ولا صغيراً إلا وله بصر بالرمي وتقدم فيه. ومعظم رميهم بالقوس العقارة، وهي من جملة الأشياء التي تميزوا بها [...] ومرمى عاشر بوسط المصلى وهو بانفراده للقرس العربية. وبالمنارة من داخل البلد إثنا عشر [...] ومن أبدعها جلسة بظهر خارج الملعب يرمي منها إلى ثلاث نواحي [...] وبالقصبة جلسة واحدة وبالأرباض الثلاثة سبع جلسات

من ثمانمائة [خطوة]، وبالريض البراني جلسة من مائة خطوة [...] وبخندق القمل خارج الباب الأحمر جلستان" ويتوسع الأنصاري في هذا الموضوع بنفس تدل على أنه كان خبيراً بفن الرماية ويشير إلى أماكن سبق ومرامي أخرى في مختلف أنحاء المدينة.

لقد أبرز "ج. د لثام" أهمية هذا النص من الناحية التقنية، مشيراً إلى أن القوس العقارة التي كانت سائدة في سبتة هي التي كانت معروفة في أوربا في العصور الوسطى باسم "arabista ad duo pedes" لأن الرامي كان يثبت القوس بوضع قدمية على طرفيه قبل جذبه إليه ؛ وهو الأمر الذي كان يسمح له برمي قذائف أثقل وزناً وبالتالي أقوى مما كان سيرميه لو أنه استعمل قدما واحدة فقط كما هو الحال في قوس الركاب". كما كانت لهذه القوس مزايا أخرى هامة في المعارك. إنها لا تتطلب من الرامي قدراً كبيراً من التدريب. كما أنها كانت سلاحاً فعالاً جداً للمدى القريب المعارك بين السفن وفي المعاقل. إن أهميتها تكمن كذلك في كونها تصلح للاستعمال براً وبحراً. ونجهل تاريخ بداية استعمال هذه القوس بسبتة وإن كنا نرجح بداية استخدامها مع القرن (12 م) وهو القرن الذي عرفت فيه بلدان أوربا استعمال القوس على انطلاق واسع براً وبحراً، من طرف الفرسان والمشاة، في الحصارات وفي المعارك المنظمة شمال وجنوب أوربا.

وكان يُستعمل لصنع هذا السلاح خشب الطخش والبقش اللذين كانا ينبتان بنواحي بليونش. ولم يكن السبتيون يزاولون الرماية لأن الرمي طبع لأهل سبتة طبعوا عليه فقط، وإنما الرماية كانت سلاحاً أكثر فاعلية بالنسبة للجنود في المعاقل المحاصرة وفي المواقف التي لا تكون فيها الحركة في الاعتبار الأول. من هنا نفهم لماذا طلب الأميرال الأرغوني تزويده بالرماة لمساعدته في حصار سبتة سنة 672 / 1274. كما لم تكن الرماية مجرد رياضة لأهل سبتة وركزاً من رموز التمايز الاجتماعي وإنما كانت السلاح الأمثل للدفاع عن المدينة ووسيلة حيوية في الصراع من أجل السيطرة على مياه الزقاق. وكانت شهرة الرماة السبتيين وصل ذكرها إلى البلاد المسيحية قبل سقوط المدينة سنة 818 / 1415.

ابن سعيد، *اختصار القدح المعلى*، تح. إبراهيم الأبياري، بيروت، القاهرة، ط 2، 1980 ؛ م. الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1973 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، ج 3، بيروت، 1988 ؛ ل. ابن الخطيب، *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار*، تح. كمال شبانة، الرباط، د. ت، 146 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 7، دار بيروت، 1992.

G. Colin et R. Ricard, *Tanger et Ceuta dans un boniment de jongleur espagnol du XVe siècle*, *Bulletin Hispanique*, XLVIII, 1946 ; J. D. Latham, *The Strategic Position and Defence of Ceuta in the Later Muslim Period*, *Islamic Quarterly*, XV, 1971 ; Ch.E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIII et XIVème siècles*, Paris, 1966 : *La question de Ceuta au XIIe siècle*, *Hesp.*, 1955 : Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen Age*, Paris, 1986 ; Ph. Contamine, *La guerre au Moyen Age*, Paris, 1980.

محمد الشريف

رماة فاس، يتميزون بالدور الهام الذي قاموا به في تاريخ المدينة منذ أواخر عهد السعديين على الأقل. إلا أن تتبع تاريخهم ليس بالأمر السهل لقلة ما كُتب عنهم ؛ فالمادة التاريخية المتوفرة تكتفي بإشارات سريعة إلى هذه الفئة العسكرية، ويمكن أن نفهم ذلك إذا علمنا أن جل من سجل تاريخ المدينة هم من النخبة العالمة التي كانت تكن في الغالب الازدراء والاحتقار لفئة انحدر أفرادها من الشرائح الدنيا للمجتمع ومارسوا العنف والابتزاز على أهل المدينة كلما تقلص ظل المخزن وعجز السلاطين عن إخضاع سكان فاس.

إن وجود مجموعات منظمة من الأحداث داخل المجتمع الحضري هو أمر عرفته الكثير من المدن الإسلامية. وبالنسبة لمدينة فاس نجد أول إشارة إلى هذه المجموعات شبه العكسرية لدى الباسط بن خليل، وهو تاجر مصري حضر على ما يبدو الفتنة التي عصفت بالسلطان المريني عبد الحق بن سعيد في سنة 870 / 1465، ففي *رحلته*، التي نشرها المستشرق روبير برانشفيك، توجد إشارة إلى "طائفة الوكّارة" الذين قادوا الثورة الشعبية بالمدينة للتنديد بعبد الحق المريني وتعاظم نفوذ وزيره اليهودي. ويشبّه الباسط بن خليل هذه "الطائفة" بما يعرف ببلده مصر بفئة "الزعر".

وعند بداية القرن الثاني عشر (16 م) يشير الحسن بن محمد الوزان إلى وجود مجموعات من الأحداث ينتظمون على أساس الأزقة والحومات ويتسلحون بالعصي التي يستعملونها ضد المجموعات المنافسة. "وقد يشتد الخصام بينهم فيأخذون السلاح ويموت عدد من كل فئة... وبعد انتهاء الاشتباك يأخذون في التراشق بالأحجار حتى لقد يعجز رئيس الشرطة عن تفريقهم". وإذا كان الوزان لا يطلق أي تسمية على هذه المجموعات من الأحداث فإن وصفه لا يدع مجالا للشك بأن الأمر يتعلق بما يشبه "الزعر" أو "العيارين" المشارقة.

وبوصول السعديين إلى الحكم عند منتصف القرن العاشر (16 م) شهد المغرب ثورة في التنظيم العسكري سوف يكون لها انعكاس واضح على تقنيات القتال لدى جيش الدولة في البداية، ولدى بعض فئات المجتمع في مرحلة لاحقة. وأهم ما ميز التنظيم العسكري خلال هذا القرن هو ظهور الأسلحة النارية واعتماد السعديين عليها لتطوير جيشهم، وخاصة بخلق ما سُمي بعسكر النار. فمحمد الشيخ المهدي كان له بفاس ألفان من الرماة المسلحين بالبنادق، وكانوا ينتمون إمّا إلى الأندلسيين أو

أهل سوس. وقد لعب هؤلاء الرماة دورا حاسما في غزو بلاد السودان على يد المنصور.

إلا أن تفتت السلطة السعدية خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر (17 م) أدى إلى وضعية جديدة بالنسبة لأهل فاس. فبعد وفاة أحمد المنصور في سنة 1603 أصبح سكان المدينة القديمة عرضة لهجوم وتطاول الجيش السعدي المتمركز بفاس الجديد، وكذلك جيش شراگة الذي اعتمد عليه الأمراء السعديون لكبح جماح التمرد بفاس والمغرب الشمالي بصفة عامة. وعندما تولى عبد الله بن محمد الشيخ المامون حكم المدينة أصبح جيش شراگة سنده الأساسي لكنه كان عاجزاً عن كف هجوماتهم وتعديهم على أهل فاس، بل إنه سمح لهذا الجيش بالإقامة بالقصبة، وكذلك ببعض الفنادق داخل المدينة القديمة. وأمام تدهور الوضع الأمني بفاس بادر أهل المدينة إلى تولي أمر دفاعهم بأنفسهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو التالي : كيف انتقلت مؤسسة الرماية من الجيش السعدي إلى المجتمع الفاسي ؟ أو بعبارة أخرى، كيف انتقل فن الرماية واستعمال البندقية من جيش الدولة إلى سكان المدينة القديمة ؟ هناك على الأقل ثلاثة عوامل تفسر هذا الانتقال : أولا، سياسة الدولة السعدية ذاتها. فالسعديون حسب مارمول وضعوا أهل فاس أمام اختيارين (سيلجأ إليهما المولى إسماعيل العلوي لاحقا). إما الخدمة العكسرية أو التعويض المادي لمن استطاع ذلك من أهل الثروة. بمعنى آخر فقد جندت مدينة فاس فرقة من المقاتلين شبيهة في سلاحها وتنظيمها برماة الدولة المقيمين بفاس الجديد. ثانيا، إن ظهور صناعة السلاح الناري بمراكش السعدية وفاس الوطاسية خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م) سمح بانتشار هذا السلاح بسرعة. وأخيرا، فإن تفكك الجيش السعدي وعجز خلفاء المنصور عن ضمان أسباب استمراره جعل العديد من عناصره تعرض خدمتها على الأطراف المتناحرة داخل فاس القديمة. وبذلك انصهر عدد من عناصره في البنية العسكرية للمدينة. وخير دليل على ذلك هو وجود أسماء قيادية ضمن رماة فاس تشير بوضوح إلى انحدارها من علوج السعديين (القائد مامي العلج) أو رماة أهل سوس (الجزوليين).

لكن المدينة لم تعرف قيادة موحدة لمقاتليها. فجمع واستنفار الرماة كان يتم على أساس العصبية الجهوية، وكان الأندلسيون واللمطيون ركيزتي هذا "الجيش الفاسي"، أما رؤساؤه فكانوا من ذوي العصبيات القوية داخل المدينة، وهم الذين تشير إليهم المصادر تحت اسم "الثوار" أو "السيّاب" في أوقات الاضطراب، وتحت اسم "الرؤساء" عندما تكون الأمور في يد الدولة. إلا أن المجموعات المسلحة سرعان ما أصبحت وبالا على المدينة نفسها لانعدام قيادة موحدة ولسقوط هذه المجموعات في العمل الإجرامي وعمليات السطو والابتزاز والاقتتال الفئوي الذي كان يعطل الحياة الاقتصادية ويجعل الحياة جحيما لا يطاق بالنسبة لأهل الثروة، وحتى بالنسبة لعامة الناس.

عندما استقرت الأمور لمؤسسي الدولة العلوية حاول هؤلاء الاستفادة من الطاقات العسكرية للمدينة، علماً منهم بأن فاس كانت تعبئ ستين ألفا من المقاتلين أيام الفترة الفاصلة بين السعديين والعلويين. أضف إلى ذلك أن رماة فاس كانوا من خيرة المقاتلين ولهم تجربة ثمينة فيما يتعلق بحرب حصار المدن، وقد برهنوا على كفايتهم في هذا المجال عندما احتاجهم المولى إسماعيل سواء في حصار مدينة العرائش أو مدينة تارودانت. لذلك ألح هذا السلطان طيلة حكمه على ضرورة مساهمة المدينة في المجهود العسكري للدولة، سواء عن طريق المشاركة في الحَرْكات أو عن طريق توفير فرق عسكرية لحراسة الثغور والمناطق الحدودية. وهكذا كانت المدينة مطالبة بتعبئة ألف وخمسمائة رام، كان ثلثها يرافق السلطان في تنقلاته، وثلث يرابط على حدود مدينة سبتة المحتلة، بينما يقيم الثلث الأخير بمركز فگيگ على الحدود الشرقية. ولم يقبل أهل فاس هذه المساهمة إلا على مضض، لأن العامة كانت تأنف من الخدمة العسكرية بينما كان أهل الثروة يتهربون من تكاليف تجهيز الرماة وتوفير أسباب خدمتهم. وهذا ما جعل عدد الرماة الذين يجندهم أهل فاس يتغير حسب قوة السلطان الحاكم أو اختياراته العسكرية. فالسلطان سيدي محمد بن عبد الله اكتفى بخمسين راميا طالبهم بسكنى مدينة الصويرة. أما المولى سليمان فإنه كاد أن يُسقط عنهم الخدمة العسكرية بالمرة إذ طالبهم بثمانية عشر فردا فقط (واحد لكل حومة) كانوا يرافقونه في تحركاته. ومع نهاية القرن الثالث عشر (19 م) رفع مولاي الحسن من حصة الرماة المفروضة على فاس لتصل إلى خمسمائة رام.

لم تكن الخدمة العسكرية بفاس خاضعة لمقاييس مضبوطة وقارة، لا بالنسبة لمقاييس التجنيد ولا بالنسبة لهيكلة المقاتلين وعلاقتهم بكل من المدينة والمخزن. فعدد المجندين كان يختلف حسب الظروف والأوضاع الأمنية بالمدينة ومحيطها وضعف أو قوة المخزن. فمن الآلاف التي كانت تستنفر أوقات الحصار كان عدد الرماة يتقلص أحيانا إلى بضع مآت توظف في حراسة أبواب المدينة والمرافق الحيوية بها. بل إن وجود سلطة مخزنية قوية بالمدينة كان يؤدي إلى شبه اضمحلال الرماة كمؤسسة عسكرية. فأوقات السلم والاستقرار السياسي كانت تضعف الرماة بل قد تؤدي إلى اختفائهم بالمرة إذا طالت. ويقدم لنا عبد الكبير الفاسي، صاحب *تذكرة المحسنين*، مثالا عن ذلك عندما يلاحظ أنه في سنة 1235 / 1819، لما عجز المولى سليمان عن حماية المدينة من هجومات القبائل وجيش الوداية، لم يجد أهل فاس من يحسن استعمال البندقية "لطول مدة العافية".

أما عملية التجنيد فكانت تتم على صعيد الجهة (الأندلس، اللمطيون، عدوة القرويين). فكل جهة من الجهات الثلاث كان لها "جيشها" الخاص بها والذي كان يخرج إلى القتال وهو يرفع علما خاصا يميزه، وعند انتهاء القتال كانت الأعلام الثلاثة توضع بضريح مولاي إدريس فيشار إليها بـ"أعلام مولاي إدريس". وأول من كان يستنفر للخدمة العسكرية الأحداث الذين لا حرفة لهم، إلا أن دائرة التعبئة كانت تتسع، إذا دعت الضرورة إلى ذلك، لتشمل كل القادرين على حمل السلاح من العامة، خاصة ضمن فئة الحرفيين. ولم يكن المقاتلون من البيوت المشهورة بل نجد أن جلهم ينتمي إلى ذوي الأصول المغمورة أو القبائل، وهو ما نلمسه في أسماء كثير منهم كالسلاسي والعماري واليازغي إلى غير ذلك من الأسماء.

ورئاسة هذه الجيوش كانت تخضع هي الأخرى لمنطق الجهة. إلا أنه من الصعب رصد قواعد ثابتة للتدرج نحو القيادة. إن الطريق المؤدي إلى الرئاسة كان يبدأ من الحومة أو حتى من الدرب عندما يتمكن شخص ما يتمتع بعزوة وعصبية قويتين من فرض نفسه وإثبات قدرته على تعبئة السكان لدرء الخطر عن أهل دربه أو حومته. وقد يتعلق الأمر في البداية بمجرد عصابة محدودة يبرز من بين صفوفها شخص يتوفر على القوة الجسدية والمقدرة القتالية تجعل الآخرين يلتفون حوله. ومن العوامل التي تُقوي حظوظ هذا الشخص في الوصول إلى مرتبة القيادة استناده إلى أسرة متماسكة ذات عصبية قوية، وقدرته على توظيف كل هذه العوامل لتوفير قيادة ناجحة تضمن الحماية لحومته وتصون شرف أهلها أمام التحديات الخارجية. وقد يبرز أكثر من مرشح واحد للقيادة، وقد يحتد التنافس بين أسرتين أو أكثر على مستوى الجهة الواحدة فيقع الحسم عن طريق السلاح. وهذا ما حدث مثلا بين عزوتي الجزولي وإزرور بجهة اللمطيين في سنة 1150 / 1737 - 1738.

وإذا تجاوزنا الإطار العائلي نجد أن العلاقات الزبونية لعبت دورا هاما في اكتساب المؤيدين والأتباع ؛ وبقدر ما تتشعب هذه العلاقات بقدر ما تتسع دائرة نفوذ قائد معين. والقول بأهمية الزبونية يحيل منطقيا على عامل آخر، هو عامل الثروة التي توظف لاكتساب الأتباع. إلا أن الثروة لم تكن شرطا ضروريا لشق الطريق نحو القيادة، فمعظم الحالات التي أمامنا توضح أن العصبيات القوية في المدينة اغتنت بعد أن فرضت نفسها عسكريا وسياسيا عن طريق النهب والابتزاز والاستيلاء على الممتلكات الحبسية وتزوير السكة إلى غير ذلك. وهذا كان يتم أساسا خلال فترات الضعف المخزني أو انعدام أية سلطة مخزنية بالمدينة كما كان الحال خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر (17 م).

إن الرماة لم يكونوا قوة عسكرية فحسب، بل كانوا كذلك قوة سياسية لها دور بارز على مستوى المدينة، وكذلك في علاقة هذه بالدولة المركزية. فرؤساء الرماة كانوا هم حكام المدينة في غياب المخزن، وعندما تخضع المدينة لهذا الأخير فإنهم كانوا يوفرون له الأطر القيادية والإدارية بالمدينة. فخلال الفترة الفاصلة بين السعديين والعلويين كانت مدينة فاس تحت حكم زعيمين هما محمد بن الصغير من جهة اللمطيين وأحمد بن صالح اللَّيريني من جهة الأندلس. وعندما وصل العلويون إلى الحكم حاول بعض السلاطين توحيد قيادة المدينة بفرض قائد واحد. لكن هذا الأمر لم يكن في متناول كل السلاطين. فعندما كان ميزان القوة يميل لصالح المدينة كما حدث بعد وفاة المولى إسماعيل تغلبت النزعة الانقسامية وعادت المدينة إلى القيادة الثلاثية، لكل جهة من الجهات الثلاث قائدها.

وكان الرماة يملأون كذلك عددا من المناصب الإدارية والأمنية بالمدينة، فكان منهم الجُراي، أو مقدمو الأحياء، وحراس الأبواب والأزقة وأعوان القاضي وناظر الأحباس إلى غير ذلك من الوظائف. ولم يكن الرماة يحبذون حكما مركزيا قويا لأن ذلك كان يحرمهم من المناصب الإدارية والأمنية داخل المدينة من جهة، ويحولهم من جهة ثانية إلى قوة محاربة ضمن الجيش المخزني، مما يفقدهم قوة التأثير داخل المجتمع الفاسي ويحرمهم حرية المبادرة والمناورة. فإذا أخذنا العهد الإسماعيلي كنموذج لحكم مخزني قوي نجد أن السلطان استغنى عن خدمة العديد من رؤساء الرماة وأعيانهم بتوحيد قيادة المدينة في يد خادمه بوعلي الروسي وحذفه لقيادة الجهة، بل قلص حتى عدد الجُراي من 24 إلى 3 (واحد لكل جهة). وهذه إجراءات لم ترق النخبة السياسية والعسكرية بالمدينة. أضف إلى ذلك أن المولى إسماعيل طالب بتجنيد الرماة للعمل ضمن الجيش المخزني، وهو أمر استثقله أهل فاس بصفة عامة لأنه كان يعني عبئا إضافيا بالنسبة لأهل الثروة، وإكراها على خدمة مخزنية محفوفة بالمخاطر بالنسبة للمجندين ورؤسائهم، دون أن يكون في ذلك كبير فائدة لهؤلاء. لذلك حاولت نخبة الرماة التهرب من الخدمة العسكرية تحت مظلة المخزن. الشيء الذي جعل المولى إسماعيل يتهم أهل فاس مرارا بالتراخي والمماطلة وتجنيد فقط "البشاشرة" الذين لا يصلحون للحَرْكات والقتال.

لكن أسباب التوتر بين المخزن والنخبة العسكرية - السياسية بفاس لم تكن ترتفع بمجرد إلغاء أو تخفيف الإلزامات العسكرية من طرف السلطان. فالمولى سليمان، الذي لم يكن يطالب المدينة إلا بمساهمة رمزية لا تتعدى ثمانية عشر فردا، وجد نفسه قُبيل وفاته أمام تمرد كاد أن يعصف بحكمه، وهو التمرد المعروف بـ"فتنة فاس" والذي لعبت فيه قيادة الرماة دورا أساسيا. وأما سبب حقد هذه القيادة على المولى سليمان فكان يتعلق أساسا بسبب

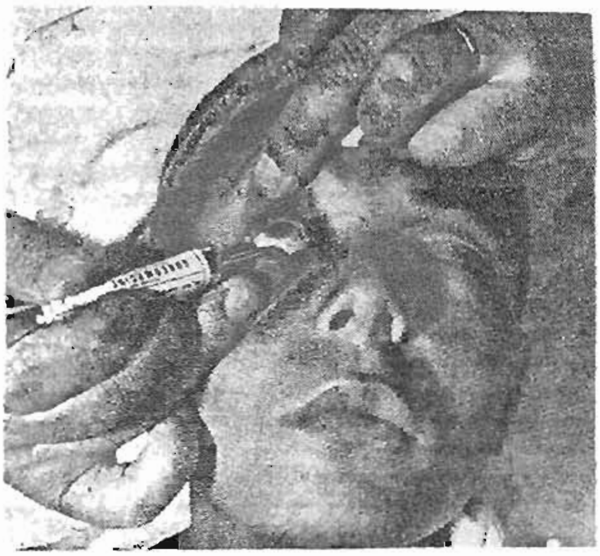
التهميش والتجاهل التي اتبعها هذا السلطان تجاه أعيان المدينة ورؤسائها التقليديين. فالمسألة تتعلق أساسا بإشراك النخبة المحلية وتمكينها من وسائل النفوذ والتأثير على المستوى المحلي.

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1977 ـ 1986، 4 أجزاء ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط، 1983، جزءان ؛ ع. الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين*، مخطوط، خ. ح رقم 12235 ؛ أبو القاسم الزياني، جمهرة من حكم بفاس، مخطوط، خ. ح رقم 2368 ؛ م. ابن ابراهيم الدكالي، *تقاييد تاريخية*، مخطوط مكتبة بودليان بأكسفورد، رقم 79 C ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الرباط، 1984 ـ 1989، الجزء الثاني.

R. Brunschvig, *Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XV Siècle*, Paris, 1936 ; Mohamed El Mansour, *Urban Society in Fez : the Rumat during the Modern Period (17th - 19 th Centuries), the Maghreb Review*, vol. 22, n° 1 - 2, 1997.

محمد المنصور

الرمَد، التهاب العين يصيب الملتحمة والقرنية ويتميز بوجود حبيبات والتهابات بالملتحمة. وهي ذلك الغشاء الرقيق الشفاف الذي يغشي الجهة الأمامية من كرة العين. وقد يمتد الالتهاب إلى بقية أجزاء الملتحمة ويفسدها، كما قد يؤثر في القرنية وربما يمزقها فيؤدي ذلك إلى فقدان البصر. وعادة ما يقسم الأطباء الرمد إلى نوعين حُبَيبيّ وصديدي، فالحبيبي، ويسمى أيضا التراكوما، وفيه يشعر المريض كأن بعينيه بعض حبات الرمل. أما الصديدي فيتميز بإفرازات صديدية.



يتسبب في هذا الداء ڤيروس يسمى كلاميديا تراكوماتيس Chlamydia Trachomatis وتنتقل عدواه بما تفرزه العين المصابة من أبخرة وقذى وما يستعمله المصاب من مناديل وأدوات، واليدين والذباب.

يعتبر الرمد من الأمراض القديمة بالمغرب حيث ترد إشارات عن الإصابات به في بعض كتب الإخباريين، كما جاء على سبيل المثال عند ابن عيشون الشراط أثناء حديثه عن أبي الربيع سليمان، الذي تبرك به أحدهم من رمد أوجعه وأسهره ليلته ومنعه من النوم.

وذكره الحسن الوزان دون أن يشير إليه بالاسم حيث أورد عن أهل سجلماسة أن عيونهم تمرض في الصيف وأن الغبار من أسباب التهاب الأعين لدى الناس. وأشارت ماريا تيرمتلن الأسيرة الهولندية التي قضت بالمغرب اثنتي عشرة سنة ما بين 1731 و1743 إلى أنها مرضت وزوجها وأولادها بمرض العيون فيما بين نهاية غشت وشتنبر، وأن الانخال مرضا يسري بين العائلة دفعة واحدة، وفي تلك الفترة من السنة بالذات، سرى الرمد.

وفي معرض حديثه عن الأمراض الأكثر انتشارا بين المغاربة، أشار الطبيب لامبرير Lemprière أثناء مقامه بالمغرب سنة 1790، إلى التهابات العيون التي تتسبب في فقدان البصر. وفي رسالة وجهها أحمد الطالبي إلى السلطان مولاي الحسن بتاريخ 18 شتنبر 1897 إلى أن إبراهيم بن حمادي أحد ولاة السهول، لم يستطع التوجه إلى العاصمة لأنه كان مريضا بالرمد في عينيه.

تشح المعلومات وتندر الأرقام بصدد الرمد وعشانه في المغاربة خلال السنوات القليلة السابقة للحماية وحتى بعد توقيعها، ومرد ذلك فيما يبدو إلى أن الرمد لم يكن، بالنسبة للفرنسيين، على درجة من الخطورة وسرعة الانتشار تستدعي حزما في استنفار الوسائل القمينة بمعرفة الداء، وضبط عدد المصابين به، قصد محاصرته وتطويقه، فكان حظه من الاهتمام أقل من غيره من بقية الأمراض الفتاكة الأخرى كالزهري والسل على سبيل المثال. وكانت أولى الاحصاءات التي أجريت في هذا الشأن هي التي قدمها الطبيب رملنجر Remlinger عن طنجة وتهم رواد المستشفى الفرنسي من المغاربة المسلمين، وهو ما يوضحه الجدول التالي :

السنوات	العدد الإجمالي للمستشيرين	حالات الرمد
1912	9.716	16
1913	12.716	12
1914	13.855	21

ولاحظت الطبيبة دولانوي Delanoë، منذ استقرارها بالمغرب سنة 1913، وكانت تعمل يومئذ في الممرضة الخاصة بالمغاربة في مازيغن (الجديدة)، أن نسبة المصابين بالرمد مرتفعة جدا تصل إلى ما بين 40 و50٪ من سكان المنطقة، وكان الأطفال على وجه التخصص معرضين أكثر

من غيرهم للرمد ويصابون بالعمى نتيجة اثقاب في القرنية بسبب تحببات خبيثة.

ولم تبدأ الدراسات حول الرمد بشكل رسمي سوى سنة 1927، ولو أن العصبة المغربية لمكافحته ظهرت في سنة 1924. ومنذ سنة 1930 بدأت التقارير تجود ببعض الأرقام حول عشان هذا الداء. إذ يفيد تقرير إدارة الصحة أن عدد المصابين به خلال هذه السنة 38.415، وأن منطقة مراكش وحدها استأثرت بما يقرب من 20.000 منهم.

ويوضح الجدول عدد المسجلين المغاربة من المصابين الجدد بالرمد خلال النصف الأول من الثلاثينيات.

السنوات	عدد المسجلين الجدد من المصابين بالرمد
1932	18.000
1933	17.901
1934	26.083
1935	28.173

وجاءت الحرب العالمية الثانية وما رافقها من شدة وضيق وما ترتب عن ذلك من ندرة الصابون وقلة النظافة، فمهدت للرمد من أسباب التفشي ما جعله يعيش في المغاربة بشكل أدهى وأمرّ، وارتفع عدد الحالات المصرح بها من المصابين بالرمد في السنة الأولى من الحرب بحوالي 10.000 عما كان عليه الحال في سنة 1938. ويوضح الجدول التالي عدد المسجلين من المصابين الجدد بالرمد خلال سنوات الحرب العالمية الثانية.

السنوات	عدد المسجلين من المصابين الجدد بالرمد
1939	42.938
1940	38.803
1941	46.121
1942	48.162
1943	53.266
1944	86.868
1945	67.487
المجموع	383.645

ظلت نسبة المصابين بالرمد مرتفعة في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية وعلى وجه الخصوص في المناطق الجنوبية، إذ بلغت نسبة المصابين من أطفال المدارس مستويات عالية.

وتفاحش أمر الرمد في بداية الخمسينيات مما جعل إدارة الصحة تنشئ مصلحة خاصة تسمى "المصلحة المركزية لأمراض العيون" وتردف ذلك بخلق مجموعات جراحية متنقلة، كانت تجوب ضواحي مراكش وأرفود وورزازات، وهي مناطق معروفة باحتضانها للرمد.

وحسب بعض الأبحاث التي أنجزتها إدارة الصحة العمومية، يمكن تقسيم المغرب من حيث انتشار الرمد إلى ثلاث مناطق :

. المناطق الساحلية ويتراوح فيها مؤشر الرمد ما بين 0 و25٪.

. المناطق الداخلية ويتراوح فيها ما بين 25 و40٪.

. منطقة الجنوب، ويستأثر مؤشر الرمد فيها ما بين 70 و100٪.

وكان المغاربة يعالجون المرمودين ببعض ما ورد من وصفات في *كتاب الرحمة* أو *كتاب الأنطاكي*، بالإضافة إلى وصفات أخرى دونها A.R. De Lens في كتاب صدر لها سنة 1925، خصصته لوصفات العلاج والتجميل والشعوذة. ومن جملة ما أوصى به السيوطي في كتاب الرحمة وصفات أخرى مما يقطر من نقيع النباتات أو يكتحل به من المواد وما يكتب من الرقى والتعاويذ. أما De Lens فقد استقت وصفاتها مما كانت تقع عليه عينها عند عائلات المرمودين مثل حليب المرضع، أو خليط العسل مع ماء البصل.

واستعمل الفرنسيون على إثر سيطرتهم على المغرب علاجات أخرى ضد الرمد فاهتدت الطبيبة دولانوي في العشرينيات إلى استعمال زيت يسمى زيت الشولموگرا Chaulmoogra وكان يستخرج من حبات تثمرها أشجار من جنوب آسيا. وقد نجع إلى حد ما في علاج الرمد والتخفيف من حدته وتمكنت دولانوي حسب قولها أن تزيح ضره عن 25.000 مرمود، سيما وأن المصابين كانوا يتحملون فرك الجفون بزيت الشولموگرا لأنه غير محرق وغير مؤلم.

وابتداء من سنة 1938 ظهر ما كان يسمى يومئذ بالسولفاميد Les sulfamides وهو مركب عضوي أزوتي وميكروب مضاد للجراثيم. وكان هذا الدواء الجديد لا يضر بعد استعماله بالجفون ولا ببقية أعضاء العين. وفي الخمسينيات ظهرت مراهم التتراسيكلين والأريوميسين، وأمكن تعميم الوقاية من الرمد، على الأقل في المدن، حيث كانت توكل لمعلمي المدارس مهمة حقن عيون الأطفال بالمراهم المضادة للرمد.

ج. السيوطي، *الرحمة* ؛ الأنطاكي، *تذكرة أولي الألباب* : م. ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس* ؛ علاقة الخزن بأحواز سلا.

Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc ; Delanoë, *Trente années d'activité médicale et sociale au Maroc*. Larousse médical "MASSON" ; Lemprière,

Voyage dans l'Empire du Maroc : *Maroc - Médical* ; Raynaud, *Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc* ; Weisgerber, *Pathologie et thérapeutique marocaines.*

بوجمعة رويان

رمضان، رايس، علج فرنسي الأصل من مدينة مارسيليا يدعى أصلا توماس ميولان (Th. Miolan). انخرط في صفوف الجهاد البحري بسلا الجديد في مطلع عهد مولاي إسماعيل ؛ لكن حياته المهنية لم تدم طويلا، وسرعان ما تم أسره من طرف السفن الفرنسية وهو لا يزال شابا (19 عاما) سنة عام 1675 م. حيث أشرك منذ تلك السنة في طواقم السخرة على متن القادس الملكي "Le Superbe"، ولم يطلق سراحه إلا بعدما مكث سبعا وثلاثين سنة، بعدما قبل الملك الفرنسي إطلاق سواحه سنة 1124 / 1712 عن سن ست وخمسين عاما باعتباره من الشيوخ ومن قدماء الأسرى المغاربة.

S.I.H.M., 2ème série, *France*, T. VI, p. 82.

حسن أميلي

رمضان بن **مَحمد** الإزناسني ← **رمضاني** أسرة

رمضاني، أسرة إزناسنيَة تنتسب إلى الشيخ رمضان ابن مَحمد "فتحا" بن عبد العزيز الولي الصالح البركة الذي عاش في نهاية القرن الثاني عشر ومطلع القرن الثالث عشر (18 ـ 19 م) بزاويته المسماة باسمه "الزاوية الرمضانية" الكائنة بجبال بني إزناسن بالسفوح الشمالية لجبال بني منقوش المطلة على حامة فزوان القريبة من بلدية عين الركادة عمالة إقليم بركان. وقد شيد ضريحه بزاويته المذكورة بدوار أولاد سيدي رمضان في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) مع المسجد العتيق الذي يحيط بها والبئر الذي يرتوي من مائة الزائرون والوافدون. وهو الذي أعطى الانطلاقة للطريقة الطيبية الوزانية بالمنطقة التي ورثها عن جده عبد العزيز تلميذ مولاي التهامي الوزاني حسب ما تثبته إحدى الوثائق. ويتصل عمود نسبه بالمولى إدريس حسب ما تذهب إليه إحدى الوثائق.

ميمون بوشلاغم، *الزاوية الرمضانية ووثائق من بني يزناسن*، بإشراف الأستاذ هاشم العلوي القاسمي، كلية الآداب بفاس، ص. 65، 1985 ؛ أحمد الغزالي، *مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن، القادرية البوتشيشية نموذجا*، 155 ص، 1996.

محمد الرمضاني

الرمل، الأتربة الرملية والترميل. كلمة الرمل هي أولا مصطلح حبيبي يخص فئة قياسية من الحبات من ضمن الصخور الفتاتية أو الأتربة. تدرجها حدودها القياسية في ما بين 50 ميكرومترو2000 ميكرومتر أو مليمترين اثنين. ويعتبر الرمل، على هذا الأساس، أخشن فئة داخل قطاع المواد الفتاتية الدقيقة، تربو أحجام حباته عن الطمي والطين، وتقل عن الحصيم والحصى والجلاميد وهي قوام المواد الفتاتية الخشنة على سطح الأرض.

يكاد يكون من المستحيل العثور على تكوين طبيعي رملي خالص. تعتبر الكثبان الريحية عامة، والساحلية منها على الخصوص، المركبة من رمال شتيتة، من التكوينات الأكثر فرزا والأكبر نفوذية وتصريفا للمياه.

I ـ مقومات تحليلية للرمال :

بالإضافة إلى كون الرمل مادة معدنية، مختلفة التركيب الكيماوي والفرز القياسي، يطلق مصطلح "الرمل" كذلك في المغرب على بعض أنواع الأتربة التي تكون فيها نسبة الرمل الحبيبي عالية لكنها لا تقصي الفئات الدقيقة الأخرى وإلا لما كانت تربة، ذلك أن حدا أدنى من المادة الدبقية إلزامية في أي تربة حتى تكتمل مواصفاتها. تعتمد جل البيانات النسيجية للأتربة الرملية 70٪ من الرمل الحقيقي كحد أدنى من مجموع المادة الدقيقة، تتقاسم الباقي منها الطين والطمي بصيغ مختلفة. قد يشذ التصنيف الأهلي المغربي محليا عن هذه القاعدة النسيجية لأسباب وجيهة. حيث تقع تساهلات مع القاعدة في المناطق التي تغلب على أتربتها الأطيان وتكون غنية بأتربة التيرس، كالغرب ومنخفضات الورغة بالريف مثلا، فتطلق تسمية الرمل على أتربة طميية رملية يمكن أن تزيد نسبة الطين فيها عن 20٪.

تتميز الأتربة الرملية بخصوصيات نوعية منها :

ـ ضعف القدرة على احتجاز الماء، الذي يجعل الاحتياطي المائي محدوداً جداً، مانحا هذه الأتربة حساسية عالية إزاء الجفاف.

ـ نفوذية كبيرة للماء في التربة، تجعل الماء يعبر سريعا للوصول إلى المسكات العميقة. أما إذا انعدمت كل مسكة مصمتة من القطاع، فإن الأتربة الرملية تكون جيدة التصريف.

ـ تندرج من ضمن الأتربة الحارة، ذلك أن التنشيف يحدث سريعا جدا بعد التساقطات المطرية. وهي كذلك أول الأتربة التي تصير قابلة للتشغيل بعد أية فترة مطرية. على أن الأتربة الرملية تتطلب جرعات ضعيفة من السقي لكن بإيقاع أسرع من غيرها.

ـ ينتج عن التصريف الجديد امتياز خاص بهذه الأصناف من التربة يخول لها احتمال مياه سقي مالحة نسبيا.

يستحق هذا الامتياز وقفة خاصة.

ذلك أن جودة التصريف تزداد هي ذاتها في حال وجود مياه سقي ذات ملوحة محسوسة، حيث تشتت الأملاح مقادير الطين القليلة الشائبة للرمال، حائلة دون تندفها

وميسرة ظروف تصويلها وفتح مسالك المسامية الكبرى في سبيل التصريف السريع.

وقد شاع استعمال المياه المالحة في سقي الرمال خاصة في البلاد الجافة التي يتواكب فيها طبيعيا كثرة الأتربة الرملية وقلة المياه العذبة. يدخل في هذا السياق كل الجنوب المغربي، مع إشارة خاصة للواحات النهرية في الأحواض العليا للساورة والداورة وحوض درعة، التي تخلل جل مجاريها وسلائلها ومصاطبها الدنيا أتربة غرينية رملية طميية رمادية اللون، نسميها طمي النخيل، تسقيها مياه تزيد نسب الأملاح في معظمها عن المطلوب في الماء الشروب.

يوجد بنفس البيئة مواقع للتجريب والإنتاج المتخصص، تستعمل الماء الزعاق (من 5 إلى 15 غرام باللتر) لسقي الحبوب والأشجار بسهل تافيلالت مثلا، مستعملة مياه عين العاطي التي تتدرج في الزعاق الأعلى الأقرب إلى المالح الصرف.

وتجدر الإشارة في هذا السياق لاستعمالات أوسع وأشمل، في أراض جافة بها ساكنة عالية الكثافة، كما هو الشأن في سهل الجفارة مثلا بالقطر الليبي، في الإقليم الكبير لطرابلس، حيث تجريب السقي بالمياه المالحة شائع ويعطي نتائج مشجعة، إذ تستعمل مياه البحر رأسا مختلطة بنسب متفاوتة من المياه العذبة.

لكن على العموم، يبقى أمر استعمال المياه المالحة صعبا، كما هو الشأن في المجالات الصحراوية أو الجافة القريبة من البحر التي تتداخل فيها مياه الفرشة الأحفورية المستنزفة وغير المتجددة مع مياه البحر. يزيد التعقيد بتراكم الأملاح في التربة والتلويث بتركزات المحاليل بمختلف الفلزات كالحديد والمنغنيز، التي تسهم في تعطيل تجهيزات السقي.

يمكن أن يستغل التصريف السريع في الأتربة الرملية كذلك من أجل إغناء الفرشات الجوفية أو إعادة حقنها إذا كان بالإمكان الحصول بطريقة ما على مياه سقي عذبة ومقبولة المواصفات. ولا يتيسر ذلك إلا عن طريق تصفية ماء البحر، وهو أمر مكلف، إلا إذا كان يدخل في إطار مشروع أوسع يمكن أن يهم تزويد ساكنة السواحل بالحاجيات الحضرية بما فيها زراعات الضواحي. ويبدو أن مشروعا من هذا القبيل متوقع على السواحل المغربية.

كما يمكن أن يتأتى عن طريق جلب مياه منقولة من مصادر عذبة غزيرة. نموذج هذا الوضع النهر الصناعي العظيم بليبيا الذي حتمه استنزاف الفرشات على مر الزمان في الأراضي الآهلة قرب المدن الكبرى المحاطة بالمزارع المغلالة، حيث بلغ الاستغلال المكثف إلى قرار الخزانات المائية الطبيعية المالح المكبرت والفلزي الضار بالناس والمحاصيل والتجهيزات والأتربة. الإتيان بمياه النهر الصناعي، انطلاقا من فرشات عميقة عالية الجودة، لسقي الأراضي [illegible] التربة ويرفع المحاصيل وييسر استعمال الأجهزة، وعلى الخصوص، أن يعدل منسوب المياه العذبة داخل السدائم الجوفية من خلال التسرب عبر الأتربة الرملية الطاغية على المجال. هنا يكون إذن الطابع الرملي للتربة أمرا إيجابيا، يسند المدخرات المائية ويعيد تطعيمها.

- قدرة حجز وتوفير العناصر المعدنية من طرف التربة لفائدة المحصول النباتي، المعبر عنها بقدرة التبادل الكاتيوني، تكون ضعيفة في الأتربة الرملية. يتفرع عن ذلك نتائج سلبية عديدة، منها بالطبع تدني خصوبة التربة حيث إن العديد من الأراضي الرملية متروكة للاستعمال الغابوي وأكبرها على الإطلاق بالمغرب غابة البلوط الفليني بالمعمورة. لكن عندما يتوفر بعض التطعيم الطيني في التربة الرملية ومعها الماء الكافي وقرب مواطن الاستهلاك أو مسالك التسويق أمكنها أن تكون مجالا متخصصا في إنتاج البواكير ومختلف الخضروات.

ومن النتائج السلبية كذلك اختلال في التخصيب، فمثلا إذا ما تساقطت أمطار غزيرة بعد نشر الأسمدة، تعرضت العناصر المعدنية المراد توفيرها للنبات إلى الحلحلة والتبديد في اتجاه الفرشات المائية. وبالفعل، فإن السدائم الموجودة تحت التكونات الرملية هي الأكثر تأثرا بتلويث كيماويات التسميد والتطهير.

- تحسين المقومات الآلية والخصوبة الكيماوية للأتربة الرملية رهين بالتزويد بالمواد العضوية أو التطعيم بالأطيان. يوفر التزبيل والخلائط العضوية، المضافة إلى الأتربة الرملية، زيادة في قدرة احتجاز الماء، وفي إغناء التربة بعناصر التخصيب وتكوين احتياطي معدني داخل تركيبات عضوية نافعة. وبما أن وجود المادة العضوية يضبط حركة الماء داخل التربة، فإنه يحسن تزويد المزروعات بالماء، ويقلل من حلحلة الملوثات ونقلها إلى الفرشة. وقد أجريت بالفعل دراسات ميدانية على مثل هذه المنظومات في أقاليم المناصرة واللوكوس.

- هناك أوضاع طبيعية تفيد في مسألة إغناء الترب الرملية بالدقيق. يلاحظ مثلا في السهول الحبيسة لدكالة، خلافا للمنتظر، وجود تربة رملية أو رملية طينية تتناقض بخشونتها مع محاصيل الحبوب الرفيعة التي تدرها ومع التجمع المائي السريع كلما اشتد التساقط المطري. ذلك أنها في الواقع مجرد وشاح متفاوت السمك يغطي تربة طينية من صنف التيرس أو الحمري (التربة المغربية : الجزء 7، ص. 2311 ؛ التيرس، الجزء 8، ص. 2663 ؛ الحمري، الجزء 11، ص. 3584). هذه التربة الأخيرة محلية أصيلة متجانسة مع تجميع الدقيق وتنشئة الأطيان النفوخة في ظروف الانحباس. أما الوشاح فهو نتاج الإمداد المتواصل بمواد التحريك الآتية من إقليم الرحامنة المجاور من الشرق لكن لا ينتظر أن تقضي عمليات التزويد بالمواد الخشنة

من المجال الداخلي الجاف والعاري من أي غطاء نباتي طبيعي ذي فعالية، إلى الردم النهائي للقواعد الطينية بل الحاصل في جل الحالات هو الاختلاط بها والتطعيم المتبادل معها.

تفيد هذه الأوضاع المركبة في ضرورة الاطلاع على الأنساق الجيومرفلوجية من أجل التعامل مع الأتربة واستثمارها، خاصة في الظروف الموسومة بالجفاف السائدة بالمغرب، والتي تغلب فيها تعرية الأتربة وحركة المواد على السطح.

2) مبادئ توزيع الأتربة الرملية بالمغرب.

تتطور الأتربة الرملية فوق طبقات صخرية رملية أو فوق قواعد صخرية تعطي رمالا من جراء التفسخ كالحث والكرانيت والدولوميت. كما أنها توجد في سافلات المواد المنتجة للرمل.

- طبقات الصخور الرملية المؤهلة لإعطاء ترب رملية هي في الغالب تلك الحديثة القريبة من السطح، ومن أهمها المستويات البحرية النيوجينية والرباعية، نذكر منها الرمال الصهباء أو رمال مكناس، ورمال المعمورة، وهي في أكثر الحالات رمال سيليسية صرفة. أكيد أن جل الحالات تتسم بخاصيات التترب السالفة الذكر. لكن بعضها أعطى محليا أتربة حمراء بها بعض الطين. ونظراً لضعف تندف التربة وعدم تكوين المجمعات، فإن هذا الطين، على قلته، استطاع أن يتوزع على مسامية الرمال ومعها الأكاسيد والطمي فعبأها وأصمتها. وكان الناتج أراض غدقة، رغابية، تتجمع المياه على سطحها موسميا، معطية أتربة رملية لكنها محليا ميهة، في أوساط مختزلة، تتغير ألوانها السطحية من الحُمرة إلى الصفرة.

- الطبقات الحثية المنتجة للرمال بالتفسخ إما من فوقها أو في سافلتها إذا كانت قمما أو هضابا عالية، بطبع الوضع الساحل الشمالي الغربي للمغرب بصفة متفاوتة من فحص طنجة إلى حدود إقليم الغرب. أهم مصادر رمال التفسخ هنا الحث أو الحجر الرملي النوميدي، والحث الأصفر لطية اللوكوس الزاحفة وكلها بمنطقة اجبالة، غرب جبال الريف. الرمال على العموم سيليسية، بالإمكان التعرف على المشتقة منها من الحث النوميدي بخشونتها الزائدة التي تميزها عن غيرها.

- قواعد صخرية أخرى تنتج الرمال بعد تطور تفسخي طويل، يستدعي على ما يبدو رطوبة عالية. منها ظلفاء الدولوميت بالأطلسين المتوسط والكبير، المنتمية للياس. يعطي تفسخ الدولوميت كرستة غير مكتملة، تطمرها جزئيا رمال تفسخ سرعان ما تتخلص من شوائبها الطينية القليلة والحمراء، فتصير رمالا مفروزة مبيضة. رمال الدولوميت مغنيزية فقيرة.

- باثوليتان الكرانيت أو الصخور الاندساسية المشابهة تنتج أصناف الرمال المتفاوتة الأحجام حسب بنية الصخر الأصلي ومواصفات مراحل التاريخ البيومناخي الفاعل في تطورها السطحي. جل الاندساسات هرسينية، نذكر منها باثوليت الزعير الأعلى بالهضبة الوسطى الغربية وكتلة تيشكا بالأطلس الكبير.

الشريط الساحلي يسهم بقوة في توفير الرمال إما مباشرة أو في أغلب الأحوال على حساب ظلفات أو دكات حثية متفاوتة الصلابة. تنتمي المستويات إلى مجموعة الأدوار المتواترة من "المغربي" (البليوسين الأوسط) إلى الرباعي الحديث والحالي. الرمال هنا مختلطة، بعضها سيليسي وجلها كلسي عضوي - فتاتي.

رمال المد الصحراوي، تأتي على شكل كثبان رملية لسببين اثنين. أولا، لأن جل الركائز الصخرية للمجال الصحراوي الافريقي العريض مكونة من ركائز كرانيتية من فوقها تغليفات كوار تزيتية وحثية قابلة للتحول إلى رمل، إضافة إلى ظهورات الشيست. هذه القواعد موغلة في القدم، توجد في قلب ما يعرف في الاصطلاح الجيولوجي القديم بقارة كوندوانا التي لم تتجدد طبقاتها بأي غمر بحري منذ أمد بعيد، في حين تعرضت للتعرية والتسطيح بصفة مستمرة.

ثانياً، تسبب هذا الوضع القاري الموغل في البعد عن كل السواحل في تعميق التجفيف وجعله يسود جل المناخات عبر الأحقاب. وقد نتج من جراء ذلك فرز معين للمواد السطحية بواسطة التذرية الريحية المنتقية للفتاتات الصخرية الرملية دون غيرها إلى خلق التراكمات الكثيبية الهائلة التي كونت الأعراق في وسط الصحراء، معبئة المنخفضات العريضة والأودية الجافة وأقدام الجبال، كما هو الشأن بالنسبة للعرقين الغربي والشرقي والأعراق الطولية الأخرى المنتشرة في الصحراء.

تختلف رمال الأشرطة الساحلية عن رمال الكثبان الصحراوية في كونها محشوة بعدسات حصوية متفاوتة في سمكها وخشونة عناصرها مترتبة عن التعرية البحرية. لكنهما تجتمعان في خلوهما من الشوائب الدقيقة مما يجعلهما معا شديدي الحساسية إزاء عوامل التذرية والتحريك الريحي العنيف السائد في كلا الوسطين.

أما الأولى، شأنها في ذلك شأن كل المواد السطحية الرملية العارية من الصيانة النباتية، فهي محتاجة إلى عمليات التثبيت من أجل حمايتها والحفاظ على المنظومات الإنتاجية التي تعيش عليها وبجوارها من جملة البنيات التي تقام في مثل هذه الأوضاع. مصدات الرياح، وحباك التسييج، والاستنبات المتكيف والالتزام بحماية النباتات، وطبيعي أن تتنوع المعالجات بحسب تنوع الأوضاع. لقد أقيمت أوراش ناجحة من أجل تثبيت رمال ساحلية كانت تهدد الخلق والممتلكات في مدرج الصويرة وخليج أگادير وشاطئ المهدية، وأجدت في تحريجها غابات العرعار المغاربي والأحمر وغيرها من النباتات المتحملة للقواعد الرملية وظروف الجفاف الترابي المحطي.

أما رمال الصحراء فهي تعيث في وسطها الطبيعي دون ما قيد، منوعة أشكال الانكثاب التي تتخلل أنماط التشكيل الصحراوي الصخري الغالب من حمادات ورقاق، وكلها شبه فراغات بشرية وأحيائية. لكن المنظور يختلف بمجرد وصول التراكمات الرملية إلى مشارف الواحات تتهددها بالإطمار، وإلى هوامش النطاق البيومناخي الموالي. عند هذه الحدود الآهلة، ذات البيئة الأحيائية الأوفر، يدعى كل تدخل من الصحراء، المجاورة والمورث للاقحال وتنضيب المياه الجوفية أو السطحية وتخريب الغطاء النباتي "تصحرا"، وكل غزو من طرف رمال التذرية يتلف المحاصيل ويعطل المنشآت "ترميلا".

مبدئياً تعالج إذايات الترميل في الصحراء، حول الواحات والبنيات التحتية، وعلى هوامشها، بمثل ما تعالج به في أوراش تثبيت الرمال أيا كان موقعها فتكون إذن مسألة هندسية صرفة تعمل على معاكسة التذرية، إضافة إلى إيجاد النبتة المتكيفة والمياه اللازمة لسقيها. لكن يبقى هذا علاج المواجهة الأخير الذي لا مناص منه عندما تكون الأزمة قد بلغت مداها. في الواقع جذور التصحر عميقة ومعقدة يحتاج التعامل معها إلى تقصي الأسباب بمفهوم بيئي بنيوي متكامل وبمختلف المقاييس حتى تكون المكافحة ناجعة على المدي الطويل وليس إجراءات اليائس الذي يتصدى للأسباب وحدها يناوشها دون أمل في التغلب عليها (التصحر، الجزء 7، ص. 2384).

إدريس الفاسي ومحمد البدراوي

* * أصل كلمة الرمل (Sable) لاتيني صابولوم (Sabulum) وتعني مجموعة من حبيبات المعادن، المغطية للأرض ؛ أما معناها العلمي : صخر مفتت مكون من حبيبات المرو أساساً والكلست والبلق بنسبة أقل. وبدقه أكثر فالرمل عبارة عن رواسب حطامية متفتتة، ذات حبيبات يتراوح قطرها ما بين 1/16 mm و 2 mm. وتنتج حبيبات المرو والبلق عن قرض الصخور الانصهارية والرسوبية والتحولية ؛ أما حبيبات الكلست فتنتج عن الطحن الميكانيكي للأصداف أو تفكك الأحجار الكلسية. ويصنف الرمل حسب نوعية العناصر المكونة له :

- الرمل الكوارتزي (مكون من حبيبات المرو)
- الرمل الكلسي (مكون من حبيبات الكلس)
- الرمل الفلسباري، البلقي، التبري، الخ ...

يتنقل الرمل بواسطة مجاري (الأنهار والويدان) والهواء بالاستدراج أو الإنتقال القفزي، مما ينتج عنه تكون كثبان رملية على شكل علامات النيم (Ripple- marks) ذات ارتفاع يصل إلى حوالي بعض السنتمترات إلى عشرات الامتار، متساوية التباعد، ذات انحدارات متقايسة (العباب، الأمواج المنتظمة) أو غير متقايسة (مجاري مدارج الأبحار، والهواء).

تتكون المرتفعات الرملية فوق قاع مفتت مهما كان قياس نسبة حبيباته (حبيبات صغيرة أو كبيرة) كلما بلغ التيار السرعة المتوسطة الكافية :

1) الوسط القاري، حيث تتوزع المرتفعات الرملية إما داخل المجال الصحراوي ذي المناخ الحار نهاراً والبادر ليلا، المتميز على العموم بامطار سنوية تقل عن 10 mm، وينطبق هذا على جنوب المغرب وبالأخص، جنوب الأطلس. وإما تتوزع كذلك داخل المجال الرطب، المتميز بمعدل للأمطار السنوية ينحصر ما بين 700 mm و1000 mm؛ ويتضمن القمم الجبلية والمناطق الشاطئية وكذا معظم سلسلة جبال الريف.

2) الوسط البحري حيث تظهر المرتفعات الرملية إلى عمق يزيد على آلاف الامتار.

3) الوسط المختلط، يمثل في مصب الأنهار، والشواطئ، حيث تتعرض مورفولوجيات المرتفعات الرملية إلى تغيرات ثابتة ناتجة عن كثرة تقلبات اتجاه التيارات.

يوجد الرمل بكثرة في الوسط القاري الصحراوي، وفي مجاري المياه (الأنهار)، والشواطئ الرملية. يعتبر الرمل أحد المصادر المهمة لمادة السيليس المستعملة في الكهرباء، والبصريات، وصناعة الزجاج، والخزف، والياف الزجاج والمقاومات، والمواد الساحجة، ويستعمل في صناعة المعادن كقوالب لذرف الحديد والصلب، وكذلك في الصباغة والمطاط والجبس والصابون والزفت.

يعتبر الرمل في حد ذاته مادة مهمة للبناء. أما بالنسبة للمغرب، وإذا ما استثنينا بعض المناطق كالنجد الساحلي، والمغرب الشرقي، ومضيق طنجة، فنجد أن الرمل الصالح للاستعمال في البناء موجود بكثرة في جميع أنحاء المملكة المغربية.

أنتج المغرب سنة 1976 ما يزيد على 11 مليون طن من الرمل والحصباء للبناء وكذا لانشاء الطرق. استعمل المغرب أكثر من 285 مليون طن ما بين الرمل والحصباء في المدة ما بين 1973 و2000. لقد بينت الدراسات الجيوتقنية أن مناطق النطاق الأطلسي ومضيق طنجة والمغرب الشرقي والتي تعتبر من أكثر الجهات استهلاكا لمادة الرمل، فهي تفتقر لهذه المادة، ولا توجد إلا في الكثبان الرملية الساحلية والتي يجب المحافظة عليها وحمايتها للدور الذي تلعبه في المحافظة على التوازن البيئي. فماعدا هذه المنطقة فيتوفر المغرب على ما يكفيه من الرمل المستعمل في البناء.

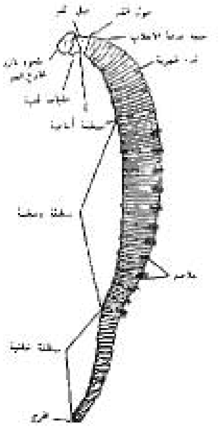
A. Foucault, et J.F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*, 3ème, Paris, 1988 ; E. Saaïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français-arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; Rudolf Duda et Lubos Rejl, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (substances métalliques et non métalliques)*, 2ème éd., t. 1, Rabat, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains*

(*Phosphates*), 2ème éd., t. 3. Rabat ; *Mines, Géologie et Energie, Publications de la Direction des Mines, de la Géologie et de l'Energie*. (Ministère de l'Energie et des Mines ; - *Eléments de la Géologie du Maroc*, n° 41, 1977, - *Marbres et roche ornementales*, n° 45, 1979 ; *Bulletins mensuels de la conjoncture minière*, Ed. Ministère de l'Energie et des Mines, Direction des Mines ; Daniel Reig, *Dictionnaire Arabe-Français, Français-Arabe, As-Sabil*, 1986 ; Lapadu-Harques P., *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; A. Michard, *Eléments de géologie marocaine*, Rabat, 1976.

عبد الله بوصحابة

الرملية، من الديدان الحلقية أي تلك التي يتكون جسمها من العديد من الحلقات خلافا للديدان الأخرى منها المسطحة والخيطية والدولابية والتي تتميز بجسم غير مقسم إلى حلقات.

والرملية من متعددات الأهداب أي الحلقيات التي تتوفر في كل حلقة جدرية على العديد من الأهداب الصرفة محمولة على زوج من الأرجل الجانبية خلافا لقليلات الأهداب أو عديمات الأهداب، وهي أقسام اخرى للحلقيات، والتي لا تتوفر على أقدام جانبية وحتى الأهداب إذا وجدت فهي مزروعة مباشرة في الجلد.



يتكون جسم الرملية من ثلاث مناطق : منطقة رأسية عديمة الحواس ومتكونة من بعض الحلقات فقط (7 على الأكثر) لا تحمل لا لواحق ولا مجالس ولا أعين وذلك نظراً لأن الرملية تعيش داخل أنفاق فهي ليست لاحمة ولا من المفترسات الذي تطارد فرائسها حيث بفعل التطور فقدت حواسها كل فعالية وبالتالي كل وجود. ونظراً لأنها فقدت كل "أسلحتها" وكل آلات الصيد فهي بالتالي تقتصر في تغذيتها على بلع كميات من الرمل المشبع بالمواد العضوية التي تبقى داخل الجسم لتمده بالطاقة الحرارية لكل مراحل الحياة بينما الرمال على شكل حبات "مغسولة" يلقى بها من الشرج في النفق ومن النفق إلى الخارج حيث يدل وجودها في الشواطئ الرملية على وجود الرمليات داخل أنفاقها.
أما المنطقة الوسطى لجسم الرملية فهو عبارة عن تتابع العديد من الحلقات المتشابهة (حوالي 20 حلقة) تحمل كل منها زوجا من الأرجل الجانبية والتي تحمل بدورها أهدابا عديدة إلا أن هاته الأهداب بدلا من أن تؤدي وظيفة المساعدة على التنقل والسباحة التي خلقت من أجلها فهي فقدت ليونتها وانسيابها وأصبحت إبرية الشكل وذات تلاليب تمكن الرملية من التمسك وبشدة داخل أنفاقها حتى لا تحملها الأمواج أو التيارات المائية.

أما المنطقة الثالثة والأخيرة فهي عديمة الأرجل والأهداب، عدد حلقاتها غير ثابت وتحمل الشرج. تتنفس الرملية كباقي الحلقيات المائية عن طريق جلد الجسم والأرجل الجانبية حيث من خلالها تمنح الأكسجين الذائب في الماء.

نظراً لطبيعة ونمط عيش الرملية أي كونها تتغذى على المواد العضوية الموجودة في الماء والرمال فهي حيثما وجدت فإنها تكون دلالة على وجود هاته المواد العضوية حيث إنها لا يمكن أن توجد في مكان خال من هاته المواد. وبالتالي فإن كثافتها وتكاثرها في مكان لم تكن موجودة فيه من قبل هو دليل بيولوجي وبيئي على إشباع الوسط بالمواد العضوية ولذلك فإن جل الاختصاصيين يعتبرون هاته الدودة دليلا على التلوث. وبما أن هاته الدودة قد يبلغ حجمها أكثر من 20 سنتمترا فإن الصيادين التقليديين يتهافتون غالبا على استخراجها من الرمال ليستعملوها كطعم لاصطياد السمك.

P. Fauvel, 1923/27 *Faune de France, Polycheter errante/sédentaire*, 1-488/1-994 ; Anonyme, 1973, *Annelide, Sciences* n° 27.

محمد منوي

الرمّاس، مبارك مقاوم من مواليد سنة 1908 بدوار آسا. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1377 / 1957 بمنطقة الجنوب حيث شارك في عدة معارك وهجومات منها معركة مركالة ورغيوة وام لعشار ضد الاستعمار الفرنسي ومعركة تولاشت بأيت باعمران ضد المستعمر الإسباني.

استجاب لنداء ربه بتاريخ 25 شعبان 1415 / 26 يناير 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

ابن **الرمّامة، محمد** بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي أصله من قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط، وانتقل إلى مدينة فاس واستوطنها.

أخذ أولا بالجزائر عن خاله أبي طاهر بن محشرة، وأبي إسحاق بن حماد، وأبي عبد الله بن الطيب الكلبي وأبي حفص التوزري. ولازم الصوفي الشهير أبا الفضل ابن النحوي (ت. 513) وتفقه عليه كثيراً. ثم دخل الأندلس

16

فأخذ عن أبي بكر بن العربي المعافري وأبي الوليد ابن رشد الجد وأبي بحر الأسدي، وأجازه غيرهم مراسلة.

ذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه "كان حافظا للفقه نظارا فيه بارعا في معرفة أصوله، ماهرا في استنباط معانيه، شافعي المذهب معولا على بسيط الغزالي واقفا على عيونه. مبرزاً في الكلام على نكته" (الذيل) وإلى جانب علمه كان من أهل الفضل والورع والزهد والنزاهة. ولاشتهار فضله بين أهل فاس قام أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين باستدعائه إلى مراكش فصار من أخص أعضاء مجلسه. تم قدمه للقضاء بفاس سنة 533، فسار فيه بأعدل سيرة، واشتد في حماية الحقوق، لكنه لم يلبث أن استعفى سنة 535. وتفرغ بقية عمره لنشر العلم والاشتغال بالتدريس. وكان من المنقطعين إلى العلم، محببا إلى طلابه، محسنا إليهم. وكان الطلبة يرحلون إليه من مناطق متعددة للأخذ عنه بفاس، لذلك فإن لائحة الآخذين عنه من الأندلسيين والمغاربة طويلة.

انكب على التأليف، فألف في الفقه كتاب تسهيل المطلب في تحصيل المذهب، وكتاب التبيين في شرح التلقين، للقاضي عبد الوهاب في الفقه المالكي، والتفصي في فوائد التقصي لابن عبد البر، ووضع مختصرا نبيلا في أصول الفقه، وفي التصوف اختصر كتاب الإحياء، لأبي حامد الغزالي.

ولد سنة 449 / 1057، وتوفي سنة 567 / 1172.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. ع. السلام الهراس، الدارالبيضاء، ج. 2، ص. 158 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984، ج. 8، ص. 325 ؛ أ. ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. ع. لسلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، القسم الثالث، 1993، ص. 21، 22.

محمد الغزاوي

الـرُّمّـان، شجر مثمر معروف من فصيلة الرمانيات Punicaceae. واسمه العلمي هو بونيكا گرانائوم Punica granatum لا يتعدى ارتفاع شجرة أو جنبة الرمان 10 م، وهي ذات أغصان شبه مشوكة. أوراقها نفضية تتساقط في فصل الشتاء، مرتبة في أزواج أو مجموعات متقابلة، بيضوية الشكل، ملساء لامعة. أزهارها تنمو في أطراف الأغصان، ذات لون أحمر قان، كبيرة الحجم، مشكلة من كأس أنبوبي أحمر اللون ولحمي، ومن 5 إلى 7 بتلات، ومن عدد كبير من الأسدية. ثمارها لحمية، صفراء محمرة، مستديرة، ذات قطر يتراوح ما بين 5 و12 سم، مقسمة من الداخل إلى عدة حجرات تحوي عدداً كبيراً من البذور المكسوة بلب طري.

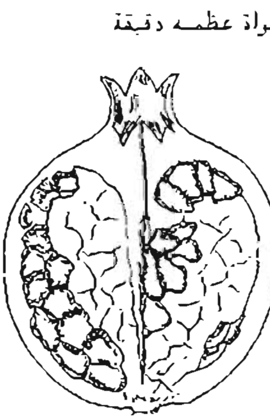
الموطن الأصلي للرمان هو الجهة الشرقية من المنطقة المتوسطية وشبه الجزيرة العربية وإيران. ولا يعتقد وجوده طبعيا بالمغرب أو حتى بصفة عامة في الجهة الغربية من المنطقة المتوسطية. من المعتقد حسب بعض العلماء أن الرمان المغروس تأصل من الرمان البري الذي يصادف طبيعيا كنوع تبـي في جزيرة سوقطرة بجنوب اليمن.



زهرة الرمان

زرع الرمان منذ أقدم العصور، فازدهرت زراعته في كل أنحاء المنطقة الأسيوية الجنوبية والمنطقة المتوسطية. اشتهرت به حدائق بابل المعلقة المشهورة. وفي القرون الأخيرة أدخل الرمان إلى المناطق الحارة وشبه الحارة من أمريكا وأستراليا.

يحوي الرمان عدة ضروب تختلف بأذواق ثمارها. ومنها السفري والعظمي والسلطاني والرحدي والقمحي والليمونة... وثمرة الضرب الأول أكثر لذة وذات بذور غليظة لحمية ونواة عظمية دقيقة.



سر الرمان

يغرس الرمان في كل المناطق المغربية الدافئة أي في الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافيء، من الساحل المتوسطي إلى واحات درعة وتافلالت. وزراعته مسقية في كل هذه المناطق. ولهذا نصادف غراسة الرمان عادة بجوانب السواقي التي تمر محاذية للبساتين. وفي هذه الحالات تعتبر سطور أشجار الرمان كسياج أخضر يحد من الدخول إلى البستان المحاط بهذه الأشجار المثمرة.

ثمار الرمان جد محببة عند الإنسان المغربي. يؤكل اللب أو يعصر ليعطي عصيراً أرجوانيا.

تستعمل قشرة الجذور والجذع والثمار في التطبيب

التقليدي نظراً لكونها تحتوي على نسبة كبيرة من مادة الدباغ المستخدمة أيضاً في صباغة الصوف لصنع الزرابي، ودباغة الجلود وغير ذلك.

أبحاث شخصية : ألبرت هيل. 1962. تر. عبد المجيد زاهر وآخرون. *النبات الاقتصادي*، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك.

J. Bellakhdar. *La pharmacopée marocaine traditionnelle*. Paris, 1997 ; L. Emberger. *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*. Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

الرُّمّان، أسرة تطوانية ويُكتب أيضا رُومَانْ، أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Roman ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1141 / 1729.

محمد ابن عزوز حكيم. *كشاف أسماء عائلات تطاون : المراجع العربية الأجنبية* في الرقم 723.

محمد ابن عزوز حكيم

الرمّاني (حوض -) يمثل حوض الرماني من الناحية المرفونيوية، منطقة اتصال بين الدرج الانتقالي للهضبة الوسطى المشرف ببنيته الكرانيتية الهيرسينية، على الدرج الأسفل، ذي الغطاء الرسوبي الترياسي والنيوجيني شماله. (الشكل : 1). كما يحتل بنيويا، منطقة اتصال بين المركب المقعري الغربي، الفيزي لسيدي بطاش، الممتد عند الهوامش الشمالية الغربية للهضبة الوسطى والمركب المحدبي الدبفوني بالأساس لخريبگة - والماس الممتد شرقا، جنوب الحوض (Michard, 1976).

ما يميز حوض الرماني في الدرج الأسفل، كونه يشكل امتدادا هامشيا، جنوبيا غربيا لحوض بوفكران - الخميسات - المعازيز الترياسي. باتجاه ج غ / ش ش. يحده من الغرب وادي كريفلة، من الجنوب الأعراف الكوارتزتية الأوردوفيسية، التي تحد جنوبها هضبة الغوالم الكرانيتية الهرسينية. أما من الشمال فتحد الحوض، هضاب مرشوش وأحد لبراشوة النيوجينية.

كما يشكل الحوض من الناحية البشرية، منطقة اتصال بين مجال انتشار قبائل زمور في الشمال الشرقي ومجال قبائل زعير في الجنوب الغربي.

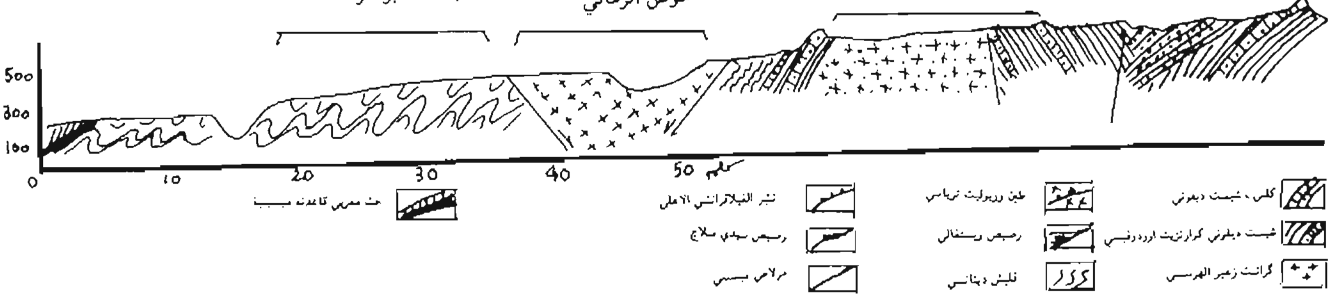
مجال حوض الرماني ضيق. إذ لا يزيد عرضه عن 5 كلم. تتميز سفوحه باللاتماثل. لأن السفوح الشمالية بعكس الجنوبية، طويلة ومقعرة. تشكلت عند قدمها حادورات في الطين والبازلت الترياسيين، اللذين تعلوهما بتنافر إفريزات، توافق دكة كلسية ميو - بليوسينية. يصبح انحدار هذه السفوح مركبا، جهة الغرب والجنوب الغربي، لكونها تشكلت في صخور الزمن الأول الحثية والشيستية. وبالقرب من الحوادث البنائية على طول مجرى وادي خنوسة.

يبلغ مدى انخفاض سطح قعره، مقارنة بسطوح الهضاب المشرفة عليه حوالي 170م. مع انحنائه الخفيف، من الجنوب حيث لا يفوق ارتفاعه 480م نحو الشمال بارتفاع 390م. تتخلله تلال ومتون وأكمات شاهدة. بسلح قممها الكلس الميوسيني الصلب (مثال : المعدن، الكارة 490م، الكعدة 450م) (الشكل، 2).

مناخيا، يوجد حوض الرماني حسب تصنيف أمبرجي (الشكل، 3)، ضمن النطاق شبه القاحل. فصل شتائه معتدل، بتساقطات مطرية لا يزيد معدلها السنوي عن 420 مم. مقابل حرارة تتراوح معدلاتها، ما بين 10° كحرارة دنيا و26° كحرارة عليا. وهو بهذا يطابق حسب البيان المناخي النباتي (الشكل، 3) لـ Beaudet (1969) ميدان الماطورال (الناصري، 1987).

إلا أن واقعه النباتي الحالي، يوجد في وضعية جد متدهورة، نتيجة تعرضه لاجتثاث شامل ومنهجي. استفحل مع احتلال الاستعمار الفلاحي الفرنسي للحوض. في الوقت الذي تتحدث فيه الدلائل التاريخية عن توفره على غطاء غابوي كثيف، قبل 1400 سنة (C. Rougier, 1985).

يكون الحوض من الناحية الهيدرلوجية، منطقة اقتران شبكة مائية ضعيفة. تصرف جزءاً من مياه الدرج الانتقال



موقع منخفض الرماني الترياسي لمجال هضاب زعير العليا والسفلي

لهضاب زعير العليا في الجنوب، بحيث تتجه تبعا لامتداد الحوادث البنائية وأهمية سمك الرواسب الترياسية. تتمثل هذه الشبكة بداخل الحوض، في أودية صغيرة ؛ أهمها مجرى وادي مشرع، الذي تكون نتيجة اقتران مجاري خنوسة، سبيضة وهنتاتة ثم العريض، قبل أن يصب جهة الشمال الغربي في وادي كريفلة. هذا بالإضافة إلى مجرى وادي مويلحة الموسمي، الذي يصب في واد كرو في ش شـ. إنها أودية تمكنت من إفراغ وتشكيل الحوض بشكله الدائري، خلال الزمن الرابع (Beaudet, 1969، الناصري، 1987).

عرف حوض الرماني تطوراً مورفوبنيويا. استمر طويلا، منذ الزمن الأول حتى نهاية الزمن الثالث. مع استمرار تحكم القاعدة الهرسينية في تشكيل مرفلوجيته. فنهاية حقبة الديفوني، تعتبر مرحلة حاسمة في انطلاق التطور الباليوجغرافي الطويل للمنطقة، حيث تعرض مجال الدرج الانتقالي من الهضبة الوسطى لرفع بنائي، أصبحت على إثره وبشكل نهائي منطقة قارية، في الوقت الذي ظل فيه حوض الرماني ضمن خليج الرباط (Choubert, 1951) والهوامش الشمالية الغربية للمنطقة، تحت مياه بحار العصر الفيزي الأسفل والأوسط. لكن عند نهاية الفيزي الأعلى، تراجع البحر بصفة نهائية عن المنطقة، تحت تأثير الحركات الهرسينية. ليدخل مجال حوض الرماني بدوره، تحت تأثير تطور قاري. تميز بتطور مرفوتشكالي، وتسطيح عام، استمر حتى حقبة الترياس الأعلى، الذي زامن بداية انفتاح المحيط الأطلنتي (A. Michard, 1976). وذلك بفضل الحركات الهرسينية الانكسارية، التي جعلت من مجال الرماني، منطقة ضعف بنائي، تحكمت في نشأة الحوض الترياسي به لاحقاً.

تزامنت الرواسب الترياسية البحرية الضحلة (Lucas, 1962)، التي ترجع إلى فترة Keuper (Termier et al., 1949)، مع ظروف مناخية حارة ورطبة. يشهد عليها انسجام سمكها في الحوض، وتميزها بتداخل الرواسب الطميية - الطينية (الناصري، 1987) مع البازلتية من نوع الدوليريت والبيلولافا، والذي يعني تنافس الحركات التهدلية وعمليات الترسيب داخل الحوض. لكنها رواسب قارية في الأصل. موروثة عن فسخات تطورت تحت ظروف مناخية عدوانيتها متوسطة. سمحت بأكسدة الحديد الموجود بنسبة مهمة في صخور القارة الهيرسينية. كما أن ضعف نسبة الطين بهذه الرواسب وضعف نسبة طين الكلوريت، بالإضافة إلى ندرة الأملاح وغياب الأطيان الليفية، مؤشرات على ضحالة مياه الحوض الترياسي، واعتدال الظروف المناخية فوق الأوساط القارية المحيطة به (الناصري، 1987).

غياب الرواسب الجوراسية ولا سيما الكريتاسية، يشير إلى أن المنطقة كانت بارزة ومشرفة. لكونها تعرضت لرفع عام دام حتى الكريتاسي الأعلى، جعلها أراضي مشرفة فاصلة بين الأخدود - جنوب - الريفي في الشمال والخليج الكريتاسي لإقليم الشاوية في الجنوب. تعرض مجال حوض الرماني من جديد، خلال الإيوسين والأوليكوسين لحركات رفع. جعلته يعرف تطوراً قارياً تعروياً دام حتى الميوسين الأعلى. نجم عنه تشكيل سطح تحاتي عام، قبل أن يتعرض للتهدل، ضمن الهوامش الشمالية الغربية للدرج الأسفل، ليسمح بتقدم الغمر البحري من الشمال خلال الميوسين النهائي(Vidal, 1986).

لكن دور الحركات البنائية البليوسيني كان حاسما، لكونها أدت إلى حدوث تفاوت مرفوبنيوي. سمح بإشراف الدرج الانتقالي للهضبة الوسطى على درجها الأسفل.

رغم ضعف سمك الرواسب الميسينية الكلسية، فإنها مازالت تلعب دوراً مرفلوجيا فاعلا. إذ تعمل على انسجام وتسليح سطوح الهضاب، الموافقة لامتداد ظهوراتها أكسبها نوعا من المناعة تجاه الأساليب المورفوتشكالية. كما سمح بتطور أتربة طينية غنية بالقواعد، عملت على جلب السكان واستقرارهم بالمنطقة منذ زمن طويل.

خلال البليوسين الأعلى، تعرضت المنطقة لرفع بنائي، بمعاودة نشاط الحوادث الهيرسينية والترياسية داخل حوض الرماني على الخصوص. وافقه حدوث تحول بيومناخي، أخذ ينزع نحو الجفاف. أدى إلى إزالة الفسخات والأتربة التي تطورت سابقا، وتحريكها على نشر، نسيجه غير منسجم تغلب عليه الخشونة، يعرف بالنشر الفيلافرانشي (Beaudet, 1969). مشيراً إلى بداية تعمق الشبكة المائية في سطوح الهضاب النيوجينية، وانطلاق تشكيل وديانها ومنخفض الرماني، وبالتالي خلق تفاوت مرفوتشكالي بين سطوح تلك الهضاب وقعور الوديان ومعها منخفض الرماني، تراوح بين 150م و200 م. ومن ثم بداية التطور المرفلوجي للأحجام التضاريسية الحالية للمنطقة، ضمن مجال هضاب زعير السفلى.

من أهم نتائج التطورات السابقة، نشأة مشهد مرفوترابي متنوع (الشكل : 4). ارتباط تطوره بتنوع الركائز الصخرية، والأوساط المرفلوجية الموافقة لها.

فالبروزات الأولية، سمحت بتطور نوعين رئيسين من الأتربة ؛

- أتربة ضعيفة التطور ومبتورة. مهدرتة قاعدتها متحددة. متعددة الأصول والمراحل. يحتوي قطاعها المرفوترابي الكامل على المسكات التالية : (A) الرملية السطحية، مروراً بدرع حديد - منغنيزي (Fem) ومسكة متطينة مهدرتة (BTg) ثم (C) قبل الوصول إلى القاعدة الشيستية.

ينتشر هذا النوع من الأتربة، بصفة مفضلة فوق السطوح المشكلة في الظهورات الشيستية الكتومة، وحيث ظروف التصريف عسيرة ؛

ـ أتربة سمرة متطورة يضم قطاعها مسكة رملية (A) ومسكة سمرا، فاتحة رمل ـ طينية، بنيتها جلطية ومتقعه (BT) ثم مسكة (C) كفسخة للكرانيت مبقعة بالأحمر والأصفر تحت ظروف الهدرنة. تطورت هذه التربة فوق الفسخات الرملية الكرانيتية، لهضبة القوالم الشرقية جنوبا ؛

أما فوق سطوح الهضاب الكلسية، فقد لعبت الكاتيونات الكلسية والأطيان النفوخة، دوراً حاسماً في تطور أتربة غنية، تبعا لظروف التصريف، التي يمكن أن نميز بفضلها ثلاثة أنواع من الأتربة وهي :

ـ أتربة قلوبة من نوع التيرس السودة يحتوي قطاعها على مسكات (C، B، A). تنتشر في مواضع منخفضة ومنبسطة، تصريفها ضعيف. حيث توافق مجالات امتداد بروزات الكلس الميسينية وفسخات البازلت الترياسي. الغنيين معا بطين السمكتيت :

ـ أتربة محمرة متحدسلة، تطورت في هوامش الهضاب الكلسية، وفي مواضع بارزة، حيث التصريف جيد، وفوق الصخور الكلسية ذات النفاذية العالية. أتربة متطورة، كما يشير إلى ذلك تمايز مسكاتها ؛ (A2، A1 وBT2، BT1)، قبل الوصول إلى القاعدة الممثلة في الحث ـ الكلسي الميسيني

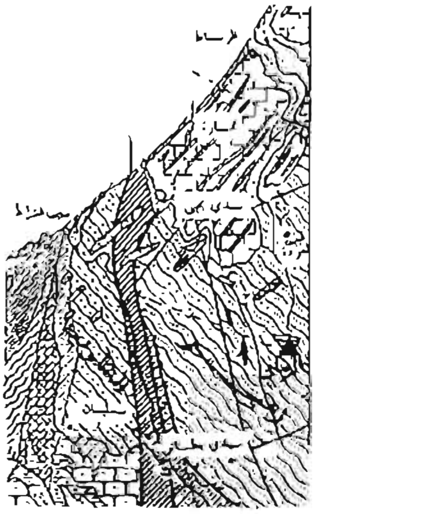
ـ أتربة سمرا، كلسية من نوع الشرسا،، ارتبط تطورها بهوامش الهضاب والانحدارات الهمة، فوق البروزات الكلسية الميسينية والبازلت الترياسي. وهي أتربة ضعيفة التطور. قطاعها بسيط لا يتعدى سمكه 60 سم. غالبا ما تتميز بتطور قشرة وشاحية. بل أحيانا ظلفاء كلسية عند قاعدتها.

الملاحظ، أن تطور الترباث السمرا، ينحصر في المواضع الأكثر انبساطا. في حين تنتشر تربة الترسا،، التي تحتوي على كسارات القشرة الكلسية. في المواقع المنحدرة.

G. Beaudet. *Le plateau central marocain et ses bordures. étude géomorphologique*. Thèse de doctorat es-lettres, 478 p. 125 pl, 28 fig. 4 carte, 1969 ; G. Choubert. *Essai de chronologie hercynienne. N.S.G.M.*, t. 4, 1951 ; H. Ghanem. *Contribution à la connaissance des sols du Maroc. Genèse, classification et répartition des sols des régions des zones de la basse-Chaouia et des Shoule*. Thèse. Cah. Rech. Agro. 2 t. 481 p 1981 ; J. Lucas. *La transformation des minéraux argileux dans la sédimentation, étude sur les argiles du Trias*. Mém. Serv. *de la carte géol. Als. et Lorr.* n° 23, Univ. Strasbourg, 202 p. 49 fig. 7pl. 1962 ; A. Michard. *Eléments de géologie marocaine. N.M.S.G.*, 1976 ; G. Naciri. *Etude géomorphologique de la cuvette Romani et ses bordures nord et sud*. Thèse de 3ème cycle. Univ. Med. V. Rabat (en arabe). 1987 ; C. Rougier. *Altération, pédogenèse et paléopédogenèse sur massif granitique des Zaer (Maroc central)*. Thèse 3ème cycle, Univ. Bordeaux I, 208 p. 1985 ; H. Termier. G. Termier. *Mode de gisement des basaltes "Permo-triasique" au Maroc. B.S.S.G.*, t. XIX, pp. 111 - 134, 1949 ; J.C. Vidal [et al...], *Carte géologique de Rommani*. 1 / 100 000 Rabat, 1989.

محمد الطبلسان

الرمَّاني، مدينة صغيرة تقع جنوب الرباط بحوالي 80 كلم على الطريق الرئيسية رقم 22 الرابطة بين الرباط ووادي زم كانت تسمى خلال فترة الحماية Camp Marchand نسبة للعقيد Marchand الذي قتل بالمنطقة على يد المقاومين الزعريين إبان التدخل العسكري الفرنسي يوم 14 يناير 1911 على بعد حوالى كيلومترين من قصبة مرشوش. وأسس الفرنسيون مركزاً عسكرياً بالمنطقة اختاروا له موقعا استراتيجيا في وادي زبدة العميق حتى يكون محميا بالتلال المحيطة به، ومنه تنطلق العمليات العسكرية لاحتلال ما تبقى من أراضي زعير وللتوغل في تراب زمور وزيان وبني خيران.



أصبح مركز Marchand دائرة تراقب كل بلاد زعير منذ 24 غشت 1916 وباستقرار الإدارة الفرنسية والمعمرين أصبح عدد سكان هذا المركز سنة 1936 : 1150 نسمة موزعين على الشكل التالي :

المغاربة	1.031
الفرنسيون	109
الأجانب	10

ارتفع عدد السكان سنة 1952 إلى 1556 نسمة منهم 248 أجنبياً.

أما من حيث التنظيم الإداري فقد كان المركز سنة 1921 مقرا للمراقبة المدنية التابعة لجهة الرباط يراقب جميع قبائل زعير وعددها 19 قبيلة موزعة على 14 قيادة. وفي سنة 1937 أصبح المركز تابعا لدائرة الرباط يراقب 17 قبيلة موزعة على 4 قيادات. أما باقي القبائل فأصبحت تابعة لمركز مولاي بوعزة.

أصبح هذا المركز بعد الاستقلال يحمل اسم "مدينة الرماني" نسبة لبساتين الرمان المنتشرة بوادي زبيدة. بلغ عدد سكان المدينة حسب إحصاء شتنبر 1994 : 11.433 نسمة ويبلغ معدل الولادة بها 3.94 ٪ بينما وصل عدد الوفيات 28٪ ينقسم السكان حسب فئة الأعمار على الشكل التالي :

من 1 إلى 15 سنة	50٪
من 26 إلى 50 سنة	40٪
أكثر من 50 سنة	10٪

تتوزع أنشطة السكان على ثلاثة قطاعات : التجارة والصناعة ويشغلان حوالي 40٪، والفلاحة 35٪ بينما 25٪ المتبقية تشتغل في البناء وأنشطة متفرقة.

تشكل مدينة الرماني اليوم دائرة تراقب سبع قيادات أهمها عين السبت والبراشوة ومرشوش، تبلغ مساحتها 3516 كلم2 يسكنها حوالي 81.729 نسمة وهي تابعة لإقليم الخميسات جهة الرباط، سلا، زعير، زمور.

م. ابن سودة، *قبيلة زعير قديماً وحديثاً*، الدار البيضاء، 1977 ؛ *Guide des Communes*, Rabat, 1991 ; *Le Maroc catholique*, n° 3, mars 1942 ; *Organisation territoriale du Maroc et commandement indigène au 1er nov. 1921 et 1er janvier 1937* ; Robet (J.-T.), *Dictionnaire des villes et localités du Maroc*, Rabat, 1936 ; *Villes et tribus du Maroc*.

صالح شكاگ

الرموز، ويكتب أيضاً الراموش أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ramos ؛ وإلى هذه الأسرة التي انقرضت بتطوان تنسب إحدى أبواب المدينة وهي باب الرموز.

وقد انجبت هذه الأسرة عدة فقهاء لم نعرف منهم أحداً باستثناء :

الرموز، علي بن محمد الذي كان يزاول خطة العدالة من سنة 1086 إلى 1090 (1677 - 1679).

الرموز، عليوة بنت العدل المذكور التي كانت أول امرأة أسست حبساً لمعالجة اللقالق سنة 1091 (1680).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 726.

الرمُون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Remon ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1183 / 1770.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 727.

رَميرُو ويكتب أيضاً الرْمير أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Romero - Remiro ؛ وأما أفراد هذه الأسرة الذين مكثوا بالأندلس بعد سقوط غرناطة فقد أرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Arumiru - Rumiru ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 728.

الرْمِيز، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ramis ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1177 / 1764.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 729.

محمد ابن عزوز حكيم

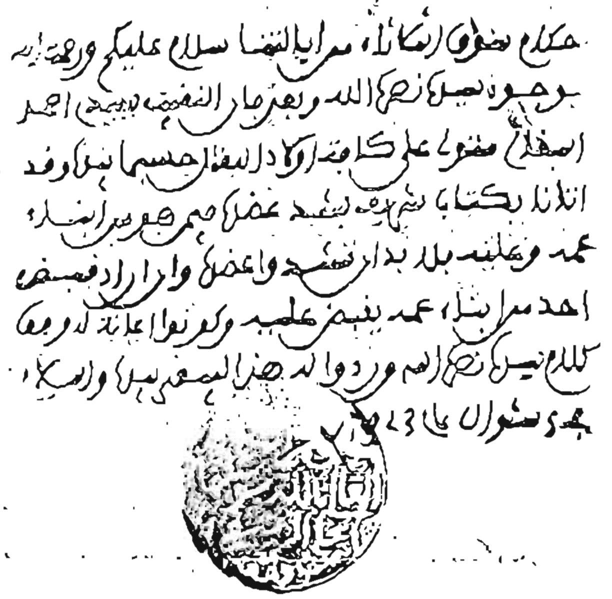
الرميزة، المحجوب بن الحسين مقاوم ولد سنة 1936 بمراكش وانخرط في صفوف جيش التحرير المغربي منذ سنة 1954 وعمل تحت قيادة السيد العمراني، وذلك ضمن فرقة الأطلس الكبير بعدما كافح بغفساي ومكتب ثلاثاء يعقوب ثم بناحية مراكش. وقد ناضل بكل نزاهة وإخلاص في سبيل الوطن إلى أن استشهد بطريق الدار البيضاء، حيث كان يقوم بمهمة فدائية وذلك في أوائل سنة 1956/1376.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

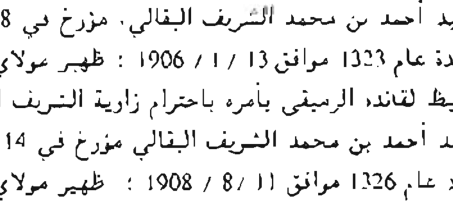
الرميقي أو الرميقيون، أسرة قصرية أصلها من دوار العنابسة بالغرب. كانوا يشتغلون بالفلاحة، وبعضهم كان مخالطا للتجار الايطاليين، ويقال إن بوسلهام الرميقي كان قائداً في منطقة الغرب قبل انتقاله للقصر. واعتماداً على الظهائر والرسائل التي نملك بعض أصولها، والنسخ التي حصلنا عليها من عدة أسر، وبعضها زودنا بها سالم الرميقي من الأسرة نفسها توصح أن القائد بوسلهام الرميقي استقر في البداية في "عدوة" أو حي باب الواد بالقصبة قرب الجامع الأعظم بمدينة القصر الكبير، ثم انتقل إلى زنقة القطانين قرب سبعة رجال، حيث بنى مقراً حكمته عبارة عن دار ورباض وسقاية.

الرميقي، بوسلهام (الحاج -) الخلطي القصري، قائد الغرب والقصر الكبير، لم نحصل على تاريخ التعيين الأول ولكن لدينا ما يثبت تقلده لمنصب القيادة وهو على الشكل التالي :





رسالة منه كقائد إلى حاكم سوق الثلاثاء بالغرب مؤرخة بـ3 شوال 1323 موافق 1 / 12 / 1905 : ظهير مولاي عبد العزيز لقائده الرميقي يأمره باحترام زاوية الشريف البركة السيد أحمد بن محمد الشريف البقالي، مؤرخ في 18 ذي القعدة عام 1323 موافق 13 / 1 / 1906 : ظهير مولاي عبد الحفيظ لقائده الرميقي يأمره باحترام زاوية الشريف البركة السيد أحمد بن محمد الشريف البقالي مؤرخ في 14 رجب الفرد عام 1326 موافق 11 / 8 / 1908 ؛ ظهير مولاي عبد الحفيظ بمثابة تعيين للقائد بوسلهام بن علي الرميقي على مدينة القصر الكبير، مؤرخ في 13 رمضان عام 1327 موافق 27 / 9 / 1909 ؛ ظهير خليفي لتعيين القائد الحاج بوسلهام الخلطي الرميقي على قبيلتي الخلط والطليق مؤرخ في 3 رجب عام 1331 موافق 7 / 6 / 1913.



توقيع القائد الحاج بوسلهام الرميقي
قائد الغرب وباشا القصر الكبير

لقد رأينا أن الحاج بوسلهام الرميقي هو الذي كان قائداً وباشا القصر الكبير وقبائل الخلط والطليق. غير أن فترة 1909 - 1910، شاهدت صراعا بين الرميقي والريسوني، وذلك بعد تعيين مولاي أحمد الريسوني على المناطق الجبلية بتاريخ 22 / 2 / 1909. وعلى القصر الكبير بتاريخ 14 جمادى الأولى 1328 موافق 3 / 6 / 1910. (*الشريف الريسوني والمقاومة*، ص. 21). وقد تم تنصيبه عمليا بالقصر الكبير في 20 / 7 / 1910 عن طريق الوزير أحمد الجاي. واستقر الريسوني بالقصر مدة قصيرة انتقل بعدها إلى أصيلا.

في هذه الفترة وقع صراع مسلح بين الطرفين، وانحازت قبائل الخلط والطليق لصالح الرميقي رافضة الريسوني. والصراع كان ترجمة للصراع على العرش بين مولاي عبد العزيز الذي كان له نفوذ في الصويرة والجديدة والمنطقة من طنجة إلى ما وراء الرباط، حيث بقي الرميقي وفيا لمولاي عبد العزيز، بينما انحاز الريسوني إلى مولاي عبد الحفيظ. في هذه الظروف كان الصراع على أشده بين إسبانيا وفرنسا على احتلال العرائش والقصر، وهو ما حدث دون مقاومة في العرائش 8 يونيو والقصر 10 يونيو.

الرميقي، عبد السلام باشا أصيلا كان عبد السلام ابن القائد بوسلهام الرميقي باشا على مدينة أصيلا، وذلك حسب الظهير الخليفي لمولاي المهدي بن إسماعيل المؤرخ في 25 جمادى الثانية عام 1650 موافق 7 / 11 / 1931.

الرميقي، محمد اللالي قائد الحركة وباشا القصر الكبير. ولد في قرية عين سخون (اللاسمونة) حوالي سنة 1304 / 1886 اشتغل مع عمه القائد الحاج بوسلهام سابق الترجمة في الحركة للسيطرة على القبائل الجبلية، ثم أصبح قائداً لها وخليفة لعمه في القبائل التابعة له. ويوجد ظهير خليفي لمولاي المهدي بن إسماعيل، يعيّن بمقتضاه محمد اللالي الرميقي على القبائل الجبلية وهي : قبيلة آل سريف، وبني گرفط، وبني يسف، وبني زكار، وصمانة بتاريخ 19 شوال 1337 موافق 18 / 7 / 1926 ؛ ظهير خليفي آخر لمولاي المهدي بن إسماعيل، يعيّن بمقتضاه محمد اللالي الرميقي باشا على القصر الكبير بتاريخ 20 رمضان 1344 موافق 5 / 4 / 1926. بعد وفاة عمه الحاج بوسلهام الرميقي.

الظهائر والرسائل المشار إليها في النصوص السابقة : وثائق شخصية

محمد أخريف

الرّميلة (زاوية -) من زوايا درقاوة بمراكش تقع في حومة باب دكالة أسسها طائفة من مريدي شيخ الطريقة الدرقاوية بسوس الحاج علي الدرقاوي الإلغي بأمر منه

وهم : إبراهيم بن بارك الركايبي والحاج إدريس الورزازي والحاج العربي برادة والحاج حماد برادة ... وغيرهم (*المعسول*، 15 : 38) اشترى هؤلاء المريدون أرضا بحي الرميلة سنة 1327 (*المعسول*، 12 : 134) وبنوها في السنة الموالية ونزل بها الشيخ علي الدرقاوي أثناء سياحته الكبرى في سوس والحوز ومكث بها ثمانية عشر يوماً. وبقيت الزاوية قائمة بدورها في استقبال المريدين وإن بدا أنها فقدت مكانتها بعد رسوخ الحماية، حتى حلها محمد المختار السوسي ابن الشيخ علي الدرقاوي مرجعه من رحلته الدراسية التي قادته إلى فاس والرباط، فاستقر بها في محرم 1348 / يونيو 1929 وحول جزءاً منها إلى مدرسة مواصلا نهج والده في التوعية، مستعينا لبلوغ أهدافه بنشر المعرفة والعلوم والاعتزاز باللغة العربية وبالعقيدة الإسلامية السنية كما عرفها السلف.

لقد جاء افتتاح مدرسة زاوية الرميلة في سياق عمل الحركة الوطنية على تأسيس تعليم وطني حر مخالف للتعليم الرسمي الذي وضعته إدارة الحماية وهمّشت فيه كل ما يمت إلى الهوية الوطنية من مقومات إسلامية ولغوية واعتنت بترسيخ أفكارها وتصوراتها، فكان التعليم الحر وسيلة لمجابهة هذا المخطط. وهكذا أسست بمراكش تسع مدارس حرة تشرف عليها نخبة من الوطنيين المراكشيين (راجع أسماءهم في *الإلغيات*، 1 : 9) ويمكن التمييز في التاريخ التعليمي لزاوية الرميلة بين ثلاثة أدوار :

أ ـ الدور الأول : دور التأسيس والازدهار، وقد استغرق سبع سنوات من سنة 1348 / 1929 زمن حلول العلامة السوسي بمراكش وانطلاق عمله بالرميلة وينتهي بنفيه سنة 1355 وفي هذا الدور بدأ المختار السوسي عمله بالزاوية على غير قصد منه وإنما كان اهتمامه بالدروس في المساجد، غير أن تحلق التلاميذ الصغار من أبناء أسرته وأقاربه ثم أبناء جيران الحي حوله في الزاوية جعله يفكر في تنظيمها لتصير مدرسة نموذجية، وقد تولى إدارتها ابن عمه إبراهيم بن أحمد الإلغي (*الإلغيات*، 1 : 8)، واتسعت الدائرة لتتجاوز مدينة مراكش وجاءت وفود التلاميذ والطلبة من القبائل المجاورة كالشياظمة والرحامنة وعبدة بل من سوس والصحراء وهكذا تجاوز العدد الثلاثمائة.

ب ـ الدور الثاني : استغرق هذا الدور سنتين من 1355 حتى 1357 / 1936 ـ 1938 ويبدأ بنفي المختار السوسي عن مراكش إلى إلغ، وقد حاول طائفة من الطلبة الكبار الحفاظ على كيانها حتى عودة أستاذهم من منفاه، فقسموا بينهم المهام الإدارية والتعليمية، ودام عمل هؤلاء الطلبة نحو سنتين بالزاوية حتى أغلقتها إدارة الحماية في صيف 1357 / 1938 فتوقفت الدراسة بها (المعهد الإسلامي، 2 : 435).

ج ـ الدور الثالث : ويبدأ من آخر سنة 1364 / 1944 زمن رجوع المختار السوسي من منفاه بإلغ إلى مراكش، وعودته إلى زاوية الرميلة للتدريس بها وبمسجد باب دكالة حيث الدروس العامة، وقد عمل السوسي على إعادة المدرسة إلى سابق عهدها محافظا على المواد المدروسة وعلى مناهج التدريس وطرقه، فالتحق به طلبة جدد بلغوا أزيد من 100 (راجع لائحتهم في *المعهد الإسلامي*، 2 : 441) ولما نظّمت الدراسة بجامع ابن يوسف كان السوسي يعد طلبته للالتحاق بها قصد نيل شهاداتها الرسمية الثانوية ثم العالمية.

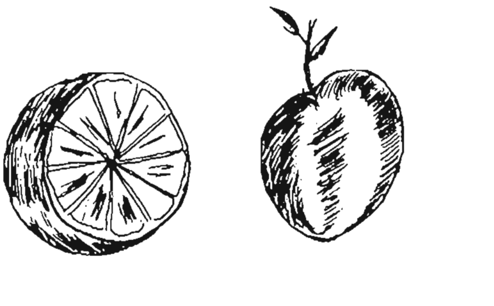
وقد انتهى هذا الدور بتوقف زاوية الرميلة نهائيا عن عملها التربوي والعلمي الذي استمر خمسة عشر عاما بانتقال المختار السوسي إلى الدار البيضاء عام 1370 / 1950 بعد توتر الوضع وعزم إدارة الحماية بمراكش على إلقاء القبض عليه بسبب تزعمه حملة جمع توقيعات للاحتجاج والمطالبة بالحرية. (محمد المختار السوسي حياته وشعره، ص. 100 ـ 101).

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج.2 ـ 12 ـ 15 ـ 16 ؛ *الإلغيات*، 3 أجزاء ؛ *الرسالتان البونعمانية والشرقية*، تطوان ؛ *ذكريات*، الرباط، 1405 ـ 1984 ؛ *إيليغ قديما وحديثا*، تح. م. الروداني، الرباط، 1386 ـ 1966 ؛ م. خليل، *محمد المختار السوسي حياته وشعره*، الدار البيضاء، 1406 ـ 1985 ؛ مصطفى الشليح وآخرون، *محمد المختار السوسي، سلسلة أعلام المغرب*، 1996 ؛ ع. المتوكل الساحلي، *المعهد الإسلامي والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، ج. 1 ـ 2، الدار البيضاء، 1986 ؛ *المختار السوسي، الذاكرة المستعادة*، ندوة علمية، 1984 ؛ *وثائق دار إيليغ* في حوزة الأستاذ بودميعة البخاري ؛ ع. الرحمان، *رواية شفوية*، تلميذ محمد المختار السوسي ؛ ح. جلاب، *عراصي مراكش ودورها في تكوين الشباب*، مجلة *دعوة الحق*، عدد، 352.

المهدي السعيدي

الرَّنْج أو النَّارنْج هو ما يعرف بالبرتقال المر أو بالبرتقال النارنجي أو بشجرة الزهر. اسمه العلمي هو سِيتْرُوسْ أورانْتْيُومْ Citrus aurantium.

شجرة صغيرة لا يتعدى ارتفاعها 8 م، قليلة الأشواك، وتتميز بأوراق ذات عنق مجنح وأزهار بيضاء ذات عطر



قوي. ثمارها برتقالة متوسطة الحجم، ذات لون برتقالي محمر، ولب شديد المرورة يجعلها لا تصلح للأكل. عند النضج يتقلص لب البرتقالة فيصير مركزها فارغا.

الموطن الأصلي للرنج هو جنوب شرق آسيا. ومن هناك انتشرت زراعته في كل المناطق الحارة من العالم، وذلك كشجرة زينة أو لاستخراج العطر من أزهاره وقشرة ثماره ولاستعمالات أخرى. ولهذه الأغراض أدخله العرب إلى شمال إفريقيا والأندلس حتى أصبح مألوفا في حدائقها العمومية والشوارع الرئيسية لمدنها. ولفظ الزهر "azahar" بالاسبانية المأخوذ عن العربية هو الشاهد عن ذلك.

يستخرج زيت ماء الزهر المستعمل في العطور والشاي المغربي والحلويات من الأزهار وقشرة الثمار بعد تقطيرها. وعملية التقطير معروفة عند الأسر المغربية وخاصة الحضرية منها. كما تستعمل الثمار في صناعة المربى وتهييئ بعض المشروبات والأدوية.

أما في الزراعة فالرنج والليمون هما أهم أصول التطعيم بالنسبة لإنتاج البرتقال والكليمانتين والليمون نظرا لكونهما أكبر مقاومة للطفيليات المضرة الموجودة في التربة.

وبالإضافة إلى كل هذه المزايا لا بد أن نشير إلى أن الكليمانتين نتج عن عملية تهجين بين الرنج والماندرين قام بها أحد الرهبان الفرنسيين "Clément" بناحية وهران بالجزائر إبان عهد الاستعمار.

أبحاث شخصية ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*. مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ترجمة عبد المجيد زاهر وآخرون، 1962، القاهرة، نيويورك.

الرَّنْد أو ورق موسى، أو الغار، أسماء عربية تطلق على نباتين من جنس لوروس Laurus الذي هو من فصيلة الرنديات Lauraceae. والنوعان هما :



الرند

- الغار العادي وهو لوروسْ نوبيليس Laurus nobilis
- الغار الآسوري وهو لوروس آسوريكا Laurus azorica

للنوعين صفات نباتية مشتركة تتمثل في كونهما شجرة أو شجيرة لا يتعدى ارتفاعها 10 م. أوراقها رمحية الشكل. أزهارها صغيرة الحجم، ذات لون أبيض يميل إلى الاخضرار، ومجتمعة في ازهار خيمي الشكل. ثمارها عنبية، بيضوية الشكل وسوداء اللون.

يتميز النوع الثاني عن الأول بوجود زغب على الأغصان الفتية، وبأوراق مستديرة القمة، غير لا معة ومتموجة الحواف، وذات عروق متفرعة ومزغبة. كلا النوعين طبيعيٌ بالمغرب لكن بصفة نادرة. ويصادفان ممثلين بأفراد منعزلة أو بباقات في الغابات الطبيعية.

يستوطن الغار العادي المنطقة المتوسطية حيث يصادف من آسيا الصغرى إلى المحيط الأطلسي باستثناء ليبيا ومصر. لكنه نظراً لاستخدامه لعدة أغراض وبصفة مفرطة من طرف الإنسان، لا يصادف طبيعيا إلا في بعض الأماكن المنعزلة أو المحمية. من جهة أخرى لا بد من الإشارة إلى كون هذا النوع قد استفاد بغرسه من طرف الإنسان في مناطق عديدة من العالم داخل وخارج موطنه الأصلي.

أما في المغرب فإن التوزيع البيوجغرافي للرند العادي يقتصر على الهضاب والجبال غير العالية في المناطق الرطبة من سلسلة الريف ذات البيومناخات شبه الرطبة والرطبة والرطبة جداً ذات شتاء دافئ أو معتدل. وفي كل هذه الحالات يقطن هذا النوع أتربة سميكة وخصبة توجد في الطابق المتوسطي الدافئ.

للغار الآسوري توزيع بيوجغرافي ما كارونيزي يشمل الجزر الخالدات وجزيرة ماديرا وجزر الآسور ومنطقتين في المغرب. أولاهما بناحية القصيبة بالجزء الجنوبي من الأطلس المتوسط حيث تنتشر تشكيلاته الممثلة بباقات من الأفراد متناثرة في غابات البلوط الأخضر وبلوط الزان، لكن ما يؤسف له هو أن الاستغلال المفرط لجني أوراق الرند من طرف الإنسان أدى في الوقت الحاضر إلى تدهور بالغ للأشجار التي تكاد تشاهد بدون أوراق. وتنحصر المحطة الثانية لهذا النوع في الأطلس الصغير شرق تيزنيت، حيث توجد الشجرة ممثلة بعدد قليل جداً من الأفراد المتناثرة على أجراف الجبال التي تأوي تشكيلات أجگال (انظر، *دم الأخوين*).

يعيش الرند الآسوري في نفس الظروف البيئية المذكورة أعلاه.

عرف الرند منذ أقدم العصور كشجرة طبية وعطرية وفاتحة للشهية، وكرمز للانتصار وخاصة عند الرومان الذين كانوا يشيدون أقواس النصر مستعملين أغصان هذه الشجرة التي مازالت تحظى بعناية كبيرة. مما جعلها موجودة بكثرة في جل الحدائق العمومية والشوارع الرئيسية لروما وللمدن الأخرى في إيطاليا والبلدان المتوسطية في الضفة الشمالية. كما يغرس الرند عادة في الحدائق المنزلية لاستعمال أوراقه

في الطبخ وفي تحضير عدة مأكولات أخرى. ولهذا سمي برند المرق "Laurier - sauce" لكي يميز عن الدفلة "Laurier - rose" (انظر دفلة).

A. Benabid. *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris. 1999: A. Benabid et F. Cuzin. *Populations de dragonniers (Dracaena draco ssp. ajgal Benabid et Cuzin) au Maroc. valeurs taxinomiques. biogéographique et phytosociologique*. C.R. A.S. 1997. 320. 267 - 277 ; L. Emberger. *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*. Paris. 1938.

عبد المالك بنعبد

الرَّنْـدَ. أسرة تطوانية ويكتب أيضا أرَنْدَ أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها مقيمين بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Aranda ؛ ومازالت هناك بعض الأسر الإسبانية التي تحمل اسم Randa وAranda ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1202/1788.

وأرندا Aranda اسم مدينة إسبانية.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون : *المراجع العربية والأجنبية* التي ذكرها في الرقم 730.

محمد ابن عزوز حكيم

الرُّنْدَي أو الرُّندي أو الرُّندة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Runda وRondi وRondeño نسبة للمدينة التي تحمل نفس الاسم ؛ وتذكر الوثائق الحسين الرندة بن أحمد التطواني الذي كان أسيراً بفرنسا يحمل رقم 7221، وأُطلق سراحه بطلب من قائد تطوان علي بن عبدالله الحمامي يوم 6 ذي القعدة 1123/16 دجنبر 1711.

وقد انقرضت هذه الأسرة من تطوان، ومازالت حتى اليوم في الرباط وفاس.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون : *المراجع العربية والأجنبية* التي ذكرها في الرقم 731 و732.

محمد ابن عزوز حكيم

الرُّنْدَي، إبراهيم الأندلسي. لقيه بها الرحالة ابن بطوطة يخطب بمسجد هاشم، ثم استدعي لولاية القضاء بالمغرب فعاجلته المنية عند وصوله إلى الرباط أواسط المائة الثامنة في عهد بني مرين وهو أقدم الرنديين المعروفين بالمغرب.

ع. بوجندار، *الاغتباط*، ص 238.

الرُّنْدَي، أحمد بن محمد الرباطي، من أبناء الرباط الموصوفين بالنبوغ، تلقى تعليمه عن والده محمد بن عبد السلام الوزير، وعن الفقيه محمد الرعاي والفقيه الصديق الشدادي بمدرسة الكتانية الحرة. كان من العلماء الفلائل في نوعية تفكيره ورؤيته للأمور. فكان حديث المجالس الأدبية لما كان يتوفر عليه من وعي وقوة فكر، وفي كثير من الأحيان كان يعتمد على رأيه وتفكيره ضاربا عرض الحائط بالنصوص. ومن ولوعه العلمي أنه على كبره انخرط في سلك المدرسة الجديدة فنال شهادة الدروس الابتدائية في اللغة الفرنسية وكان ذا ميل للعلوم الرياضية والاجتماعية. تعاطى خطة العدالة طويلا في أحواز الرباط، وكان له ولوع بالطرب والعزف على آلة الكمان وغيرها، وكان أبوه وأخوه مولعين بالموسيقى أيضا.

توفي في 25 شوال عام 1349/15 مارس 1931.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، ص. 57، 58.

عبد الإله الفاسي

الرُّنْدَي، عبد الحميد الرباطي. أديب مشارك في الفقه وعدة فروع من العلوم اللغوية والشرعية. اشتهر بمؤلفه *الكتابة والكتاب*، وهو محاضرة ألقاها بفاس يوم 27 رمضان 1341/13 ماي 1923 وطبعت هناك في المطبعة الحجرية عام 1342/1924 في اثنتين وثلاثين صفحة. حاول فيه أن يعطي نظرة عامة عن تطور الإنشاء العربي في المشرق والمغرب منذ الجاهلية إلى العصر الحاضر، فسقط في الاختصار المخل الذي لا يكاد يُبين أحياناً. وأولى عناية خاصة بكُتّاب الإنشاء المغاربة حسب تسلسل الدول، واختار نماذج من الأدباء الذين خدموا في ديوان الإنشاء. وطبع له أيضاً كتاب *بيان المراد من علم الاقتصاد* في المطبعة الأهلية بالرباط سنة 1355/1926 في تسع وثلاثين صفحة. وله كذلك كتاب *كشف اللبس عن أحوال الأطلس* إلا أنه لم يطبع.

شغل في آخر عمره منصب نائب قاضي الرباط في الأحواز فكان يخرج إلى الأسواق الأسبوعية للفصل بين الخصوم.

توفي في حدود 1350/1931.

ع. الرندة نفسه، كتبه المذكور ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية*، الدار البيضاء، 1977، ص. 478 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، 1 : 11، والهامش 18 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات العربية*، سلا، 1988، ص. 132.

محمد حجي

الرُّنْدَي، عبد السلام بن محمد من كبار الفقهاء، ولد بمدينة فاس، ودرس على كبار شيوخها أمثال عبد القادر الفاسي والحسن اليوسي واشتغل بالتدريس بمدينة فاس، وسلا ومكناس، وكان يختم مختصر *خليل* كل سنة. وقد أعجب الطلبة بحسن عبارته، وتحقيقه. كما تولى

القضاء بسلا عام 1076 / 1665 ويزورهون وكان يقيد كل نازلة وقعت بين يديه ويعيد فيها النظر ويمعنه.



اختصر عبد السلام الرندي *المنور في إسقاط التدبير* لابن عطاء الله الإسكندري عام 1083 / 72 ـ 1673 (مخطوط خ. ح. ق 556) كما اختصر *المعيار* للونشريسي. لم نقف على تاريخ وفاة المترجم ويبدو أنه توفي أواخر القرن الحادي عشر (17 م).

أ. ابن عاشر الحافي، *فهرس*، 248، 249؛ م. بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 111؛ *إتحاف أعلام الناس*، 2، 6؛ ع. ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، 222.

محمد السعديين

الرُّنْدَي، محمد بن عبد السلام، الأندلسي الأصل الفاسي ثم الرباطي، ولد سنة 1288 / 1870، فقيه يتقن الأحكام والنوازل، اشتغل أولا بالكتابة بمراكش أيام السلطان مولاي عبد العزيز، ثم عين عدلا بمرسى العرائش ثم مرسى أسفي وأبلى في وظيفته البلاء الحسن، فسمي عضوا في مجلس الاستئناف الشرعي لأول إنشائه، وبعده تولى القضاء بإشارة من أحمد بناني إلى السلطان بعد أن امتنع بناني منه وكان من المرشحين لاختيار قضاة البوادي، فتوجه للدار البيضاء، ومراكش صحبة نائب وزير العدل وأخيرا تولى وزارة العدلية.

كان متقشفا في ملبسه وفرشه. ويقول بعض عارفيه إن له *تأليفا* حول *الأضرحة والمزارات* التي بالرباط وشالة، وحواشي وتعليقات على *المصباح المنير* للفيومي وشرح *المحلي على جمع الجوامع* وحاشية *المهدي الوزاني* على شرح *التاودي على التحفة*. وبعد إعفائه من الوزارة انكب على التدريس والتبليغ، فكان أستاذا ماهرا يصور غامض الفقه بتبسيط كبير.

توفي يوم الجمعة 12 ربيع النبوي 1365 / 15 يبراير 1946 ودفن بأرض شالة.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، ص 130 ـ 140.

عبد الإله الفاسي

الرُّنداحي، من الأسر السبتية الشهيرة التي ارتبط اسمها بقيادة الأسطول البحري في شمال المغرب خلال النصف الأخير من القرن السابع (13 م) وبداية القرن الذي يليه. لقد أطلعتنا المصادر التاريخية على وجود خمسة أفراد من هذه الأسرة تناوبت قيادة الأسطول البحري في فترة تميزت بشدة الصراع الإسلامي المسيحي حول الثغور الأندلسية، الشيء الذي يبرهن على أهمية الدور الذي لعبته هذه الأسرة في صنع الكثير من الأحداث ليس فقط داخل سبتة وإنما أيضاً في الضفة الغربية من البحر المتوسط. إلا أن مصنفي التاريخ لم ينصفوا هذه الأسرة بإعطائها ما تستحق من عناية على مستوى التوثيق إذ أن ما نعثر عليه بين طيات المصادر يقف في كثير من الأحيان عند حد إدراج لقب "الرنداحي" والحدث المرتبط به مما حال دون وضع تصنيف كرنلوجي دقيق وواضح لهذه الأسرة وتحديد العلاقة الدموية التي تربط بين أفرادها.

أقدم اسم يصلنا عن هذه الأسرة هو حجبون الرنداحي، ويعرف بأبي العباس، لا نعرف شيئا عن أصوله. وقد يفهم من كلام صاحب *البيان المغرب* أن تولي حجبون الرنداحي لقيادة الأسطول ربما تزامن مع فترة حكم ابن خلاص. إلا أن المؤكد منه أنه كان للرجل سلطة نافذة على جيوش البحر وهو ما يشير إليه ابن عذاري بقوله "وكان له قبة على الغزاة النهي والأمر" (*البيان*، 397) وقد تتفق المصادر على اعتبار القائد ابن حجبون الصانع الحقيقي لثورة الزعيم الديني الفقيه أبي القاسم العزفي ضد السلطة الحفصية، والمؤسس الأول لرياسة بني العزفي على سبتة. يذكر أنه بعد وفاة أبي علي ابن خلاص في رحلته البحرية إلى تونس سنة 646 / 1248 ـ 1249، عين أبو زكريا الحفصي على سبتة ابن عمه يحيى ابن الشهيد والوزير ابن أبي خالد (*العبر*، 7 : 383) فاشترطا قصبة المدينة. إلا أن ابن أبي خالد أضر بأهلها فنشأ خلاف بين هذا الأخير والقائد الرنداحي الذي أخذ يضمر للقائدين الحفصيين العداء (*البيان*، 397). وقد تزامنت هذه الأحداث مع سقوط اشبيلية في يد المسيحيين ووصول ما يقدر بمائة ألف من المهاجرين الاشبيليين إلى سبتة وعلى رأسهم قائدهم شقاف يصطحبه عدد من قواده وجنوده (*البيان*، 397) ويبدو أن القائد شقاف الحفصي كان يأمل في مقاسمة ابن أبي الشهيد حكم سبتة. إلا أن موت كل من أبي زكريا الحفصي والسعيد الموحدي عجل بتفجير الأوضاع بخروج أهالي سبتة بزعامة القائد الرنداحي عن صمتهم بعد أن ضاقوا ذرعا بظلم ابن أبي خالد، وتجاهل ابن الشهيد للأمر وتحكم الأجانب في مصائرهم. "فاجتمع القائد الرنداحي ـ يقول ابن عذاري ـ مع الفقيه المعظم أبي القاسم العزفي فحرضه على القيام بأمر بلده وأن يعينه على ذلك بعد، وعدده والتزم له أن يقوم بالأمر حتى يخلصه فوافقه الفقيه على ذلك". فكانت المكيدة التي دبرها القائد الرنداحي. بحيث أقام حفل عشاء في بيته وقد

وافق ذلك ليلة 27 رمضان من سنة 647 / 3 يناير 1250 دعا إليها معظم قادة الجند. وبينما المدعوون في غيبة من أمرهم منشغلين ـ يقوم ابن عذاري "بالسماع والرقص في الدار" أرسل القايد الرنداحي رجاله ليلا فقتلوا القايد شقاف وأعوانه ودخلوا إلى القصبة وقتلوا ابن أبي خالد. أما ابن الشهيد فقد طرد في زورق إلى الأندلس ومنها إلى تونس (*البيان*، 398). انتهت ثورة الرنداحي وأبي القاسم العزفي بعودة سبتة إلى حظيرة السيادة الموحدية في شخص المرتضى الذي ابقى على رياسة الفقيه العزفي على سبتة بينما عقد لحجبون الرنداحي على قيادة الأساطيل في المغرب كله. وفي نفس السنة شارك القايد الرنداحي في الحملة المغربية البحرية علي جزيرة قادس حيث قتل ثمانين من القادة الروم (*الذخيرة*، 76).

في سنة 653 / 1256 يسجل صاحب *(الذخيرة)* وفاة "القايد محمد الرنداحي" بوادي إشبيلية (*الذخيرة*، 81). من الأكيد أن الأمر لا يتعلق بالقايد حجبون ولا ندري في الواقع طبيعة الرابطة الدموية التي تربط بين الشخصين. ففي سنة 659 / 1261 نجد القايد حجبون يسرع في تجميع جميع أجفان سبتة كبارا وصغارا بأمر من الفقيه أبي القاسم العزفي لمواجهة سفن بني الأحمر التي كان يرأسها القايد ظافر والتي أخذت تضيق على سبتة وتحاصر ميناءها عقب العداوة التي تحكمت بين أمير سبتة وبين الأمير أبي عبد الله ابن الأحمر. فكان النصر بجانب القايد أبي العباس الرنداحي الذي ظفر بالقايد ظافر وأمر بقتله في جملة من قتل. "فعلقت جثته ـ يقول ابن عذاري ـ في البحر على حجر السودان وطيف برأسه سبتة وعلق... ويسمى هذا العام بسبتة عام ظافر" (*البيان*،425 ؛ *L'Espagne*, 63) وفي سنة 662 / 1264 نجد "القايد أبا القاسم الرنداحي" (وربما المقصود منه أبو العباس حجبون) يخرج مع ابن حمدان بالقطائع الغزوانية بأمر من الفقيه أبي القاسم العزفي صاحب سبتة نحو طنجة لحماية أهلها المستنجدين به خوفا من هجوم جيوش أبي يوسف المريني عليهم لقتلهم أولاد الأمير أبي يحي وحوالي ثلاثمائة فارس من فرسان بني مرين، وقد حدث ذلك انتقاما لاغتيال هؤلاء لأميرهم ابن الأمين صاحب طنجة (*الذخيرة*، 433). وفي سنة 681 / 1282 يؤرخ ابن أبي زرع لوفاة "القايد الرنداحي" بسبتة (*القرطاس*، 406) ومن المحتمل جدا أن يكون المقصود هو أبو العباس الجد. بعد وفاته ورثها عنه ـ يقول ابن خلدون ـ بنوه إلى أن زاحمهم العزفي بمناكب رياسته ؛ فقوضوا عن سبتة فمنهم من نزل بمالقة على بني الأحمر، ومنهم من نزل ببجاية على آل أبي حفص ولهم في الدولتين آثار تشهد برياستهم" (*العبر*، 7 : 383). من بين الذين بقوا بالمغرب تطلعنا المصادر على ثلاثة أفراد من هذه الأسرة تناوبت على ما يبدو قيادة الأسطول ودار الصناعة البحرية في سبتة وذلك إلى حدود بداية القرن الثامن (14 م). ففي سنة 684 / 1258 يسجل ابن خلدون أن القايد محمد بن أبي القاسم الرنداحي هو الذي كان يقود الأسطول الذي ركب على متنه الأمير يوسف المريني في رحلة عودته من غزوته في الأندلس بأمر من أبيه لتفقد أحوال المغرب ومباشرة أموره (*العبر*، 7 : 435 ؛ *القرطاس*، 373). وفي نهاية القرن السابع وبداية الثامن (13 .14 م) نقف على اسم أحمد الرنداحي كقايد للأسطول والمشرف القائم على دار صناعة السفن بسبتة (*El-Maqsad*, 98) ومن المحتمل جدا أن تتزامن فترة قيادة أحمد الرنداحي هذا للأسطول مع فترة حكم الأمير أبي طالب العزفي على سبتة 678 . 706 / 1280 . 1307). أما القايد الرنداحي الذي يشير إليه ابن خلدون (*العبر*، 7 : 515) كآخر أمراء البحر الرنداحيين في سبتة قبل نزوحه إلى الأندلس، فلقد وجد قايداً للأسطول إبان تعيين الأمير العزفي أبي زكريا يحيى على ولاية سبتة وهو ما يناسب زمنيا سنة 707 / 1308 . ويبدو إن اقصاء القايد يحيى الرنداحي تم بشكل رسمي عندما أسندت قيادة الأسطول إلى أبي زيد عبد الرحمان بينما عين على رأس دار الصناعة البحرية أبو الحسن علي (*Le Musnad*, 13) فكانت بذلك نهاية الرياسة الرنداحية للاساطيل المغربية ولدار الصناعة البحرية في سبتة.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛ ابن خلدون، *تاريخ العلامة ابن خلدون أو كتاب العبر*، بيروت، المجلد السابع ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب، قسم الموحدين*، تح. محمد إبراهيم الكتاني، محمد زنيبر، محمد بن تاويت، *عبد القادر زمامة*، بيروت، 1406 / 1985.

R. Arie, *L'Espagne musulmane aux temps des Nasrides (1232 - 1492)*, Paris ; Ibn Marzuq, *Le Musnad..., Extraits* ed. et trad. Levi-Provençal, *Hesp.*, 1925, vol. V., 1er trim. ; El-Badisi, *El-Maqsad ash-sharif...*, trad. fr. G.S. Colin, *A.M.*, 1926, vol. XXVI.

زليخة بنرمضان

الرهدانية أو الراذانية، مجموعة تجار يهود، اختلف المؤرخون حول أصلهم، بين قائل بأصل عراقي وقائل بأصل فارسي وقائل بأصل أوروبي غربي. جابوا أنحاء العالم المعروف، واشتهروا، خلال القرن الثالث (9 م)، بنشاطهم التجاري الكثيف.

يعد نص ابن خرداذبة (*المسالك*، 131 .132)، أهم أثر مكتوب بقي لنا عن التجار الراذانية. ويطرح الاسم الذي عرفوا به مشكلة لدى الباحثين، فسواء كانوا راذانية أو رهدانية، فقد فسره البعض بأنه يعني "المهاجرين الذين يجوبون البلدان" ورده البعض الآخر إلى "العارف بالطرق والمسالك"، ورأى فيها آخرون أنه لقب يدل على أصلهم الأوربي الغربي، وبالتحديد من وادي الرون Rhône، ومنه جاءت تسميتهم بالرهادنة، حيث انتشروا عبر خط نهر الموز La Meuse ونهر السون La Saône والرون، ومن هناك

تجمعوا في مدن تجارية مثل مرسيليا وآرلس وجنوة وفي مقاطعة سكسونيا.

واستفادت هذه الجماعات اليهودية من الغزوات الكبرى في الغرب الأوربي، فتعاطى أفرادها للتجارةو خاصة تجارة الرقيق، دون أن يلفتوا النظر إليهم. فقد اشتغلوا وسطاء تجاريين بين أوربا والعالم الإسلامي، إذ مقابل الرقيق الذي كانوا يزودون به أسواق العالم الإسلامي، كانوا يحصلون على بضائع الشرق، ليقوموا ببيعها للملوك الجرمان، ومن ضمن هذه السلع الخصيان والرقيق والفراء والسيوف والحرير، التي انتقلت بواسطتهم إلى الشرق، وحصلوا مقابلها على المسك والكافور والصبر L'aloès والقرفة وغيرها، هذا فضلا عن سلع إسلامية مثل الأقمشة والحرير والذهب والتوابل والأدوية.

وكان لمعرفة الراذانية باللغات العربية والفارسية والروسية والإفرنجية والصقلبية، دور كبير في تمهيد الطريق أمامهم لعبور العديد من الجهات والأقاليم، هذا بالإضافة إلى اختصاصهم بالعمليات التجارية مثل الصرف، ثم اعتمادهم على انتشار بني ملتهم في البلاد الأوربية والإسلامية، مما مكنهم من تجاوز الحواجز القائمة بين "دار الإسلام" و"دار الحرب"، بل إنهم نجحوا في تمتيع أنفسهم بضمانات تهم نشاطهم التجاري العالمي، سواء من الجانب الأوربي أو من الجانب الإسلامي.

وهكذا انتقل الراذانية بين مختلف أقاليم البلاد الإسلامية، خاصة الموانئ والمدن، في المشرق والمغرب، واتصلوا بالسلطات الإسلامية، خاصة في بغداد العباسية والقاهرة الفاطمية ؛ فكانت لهم دور وفنادق وأحياء استقروا بها. وكان من نتيجة ذلك، تجاوزهم دور الوساطة التجارية، خاصة الرقيق، إلى خدمات مبادلة الأسرى وفدائهم.

وبلغت أسفار التجار الراذانية الهند والصين، قاطعين مسافات طويلة جدا، انطلاقا من خروجهم من بلاد الإفرنج بحرا ووصولهم إلى "الفرما" بمصر، ومنها إلى الحجاز ثم توغلهم في المحيط الهندي حتى الصين. كما أنهم كانوا يسلكون طريقا بحريا آخر ينطلق من مصب نهر الأرونت L'oronte، فيحلون بسوريا، ويتجهون إلى حلب وأنطاكية، وعبر الفرات إلى بغداد، ومن هناك إلى المحيط الهندي عبر دجلة والخليج، ليصلوا أخيرا إلى الصين عبر نهر الهندوس L'Indus.

وفي طريق العودة، يسلك هؤلاء المسالك البحرية نفسها، غير أن بعضهم يتوقفون ببضاعتهم في القسطنطينية، ليواصل الآخرون رحلتهم إلى فرنسا. ولهذه الغاية كان بعضهم يمتلكون أسطولا بحريا يسهل عملية انتقالهم عبر البحر.

أما الطرق البرية التي سلكها الراذانية، فهي تنطلق من فرنسا أو إسبانيا، وتخترق ألمانيا والبلاد السلافية، لتصل إلى "اتل" عاصمة الخزر على مصب نهر الفولجا ثم يجتازون بحر الخزر La mer caspienne ويقصدون بلخ فيما وراء النهر، ومن هناك إلى الصين عبر بلاد "التغزغز" Ouigoures في آسيا الوسطى.

ويبدو أن وجه اتصال الراذانية بالمغرب الأقصى، كان يمر عبر نشاطهم المكثف في إسبانيا الإسلامية، وكذا عبر الطريق البري الثاني، حيث يخرجون من فرنسا إلى إسبانيا إلى مضيق جبل طارق ثم بلاد المغرب فمصر وسوريا والعراق وجنوب فارس حتى يصلوا الهند والصين.

ويعتبر نشاط التجار اليهود الراذانية امتدادا لنشاط تجار يهود مدينة أربونة الفرنسية، الذين نشطوا خلال القرن الثاني الهجري (8 م)، كما يعد حلقة ضمن تجارة اليهود الدولية، التي بلغت حد الاحتكار الاقتصادي العالمي.

ومنذ بداية القرن التاسع (15 م)، تراجعت الوساطة اليهودية الراذانية، أمام استغناء الأوربيين عنها، لصالح الكاتلانيين والبنادقة والجنويين وأهل بروفنسا ؛ إذ بعد أن بلغت هذه الوساطة أوجها في القرنين الثالث والرابع الهجري (9 ـ 10 م)، استنادا إلى الرقيق خاصة، انكفأ دور هذه المجموعة دون أن يعني ذلك إلغاء تاما للوساطة اليهودية، التي ظلت قائمة في القرون اللاحقة.

ابن خرداذبه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، *المسالك والممالك*، 1988 ؛ ابن الفقيه أبو بكر بن أحمد بن محمد الهمذاني، *مختصر كتاب البلدان*، 1988 ؛ كلود كاهن، *تاريخ العرب والشعوب الإسلامية*، 1977 ؛ إبراهيم حركات، *النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط*، 1996 ؛ توفيق بن عامر، *الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة*، ج. 2، 1998.

عبد الإله بنمليح

الرهن المعمول به في مراكش وبعض المدن المغربية الأخرى، صورته أن يدفع المكترى قدراً من المال متفقاً عليه إلى صاحب المنزل على وجه السلف. وتحدد مدة إرجاعه إلى المكتري بعد أن يستغل مقابل ذلك المنزل مدة معينة حسب الاتفاق، ويكون الكراء مقابل ذلك أقل من المعهود في مثل ذلك المحل، ويحرر عقد الدين بذلك في النهاية.

مبنى هذا التصرف هو العرف. وينظر إليه من جانبين :

الأول : في وجه التسمية بالرهن، وهي غير جارية على أحكام الرهن المعروفة في الفقه الإسلامي، إذ هذا التصرف قائم على مقابلة كراء بالأقل في مقابل التمتع بسلف، وهذا على خلاف أركان وشروط الرهن المعلومة في الفقه.

الثاني : في حكم هذا التصرف من الناحية الشرعية تكلم فيه بعض فقهاء العصر ومنهم شيخ الجماعة بمراكش الرحالي الفاروق، ومنعوه شرعاً لأنه مبنى على عرف فاسد متعلق بقاعدة "سلف جر نفعاً". إلا أنه يمكن العمل به في دائرة "الضرورات التي تبيح المحظورات" إذا ثبتت الحاجة إليه من جانب المكري والمكتري لا سيما في عصر أصبح الاقتراض عسيراً، ولا يكون إلا بالربا غالباً، وما عليه

الأمر من أزمة الكراء بارتفاع أثمنته على الفقراء. فتبادل المنفعة بين الطرفين بالتراضي وقيام الحاجة لجعله مثل الجعالة، وبيع السلم، والقراض الخ.. مع أنها مخالفة لأصل عقد البيع، مما يشفع لجواز هذا التصرف الذي يجب أن نقوم على قاعدة أن "الضرورة تقدر بقدرها"، ولا يتوسع فيها. ومع مراعاة شروط العمل بالضرورة.

محمد رياض، *أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي*، الدار البيضاء، عام 1416/ 1996، ص. 452 ؛ الرحالي الفاروق، *شرى في الزمن بمراكش*، ضمن فتاويه بالمجلس العلمي بمراكش.

محمد رياض

رهونة، قبيلة جبلية يرد اسمها عند البكري (ص. 114) والإدريسي (ص. 46- 120) والوزان (ص. 269) ويرى ابن خلدون أنها شقيقة عمارة (*العبر*، ج. 6 ط. بولاق، ص. 224 وص 296 طبعة الجزائر). تحد شرقا بقبيلة غزاوة، وشمالا بقبائل كل من بني زكار وبني يسف وأهل سريف، وجنوبا وغربا بقبيلة مصمودة.

كانت رهونة في الماضي تنقسم إلى خمسة أخماس وهي : خمس اللوطاريين، وخمس بني زكون، وخمس بني بوهاشم، وخمس الفطاحنا، وخمس أولاد بوريدا، وابتدا، من القرن الثالث عشر (19 م)، مرورا بعهد الحماية إلى الآن، أصبحت تتكون من أربعة أرباع أو فرق أو مشيخة على الشكل التالي :

اللوطاريون أو الواديون (مناطق منخفضة) وتضم المداشر التالية : عين أمشالو، أعساوس، أمزو، الزيتونة، دار العباس، دشر لعار، الصف، عين غايث، عين حسن، زيدور، أكنتور، دار الودن، السقيفة، مفواسة، فج دمنة، تزروت، قطارة، الفلاجة، بونيدار، ألوس. مرسالة، دار الودن. بني بوهاشم وتضم المداشر التالية : المصابحة، زرادن، ليبابرة، بريكشة، زكتاوة التحتية، العدامين، الزرايب، بني محمد، ريفا، الصدق، الولجة السرو، الضواهر ؛ أولاد بوريدة أو الفتاحنة (سميت بهذا الاسم لأن الربع واقع في فتحة بين جبلين) وتضم المداشر التالية : بوثنو، تيباما، تالا. الشان، السطر، الغويبة، الزعانن، البلوطة، أكضا، زكتاوة الفوقية، الغرا، الفرحة، خندق زبارة، بني زكون وتضم المداشر التالية : العبايدة، بوعلون، الدشير، البعاجين الفوقية، البعاجين التحتية، القلعة، العنصر، لوار، الشارين.

وتنقسم القبيلة حاليا إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة اللوطاريين وجماعة بريكشة واشتهر رجالها بالتمكن في العلوم الدينية.

محمد أخريف

الرهوني، أحمد بن محمد بن الحسن النجار لقبا أول، ثم الرهوني لقبا ثانيا. الأخماسي نسبة، التطواني مولدا ومنشأ ووفاة، الفقيه العلامة المفتي النوازلي المؤرخ المشارك القاضي ثم وزير العدلية وأخيرا رئيس المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي بتطوان، شيخنا السخي المتواضع المعتقد الصوفي التجاني الطريقة المغالي فيها وفي شيخها



ولد بتطوان زوال يوم الأربعاء، 18 جمادى الأولى عام 1288/ 5 غشت 1870، وأدخل الكتاب فتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد الفقيهين أحمد شاقو والمامون ابن عبود العمراني وأتم حفظ القرآن في سبع ختمات برواية ورش و16 حزبا برواية قالون، وفي كتاب هذا الأخير حفظ *مقدمة ابن آجروم وألفية ابن مالك ولامية الأفعال ولامية الجمل* لابن المجراد *والمرشد المعين* لابن عاشر.

ثم أخذ بطلب العلم على يد القاضي محمد بن علي عزيمان وعبد الله لوقش وعن محمد ابن الأبار الأندلسي ومحمد بن عمر أسنوس وعلى الشريف المفضل بن محمد ابن الهاشمي أفيلال، بردة البوصيري، وعن الفقيه القاضي التهامي بن محمد أفيلال، وغيرهم. درس عليهم في مسقط رأسه مبادئ علوم اللغة والشريعة. وفي أواسط صفر 1309/ أواخر شتنبر 1891 توجه المترجم إلى فاس لطلب العلم، فقرأ على الشايخ أحمد ابن الخياط، وعبد الملك العلوي *الضرير* ومحمد بن التهامي الوزاني ومحمد بن جعفر الكتاني ووالده ومحمد بن عبد السلام كنون ومحمد القادري وأحمد ابن الجيلالي الأمغاري وغيرهم. أخذ عنهم علوما جمة، ومتونا مهمة واستجاز معظمهم فأجازوه وقد ضمن مقروآته وإجازاته ترجمته الذاتية ابتداء من الجزء الثامن إلى العاشر من تاريخه *عمدة الراوين*، ثم تصدى للتدريس والفتوى والخطابة وزاول ذلك كله بنشاط وإقبال وكان من عادته كتابة دروسه فإذا أتم متنا تدريسا يكون أنهاه تأليفا. فلذلك شرح معظم المتون المقروءة ابتداء من *مختصر خليل* إلى *الرسالة والمرشد المعين والآجرومية والألفية* وغيرها مما يجاوز الخمسين شرحا ورسالة هي في غالبها مختصرة وملخصة. منها مختصر *نفح الطيب*

والاستقصا وغيرهما *ونتائج الأحكام* طبع بعض هذه الكتب. ومن أهم أوضاعه : تاريخه الحافل لمدينةتطوان *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين* في عشر مجلدات بخطه الكبير يوجد أصله بخزانة تطوان، وقد شرع بطبعه وهو ثاني تاريخ لهذه المدينة بعد *تحفة الاخوان* للسكيرج، وحج مرتين رئيسا لوفد الحجاج وكتب في الأولى *رحلة مطبوعة*.

ودخل المترجم في خدمة المخزن كاتبا بدار النيابة بطنجة مع النائب الطريس وبعد وفاته مع النائب محمد الجباص، قال : " ولم أزل معه (الجباص) في عز ورفعة إلى أن وليت بها مستشارا شرعيا وقاضيا للاستئناف وكاتبا أول ومدرسا بالمدرسة الكبرى هناك بأوامر مخزنية، وقمت بأعمال كبيرة منها سياسية وقضائية إلى أن انقسمت الإيالة السعيدة منطقتين فانتُخبت لوزارة العدلية بالمنطقة التطوانية في معية الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن إسماعيل بن السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى أن أُخرني عن وظيفتي وهو مريض. وبعد وفاته سميت في فاتح حجة 1342/4 يوليوز 1924 قاضي قضاة المنطقة، وفي السنة بعدها عينت قاضيا لتطوان، وفي سنة 1353/ 1934 أخرت عن الجميع، وبعد سنوات عينت مفتشا للعلوم، ثم رئيسا لمجلس التعليم الأعلى.

ظل المترجم له على ذلك إلى أن ضعفت قواه واختلت حاله في أواخر أيامه بسبب تبذيره الذي أفضى به إلى الفقر والحاجة بعد الجاه والثراء، وشاهدتُ من أحواله ما فيه عبرة وأي عبرة فقد كان ملجأ القاصدين، وملاذ المحتاجين، يتمسح الناس بأذياله، وينحنون لمروره وتقبيل يده وكان قصير القامة، ويزدحمون على بابه للزيارة والتهنئة بالأعياد وغيرها، ولما امتحن بإدبار الدنيا والجاه، انفضوا من حوله وتجاهلوه، واستتروا منه واستثقلوا ظله، وعاش سنوات منزويا في بستانه على حاله تلك إلى أن لبى داعي ربه في 14 ربيع الثاني عام 1373 /21 دجنبر 1953 ودفن بالزاوية العيساوية من حي العيون بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، الأجزاء 8 ـ 9 ـ 10 ؛ خ. الزركلي، *الإعلام*، 13 253 ، ط. 4 ؛ إدريس خليفة، *الحركة العلمية والثقافية بتطوان*، 2 : 519، المحمدية.

الرهوني، مَحمد (الحاج -) بن أحمد بن محمد بن يوسف بن علي الحاج المدعو (بريكشة)، ينتسب إلى قبيلة رهونة بين مدينتي شفشاون ووزان، الفقيه المالكي العلامة المنفرد في وقته بتحقيق نقوله وتحرير أصوله، الخطيب المفتي التقي الورع الزاهد العابد، ولد برهونة في ذي القعدة 1159/نونبر ـ دجنبر 1746 وأخذ العلم ببلده وبوزان وتطوان وفاس، وعمدته في الأخذ المشايخ : الجنوي التطواني، والتاودي ابن سودة الفاسي وأحمد الورززي التطواني وأجازوه، واتصل بالسلطان مولاي سليمان وانتفع هذا بمجالسته، وهو الذي أمره بتاليف *حاشيته الشهيرة على شرح الزرقاني لمختصر خليل*. كما كان يكلفه وغيره من فقهاء مجلسه بتحرير مسائل فقهية توجد منسوبة إلى السلطان المذكور.

قدم من بلده إلى تطوان وانقطع إلى شيخه الجنوي بها وبمكناس لما انتقل إليها واستقر بمدرسة الحضارين كما أشار إلى ذلك في باب قصر الصلاة من *حاشيته* وقرأ عليه كثيراً قراءة تحقيق وتدقيق، وقد تحدث عن ذلك وعن بداية طلبه ومشايخه وما أخذ عنهم وما أجازوه به وأسانيده للكتب في أول هذه الحاشية، ولما عاد إلى وزان انقطع للإفتاء والتدريس والتأليف مستعينا بخزانة كتب الزاوية الوزانية التي كانت يومئذ تحتضن المآت من دواوين الفقه المالكي وأمهاته، واشتهر بالإجادة والتحقيق وقُصد لحل المشكلات، وفض النزاعات المعضلات، فكتب في كثير منها رسائل وردوداً نالت إعجاب معاصريه فقرظوها له، ومنهم قرينه عبد الرحمن الحايك المصمودي التطواني، أودع كثيرا منها حاشيته المذكورة التي أسماها *أوضح المسالك وأسهل المراقي، إلى سبك ابريز الشيخ عبد الباقي* وقد تنوسي هذا الاسم واشتهرت *بحاشية الرهوني*، التي تتبع فيها ما يحتاج إلى التعقيب والإتمام من حاشيتي شيخه التاودي، ومحمد بن الحسن بناني، وزاد فوائد ونقولا غزيرة عن الأمهات وأصول المذهب، فضحت اغلاطا كثيرة وقعت لمن قبله في الاختصار والتلخيص أفسدوا بها كلام المتقدمين، وغيروا الفقه عن مواضعه، وهي مما ادّخره الله للمتأخرين، فكانت حجة على المتقدمين كما قال الحجوي، وقد غلا في مدح هذه الحاشية من اعتبرها معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، والحق أنها في القمة من الجودة دلت على فضل المترجم وتمكنه في الفقه المالكي وفرط ذكائه وتفطنه لدقائقه وإتيانه بما لم يسبق إليه، وقد طبعت بمصر وفاس مرارا في 8 مجلدات، وله غيرها *كخطب الجمعة* الشهيرة وقد طبعت على الحجر والحروف، وله *حاشية كبرى على الدرر الثمين* على المرشد المعين لميارة، إلا أنها لم تكمل، *ورسالة التحصن والمنعة ممن اعتقد أن السنة بدعة في مسألة الجهر بالذكر مع الجنازة*، وقد طبعت، ورسائله كثيرة كرسالته في *الغناء*، وفي *حكم التجارة إلى أرض العدو*، وهما مخطوطان، وغيرهما من رسائل أدرج بعضها في حاشيته المذكورة.

وظل الفقيه الرهوني على حاله إلى أن لبى داعي ربه بمدينة وزان فجر يوم السبت 13 رمضان عام 1230 / 19 غشت 1815 ودفن بروضة شيخه في الطريق الشيخ علي بن أحمد الوزاني عن يَسار محرابها.

محمد الرهوني نفسه، *أوضح المسالك وأسهل المراقي*، ط. حجر فاس، الجزء الأول ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 :154 ، ط. الحجر بفاس ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 378، طبع مصر ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 2 :296 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 4 : 181 ؛ خ. الزركلي، *الإعلام*، 6 : 17، ط. رابعة.

الرهوني، يحيى بن موسى أو عبد الله، أبو زكرياء شرف الدين، قال الحافظ ابن حجر : المغربي الأصل، وتصحف في *الدرر الكامنة* بالدهوني بالدال، وفي *شذرات الذهب* بالزرهوني، وزاد ابن العماد : نسبة إلى زرهون جبل قرب فاس، والصواب : الرهوني نسبة إلى قبيلة رهونة قرب وزان.

الشيخ الإمام الحافظ الفقيه المتفنن الأصولي المنطقي الكلامي المالكي، أخذ عن أحمد بن إدريس البجائي الفقه، والأصول عن أبي عبد الله الآبلي وغيرهما، اشتغل ومهر واشتهر بإفريقية، ونزل مصر وحاز فيها رئاسة المالكية، ودرس بالشيخونية والمنصورية وأملى الحديث بالصرغتمشية بالقاهرة، وأفتى وألَف وخرَّج تخاريج دلت على ثقوب ذهنه، ورصانة عقله، وبراعة استنباطه، إلى دين متين، ووقار وهيبة، وجود وإيثار بالدنيا وأوتي منها سعةً، حج مرتين.

انفرد بتحقيق مختصر *ابن الحاجب الأصلي*، وله عليه شرح حسن مفيد كما علق على *تهذيب البرادعي للمدونة* تعليقا يذكر فيه المذاهب الأربعة، ويرجح مذهب مالك، ومات دون إتمامه.

مات بالقاهرة في ثالث شوال، أو ذي القعدة سنة 773/ أبريل - يونيه 1372 وفي *وفيات الونشريسي* 775 وما في *الإكليل والتاج* للقادري من أنها كانت سنة 4 أو 575 فخطأ.

ابن حجر، *أنباء الغمر*، 1 : 36، طبع الهند ؛ *الدرر الكامنة*، 5 : 196 ط. مصر ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج المذهب*، 2 : 362، ط. مصر ؛ ع. الرحمن السيوطي، *حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة*، 1 : 262، ط. مصر، سنة1299 ؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*،6 : 230، ط. مصر ؛ م. القادري، *الإكليل والتاج*، مخطوط ؛ أ. الونشريسي، *الوفيات/ موسوعة أعلام المغرب*،2 : 683، بيروت، 1996.

محمد بوخبزة

الرهينة، ملكٌ يتنازل عنه صاحبه مقابل دين لفائدة دائنه إلى غاية تسديد الدين. ويتعلق الأمر في البادية، بقطعة أرضية (أو حصة ماء) تصبح في حوزة الدائن يستغلها بصفة مطلقة طالما لم يتحرر المدين من دينه. وقد يضطر هذا الأخير، تحت ضائقة الحاجة، إلى اقتراض ديون أخرى تحوّله إلى خادم / زبون لدائنه، وقد تؤول به إلى فقدان ما كان يملكه. مما يجعل علاقة الدائن بالمدين علاقة سيطرة وتبعية، علاقة هيمنة وزبونية. وكانت هذه العلاقات الناتجة عن الرهن إحدى آليات اغتصاب أراضي صغار الفلاحين لفائدة بعض الأعيان القرويين.

يتحول الفلاح في حالة فقدانه أرضه - إن لم يهاجر قريته - إلى خماس في خدمة دائنه. ووقت "عنق العام" (وهي الفترة التي يكون فيها الخماس قد استهلك كل ما كان يدخر بينما فترة الحصاد لم تحن بعد) يضطر إلى الاقتراض من صاحب الأرض ؛ وفي حالة عدم تسديد دينه يلزمه تجديد عقد الخماسة مع صاحبه. وقد تتكرر هذه العملية التي تدفع بالخماس لأن يرهن حريته إلى حد تجعله يتحول إلى شبه قن في خدمة الدائن / مالك الأرض.

عبد الجليل حليم

الرواشد، إحدى قبائل زعير، تندرج ضمن الكَفيان الذين يمثلون إلى جانب المزارعة القسمين الكبيرين لزعير. تقع قبيلة الرواشد قرب ثلاثاء سببارة الواقعة شمالي أحد الغوالم بحوالي 15 كلم، ومن أفخاذها : العزازبة، والخمسان، وأولاد حنيش، وأولاد بو علو وآيت مامون. وقد استقر فرع من الرواشد بقبيلة أولاد خليفة الواقعة بين أحد البراشوة ومغشوش. وتجدر الإشارة إلى أن هناك قبيلة أخرى بناحية أبي الجعد تعرف بالرواشد، إلا أن المصادر لم تشر إلى القبيلة التي تمثل الأصل.

تميزت قبيلة الرواشد الزعرية بحفظ القرآن الكريم، وبالجهاد ضد الاحتلال الفرنسي. وقد جرت بتراب هذه القبيلة معركة عين سي موسى، ومعركة ولجة العظام في شهر يوليوز 1911 قرب أحد الغوالم بحوالي خمسة كيلو ميترات بقيادة المجاهد عبد القادر البواشري، الأمر الذي دفع سلطات الحماية إلى القيام بعدة عمليات عسكرية قصد إخماد انتفاضات الزعريين، وذلك ما بين 13 و24 من نفس السنة. وبعد اندلاع ثورة ابن عبد الكريم الخطابي، أرغمت سلطات الاحتلال بعض أفراد قبيلة الرواشد على المشاركة في إخمادها، ومن هؤلاء : بوعمرو بن محمد، وعباس بن عبو وابن قدور بن الجيلالي.

ومن أبرز قواد قبيلة الرواشد، المصطفى بن القرشي المباركي الراشدي الذي تولى القيادة في مطلع سنة1330 / 1912، وفي حدود 1340 / 1922 أصبح ابنه المكي بن المطصفى قائداً على قبيلة الرواشد، وزيدت له قبيلة الغوالم وذلك حسب الظهير اليوسفي المؤرخ في 17 شعبان عام 1340، ثم أضيفت إليه قبائل أولاد عمران، والنغامشة وأولاد موسى. وقد تم عزل القائد المكي بتاريخ 16 شعبان عام 1350. وبقبيلة الرواشد مزارات يتبرك بها أفرادها وهي: سيدي عبد الهادي، وسيدي حشلاف وسيدي الدحاوي.

م. ابن سودة، *قبيلة زعير قديماً وحديثاً*، 2 ج.
Sicard, *Organisation des Zaeir*, Paris, 1952 : *Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région*, T. III, p. 139 - 162.

محمد السعديين

رُوَانـُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ruano ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1146 / 1734.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 739*.

محمد ابن عزوز حكيم

الرواية العربية في المغرب : سنحاول تناول هذا الموضوع من ثلاث زوايا : 1) التكون 2) الإنتاج والتصنيف 3) التلقي، محاولين، عبر التحقيق والتصنيف إبراز الإطار العام الذي نشأت فيه الرواية المغربية المكتوبة العربية وتحديد مراحل تطورها وضبط محافل تلقيها، بإيجاز، من الأربعينيات إلى نهاية الألفية الثانية.

1) التكون : ترتكز الفكرة الأساس في هذه المقاربة على مسلمة نقدية تتمثل في أن الأجناس الأدبية، ومنها السردية، تتكون وتتطور تحت تأثير ما نسميه بـ(العوامل الداخلية) التي نعتبرها "مكونات" مدعمة بالعوامل الخارجية ليست هي في نظرنا مجرد "مؤثرات".

وتتصل المكونات المشار إليها بمستوى التطور اللغوي معجمياً وتركيبياً ودلالياً، وبنوعية المتخيل الأدبي، وبدرجة إدراك أبعاد الجنس السردي، في ضوء نظرية الأدب ؛ كل ذلك في إطار ما يسمى بـ(المؤسسة السردية) التي أخذت تترسخ كمفهوم للكتابة يختلف شكلاً ومضموناً عن الكتابة الاستدلالية بمختلف تشكلاتها. وهكذا نشأ في المغرب وعيان متماسكان : وعي لغوي جديد يقوم على (التعددية) ووعي أجناسي ينزع نحو (الحكائية)، استجابة للتحولات التي طالت الأذواق والتصورات والأفكار، في علاقة وثيقة مع مفهومي (العصرية) و (التجديد) اللذين نجد لهما صدى واسعا في آثار بعض الكتاب المغاربة بين العشرينيات والثلاثينيات، كما يتجلى ذلك في (فواصل الجمان في وزراء وكتاب الزمان) سنة 1348 لمحمد غريط، وفي (الأدب العربي في المغرب الأقصى) سنة 1929 لمحمد بلعباس القباج، وفي (الزاوية) سنة 1942 للتهامي الوزاني...

لقد لوحظ، منذ العشرينيات، بروز حركة اجتماعية نحو التحرر من بعض العاهات السائدة التي أشار إليها محمد غريط في (فواصل الجمان...) محدداً هدفها في (تلخص الشبيبة العصرية منار من ربعة تقليد العوائد)، وصاحب ذلك ازدهار كتابة الرحلات ونشرها في الصحف اليومية المغربية مما يدل على نوع من الانفتاح على الخارج، وتلق إيجابي لهذا الجنس الأدبي المتجدد من مختلف محافل التلقي من ناشرين وقراء. وهكذا نشرت في جريدة (السعادة) مثلاً الرحلة الحجازية الأولى سنة 1916 والرحلة الحجازية الثانية 1932 لأحمد الصبيحي، والرحلة الحجازية سنة 1917 لمحمد دينية ورحلة محمد بن يحيى الصقلي (وداعاً وإلى الملتقى) سنة 1928، والرحلة الحجازية لإدريس الجعيدي سنة 1930...

إن الاهتمام بالرحلة يمثل في نظرنا مرحلة أساسية في تاريخ تكون الرواية المغربية، لأنها ساهمت في إعادة الاعتبار لطرائق السرد والحكي والوصف بعيداً عن أساليب (المقال) و(الخطبة) و(الرسالة) ... وهي الأجناس التي كانت سائدة خلال الفترة السابقة المذكورة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الكتابة الرحلية تحررت من ألوان البلاغة والبديع، وأسست كتابة تقوم على التقاط اليومي والمعيش مثل الرواية، فاستعملت كلمات دارجة وأخرى أجنبية، توخياً للدقة والأمانة في نقل المشاهد والأحداث. كل ذلك يشير إلى أن لغة الكتابة الأدبية أصابها نوع من الاختلال بابتعادها عن (الفصحى) وعن أساليب البلاغة التقليدية بحثاً عن بلاغة جديدة في ارتباط مع التحولات التي كانت تتم ببطء على المستويات السوسيوثقافية والسوسيولسانية.

إلى جانب هذا التطور على مستوى اللغة والمتخيل الأدبي والتقاليد الاجتماعية، عرفت العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق العربي ازدهارا نسبيا عبر الصحافة المصرية التي كانت تصل إلى المغرب حاملة أصداء الفكر والأدب والسياسة ؛ وكان من نتائج ذلك تبلور (مثاقفة) عربية داخلية مغربية ـ مشرقية نجد أصداءها في الحركة السلفية بالمغرب المتأثرة بالسلفية المشرقية، وفي الحركة الشعرية التي انطلقت نحو الجديد مقتفية أثر المدرسة الرومانسية المصرية، وفي الحركة القصصية والروائية التي اتخذت نماذجها المثلى من المرجعيتين المصرية واللبنانية. إن العوامل الداخلية (المكونات) والخارجية (المؤثرات) مجتمعة ومتفاعلة، مثلت الشروط التكوينية والتاريخية التي ساهمت في تبلور أولي للوعي بجنس الرواية والمغرب والشروع في وضع اللبنة الأولى للمؤسسة الروائية.

ـ الانتاج الروائي والتصنيف :

يستخلص من الإحصائيات التي تناولتها بعض الدلائل الخاصة بالحصيلة البيبوغرافية للرواية المغربية ما يلي :

بلغ عدد النصوص الروائية التي صدرت، منذ 1942 إلى 2000، 285 رواية موزعة حسب تاريخ صدورها كما يلي :

- في الأربعينيات : نص روائي واحد هو "الزاوية" 1942 للتهامي الوزاني
- في الخمسينيات : خمس روايات
- في الستينيات : ثلاث عشرة رواية
- في السبعينيات : خمس وعشرون رواية
- في الثمانينيات : ثلاث وستون رواية
- التسعينيات : تسع وسبعون ومائة رواية

إن ذلك يعني أن الرواية العربية في المغرب لم تعرف انطلاقتها الحقيقية إلا في الستينيات والسبعينيات، وبلغت درجة تعتبر مؤشرة على رسوخ نسبي للكتابة الروائية على امتداد الثمانينيات والتسعينيات، بانخراط أجيال جديدة من الكتاب الشباب الذين تميزوا بكتابة الروايات القصيرة خاصة. ومما لا شك فيه أن هذا التراكم

العددي عبر خمسة عقود أحدث تطوراً على المستوى الفني كما سيتضح من التحقيب والتصنيف التاليين :

الاتجاه الإحالي :

إن (الإحالي) يكاد يغطي كل كتابة روائية لذلك اعتبرناه رديفا وشبه مرادف للواقعي والتاريخ والسيري والسيرذاتي.

وما سنصدره من تصنيفات ليس مطلقا ولا نهائيا فلربما لا يقتنع آخرون بهذا التحديد وهذا الطرح النظري.

إن تصنيفنا سيقوم على اعتبار العناصر المهيمنة في النص وعلى التسلسل التاريخي للكتابة الروائية.

لقد انتقل الاتجاه الإحالي من تناول التاريخي العام الممتزج بالسيري والسيرذاتي (الزاوية) للتهامي الوزاني سنة 1942، إلى التاريخ المتعالق مع السيرذاتي في (وزير غرناطة) 1950 لعبد الهادي بوطالب، كما نعثر على التاريخ حاضرا بشكل عجائبي في الروايات القصيرة، لعبد العزيز بن عبد الله في الخمسينيات. وفي كتاب (في الطفولة) 1958 لعبد المجيد بن جلون، تدخل الكتابة السيرذاتية مرحلتها الروائية.

وقد كانت الستينيات والسبعينيات فترة عرف فيها الاتجاه الإحالي في صيغته الواقعية بعض الازدهار بصدور (دفنا الماضي) 1966 و(جيل الظمأ) 1967، ثم (المعلم علي) 1973، و(المخاض) 1972، و(الطيبون) 1977 و(المغتربون) 1979 وحدث تحول في الأساليب والأشكال في نهاية السبعينيات وخلال الثمانينيات والأربعينيات بصدور (عوينات لبغال) 1979، و(السنوات العجاف) 1984 و(الخنازير) 1984 و(أوراق الصفصاف) 1995 و(وكر العنكبوت) 1997...

تلحق بالاتجاه الإحالي الكتابة المتعلقة بتجربة الاعتقال كما تحدثت عنها عدة روايات، منها (سبعة أبواب) 1965 لعبد الكريم غلاب و(كان وأخواتها) 1986 و(الساحة الشرفية) 1999 لعبد القادر الشاوي.

ولهذا الاتجاه الروائي المغربي الذي يحمل أيضاً اسم (أدب السجون) أو (أدب المقاومة) صفات أسلوبية وتيماتية أصيلة، ويتميز عن كتابات أخرى عربية مماثلة بميله إلى الإيقاع الروائي، رغم الطابع الذاتي لهذه الكتابة، وذلك عن طريق الانشطارات النصية التي تفضي إلى خلق عوالم ممكنة مغايرة للخط المهيمن للأحداث.

ويلحق بالكتابة الإحالية راهناً السير ذاتي أو المصاقب له، باعتباره رؤية خاصة للواقع ولصيرورة التاريخ، مثل (الضريح) 1994 و(الضريح الآخر) 1996، لعبد الغني أبو العزم و(زمن الشاوية) 1994، و(مسار الشوق) 1994 لشعيب حليفي، و(رجوع إلى الطفولة) 1995 لليلى أبو زيد، و(فلا تنس الله) لليلى لحلو...

الاتجاه الحداثي : الحداثة باعتبارها تمثلاً للقيم الفكرية والأدبية والفنية تعتبر لحظة حاسمة في تاريخ الرواية العربية في المغرب، ابتداء من السبعينيات بظهور (المرأة والوردة) سنة 1972 لمحمد زفزاف، و(زمن بين الولادة والحلم) في نفس السنة و(الجنازة) سنة 1987 لأحمد المديني، و(الغربة) 1971 و(اليتيم) 1978 لعبد الله العروي و(إملشيل) 1980 لسعيد علوش... وتقوى هذا الاتجاه في الثمانينيات بصدور (الخبز الحافي) 1982 لمحمد شكري، (والفريق) للعروي و(الأبله والمنسية وياسمين) 1982، و(عين الفرس) 1988 للميلودي شغموم، و(أحلام بقرة) 1988 لمحمد الهرادي، و(لعبة النسيان) 1987 لمحمد برادة، و(المبارة) 1988 لمحمد عز الدين التازي...

واستمرت الكتابة الحداثية عند محمد الأشعري (جنوب الروح) وشعيب حليفي (رائحة الجنة) وحسن نجمي (الحجاب) وزهور كرام (جسد ومدينة) وأحمد طليمات (المختصر من مقامات الإنفاق) ويوسف فاضل (ملك اليهود) وعلي أفيلال (شجرة التين) وكلها في سنة 1996.

إن الانتاج الروائي الذي صدر في إطار الحداثة يمثل أكثر من نصف الإنتاج الصادر في المغرب في هذا المجال، وكان له حضور على المستوى الأكاديمي وفي الساحة الثقافية والأدبية بحيث يمكن أن نقول إنه كان يسعى لجعل (المغرب الروائي) يعيش على إيقاع أحداث العصر من نظريات فكرية وقيم أدبية وفي تفاعل معها. ولاشك أيضاً أن الإنتاج الروائي الحداثي، كما وكيفا، يمثل نقلة نوعية في مجال الكتابة الأدبية وفي مجال تطور الفكر في المغرب المعاصر.

لقد استغلت الحداثة الروائية ما أسميناه (التباس العلامات) وله علاقة بالخاصية الدينامية للنص الروائي، في مستواه العبر لساني ؛ وذلك بتوظيف مختلف مجالات التعبير السردية والشعرية وأصناف المفارقات وتعدد محافل الخطاب وتداخل الضمائر النحوية وتشعب مستويات الرمز والأسطورة، وتوظيف الانشطار الروائي بأنواعه الشذري والمرآوي وانشطار البقايا ؛ وقد أدى ذلك كله إلى خلق بياضات وفجوات لا يتمكن المتلقي من ملئها بالرجوع إلى الموسوعة المعرفية العامة. إن من أبرز مقصديات الرواية الحداثية من حيث الشكل البحث عن الصنعة القائمة على الغموض، وذلك يؤدي إلى (إقصاء) شرائح كثيرة من القراء، ويجعل النص حكرا على (دائرة) ضيقة من المتلقين الذين يتناقص عددهم تدريجياً، بخلاف الرواية الإحالية التي تؤكد على جلاء المعنى عن طريق تقنيات حكائية وسردية وأساليب وصفية وتساعد على جعل الخطاب مباشراً وشفافاً لدى المتلقي.

هناك في تجربة الحداثة تغييب قصدي لما يسمى بالحكاية وتعويضه بتقديم أوصاف ومشاهد وخطاب استدلالي ذي طابع ايديولوجي. إن الروايات التي تدخل في هذا الإطار تحاول في أغلب الاحيان الانفلات من إواليات الارتداد وتسعى إلى المغامرة في مستوى الأشكال والطرائق

السردية. ونجد في الروايات الحداثية أحيانا توظيفاً جزئيا للتراث كما هو الشأن عند محمد زفزاف في (المرأة والوردة) وعند الميلودي شغموم في (الأبله والمنسية وياسمين) وفي (عين الفرس) وعند محمد الأشعري في (جنوب الروح)، كما يصبح ذلك التوظيف ذا طابع انشطاري تناوبي كما يتجلى ذلك في (بدر زمانه) لمبارك ربيع.

اتجاه الحداثة التراثية : يقوم هذا الاتجاه الروائي على الانغراس في التراث العربي والشعبي بمختلف تجلياتهما وعلى توظيف انتقائي لطرائق السرد الحديثة. إنه يعني، في نظرنا، امتلاك وعي مزدوج لدى بعض الكتاب المغاربة : وعي بالمأزق الذي وصلت إليه تجربة الحداثة في إطارها الغربي في مجال الإنتاج الروائي (الغموض، الاستلاب، التعقيد)، ووعي بالأفق الذي يفتحه التراث الكلاسيكي والتراث السردي الشعبي على مختلف مستويات البناء والتركيب، في إطار المحافظة على خصائص الذائقة الجمالية المتوارثة.

وتأكيدنا على هذه التجربة بأنها (حداثية) ينطلق من إيماننا بالفكرة التي ترى أنه (لا يصح أن تبحث الحداثة العربية من منظور غربي، وضمن معطيات الحداثة الغربية. وإنما يجب أن تبحث في أفق الفكر العربي أصولاً وتاريخاً وضمن معطياته الخاصة وبأدواته المعرفية، وفي إطار القضايا التي أثارتها أو نتجت عنها) أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب بيروت، ط.2، 1985، ص. 19.

وقد ظهر في المغرب الاتجاه الحداثي التراثي في مجال الرواية، من المقدمات النظرية التي أشرنا إليها، ممثلاً في بنسالم حميش بـ(مجنون الحكم) 1993 (العلامة) سنة 1997 موظفاً شخصيات تاريخية تتخلى تدريجياً عن انتمائها التاريخي لتمرير خطاب إيديولوجي يتعلق بالأوضاع الراهنة.

وقد بلغت الحداثة التراثية مرحلة نضجها في روايات أحمد التوفيق (جارات أبي موسى) سنة 1997 و(شجيرة حناء وقمر) سنة 1998 و(السيل) سنة 1999 و(غريبة الحسين) سنة 2000.

إننا في هذه الروايات نتحسس التاريخ لا باعتباره (وصفاً موضوعياً لتعاقب الأحداث) بل باعتباره (إعادة تشكيل للماضي في ذهن المؤرخ). والكاتب الروائي الذي يلمّح لذلك الماضي فيقرأ على صفحته قراءة نقدية أحداث الحاضر.

إن تجربة الحداثة التراثية في نماذجها الناجحة حظيت بتلق إيجابي من النقد الأدبي في المغرب والمشرق العربي، لأنها تستثمر التاريخ دون الخوض في تفاصيله كما كان يفعل جرجي زيدان وتتيح للغات متعددة عربية فصحى مركزية ودارجة وصوفية ومهنية وعالمة التسلل إلى النص دون أن تحوله إلى خطاب إيديولوجي مباشر، كما هو الشأن عند جمال الغيطاني، وتخلق عوالم ممكنة في إطار إعادة الاعتبار لسلطة (الحكاية) وسلطة (اللغة) وخصوصيتهما، وبذلك تحقق للمتلقي متعة ومعرفة في آن واحد.

ولا شك أن الروايات التي تنتمي لهذا الاتجاه تجد صدى إيجابياً لدى عموم القراء أيضاً لاستجابتها للذائقة الجمالية العربية والشعبية عبر التاريخ، مؤكدة مبدأ الصيرورة الإبداعية، ولطرحها، في الدرجة الثانية، أسئلة العصر بأساليب بعيدة عن الأسلوب المباشر ذي الطابع الدوغمائي، وبطرائق فنية ناضجة.

لا يمكننا أن نختم هذه العجالة حول الرواية المغربية دون الإشارة إلى ظاهرتين أدبيتين لم يكتب لهما الاستمرار :

1) ظاهرة الرواية القومية التي تمثلها روايتان (النار والاختيار) سنة 1969 لخناثة بنونة و(رفقة السلاح والقمر) سنة 1975 لمبارك ربيع، إذ تتمثل نقطة الارتكاز فيهما في اختلال الوعي القومي العربي، ومجال العقدة الحدثية في الصراعات التي خاضتها الأمة العربية والإسلامية من أجل تحقيق أهدافها العليا.

2) ظاهرة الرواية البوليسية التي نجد بعض عناصرها في إنتاج أحمد عبد السلام البقالي، وفي (الحوت الأعمى) سنة 1997 لميلودي حمدوشي وعبد الإله الحمدوشي.

إن الرواية المغربية نشأت في أحضان التاريخ والسيرة والسيرة الذاتية ولم تتحرر من الواقع، رغم تنويعاتها التخييلية، لأنها كانت تستمد دائما أهم عناصرها من الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية في المغرب المعاصر.

التحولات على مستوى التقاليد الاجتماعية والأساليب الكتابية : محمد غريط، *فواصل الجمان في وزراء وكتاب الزمان* ؛ م. الموقت المراكشي، *الرحلة المراكشية ومرآة المساوي الوقتية*، 1939 ؛ وسيلة *الرحلات النشورة وصحيفة السعادة* ما بين 1916 و1932 ؛ أدونيس، *الشعرية العربية*، دار الآداب، بيروت، 1987، ص. 19 ؛ أحمد اليبوري، *الرواية العربية : التكون والاشتغال*، شركة المدارس، سنة 2000، الدار البيضاء ؛ محمد إدارغة، *الرواية المغربية : الحصيلة البيبلوغرافية* 1999 ؛ *دينامية النص الروائي*، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993.

M. Bakhtine, *Esthétique et théorie du Roman*, Paris, 1978 ; D. Dubois, *La politique du texte, enjeux sociocritiques*, 1992

أحمد اليبوري

* * إلى جانب الرواية العربية برزت في المغرب ظاهرة الكتابة (الإبداعية) بلغات أجنبية أبرزها اللغة الفرنسية (الرباط ـ سلا ـ الدار البيضاء ـ فاس الخ) والإسبانية (تطوان وطنجة وشمال المملكة بعامة وكذا أقاليمها الجنوبية). أما اللغة الانجليزية، التي تحتل الصف الثالث في هذا السياق، فقد تم تبنيها لغة إبداعية انطلاقا من قناعات واعتبارات شخصية لا تخضع بالضرورة للتفسيرات الواردة فيما يرتبط باللغة الفرنسية والإسبانية.

قصدنا بذلك استعمار فرنسا وإسبانيا للمغرب وانعكاساته التربوية والبيداغوجية على النسيج الثقافي والفكري المغربي.

وبخصوص الرواية المغربية بالإسبانية والانجليزية نلاحظ أنه لم يتكون بعد رصيد أو تراكم جدير بالذكر يكون، على الأقل، في مستوى ما صدر بهاتين اللغتين من شعر وقصة، فالمحاولات الروائية قائمة بكل تأكيد (ونذكر على سبيل المثال محاولات عبد اللطيف أقبيب وليلى أبو زيد والجيلالي الكدية وغيرهم بالإنجليزية، ويوسف الركّاب وغيره بالإسبانية)، غير أن استشراف المستقبل ليس محبذا في هذا المضمار. وهكذا تظل الحقيقة التي نلمسها راهناً تقول إن حصة الرواية المغربية المكتوبة بالانجليزية والإسبانية ضئيلة جدا.

الواقع أن الفرنسية هي، بعد العربية، اللغة الغالبة من حيث النصوص الروائية (والإبداعية تعميما) التي تصدر عن أقلام مغربية. بل إن الرواية المغربية المكتوبة بالفرنسية قد كسبت صيتا خارج حدودنا لم تعرفه أختها المكتوبة بالعربية. كيف ذلك ؟ السبب ليس جماليا ولا موضوعيا، بل يكمن في أن الموضوعات المطروقة وكذا الموقف الغرائبي والعجائبي الذي يبني عليه جل الروائيين المغاربة نصوصهم يخضع لتصميم ينزل رأسا عند أفق انتظار القراء الفرنسيين والفرنكوفونيين والغربيين بشكل عام. إدريس الشرايبي والطاهر بن جلون وعبد الكبير الخطيبي ومحمد خير الدين وعبد الحق سرحان و (في السنوات القليلة الأخيرة) فؤاد العروي وغيرهم يعتبرون من أبرز الأسماء الروائية التي تكتب بالفرنسية. وبينما تستقي جل رواياتهم، إن لم نقل كلها، موضوعاتها من مجتمع المغرب وفضاءاته وثقافاته وحضارته، ينزع هؤلاء (بوعي منهم) عند بناء الرواية وتحبيكها في الغالب، وليس دوما، إلى تبني طروح واستراتيجيات "استشراقية" تحت شعار التمرد على الموروث "المتعفن" وبذريعة استبداله بقيم إنسانية وحضارية نافعة. وينضم إلى مؤلفي الرواية المغربية بالفرنسية اسم إدمون عمران المليح الذي دخل حقل الإبداع الروائي في سن متأخرة. ولما كان الطاهر بن جلون، نظرا لعدة اعتبارات، أبرز روائي مغربي (وعربي مناصفة مع اللبناني أمين معلوف) يكتب باللغة الفرنسية، آثرنا أن نخصص له هذه الوقفة القصيرة التي نروم عبرها إنصاف الثقافة والحضارة المغربيتين اللتين عادة ما ينهل منهما ابن جلون بقلم يقصد إلى تحقيق الشهرة لصاحبه مهما يكن الثمن.

بدأ الطاهر بن جلون (المولود بفاس سنة 1944) كتابة الرواية بروح الكاتب الملتزم بقضايا الأمة العربية (وعلى رأسها القضية الفلسطينية) وهموم المضطهدين فكريا أو سياسيا، ولكنه انتقل إلى توجه يرضي أفق الانتظار لدى القارئ الفرنسي، والغربي تعميما. وقد بلغت هذه الظاهرة ذروتها عند الطاهر بن جلون منذ أن حاز جائزة "غونكور" الفرنسية الشهيرة سنة 1978، حيث نلاحظ لديه نزوعا واضحا إلى اتخاذ كل ما هو موضوع الساعة على صعيدي الرأي العام والإعلام الغربيين (العنصرية، الحجاب، الرشوة، حقوق الإنسان، الخ الخ) موضوعا لرواياته بأسلوب (يتبنى التغريب والتعجيب بامتياز) عادة ما يستلهم فضاء مغربيا (أو عربيا أو إسلاميا) وشخوصا "شرقيين" يكرسون النظرة الغربية المعهودة. وفي مقابل المتبنين لهذه القراءة يوجد فريق الفرنكوفونيين الذين يعتبرون روايات الطاهر بن جلون إحدى قمم التعبير عن المعيش انطلاقا من الخيال، مع توظيف بارع للتراث وحوارية الحضارات. بل إنهم وجدوا في نصوصه (ونصوص أمثاله) التمثيل الجمالي المناسب للنموذج "الشرقي" الذي رسخته في لاوعيهم عقلية استعمارية قديمة فدأبوا على قراءتها والدعاية لها وترويجها بشتى الوسائل.

تطرح الكتابة الإبداعية (والفكرية أيضاً) بلغة غير اللغة الوطنية (أي العربية) إشكالات وتساؤلات متعددة، ولكن السؤال الأجدر في رأينا طرحه قبل غيره حول الرواية المغربية المكتوبة بالفرنسية (أو بلغة أخرى غير العربية) سيظل لا يتمثل في جدوى الكتابة بهذه اللغة الأجنبية أو تلك من أبعاد (واردة أو محتملة) إيديولوجية أو حضارية بالنسبة إلى المواطن المغربي، بل في ماهية النص الذي يتشكل من استعمال معين لتلك اللغة. وإذ لا نترقب عزوف روائيينا الفرنكفونيين عن كتاباتهم، لا نخجل من الدعوة إلى توكيد دور اللغة العربية (بصفتها رمزا حضاريا ودينيا) في التعبير عن الهوية المغربية وحمايتها من الاختراق، ثم دعوة نقادنا وقرائنا الباحثين إلى التعامل مع تلك النصوص بعين فاحصة لا تعاني من مركب النقص الذي طالما ألزم الكثيرين منهم الصمت أو التغاضي.

وفيما يلي بعض العناوين الإبداعية والنقدية الكثيرة ذات الصلة بالموضوع أعلاه.

A. Khatibi, *Un été à Stockholm*, Paris, 1990 ; *Tryptique de Rabat*, Paris ; D. Chraibi, *Le passé simple*, Paris, 1954 ; *Civilisation ma mère*, Paris, 1972 ; T. Ben Jelloun, *L'enfant de sable*, Paris, 1981 ; *La nuit sacrée*, Paris, 1987 ; L. Mouzouni, *Le roman marocain de langue française*, Paris, 1987 ; M. Boughali, *Espaces d'écriture au Maroc*, Casablanca, 1987 ; A. Memmes, *Signification et interculturalité*, Rabat, 1992 ; J. Déjeux, *Littérature maghrébine de langue française*, Quebec, 1978 ; M. Gontard, *Violence du texte*, Paris & Rabat, 1979 ; A. Tenkoul, *Littérature marocaine d'écriture française*, Casablanca, 1985.

إسماعيل العثماني

الروايس، شعراء مغنون متجولون باللسان الشلحي. يطلق على الواحد منهم اسم "الرايس"، ويقابل ما يعرف في مجموعات "أحواش" باسم "أمارير" أو "أنظام"، ويسمون أيضا "الرياس".

تشكل منطقة سوس الرابضة في المنخفضات التي تتوسط الأطلسين الصغير والكبير الفضاء الأمثل لنشوء مجموعات الروايس.

يترأس الرايس فرقة من الموسيقيين قوامها عازفون على آلات الرباب ولوتار والناقوس والنويقسات، والبندير أحيانا، إضافة إلى راقصات يُرجِّعن لوازم الأغاني على طبقة صوتية حادة. ويحرص الروايس على الظهور أمام الناس بمظهر خاص يعتبرونه طقسا مميزا لهم عن غيرهم من رواد الأغنية الأمازيغية. وفي هذا الموضوع كان الرايس الحاج محمد الدمسيري - وهو أحد أبرز الروايس المعاصرين - يرى أنه لا بد من العمامة والبلغة والحزام والرباب، كما كان الرايس الحاج بلعيد شديد التمسك بارتداء الجلباب الأبيض وتقلّد الخنجر ودليل الخيرات والكُمية وأقراب والمجادل.

وقد عرفت في المغرب مجموعات متعددة للروايس، اشتهرت بأسماء رؤسائها الذين يجمعون - في غالب الحالات - بين القدرة على النظم والتلحين والعزف والغناء ؛ ومن ثم فإن الرايس يحصر نشاطه في إنشاد ما يبدعه بنفسه، ولا يكاد ينشد ما أبدعه غيره من الروايس إلا في فترات التلمذة على أحدهم.

تقوم أغاني الروايس على ألحان موسيقية يرتجلونها، وتخضع في مجملها لطبيعة الموسيقى السائدة في منطقة سوس والقائمة على جنس المقام الخماسي Pentatonique وتتشكل الأغنية من مقاطع شعرية يضطلع بإنشادها الرايس أو أحد أفراد المجموعة. وتتوسط هذه المقاطع لازمة يقوم بترجيعها باقي أعضاء الفرقة.

أما مضامين أغاني الروايس فتشكل سجلا حافلا بوصف الأحداث التي عاشتها منطقة سوس في فترات ترسيخ الوجود الاستعماري بها، كما تعكس صورا مشرقة من بطولات المجاهدين مشيدة برجال المقاومة الوطنية، ومنددة بالخونة والمتخاذلين. وهي إلى ذلك تطرق مواضيع الوعظ والإرشاد الديني، وتنتقد ما ساء من عادات الناس، أو تصف رحلات الروايس وجولاتهم في الأقطار التي زاروها.

وتذكر المصادرُ الغنية بأغاني الروايس أن أعضاء المجموعة الواحدة كانوا يتجاوزون الخمسة غالبا، وهم يقومون بأدوار العزف والغناء والرقص، غير أن بعض المجموعات ربما ارتفع عدد أفرادها إلى ما يفوق العشرة. وقد كان الحاج بلعيد أبرز الروايس الذين لمع نجمهم بالمغرب في الثلاثينيات. (انظر *بلعيد في المعلمة*).

وقد تتلمذ عليه عدة أشياخ أصبحوا بدورهم من ألمع الروايس، ومن هؤلاء، الرايس مبارك التازروالتي عازف الرباب، والرايس العربي الويجاني الجراري، والرايس محمد بن العربي الباعمراني، وكلاهما يعزف على لوتار، وهو گنبري ذو ثلاثة أوتار، والرايس مولاي علي الصويري الناقر على الطاسة.

وإلى جانب الحاج بلعيد عرفت الساحة الفنية بالمغرب جملة من الروايس الرواد، كان فيهم الرايس الحسن گودو، والرايس حمو الطالب، والرايس محماد بن لحسن ساسبو الذي استفاد منه شوتان في تأليف كتابه *موسيقى ورقصات بربر بلاد الشلوح*، والرايس محمد لبصير الذي اشتهر بلقب "أبوگاض"، والرايس محماد بن يحيى بن حمو المشهور بلقب "أوترناخت"، والرايس مولاي علي بن المدني أحد تلامذة محماد ساسبو، والرايس الحسين أزيومالك الشهير بلقب "جانتي".

ومن الروايس المتأخرين الذين ملأوا الساحة الفنية بعد هؤلاء، الرايس الحاج محمد بن لحسن الدمسيري (1937 - 1989)، والرايس الحاج عمرو واهروش (1933)، والرايس احماد أمنتاگ (1931)، والرايس لحسن بومارگ (1927)، والرايسة فاطمة تبحيحيت، والرايسة رقية الدمسيرية، وغير هؤلاء كثير.

وعلى غرار ظاهرة فرق الأجيال التي انتشرت في السبعينيات، عرف مجال أغنية الروايس نشوء فرق جديدة تحمل - هي أيضا - شعارات التجديد والبحث. ومن بين هذه الفرق برزت مجموعة عبد الله إيزنزارن التي لقيت أعمالها



الاستحسان. أما ما عداها من الفرق ففي رأي المرحوم الرايس محمد الدمسيري "أن أعمالها مجرد إسفاف وابتذال".

ع. أمرير، *الشعر المغربي الأمازيغي*، ص. 11، 28، 29، 59، 3، 74، 75، 129، 151 ؛ *الاتحاد الاشتراكي، حوار أجراه محمد اخميس مع الدمسيري*، 14 غشت 1988 ؛ إبزنزارن عبدالله، مج. *التراث الشعبي*، العدد 2، السنة 12، 1981، ص. 117 - 118.

Prosper Ricard, Préface du livre d'Alexis Chottin : *Corpus de Musique Marocaine*. Fas. II. *Musique et danses berberes du pays chleuh*. 1932, p. 14

عبد العزيز بن عبد الجليل

أبو الروايِن، أحمد بن حسين العبدلي السهلي. كبير أصحاب الشيخ مَحمد بن عيسى (ت. 933 / 1526)، وأحد مشاهير الملامتية خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م) وأشهر المشايخ الجزوليين المنتسبين إلى هذه الطائفة. وإذا كان سنده العيساوي يصنفه في الطبقة الجزولية الثالثة، فان لقاءه وأخذه عن صدر الطبقة الجزولية الأولى الشيخ محمد الصغير العمري السهلي (ت. 918 / 1512) متواتر في كتب طبقات الطائفة الجزولية، ويرفعه إلى الطبقة الثانية، ويجعله على قدم المساواة مع شيخه ابن عيسى. كما أن لقب السهلي الذي جاءه من قبيلة أولاد عبد الله السهليين القاطنين بحوز سلا، والذي يشترك فيه مع كبير صحب الإمام الجزولي الذي ينتسب للسهول من جهة أخواله، قد يتصل بقرابة طينية يمتاز بها أبو الروايِن عن أتباع شيخه السهلي، والذين تذكر منهم مصنفات التراجم شيخه ابن عيسى وعبد الحق الزليجي وعبد الوارث اليالصوتي (ت. 971 / 1563).

ولا يقلل من شأن لقاء وأخذ أبي الروايِن عن السهلي ما تؤكد عليه المصادر من أنه استأذن فيه شيخه ابن عيسى فأذن له، وأن السهلي لما أحس منه الميل إليه صرفه إلى شيخه الأول. كما لا يشترك أبو الروايِن مع شيخه ابن عيسى في الأخذ عن الشيخ السهلي فحسب، بل ويخالطه في تراجمه، ويتفرد بالذكر فيها دون بقية أتباعه، وتدور حوله كراماته، وتتحقق فيه. وتفيد بعض الأخبار المتصلة بالعلاقة التي نظمت بينهما تحمل شيخ الطائفة العيساوية لأمور كانت تصدر عن أبي الروايِن، وتشذ عن آداب المريد مع الشيخ. إذ كان يأتيه بالليل فينقر عليه، ويسأله هل نحن باقون على العهد ؟ فيجيبه : باقون يا ولدي إن شاء الله ! وأنه ضرب يوما ولده، فقال له : والله يا ولدي لأنت أعز منه !

ولا تذكر المصادر اتصال أبي الروايِن بالأفحَّامية التي تعد الطريقة الثانية والكبرى في الزروقية إلى جانب الراشدية، والتي أحيت طريق أهل الملامة بالمغرب مع مطلع المائة العاشرة للهجرة. وذلك على يد إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف بأفحَّام أو أفهَّام (ت. 926 / 1520) كبير صحب الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493) من أهل المغرب الأقصى، وأيضاً تلميذه الأوحد أحمد بن علي الصنهاجي الملقب بالدوار (ت. 941 أو 947 / 1531 أو 1540). ولما كانت ملاميته الشيخ أفحَّام أقرب إلى جوهر الطريق الملامتي كما عرف به مشايخه الأوائل بخراسان خلال القرن الثالث (9 م)، فلا نستبعد أنه لم يقصد إلى تأسيس طائفة لها مشايخ ومريدون. وإنما ظهر بصفات وآداب الملامة التي ميزت طريقه عن بقية الطرق، وسمح لكل فرد شاء التأسي به أو نهج سبيله أن يفعل دون شرط انتساب أو انتماء. ولعل هذا ما يفسر التناقض الملحوظ بين الانتشار الواسع الذي حظيت به طريقه، وتفرد عَلَمٍ واحد فقط بالجمع بين النسبة إلى مذهبه والتتلمذ عليه، وهو الدوار. وتؤيد هذا القول حال شهير آخر من مشايخ الملامتية المكناسيين المعاصرين لأبي الروايِن، وهو الشيخ أبو الفضل فرج الأندلسي المكناسي (ت. حوالي 939 / 1532)، الذي لا تعرف له نسبة إلى الشاذلية بفرعيها الجزولي والزروقي، ولا إلى أية طريقة أخرى، عدا مسلك أهل الملامة. وهذا ينفي التلازم بين الانتساب إلى أهل الملامة والانتماء إلى الزروقية - الأفحامية، ويهون من شأن افتراض أو عقد صلة لأبي الروايِن بالدوار الذي آلت إليه مشيختها بعد وفاة شيخه أفحَّام.

والصلة الوحيدة التي جمعت بين أبي الروايِن والدوار هي دالة المشيخة على تلميذهما عبد الرحمان بن عياد الشهير بالمجذوب (ت. 976 / 8 ، 1569)، ويفضل فيها الدوار بصدارة كافة مشايخ المجذوب، وكونه أول من اعتمد عليه وانتسب إليه في الطريق، ويراجع في هذه القضية الفصل الذي عقده عبد الرحمن الفاسي (ت. 1096 / 1685) لمشايخ المجذوب من كتابه *ابتهاج القلوب*. كما يمتاز فيها أبو الروايِن بالسبق إلى الأزجال التي سينسج المجذوب على منوالها ويشتهر بها، والمعروفة *بالرباعيات*. ومن كلام أبي الروايِن الذي اشتهر عند الناس :

بالهوى عملوا التلميذ　　عناية لاسر جديد
ما يروا إلا التمجيـــد　　ويلهم عزوا بهـــم

ولا يعتد بما ذهب إليه أحمد بن علي المنالي الزيادي (ت. 1209 / 1794) من أخذ الدوار عن أبي الروايِن، وسلوكه في الجزولية. والذي ينبغي وضع اليد عليه من هذا القول هو الاهتبال بعقد صلة لأبي الروايِن بالزروقية - الأفحَّامية، وذلك من قبل العيساويين من أهل القرن الثاني عشر (18 م). أما الكيفية التي نسجت بها هذه الصلة، ووضعها لأبي الروايِن في مقام الشيخ للدَوار، فيجب تركها لفراغها من كل حقيقة تاريخية. ولأنها تعبر بالأساس عن صورة الطائفة العيساوية بفاس أواخر القرن الثاني عشر (18 م)، كما رسمها المنالي في كتابه *سلوك الطريق الوارية*، حيث أحلها صدارة الطوائف الصوفية الكبرى المنتشرة بالحاضرة الإدريسية. ولا يجب أن يعزب عن بالنا

أن لبيت المناليين يدا في هذا الظهور، وأن أخاه عبد المجيد المنالي الزبادي (ت. 1163 / 1749) كان مقدما على الزاوية العيساوية الكائنة بدرب حسان من حومة البليدة بفاس. وأن أحمد المنالي نفسه يدين بالتلمذة لأحد أحفاد الشيخ ابن عيسى، واسمه أبو الرواين ويدعى روان (ت. 1169 / 1755).

إنها لمصادفة عجيبة أن نجد لصاحب الترجمة سميا من عقب شيخ الطائفة العيساوية، وذلك بعد مرور قرنين على وفاته. وإنها لدلالة عميقة على حرص خلف الشيخ محمد بن عيسى على النسبة الدينية لخليفته أبي الرواين مثل حرصهم على النسبة الطينية لجدهم مؤسس الطائفة. وهذا يعكس الأثر البالغ الذي كان لمشيخه أبي الرواين للطائفة العيساوية، والتي أعقبت مشيخة مؤسسها مباشرة، ونيفت على الثلاثة عقود. وتهيأ لصاحبها من التأثير في النفوس مالم يتهيأ لغيره من المشايخ. وكان له من الأتباع من ينتمي إلى أقاصي البلاد مثل محمد بن صالح المعروف بعريان الراس دفين تسابت بتوات، ومن عمَّر إلى أن أدرك العقد الثالث من القرن الحادي عشر (17 م) مثل محمد بن يحيى البوخصيبي المعروف بقدار (ت. 1024 / 1615)، وهو من أشهر فقراء الغرب في وقته. ونكتفي في هذه العجالة بطرح السؤال عن مقدار اتصال التطور الذي انتهى بالطائفة العيساوية إلى الصورة التي استقرت عليها بمشيخة أبي الرواين ؟ وهل عرقلت هذه المشيخة نمو طريقة الشيخ ابن عيسى في المهد، وصيرتها إلى طائفة عيساوية قالبا وروائنيّة قلبا ؟

ولا أثر للسلوك الجزولي بوجه خاص والآداب الشاذلية بوجه عام فيما اشتهر به أبو الرواين في حياة شيخه ابن عيسى ومن بعده، إلا ما عرف عنه من اتخاذ الأهل والولد، ولبس رفيع الثياب. وفيما عدا ذلك فقد كان ملامتيا ذا أحوال تعتريه على الدوام، ولم يكن في ملامته يأخذ نفسه بالبخع والتأنيب، بقدرما كان يتعمد الظهور في الناس بالأمور الموحشة التي تجلب لومهم وتؤدي إلى تنافرهم عنه. فكان يتكلم بكلام فاحش، ومن ذلك أنه دخل على شيخه ابن عيسى ومعه حضور، فقال له : يا سيدي اني جعلت زمام نفسي بيدك، وقد شغفت بحب النساء، فان لم تكن لك عناية ربانية فصاحبك يعصي الله في هذه الليلة.. والله حتى أفعل ! وكان إذا لقي أحدا من الأمراء وأرباب الأموال وغيرهم من الأعيان يقول له اشتر مني ولايتك بكذا، أو تجارتك بكذا، أو نفسك بكذا ! وكان يصبح غنيا ويمسي فقيراً لا يلوي على شيء، يدفع كل موجود له للضعفاء والمساكين.

وقد جُدب أهل مكناسة مرة، وأتوه يستسقون به، فقال لهم أمهلوني. فذهب إلى داره وتصدق بكل ما فيها وبجميع ما كان عليه وعلى أولاده، ولم يترك بداره لقمة خبز ولا حبة زرع، ولبس تليسا ! وكان يوما مارا عليه ثياب رفيعة، فقال له أحدهم : إن كنت تحب الله فتمرغ في هذه الطين ـ وكان في الطريق طين ـ فجعل يتمرغ !

ولا تقف خطورة الشيخ أبي الرواين عند درجته الرفيعة في الجزولية والعيساوية والملامتية، ولا عند أثره البارز في الحياة الروحية والاجتماعية بحاضرة مكناس أيام المتأخرين من بني وطاس. بل تعدت ذلك إلى اليد التي كانت له في الأحداث الكبرى التي عرفها المغرب خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م)، والتي انتهت بدخول الشرفاء الزيدانيين فاس عام956 / 1549، وينبغي التمييز في ذلك بين مرحلتين يفصل بينهما عام933 / 1526 الذي آلت فيه مشيخه الطائفة العيساوية إلى أبي الرواين، وانتقل من أكبر تابع للشيخ ابن عيسى إلى متبوع من قبل أكبر طائفة صوفية في القسم الخاضع من البلاد للسلطة الوطاسية.

تسجل المرحلة الأولى اهتمام أبي الرواين بالجهاد، وبالحرب الدائرة بين المسيحيين والمسلمين، ليس في المغرب الأقصى فحسب، بل وفي المغرب الأوسط أيضاً. وحين سقطت وهران في يد الإسبانيين عام 915 / 1509، لبس تليسا، وطفق يطوف بمكناسة قائلاً : أخذت وهران ياصبيان، أبشروا بالذل ! وتذكر المصادر تتبعه لأخبار الحركات الجهادية، وما يحققه المجاهدون من غلبة وما تقع عليهم من هزيمة. وهو لا يختلف في هذا عن معاصريه من المشايخ الذين انخرطوا في الجهاد ضد الإيبريين وقد أحدقوا بالمغرب، وتمكنوا خلال العقدين الأولين من القرن العاشر (16 م) من احتلال ثغوره الواقعة على البحر المحيط إلى مصب نهر ماسة من بلاد السوس الأقصى باستثناء ثغر سلا. وأخضعوا قبائل عبدة ودكالة، وشارفوا في تغلغلهم داخل البلاد أبواب مراكش حاضرة الامارة الهنتاتية. وقد كان الشيخ الملامتي فرج الأندلسي المكناسي يحضر غزوات المجاهدين، واستشهد في إحداها.

ويبرز الشيخ أبو الرواين في المرحلة الثانية كأحد دعامات المخزن الوطاسي، وكعنصر فاعل في الصراع الدائر بينه وبين القوات السياسية الداخلية المتنازعة على الرئاسة. فشارك في حادث إجلاء أمراء بني الحميد عن قيادة القصر الكبير وإخضاعه لنفوذ الوطاسيين، وحضر الوفد الذي عمل على إبرام صلح بوعقبة بينهم وبين السعديين عام943 / 1536. ولم يترتب عن دخول السعديين مكناس عام 955 / 1548 خفوت الدور السياسي للشيخ أبي الرواين، بل العكس هو الذي حدث. وتجمع المصادر على أن سقوط فاس في يد محمد الشيخ المهدي (ت.964 / 1556) ما كان ليتم لولا وقوف أبي الرواين في صفه، والثابت أنه أفلح في تبديد مخاوف بعض كبار مشايخ الوقت، وقد بلغتهم أخبار الأضرار والإحراق اللذين حسم بهما ماهد دولة الشرفاء الزيدانيين مادة بعض الزوايا التي فسدت علاقته بها، وهذا قبل تقدمه نحو فاس. كما يتصل ذكر أبي الرواين بحادث مصرع الخطيب الحسن بن أحمد حرزوز (ت. 961 / 1553)،

الذي حال بين أهل مكناس ومبايعة السلطان المذكور.

توفي أبو الرواين عام 963 / 1555، ودفن قريباً من شيخه ابن عيسى، واشتهر ضريحه بمكناس.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 2، 848، 859، 887، 888، 892؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 190؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، تح. ح. الدازي، 124، 130، 159، 160، 162، 167، 408؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، تح. ع. العمراوي و ع. مراد، 58، 109، 110، 152؛ *تحفة أهل الصديقية*، مخ خ ع. 76 ج. 45؛ م. ابن عيشون، *الروض العطر*، تح. ز. النظام، 108، 109، 125؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشاذلي، 57، 69، 71، 76، 84؛ أ. المنالي، *سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية*، تح. ن. بنونة، د. د. ع. كلية الآداب بمراكش، 5. 1996، 382، 393؛ ع. بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 4: 13، 14، 20، 24، 27؛ أ. الناصري، الاستقصا، 4: 111؛ ع. نجمي، من تاريخ التصوف المغربي خلال القرن العاشر الهجري، الملامتية، مجلة تاريخ المغرب، العدد الأول، 1981، 15، 57.

A. Cour, *La dynastie marocaine des Beni Wattâs*, Constantine, 1920 ; R. Brunel, *Essai sur la confrérie religieuse des Aïssâoûa*, Paris, 1926.

عبد الله نجمي

الرُّوبْيُو. أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Arrubya - Rurio - Rubio؛ وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Rubio ومعناه الاشقر؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677. ويكتب أيضاً الرُّبي - بدون مدّ -.

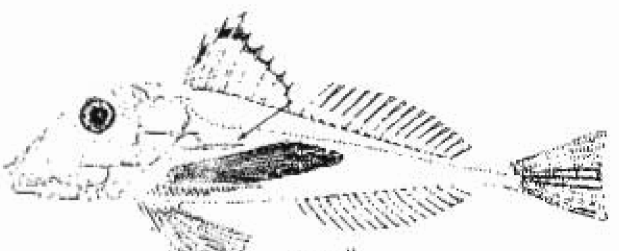
م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون، والراجع العربية والأجنبية في الرقم 741*.

محمد ابن عزوز حكيم

الروبيو. سمك، وأغوجا وكروندان المغرب كما هو شائع في أسواق الأسماك المغربية، والدجاج في تونس وكالينا في موريتانيا والجرانيتية في الإسكندرية، سمك بحري من العظميات شائكات الزعانف وفصيلة الطريغلية Triglidae. منه تسعة أنواع شائعة في السواحل المغربية، أهمها على الجانب الاقتصادي: Aspitrigla cuculus

Aspitrigla obscura
Eutrigla gurnardus
Lepidotrigla cavillone
Lepidotrigla dieuzeidei
Trigla lucerna
Trigla lyra
Trigloporus lastoviza

الروبيو الأحمر Aspitrigla cuculus يسمى بالفرنسية Grondin rouge وبالإنجليزية Longfin gurnard وبالإسبانية Cabracho.



الروبيو

الروبيو المخطط Trigloporus lastoviza ويسمى بالفرنسية Grondin camard وبالإنجليزية Streaked gurnard وبالإسبانية Rubio.

الروبيو الربابي Trigla lyra يسمي بالفرنسية Grondin-lure وبالإنجليزية Piper gurnard وبالإسبانية Garneo. ظهره ضارب إلى الحمرة وبطنه أبيض. لا يتعدى طوله 60 سم وشائع بين 10 ـ 40 سم. يعيش في الأعماق الرملية والوحلية والصخرية وعلى الأعشاب بالهضبة القارية في أعماق تتراوح بين 50 ـ 700م.

الروبيو الصغير Scorpaena notada يسمى بالفرنسية Petite Rascasse وبالإنجليزية Small red scorpionfich وبالإسبانية Escorpora.

الروبيو الأسود Dcorpaena porcus يسمى بالفرنسية Rascasse brune وبالإنجليزية Black scorpionfich وبالإسبانية Rascacio.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*. FAO, 1998.

محمد رمضاني

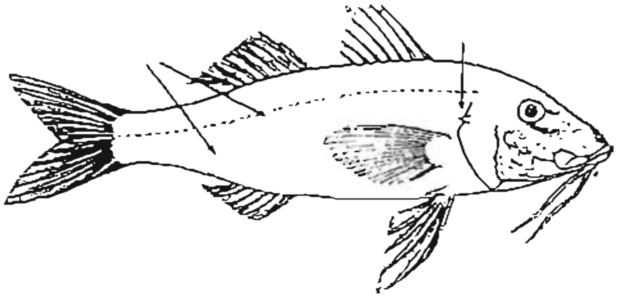
الروجي. سمك كما هو شائع في الدارج المغربي وبشمال إفريقيا الغربية، سمك عظمي من شائكات الزعانف وفصيلة موليدي Mullidae والاسم معرب من الفرنسية Rouger ويسمى في اللغة سلطان إبراهيم وفي طنجة سلطان الحوت.

ثلاثة أنواع شائعة في المياه البحرية المغربية تتميز بلون وردي وبزائدتين لحميتين طويلتين ورفيعتين على مؤخرة الفك السفلي:

أ ـ روجي الصخور 4464Mullus surmuletus يسمى بالفرنسية Rouget barbet de roche وبالإنجليزية Streped

Salmonete de roca وبالإسبانية red mullet. يألف القيعان الصخرية والغنية بالحصى وأحيانا على المناطق الرملية تتراوح الأعماق التي يعيش فيها بين 10 . 400 م على الأقل. يبلغ طوله الأقصى 40 سم وشائع بين 10 . 25 سم. يقتات من القشريات الصغيرة والرخويات والديدان. يصاد بالشباك المستقيمة وبالجيبيات وبالشباك الدائرية الحلقية وبالصنانير. يكثر الإقبال عليه في الأسواق السمكية ويسمى بولحية في الحديدية والقاضي في مولاي بوسلهام والروجي وسلمونيت في طنجة والعرائش وسلطان الحوت في طنجة والروجي في الرباط وسلا والدار البيضاء والمحمدية.

2 . روجي القيعان الوحلية أو الروجي الأحمر Mullus barbatus يسمى بالفرنسية Rouget-barbet de vase وبالإنجليزية Red mullet وبالإسبانية Salmonete de fongo. يعيش في الهضبة القارية بين 5 . 500 م وهو سمك قاعي يفضل المناطق الوحلية وأحيانا الرملية. يبلغ طوله الأقصى 30 سم وشائع بين 10 . 20 سم. سمك لاحم يصاد بالجيبيات وبالصنانير المنقية. يسمى الروجي في كل الأسواق المغربية.



3 . الروجي السنغالي Pseudupeneus prayensis يسمى بالفرنسية Rouget-barbet du Sénégal وبالإنجليزية West-african goat fish وبالإسبانية Salmonete bardudo. وهو أكبر أنواع الروجي طولا (55 سم كطول أقصى). سمك قاعي لاحم يألف المناطق الساحلية ويدخل أحيانا البحيرات الساحلية ومصبات الأنهار. يعيش في أعماق لا تتعدى 300 م ويصاد بالجيبيات وبالصنانير العميقة وبالشباك المستقيمة العميقة. يتميز عن باقي الأنواع بشركة على الجانب الخلفي لغشاء الخياشيم وثمانية أشواك على الزعنفة الظهرية الأمامية. على جانبيه 3 . 4 خطوط طولية حمراء. يسمى الروجي في كل الأسواق المغربية.

Hureau J.C et Monod Th., *Check list of the North Eastern Atlantic and of the Mediterranean (Clofnam)*, Paris, vol. 1 et 2, 683 p. et 331 p., 1973 ; Bianchi G., *Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche. Guide des ressources halieutiques de l'Atlantique marocain*, Rome, 151 p., 1984 ; Lloris D. et Rucabado J., *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome, 1998

محمد خروعة

رَوْح بن حاتم، بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، أحد أفراد الأسرة المهلبية التي عهد إليها الخلفاء العباسيون بإخماد نار الثورة الخارجية في المغرب، بعد نجاحها في حرب الخوارج في المشرق، خاصة منهم الأزارقة.

عمل روح بن حاتم حاجبا للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور في أول أيامه، ثم عين واليا على البصرة والكوفة والسند وطبرستان وفلسطين وغيرها من الولايات العباسية.

ويرتبط حلول روح بن حاتم بالقيروان وبداية ولايته في رجب عام 171/ دجنبر 787 . يناير 788، معيَّنا من قبل الخليفة هارون الرشيد، بعودة الهدوء إلى إفريقية، في حين كان عليه أن يواجه إعلان قيام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، لذلك لم يتردد في مهادنة عبد الرحمان بن رستم الإباضي صاحب تاهرت بالمغرب الأوسط.

ضبط روح بن حاتم شؤون إفريقية، بتغيير بعض العمال وإقرار آخرين، مما أفضى إلى استقرار البلاد وتأمين مسالكها وطرقها. وعرف عنه تعظيمه العلماء وتقربه منهم، مثل العلاء بن عقبة وعبد الله بن فروخ وعبد الله بن عمر بن غانم. وتحدثت المصادر عن مناقبه فأشادت بحزمه وصلابته . رغم كبر سنه . وكرمه وبلاغته.

كانت وفاته في رمضان 174/ فبراير 791، ودفن بالقيروان بمقبرة باب سلم.

الرقيق القيرواني، *تاريخ إفريقية والمغرب*، 1990 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، ج. 1، 1983؛ النويري أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، 1985 ؛ لسان الدين بن الخطيب، *أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام*، ق. 3، 1964 ؛ سعد زغلول عبد الحميد، *تاريخ المغرب العربي*، ج. 1، 1979 ؛ جورج مارسيه، *دائرة المعارف الإسلامية*، م. 10، د. ت.

عبد الإله بنمليح

رودانة ← تارودانت

الروداني، إبراهيم، مقاوم 1907 . 1956. عُرف عند ابن إبراهيم أو إبراهيم الروداني في أوساط المقاومة المغربية بـ "الوالد" للدور الذي قام به خلال الخمسينيات لصالح القضية الوطنية.

كان عضواً بالمنظمة السرية، وهي إحدى منظمات المقاومة المسلحة بالدار البيضاء، ومدّت نشاطها بعيداً عن الدار البيضاء، وانتسب قبل ذلك لحزب الاستقلال. وقد نجح إبراهيم الروداني في ربط علاقات أفادت كثيراً رجال

المقاومة، نذكر على الخصوص تدخلاته لدى مصالح الأمن الفرنسية لتسريح بعض المقاومين قبل إحالتهم على المحكمة، فنال تقدير الكثير من الوطنيين، ومن ذلك قبُول منظمة "الهلال الأسود" وساطته لفض الخلاف الذي كان قائماً بينها وبين المنظمة السرية التي حاولت استقطاب جميع تنظيمات المقاومة لفائدة حزب الاستقلال.



ولما كان إبراهيم الروداني يقوم بمساعي لإصلاح ذات البين بين الهلال والمنظمة السرية حصلت اغتيالات في صفوف منظمة الهلال التي اعتقدت أن إبراهيم الروداني متورط بشكل أو بآخر في هذه الاغتيالات نظراً لمعرفته الكبيرة بأسماء المقاومين الهلاليين من الثوريين والشيوعيين واللامنتمين. فترصَّد له ثلاثة من أفرادها واغتالوه ليلة الخميس 5 يوليوز 1956، حين كان يُغادر معملاً لصنع مادة ماء جافيل يقع في ملكه برقم 14 زنقة موناستير في المدينة الجديدة بالدار البيضاء.

لومند، ع.3564، الأحد الأثنين 8 ـ 9 يوليوز1956، ص. 2 *والعلم*، ع.2224، 7 يوليوز1956، ص. 1.

Taïeb ben Bouazza, *La naissance du syndicalisme ouvrier au Maroc*. Casablanca.

محمد رحيد

الروداني، سالم بن سلامة السوسي أبو علي أو أبو محمد، ولد بتارودانت أواخر القرن الخامس الهجري، والمرجَّح أنه درس بها أولا قبل أن يلتحق بفاس حيث قرأ الفقه على محمد بن عيسى التادلي، وصحيح الإمام البخاري عن أبي عبد الله بن الرمامة، وانتقل إلى الأندلس فأخذ عن أبي العباس بن أبي جمرة (*جذوة الاقتباس*، القسم الثاني، ص. 521) ثم نزل أغمات وهي آنئذ حاضرة علمية مشهورة فقرأ بها على عبد السلام بن ومحال الجراوي أحد كبار حفاظ مذهب الإمام مالك، وعلى ابن شبونة.

استقر ابن سلامة الروداني بسجلماسة ولازمها مدرساً ومفتياً (*التشوف للزيات*، ص. 283) حتى توفي بها عام 589 / 1193 (*الموسوعة المغربية*، 2 : 6) وقد نيف على مائة سنة، كان أبو سالم رجلا صالحا فاضلا وصفه ابن الأبار فقال : "كان حافظا لمسائل الفقه قديراً على أدائها باللسان البربري زاهدا موصوفا بالبله وسلامة وإجابة الدعوة" (*الإعلام للعباس المراكشي*،10 : 33) ويبدو أن استيطان الروداني سجلماسة له علاقة بوجود طائفة من الخوارج الإباضية بها يسمون الوجية. فيظهر أن الداعي لاستقراره هناك هو التفرغ للتدريس والإفتاء والدعوة لنشر المذهب المالكي موظفا قدرته الفائقة على بسط الفقه المالكي باللسان البربري، لمجابهة الآخذين بالرأي بهذه المدينة وكان ذلك فاشيا بها يعتنقه حتى رؤساؤها. (*التشوف للزيات*، ص. 98).

ابن الزيات، *التشوف الى رجال التصوف*، تح. أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1984 : م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس* طنجة، 1989 : أحمد بن القاضي، *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس*، دار المنصور، الرباط، 1974 : العباس بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، المطبعة الملكية، الرباط، 1403 . 1985 : ع. العزيز بن عبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*. مطبوعات وزارة الأوقاف، 1975.

المهدي السعيدي

الروداني، محمد بن **سعيد** الأسفي. المعروف بـ"الطالب" لأنه كان يعطي دروسا في الكتّاب، يُعتبر من أشهر شعراء الملحون بأسفي وأعرقهم إلى درجة أنه أصبح يشكل مدرسة بكل مقوماتها تتلمذ له عدد من كبار شعراء الملحون على الصعيد الوطني أمثال الشاعر محمد بن علي الدمناتي ومحمد الرباطي. لم تسمح له ظروفه المادية بالعيش العادي الشيء، الذي أجبره على التكسب بشعره عن طريق مدح كبار الشخصيات. ولما مرض أصبح تلميذه محمد بن علي الدمناتي يقوم بنفسه بالعمل وينسبه إلى أستاذه.

كان إنتاجه رائعا متعدد المواضيع، وأكثره في مدح الرسول - عليه السلام - والتوسل والغزل وغير ذلك. ومن روائع قصائده قصيدة يتغنى فيها ببنات أسفي جريتها :

يابات أسفي نوضوا اتْبابعو   لْبُوعبونْ شهلا لالة بوسالفْ خدوج

منير بصكري، *الشعر الملحون بأسفي*، د. د. ع. كلية الآداب الرباط،1587، ص. 348 : *تحريات ميدانية بمدينة أسفي* ؛ علال ركوگ، *موسيقى أسفي قيد الطبع*.

علال ركوگ

الروداني، محمد بن **سليمان**. ولد بمدينة تارودانت في الجنوب المغربي، ونشأ بها وتعلم، وهي يومئذ حاضرة بلاد سوس العلمية، بما تتوفر عليه من علماء أجلة قائمين على حلقات التدريس في المساجد الكبرى الثلاثة لا سيما الجامع الأعظم ومدرسته السعدية الأنيقة. ثم تابع الروداني دراسته في الزاوية الناصرية بدرعة، والزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط، ومدينة مراكش عاصمة الملوك السعديين

قبل أن ينتقل إلى المشرق، فكان من شيوخه المغاربة أبو مهدي عيسى السكتاني. وفي طريقه إلى الشرق أخذ بالجزائر عن سعيد بن إبراهيم قَدّورة، ثم أخذ عن أعلام مصر والشام، كعلي الأجهوري، والشهاب الخفاجي، والشهاب القليوبي، ومحمد بن أحمد الشوبري، والشيخ سلطان، وخير الدين الرملي، ومحمد النقيب بن حمزة الحسني، ومحمد بن بدر الدين ابن بلبان، وأجازوه جميعا إجازات عامة وخاصة، فكانت إجازاتهم مادة فهرس *صلة الخلف*.

وبعد أن أدى الروداني فريضة الحج، جاور بالمدينة المنورة سنين طويلة إلى أن أزعج عنها بمكايد حساده وخصومه، فتوجه إلى مكة المكرمة. ورحل ابن سليمان الروداني عام 1071 /1671 إلى القسطنطينية عاصمة الخلافة العثمانية، فمكث بها في حظوة كبيرة سنة رجع بعدها إلى مكة المكرمة، وقد فُوِّض إليه النظر في أمور الحرمين الشريفين، حتى صار شريف مكة لا يصدر إلاّ عن رأيه. ولمّا مات الوزير التركي الذي كان يسانده تمكّن خصوم الروداني من استصدار أمر الباب العالي بنفيه عن مكة إلى بيت المقدس، فأبى متعلّلا بقلّة الأمن في الطريق، ولكنه اضطر أخيرا إلى أن يترك أهله بمكة ويخرج إلى الشام، حيث عاش بدمشق منزويا عن الناس مقبلا على التأليف، إلى أن أدركه أجله بها.

أجمع الذين ترجموا لمحمد بن سليمان الروداني - مغاربة ومشارقة - على أن ذهنه لم يكن عاديا، وأن أعماله العلمية ليست كأعمال معاصريه. أول ما يتجلى ذلك في مشاركته في جميع العلوم المعروفة في عصره - كما يظهر ذلك في *صلة الخلف* - مشاركة تختلف عما اعتيد في غيره من العلماء، ذلك أن المشارك - عادة - يضلُع ويبرع في علم، ويشدو في علوم أخرى شدواً قليلا أو كثيراً لا يبلغ حد البراعة، غير أن صاحبنا متمكن من كل علم عرفه تمكن من لم يعرف غيره.

ويمكن القول إن المعقولات هي التخصص الدقيق لمحمد ابن سليمان الروداني، قرأ ما عُرب من كتب اليونان، ومؤلفات حكماء الإسلام راويا بعضها مسلسلا كذلك إلى مؤلفيها. وقد عبّر عن تمكّنه في ذلك أحد تلاميذه الدمشقيين عبد القادر بن عبد الهادي، وكان قد لازم مجالس الروداني العلمية وأفاد منه كثيراً وصحبه في رحلته إلى القسطنطينية، قال : "وكان - يعني الروداني - في الحكمة والمنطق والطبيعي والإلهي، الأستاذ الذي لا تنال مرتبته بالاكتساب، وكان يتقن فنون الرياضة لاقليدس، والهيئة، والمخروطات، والمتوسطات والمجسطي، ويعرف أنواع الحساب والمقابلة والارتماطيقي وطريق الخطأين والموسيقى والمساحة، معرفة لا يشاركه فيها غيره إلاّ في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها".

وأكد ذلك الرحالة المغربي الشهير أبو سالم العياشي في *ماء الموائد*، وكان قد عاشر ابن سليمان الروداني سنة كاملة في المدينة المنورة، واطلّع أثناءها - عن قرب - على مؤلفاته ومخترعاته واقتبس منها، فكتب عنه : "... حكيم الإسلام، وأحد العلماء الأعلام، المتوقّد فطنة، والمتوهّج ذكاء، الممتلئ حكمة وإيمانا، ولم يرشح له وعاء، ولا حلّ له أحد وكاء... وقد حقق علم التنجيم بجميع أنواعه، مع ما يتوقف عليه من علوم كالحساب وغيره، إلا أنه يتحامى تعاطي ما يدل منه على الحوادث المستقبلية ديانة منه - رضي الله عنه - وله قصيدة في علم التوقيت أكبر من *الروضة*، بالغ في تجويد نظمها، وأتقن فيها الفن غاية الإتقان، وخالف كثيرا من المؤلفين في ذلك الفن في أشياء بيّن حقيقتها بالدليل والبرهان، وقرّب العمل فيها بضوابط وقواعد مبنية على الإرصادات الصحيحة الواقعة في هذه الأزمنة القريبة...".

الذي يثير الانتباه أكثر في هذا النص، هو اجتهاد الروداني في علم الفلك، وعدم تقليده الأزياج القديمة، واعتماده على الأرصاد الحديثة. هذه منهجية النقد في طرق البحث الحديث، كان يتبعها الروداني في جميع أعماله العلمية، ولا يقبل من الحقائق والوقائع إلا ما أيدته التجربة، وأقرّه البرهان. وقد آتاه الله ذهنا متوقّدا ويداً صناعا، فكان يصنع الآلات الفلكية بيده من أسطرلابات وأرباع ودوائر وأنصاف ومكّانات.

وأعجب مصنوعات الروداني المبتكرة التي وصلت إلينا أوصافها مفصلة، كرة فلكية دقيقة تغني عن كثير من الأعمال الحسابية والآلات الهندسية، سماها الآلة الجامعة، وهي - كما يقول العياشي - في *الرحلة* - : "كرة مستديرة الشكل، منعمة الصقل، مغشاة ببياض الوجه المموّه بدهن الكتان، يحسبها الناظر بيضة من عسجد لإشراقها، مسطّرة، كلها دوائر ورسوم، قد ركّبت عليها أخرى مجوّفة منقسمة نصفين، فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها، مستديرة كالتي تحتها، مصقلة مصبوغة بلون أخضر، فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها منظر رائق، ومخبر فائق، وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة، مع سهولة المدرك، لكون الأشياء فيها محسوسة، والدوائر المتوهّمة في الهيئة والتقاطع الذي بينها مشاهد فيها، وتخدم لسائر البلاد على اختلاف أعراضها وأطوالها".

وألف ابن سليمان الروداني كتابا صغيرا في وصف هذه الكرة وكيفية العمل بها سماه : النافعة على الآلة الجامعة، يقع في مقدمة وخمسة وأربعين بابا وعشرة فصول وخاتمة، اعتنى بتحقيقه الأستاذ شارل بيلا، من جامعة السربون، اعتمادا على مخطوطة المكتبة الحمزاوية (رقم 128) ونشر النص العربي في مجلة الدراسات الشرقية بدمشق (جزء 27، سنة 1973)، ثم نقله الأستاذ بيلا إلى اللغة الفرنسية، وعمل على إعادة تركيب الآلة على حسب

ما ورد في الكتاب من وصف أجزائها، ورسم الأشكال اللازمة للايضاح، مستعينا في مراجعة الحسابات والتأكد منها بالسيدة كاربانتيي، الأستاذة المبرزة في الرياضيات. ونشرت الترجمة الفرنسية أيضا بمجلة الدراسات الشرقية بدمشق (جزء 28 سنة 1975).

وقارن صديقنا الأستاذ محمد الأخضر محمد بن سليمان الروداني في ذهنيته العلمية واختراعاته المفيدة بمعاصريه العالمين الأوربيين : الرياضي الفرنسي باسكال مخترع الآلة الحاسبة، والفيزيائي الانجليزي نيوتن مكتشف قانون الجاذبية الأرضية. ولاشك أن آفة الروداني أنه كان يعيش في أمة أمرها إلى إدبار، غشيها من الجهل والغفلة واليأس ما غشيها، بينما عاش الآخران في بيئة متحفزة إلى الرقي، منطلقة إلى الأمام.

توفي الروداني مغترباً بدمشق في عاشر ذي القعدة عام 1094 / 31 أكتوبر 1683، ودفن بوصية منه في سفح جبل قاسيون.

م. الروداني، *صلة الخلف بموصول السلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988 ؛ أبو سالم العياشي، *رحلة ماء الموائد*، 2 : 30. 45 ؛ محمد أمين المحبي، *خلاصة الأثر*،4 : 204 .208 ؛ محمد بن عبد الرحمان الفاسي، *المنح البادية في الأسانيد العالية*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة من انتشر*، ص.196 .198 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*/ *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 4 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، مخطوط ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*،4 : 115 . 116 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1982، تح. د. إحسان عباس، ج 1 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، ص. 181 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام* ط. فاس، 4 : 334 .359 ؛ إسماعيل البغدادي، *هدية العارفين*،2 : 298 ؛ *إيضاح المكنون*،1 : 267، 2 : 7 ؛ خ. الدين الزركلي، *الأعلام*،7 :294 ؛ ع. السلام بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 304 ؛ ك. بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، 2 : 459، *والملحق* 2 : 601 ؛ ع. الله كنون، *النبوغ المغربي*، 1 : 284 . 285 ؛ ع. كحالة، *معجم المؤلفين*،11 : 221 ؛ م. ابن تاويت، وعفيفي، *الأدب المغربي*، ص. 313 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية بالمغرب على عهد الدولة العلوية*، ص. 106 .113 ؛ شارل بيلا، *مقدمة الناقعة على الآلة الجامعة*، ص. 6.

محمد حجي

الروداني، محمد بن **عبد الله** البوشاني الإدريسي الملقب بخرباش ثم كوثر، ولد سنة 1336 / 1917 بحي سيدي وسيدي العتيق بتارودانت ونشأ في أسرة مشهورة بالعلم والصلاح فوالده عبد الله بن محمد التاماسيني الوزكيتي عارف بالقراءات والحساب والفرائض، وعميد الطريقة الدرقاوية بتارودانت، ومريد شيخ زاوية إلغ الحاج علي الدرقاوي. أما والدته فهي ابنة الفقيه عمر بن أحمد الهشتوكي تلميذ الحسن التملي (*المعسول*، 14 : 228).

في هذه الأسرة ولد محمد بن عبد الله الروداني فكان ميله للعلوم والصلاح فطرة فيه منذ صباه، ويمكن تقسيم حياته إلى مراحل ثلاث.

المرحلة الأولى : النشأة والدراسة الأولية بتارودانت. لم يكد الروداني يبلغ الثامنة من عمره حتى توفي والده وتركه يعاني مرارة اليتم والفقر، فقد كان والده كما قال : "إماما في فني القراءات والميراث لهذا لم يترك لنا من تركته إلا الألواح والتسابيح حيث كان درقاوي الطريقة، لهذا كان عيشنا في ضنك "(شعر محمد بن عبد الله الروداني بحث الإجازة للطالبة أمينة إيليلو إشراف الأستاذ اليزيد الراضي كلية الآداب أكادير، 1992، ص. 10).

قرأ الروداني القرآن وحفظه على تلميذي والده أحمد بن محمد الإيرزاني الملقب بوتالونت، والحسن بن مولود السكتاني، ثم التحق بالفقيه أحمد بن المصلوت الهواري مدرسة الجامع الكبير بتارودانت فلازمه سنين يأخذ عنه علوم العربية والشرع ويحفظ متونها المتداولة، وخلال ذلك حضر بعض دروس باشا تارودانت الشنگيطي ومحمد بن الحسن بمسجد فرق الأحباب (*المعسول*، 14 : 228).

وخلال هذه المرحلة تشرب الروداني الشعور الوطني وتعرف على الحركة الوطنية ومطالبها وناضل ضد الوجود الفرنسي فكان مهتما بنشر الفكرة بتارودانت خفية في بعض المساجد لدى الشباب خاصة من التلاميذ. وكان يقوم بشرح مرامي الاستعمار ومخططاته وأعمال الوطنيين في مناوأته رابطا ذلك بالسيرة النبوية وبسيرة السلف الصالح والأناشيد الحماسية وبتحفيظ الأناشيد الوطنية كما كان يقوم بنشر الشعارات الوطنية وكتابتها على الجدران. (شهادة الطيب الخياطي ضمن أعمال ندوة تكريم محمد بن عبد الله الروداني، ص. 10).

المرحلة الثانية : عهد الحماية.

شعر الروداني بحاجته للاستزادة من العلم وبأنه لم يعد في مدينته ما يروي ظمأه فغادرها سنة 1933 متجها إلى مراكش وقد اجتذبته إليها سمعة مدرسة الرميلة وكان محمد المختار السوسي حولها إلى مدرسة بعد أن كانت زاوية درقاوية، فلازمه أربع سنوات استتم خلالها عليه ما كان ينقصه من معارف لغوية وشرعية وأدبية كالنحو والفقه والأصول والحديث والتفسير.

وقد تأثر الروداني بسمة مدرسة الرميلة وهي العناية بالأدب وبتربية الطلبة على الإقدام والشجاعة الأدبية وعلى الفكرة الوطنية، وفي هذه المرحلة تفتقت ملكته الشعرية فنظم القصائد المطولة ومنها قصيدة في أبي شعيب الدكالي وقصائد عرشية، كما أقبل على التعلم إقبالا كليا، قال أستاذه السوسي : "فلم يدع بابا إلا طرقه ولا كتابا أديبا إلا طالعه فيستحضر الأدبيات والتاريخ العام والخاص" (*المعسول*، 14 : 229) كما انصرف إلى تعلم اللغة الفرنسية من أحد الرهبان بمراكش مقابل تعليمه العربية.

وقد زامل الروداني في أخذه بمراكش طائفة من الطلبة الذين علا شأنهم في ميداني الوطنية والأدب نذكر منهم عبد القادر حسن وأحمد بن عرفة الفاسي وأحمد النور والحسن التناني وإبراهيم الإلغي ومحمد الأسفي وعبد الله إبراهيم والحسين بن علي البزيوي ومحمد بن العربي الأسفي وعبد السلام المسفيوي.

غير أن هذه المرحلة لم تدم سوى أربع سنوات، ففي سنة 1937 نفي المختار السوسي بعدها إلى مسقط رأسه إلغ وتفرق شمل طلبته، فتوجه الروداني إلى فاس للالتحاق بالقرويين، إلا أنه لم يتوفق في ذلك لما كان يلقاه من سلطات الحماية من ملاحقة ومضايقة، فغادر فاسا وحط رحاله بالدار البيضاء ليعتمد على نفسه في التعلم ولينصرف إلى طلب المعاش والكسب، متقلبا بين عدة وظائف وهي : التجارة، والتعليم : حيث عمل بمدرستين حرتين من المدارس الوطنية وهما مدرسة الأميرة عائشة التي التحق بها سنة 1937 واشتغل بها عدة سنوات، ثم مدرسة الفلاح لبث بها من سنة 1948 إلى 1964.

- تلقي الشهادات : رغب الروداني في الالتحاق بسلك القضاء غير أن طلبه رفض اعتبارا لسوابقه الوطنية ولتتلمذه للمختار السوسي، فقنع بتلقي الشهادات والتوثيق فيما بين سنتي 1948 - 1953.

- الصحافة : أصدر الروداني في يونيو من سنة 1952 مجلة "هنا كل شيء" وشغل منصب مديرها السمؤول واستمر صدور المجلة حتى بلغت 34 عددا وتوقفت نهائيا بعد صدور عددها الأخير في 20 فبراير 1954، وكانت أول الأمر شهرية ثم نصف شهرية، وقد اعترضتها صعوبات فلم تكن منتظمة الصدور وكان الروداني يكتب افتتاحياتها ليطرح أفكاره الإصلاحية الوطنية التي لم تكن تركز على الجانب السياسي بل تتجاوزه لتعالج الجوانب الاجتماعية والفكرية والثقافية، وكانت تطمح إلى مخاطبة عامة الناس راغبة في الوصول إلى أكبر عدد من القراء، جاء في افتتاحية عددها الأول : "عاهدنا أنفسنا على أن لا نتبع إلا خطة واحدة وهي خدمة الشعب المغربي من الناحية الاجتماعية لأنه في حاجة ماسة إلى مثل هذا العمل... ففي هذا المجموع يجد العامل جميع الإرشادات الضرورية... كما يجد الفلاح النصائح الفنية... أما المرأة وهي أساس المجتمع فقد خصصنا لها صفحتين... فكما يرى القارئ العزيز فكرنا في جميع العناصر التي يرتكز عليها المجتمع فالعامل والفلاح والمرأة والطفل والرياضي يجدون... مواضيع تهمهم يعلق عليها شبان مغاربة..." (أنقار، قصص الأطفال بالمغرب، ص. 114).

المرحلة الثالثة : الاستقلال.

نال المغرب استقلاله سنة 1956 وظهرت الحاجة لأبناء المغرب لممارسة استقلالهم وخدمة بلادهم بشغل الوظائف الإدارية، فالتحق الروداني كغيره من المثقفين بالإدارة الوطنية وعمل كاتبا بعمالة إقليم الشاوية إلى أن عيّن أستاذه المختار السوسي وزيرا للتاج فالتحق به وعيّنه سنة 1957 مدير ديوانه، ورافقه في عمله على إخراج مؤلفاته الأدبية ومجاميعه التاريخية وبقي ملازما له حتى وفاته سنة 1963، فانتقل إلى المطبعة الملكية مساعدا لمديرها ثم ملحقا بديوان وزارة التجارة والصناعة سنة 1966 فمكلفا بمهمة بديوان وزير شؤون موريطانيا والصحراء سنة 1967 وفي سنة 1973 ألحق بالخزانة الملكية وبقي بها إلى سنة 1980 لما ألحق بأكاديمية المملكة إبان إنشائها وتقديرا لعمله الأدبي والفكري منح جائزة الاستحقاق الوطني سنة 1991. بقي الروداني ملحقا بأكاديمية المملكة حتى وفاته يوم 27 يونيو 1992 عن 75 سنة رحمه الله.

خلف الروداني إنتاجا متنوعا شمل الشعر والتحقيق والنثر رسالة ومقالة. غير أن إنتاجه قليل جدا لا يعبر عن إجادته فلم يوجد له سوى 386 بيتا موزعة على 18 قصيدة ومقطوعة وقد نتج ذلك عن انصرافه عن تعاطي الشعر بسبب استئثار المشاغل والوظائف باهتمامه، أو شعوره أحيانا بأن الأدب مضيعة للوقت.

واتخذ الروداني الرسالة وسيلة لتجديد الصلة بأصدقائه وشيوخه ولمخاطبة الجهات الرسمية ولتدقيق معارفه التي كان في حاجة إليها في أعماله العلمية غير أن الموجود من رسائله قليل لا يتجاوز ثماني رسائل.

ونشر الروداني أولى مقالاته في مجلة "هنا كل شيء" ثم في مجلات وصحف وطنية أخرى مثل مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف ومجلة الأعماق ومجلة أبعاد فكرية... كما تنوعت الموضوعات التي عالجها فشملت الترجمة للأعلام والمقالة الإصلاحية والمقالة الأدبية والمقالة الوصفية التأملية ثم المقالة التاريخية.

وكان حسه الوطني السلفي موجهه في كتاباته الصحفية، ففي مقالة الترجمة للأعلام كان يتلمس ملامح شخصيات علمية أو صوفية أو تاريخية كأبي مهدي عيسى السكتاني (مجلة دعوة الحق) وعبد السلام بن مشيش والشيخ إيعزى ويهدى (مجلة الأعماق) وسيف بن ذي يزن وابن سينا (مجلة هنا كل شيء) ويعتبرها نموذجا يحتذى في التضحية والإخلاص والصلاح وعمل الخير بناء على نموذج للصفوة التي يدعو إلى اتباعها وجعلها مثلا أعلى يجب على الشباب التأسي به واتباعه.

أما المقالة الإصلاحية فتتبع مظاهر التفسخ والانحلال في المجتمع والأدب والفكر منبهة إلى خطر ضياع الهوية وضرورة اليقظة لمواجهة التأثير السيئ للحضارة الغربية على مقومات الشخصية المغربية، أما المقالة الوصفية التأملية فتلفت الانتباه إلى ما في الكون والحياة من مظاهر الجمال والاعتبار والحكمة.

أما أسلوب الروداني فيتميز بالسلاسة والانسياب مع الوضوح والتحقق مما لا يلزم من محسنات بلاغية كما تغلب

على مقالاته سمة الاستطراد والاهتمام بإيراد الحكايات الغريبة والاستدلال بالأبيات المفردة والمقطعات القصيرة.

عمل الروداني على إخراج ثلاثة كتب هي إيليغ قديما وحديثا لشيخه محمد المختار السوسي، والدعاء الناصر والتيسير في المداواة والتدبير لابن زهر الأندلسي.

وكان الروداني خلال عمله في هذه الكتب يحرص على ضبط النص وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية وشرح الكلمات الغامضة، كما عني خاصة في كتاب شيخه السوسي بضبط أسماء الأماكن والأعلام والأحداث التاريخية وشرحها والتعليق عليها مما أدى إلى كثرة هوامشه واتساعها مع أهميتها ودقة ما فيها من معلومات وإشارات.

محمد المختار السوسي، المعسول، ج. 14 ؛ إيليغ قديما وحديثا، تح. محمد بن عبد الله الروداني، الرباط، 1966 ؛ فقيه العلم والأدب محمد بن عبد الله الروداني، ندوة تكريمية، منشورات الجمعية الرودانية للثقافة والتراث ؛ شعر محمد بن عبد الله الروداني، بحث الإجازة للطالبة أمينة إيشلو، إشراف الأستاذ اليزيد الراضي، كلية الآداب أكادير، 1997 ؛ محمد بن عبد الله الروداني الأديب المحقق، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب للطالبة سعيدة إدريسي تغراوتي، إشراف الدكتور محمد خليل، كلية الآداب عين الشق الدار البيضاء، 1996 ؛ محمد أنقار، قصص الأطفال بالمغرب، تطوان، 1998 ؛ عمر المتوكل الساحلي، المعهد الإسلامي والمدارس العلمية العتيقة بسوس، ج. 1، الدار البيضاء، 1985.

المهدي السعيدي

رُودة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Roda وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه المدينة بتطوان سنة 1150/ 1738.

م. بن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان، تطوان، 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 742.

محمد بن عزوز حكيم

روساي، رايس بحري من كبار رياس عهد مولاي إسماعيل. كان يقود سنة 1104 / 1693 سفينة مجهزة بأربعة عشر مدفعا وطاقم مؤلف من مائة رجلاً، وبها نفذ عملية مثيرة للإعجاب أكسبته شهرة عالية. فقد استولى في مياه جزيرة ماديرة على سفينة كراكيل برتغالية تقل عامل جزر الأصور دون ميلشيور دي طوري (D. Milchior de Torre) وحاشيته، ولم تكن الكراكيل مجهزة سوى ببعض البنادق وستة منجانيقات حاولت الدفاع بها عن نفسها خلال معركة دامت يومين وثلاث ليال. وفي النهاية استسلمت للرايس روساي بعد أن قتل من رجالها أربعة بحارة وأسر بقية طاقمها ومن بينهم عامل الجزيرة ونجله ورجل دين، وبلغ مجموع الأسرى واحد وثلاثين شخصا من بينهم امرأتان. وقد وصل روساي إلى مرسى سلا يوم 19 أكتوبر بغنيمته وأسراه، حيث تدخل القنصل الفرنسي على الفور من أجل معاملة الأسرى بما تتطلبه مرتبتهم الاجتماعية.

وخلال حملته سنة 1694 لم يحقق روساي وهو يقود سفينة مجهزة بستة عشر مدفعا أية نتيجة تذكر طيلة شهرين، ودخل المعمورة في 25 يوليو أمام أنظار السفن البرتغالية المحاصرة لمرساها دون أن يصاب بأذى. وغامر في البحر مجدداً في خريف نفس السنة وعاد إلى المرسى في دجنبر بخفي حنين.

وفي نهاية 1695 استولى الرايس روساي في مياه الجزر الخالدات على قارب إسباني سبق وأن غنم طريدة فرنسية، وكان على متنه ربان وبحاران، ادعى أحدهما أنه أحد أبرع صناع المتفجرات بفرنسا، وأنه على استعداد لاعتناق الإسلام. وقد قرر روساي أن يسوق غنيمته إلى ساحل سبتة حيث كان يدرك حسن الاستقبال الذي يوفره له أهالي المنطقة، لكن الرياح لم تكن في صالحه فاضطر إلى التوجه إلى الجزائر التي مكث بها شهراً وعاد إلى مدينة سلا في 15 مارس 1696.

واستمر نشاط روساي خلال المواسم التالية حيث تسجل الوثائق حضوره ضمن لائحة الرياس العاملين، وخاصة خلال موسم 1111 / 1699 الذي اتخذ في ميناء العرائش منطلقا لعملياته دون أن يفلح في تحقيق أية غنيمة.

S.I.H.M., 2e série, *France*, T. IV, p. 296 ; T. V, p. 271 - 72 ; Coindreau, *Les corsaires de Salé*, p. 85 - 86.

حسن أميلي

روسدير Rhysaddir، مدينة وردت في مصادر مختلفة بهذه الصيغة، باستثناء الكاتب الأول الذي ذكرها وهو الجغرافي بومبونيوس ميلا الذي أصدر كتابه حوالي سنة 40م (Méla, 1, 5, 29). فقد كتب اسم المدينة كما يلي : روسگادة Rusgada، وذلك في وصفه للواجهة المتوسطية لموريطانية، والمدينة مرتبة من الغرب إلى الشرق بين واد لاودة Tamude، مارتيل حاليا، ومدينة سيگا Siga الواقعة في مصب واد تافنا.

وبعد ذلك وردت المدينة عند بلينيوس الأكبر المتوفى سنة 79 م. وهو الذي كتبها حسب الصيغة المألوفة عند جمهور الدارسين والتي اخترناها لكتابة اسمها، وهو روسدير Rhysaddir. ذكر الكاتب هذه المدينة مشيراً إلى توفرها على ميناء، وذلك في آخر فصل أعده لجغرافية موريطانية، حيث تحدث عن الواجهة المتوسطية. وقد رتب المدينة من الغرب إلى الشرق كما يلي : هناك واد لاودة Laud، لاو الحالي، الصالح للملاحة ومدينة وميناء روسدير ثم نجد واد

ملوان Malvane - ملوية حاليا - الصالح أيضا للملاحة (Pline, 5, 18).

وفي القرن الثاني الميلادي تحدث عنها الجغرافي بطليموس في وصفه كذلك للواجهة المتوسطية. والمدينة مرتبة عنده من الغرب إلى الشرق، بين رأس سيستياريا Sestiarja ومصب واد ملوشات Molochat - ملوية الحالي -. وقد كتبها كما يلي : Rousadir وحدد موقعها حسب الإحداثيات التالية : الطول 16° والعرض 34° و45° (Ptolémée, 4, 1, 3.) .

وفي القرن الثالث الميلادي وردت في مسالك أنطونينوس، في وصف المحطات الطرقية الممتدة عبر البحر المتوسط متجها من الغرب إلى الشرق. وقد وُضعت المدينة في أقصى نقطة من هذه الطريق، على بعد خمسة عشر ميلا من المحطة الواقعة قبلها وهي رأس تريس فوركاس Tres Forcas، وعلى بعد ثلاثمائة وثمانية عشر ميلاً من طنجة. وقد كتبت كما يلي :Russadir Colonia (.Itinéraire, I). وهذا يعني أنها صارت مستوطنة رومانية في العهد الروماني.

لقد رجح شارل تيسو أن مدينة أكروس Akros الواردة في رحلة سكولكس هي روسدير، ملاحظا أن كلمة أكروس الإغريقية ترجمة لاسم روسدير، ومعناها في اللغة الفنيقية أو البونية "الرأس القوي أو الرأس الكبير"، وهذا ما جعل الكاتب يرجح أن المدينة فنيقية أو بونية. وهو رأي وافقه فيه روجي.

والملفت للنظر أن سكولكس الذي قدم وصفا للواجهة المتوسطية متجها من الشرق إلى الغرب، قد ذكر مدينة أكروس بعد مدينة سيگة. والكاتب بذلك يتفق مع بومبيوس ميلا في ذكر روسگادة قبل سيگة حسب اتجاه معاكس للاتجاه المتبع في رحلة سكولكس. أما سطيفان كسيل فظن أن مدينة متاگنيون Metagonion الواردة عند هيكاتي المليتي Hécatée de Milet فهي روسدير أيضاً.

إن الإشكال مازال مطروحا حول ماضي وهوية مدينتي روسدير وكذلك مدينة روسبيس، اعتبارا لنعتها بتسمية فنيقية أو بونية. فإلى أي حد تعكس هذه التسمية حقا أصولها الفنيقية أو البونية ؟ إن المصادر المتعلقة بموضوع الوجود الفنيقي والبوني في موريطانية تجعلنا نرجح الوجود الفنيقي عن الوجود البوني أو القرطاجي. فنص رحلة سكولكس ينعت مدينتين موريتين بكونهما فنيقيتين. والأمر يخص لكسوس المعروفة حاليا، وتمياترية Thumiatéria الواقعة على نهر كرابيس Krabis وهو واد سبو (Périple de Scylax, 112.) لكن آثاراها مازالت مجهولة.

أما الوجود البوني القرطاجي في موريطانية فنعرفه بواسطة نص وحيد هو رحلة حنون، حيث ورد ذكر ست مستوطنات قيل إن حنون أنشأها خلال رحلته، بين مضيق أعمدة هرقل ونهر لكسوس (Périple d'Hannon, 2 et 5). غير أن آثار هذا الوجود القرطاجي قد اختفت منذ التاريخ القديم، كما يشهد على ذلك بلنيوس الأكبر، في سياق حديثه عن مدينة لكسوس قائلا : "إن معظم الكتاب الإغريق وكتابنا أيضا يتحدثون عن أساطير من بينها أن حنون أنشأ عدة مدن في هذه الناحية. لكن ليس هناك أي أثر لها، ولا أحد يتذكرها" (Pline l'Ancien, 5, 8).

ثم إن سكولكس القريب من وقائع رحلة حنون، لم يكن على بينة من الأصل الفنيقي لروسدير المتوسطية التي علم بشأنها، من خلال ذكر مدينة أكروس، التي يرى تيسو في اسمها ترجمة إغريقية لمدينة روسدير. بينما نجد سكولكس ملما بالمبادلات التجارية التي كان يقوم بها الفنيقيون في جزيرة كرني Kerné على المحيط الأطلسي. وقد أسفرت الأبحاث الأثرية على مصداقية قوله بأن الفنيقيين كانوا يبيعون الخزف الآتيكي للسكان، وذلك بعثور المنقبين على هذا النوع من الخزف مع المواد الفنيقية في نفس الوسط الأثري خاصة في جزيرة مگدور، التي يرجع تاريخها إلى ما بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد. وبرغم أننا لم نتيقن بعد من مطابقة الجزيرة البائدة مع الجزيرة الحالية، فلا شك أن مگدور كانت تشهد رواجا مماثلا لما كان يجري في كرني.

وأيا ما كن الأمر، فيجوز أن روسدير المتوسطية والأطلسية ومعهما روسبيس، هي مواقع تعكس ذكرى المراكز الفنيقية بالمغرب القديم. والجدير بالذكر أن سترابون أكد وجود هذه المراكز الفنيقية قائلا : "في جنوب لكسوس ورأس كوطيس Kotes يوجد خليج يدعى بالأمبوري Amprikos لأنه يحتوي على مراكز للتجارة الفنيقية Amporias". وفي سياق آخر أورد نفس الكاتب خبرا حول هذه المراكز، وهو يستغرب من مبالغة مصادره في تقدير عددها. وهذا قوله : "يحكى أن في الخلجان التي تلي الخليج الأمبوري، توجد مراكز لأهل صور وهي اليوم مندرسة، وكان عددها يناهز ثلاثمائة مدينة، لكن الفاروسيين والنگريتيين حطموها عن آخرها، ويقال إن مواطن هذين القومين بعيدة عن لكسوس بحوالي ثلاثين يوما من المشي" (Strabon, 17, 2 - 3 et 8).

وأخيراً نشير إلى أن مدينة روسبيس تندرج في ما كان يعرف ببلاد الگيتوليين، التي كانت لها مكانتها الاقتصادية في المغرب القديم. ولقد أشادت المصادر بالثروات المتنوعة التي كان يزخر بها هذا المجال، وخصوصا اشتهاره بالأرجوان (Pline l'Ancien, 5, Gaetulia Purpuriae 12 ; 9, 127 ; 6, 201) ونعتقد أن ميناء المدينة التي نحن بصددها، والميناء الذي كان على نهر أسانة Asana وغيره من الموانئ الأطلسية القديمة، كان لها دور في الأنشطة الملاحية للموريين عبر المحيط. وبواسطتها استثمروا ثروات بلاد الگيتوليين، التي كانت تخضع لملكتهم. ولعدة

اعتبارات لا يسمح المجال بالإسهاب فيها هنا، نرجح أن الموريين باحتكاكهم مع الفنيقيين وغيرهم من الشعوب، قد لمعوا في ميدان الملاحة، وكانوا يقومون بدور الوساطة التجارية بين بلاد الإثيوبيين والعالم المتوسطي قبل خضوع البلاد للرومان.

هذا عن المدينة كما وردت في المصادر. فماذا نعرف عنها انطلاقا من نتائج الأبحاث الأثرية ؟ إن الدارسين يعتقدون بأن مدينة مليلية تغطي أطلال روسدير المتوسطية. أما المواد الأثرية التي تنتمي لروسادير فهي نقدية تحمل اسمها مكتوبا بحروف بونية، مثلها في ذلك مثل سائر المدن المورية، التي تشترك في مارسم عليها من منتجات فلاحية تتجسد في عنقود العنب وسنبلة القمح، مع امتياز عملة روسدير عن غيرها بمثول نحلة عليها إلى جانب المنتجات الزراعية.

ومن جهة أخرى أسفرت تنقيبات طراديل في مقبرة مجاورة لمليلية عن مخلفات أثرية سلطت بعض الضوء على فترة من إعمار المدينة. يتعلق الأمر بأوان من الخزف المعتاد، التي يرى المنقب أنها تتميز بتأثيرات بونية. إضافة إلى إناء من الخزف المصبوغ وثلاث أوان من الخزف الكمباني B فضلا عن أمفورتين من النوع Dr. 18 وأمفورتين من النوع Dr. 7-11. وقد أكد المنقب أن هذه المقبرة لا تحتوي أية آثار ترجع للقرن الثالث قبل الميلاد، مما جعله يؤرخ لها بالقرنين الثاني والأخير قبل الميلاد، وهو تاريخ مقبول اعتبارا لزمن رواج المواد المذكورة.

فإذا كانت المقبرة تضم رفات سكان مدينة روسدير، فهذا يفيد أنها كانت معمورة منذ القرن الثاني قبل الميلاد. ومادام رأي تيسو يبدو سديدا في المطابقة بين روسدير وأكروس الواردة في رحلة سكولكس التي ترجع للقرن الرابع قبل الميلاد، فإن لروسادير تاريخا أقدم مما أسفرت عنه التنقيبات في المقبرة المذكورة.

انفرد بلنيوس الأكبر بذكر مدينة ثانية باسم روسدير Rhyssaddir في وصف ساحل المحيط الأطلسي، اعتماداً على المعلومات الواردة في رحلة بوليبوس Polybius التي تمت سنة 146 قبل الميلاد. وقد رتب الكاتب هذه المدينة كالتالي : "بعد روتبيس يوجد رأس صوليس Solis ثم ميناء روسدير فبلاد الگيتوليين الأوطلول Gaetulos Autoteles" (Pline, 5, 9). لقد ظن تيسو أن المدينة المذكورة تقع قرب أگادير، وهو رأي وافقه فيه جيروم كاركوبينو. بينما ظن گسيل أنها توجد قرب الصويرة. أما روجي فانطلق من معنى "الرأس القوي" الذي يشتمل عليه اسم هذه المدينة، ليرجح أنها كانت تقع قرب رأس گير. وقد وافقه ديزانج في هذا الرأي.

م. مجدوب، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1988، مرقونة.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; S. Gsell, *Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord, I, Hérodote*, Alger, 1916 ; Idem, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, tome 2, Paris, 1912 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc*, *P.S.A.M.*, 4, 1938 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1948 ; P. Cintas, *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954 ; M. Tarradell, *La necropolis punico-mauritana de San-Lorinzo en Mellia*, *Congreso Arqueologico del Marruecos Espanol, (Tetuan, 1953)*, Tetuan, 1954, p. 253 - 66 ; Idem, *Historia de Marruecos, Marruecos punico*, Tetuan, 1966 ; J. Mazard, *Corpus nummorum numidiae maurelaniaeque*, Paris, 1955 ; F. Villard, *Céramique grecque du Maroc*, *B.A.M.*, 4, 1960, p. 1-26 ; M. Euzennat, *Héritage et influences gréco-romaines au Maroc à la veille de la conquête romaine*, *8ème Congrès International d'Archéologie Classique*, Paris, 1963, p. 261 - 78 ; R. Rebuffat, *Histoire de l'identification des sites antiques du Maroc*, *Africa Romana*, 13, 2000, p. 865 - 914 ; J. Desanges, *Commentaire de Pline l'Ancien, L'Histoire Naturelle*, Livre 5, 1 - 46, Paris, 1980.

محمد مجدوب

** ترتبط معرفتنا بروسدير بمميزات شبه جزيرة هرك القلعية التي أجبرت الملاحين الفينيقيين على التوقف منذ نحو ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد بالشمال الشرقي المغربي، وهم الذين أطلقوا اسم "رس أدر" (RS ADR) على شبه الجزيرة، وعنوا بذلك، حسب لغتهم "الرأس الأكبر"، إشارة إلى اندفاع كتلة شبه جزيرة هرك وتوغلها في مياه البحر المتوسط نحو الشمال على هيأة لسان صخري هضبي مثلث الشكل بارتفاع متوسط يصل إلى ثلاثين مترا، يرسم حدوده الجنوبية مجرى كل من واد المدور وواد غساسة.

اختص المركز التجاري الفينيقي المحدث بساحل شبه الجزيرة، باسم رس أدر حيث أطلق على الكتلة الصخرية الكلسية الواقعة في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة. وكان لهذا الاختيار ما يبرره، فالصخرة شبه جزيرة صغيرة محيطها ألف متر ومائتان وأربعة وعشرون مترا، تتوفر على جون صغير محيطه نحو ثلاثمائة متر، ومتعمق في البر بنحو سبعين مترا.

لم يكن هذا الاختيار بعيدا عن الأهداف الاقتصادية التي كانت الباعث الأساسي على الاستقرار بالصخرة والتعامل مع الخلايا البشرية القديمة المستقرة بشعاب جبل قبيلة قلعية. وقد دلت الحفريات التي أجريت بمصب واد المدور عن تقدم المركز الفينيقي نحو الغرب واستقرار تجاره على كدية واقعة على الضفة اليمنى من واد المدور دعيت بعد ذلك بكدية مزوجة أو تينرت، وهي التي سماها الإسبان Cerro de San Lorenzo. سبق أن عرَّفنا بها في هذه المعلمة.

والظاهر أن النفوذ الروماني كان أكثر توغلا في شبه جزيرة هرك، مما يسمح بترجيح اتساع نفوذ مركز رس أدر، بسبب إضافة الأهمية العسكرية إلى الدور التجاري، مما

جعل الرحالة الروماني بارتولومي Bartolome يعد المركز البونيقي مستعمرة، وهو ما تكرر سنة 70 م. على يد الإمبراطور فاسبسيانوس Vaspesianos.

والجديد في مركز رس أدر أن الرومان أحاطوا حدود الصخرة بسور، وسيكون هذا أول علمنا بتأسيس سور مدينة رس أدر. غير أن الزحف الوندالي سيضع النهاية لتلك المزايا كلها، فلم تر مدينة رس أدر النور من جديد إلا بعد قرن ونيف إثر محاولة البيزنطيين استعادة السيطرة على المدن الرومانية، فبعد حملة ترميم المدن المخربة بساحل الشمال الإفريقي جاء دور رس أدر في سنة 534 م. ويعد اسم رس أدر الفينيقي أول الأسماء الذي عرفت به مدينة مليلة القديمة منذ الفتح الإسلامي في آخر القرن الهجري الأول، وهو التاريخ الذي نحدده لاستبدال اسم رس أدر بمليلة.

حسن الفگيگي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، البيضاء، 1997 ؛ معلمة المغرب، مادة تيترت، 8 : 2756.

Fernando de Castro y Pedreda, *Melilla prehispanica*, Madrid, 1945 ; *Africa, Revista de las tropas coloniales* ; R. Rézette, *Los enclaves españoles en Marruecos*.

حسن الفگيگي

روسل، (جون) John Russel، قنصل عام بريطاني كلف بتمثيل بلده لدى سلطان المغرب مرتين، الأولى سنة 1727 والثانية سنة 1729. فخلال سفارته الأولى، تلقى وهو ما يزال بصخرة جبل طارق نبأ وفاة السلطان مولاي إسماعيل، فانتظر حتى تتضح الأمور خاصة بعد اندلاع الحروب بين أبناء السلطان. ولما استقرت الأمور، ولو إلى حين، لمولاي أحمد الذهبي، قصد روسل مكناس رفقة الوفد المرافق له، يحمل الهدايا محاولا كسب ود المقربين من السلطان، مستفيداً من النصائح التي كان يمده بها عبد القادر بيريس الذي سبق أن ذهب في سفارة إلى بريطانيا. وقد لعب في سفارة روسل، بالإضافة إلى دور المترجم، دوراً كبيراً في تمهيد الأجواء وتذليل الصعاب بهدف ضمان نجاح مهمة السفير. وسجل لنا جون بريتوايت، الذي كان من المرافقين للسفير، تفاصيل هذه السفارة. لقد كان روسل، قنصلا عاماً لبريطانيا، لكن صلاحيات واسعة فوضت له للعمل على تجديد معاهدة 1721 التي وقعها شارل ستيوارت، وافتداء الأسرى، والتفاوض لزيادة فصول إضافية تتعلق بالتجارة البريطانية وتموين الحامية الانجليزية بجبل طارق. ورغم إلحاح بريتوايت على أن تكاليف هذه السفارة كانت باهظة، فإن روسل لم يجد كبير عناء لضمان النجاح لسفارته، فقد تم تجديد معاهدة 1721، وإضافة مواد أخرى، بمقتضاها أصبح بإمكان المغاربة، سواء كانوا من المسلمين أو اليهود، أن يمارسوا التجارة بكامل الحرية في صخرة جبل طارق وجزيرة مينورقة بشرط ألا يستقروا هناك أو يتخذوا مراكز تجارية في هاتين النقطتين. كما أن لهم حرية نقل سلعهم دون عراقيل إلى المناطق التابعة لامبراطور المغرب. وتم الاتفاق على أن رعايا ملك بريطانيا المقيمين في بلاد البربر (المغرب) ليسوا مجبرين على المثول أمام القاضي، بل إن النزاعات التي تحدث بينهم وبين المغاربة تعرض على حكام المدن التي يقيم فيها الرعايا البريطانيون. ويتم البت في النزاع بحضور القنصل البريطاني. وأصبح الخدم الذين يعملون لدى الرعايا الانجليز معفيين من أداء الضرائب. كما أن الرعايا الانجليز الذين يتم إلقاء القبض عليهم في عرض البحر من طرف المغاربة، ولو كانوا على ظهر سفن أجنبية، يتم إطلاق سراحهم في الحال وإرسالهم إلى جبل طارق. والأهم من كل هذا، أن روسل نجح في إضافة بند يضمن تموين جبل طارق دون أداء الرسوم الجمركية، مع التأكيد على أن المعاهدة بشقيها أي معاهدة 1721 المكونة من 15 فصلاً والمواد الملحقة بها تترجم إلى اللغة العربية وتعلق في أبواب جميع المدن المغربية التي تقع على البحر.

غير أن الاضطرابات التي كان يعرفها المغرب في هذه الفترة جعلت تطبيق المعاهدة أمراً صعباً، خاصة مع تغيير السلاطين بشكل سريع. وهذا ما دفع جورج الثاني، ملك بريطانيا إلى إرسال جون روسل مرة ثانية في شهر يونيو سنة 1729 إلى مدينة فاس ليطلب من السلطان عبد الله بن إسماعيل تطبيق ما تم الاتفاق عليه مع أسلافه. وقد تطلبت هذه السفارة إنفاق مبالغ باهظة. ويظهر المقال الذي كتبته مگالي مورسي Mogali Morsy التكاليف التي تتطلبها بعثة دبلوماسية أجنبية إلى المغرب وقتئذ، وهو يحمل العنوان الآتي :

"Le coût d'une ambassade anglaise au Maroc au XVIIIè siècle"

لقد كانت النفقات داخل بريطانيا وجبل طارق تتم بالعملة الانجليزية، أما في المغرب فتستعمل العملات المحلية مثل البلانكي والأوقية والدوكة. كان على روسل أن يتحمل تكاليف تمثيل بلده مثل أجور الخدم ولباسهم، والهدايا الموجهة للسلطان وحاشيته، كما كان عليه تحمل تكاليف الطريق مثل الطعام للرجال والحيوانات، لا سيما وأنه خلال إيابه كان مرفوقا بعدد مهم من الأسرى الذين نجح في افتدائهم. وأخيراً كان عليه أن يتحمل تكاليف المفاوضات، كإرضاء بعض القواد الذين بإمكانهم دعم مطالبه لدى السلطان. وإجمالا، فإذا كانت تكاليف السفارتين تبدو مرتفعة تبعا لما أورده بريتوايت والوثائق البريطانية التي اعتمدت عليها مگالي مورسي، فإن فهم ذلك لا يستقيم إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار الامتيازات التي حصلت عليها بريطانيا من وراء هذه المعاهدة.

Braithwaite (John), *Histoire des révolutions de l'empire de Maroc...*, Amsterdam, 1731 ; Morsy M., *Le coût d'une ambassade anglaise au Maroc au 18è siècle*,

Cahiers de la Méditerranée, n° 11, Décembre 1975, pp. 81 - 99.

عبد الإله الدحاني

ابن روسو، ويكتب أيضا بَرُّسُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هنا كأسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barroso ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* ، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 249.

محمد بن عزوز حكيم

روسيا والمغرب. يعود تاريخ إقامة العلاقات بينهما إلى عام 1897 حين فتحت القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية أبوابها في مدينة طنجة. لكن هذا لا يعني أن الاتصال بين البلدين كان منعدماً قبل هذا التاريخ. ذلك أن هذا الاتصال الذي تجلى في العديد من المناسبات ظلّ متواصلاً طيلة أزيد من قرنين. لكن بُعد المسافة حال دون ربط علاقات نشيطة ومستمرة بينهما.

يعود اهتمام الروسيين بالمغرب إلى زمن بعيد، ففي مطلع القرن الثاني عشر (18 م) نجد بعض الإشارات إليه في مقالات نشرت على صفحات أولى المجلات الروسية التي كان يسهر عليها الإمبراطور بطرس الأول نفسه. وقد أتت هذه المقالات بعدد من الأخبار حول المغرب عموماً وحول جيشه وحالته الاقتصادية والاجتماعية خصوصاً. أما الاتصال المباشر بين البلدين فيرجع عهده إلى الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وهي الفترة التي قام فيها السلطان سيدي محمد بن عبد الله بإصلاحات سياسية واقتصادية مهمة كان من بينها فتح البلاد على العالم الخارجي وإبرام اتفاقيات تجارية ومعاهدات سلم ومهادنة مع عدد من الدول. فلما علمت حكومة الامبراطورية الروسية بالسياسة الجديدة للمغرب أولت هذا الخبر أهمية قصوى وذلك لعدة أسباب. أهمها أن الترتيب على معاهدة سلم مع المغرب سوف يضمن مصالح روسيا وأمن سفنها في الجزء الغربي من جنوب البحر المتوسط حيث كان يتربصها على الدوام خطر غارات سفن الأتراك العثمانيين من جهة وسفن القرصنة النشيطة في تلك الربوع آنذاك من جهة أخرى.

إثر ذلك جرت عام 1778 لقاءات في مدينة "ليفورنو" بين السفير المغربي السيد محمد بن عبد المالك والسيد "كرزْ لا ينوف" أحد المسؤولين الروسيين الكبار الذي كان موجوداً آنذاك في إيطاليا. وقد أكد الرجلان خلال لقاءاتهما رغبة العاهلين المغربي والروسي في إبرام معاهدة ودٍّ وسلام. وتمّ بعد بضعة أيام تدوين خطابي المسؤولين في شكل رسائل رسمية تبادلها الطرفان. وتعتبر هذه الرسائل أقدم الوثائق الرسمية للعلاقات بين المغرب وروسيا.

وفي شهر مايو من نفس السنة (1778) نقلت سفينتان حربيتان روسيتان السيد محمد بن عبد المالك وحاشيته من "ليفورنو" إلى طنجة. وقد كتب السيد "سكوراتوف"، وهو القائد العام للسفينتين في أحد تقاريره أنه خُصّص له وليحارته استقبال حار، وذلك تنفيذاً لأوامر السلطان الذي قرر إدراج البواخر الروسية في قائمة سفن البلدان الصديقة وتقديم كل المساعدات الممكنة لها في الموانئ والمياه المغربية. وطلب عامل طنجة من البحارة الروسيين أن يبقوا في عرض الميناء في انتظار وصول رسائل من السلطان ليحملوها إلى الامبراطورة "كاتيرينا" الثانية ووزيرها "نْـيـر نيشْـف". وبقيت السفينتان في عرض طنجة أزيد من شهرين تنتظران الرسائل حتى وصلت وتسلمها "سكوراتوف" بتاريخ 21 يوليوز عام 1778. ولقد استغل ضباط السفينتين هذه المدة الطويلة لوضع خرائط للميناء والساحل المحيط به، كما أنهم زاروا المدينة وكتبوا وصفاً لها ودوّنوا ما شهدوه بها.



خريطة خليج طنجة من وضع البحارة الروس بتاريخ 19 ماي 1778

وتعتبر تقييدات "سكوراتوف" ورسائله أقدم الوثائق الروسية وأكثرها تفصيلاً حول مغرب الربع الأخير من القرن الثامن عشر.

وبعد ذلك تمت خلال عامي 1782 و1783 مراسلة أخرى أكد فيها العاهلان رغاهما لما كانا قد اتفقا عليه قبل سنوات.

توقف الاتصال بين البلدين مدة طويلة ولم يعد ذكر مستقبل العلاقات بينهما إلى الواجهة إلا في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام حين تجدد الحديث في



روسيا عن توسيع مجال تجارتها مع بلدان جنوب غرب البحر المتوسط وعن أمن بواخرها في تلك المنطقة. فكلفت الحكومة الروسية أحد دبلوماسييها المرموقين "گورتشاكوف"، بتهييئ دراسة وافية حول هذه المسألة. وقد أعد گورتشاكوف عدة تقارير في الموضوع وكان يوصي فيها دوماً بإقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع المملكة المغربية لما في ذلك من نفع كبير لروسيا. وفي شتنبر 1830 أكد الدبلوماسي الروسي في تقرير بعثه إلى وزارة الخارجية الروسية ضرورة فتح قنصلية عامة في المغرب ونبّه حكومته إلى أن المغرب بلد مستقل تمام الاستقلال عن الدولة العثمانية وأضاف : "... ولابد من التأكيد هنا على أن بنود الاتفاقيات التي تربطنا بالدولة العثمانية والتي تضمن لنا تعويضاً عن الخسائر التي قد تلحق بتجارتنا في منطقة البحر المتوسط نتيجة القرصنة التي تمارس على ساحل إفريقيا الشمالية لا يمتدّ مفعولها بأي حال من الأحوال على المغرب الذي لم يعترف قط بزعامة السلطان التركي...". وقد أرفق "گورتشاكوف" تقريره هذا بمذكرة طويلة جاءت في سبعين صفحة كتبها صديقه السويدي "گرابير دي هيمسو"، وهو أكبر الخبراء في الشؤون المغربية آنذاك. وعنوان هذه المذكرة المكتوبة أصلاً باللغة الفرنسية "ضرورة وفوائد عقد معاهدة سلام بين روسيا والمغرب وفتح قنصلية عامة للإمبراطورية الروسية في طنجة". ورغم كل هذا فإنه لم يحصل أي اتصال رسمي بين البلدين لإقامة علاقات بينهما. وقد يكون مرد ذلك إلى الأوضاع الداخلية لكل من المغرب وروسيا وكذلك لقلة عدد السفن التجارية الروسية في المنطقة. غير أن هذه التقارير أعطت أكلها فيما بعد، إذ تزايد الاهتمام بالمغرب الذي توافد عليه عدد من الأدباء والعلماء ورجال دولة روسيين أمثال "بوتكين" و"سوماروكوف" والأمير "ڤيازيمسكي" و"دانتشينكو" وغيرهم. وقد دوّن هؤلاء الرحالة مختلف مراحل أسفارهم داخل المغرب. وتجدر الإشارة إلى أن القارئ يلمس من خلال هذه الكتابات كثيراً من الاحترام والتقدير للشعب المغربي كما هو الشأن بالنسبة للأديب "بوتكين" الذي كتب "جئت إلى طنجة قصد الالتقاء بأحفاد صانعي تلك الحضارة الأندلسية العظيمة في إسبانيا التي لازالت معالمها شامخة في عصرنا هذا".

وشكلت تقارير گورتشاكوف وكتابات الرحالة الروسيين بالنسبة للحكومة الروسية أرضية متينة للتفكير جديا في إقامة علاقات دبلوماسية مع المغرب في أواخر القرن التاسع عشر. وقد دشنت الامبراطورية الروسية توجهها السياسي الجديد في منطقة شمال إفريقيا بطلب المزيد من الدراسات والتقارير حول المغرب. إثر ذلك اعترفت الحكومة الروسية بالسلطان الجديد مولاي عبد العزيز، ثم تعاقبت الأحداث بسرعة فتم سنة 1897 الاتفاق بين الحكومتين على إقامة علاقات رسمية ومباشرة بينهما وفتح ممثلية روسية في طنجة. وتم تعيين "باخيراخْت" (1851 ـ1916) على رأس هذه القنصلية العامة. تقول الباحثة موساتوڤا : "... لقد جاء في أوراق اعتماده أن "باخيراخْت" عيّن لدى السلطان المغربي بوصفه وزيراً مقيماً على رأس "الممثلية الدبلوماسية" الروسية في المغرب. وبهذه الصفة فإنه كان يعتبر ممثلاً دبلوماسيا قبل كل شيء، كما أن تعيينه بواسطة أوراق اعتماد يجعلنا نتحدث عن إقامة علاقات دبلوماسية بما في الكلمة من معنى بين روسيا والمغرب وليس عن علاقات قنصلية فقط".

وصل "باخيراخْت" إلى طنجة في شهر مارس من عام 1898 واستقبله محمد الطريس، وتبادل الرجلان كلمات تبرز مشاعر البلدين الصادقة في تعزيز العلاقات بينهما. وفي 11 أبريل من نفس السنة (1898) قدم الدبلوماسي الروسي أوراق اعتماده إلى السلطان مولاي عبد العزيز في حفل كبير أقيم في القصر الملكي بمراكش. وظل "باخيراخْت" على رأس ممثلية بلاده في طنجة أزيد من سبع سنوات قام خلالها بنشاط متنوع نذكر منه على الخصوص تنظيم رحلة السفارة المغربية الأولى إلى روسيا وتسهيل مأمورية أفرادها. وكان العاهل المغربي قد قرر إرسال بعثة رفيعة المستوى إلى هذه البلاد ردّاً على فتح الممثلية الدبلوماسية في طنجة. وقد وصلت تلك البعثة إلى "سان بيترسبورگ" يوم 20 يوليوز 1901 قادمة بواسطة القطار من باريز حيث قامت بزيارة رسمية مماثلة. وكان الوفد الذي رأسه عبد الكريم بن سليمان يضم أزيد من عشرين فرداً نذكر من بينهم على الخصوص بناصر غنّام ومحمد الگباص ومحمد بنشقرون. ولقد خصص للوفد استقبال حار وأثار مجيئه اهتماماً كبيراً عند الرأي العام الروسي كما أن الصحافة واكبت الزيارة منذ بدايتها إلى نهايتها وخصصت لها العديد من المقالات. وفي يوم 23 يوليوز خصّ الإمبراطورنيكولاي الثاني الوفد المغربي باستقبال كبير في القصر الصيفي بضواحي العاصمة "سان بيترسبورگ"، وقدم عبد الكريم بن سليمان خلال هذا الحفل رسالة خطية باسم السلطان المغربي إلى الامبراطور الذي سلمه بدوره رسالة جوابية، وبعد ذلك تم تبادل الهدايا. وغادرت البعثة روسيا يوم 4 غشت بعدما قامت بزيارة لمدينة موسكو.

وقد خلفت هذه الزيارة ارتياحاً كبيراً لدى الجانبين المغربي والروسي. ويرجع الفضل في نجاح مهمة السفارة إلى الجهود المتواصلة التي كان يبذلها "باخيراخْت" الذي ظل اسمه مقروناً لمدة تفوق سبع سنوات بمجموع العلاقات المغربية الروسية.

خلف "باخيراخْت" على رأس البعثة الدبلوماسية الروسية في طنجة "بوتكين"، وهو ابن أخ أحد الرحالة الروسيين الذين سبق لهم أن زاروا المغرب وكتبوا عنه. وشغل الممثل الجديد هذا المنصب إلى غاية أبريل من عام 1912، أي إلى حدود توقيع معاهدة الحماية التي غيرت

الأوضاع كلها، فتحولت البعثة إلى وكالة دبلوماسية، وعين على رأسها "ڤوويدوف" الذي بقي بها إلى غاية 1917.

ورغم الظروف الصعبة التي كانت تعرفها أوروبا خلال الحرب العالمية الأولى وخاصة الظروف المأسوية التي كانت تعيشها الامبراطورية الروسية في أيامها الأخيرة، فإن الامبراطور نيكولاي الثاني بعث عام 1916 إلى سلطان المغرب مولاي يوسف "وسام أليكساندر نييفسكي المرصع بالألماس" اعترافاً من روسيا بجهود المملكة المغربية وتضحية جنودها المحاربين في صفوف الحلفاء ضد ألمانيا. وقد سلم "ڤوويدوف" هذا الوسام إلى المقيم العام الفرنسي الجنرال ليوطي.

أقفلت الوكالة الدبلوماسية الروسية أبوابها عام 1917 مباشرة بعد سقوط الامبراطورية وانتصار الثورة البولشيفية.

بعد الإعلان عن ولادة دولة الاتحاد السوفييتي لم ينقطع الاهتمام بالمغرب في روسيا، وذلك من خلال عدد من الكتابات بأقلام القادة الجدد للدولة أمثال "لينين" و"فرونزي" وغيرهما، كما أن العديد من الكتاب والمؤرخين السوفييتيين خصصوا للمغرب حيزاً كبيراً في كتاباتهم حيث كانوا يشجبون السياسة الاستعمارية الفرنسية ويناصرون حركاته التحررية. وهذا الموقف هو الذي كانت تدافع عنه الدولة السوفيتية رسمياً في جميع المنابر الدولية.

وبعد استقلال المغرب أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في فاتح شتنبر 1958. ومنذ ذلك الحين تطورت كثيراً علاقتهما وسارت في تحسن مستمر. وهذا ما يشهد عليه تبادل الزيارات الرسمية الرفيعة المستوى التي حصلت بينهما. فبالإضافة إلى تبادل الزيارات الودية المتعددة بين كبار المسؤولين فإن "بريجنيف" و"پودگورني" قاما بزيارة رسمية للمغرب، كما أن العاهل المغربي الحسن الثاني زار بدوره الاتحاد السوفييتي. وتوجت هذه الزيارات سنة 1966 بتوقيع اتفاقيات حول التعاون الاقتصادي والتقني والعلمي والثقافي، وتلتها اتفاقيات أخرى تخص التجارة الخارجية والصيد البحري والتعاون في ميادين الجيولوجيا والطاقة وتكوين الأطر وبناء السدود إلى غير ذلك من الاتفاقيات (ويمكن للمهتم بهذا الموضوع أن يرجع إلى الكتاب المرقون حول أعمال مناظرة "حصيلة وآفاق العلاقات المغربية السوفييتية" التي نظمتها الجمعية المغربية لخريجي الجامعات والمعاهد السوفييتية بتاريخ فاتح نونبر 1988 بمناسبة مرور ثلاثين سنة على إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين).

بعد تفكيك الاتحاد السوفييتي استمرت العلاقات الدبلوماسية وبقيت الاتفاقيات المبرمة والموقعة من قبل سارية المفعول بين المغرب وجل الجمهوريات السوفييتية السابقة وعلى رأسها دولة روسيا الفيديرالية. ويمكن القول إن هذه العلاقات التي يطبعها الاحترام المتبادل تتطور الآن كذلك بشكل سارّ وأنها في تحسن مستمر.

موساتوڤا، تاتيانا، روسيا والمغرب في الماضي البعيد والقريب، دار النشر "تاووكا"، موسكو، 1990، (بالروسية) ؛ موساتوڤا، تاتيانا، العلاقات الروسية المغربية ...، نقله من اللغة الروسية عبد الرحيم العطاوي، *مجلة دار النيابة*، العدد 18. 1988، ص. 25 - 31 ؛ عبد الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم*، المحمدية، 1986 - 1989، في عشرة أجزاء، ج 9 - 10 ؛ *حلقات من تاريخ المغرب الدبلوماسي - العلاقات المغربية الروسية، مجلة البحث العلمي*، العدد 11 - 12، 1967 ؛ عبد الرحيم العطاوي، *اهتمامات روسية بالمغرب في عهد مولاي عبد الرحمن* في كتاب جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة الخامسة، مركز الدراسات والأبحاث العلوية، الريصاني، دجنبر، 1993، دار المناهل للطباعة والنشر (وزارة الشؤون الثقافية)، 1966، ص. 34 43 ؛ *كتابات روسية حول طنجة* في كتاب "طنجة في التاريخ المعاصر، 1800 / 1956"، منشورات كلية الآداب بالرباط ومدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، الرباط، 1991، ص. 187 . 195 ؛ أعمال مناظرة، "حصيلة وآفاق العلاقات المغربية السوفييتية" التي نظمتها الجمعية المغربية لخريجي الجامعات والمعاهد السوفييتية بتاريخ فاتح نونبر 1988، كتاب مرقون ؛ إدريس اليحياوي، العلاقات المغربية السوفييتية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط، مرقونة.

S.I. Miliavskaya, *Connaissances sur l'Afrique en Russie au XVIIIè s.*, in *Russie et Afrique*, Moscou, 1966.

عبد الرحيم العطاوي

الروسيّ (أسرة) أصلها من جبل حبيب من بلاد الهبط، انتقل بعضهم إلى فاس وعملوا في حكومة المخزن العلوي لعدة أجيال. فقد تولى آل الروسي مناصب القيادة والاستشارة وتنفيد الأحكام والمراقبة وجمع الجبايات وغير ذلك من الأمور التي جعلت علاقتهم بأهل فاس علاقة متوترة، تتجاذبها الأحقاد، ويطبعها الاستياء والشكوى والانتقام أحياناً. ومن أبرز الأسماء التي تعاقبت في سلك الخدمات المخزنية نذكر :

الروسي، حمدون (الجد)، استوطن مدينة فاس، وبعد أن تعرف المولى إسماعيل على ولده عبد الله ولاه النظر في الإراثة، وهناك بعض الإشارات التي تدل على أنه أشرف على بعض الإصلاحات أو البنايات في هذا العهد.

توفي عام 1090/1679.

الروسي، حمدون بن **عبد الله**، تولى أمر فاس في سنة 1114 - 1115 قبل أن يعيد السلطان ابن أخيه أبا عليّ

الروسي إلى منصبه، ثم برزت شخصيته من جديد أيام حكم المولى عبد الله الذي ولاه أمر فاس عام 1141 وبلغ من عداوته لأهل فاس أن هدم أسوارها ونقل أبوابها إلى فاس الجديد عام 1143. كما أن أهل المدينة أظهروا غضبهم من سياسته حتى إنهم قذفوه بالسباب وهو خلف السلطان في موكب زيارته لضريح المولى إدريس مما أثار غضب السلطان ورجوعه بدون إتمام الزيارة.

الروسي، عبد الخالق، يلقب بالبطل الرئيس، عين في قيادة فاس في فترة ولاية مولاي حفيد بن المولى إسماعيل، ويظهر أن الوحشة استحكمت بين الرجلين وانتهت بأن أمر مولاي حفيد بقتل عبد الخالق الروسي في مكناسة.

الروسي، عبد الرحمان (ت. 1096/1685)، ورد ذكره كأحد القادة أثناء حصار تارودانت ومحاصرة مولاي الحران (*الترجمان المعرب*، ص. 379؛ *رسالة* عبد السلام القادري إلى عبد الخالق الروسي ضمن مجموع خ. ع 163 د، 42 ظ).

توفي عام 1090/1679.

الروسي، عبد الله، الوزير والرئيس الأعلى والوالي على عمال المغرب، هكذا تقدمه المصادر بصفات دالة على مكانته عند السلطان وعلى قدراته المهنية. ولد في فاس، وبها نشأ وتعلم صناعة النسيج، ثم خدم أحمد بن صالح الليريني إلى أن ساء العلاقات بينهما عند دخول المولى الرشيد إلى فاس. قربه المولى إسماعيل وفوض له أمر فاس فكان يسهر على الجباية والأحباس وتنفيذ الأحكام وغير ذلك. وقد حقق مكانة خاصة في وظائفه جعلت السلطان يتخذ منه مستشارا وهي مكانة لم يبلغها أحد عنده وذلك بفضل حسن تدبيره وسداد رأيه وإخلاصه له وقد تأكد ذلك للسلطان عدة مرات منها.

- عند تنظيم بيعة أهل فاس.
- أثناء التخطيط لطريقة التخلص من أحمد بن محرز بواسطة إقناع شيوخ أولاد جرار الذين غدروه بعد أن كانوا بطانته وخاصته.
- عندما حرص على توجيه النصح إلى محمد العالم الثائر على والده وقد اطلع السلطان على مراسلات سرية كانت تصل إلى ولده الثائر.

لكل ذلك غدا عبد الله الروسي والياً واسع السلطة، ونظراً لحاجة السلطان إليه نقله إلى مكناسة وأناب عنه والده فترة ثم ولده عبد الخالق وبعده حفيده أبا علي.

وفي فاس بالذات متّن علاقته مع الأسر الفاسية عن طريق المصاهرة، فقد تزوج أربع نساء إحداهن ابنة سيده القديم أحمد ابن صالح. وسهر على تسيير شؤون المدينة فكان صاحب عدد من الاقتراحات منها :

- وضع المكوس على أبواب فاس وأسواقها (عام 1108/96 - 1697).
- الإشراف على المباني الحضرية.
- التشدد في تطبيق مسألة جمع الحراطين وتمليكهم للدولة.

توفي عام 1132/20 - 1721.

الروسي، عبد اللطيف بن عبد الخالق (ت. 1144/31 - 1732)، ورد اسمه ضمن قادة مدينة فاس، ويظهر أنه رام نفس السياسة فقد أمر المولى عبد الله بقتله.

ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط، الأجزا، 6. 7. 8 ؛ س. ح. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح.، ج.2، 689 ؛ أ. الزياني، *البستان الظريف*، مخطوط، 44 ؛ م. الفاسي، *رسائل السلطان المولى إسماعيل*، مجلة تطوان، عدد خاص، 1962، 27، 35 ؛ ع. القادري بن الخياط، *التحفة القادرية*، مخطوط، ج. 2، 353، 355 ؛ القادري، ع. بن الطيب، رسالة إلى عبد الخالق الروسي، ضمن مجموع خ. ع. 163 د ؛ القادري م. بن الطيب، *نشر المثاني*، الأجزاء 2، 3، 4 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج. 7.

نفيسة الذهبي

الروسي، علي، والمعروف عنه أنه من أبناء الجبل من قرية الرواوسة من جبل حبيب الواقعة على السفح الشمالي من الجبل. غير أننا لم نتمكن من التعرف على نشاطه الجهادي إلا في ذي قعدة - ذي الحجة 919/ يناير 1514. وقد أبدى علي الروسي أو الروّاس مثلما يدعوه المصدر البرتغالي المعتمد لتتبع نشاطه الجهادي منذ بداية ظهوره كفاءة ومقدرة حربية كبيرتين، إلى درجة أن أسلوبه في الغارات على أصيلا وطنجة أصبح نموذجا يحتذى به، سار على منواله من أتى بعده من المقدمين، وكثيرا ما خصه صاحب حوليات أصيلا برناردو روذريكيز بعناوين خاصة تشهد بأعماله الخطرة على المدينتين المحتلتين.

جمع علي الروسي حوله عددا من أشهر محاربي جبل حبيب، سبق للبعض منهم أن تحمل أعباء نفس المهمة، وسينهض بعضهم الآخر بنفس المسؤولية بعده، منهم مساعده الأيمن المدعو عبد الله وعلي بن يعيش وعلي الحريش ومحمد يونس وعمر النجار وابنه الحسين النجار.

تجلت خطته الحربية في معرفته الجيدة للميدان الحربي وبموقع الطلائع وأحوالها ومداخل المدينة ومخارجها والأسلوب الحربي البرتغالي المتبع. ظهر كل ذلك في طريقة استغلال نصب الكمائن داخل الميدان وخارجه، وبذلك حصل على عدد كبير من الأسرى، سواء من ميدان أصيلا أو طنجة. وشاع ترديد البرتغاليين لقولهم كلما علموا بوجوده

: "الله يحفظ من الرواس". وبالقدر الذي كان جنود أصيلا يخافون الوقوع بيد علي الرواس كان سجناؤه يثنون عليه وعن حسن معاملته لهم نقلهم إلى شفشاون، فهم كانوا يقضون بمنزله ضيافة ثلاثة أيام يستدعيهم أثناءها إلى وليمة فاخرة، ولا يمس أي شيء مما يجده في حوزتهم.

أقلق علي الروسي راحة حاميتي أصيلا وطنجة خلال أربع سنوات مما وصلنا من أخباره، ولا يمر أسبوع أو أسبوعان دون مباغتته جنود أصيلا أو طنجة بالهجوم على الطلائع وأسر ذويها، مما كان مفضلا لديها للتمكن من استبدال الأسرى مما كانوا بحوزة أصيلا. ويمكن في الجملة عد خمس عشرة غارة قام بها من تلقاء نفسه، علاوة على التي شارك فيها مع قائدي شفشاون وتطوان أو بمعية القواد الآخرين، إلى جانب انضمامه إلى الحركات السلطانية، مما يبرر قلق حاكم أصيلا الذي كثيرا ما صرح بعدم الاهتداء إلى وسيلة ناجعة لتلافي عواقب تحركاته السريعة بالميدان من جهة وبين جبل حبيب وبين ومراس وبني كرفط من جهة أخرى.

ونشير كنموذج لتلك الغارات إلى ما قام به في صيف سنة 922 / 1516 وهو بمعية حاكم شفشاون علي بن راشد العلمي ببني أحمايد بصدد حماية المحصول الزراعي لتلك السنة. وإذا كانت أغلب الأمثلة مما يهم أصيلا فإن القليل منها هو الذي يهم طنجة، على الرغم من أن صاحب حوليات أصيلا يجعل عدد غارات المجاهد علي على طنجة لا يقل على التي قادها ضد أصيلا، إذ كان من عادة الرواس أن يخصص كل أسبوع للإغارة على إحداهما.

ونعرف من خلال *الحوليات* أن المقدم علي الروسي استمر في مهمته إلى آخر سنة 924/1518. ففي شهر دجمبر السنة نظم محمد البرتغالي غزوته المعتادة نحو أصيلا وطنجة وكان من عادة رجال شفشاون وتطوان السير في المقدمة، وحدث أن أصيب علي الروسي في هذا التاريخ بالطلقة المدفعية القاتلة.

أ. ابن القاضي الكعداوي، *تقييد*، مخطوط في خ. ح : حسن الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991 : سيدي محمد بن عبد الله وحصار مليلة، الرباط، 1996 ؛ الطاهر اللهيوي، *حصن السلام بين زيدي أولاد عبد السلام*، الدار البيضاء، 1978.

B. Rodrigues, *Anaias, de Arzila* ; Francisco de Miranda, *Diario*, t. 2.

حسن الفكيكي

الروسي، أبو علي الحسن بن عبد الخالق، توقفت المصادر كثيراً عند ذكر قسوته فقد "نهب، وضرب، وفعل بأهل فاس ما لم يفعله بهم أحد في الماضي... ولم يسمع لشريف ولا مشروف" (*الدر*، ج. 7، ص. 153 - 154) كان تعينه على فاس عام 1115/ 03 - 1704 بعد عزل الزعيم - الذي تولاها مدة قصيرة بعد مقتل عبد الخالق الروسي - وقد عمل أبو علي منذ توليه على تنفيذ الصرامة في الأحكام والتشدد في جباية الأموال مما جعل أهل فاس يستشفعون بالسلطان أكثر من مرة وقد أدت تجاوزاته أحيانا إلى غضب السلطان وإلى عزله حيث عين أخاه حمدون لكنه بدوره انساق في نفس السياسة فعُزل وعين مكانه حم قصارة، غير أن إبعاد آل الروسي جعل ضبط أمور المدينة صعبا، لذلك نجد المولى إسماعيل يعيد أبا علي الروسي إلى منصبه.

أضمر أهل فاس لأبي علي الحقد لتصرفه فيهم بالمغارم والزجر والإقصاء فثاروا عليه بعد وفاة المولى إسماعيل مباشرة، وقتلوه في داره ثم مثلوا به في الأزقة، كما قتلوا من أصحابه من ظفروا به. ولم يكن الحادث بسيطا فقد أعقبته مرحلة جديدة من الفتن في فاس. ثم وجّه أهل فاس اثنين من كل قبيلة من مشاهير الأشراف إلى السلطان مولاي أحمد المبايع بمكناسة بقصد الاعتذار.

قتله الثوار في داره بفاس سنة 1139/1727.

الروسي، مسعود بن عبد الخالق، ولاه علي بن المولى إسماعيل على فاس عام 1147 هـ. فأخذ يتشدد في جمع الكلف ويلزم أهل المدينة بإخراج الرماة وينتقم ممن اتهمهم بمقتل أخيه أبي علي لكن أهل فاس غضبوا عليه وأعلنوا سخطهم مما جعله يلوذ بالفرار. وبعد مبايعة المولى عبد الله بعثه واليا على فاس من جديد سنة 1149 هـ لكنه طورد من قبل الفاسيين.

قتل في فاس سنة 1149/ 36 - 1737.

ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط، الأجزاء 6، 7، 8 ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. ج. 2، 689 ؛ أ. الزياني، *البستان الظريف*، مخطوط، 44 ؛ م. الفاسي، *رسائل السلطان المولى إسماعيل*، مجلة تطوان، عدد خاص، 1962، 27، 35 ؛ القادري، ع. بن الخياط، *التحفة القادرية*، مخطوط، ج. 2 : 353، 355 ؛ القادري ع. بن الطيب، رسالة إلى عبد الخالق الروسي، ضمن مجموع خ. ع. 163 د ؛ القادري م. بن الطيب، نشر المثاني، الأجزاء 2، 3، 4 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج. 7.

نفيسة الذهبي

الـرّوشة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Roxas، Roza، Rocha ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 746.

محمد بن عزوز حكيم

روش ليون Roches Léon موظف من موظفيي السلك الديبلوماسي الفرنسي، متواضع المنشأ غريب الأطوار، ساقه ما أحدثه احتلال الجزائر سنة 1830 وانهزام المغرب أمام الجيوش الفرنسية في معركة إسلي سنة 1844 إلى القيام بالأدوار الطلائعية في رسم الحدود الجديدة بين الايالتين في اتفاقية لالة مغنية المجحفة.

وُلد ليون روش في مدينة كرينوبل Grenoble يوم 27 شتنبر 1809. ثم إنه التحق سنة 1832 بوالده في الجزائر حيث كان من الأفواج الأولى من المعمرين. لكن الشاب ليون روش فضل الانخراط في الجيش فشارك في معارك المدية سنة 1836. إلا أنه انعزل عن الجيش بعد اتفاقية تافنة بين الفرنسيين والأمير عبد القادر بن محيي الدين، وذلك ليلتزم بالعمل في الكتابة الشخصية للأمير فيما بين 1837 و1839، بعد أن أعلن اعتناقه للإسلام وتسمى باسم عمر. وقد علل ذلك في مذكراته بأنه كان قد وقع في غرام سيدة من مسلمات وهران فرّ بها زوجها خوفا من الفضيحة، فلم يجد روش صبراً على ذلك وخرج يبحث عنها فدخل في خدمة الأمير. واطلع بالمناسبة على العديد من أسراره، وتعلم بين حاشيته اللغة العربية حتى صار يتكلمها بمنتهى الطلاقة. ثم إنه قام بالفرار منه يوم صار نفاقه على وشك أن يفتضح بين الجزائريين، فعاد إلى الجيش الفرنسي ليشتغل ترجمانا عسكريا في هيأة أركان الحرب لدى الجنرال بوجو Bugeaud. مما يوحي أن ليون روش دخل المخابرات العسكرية الفرنسية، وأنه كان من جواسيسها. وقد كلف بمهمة طواف بلاد المشرق في السنوات الأولى من الأربعينات لإبطال مفعول الدعوة إلى الجهاد التي كان الأمير عبد القادر يدعو إليها ويلتمس فيها السند من كافة الأمة. وكتب عن رحلاته كتابا في آخر عمره زاد فيه ونقص بما أملاه عليه هواه. ولما عاد من الشرق إلى الجزائر ألحق بالوفد الفرنسي المكلف برسم الحدود الجديدة مع المغرب بناء على ما اغتصبه الجيش الفرنسي من الأراضي المغربية. وقام روش بالأدوار الطلائعية في توهيم الوفد المغربي الذي كان يقوده احميدة الشجعي. وأثبت كل ذلك في اتفاقية لالة مغنية (18 مارس 1845)، التي لم يمضها السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام وظل يحتج عليها، حتى اشتدت ضغوط فرنسا عليه، مقرونة بضغوط انجلترا وبما تفاقم من شغب الأمير عبد القادر الذي لجأ إلى جبال الريف المغربية وصار يهدد من حيث قصد أو لم يقصد استقرار البلاد الداخلي. وأرتأت الحكومة الفرنسية اللجوء إلى أساليب المراوغة والمخاتلة، فأوفدت ليون روش الذي ذاع صيته بالمهارة في تلك الفنون لدى السلطان المولى عبد الرحمان، فجاء ليلتقي به وهو في الرباط يومئذ، في النصف الثاني من شهر نونبر سنة 1845، معتمداً ما كان عليه من طلاقة اللسان وسيولة القلم باللغة العربية، وما كان في جعبته من سياحته المطولة في الشرق عن الثقافة العربية وكونه من المسلمين، مستعملا فضلا عن ذلك ما نعته في تقاريره بأنه سياسة "الدبلون"، كناية عن شراء ذمم ذوي الحل والعقد من خدام السلطان، من أمثال محمد بن إدريس العمراوي وبوسلهام ابن علي ومحمد بن عبو. وهكذا استقبل في الرباط استقبالا يتجاوز صفته المتواضعة التي جاء بها، وهي صفة ترجمان موفد من قبل المكلف بأعمال فرنسا في طنجة إيدم دي شاطو Edme De Chasteau. فأنزل منزل الأمير المولى أحمد، ثالث أبناء السلطان. ثم استقبله المولى عبد الرحمان استقبالا متميزا، بما استطاع أن يكسب من النفوذ لدي الوزير ابن إدريس، وبما أبدى من الجرأة على المقدسات المغربية ومن التحايل عليها. ووعده السلطان بكل ما جاء يلتمسه منه، ومفاده أن تجند كل طاقات المغرب لإبعاد الأمير عبد القادر عن الريف أو طرده من التراب المغربي. كما أقنع السلطان بضرورة إيفاد سفارة إلى باريس ليكون فيها اعتراف مغربي بجوار فرنسا لأراضيه من جهة الشرق. وعاد روش إلى طنجة وهو متوج بإكليل النصر في نظر رؤسائه. وكان من مهامه أن يرافق السفير المغربي المعين للرحيل إلى باريز، وهو عبد القادر بن الحاج محمد أشعاش التطواني. وقد رافقه طيلة السفارة في مطلع سنة 1846. مما جعله من الخبراء بشؤون المغرب، فقررت وزارة الخارجية الفرنسية إلحاقه بسلك موظفيها، فعيّن مساعدا لدي المكلف بالشؤون الفرنسية السابق الذكر إيدم دي شاطو الذي صاهره بابنته، وجاء معه في خريف نفس السنة إلى مراكش لممارسة مزيد من الضغط على المولى عبد الرحمان في أمر الأمير عبد القادر. وكان ذلك آخر عهده بالمغرب، حيث افتضح أمره وتبيّن للسلطان تلاعبه بالدين ومروقه، فلم يعد من الممكن أن تنطلي حيله على أحد في المغرب سيما وأن ابن إدريس توفي سنة 1847. وتقلب ليون روش بعد ذلك على عدة قنصليات ومراكز ديبلوماسية فرنسية، فكان في تريسطا سنة 1849، ثم قنصلا عاما ومكلفا بالشؤون الفرنسية في تونس سنة 1853. وأعلى ما بلغ من الرتب رتبة الوزير المفوض في اليابان سنة 1863. وقد أحيل على المعاش 1870. فاشتغل بتدوين مذكراته التي صدرت سنة 1885 تحت عنوان "إثنان وثلاثون سنة في دار الإسلام"، لم يتجاوز فيه سنة 1845، أورد فيه الغث والسمين، واعتمد على السرقة والخيال أكثر من اعتماده على ارتسامات شاهد العيان.

المديرية العامة للوثائق الملكية، *الوثائق*، العدد الأول والثاني (سنة 1976)، الرباط.

Roches Léon, *Trente-deux ans à travers l'Islam, 1832-1864*, Paris, 1884 - 1885 ; Cossé-Brissac, Philippe de, *Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie (1830 - 1847)*, Paris, 1931 ; Caillé Jacques, *Une mission de Léon Roches à Rabat en 1845*, Casablanca, 1947.

إبراهيم بوطالب

الروشو. أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Roio - Royo ، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Ruso ؛ وأما الأسرة التطوانية فقد انقرضت سنة 1141/1729.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك أسرة أخرى تحمل نفس الاسم أصلها من الجزائر.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* : والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 747.

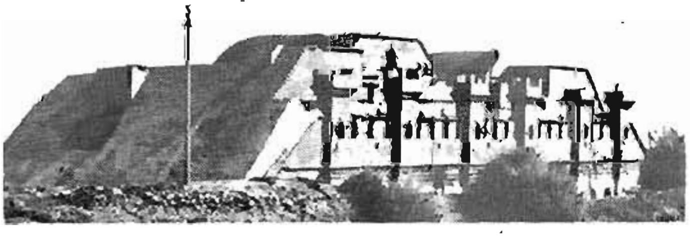
الروصي. أسرة تطوانية أصلها من الجزائر وقد انقرضت بتطوان سنة 1236 (1820) غير أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت بحومة الطرانكات دار تعرف بدار الروصي.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان : والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1624.

محمد بن عزوز حكيم

روطنبورگ فالطير Rottenburg Walter، مهندس مدني ألماني ولد بمدينة دانتسيك Dantzig، عمل أول الأمر في الجيش في الهندسة العسكرية، وتخرج بدرجة قبطان في جيش الاحتياط. وهو أخو فرانتز روطنبورگ، أحد قضاة هيأة المحاسبة لدى رئاسة الحكومة الألمانية، الذي أسندت إليه نيابة كتابة الدولة في الداخلية في حكم المستشار الألماني بسمارك في الثمانينيات من القرن التاسع عشر، وكان ذا حظوة لديه. مما جعله يقدم أخاه فالطير للرحيل إلى المغرب، حيث وكل به السلطان المولى الحسن أمر بناء البرج الكبير بالرباط خارج باب العلو، على شاطئ البحر. وكان يعرف أيضا بالبرج الألماني. وقد شرع في بنائه ابتداء من سنة 1303/1885 بمساعدة المهندس المغربي الزبير سكيرج. وكان "القائم بالبناء والصائر عليه ومراقبة شؤونه جميعها بناء وحراسة وغير ذلك، على ما قال صاحب *الإتحاف*، الأمين الحاج عبد الخالق فرج، محتسب الرباط وناظره الذي بقيت بيده مفاتيحه إلى آخر العهد الحفيظي"، وكان فالطير روطنبورگ من جهة أخرى وكيل دار كروب Krupp لصناعة السلاح. وعلى يديه اشترى المولى الحسن "المدفعين العظيمين الذين أراد جلبهما" من ذلك المصنع الذي كان معجبا بمنتجاته. وتوجهت إلى مدينة أيسين Essen في ألمانيا بعثة مركبة من الأمين الحاج محمد الزكاري ومن الزبير سكيرج الآنف الذكر وفالطير روطنبورگ ومجموعة من الطبجية المغاربة، منهم الحاج إدريس بن عبد الواحد والقائد محمد الشديد والقائد محمد سباطة للوقوف على اختبار المدفعين. وذلك سنة 1308/1890 ، ولم يتوصل المخزن بهما إلا سنة 1893. ولم يتأت تركيبهما في البرج المذكور إلا سنة 1898. وهكذا امتد مقام فالطير روطنبورگ في المغرب. وكان نموذج الخبراء الألمان المقتدرين الذين حاول المخزن أن يستعيض بهم عن بعض نظرائهم من الضباط الفرنسيين والنجليز والإسبان الذين كانوا أكثر استعدادا للتجسس على المخزن والضغط عليه منهم إلى الأخذ بيده ومساعدته على إصلاح شؤون جيشه. واعتبر الفرنسيون الحصن الذي بناه روطانبورگ بمثابة موطئ قدم للنفوذ الألماني في المغرب، ولذلك بادروا إلى تغيير اسمه بعد الحماية فأطلقوا عليه اسم بعض ضباط مدفعيتهم يدعى هريفي Hervé. وإذا كان روطانبورگ قد حظي برضى المولى الحسن الذي مكنه من دار فاخرة لسكناه في طنجة، فإن حكومة الحاجب ابا احماد غضت الطرف عنه بسبب نزاع حول تلك الدار، التي كان روطانبورگ يقول إن المولى الحسن ملكها إياه، بينما كان الحاجب يرى أنه أسكنها على سبيل الكراء. ومما زاد من النفرة المخزنية منه، أن دار كروب أسندت وكالة شؤونها في المغرب لغيره. لكن ما أن توفي الحاجب، حتى عاد روطانبورگ إلى سابق حظوته لدى حكومة المولى عبد العزيز الجديدة، وبخاصة لدى وزير الحرب المهدي المنبهي. فإنه انتدب ليرافقه في سفارته إلى برلين في صيف 1901. ومما تميزت به السفارة أن قام كاتب السفارة عمر التازي بزيارة معامل كروب بمدينة أيسن رفقة روطانبورگ، الذي يذكر من منجزاته أيضا أنه أقام في القصر السلطاني في فاس حماما بالرتائل بأمر من المولى عبد العزيز الذي ولع بمخترعات الأوروبيين. وبقي روطانبورگ مقيما في طنجة، حيث كان منزله وكالة للدعاية الألمانية في المغرب، إلى أن وافاه أجله في مارس 1906.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، الجزء الثاني، 1930 ؛ ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر وبداية*



قصر البحر من بناء روطنبورك

*العشرين*1830، 1912، الرباط، منشورات رباط الفتح، (د. ت.).

Guillen Pierre, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967.

إبراهيم بوطالب

الـرّوكاش، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rocas ؛ وكانت من الأسر التطوانية التي هاجرت إلى القصر الكبير إثر الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان سنة 1276/1860.

الـرّوكاش، عبد الكريم بن أحمد، فقيه زاول خطة العدالة بتطوان وكان بقيد الحياة سنة 1198/1784.

الـرّوكاش، محمد بن عبد الكريم، فقيه تعاطى للإفتاء، إلى غاية سنة 1231/1816.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم .

الروكْس ويكتب أيضا الرّوكْش، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ros ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1178/1765.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 744.

محمد ابن عزوز حكيم

الروگي، الجيلالي ثائر من أولئك الثوار، أو فتان كما تقول الرواية التقليدية، من أولئك الفتانين الذين كانوا يقومون من حين لآخر في مغرب ما قبل الحماية ليصدعوا بظلم لحقهم من الحكام أو ليفصحوا، من وجهة نظر المؤرخ المعاصر، عن تناقضات مجتمع واقع بين مركزية مخزنية مفتقرة لأدوات المراقبة المسترسلة وبين حرية قبائلية غير واعية بما يفصل الحرية عن الفوضى. فكانت القاعدة القبلية لا يمكن أن تسمع صوتها إلا بالثورة والشغب العنيف، مثلما أن الجهاز المخزني كان لا يفرض سلطته وطاعته إلا بالقمع والحركة (بإسكان الراء) إلى حيث يقتضي الأمر ذلك. فإذا كنا لا نعرف شيئا عن أسباب ثورة الجيلالي الروگي الملموسة، فإنه لا صعوبة في استشفاف أسبابها الاجتماعية والسياسية في خطوطها العريضة. والجيلالي الروگي هذا من عرب قبيلة سفيان، المستوطنة لسهول الغرب إلى جانب قبيلة بني مالك. وينقسم عرب سفيان إلى ثلاث قسمات كبرى، هي قسمة آل بهان وقسمة آل الرواگة (بعقد الكاف على الطريقة البدوية) وقسمة آل المناصرة. وينقسم آل الرواگة بدورهم إلى خمس فرق، آل الجباص وآل بني عزيز وآل الزوائد وأولاد عسكر وآل المعارف. وينتسب الجيلالي الروگي إلى أولاد غيضان من قسمة مجال قبيلتهم على الضفة اليمنى من وادي الروم.

تقول الرواية التاريخية المتداولة إن الرجل كان متواضع الأصول خامل الذكر، "حرفته رعي البهائم ونحو ذلك من عمل أهل البادية"، على ما قال صاحب *الاستقصا*، إلى أن "وكّل به جني أو شيطان ففاه بالمخارق"، على حد قول المؤرخ المذكور، فافتتنت به العامة في ناحية بلدة كورت، وذلك في مطلع رجب من سنة 1278/يناير 1861. ثم تحولت الفتنة ثورة، وأدى الأمر بالثوار إلى محاصرة دار القائد المحلي عبد الكريم بن عبد السلام بن عودة الحارثي بالعصي والمقالع حتى اقتحموها عليه فقتلوه وقتلوا من كان معه من ذويه وأصحابه. فازدادت العامة افتتانا بزعيمها وانقادوا به وانساقوا معه وتمسكوا بأقواله ووعوده، إذ كان يمنيهم ويعدهم بالسطو على الملك والتمكن من الخيرات والأموال، ضامنا لهم السلامة من قوة المخزن وموهما إياهم بعجز سلاحه عن التأثير فيهم. يقول صاحب *فواصل الجمان* : "وقد اطلعت على خطبة لبعض من أشربهم ضلالا ومخرقة فجنّوا به جنون هَبَنَّقَة، منها قوله : هذا الجيلاني مجدد الدين، هذا قامع المعتدين، هذا خليفة سيد أحمد التجاني، هذا الذي بشر به سيدي فلان إلى غير ذلك من الأوهام".

وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان يومئذ في الرباط. فأمر أخاه المولى الرشيد بالتصدي للجيلالي الروكي الذي اكتفى بأن رمى الجيش السلطاني بأنصاره مسلحين بأرسان وشكائم صنعوها من الدوم على اعتبار أنهم منتصرون لا محالة ولن يكون عليهم سوى قيادة ما سيقع بأيديهم من الخيل. لكن نيران مدافع السلطان سرعان ما بددت تلك المزاعم. واضطر الجيلالي الروگي إلى الفرار.واحترم بضريح المولى إدريس الأكبر في زرهون، مدعيا أنه من الشرفاء الأدارسة. ويقول صاحب *الإتحاف* إن بعض "البله من الشرفاء" مالوا إلى التصديق بذلك، ووقع شيء من الأخذ والرد بينهم وبين الشرفاء العلويين حتى اضطر القيّمون على الضريح إلى إيداع الجيلالي الروگي في قوس لا يصله أحد في انتظار ما يكون من حكم السلطان عليه. وسبب ذلك في الراجح أن الشرفاء الأدارسة كانوا نافرين من أن تنتهك حرمة ضريح جدهم المقدس. ولكن بعض الشرفاء العلويين، يدعى أحمد بن المامون العلوي الإسماعيلي، جاء "متجردا في قميص غير متمنطق"، موريًا بعدم حمل أي سلاح، راغبا فقط في النظر إلى وجه الفتان، معززا مع ذلك بعصبة من الشرفاء العلويين. فلم يسع الحراس إلا أن أذنوا له بدخول القوس. وما أن دخله

وأغلقت الأبواب عليه حتى بدا الدم يجري من تحتها. ذلك بأن الشريف المذكور كان قد أخفى مدية في عمامته فنحر الجيلالي الروكي بها فأراحه وأراح منه، وكان ذلك في منتصف شعبان من السنة المذكورة.

وإذا كنا على بينة من كيفية قيام الثورة وكيفية انتهائها، فإن المصادر التاريخية ساكتة عن أسباب قيامها في ذلك المكان وفي ذلك الزمان. مع أن صاحب الاستقصا يقرّ بأنه كان "حاضرا لهذا الخطب العظيم". ولكن وظائفه المخزنية، وما دخله ولا شك من الرعب من هيجان العامة، حال بينه وبين أن يلتمس أدنى عذر للثوار الذين لم ير فيهم إلا "أخلاطا من الأوباش". فاشتهروا «بهذا المعتوه»، الذي يسمه صاحب *تواصل الحمان* بالجيلالي المعجاز، زيادة في الاستخفاف به وإغراقا في الحط من شأنه. وكذلك يسمه ميشو ـ بلير الفرنساوي بالموهوم (illumine). ومثل هذه الثورات أو الفورات الجماهيرية العارمة المفاجئة أكثر من أن تحصى في تاريخ المغرب. وكانت سرعة اشتعالها لا يضاهيها إلا سرعة انطفائها كلما كان السلطان قويا. فإن ثورة الجيلالي الروكي لم تتجاوز أكثر من أربعين يوما. لكنها توحي بما كان متجذرا في مجتمع ذلك العصر من الفكر المهدوي الثوري الذي قد يتمخض في حالة النجاح عن قيام دولة جديدة، وفي حالة الفشل يكتفي بالتعبير عن تذمر سياسي أو اجتماعي بعيد الأغوار. وكانت الأوضاع السياسية في مغرب بداية عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان في تمام الاضطراب. "والناس بين نارين. على ما قال ابن زيدان، بل نيران، نار فتنة الإصبان (يعني حرب تطوان) ونار فتنة الروكي، وفتنة المقدمين الرحامنة". فاختلت الأمور وغلت الأسعار وصار الأوربيون المقيمون في المغرب يفكرون في مهاجرته. هذا على الصعيد العام.

أما على الصعيد المحلي، فلا شك أن الجيلالي الروكي لم يكن على تلك الدرجة من الحقارة التي تصوره عليها المصادر التاريخية المتداولة. وهل يمكن أن يأخذ بلب الجمهور إلا من له نصيب غير هين من المعرفة ؟ وليس ذلك بغريب في منطقة كثيرة الزوايا والمدارس، لم يكن أرزاق الناس فيها على رماحهم فحسب بل أيضا على أقلامهم. وهل كان للجيلالي الروكي نزاع مع القائد عبد الكريم بن عودة ؟ كل ما في علمنا أن أولاد ابن عودة هؤلاء، دخلاء على المنطقة، فهم من الجزائر، من قبيلة القليعة، إقليم تيارت، هجروا أوطانهم واستوطنوا المغرب في عهد المولى سليمان، وأقطعوا الأرض في بني سفيان. وكان عبد السلام ابن عودة قائد المولى عبدالرحمان بن هشام على المنطقة. ويروي ميشو ـ بلير الفرانسوي أن الذي خلف القائد عبد الكريم ابن عودة المقتول هو صهره و"مشاوره" المدعو الجيلالي الجرايفي. وكان يقال إن له يدا خفية في ثورة الروكي. وكان من أخبث خلق الله وأشدهم قساوة على الرعية. ولم يفلت من بطش السلطان سيدي محمد إلا لكونه عرفه بمصحكه المسمى عبد السلام البقالي المدعو أبو القطيب، الذي كان من شيوخ الرماة وممن نال الحظوة الكبرى لدى السلطان المذكور. فكان يدافع عن الجيلالي الجرايفي ويغطي على تجاوزاته. ولعل هذه المعلومات لاتشبع ولا تغني من جوع، بيد أنها تصور تصويرا ملموسا لما كانت عليه أحوال المغرب عند اشتعال فتنة الجيلالي الروكي، موحية بعمق جذورها في الثقافة السياسية التقليدية، وبما كان لها من الصدى داخل البلاد وخارجه حتى إن العامة ظلت تعتقد بأن الجيلالي الروكي لم يقتل، وأنه قائم من جديد لا محالة. وصار من بومئذ كل من قام بأدنى حركة على السلطة الشرعية يدعى بالروكي، مثلما حصل لبوعزة الهبري في قبيلة بني وارين، والجيلالي الزرهوني المدعو بو حمارة في الأقاليم الشمالية الشرقية في مطلع القرن العشرين. وتلقف الأوربيون هذا الاسم وروّجوه في كتبهم وصحفهم حتى حولوه من اسم شخص معينٍ بالذات إلى مفهوم نبوي يدل على سوء استقرار المغرب ويبرر لزوم استعمارهم له.

أحمد الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، دار الكتاب، الجزء التاسع، 1960 ؛ ابن زيدان، عبد الرحمان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، الرباط، المطبعة الوطنية، الجزء الثالث، 1350/ 1932 ؛ غريط، محمد، *تواصل الحمان في أنباء وزراء* ـ وكتاب الزمان، فاس، المطبعة الجديدة، 1928.

Michaux-Bellaire, Edmond, *le Gharb*, A.M., 1913

إبراهيم بوطالب

الروم (في الجيش المغربي الوسيط)، فرقة من النصارى استخدمت في الجيش المغربي منذ القرن السادس (12 م). وقد تمت الإشارة إليها في المصادر والمراجع بتسميات مختلفة مثل : الروم، الرماة المسيحيون، جند الافرنج، الفرنج (Franc)، جند النصارى، الكتائب المسيحية، الميليشيات المسيحية (milices chrétiennes) أو المرتزقة النصارى. وقد استعمل ملوك الغرب الإسلامي كالمرابطين والموحدين والحفصيين والزيانيين والمرينيين وبني الأحمر هؤلاء، في جيوشهم النظامية لكن دورهم على الساحة السياسية المغربية سيزداد خطورة أواخر الحكم الموحدي. ويظهر أن أول إشارة تتعلق بانضمام هؤلاء، إلى الجيش المغربي ترجع إلى عهد السلطان المرابطي علي بن يوسف الذي اعتُبر أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب وقدمهم على جبااية المغارم (البيان، 4، 102 ؛ *الحلل*، 184). وتؤكد هذه الإشارة ما ورد في المصادر الإسبانية أيضاً وخاصة في أخبار الامبراطور الفونسو ملك قشتالة من أن "ألوفاً كثيرة" من الجند النصارى كانوا في عاصمة علي بن يوسف وابنه تاشفين وأن البعض منهم هاجر

المدينة سنة541 / 1147 بعد دخول الموحدين إليها في اتجاه طليطلة (L'église, p. 72). غير أن بعض الباحثين اعتقدوا أن بداية تجنيد الروم في الجيش المرابطي تعود إلى عهد السلطان يوسف بن تاشفين عندما اشترى حوالي 250 فارسا من الأعلاج من الأندلس (*النظام*، 149 ؛ *الموحدون*، 227). مما لاشك فيه أن هؤلاء الروم منذ استعمالهم في الجيش المرابطي لعبوا أدواراً رئيسية في كثير من أحداث المغرب خاصة في فترات الانتقال من دولة إلى أخرى (من المرابطين إلى الموحدين إلى المرينيين) أو عند انتقال السلطة ومقاليد الحكم من ملك إلى آخر، الشيء الذي يعطي الانطباع بأن الروم شكلوا ما يشبه عصبية مستقلة عن عصبية الدولة الحاكمة، فهم جسم غريب يعتمد على الارتزاق ويختلف عن المغاربة جنسا ودينا ولغة وعادات، ولذلك نُظر إليهم كعناصر فتن وقلاقل كانت وبالاً على استقرار المغرب. فأدوارهم تجاوزت طبيعة مهمتهم العسكرية والأمنية وأصبحت تستخدم من طرف ملوك أوربا والكنيسة للتدخل في شؤون المغرب وإضعاف مخزنه بإثارة الفتن والمؤامرات.

يعود أول حضور رسمي للروم في الأحداث المغربية على الأقل إلى سنة534 / 1140 في عهد علي بن يوسف عندما خرج ولي عهده تاشفين بعسكر كبير من لمتونة والحشم وزناتة وجمع من النصارى مع قائدهم الربرتير Reverter لقتال جيش الموحدين بقيادة عبد المومن بن علي. ويظهر من تفاصيل هذه الأحداث أن تصاعد خطر الموحدين وكثرة الثائرين على الدولة المرابطية وعدم ثقة المخزن المرابطي في ولاء العناصر الزناتية والمصمودية كانت من الأسباب الرئيسية التي اضطرت علي بن يوسف إلى الاستعانة بالنصارى والاعتماد عليهم في قمع المتمردين والحد من المشاكل التي بدأت تهدد الدولة المرابطية في وجودها. ولذلك لم تستطع المصادر المغربية اخفاء مدى بسالة وشجاعة القائد الربرتير وجنوده من الروم، البالغ عددهم حوالي 4000 فارس. في قتال الموحدين والدفاع عن المرابطين وسلطانهم عليّ وولي عهده تاشفين إلى أن سقط قتيلا سنة 539 / 1145.

وفي سنة541 / 1147 كان عبد المومن حاصر مراكش الحصار الأخير فداخله جند الروم الذين كانوا يعملون في الجيش المرابطي وكانوا بداخل المدينة، واتفقوا معه على أن يسهلوا له فتحها والدخول إليها من أحد أبوابها وهو باب أغمات مقابل تأمينهم والصفح عنهم. وقد تمكن عبد المومن بفضل خيانة جند النصارى فتح مراكش واحتلالها حسب رواية كل من صاحب *الحلل* وابن الأثير والنويري. أما البيدق وابن عذاري فلم يشيرا إلى أي دور لهؤلاء الروم في سيطرة الموحدين على المدينة. ويبدو أن بعض فرسان هذه الفرقة الذين فضلوا البقاء شكلوا نواة مهمة إلى جانب القبائل البربرية والعربية والغز في الجيش الموحدي. فقد استعملهم عبد المومن مع غيرهم من الأجناد مباشرة بعد الفتح وبالضبط سنة 542 / 1148، في إخماد ثورات بعض المعارضين والمنشقين كمحمد بن عبد الله بن هود المعروف بالماسي الذي ثار بالسوس.

ويلاحظ أن خليفة عبد المومن أبا يعقوب يوسف كان بدوره يستكثر من الروم ويشركهم في الاستعراضات العسكرية التي كان يشرف عليها خارج أسوار عاصمته مراكش وخاصة أمام باب الشريعة. وقد أشار البيدق إلى أن يوسف الموحدي كان قد أجاز النصراني المسمى جرنده Geraldo Sempavor من الأندلس إلى مراكش وجعله قائدا لكتيبة من الروم مكونة من 350 فارسا بمنطقة السوس لقمع المتمردين هناك. لكن الموحدين اكتشفوا أمره بعد ذلك وتأكدوا من اتصالاته ومراسلاته السرية مع سيده ملك البرتغال الفونسو هنريكيز (ابن الرنك)، فأمر يوسف بقتله بعد أن نفاه إلى درعة سنة565 / 1169.

نعتقد أن دور الميليشيات المسيحية على الساحة السياسية المغربية ظل محدوداً في فترات قوة المخزن الموحدي. لكن في فترات ضعفه وانحلاله خاصة بعد هزيمة العقاب سنة609 / 1212 بدأت قوة هذه الميليشيات تتعاظم بسبب تفاقم المشاكل السياسية للدولة وتراجع هيبة الجيش الموحدي وتكاثر الطامعين في الخلافة من بني عبد المومن الذين أصبحوا يستعينون بالروم أكثر من غيرهم لتنفيذ الدسائس وحبك المؤامرات وخلع هذا الخليفة أو تعيين آخر مكانه. ويشكل عهد المامون مثالا واضحا على بداية تغلغل خطر الميليشيات في جسد الدولة المغربية وتزايد اعتماد ملوك المغرب عليهم في نزاعاتهم الداخلية. فلما تخلى أشياخ الموحدين على بيعتهم للمامون الموحدي وبايعوا ابن أخيه يحيى الناصر. اتصل وهو بالأندلس بملك قشتالة فردنانه الثالث Ferdinand III يستنصره على الموحدين ويطلب منه مساعدته بجيش من النصارى يجوز بهم إلى المغرب لمحاربة يحيى ومؤيديه. وقد اختلفت الروايات في تحديد عدد أفراد هذا الجيش بين 500 فارس حسب ابن عذاري و12.000 فارس حسب ابن أبي زرع. ويضيف ابن أبي زرع أن تلك المساعدة تمت على أساس قبول المامون لمجموعة من الشروط من أبرزها منحه لملك قشتالة عشرة حصون تلي بلاده ويختارها بنفسه ثم بناء كنيسة في وسط مراكش تكون مكان عبادة لأفراد هذه الميليشيا، كما شرط عليهم أن لا يقبل إسلام من أسلم من هؤلاء الروم وأن يقبل من تنصر من المسلمين. فلم يجد المامون سبيلا آخر غير قبول هذه الشروط المجحفة وتنفيذها بهدف استعادة عرشه. وبهذا يعتبر المامون أول ملك مغربي يستخدم الروم بناء على اتفاق مشروط مع ملك أوربي، كما سيدشن بذلك وجودا قويا للروم القشتاليين في الجيش المغربي. وبفضل هذه الكتيبة تمكن المامون سنة 627 / 1229 من السيطرة على مراكش والتنكيل بمعارضيه وناكثي بيعته من أشياخ الموحدين وأشرافهم وقتلهم جميعا في عدد يصل حسب *القرطاس* إلى أربعة آلاف وستمائة. وفي إحدى

حركات المامون إلى مدينة سبتة استطاع يحيى بن الناصر العودة إلى مراكش سنة629 / 1231 فعاث فيها فسادا وقتل كثيرا من اليهود والنصارى الذين كانوا في خدمة جيش المامون كما هدم كنيستهم. وقد استمر الحضور المسيحي قويا خلال حكم الخليفة عبد الواحد الرشيد ولعبوا دوراً كبيراً في بيعته تحت ضغط أمه حباب الرومية ومرقسيل Sancho el Francil قائد فرقة النصارى في عهد والده المامون. وبفضل هؤلاء، ومباركة أشياخ الخلط ككانون بن جرمون السفياني وبعض رجالات المخزن الموحدي كشعيب أخي وقاريط الهسكوري احتل الرشيد مراكش سنة630 / 1232 وفرض نفسه خليفة للموحدين. وقد أثار تزايد هيمنة الروم على الخليفة وكثرة تدخلهم في سياسة الدولة حفيظة العلماء والفقهاء وبدأوا يعبرون عن سخطهم لما وصل إليه أمر الموحدين من خضوع واستسلام لحباب أم الرشيد ومعاونيها من جيش الروم حتى إن ابن عميرة لم يستطيع تمالك نفسه وهو يشاهد الخليفة الرشيد لا يتحرك إلا وحوله الروم فقال متحسرا :

يمشي في الروم بين زغنفــة فيـه وفيهم بحار من فكـر
وما رأى الناس مثله عجبــا أبرهة حوله بنو الاصفــر

وفي عهد خلفه السعيد ظلت أجناد الروم في واجهة الأحداث التي تميزت بحدة الصراع على الحكم بين الموحدين من جهة وبين بني مرين وبني زيان من جهة أخرى. واستغل الروم هذه الفرصة ليضعوا خدمتهم كورقة مؤثرة يستعملها الطرف الذي يدفع أكثر مجسدين بذلك طبيعة الارتزاق التي غلبت على وجودهم في المغرب. ومن ضحايا هذا الصراع الأمير أبو معرف محمد بن عبد الحق الذي اعتبر أول أمير مريني يسقط قتيلا بيد أحد فرسان الروم في جيش السعيد الموحدي واسمه خوان گيتان Juan Gaïtan وذلك سنة642 / 1244.

ويلاحظ أن في عهد المرتضى الموحدي تزايد أجناد الروم في الجيش الموحدي وتعاظم أمرهم لتظافر مجموعة من الأسباب : أولها تفاقم ضعف المخزن الموحدي، وثانيها احتدام الصراع بين أمراء الموحدين وبني مرين، وثالثها تزايد التدخل المسيحي في شؤون المغرب سواء من طرف ملوك أوربا أو من طرف الكنيسة. وقد ذهب البابا اينوسانت الرابع Innocent IV بعيداً في مساومة الخليفة المرتضى على المسيحيين الذين يعملون في جيشه وطلب منه في رسالة إليه مؤرخة بـ649 / 1251 أن يمنحه بعض الثغور البحرية المغربية لتوفير أمن وسلامة كل المسيحيين القاطنين بالمغرب مع زوجاتهم وأولادهم بما فيهم الميليشيات العاملة في جيشه الذين يتعرضون للاخطار من جراء تهديد وانتقام المعارضين والثائرين ضد ممارساتهم، ولأن المخزن الموحدي لم يعد قادرا على حمايتهم فقد وجب إعطاؤهم هذه المدن والمواقع المحصنة لحمايتهم والحفاظ على أرواحهم وتسهيل رحيلهم إلى بلدانهم عند اشتداد الخطر عليهم. كما أكدت الرسالة أن عدم تنفيذ هذه الأوامر سيضطر البابا تكليف أسقف المغرب بأن يعمل على جعل كل المسيحيين يتركون الخدمة لدى الخليفة الموحدي ويمنع أي مسيحي جديد من الانضمام إلى الجيش الموحدي (Traités, 16 - 17).

لقد استخذم خلفاء الموحدين المتأخرون وأمراء بني مرين على السواء، أجناد الروم القشتاليين كعناصر أساسية في الصراعات التي حمي وطيسها بين الطرفين أكثر من نصف قرن. وتؤكد تفاصيل الأحداث على أن الروم كانت لهم مشاركة واضحة فيما عرفه المغرب من فتن واضطرابات ساهمت في تقويض الخلافة الموحدية وانهيارها. فمنذ سنة 613 / 1216 وبعد هزيمة الموحدين أمام المرينيين فيما عرف بعام المشغلة، بدأنا نشهد نشاطا مكثفا لجند الروم سواء في الجيش الموحدي أو في الجيش المريني، وتزايد الاصطدام حدة بين الروم أنفسهم وقتل عدد كبير منهم في عهد الرشيد والسعيد والمرتضى وأبي دبوس آخر ملوك الموحدين (*البيان*، ق. م، 319 .354) وفي المقابل كانت لهم اليد الطولى في كثير من المجازر التي ذهب ضحيتها عدد لايستهان به من رجالات المخزن الموحدي والمريني على السواء. فالميليشيا المسيحية التي كانت تتمركز بفاس في مانتي فارس تواطأت بأمر من قائدها زنار Chanar وشديد وبتحالف مع أشياخ فاس في قتل عامل بني مرين على المدينة السعود بن خرباش الحشمي وأربعة من رجاله وخلع بيعة الأمير المريني أبي بكر وبيعة المرتضى وذلك سنة 647 / 1249. كما كانت لهم مشاركة في محاربة وتصفية كثير من الثوار والمتمردين على المخزن الموحدي مثل محمد القطراني الثائر بمدينة سجلماسة سنة655 / 1257 وابن يدر الثائر بسوس661 / 1263.

يبدو أن انتقال الحكم من الموحدين إلى المرينيين لم يغير شيئا في أهمية دور الميليشيات المسيحية في أحداث المغرب خلال هذه الفترة، بل يمكن القول أن ملوك بني مرين أصبحوا يعتمدون على هذه الميليشيات بشكل مثير منذ بداية ظهورهم على الساحة المغربية وحتى نهاية دولتهم. لكن الجديد في الأمر هو أن بني مرين لم يعودوا يعتمدون كثيراً على روم قشتالة بل على روم أرغون الذين أصبحوا يشكلون عناصر أساسية في الجيش المريني. كما أن عملية تجنيد هؤلاء أخذت أكثر من ذي قبل طابعا تنظيميا بحيث غدا انضمامهم للجيش المريني موضوعا رئيسيا في المفاوضات والاتفاقيات والمعاهدات التي يتم عقدها بين ملوك المغرب وملوك أرغون. وبناء على ذلك يمكن القول إن الوجود المسيحي في الجيش المريني أصبح أكثر تقنينا وأكثر مراقبة من طرف المخزن وإن كانت أدوارهم السياسية والعسكرية ظلت في نفس المستوى تقل في فترة حكم ملوك أقوياء وتزداد خطورة في فترة الضعف والانحلال.

لاشك في أن أول اتصال بين بني مرين والروم تم في إطار الصراع بين هؤلاء وملوك الموحدين. فالأمير أبو يحيى

جدول بأسماء قواد الروم العاملين في الجيش المغربي الوسيط

اسم القائد	جنسيته	السلطان الذي كان في خدمته	مقر فرقته	عدد جنوده
. بنير	قشتالة	المرابطون	؟	؟
. صنبل	قشتالة	المرابطون	؟	؟
. جرندو (Garando) Geraldo Sempavor	قشتالة	يوسف الموحدي	مراكش	350
. بيدرو فرنانديز د كسترو Pedro Fernandez de Castro	قشتالة	يعقوب الموحدي	مراكش	؟
. غنصالة Gonzalo	قشتالة	المستنصر الموحدي السعيد الموحدي	مكناسة	؟
ابن القمط (أبو زكريا يحيى)	قشتالة	المستنصر الموحدي السعيد الموحدي	مكناسة	؟
. الأمير بيير البرتغالي L'Infant Pierre de Portugal	البرتغال	المستنصر الموحدي	مراكش	؟
. فرنسيل (سانشو) Sancho El Francil	قشتالة	المأمون الموحدي الرشيد الموحدي	مراكش	500 أو 12000؟
. زنار Chanar	قشتالة	الرشيد المرتضى أبو دبوس (الموحدون) أبو بكر المريني	فاس	200 أو 300
. شديد	قشتالة	الرشيد الموحدي المرتضى الموحدي أبو بكر المريني	فاس	200
Don Lope ذي اللب	قشتالة	المرتضى الموحدي	مراكش	؟
. غرسية طاليس Garcia Talis	قشتالة	المرتضى الموحدي	مراكش	؟
. غرسية مارتينيز د كاليكوس Garcia Martinez de Galligos	قشتالة	يعقوب المريني يوسف المريني	؟	؟
. بيري خيمينيز د إسبيلونكا Pere Giménez de Espilonga	أرغون	يوسف المريني أبو ثابت عامر المريني	فاس	؟
. كيرمو د بوخالط Guillermo de Pujalt	أرغون	يوسف المريني	مراكش	؟
. لوبي سانشيز د خوبيرا Lope Snachez de Jovera	أرغون	يوسف المريني سليمان المريني	تلمسان (أثناء الحصار) فاس	؟
. رامون د ميرامبل Ramón de Mirambell	أرغون	أبو سعيد عثمان الثاني المريني	؟	؟
. بيري سيكي Pere Segui	أرغون	"	؟	؟
. خومي سيكي Jaume Segui	أرغون	"	؟	؟
. خومي د كنسير Jaume de Cancer	أرغون	"	فاس	؟

اسم القائد	جنسيته	السلطان الذي كان في خدمته	مقر فرقته	عدد جنوده
. بشير	قشتالة	المرابطون	؟	؟
. صندل	قشتالة	المرابطون	؟	؟
. جرندة (Garando) Geraldo Sempavor	قشتالة	يوسف الموحدي	مراكش	350
. بيدرو فرنانديز دكسترو Pedro Fernandez de Castro	قشتالة	يعقوب الموحدي	مراكش	؟
. غنصالة Gonzalo	قشتالة	المستنصر الموحدي السعيد الموحدي	مكناسة	؟
. ابن القمط (أبو زكريا يحيى)	قشتالة	المستنصر الموحدي السعيد الموحدي	مكناسة	؟
. الأمير بيير البرتغالي L'Infant Pierre de Portugal	البرتغال	المستنصر الموحدي	مراكش	؟
. مرنبال (سانشو)				

المريني وأخوه أبو يوسف يعقوب كانا يتوفران على كتيبة مسيحية جل أفرادها كانت تعمل فيما قبل في جيش الخليفة السعيد الموحدي. وازداد عدد هؤلاء سنة 652 / 1254 بعد انضمام عدد من المرتزقة النصارى الذين فروا من بطش أمير تلمسان يغمراسن بن زيان على إثر فشل انقلابهم عليه. وقد شكلت جميع هذه العناصر المسيحية النواة الأولى للميليشيا التي ستعمل في خدمة ملوك بني مرين والتي ستتعزز بجلب آخرين من إسبانيا وخاصة من كطلونيا في إطار اتفاقيات رسمية إضافة إلى انضمام بعض المغامرين أو الفارين من بطش أسيادهم النبلاء القادمين من شمال الأندلس سواء من قشتالة أو من كطلونيا.

وهكذا فمنذ البداية استعمل بنو مرين الروم في جيشهم إلى جانب العرب والغزّ وغيرهم. والمصادر المرينية لا تخفي الدور البارز الذي كان لهؤلاء الروم في استحواذ بني عبد الحق على السلطة. فقد ساهموا في دخول الأمير أبي يحيى مدينة فاس سنة 646 / 1248 وفي توسيع نفوذه على المناطق الشمالية، وكانوا حاضرين كذلك في فتح يعقوب بن عبد الحق لمدينة مراكش والقضاء على بقايا الموحدين سنة 668 / 1269 وحصاره تلمسان سنة 670 / 1271 وسيطرته على سجلماسة سنة 673 / 1274. وترجع أول اتفاقية تنظم عملية تجنيد الروم في الجيش المريني إلى عهد أبي يوسف يعقوب سنة 673 / 1274 (18 نوفمبر) وقد عقدت ببرشلونة بين ممثلين عن السلطان المريني وخايمي الأول ملك أرغون الذي تعهد بتقديم 500 فارس أرغوني بأسلحتهم تكون رهن إشارة السلطان لمساعدته في حصار سبتة. في مقابل ذلك يتعهد السلطان المغربي بمنح ملك أرغون امتيازات مالية باهضة له ولفرسانه. لكن لأسباب متعددة لم يتم تنفيذ بنود هذا الاتفاق من الطرفين. وقد تجدد نفس الطلب مع السلطان أبي يعقوب يوسف في رسالتين منه إلى خايمي الثاني ملك أرغون، الأولى بتاريخ 15 شعبان 703 / 24 مارس 1304، والثانية بتاريخ فاتح ذي الحجة 703 / 5 يوليوز 1304. وتؤكد الرسالتان على رغبة السلطان المريني في استعادة سبتة ولو عن طريق مساعدة أرغونية لمهاجمة المدينة من البحر (Documentos, 154 - 155, 174). وخلال هذه الأحداث نشطت الآلة الدبلوماسية بين أرغون والمغرب، ولعبت فيها العناصر المسيحية دوراً ملحوظاً سواء أثناء حصار تلمسان أو أثناء حصار سبتة التي تم استرجاعها من طرف أبي الربيع سليمان سنة 709 / 1310 بدون مساعدة أرغون، ولكن بفضل ثورة أهلها ضد الحامية الأندلسية وتدخل القائد المريني تاشفين بن يعقوب الوطاسي. وكان لقائد الفرقة العسكرية المسيحية في الجيش المريني غيليم سيگي Guillem Segui وبعده برناط سيگي Bernat Segui، وهما من أسرة سيگي الكطلانية التي خدمت ملوك بني مرين مدة طويلة، بصمات واضحة في تنشيط العلاقات السياسية والتجارية بين فاس وبرشلونة. وسيكون لذلك تأثير كبير في دعم وتعزيز الوجود الأرغوني في المغرب على حساب الوجود القشتالي خاصة بعدما نصبت قشتالة نفسها منذ بداية الدولة المرينية العدو الأكبر للمغرب. وبسبب هذا الموقف تزايد تجنيد نصارى أرغون وقل الاعتماد على نصارى قشتالة الذين تورطوا في كثير من أحداث الفتن التي شهدها المغرب في بداية القرن الثامن الهجري الثامن (14 م). فقد اندلعت بمراكش انتفاضة عارمة ضد جنود الروم بعد اكتشاف مدفن القاضي عياض تحت أنقاض مقبرة مسيحية وكنيسة كانت قد شيدت لهم أيام المأمون الموحدي. فنهبت ديارهم وأبيحت أموالهم

لاعتقاد المراكشيين بأن هؤلاء النصارى هم حفدة أصحاب المقبرة والكنيسة. من جهة أخرى شارك قائد الميليشيا المسيحية القشتالية غنصالة سانشيز دي ترونكونيس Gonzalo Sanchez de Troncones إلى جانب بعض رجالات المخزن في التمرد ضد السلطان أبي الربيع سليمان ومحاولة خلعه والدعوة للأمير عبد الحق بن عثمان سنة710 / 1311. كما ساهم قائدان قشتاليان آخران وهما خوان سانشيز دبوجيا Juan Sanchez de Bugéa وخوان رويث دمندوزا Juan Ruiz de Mendoza إلى جانب الأمير أبي علي عمر في الثورة مرتين الأولى ضد والده السلطان أبي سعيد عثمان سنة720 / 1321 والثانية ضد أخيه السلطان أبي الحسن سنة733 / 1333 . في مقابل ذلك كان للميليشيا الأرغونية دور بارز في قمع الثورة التي اندلعت ضد أبي سعيد المريني، وكان ذلك سببا في تشبثه بخدماتهم إلى درجة لم يعد معها قادراً على التخلي عنهم حتى وإن كان ملك أرغون نفسه في حاجة إليهم. وقد حدث أن بعث خايمي الثاني إلى السلطان يطلب إمداده بنصارى أرغون العاملين في جيشه لمساعدته في حملته العسكرية إلى جزيرة سردانية. وقد رفض السلطان السماح لمائة فارس من كتيبته الارغونية بالالتحاق بملك أرغون، وحتى لا يتسبب ذلك في وقوع أي توتر في العلاقات بين الطرفين اقترح علي ملك أرغون أن يمده بجنود مغاربة بدل الارغونيين (Los documentos, p. 171).

لعل قوة حضور مؤسسة المخزن في عهد السلطانين أبي الحسن وخلفه أبي عنان ومارافق ذلك من استقرار سياسي وازدهار اقتصادي حالت دون أن تمارس الكتائب المسيحية أدواراً مؤثرة كما دأبت على ذلك في الفترات السابقة بحيث لم تجد فرصة ملائمة لحبك الدسائس والمؤامرات وإثارة الفتن، بل على العكس من ذلك، تفرغت هذه الكتائب أكثر من ذي قبل للقيام بمهمتها الأساسية المتمثلة في حراسة القصر المريني ومرافقة السلطان في ترحاله والركوب معه في حملاته العسكرية الداخلية أو ضد الدول المجاورة كما حدث في الحملتين اللتين قام بهما إلى إفريقية كل من أبي الحسن سنة748 / 1348 وأبي عنان سنة758 / 1357.

لكن ما إن انتهي عصر السلطانين حتى داخل المغرب في مرحلة جديدة من الاضطرابات والفتن عاد معها جند النصاري إلى سياستهم القديمة في التآمر وتأجيج الصراع بين الأمراء وأفراد المخزن المريني. فبعد وفاة أبي عنان سنة 759 / 1358 استبد وزيره الحسن بن عمر الفودودي وانفرد بالحكم دون السلطان أبي بكر السعيد الذي كان ما يزال صبيا وتابع سياسة المواجهة مع جيرانه بني عبد الواد. وفي إحدى حملاته العسكرية إلى تلمسان بقيادة مسعود بن رحو، انقلب عليه هذا الأخير وبايع أحد أمراء بني مرين المرفقين له وهو منصور بن سليمان بن أبي مالك بن يعقوب بن عبد الحق وشاركه في دعوته أحد أمراء بني الأحمر وقائد جند النصارى في جيشه والمعروف باسم القمندور El Comendador الذي ساهم بشكل ملحوظ في سيطرة بني مرين على تلمسان. وفي سنة762 / 1361 تحالف الوزير عمر بن عبد الله الياباني مع قائد النصارى غرسية بن أنطون Garcia ben Antoun واتفقا على خلع السلطان أبي سالم ومبايعة الأمير تاشفين بن أبي الحسن مكانه لكنهما تورطا في قتله على يد أحد جنود النصارى. وبعد هذا الحادث بقليل انقلب قائد النصارى المذكور على حليفه القديم وتآمر عليه مع حليف جديد هو سليمان بن نصار. وقد تنبه الوزير إلى خطورة المؤامرة فتمكن من قمعها في مهدها وقتل القائد وطائفة من جنده، وكانت هذه الحادثة فرصة اهتبلها سكان فاس للتعبير عن سخطهم وغضبهم من استفحال خطر النصارى فثاروا ضدهم وطاردوهم في شوارع المدينة ثم زحفوا إلي الملاح بجوار فاس الجديد وعاثوا في مساكنهم وانتهبوا أموالهم وأمتعتهم وكادت أن تتحول هذه الثورة إلى مجزرة كبرى لولا تدخل بني مرين لحماية النصارى. غير أن هذه الانتفاضة لم تمنع هؤلاء الجند من معاودة مشاركتهم في زرع الفتن عند أية فرصة كما وقع في النزاع بين السلطان عبد العزيز بن أبي العباس والأمير أبي الفضل بن أبي سالم سنة769 / 1368 ثم في الصراع بين نفس السلطان ووزيره يحيى بن ميمون بن أمصمود. كما نسبت المصادر إلى جند النصاري دوراً خطيراً في المواجهات التي دارت بين السلطانين موسى بن أبي عنان وأبي العباس أحمد بن أبي سالم سنة786 / 1385.

لا تذكر المصادر المغربية أي شيء عن طبيعة مساهمة الميلشيات المسيحية في أحداث المغرب بعد نهاية القرن الثامن (14 م). ويبدو أن انتفاضة العامة بفاس ضد الروم وتراجع نفوذهم وحظوتهم عند المخزن المريني إضافة إلى تزايد الهجومات الإسبانية والبرتغالية على السواحل المغربية كلها معطيات ساهمت بشكل أو بآخر في غياب أخبارهم، وإن كان هذا لا يعني أنهم تخلوا نهائيا عن خدمتهم لملوك بني مرين الأواخر علي الأقل كحرّاس خاصين بهم، ومن الممكن أن يكونوا قد تخلوا عن دورهم العسكري والجبائي تفاديا لأي احتكاك أو تصادم مباشر مع المغاربة وإثارة غضبهم ضدهم.

من المؤكد أن هؤلاء الجند النصارى كانوا يتقاضون مرتبات وامتيازات مقابل خدماتهم مما شكل عبئاً ثقيلاً على بيت المال. وتسمح بعض المؤشرات بإعطاء فكرة عامة عن طبيعة التعويضات المادية التي كان النصارى يتقاضونها ومستوى الأختلاف بين مرتبات القواد والفرسان. فقد جاء في معاهدة702 / 1302 التي أبرمت بين أبي يعقوب يوسف المريني وخايمي الثاني الأرغوني أن كل جندي من الكتيبة المسيحية العاملة في جيش السلطان يتقاضى 60 ديناراً بينما تقاضى أفراد الفرقة القشتالية في عهد أبي الحسن المريني راتبا شهريا يتراوح ما بين 5 و50

ديناراً ذهبياً. وكان راتب القائد الأعلى للميليشيات العاملة في الجيش الحفصي أو الزياني يتجاوز بكثير راتب الجندي العادي ويتراوح ما بين 2000 و3000 دينار، ومن المحتمل أن نفس الراتب أو ما يقاربه كان يتقاضاه القائد الأعلى الرومي في المغرب. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الراتب المرتفع لا يأخذه القائد الأعلى كله بل يتقاسمه مع ملكه الذي يخصم منه الثلث ويترك الثلثين للقائد (Espagne, 517). وإذا علمنا أن ملك أرغون أو قشتالة هما اللذان يختاران القائد أو الفارس الذي سيلتحق بالجيش المغربي فهمنا أهمية المداخيل التي يحققانها من هذه العملية. ويستفاد من نص لابن مرزوق أن هذه الرواتب كانت تثقل كأهل السكان بشكل لا يطاق لأنها كانت تقتطع منهم على شكل ضريبة عرفت ضريبة الروس وتوفر أحيانا ما يقرب من 150.000 دينار ذهبي في عهد أبي الحسن المريني. وأمام ضخامة هذا الرقم وما يحدثه من ضرر على الناس اضطر أبو الحسن إلى الغاء تلك الضريبة وعوض للنصارى رواتبهم من بيت المال لانتفاع المسلمين بهم حسب ابن مرزوق (*المسند*، 282). ولم يكتف جند النصارى برواتبهم فقط بل كانوا يحظون كذلك بامتيازات كثيرة من أهمها الإبقاء على دينهم وتعيين أساقفة يشرفون على شؤونهم الدينية وممارستهم أحيانا التجارة وتمتعهم بحي سكني خاص بهم يطلق عليه اسم الملاح أو ربض النصارى ويوجد بفاس الجديد خارج باب الشريعة بناه أبو العلاء بن أبي طلحة سنة 659 / 1261 بأمر من السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بعد أن أخرجهم من مدينة فاس.

ولم يقتصر سكنى جند النصارى على فاس الجديد فقط بل سكنوا أيضاً في مدن أخرى كسجلماسة ورباط الفتح وخاصة مراكش حيث خصص يعقوب المنصور الموحدي لحرس الرماة المسيحيين البالغ عددهم 500 فرد قصرين بقصبة المدينة.

ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*. بيروت. 1966، ج.10، ص. 537، 584 ؛ ع. الواحد المراكشي. *المعجب*. الدار البيضاء، د. ت. ص. 483 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، تح. عبد الهادي التازي، بيروت، 1987. ص. 343 ؛ البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط. 1971. ص 89 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*. تح. محمود علي مكي. بيروت. 1990. ص 140، 263 ؛ ابن عذاري. *البيان المغرب*. تح إحسان عباس، بيروت. 1983، ج. 4، ص. 98، 102، 103 ؛ *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، قسم الموحدين، تح. مجموعة من الأساتذة، بيروت، الدار البيضاء، 1985. ص. 18، 20، 31، 284، 298، 299، 334، 355، 360، 371، 396، 399، 402، 413، 414، 417، 419، 428، 430، 436 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية*. الرباط، 1972، ص 74، 75، 79، 88، 91، 95، 96 ؛ النويري، *نهاية الأرب*. الدار البيضاء، 1985، ص. 410، 411 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1973، ص. 246، 250، 251، 254، 259، 290، 292، 294، 302، 306، 309، 390، 394، 397 ؛ ابن خليل، *اختصار القدح المعلى*، تح. إبراهيم الابياري، القاهرة، 1959، ص. 44 ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، تح. م. ابن شقرون، الرباط، 1984، ص. 63 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1973، ج. 1، ص. 411 ؛ *نفاضة الجراب*، تح. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 230، 277، 278، 330 ؛ *أعمال الأعلام*، تح أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، 1964، القسم الثالث، ص 235 ؛ ابن مرزوق، *المسند*، تح ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 116، 282 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، تح. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979، ص 84، 85، 117، 129، 131، 138، 139، 146، 173 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 20 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *المقدمة*. بيروت. 1988، ص 338، 339 ؛ *العبر*، بيروت، 1968، ج. 6، ص. 475، 476، 530، 534، 545 ؛ بيروت، 1978 ؛ ج. 7، ص 351، 352، 356، 359، 361، 379، 49، 493، 497، 501، 508، 615، 630، 651، 654، 658، 673، 675، 731 ؛ يحيى بن خلدون، *بغية الرواد*، الجزائر، 1903، ج. 1، ص. 114، 115 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*، تح. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1988، ص 94، 111، 155، 147 ؛ القلقشندي، *صبح الاعشى*. القاهرة، بدون تاريخ، ج. 5، ص. 154 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، الرباط، 1983، ج. 1، ص. 132 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. مجموعة من الأساتذة، الرباط، 1988، 1989، ج. 2، ص. 50 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*. الدار البيضاء، 1954، ج. 2 وج. 3 وج. 4 ؛ الصديق بن العربي، *طرائف وشخصيات مسيحية بالمغرب*، مجلة تطوان، العدد الأول، 1956، ص. 153، 163 ؛ روجيه لوترنو، *فاس في عصر بني مرين*، تر. نيقولا زيادة، بيروت، 1967، ص. 34 ؛ حوسي ألبماني، *الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة*، تر. أحمد مدينة، دعوة الحق، العدد 5، 1978 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية*، الرباط، 1979، ص. 71، 72، 75 ؛ إبراهيم حركات، *النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين*، الدار البيضاء، د. ت ؛ *المغرب عبر التاريخ*، الدار البيضاء، 1984، ج. 1، ص. 207، 327 ؛ ج. 2، ص. 133 ؛ هوبكنز، *النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى*، نقله عن الانجليزية امين توفيق الطيبي، ليبيا، تونس، 1980، ص. 141، 144، 148 ؛ م. القبلي، *مراجعات حول الثقافة والمجتمع بالمغرب الوسيط*، الدار البيضاء، 1987، ص. 36 ؛ [illegible] للمغرب، المحمدية، 1988، ج [illegible] 149، 151 ؛ م. ابن شريفة، [illegible] مجلة كلية الآداب، مراكش، [illegible] عمر موسى، *الموحدون*

في الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص 42 . 226 . 229 ؛ إبراهيم القادري بوتشيش، بعض الجاليات المتوسطية في المغرب العربي خلال عصر الموحدين، الكراسات التونسية، تونس، 1991، المجلد 43، عدد مزدوج (155 ـ 156)، ص 95 ـ 121؛ ع. الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، بيروت 1994، ج. 2، ص. 178 . 181 . 198 . 235 : أ. عزاوي، رسائل موحدية جديدة، الدار البيضاء، 1995، ج. 1، ص. 402 . 404 : مصطفي نشاط، الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية، ضمن أشغال ندوة الغرب الأسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1955، ص. 117 ـ 135؛ رشيد السلامي، وثائق مرينية، دراسة وتحقيق، بحث مرقون نوقش بكلية الآداب، الرباط، 1989، ص. 51 ـ 56 ـ 65 . 70 . 72 . 75 ـ 93 ـ 95.

Mas Latris, *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866 ; *(Traités)*, pp. 297 - 312 ; Tauxier (H.), *Les variations de sens des mots Berber, Roum, Afarek, Beranés, Botr, Mazigh et Frank, R.A.* Alger, 1879, n° 133; Alemany (J.), *Milicias cristianas al servicio de los sultanes musulmanes del Almaghreb*, in *Homenaje a D. Francisco Codera*, Zaragoza, 1904 ; Giménez Soler (A.), *Caballeros españoles en Africa y Africanos en España, Revue Hispanique*, Paris, 1905, T. XII ; Tisserant (E.) et Wiet (G.), *Une lettre de l'almohade Murtada au papeInnocent IV*, in *Hesp.*, 1926, 1er tr. ; Cenival (P. de), *L'église chrétienne de Marrakech au XIIIe siècle, Hesp.*, 1927, T. VIII ; Huici Miranda (A.), *El reinado del califa almohade Al-Rachid, hijo de al-Mamun*, in *Hesp.*, 1954, T. XLI, 1er et 2e tr. ; Dufourcq (Ch. E.), *La question de Ceuta au XIIIe siècle. Hesp.*, 1955, T. XLII, 1er et 2e tr. ; Ibid, *Un projet castillan du XIIIe siècle, la croisade de l'Afrique, Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb*, Alger, 1966, n° 1 ; Ibid, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècle*, Paris, 1966 ; Ibid, *Les relations de la peninsule ibérique et de l'Afrique du Nord au XIVe siècle*, in *Anuaio estudios médiervales*, Barcelona, 1970 - 1971, vol. 7 ; Ibid, *Les relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du XIIIe siècle, Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb*, Alger, 1968, n° 5 ; De Torrella (M.G), *Milicias Cristianas en Berberia*, in *Boletin de la sociedad arqueologica Lusitane, Palma de Mallorca*, 1973, T. XXXIV ; Capmany (A. de) y Montpalau (de.), *Antiguos Tratados de Paces y alianzas entre algunos reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta el XV*, Madrid, éd. 1974 ; Dhina (A.), *Les états de l'occident musulman aux XIIIe, XIVe et XVe siècles*, Alger, 1984 ; Kably (M.), *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986; Khaneboubi (A.), *Les premiers sultans mérinides (1269 - 1331), Histoire politique et sociale*, Paris, 1987 ; Ferhat (H.), *Le Maghreb aux XIIe et XIIIe siècles : les siècles de la foi*. Casablanca, 1993 ; Ibid, *Sabta des origines au XIVe siècle*, Rabat, 1993.

رشيد السلامي

الرومان والمغرب، أو علاقة المملكة المورية مع الرومان قبل خضوع البلاد لسيطرتهم، وذلك في مدى زمني يتراوح ما بين أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، ومنتصف القرن الأول الميلادي، حيث انتهى عهد الملوك الموريين وبدأت سيطرة الرومان على موريطانية.

وتشير إلى أن رسم معالم هذه الفترة يستند على المصادر التاريخية التي تناولت بعضا من شؤون موريطانية بمناسبة تناولها لتاريخ الصراعات التي خاضها الرومان مع الكيانات السياسية التي حكمت أقطار الشمال الإفريقي، ابتداء من الصراع ضد قرطاجة على أرض إفريقيا في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، ثم خلال الحرب ضد الملك النوميدي يوغرطة في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، وأخيراً خلال الحروب الأهلية الرومانية التي شملت القرن الأخير قبل الميلاد، وجرت بعض أحداثها في أقطار الشمال الإفريقي وفي إسبانيا.

ندلي في البداية بملاحظة حول المصادر المعتمدة في هذا الموضوع وهي نوعان :

ـ المعطيات الأثرية، هي مواد تم اكتشافها في تنقيبات أجريت بالمغرب وإيطاليا، والأمر يتعلق بالخزف والأمفورات والنقود.

ـ النصوص التاريخية، لكتاب إغريقيين ورومانيين، متحيزين لرومة، همهم الإشادة ببطولات قادتها العسكريين، وهم يؤرخون للحروب التي خاضها الرومان لفرض نفوذهم على شمال إفريقيا. والجدير بالذكر أن معظم الكتاب ليسوا شهود عيان على الأحداث التي ذكروها، برغم أن بعضهم عاش في الفترة المورية. وأقدمهم هو بوليبيوس الذي عاش ما بين سنتي 202 و120 ق. م. وأخرهم هو ديون كسيوس الذي عاش ما بين سنتي 155 و230 م.

تتميز الفترة المورية في المغرب القديم بازدهار البلاد اقتصاديا وعمرانيا، في ظل الملوك المذكورين في النصوص التاريخية، أولهم باگا Baga، الذي برز في أحداث ترجع إلى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد. وآخرهم بطليموس Ptolemeaus بن يوبا الثاني Iuba، الذي انتهى حكمه سنة 40 م. شمل حكم هؤلاء الملوك في موريطانية مجالا ينحصر بين مضيق أعمدة هرقل وجبال الأطلس، وبين المحيط الأطلسي ونهر ملوشة Mulucha وهو نهر ملوية الحالي. ثم إن مجال نفوذ الموريين شمل غرب نوميدية منذ حرب يوغرطة، في حدود لا ندري مداها في البداية، لكن هذه الحدود الشرقية وصلت إلى نهر أمباسكة Ampsaga منذ عهد الملك الموري بكوس الثاني Bocchus (مجدوب، (1)، 1990، ص. 18 ـ 21 ؛ 1999، 7 ـ 8).

أما بالنسبة لإيطالية، فإن هذه الفترة تمثل أوج التوسع الروماني، وما واكب ذلك من سيطرة عسكرية واقتصادية على البلدان التي تحيط بالبحر المتوسط عامة، وشمال إفريقيا على وجه الخصوص. ويندرج ذلك في أحداث ساخنة

كان فيها دور للملوك الأفارقة. نوجز هذه الأحداث في القضايا التالية : الحروب البونية وحرب يوغرطة والحروب الأهلية الرومانية.

١ - الحروب البونية : يتعلق الأمر بالصراع القرطاجي الروماني، ما بين سنتي 218 و146 ق. م. أي خلال الحربين البونيتين الثانية والثالثة. والغرض في هذه القضية هو معرفة مواقف الموريين من الصراع المذكور. المصدر الرئيسي حول هذه الأحداث هو المؤرخ الإغريقي بوليبيوس، الذي عاش في رومة، وعاصر الحرب البونية الثالثة، وكان مرافقا لسكيبيو Scipio الإيميلي خلال قيادته للحرب البونية الثالثة. وقد نقل عن بوليبيوس المؤرخ الروماني تتوس لفيوس الذي عاش ما بين سنتي 59 ق. م. و17 م.، ثم المؤرخ أبيانوس الذي عاش ما بين سنتي 95 و165 م.

نعلم من هذه المصادر كيف تورط الملوك النومديون في الحرب البونية الثانية. حيث تحالف الملك الماسولي گايا Gaïa مع قرطاجة، وكلف ابنه مسينسا Massinissa بقيادة النومديين ومساعدة القرطاجين في إسبانيا (Polybe, 11, 5, 21 : Tite Live, 24, 49, 1 - 6 ; 29, 29 - 6 ; Appien, Iber, 25 et 27).

بينما كانت رومة تراود الملك الماسيسولي سيفكس Syphax، وتدعوه إلى التحالف.

وبعد وفاة گايا تحالفت قرطاجة مع سيفكس وسمحت له بالاستيلاء على مملكة الماسوليين واحتلال عاصمتهم كيرتة Cirta.

وهذا ما جعل الأمير مسينسا وهو في إسبانيا يضطر إلى التحالف مع سكبيو، الذي لقب فيما بعد بالأفريقي، بعد قضائه على قرطاجة في الحروب البونية الثانية.

وقد اشترك مسينسا مع سكيبو في حملته على قرطاجة ما بين سنتي 204 و202 ق. م. وأفضت هذه الحملة إلى الإطاحة بالملك سيفكس، واسترجاع مسينسا لمملكته، وضم مملكة الماسيسوليين إلى مجال نفوذه.

انتهى هذا الصراع بمعركة زامة التي انتصر فيها الرومان، ونصت اتفاقية السلم على حق مسينسا في استرجاع أجداده من قرطاجة.

ثم حافظ مسينسا على ولائه للرومان وقدم لهم مساعدات مادية وعسكرية في حروبهم التوسعية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط. كما ساهم في إضعاف قرطاجة لتصير لقمة سائغة لرومة.

ثم شارك أبناؤه مع الرومان في الحرب البونية الثالثة، وظلوا أوفياء لرومة بعد سقوط قرطاجة (سالوست، حرب يوغرطة، 7 ; Appien, Iber, 67).

أما عن الموريين، فليس هناك نص صريح يفيد أن ملوكهم تدخلوا في هذا الصراع، برغم أن بوليبيوس أشار إلى وجود عناصر مورية في عساكر القائد القرطاجي حنبعل سنة 218 ق. م.، وقد ترك هؤلاء الموريين لأخيه حسدربعل في إسبانيا (Polybe, 3. 33. 15). والغالب أن الأمر يتعلق بمرتزقة لا تتحمل السلطات المورية مسؤولية مشاركتهم في هذه الحرب، لاسيما وأن المؤرخ المذكور أكد أن الموريين الذين شاركوا في معركة زامة كانوا مرتزقة كالليگوريين والغالين والبلياريين. وعددهم جميعا يقدر بإثني عشر ألف رجل (Polybe, 5, 11, 1). والراجح أن الموريين الذين ذكرهم نفس المؤرخ مع القرطاجين في الحرب البونية الثالثة كانوا هم أيضا مرتزقة (Polybe, 38, 2, 7).

كما أفاد المؤرخ تتوس لفيوس أن الموريين كانوا ضمن قوات حسدربعل في إسبانيا (Tite Live, 23, 26, 11 ; 29, 14 ; 24, 15. 2) وشاركوا مع القرطاجين في معركة زامة كمرتزقة (Tite Live, 30, 33, 5 et 10 et 13). ثم أكد أبيانوس على وجود مرتزقة موريين في معركة زامة. كما أفاد أن القرطاجيين كانوا يأملون في مساعدة الموريين في الحرب البونية الثالثة (Appien, Lib. 44 et 111).

وفي أخبار تتوس لفيوس ما يفيد أن سكيبو حاول استقطاب الموريين، عندما كان سفراؤه يتصلون بالملك سيفكس سنة 206 ق. م. قصد التحالف معه. جاء في النص ما يلي : "لما كان سكيبو يستعد لتنفيذ حملته، فكر في الاعتماد على الملوك والشعوب، فقرر أن يبدأ بسيفكس" (Tite Live, 28, 17, 4). وفي خبر آخر أوضح نفس الكاتب ما يلي : "أمر سكيبو سفراءه ألا يكتفوا بسيفكس، بل كلفهم بالاتصال مع باقي أمراء أفريقيا، وبعث إليهم هدايا تتمثل في أثواب فاخرة وأكواب ذهبية يزن كل واحد منها ثلاثة لبرات "Livres" (Tite Live, 27, 4, 9). كما أفاد أن القرطاجين قاموا بنفس المحاولة، لما علموا بالحملة التي كان سكيبو يعتزم شنها عليهم في إفريقيا بعد انهزامهم بإسبانيا (Tite Live, 29, 4, 4).

الغالب على الظن أن الحكام الموريين هم من بين الملوك والأمراء المشار إليهم في هذين النصين. لكن ليس هناك خبر أكيد عن استجابتهم لرجاء الطرفين المتصارعين. خاصة وأن تتوس ليفيوس أورد خبرا صريحا، يفيد أن الملك الموري باگا رفض المشاركة مع الرومان، في حملتهم على قرطاجة في أواخر الحرب البونية الثانية.

فبعدما انفصل مسينسا عن القرطاجيين بإسبانيا سنة 206 ق. م. وتحالف مع سكيبو، أوضح المؤرخ ما يلي : "لما علم مسينسا بوفاة عمه وابن عمه الشقيق، عبر من إسبانيا إلى موريطانية حيث يحكم باگا على الموريين. وبعد ما بالغ في التوسل إليه لطلب المساعدة أمده بأربعة آلاف من الموريين لمرافقته في الطريق فقط، ولم يوافق على مشاركتهم في الحرب. انطلق مسينسا مع الموريين وبعث رسالة إلى أصدقاء والده وإلى أنصاره هو. ولما وصل إلى حدود مملكته وجد فقط حوالي خمسمائة نوميدي في استقباله. وحينئذ عاد الموريون إلى ملكهم كما تم الاتفاق على ذلك، برغم أن القوات التي التحقت به كانت أقل مما

توقع، ولا تكفي للمهمة التي جاء من أجلها" (Tite Live, 29, 30, 1 - 4).

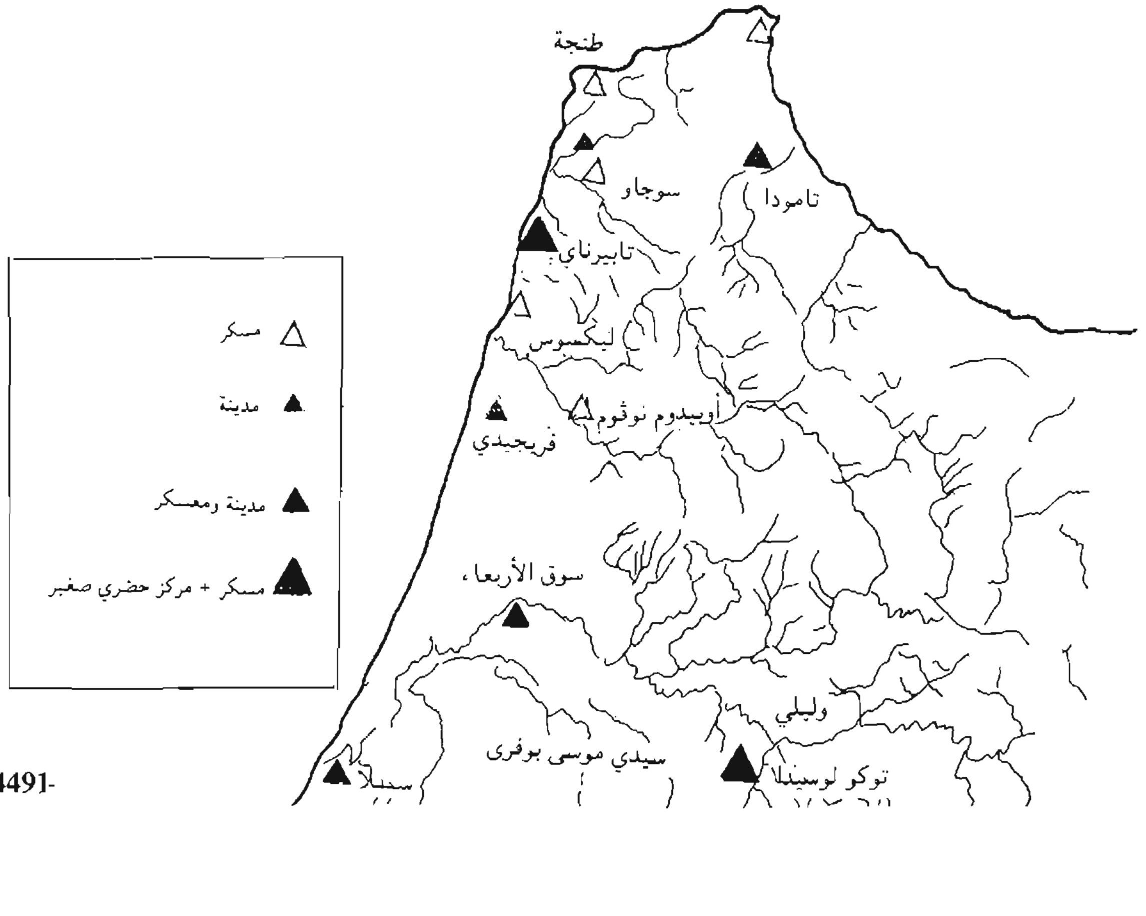
المعروف أن المهمة التي ذهب مسينسا من أجلها إلى نوميدية هي مواجهة سيفكس والقرطاجين، فضلا عن المشاركة في حملة سكيبو على قرطاجة. والنص السالف ذكره يوحي بأن مسينسا طلب من باگا مساعدته في هذه المهمة. والغالب أن الأمير النوميدي عرض عليه التحالف مع الرومان، فرفض ذلك رفضا باتا، برغم إلحاح وتوسل مسينسا كما ورد في النص. ويبدو أن الملك الموري استجاب لحد أدنى من مساعدة مسينسا، نظرا لعدالة قضيته، وذلك بتأمين وصوله إلى بلاده التي سلبها سيفكس. وتأكيد المؤرخ على أن المورين عادوا إلى ملكهم كما تم الاتفاق على ذلك، يدل على رفض المورين لأي شكل من أشكال التورط الرسمي في الصراع القرطاجي الروماني، الذي صار مسينسا طرفا فعالا فيه. ثم إن الشاعر الروماني سليوس إيطالكوس، الذي عاش ما بين سنتي 25 و101 م، تحدث عن وجود عناصر وشخصيات مورية ضمن قوات حنبعل. يتعلق الأمر بالبنيوريين Baniurae والأطلوليين Autololes وأهل مدينتي طنجة ولكسوس، بالإضافة إلى شخصين غير معروفين في المصادر هما شاب يدعى لكسوس Lixus وشخص سماه بالموري سيكس Saces. كما ذكر أشخاصا يحملون أسماء الملوك المورين هم باگا Baga وبكوس Bocchus وبگوس Bougus. وأشار إلى أن بگوس كان يكشف الغيب، وقد قتل في الحرب مثل باگا وشاب يدعى لكسوس.

والجدير بالذكر أن كلمة بگوس تطابق الصيغة التي كتب بها سترابون اسم الملكين بكوس الأوس وبگود (Strabon, 2, 3, 4 ; 17, 3, 5 et 7).

وفي تقديري أن ما أورده الشاعر المذكور اقتضته المبالغة الشعرية وصورها الفنية، في ملحمة كرسها لتمجيد الأبطال الرومان الذين حاربوا حنبعل. وهي معلومات توحي بوجود مرتزقة مورين ضمن القوات القرطاجية، كما هو وارد في أخبار بولبيوس، الذي استقى منه الشاعر مادته التاريخية، مثل غيره من الكتاب.

إن ما استنبطناه من المصادر التاريخية حول عدم استجابة المورين للتعاون مع الرومان، يفيد أن ملوكهم التزموا مواقف الحياد في الصراع القرطاجي الروماني. إنها مواقف أملتها عليهم ضرورة الحيطة والحذر من الهيمنة الرومانية، والرغبة الأكيدة في الحفاظ على استقلالهم الاقتصادي والسياسي.

إن هذا التصور حتم علينا القيام ببحث ميداني، لدراسة المواد الأثرية، التي راجت خلال الفترة المورية. والأمر يتعلق بالخزف ذي البرنيق الأسود والأمفورات التي تم اكتشافها في المغرب لحد الآن (مجدوب، 1998، ص. 201 - 245). فبالنسبة للخزف الكمباني الذي راج في العالم المتوسطي خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، اهتدينا بدراسة الباحث الفرنسي جون بول مريل لهذه المواد في المغرب، الذي أكد أن معظم هذا الخزف ورد على موريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد. وهي نفس النتيجة التي توصل إليها المنقبون في موقع الدشر الجديد (زليل)، حيث وجدوا مستويين موريين : أسفلهما لا يتضمن السلع الرومانية، وهو سابق عن القرن الأخير قبل الميلاد. أما المستوى الذي



يعلوه فيحتوي على الخزف الكمباني والأمفورات الإيطالية أهمها النوع DR. 1. وقد أرخ المنقبون للوسط الأثري الذي يشتمل على هذه المواد فترة تمتد ما بين 80 و30 ق. م. (Akerraz, 1982, p. 203 - 4). ونفس النتيجة توصل إليها بوب في دراسته للخزف الكمباني الذي يوجد في موقع سلا.

أما عن النقود الرومانية، فقد تم الكشف في التنقيبات التي أجريت لحد الآن بالمغرب، على عدد قليل منها. معظمها يرجع إلى القرن الأخير قبل الميلاد. وقد استخلص البعض من فحص النقود الرومانية المحفوظة في المتحف الأثري بالرباط، أن العلاقة مع روما بدأت في فترة تتراوح ما بين سنتي 110 و100 ق. م. أي خلال الحرب مع يوغرطة (Hesnard, 1987, p. 50).

لقد تم العثور على نقود رومانية كثيرة في ساحل الصخور السوداء بالدار البيضاء سنة 1923، ويبدو أنها من مخلفات حطام سفينة ما غرقت قرب المكان المذكور. وأقدم هذه القطع النقدية يرجع إلى سنة 174 ق. م. وآخرها يرجع إلى سنة 31 ق. م. وهو تاريخ قريب من غرق سفينة كانت تحمل هذه النقود (Brethes, 1939, p. 1 - 6).

أما في بناسة فتم اكتشاف خمس قطع من العهد الجمهوري، أقدمها يرجع لسنة 122 ق. م. (Thouvenot, 1951, p. 84). وفي المستوى الموري بتموسيدة، الذي يرجع تاريخه إلى القرن الأخير قبل الميلاد، تم العثور على قطعتين رومانيتين فقط، أقدمهما يعود لسنة 105 ق. م. (Morel, 1965, p. 72 et 100). وفي سلا تم العثور في وسط أثري مماثل للوسط المذكور، على تسع قطع يمتد تاريخها ما بين سنتي109 و31 ق.م. (Boube, 1992, p. 255).

ومن خلال دراسة ماريون لنقود بعض المواقع الأثرية، أحصى في المغرب خمس وأربعين قطعة رومانية، وهي موزعة كما يلي :

- في وليلي توجد أربع عشرة قطعة. فترتها من سنة 91 ق. م. إلى عهد أغسطس.
- في تموسيدة تتوفر ثمان عشرة قطعة. فترتها من سنة 38 ق. م. إلى عهد أغسطس.

وفي دراسة أخرى لنفس الباحث، يتضح أن أقدم قطعة نقدية رومانية بوليلي يرجع تاريخها إلى سنة 94 ق. م. وبتموسيدة أفاد أن أقدم قطعة رومانية يرجع تاريخها إلى سنة 112 ق. م.

والجدير بالذكر أن تواريخ إصدار العملة لا يعتد به كثيرا في التأريخ لتداولها، نظرا لسريان النقود خلال زمن أطول بعد إنتاجها. ويعود [illegible] كنز [illegible] تاريخ إخفائه بوليلي بحوالي سنة 122 م. وهو يتكون من نقود يرجع تاريخها ما بين 82 و54 ق. م. (Marion, 1978, p. 180 et 184).

إن هذه النتائج تدل فعلا على وجود فترة فراغ في العلاقات التجارية بين موريطانية وروما خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. وكان لا بد من التأكد من استغناء الموريين عن السلع الرومانية في هذه الفترة. وقد اقتضى ذلك بحثا ميدانيا لدراسة الخزف والأمفورات الرومانية في المغرب. فتم التأكد من هذه النتيجة، من خلال ندرة الخزف الكمباني A القديم وكذلك ندرة الأمفورات الإغريقية الإيطالية (مجدوب، 1998، ص. 201، 245 ؛ Majdoub, 1996, p. 288 - 94).

إن هذه الفترة التي دامت فيها قطيعة الموريين مع روما كانت المواد الرومانية تسري فيها بكثافة، في بلدان الحوض الغربي من البحر المتوسط. وقد توزعت في نوميدية وإسبانيا وقرطاجة برغم عدائها لروما. والأمر يتعلق برواج الخزف الكمباني A القديم في البلدان المذكورة خلال القرن الثاني قبل الميلاد. وكذلك الشأن بالنسبة للأمفورات الإغريقية الإيطالية.بينما توصلت موريطانية بالأمفورات الإيطالية أهمها النوعان DR. 1 وDr. 2 - 4، ثم الخزف الكمباني B وقليل من الخزف الكمباني A المتأخر. وكلها مواد توزعت في البلاد خلال القرن الأخير قبل الميلاد.

وقد تم التأكد نسبيا من الزمن الذي راجت فيه هذه المواد بالمغرب بواسطة استبارات حديثة العهد في وليلي (مجدوب، 1998، ص. 341 ،38، 91). أما المواد المورية التي توزعت في إيطاليا وغيرها من بلدان البحر المتوسط خلال القرن الأخير قبل الميلاد، فأهمها أمفورا من النوعين Dr. 18 وDr. 7 - 11، التي كانت تصنع في موريطانية وتنقل الگارم (مجدوب، 1998، 103، 118).

إن ما أسفرت عنه دراسة المواد الأثرية يتفق مع النصوص التاريخية، التي لم يرد فيها ذكر لدور السلطة المورية في الصراع القرطاجي الروماني. ونجد عند بوليبوس خبرا يعكس القطيعة بين موريطانية والعالم الروماني، في قوله : "إن البلدين المطلين على مضيق أعمدة هرقل لا تربطهما أية علاقة" (Polybe, 16, 7, 29). وهذا يفيد أن موريطانية لم تكن تتعامل تجاريا مع إسبانيا في القرن الثاني قبل الميلاد، الذي عاش فيه المؤرخ وقام فيه برحلة حول المحيط الأطلسي سنة 146 ق. م. إثر اندحار القرطاجيين فيها خلال الحرب البونية الثالثة (Pline l'Ancien, 5, 9).

ومن جهة أخرى نجد مصداقية تامة في إشارة المؤرخ الروماني سالوستيوس إلى القطيعة التي كانت بين الموريين والرومان قبل حرب يوغرطة. عاش الكاتب ما بين سنتي 86 و34 ق. م.، وأرخ لحرب يوغرطة، وأبرز دور بكوس الفعال في إنهائها بتسليم يوغرطة لروما. وهذا قوله : "كان الموريون تحت سلطة الملك بكوس (الأول) الذي إذا استثنينا اسمه فإنه كان يجهل كل شيء عن الشعب الروماني، وكذلك نحن لم تكن لنا معه أية علاقة لا سلمية ولا عدائية" (سالوست، *حرب يوغرطة*، 19). وفي سياق آخر تطرق المؤرخ نفسه للمفاوضات بين بكوس الأول وسولا،

فأكد اعترض الملك على اقتراح القائد الروماني القاضي بتسليم يوغرطة، فنسب المؤرخ للملك قوله التالي : "زيادة على خوفه من أن هذا الإخلال بعهده بغير عليه قلوب رعاياه، الذين يحبون يوغرطة بقدر ما يكرهون الرومان" (سالوست، حرب *يوغرطة*، 111).

ونجد نفس الموقف في رواية سترابون، الذي عاش ما بين سنتي 64 ق. م. و19 م. حول تجربة أدوكس الكوزيكي Eudoxe de Cyzique وهو من رجال الأعمال النشيطين في العالم الروماني، في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد. أفاد الكاتب أن الشخص المذكور اتصل بالملك بكوس الأول حوالي سنة 111 ق.م. وطلب منه أن يشرف على مشروعه في اكتشاف الطريق المؤدية إلى الهند عبر المحيط الأطلسي، فاعترض أعوان الملك بشدة على المشاركة في هذا المشروع، بحجة أن ذلك خطر على بلادهم وسيجعلها عرضة للتدخلات الأجنبية.

ورد في النص ما يلي : "لما وصل (أودكس) سالما إلى موروسية Maurusia باع مراكبه. ثم قصد بگوس Bogos (بكوس الأول) ماشيا، وعرض عليه أن يتولى الإشراف عن الرحلة البحرية التي يعتزم القيام بها. لكن أصدقاء بگوس تشبثوا بالرفض، محذرين ملكهم من مغبة جعل البلاد عرضة للغزو إذا صار الطريق معروفا عند الغزاة الأجانب" (Strabon, 2, 3, 4). وقد سبق لنا توظيف هذا النص في معالجة أوضاع موريطانية وإثارة دور الموريين في الملاحة بالمحيط الأطلسي.

إن هذا الموقف يدل على تصلب رعايا الملك بكوس الأول، وتشبثهم بعدم التعامل مع رومة. لكن الملك قرر أن يغير سياسته، فتعامل مع الرومان خلال حرب يوغرطة. وهو الحدث الذي يمثل منعطفا في تاريخ المملكة المورية. فمنذئذ بدأ اندماج موريطانية تدريجيا في العالم الروماني سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

الخلاصة هي أن المصادر التاريخية والمعطيات الأثرية منسجمة في رسم أطوار العلاقات بين رومة وموريطانية. وهي تفيد أن الموريين تميزوا عن جيرانهم النوميديين في اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتفادي الهينمة الرومانية. وذلك بعدم التورط في الحروب البونية، والاستغناء عن السلع الرومانية. وقد التزموا بهذه المواقف لغاية قيام حرب يوغرطة، حيث فرض الملك بكوس الأول إرادته في تغير سياسة بلاده بالانفتاح على رومة سياسيا واقتصاديا.

2 ـ فترة حرب يوغرطة في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد

تزامنت هذه الحرب مع عهد الملك الموري بكوس الأول Bocchus، الذي كان معاصرا للملك النوميدي مكبسا Micipsa بن مسينسا المتوفى سنة 118 ق. م. والواضح مما جاء من أخبار حول العلاقة بين الموريين ورومة قبل هذه الحرب، أن الملك الموري المذكور نهج السياسة التي اتبعها سلفه مع الرومان، وذلك بعدم التعامل معهم والاحتراز من سياستهم التي تزمي إلى الهيمنة عن البلاد الإفريقية، حسب ما هو واضح من تعامل رومة مع الملوك النوميديين وتدخلها في شؤونهم، من خلال تصرف سكبيو الإيميلي في تولية عرض نوميدية بعد وفاة مسينسا سنة 148 ق. م. حيث أعرض القائد الروماني على تطبيق العرف النوميدي في تولية العرش لأكبر أفراد الأسرة الملكية سنا، الذي تم تطبيقه بعد وفاة گايا والد مسينسا (Tite Live, 29, 29, 6). بل على العكس من ذلك، عمد القائد الروماني إلى تولية العرش لثلاثة من أبناء مسينسا وهم مستنبعل Mastanabal وكلوسا Gulussa ومكبسا Micipsa ; Polybe, 36, 2, 16) Tite Live, *Abrégé*, 50 ; Valerius Maximus, 2, 4 ; Appien, Lib., 105). وهذا هو الوضع الي حاول يوغرطة تصحيحه لما تشبث بحقه في الانفراد بحكم نوميدية. وهو يراهن على تأييد الموريين، مما جعله يتزوج ابنة بكوس الأول. وبالفعل نجد يوغرطة يحظى بولاء الموريين خلال صراعه مع ولدي مكبسا مباشرة بعد وفاة هذا الأخير، وخلال أشواط الحرب ضد الرومان.

ولما احتد الصراع بين يوغرطة ورومة ود الملك بكوس أن يغير سياسته تجاه الرومان في بداية الحرب لأسباب وتقديرات ارتأى فيها أن مصلحة بلاده تكمن في ضرورة الانفتاح على الرومان. وهذا ما نستقيه من حديث سترابون عن تجربة أودكس الكوزيكي في محاولة التعامل التجاري والملاحي مع الموريين، خلال مشروعه في استكشاف الطريق المؤدية إلى الهند عبر المحيط الأطلسي. والنص المتعلق بهذه القضية يعكس من جهة تذبذب الملك وميوله إلى الانفتاح على الرومان، ومن جهة أخرى يؤكد صرامة رعاياه وتشبثهم بمواقفهم السابقة.

ونستفيد من جهة أخرى من كتاب سالوست حول حرب يوغرطة أن مواقف الموريين بقيت متناقضة منذ بداية الحرب سنة 112 إلى نهايتها سنة 105 ق. م. ويرجع ذلك في تقديرنا إلى كون الطرفين المتصارعين في هذه الحرب عرضا معا التحالف مع الملك الموري. فالطرف الروماني استجاب له الملك ومعه بعض خواصه وأصدقائه. والطرف النوميدي أيده عموم رعايا بكوس وضمنهم فرقة أخرى من خواصه وأصدقائه. ولا يجوز بتاتا أن نصدق بمفعول الرشوة التي كان يوغرطة يغدقها على الموريين، حسب زعم سالوست. وهذا ما ينبئ باحتداد التناقضات الداخلية في موريطانية. فما كان على الملك بكوس إلا أن يرسم خطة خاصة للتعامل مع هذه الحرب.

سنقتصر على ذكر أهم عناصر هذه الخطة، وما ترتب عنها من مواقف ووقائع. ونحيل القارئ على تفاصيل هذه النقطة على المرجعين التاليين : (مجدوب، (1) 1990، ص. 61 ـ 82 ؛ (2) 1990، ص. 91 ـ 110).

ـ في بداية الحرب حوالي سنة 112 ق. م. توترت العلاقة

بين بوغرطة وبكوس الذي شن هجوما على نوميدية واستولى على القسم الغربي منها.

- في نفس السنة بعث بكوس وفدا إلى رومة للتفاوض حول التحالف. لكن الحزب الشعبي عارض هذا التحالف مقابل التنازل عن نوميدية لبكوس، لأنه يعتبر نوميدية ملكا للشعب الروماني.

- ما بين 111 و108 قطيعة بكوس مع طرفي النزاع واستمرار احتلاله لغرب نوميدية. وحينئذ رحب الملك بعناصر من الجيش الروماني سبق لهم أن انضموا إلى يوغرطة، ولما بدأت المفاوضة بين يوغرطة والقائد الروماني ميتلوس التجأوا إلى بكوس. كما رحب بالفارين النوميديين الذين شملهم غضب يوغرطة لما اكتشف مؤامرتهم مع ميتلوس على اغتياله.

- ما بين 108 و107 تحالف الملكين واشتراكهما في محاربة القائد الروماني ماريوس للانتقام من هجومه على غرب نوميدية الخاضع لبكوس. وأهم ما أسفر عنه هذا التحالف هو تحرير مدينة كيرتة التي كانت عاصمة المملكة النوميدية.

- ما بين 107 و105 المفاوضات بين ماريوس وبكوس تولى فيها القائدان الرومانيان مانليوس وسولا مهمة الذهاب إلى بكوس. وتولى هذه المهمة خمسة من الموريين اتصلوا بماريوس وذهبوا إلى رومة. ولعل أحدهم هو ماگدولسا Magudulsa الذي نعلم باسمه كأحد مشجعي الملك على التعاون مع الرومان. وتولى أصبار Aspar دور ممثل يوغرطة في المفاوضات بين بكوس وممثلي الرومان.

- 105 انتهاء المفاوضات بتواطئ بكوس وسولا بحضور شخص نوميدي يدعى دبار Dabat، حول تسليم يوغرطة للرومان. فأصبح بكوس ملكا صديقا وحليفا للشعب الروماني، مع الاعتراف بسيادته على غرب نوميدية.

- ما بين 105 و91 ثورة الموريين ضد بكوس، فتصدى لها بعنف وتشبث بموقفه المتمثل في مواصلة العلاقات مع الرومان. وبعد إخماد الثورة خلد بكوس انتصاره على الطريقة الرومانية، وذلك بإرسال تماثيل ذهبية لتعرض في الكبتول Capitole برومة. وهذه الأنصاب لإلهات النصر الرومانية تحمل شعارات الغلبة Victoires porteuses de Trophées. بالإضافة إلى تماثيل تصور بكوس وهو يسلم يوغرطة لسولا (Plutarque, Marius, 32 ; Sylla, 6 ; Aurelius, 75).

3 - فترة الحروب الأهلية الرومانية خلال القرن الأخير قبل الميلاد : اتسمت هذه الفترة بهيمنة القادة العسكريين الرومان على الملوك الأفارقة في نوميدية وموريطانية، واقتضى ذلك أحيانا تدخل الجيوش الرومانية لفرض نفوذهم في البلدين معا. وتحتمت على الملوك الأفارقة ضرورة المشاركة الفعلية في الصراعات بين الرومان. وكان لذلك انعكاس سلبي على أوضاع الملوك لأن الملك الذي لم يحالفه السعد في اختيار القائد الذي سينتصر فهو يقضى عليه.

تزامن الصراع بين ماريوس وسولا مع انتفاضة جديدة في موريطانية، نرجح أن سببها الرئيسي هو وفاة بكوس في وقت لا ندريه. مما جعل أعداء الرومنة من الموريين يتزعمون ثورة ضد الملك الجديد الذي يدعى أسكاليس Askalis. نعرف من أحداث هذه الثورة ما اقترن منها بتدخل أحد أتباع ماريوس وهو القائد الروماني سرطريوس في موريطانية حوالي سنة 82 ق. م. وقد تحالف مع الثوار الموريين وانتهى نشاطهم بقتل أسكاليس حينما التجأ إلى طنجة، والقضاء على القائد الروماني بكيانوس Paccianus، الذي كلفه سولا بمساعدة أسكاليس (Plutarquen Sertorius. 7 - 9).

ثم تدخل أحد أتباع سولا وهو القائد الروماني بومبيوس ماگنوس Pompeus Magnus في موريطانية، بعدما أنهى مهمته في ولاية أفريكا Africa، حيث هزم حاكمها الروماني الموالي لماريوس وهو دومتيوس أهنوباربوس Domitius Ahenobarbus. كما انتصر في نوميدية حيث أطاح بالملك النوميدي هيارباس Hiarbas وأعاد الحكم للملك همبسال Hiempsal، الذي ثار عليه الملك السالف ذكره. والجدير بالذكر أن أحد أبناء بكوس المدعو بگود Bogud قد ساعد القائد الروماني في القضاء على هيارباس بمدينة بولا رگية Bulla Regia. ونعتقد أن بومبيوس نصب مستانسسوس Mastanesosus ملكا على الموريين إثر هذه الحملة على موريطانية.

- الصراع بين بومبيوس وقيصر : استمر نفوذ القائد بومبيوس على الملوك الأفارقة منذ نشاطه السالف الذكر. والغالب أنه هو الذي تدخل في شؤون الموريين في وقت لا ندريه، فقسم مجال نفوذهم إلى مملكتين يفصل بينهما نهر ملوشة (ملوية الحالي)، الذي كان يمثل الحدود الشرقية للمملكة المورية، قبل أن يخضع غرب نوميدية لبكوس. ففي القسم الغربي أي في موريطانية الأصلية حكم الملك بگود وفي القسم الشرقي أي في غرب نوميدية حكم الملك بكوس الثاني بن مستانسسوس.

ولما اندلع الصراع بين بومبيوس وقيصر في إسبانيا سنة 59 ق. م، تدخل الملكان الموريان المتعاصران لمناصرة بومبيوس. لكن قيصر تمكن من استمالتهما إلى صفه خلال انتصاره الأول في إسبانيا. ثم قدما له المساعدة اللازمة في بقية حروبه خاصة في ولاية أفريكاما بين سنتي 46،47 ق.م. أو في إسبانيا سنة 45 ق. م. وقد استفاد بكوس الثاني من هذا التحالف بحيازة قسم إضافي من نوميدية، مما جعل مجال نفوذه يمتد شرقا إلى واد أمبساگا Ampsaga.

- الصراع بين أنطونيوس وأكتافيوس : لقد اختلف الملكان الموريان في مواقفهما لأسباب لا ندريها. وكان ذلك وبالا على الملك بگود، نظرا لسوء حظه في التحالف مع أنطونيوس، الذي مني بالهزيمة في هذا الصراع. فقد تدخلت

قوات أكتافيوس في موريطانية ضد بگود وأطاحت بعرشه سنة 38 ق. م. وبعدئذ سمح أكتافيوس لبكوس الثاني بضم موريطانية إلى مجال نفوذه. وإثر وفاته سنة 33 ق. م. صار أكتافيوس يتحكم في مصير البلاد، وحاول ضمها إلى مجال نفوذ الامبراطورية الرومانية، لكن المورين شنوا ثورة ضد سياسته غير أن مقاومتهم باءت بالفشل أمام التدخل العسكري العنيف لقوات أوكتافيوس في موريطانية. وإثر ذلك أنشأ اثنتي عشرة مستوطنة رومانية في المجال الذي كان خاضعا لبكوس الثاني، منها أربعة في موريطانية، هي طنجة وزليل وبابة وبناسة. وفي سنة 25 ق. م اضطر أكتافيوس إلى تنصيب يوبا الثاني ملكا على المورين، ثم خلفه ابنه بطليموس سنة 23 م إلى أن اغتاله الامبراطور الروماني كليگولا Caligula سنة 40 م. وبعد ذلك ضم الرومان مجال نفوذ المورين وأحدثوا فيه ولايتين رومانيتين هما موريطانية الطنجية في بلاد المورين الأصلية، وموريطانية القيصرية في القسم الغربي من نوميدية، الذي كان خاضعا لسلطة المورين، كما أشرنا إلى ذلك أعلاه.

محمد مجدوب، 1990(1)، *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة*، بحوث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العددان2 ـ3، ص. 61 ـ 82 ؛ نفسه، (2) 1990، *مملكة المورين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة33 ق. م*. رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، مرقونة ؛ 1992، *العملة الملكية في المغرب القديم*، بحوث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية،، العدد 5، ص. 47 ـ60 ؛ 1993، *أوضاع موريطانية من خلال رحلة أودكس الكوزكي في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، سلسلة الندوات، 5، ص. 31 ـ 53 ؛ 1995، *مختصر حول تاريخ موريطانية قبل السيطرة الرومانية*، بحوث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العدد 6، ص. 149 ـ 174 ؛ 1998، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة ؛ 1999، *المملكة المورية وحدودها في المغرب القديم*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، سلسلة الندوات، 6، ص. 7 ـ20.

Akerraz A., El Khatib-Boujibar N. et al., *Fouilles de Dchar Jdid*, 1977 - 80, *BAM*, 14, 1981 - 2, p. 169 - 225 ; Arcelin P. et Cayot A., *Reflexions sur l'abandon de l'agglomération hellénistique de Saint-Blaise (Saint-Mitre-Les remparts)*, *Revue Archéologique de Narbonnaise*, 17, p. 53 - 70 ; Belen M. et Fernandez Miranda M., *El fondadero de Cales Cobes (Menorca, Islas Baleares)*, *EAE*, 101, p. 110 - 3 ; Ben Younes H., 1993, *La nécropole punique d'El Khayma*, mai 1984, *Reppal*, 2, p. 31 - 172 ; Bisi A.M., 1985, *Le commerce des amphores puniques : quelques remarques à propos des découvertes de Mellita (Sabrata)*, *B.C.T.H.*, N.S., 19 B., 1983, p. 3 - 15 ; Brethes J.D., 1939, *Contribution à l'histoire du Maroc par la recherche numismatique*, Casablanca ; Boube J., *Introduction à l'étude de la céramique à vernis noir de Sala*, *BAM*, 16, 1985-86 ; Idem, *Les amphores de Sala à l'époque préromaine*, *BAM*, 17, 1987-1988 ; Idem, *La circulation monétaire à Sala à l'époque préromaine*, Rome ; Chelbi F., *La céramique à vernis de Carthage*, Tunis, 1992 ; Empereur J. Y [et al...], *Les amphores hellénistiques du bassin occidental de la Méditerranée*, *Céramique Hellénistique et Romaine*, 2, 1987 ; Guerrero Ayuso V. H., *Una aportacion al estudio de las anforas Mana C*, *Archaeo-Nautico*, 6, 1988 ; Hesnard A. [et al...], *Les négociants italiens en Maurétanie avant l'annexion*, *BCTH*, NS, 19 B, 1983 ; Hesnard A. [et al...], *Aires de production des gréco-italiques et un Dr. 1*, *Collection de l'Ecole Française de Rome*, 114, p. 21 - 65 ; Hesnard A., 1990, *Les amphores*, *Revue Archéologique de Narbonnaise*, *Supplément* 21, 1990, p. 47 - 54 ; Jodin A., *Mogador comptoir phénicien du Maroc atlantique*, *Rabat* ; Krandel Ben Younes A., *La nécropole rurale de Thigibba Bure, Djebba*, *Reppal*, 7 - 8, 1992 - 3 ; Lancel S., *Tipasitana III, la nécropole préromaine occidentale de Tipasa, rapport préliminaire (campagne de 1966 - 7)*, *BAA*, 3, 1968 ; Leglay M., *A la recherche d'Icosium*, *Antiquités Africaines*, 2, 1968 ; Laubenheimer F., *Production des amphores en Gaule Narbonnaise*, Paris, 1985 ; Majdoub M., *Les luttes du début du 1er siècle av. J.-C. au nord de la Maurétanie*, *Collection de l'Ecole Française de Rome*, 166, 1992 ; Idem, *Nouvelles données sur la datation du temple C à Volubilis*, *Africa Romana*, 10, 1994 ; Idem, *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain*, *Africa Romana*, 11, 1996, p. 287 - 302 ; Idem, *Pompeus Magnus et les rois maures*, *Africa Romana*, 12, 1998 ; Idem, *Octavius et la Maurétanie*, *Africa Romana*, 13, 2000 ; Marion J., *Les séries monétaires de Tingitane*, *BAM*, 4, 1960 ; Idem, *Note sur la contribution de la numismatique à la connaissance de la Maurétanie Tingitane*, *Antiquités Africaines*, 1, 1967 ; Idem, *Les trésors monétaires de Volubilis et de Basana*, *Antiquités Africaines*, 12, 1978 ; Morel J. P., *Les niveaux préromains*, *Thamusida*, *1*, *Collection de l'Ecole Française de Rome*, *Supplément*, 2, 1965 ; Idem, *Céramique d'Hippone*, *BAA*, 1, 1967; Idem, *La céramique à vernis noir du Maroc*, *Antiquités Africaines*, 2, 1968 ; Idem, *Recherches stratigraphiques à Hippone*, *BAA*, 3, 1968 ; Idem, 1969, *Kerkoine ville punique du Cap Bon*, Ibid, p. 473-518 ; Idem, 1978, *A propos des céramiques campaniennes de France et d'Espagne*, *Archéologie en Languedoc*, 1, p. 149 - 68 ; Idem, 1982, *La céramique à vernis noir de Carthage Byrsa, nouvelles données et éléments de comparaison*, *Colloque sur la céramique antique de Carthage*, Carthage, 1980, p. 43 - 73 ; Idem., 1983, *Les importations de céramique grecque et italienne dans le monde punique, 5 - 1er s av.-J.C., révision du matériel et nouveaux documents*, *1er Congreso internacional di studi fenici e punici*, p. 731 - 40 ; Idem, 1990 (1), *L'apport des fouilles de Carthage à la chronologie des céramiques hellénistiques*, *Colloque sur le problème de chronologie des céramiques hellénistiques*, Athène, 1989, p. 17 - 32 ; Idem, 1990 (2), *Nouvelles données sur le commerce de Carthage punique entre le 7ème et le 2ème s av.-J.C.*, *113ème Congrès National des Sociétés Savantes*, (Strasbourg 1988), p. 67 - 100 ; Idem, 1990 (3), *Aperçu sur la chronologie des céramiques à vernis noir aux 2 - 1er s. av.-J.C.*, *Revue Archéologique de Narbonnaise*, *Supplément* 21, p. 55 - 71 ; Idem, 1992 (1), *La céramique à vernis noir du Maroc*, *Collection de l'Ecole Française de Rome*, 166, p. 217 - 33 ; Idem, 1992 (2), *La céramique à vernis noir du Parking de La Mairie*, *Musée des Beaux Arts et d'Archéologie*, p.

213 - 6 ; Nieto et al., 1985, *El Yacimiento arqueologio submarino de Reills La Colta y su relacion con Ampurias. 6ème Conreso Internacional de Arqueologia Submarina*, Carthagene, p. 265 - 83 ; Py M., 1976, *Note sur l'évolution des céramiques à vernis noir des Oppidas languedociens de Roque-de-Viou et de Nages (Gard France). MEFRA, Archéologie*. 88, 12, p. 545 - 606 ; Idem. 1978, *Apparition et développement des importations des céramiques campaniennes à sur l'Oppidum des Castels (Nages, Gard), d'après les fouilles du dépotoir J. 1, Archéologie en Languedoc*, 1, p. 43 - 70 ; Rodero Riaza A., *El fondadero de Cales Coves (Alayor Menorca Espana), avance de las campanas 1980 - 7, 11ème Congreso internacional di studi fenici e punici*, p. 1183 - 6 ; Siraudeau J., 1988, *Amphores romaines des sites angevins (France) et leur contexte archéologique*, Bouchemaine ; Solier Y., 1972, *Céramique punique et ibéro-punique sur le littoral de Languedoc du 6ème au début du 2ème s av.-J.C., Hommages à Benoit*, Bordighera, p. 127 - 50 ; Tchernia A., 1986, *Le vin de l'Italie romaine, essai de l'histoire économique d'après les amphores*, Rome ; Thouvenot R., 1951, *Note sur les monnaies de Banasa*, dans *PSAM*, 9, p. 83 - 7 ; Vuillémot G., 1965, *Reconnaissances aux échelles puniques d'Oranie, Autun* ; Villard F., 1960, *Céramique grecque du Maroc, BAM*, 4, p. 1 - 26.

محمد مجدوب

الرومي (ضاية -) بحيرة قارية طبيعية دائمة تقع جنوب مدينة الخميسات (X = 427 ؛ Y = 350 على خريطة المغرب50000 / 1) وتبعد عن الرباط بتسعين كلم. تتكون المنطقة الجنوبية لعمالة الخميسات من عدة ضايات أكبرها ضاية الرومي التي تبلغ 12 مترا من العمق بطول (شرق - غرب) يقدر بـ 1.6 كلم وبعرض يتراوح بين300 - 800 م. تتراوح السعة بين5 - 6 ملايين م مكعب من الماء ويختلف طول العمق الأقصى بين الفصول الرطبة والجافة ويقدر معدله بـ6.2 م. يفوق عمقها 8 أمتار في الجهة الشرقية ولا يتعدى 4 أمتار في الجهة الغربية.

يمكن الوصول إلى البحيرة عبر طريقين معبدتين وتحيط بها جنوبا وغربا مسالك غير معبدة. يوجد بها مخيمان ومعطم لاستقبال الزوار أيام العطل سواء للمتعة أو للصيد الرياضي أو للرياضة على الزوارق التي تعرف نشاطا مكثفا خلال الربيع والصيف.

أثبتت الدراسات أن تكوين ضاية رومي يرجع إلى العهد الجيولوجي الثالث مع نشأة حوض المعازيز لأسباب جيولوجية تتجمع فيه مياه الأمطار والمجاري السطحية والعيون الباطنية. تستقبل هذه البحيرة مياه الأمطار التي تتراوح بين430 - 530 ملم في السنة ومياه ضاية السْلاكَ المجاورة على الضفة الشمالية الشرقية عبر قناة لا يتعدى صبيبها 10 لترات في الثانية. تحتضن الضفة الجنوبية عدة عيون غازية تلعب دورا هاما في المحافظة على مستوى الماء بهذه البحيرة خلال الفصول الجافة. تستقبل ضاية رومي أيضا وادي رحو وهو رافد صغير يقل ماؤه في الصيف ويكثر في الشتاء، حيث يلعب دورا هاما في تغذية البحيرة من الأملاح المغذية ومن كمية وافرة من الوحل الذي يزداد تراكما في مدخل النهر ؛ وقد نتج عنه نمو سريع ومكثف لنبات القصب المائي ونبات البردي والسمار على مقربة معظم الضفاف.

تتميز مياه البحيرة بجودة عالية إلا أنها مهددة بالمواد الكيميائية المستعملة في الحقول المجاورة للتخاصب ولمحاربة الأعشاب والحشرات المضرة بالفلاحة. لقد تم إحصاء حوالي 90 نوعا من الطحالب المجهرية في هذه البحيرة إلى جانب 120 نوعا من القشريات الصغيرة المائية والحشرات والضفادع.

وتعتبر هذه الضاية من البحيرات الأكثر أهمية لتطور مراحل النمو لعدة أنواع من الأسماك يكثر الإقبال عليها من طرف هواة الصيد الرياضي. كان سمك البربيس Barbeau النوع الوحيد الذي يعيش فيها بكيفية طبيعية في مطلع القرن الجاري،

وبعد الثلاثينيات منه تم إدخال عدة أنواع من أوروبا لقيت نجاحا كبيراً في التأقلم والتطور وخاصة منها الشبوط العادي Carpe commune وسمك البلوقي Blue-gill والزنجور والفم الأسود Black bass. لقد عرفت السنوات الأخيرة تساقطات مطرية ضعيفة جدا في المنطقة ونشاطا مكثفا في استعمال المواد الكيماوية المبيدة للحشرات والنباتات المضرة أدى مفعولها إلى موت عدد كبير من سمك الشبوط العادي والبلوقي سنة 1986. وقد عوض المركز الوطني لتربية الأسماك بآزرو هذه الخسارة بإدخال عدد كبير من صغار سمك الزنجور والشبوط الصيني العاشب والفم الأسود خلال السنوات الأخيرة، تلبية لمتطلبات هواة الصيد الرياضي ولمعالجة التخاصب المفرط في هذه البحيرة.

تستقبل البحيرة كل سنة عددا هائلا من الطيور القواطع تتصدرها أنواع البط كالعنق الأخضر Anas platyrhynchus وA. Acuta, A. crecca, A. clypeata, وAythya ferina إلى جانب المالك الحزين وطائر البقر وعشرات من أنواع الطيور المائية الصغيرة تحج إلى هذه الضاية خلال الفصول لتقتات وتستريح.

N. Elkhiati, Biotypologie et biogéographie des Charophycées du Maroc. Contribution à l'étude des peueplements d'Algues et de machrophytes de l'hydrosystème de Tamaris (Meseta occidentale). Thèse d'Etat, Marrakech, Semlalia, 1995, 155p ; M. Ramdani, Les eaux stagnantes au Maroc : étude biotypologique et biogéographique du zooplancton. Trav. Ins. Scri. Rabat, Zool. 1988, 43p ; C. Berthon, Dynamique des populations phytoplanctoniques du lac marocain (Dayet Er Romi). Thèse 3° cycle, Clermont Ferrand, 1983, 85pp.

نجاة الخياطي

الـروّاس، ويكتب أيضا الرّوّاص، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Ruas وRoyas ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ؛ مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 / 1841 كانت بحومة الطرانكات دار تحمل اسم هذه الأسرة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 740.

روّان، ويكتب أيضا الرّوّان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Roan ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 738.

محمد ابن عزوز حكيم

رووانيت، جول Rouanet Jules، موسيقي فرنسي معاصر. اشتغل بالمعهد الموسيقي الفرنسي بباريز في العقد الأول من القرن العشرين، ثم انتقل إلى العاصمة الجزائرية حيث كلف بإنجاز أبحاث حول الموسيقى العربية.

وخلال الفترة التي قضاها بالجزائر زار المغرب وسوريا ومصر، والتحق بالجمعية المطربية التي كان قد أسسها المطرب اليهودي ادمون ناطان يافيل Edmond Natan Yafil قبيل 1910، وهناك تعرف على الفنانين الجزائريين : محيي الدين باشتارزي (1897 ـ 1986) ومحمد بن علي اسفينجة، وقد اعتمد على هذا الأخير كثيرا في إنجاز دراسته عن الموسيقى الأندلسية بالجزائر مستعينا بيافيل الذي كان يقوم بالترجمة. وقد شكلت هذه الدراسة الوثيقة التي اعتمدها المؤتمر الأول للموسيقى العربية المنعقد بالقاهرة عام 1932، إلى جانب وثيقة الباحث رودولف ديرلانجيه المقيم يومئذ بتونس بغرض المقارنة بين الطبوع الأندلسية المستخدمة في الجزائر والمقامات الموسيقية المستخدمة في مصر، هذه المقارنة التي سوف يتبين أنها ـ كمثيلتها الخاصة لمقارنة طبوع موسيقى الآلة المغربية ـ مجافية للصواب.

شارك رووانيت في إنجاز "دائرة المعارف الموسيقية وقاموس المعهد" بإدارة ألبير لافينياك Albert Lavignac، فكتب خلال سنوات1912 ـ 1913 ـ 1914 ـ 1922 فصولا متعددة عن :

- الموسيقى العربية في دول المغرب *La musique arabe dans le Maghreb*
- الموسيقي في المغرب *La musique au Maroc*
- تاريخ الموسيقى ـ الموسيقى العربية *Histoire de la musique : musique arabe*

وقد قام الباحث اللبناني المقيم بمصر اسكندر شلفون بتعريب هذا الفصل، وهو قوام الجزء الأول من دائرة المعارف، ويختص بالموسيقى العربية. وفيه يعقب على المؤلف بتصحيح ما عنده من أخطاء في الكتاب، ويضيف إليه ما رآه مكملا لعمل المؤلف.

اسكندر شلفون، *دائرة المعارف الموسيقية وقاموس المعهد*، القسم الأول ـ تاريخ الموسيقى ـ الموسيقى العربية، 1927.

J. Elsner, *Musique arabe. Congrès du Caire 1932*. Le Caire 1992, p. 200 : Jules Rouanet, *Encyclopédié de la musique et dictionnaire conservatoire*, pp. 2183 - 2943 ; Idem, pp. 2676 - 2812 ; 1ère partie, *Histoire de la musique : la musique arabe*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

رُوي دي پِّينا Rui de Pina، مؤرخ برتغالي احتل مكانة مرموقة بالبلاط البرتغالي لذى الملك جواو الثاني وخلفه ضون مانويل. وقبل وفاته ما بين سنوات 1519 و1523 كلف بإدارة خزانة "أرشيف طوري طومبو"، ومن هناك استمد المادة التاريخية، وقد تبنى ما كان نظيره زورارا بصدد تسجيله عن الملك ألفونص الخامس، كما استفاد من حوليات إخباري آخر يدعى "فرناو لوبيس" Fernao Lopes.

ظهر لرُوي دي بِّينا أولا كتابه عن الملك ضون ضوارتي، *Chronica d'el Rei D. Duarte*. وأهم ما تضمنه الكتاب بالنسبة للتاريخ المغربي المعلومات المتعلقة بأصول الحملة البرتغالية على مدينة طنجة وعملياتها الحربية سنة 1437. إلا أن سرده توقف بالنسبة لطنجة عند الهزيمة البرتغالية، ولم ينل المطلب المغربي الذي ألح عليه المرينيون مما يخص استرجاع سبتة المحتلة سوى النزر اليسير من سرده، نتيجة توقفه عند وفاة ضون ضوارتي سنة 1438.

وتكمن فرصة الاستفادة من قراءة حوليات ألفونص الخامس *Chronica d'el Rei D. Affonso* من استغلال كل ما تعلق بأصول حملة لشبونة على القصر الصغير سنة 1458، وعلى أصيلا وطنجة سنة 1471. ولكن معرفتنا لن تتجاوز الاستعدادات البرتغالية للحملة والعمليات الحربية التي أدت إلى سقوط المدن الثلاثة بيد الغزو البرتغالي.

على أن الاستفادة تتأتى أكثر بتفحص كتابه الثالث المخصص للملك جواو الثاني، *Chronica d'el Rei D. Joao II*. فمنه يؤخذ ما يتعلق بحاكم الشاون علي بن راشد العلمي وحاكم القصر الكبير طلحة العروسي سنتي 1487 و1488، علاوة على التعاليق المرافقة لحملة جزيرة اللكوس وما تلاها من الهدنة وغارات سبتة على ترغة وسوق خميس أنجرة. تم نشر تآليفه بلشبونة سنة 1792 في مجموعة كتب تاريخ البرتغال *Collecçao de Libros de Historia Portuquesa*, t. 2.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبري بالثغور الشمالية الغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Chronica d'el Rei D. Joao II ; *Chronica d'el Rei D. Affonso* ; *Chronica d'el Rei D. Duarte*.

حسن الفكيكي

الرويجل عبد السلام السريفي، مقاوم ولد سنة 1916 بوزان من والديه أحمد بن عبد السلام ورحمة بنت احساين.

انخرط في صفوف المقاومة السرية منذ انطلاقتها حيث ساهم بعدة أعمال فدائية نذكر منها : توزيعه لبعض المناشير لتهديد بائعي السجائر كما أنه قام باحراق بعض مزارع المعمرين، بالإضافة إلى قيامه بعملية اغتيال بعض الخونة. كما أنه شارك مشاركة فعالة في مظاهرة 20 غشت الخالدة، وألقي عليه القبض حيث صدر الحكم عليه بستة أشهر سجنا.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

الـرّويز، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ruis - Ruiz ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 749

الرويضة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rueda ومعناه العجلة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

وتجدر الإشارة إلى أنه توجد بإسبانيا مدينة اسمها Rueda.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 748.

محمد ابن عزوز حكيم

الرويميات، تعد هذه التجزئة فصيلا من قبيلة أيت لحسن التي تنتمي إلى لف أيت الجمل من اتحادية تكنة بوادي نون والساقية الحمراء. ويبدو من خلال تاريخ هذه الفصيلة ومعنى تسميتها، تباين انتمائها الأصلي مع الجذر الإثني المؤسس للقبيلة. كيف ذلك ؟ يكشف هذا السؤال الإشارات المهمة إلى تنوع مشارب الفصائل المكونة لهذه القبيلة. ذلك أن هذا الانتماء يعد من بين الموجهات الفعلية والمنهجية للبحث الميداني المكثف. ننطلق من إشارة أحمد التوفيق إلى الرابطة القوية بين أهل بوعبدة أعيان هذه الفصيلة والمد الإسباني خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين (انظر مادة أساكا بالمعلمة). فنتساءل عن معنى صيغة "الرويميات" وهل هناك ما يدعو إلى ربطها بالغور المسيحي الإسباني خلال القرن الخامس عشر الميلادي بالساحل المواجه لجزر كناريا ؟

كانت قبيلة أيت لحسن خلال هذه الفترة تنتمي إلى الغور السكاني التكني المقيم بأسرير حيث ما تزال ملكياتها السقية المسماة حاليا (تواغيل أيت لحسن) تشهد على انتمائها إلى لف أيت عثمان (لف أيت بلة). انتقلت جل فصائل أيت امحند أو لحسن (أيت بومكوث وإنجورن وأيت داود أو عبد الله) يومها من أسرير إلى المشابيك الواقعة بمنطقة كير جنوب غرب وادي نون لتشكل فيما بعد تدريجيا ما أصبح يعرف بقبيلة أيت لحسن. وفي هذه الأثناء بقي جزء من أيت امحند أو لحسن بأسرير حيث ما يزالون يمثلون بعين المكان فصيلة من أهم فصائل قبيلة أزوافيط.

تعد مدينة تكاوست إحدى العواصم الثلاث لوادي نون مع نول لمطة وتغاجيجت. فقد ورد الاسمان الأولان لدى كل من ابن خلدون وابن سعيد بينما ورد الثالث لدى أبي بكر البيدق على صيغة "تاعكيزت". وعلى الرغم من تكالب الضربات المعقلية الحسانية خلال القرنين الرابع والخامس عشر، فإن ابن الوزان يشير إلى أهمية مدينة تكاوست التي كانت ما تزال من بين أهم العواصم التجارية بهذه الضفة الشمالية الغربية للصحراء (انظر مادة تكاوست بالمعلمة). ولا شك أن هذا العامل الأساسي هو الذي جعل المد الأيبيري يركز عليها طلعاته مستهدفا الإقامة بها والتحكم في حركيتها إلى أن تم له ذلك كما يتضح من خلال وثيقة بوطاطا سنة 1499. كانت مجموعة من فصائل الغور السكاني الأقدم تقيم يومها بتكاوست من بينها أولاد ادريس وأيت أيوب وأيت إيسك والسماهرة. كانت هذه الفصائل في صراعات مفتوحة بينها ومع المغافرة بني حسان المسيطرين يومها على حوض وادي نون سياسيا دون التسرب إلى ملكية الأرض والساقية.

لن تصل قبيلة أيت لحسن إلى عين المكان قبل نهاية القرن الحادي عشر (17 م). وبدخولها إلى المدشر المتهالك من جراء تكالب المحن السياسية والبيئية والتجارية. ولربما أخذ الرويميات يومها في التحول من ممثلين للمد المسيحي إلى أعيان محليين بعد أن مثلوا تحالفا طبيعيا مع المد الإسباني. ولربما كان دخولهم الإسلام يعود إلى هذه الفترة. مهما يكن من أمر هذه الفصيلة، فإنها تنتمي إلى أصل إيبيري حسب ما أكد السيد علي بوعبدة. وهي فرضية قد تزكيها نوعية التسمية. ذلك أن صيغة "الرويميات" إنما تفيد ما معناه "الأرواح" الذين قد لا يقاسمون الغور السكاني الأقدم نفس الانتماء الإثني. يوجد على موقع مدينة تكاوست التاريخية السوق المعروف بسوق الرويميات "النصارى". وتسمح أية معاينة ميدانية بالتأكد من أن الطبونيميا تلعب هنا دورا أساسيا في المزج العضوي بين الحركية المحلية وديناميكيتها التجارية عبر مسالكها الساحلية المتجهة نحو البحر حيث كان سوق النصارى ومازال يحتل موقعا بالغ الأهمية للربط بين المدينة ومحيطها الساحلي.

تنتمي فصيلة الرويميات إلى إينجورن من قبيلة آيت لحسن شأنها في ذلك أهل الناجم وأهل امبارك أو احماد وأهل عمار أو داود وآيت عبد القادر وآيت ساعد. على أن أي متأمل لتشكل فصيلة الرويميات يدرك بسهولة نوعية التحالفات التي تميز مكوناتها. ذلك أن الرويميات يتكونون علاوة على أهل بوعيدة من أهل الراعي وأهل السلامي وأهل الصحراوي وأهل امحمد الدليمي. وهي تسميات تكشف عن الطابع المختلط المتباعد الانتماء الإثني. هذا المعطى يدل على دور أهل بوعيدة في تسهيل مأمورية أهل الراعي وأهل السلامي وأهل الصحراوي وأهل امحمد الدليمي في الاستقرار بعين المكان وتحصيل شرعية الانتماء إلى الوحدة القبيلة الحسنية.

يرتبط مجال ترحال آيت بومكوت الذين يضمون من بين فصائلهم الرويميات بمنطقة وادي نون أساسا. وهو مجال تحده من الغرب إلى الشرق كل من أرض امفيس وكدية كير مروراً بمدشر تسكنان المجاور لتكاوست. ولا شك أن الاعتبارات المجالية أساسية هنا لتوضيح هذا الارتباط بالشريط الساحلي. ذلك أن الاقتراب من الساحل الأطلسي يعد مركزيا بالأساس في التأطير لنظام التحالفات داخل الفصيلة. ومن شأن أية متابعة للعلاقات بين الرويميات وآيت الخمس المنتمين لآيت باعمران أن توضح حقيقة هذه العلاقات. كما أن من شأن الانتساب لجدود مختلفين داخل فصيلة صغيرة من هذا الحجم أن يكشف عن مستوى التداخل البين الذي يحد بشكل واضح من أحقية الرويميات في ادعاء الانتماء إلى جد مشترك واحد. من هنا فإن إشكالية الانتساب القبلي لا تطرح أي مشكل كفيل بتحديد الهوية القبلية كمشجر قرابي جينيالوجي متكامل الأبعاد. بل على العكس نجد هذه الاشكالية إطارا طبيعيا لبنية تبادل المصالح والتحالفات والدمج والاستيعاب التي تحدد بشكل واضح ملامح وحدود الانسجام داخل الفصيلة. على أن إحدى مميزات فصيلة آيت بومكوت شأنها في ذلك شأن باقي فصائل قبيلة أيت لحسن هي استراتيجية احتواء الدخلاء عبر عمليات التزويج. فقد كان من بين الشعارات المعروفة آنذاك شعار "دفوا بالرجالة" الذي كان يفيد استراتيجية التزويج مقابل صداقات رمزية. وإذا كان الهدف من هذه الاستراتيجية هو توسيع حجم القبيلة ديموغرافيا في مواجهة آزوافيط، فإن خصوصية الرويميات كانت تتمثل في ضرورة تجاوز هذه الخطة. كانت استراتيجية الرويميات تتمثل في قدرتهم الفعلية على المصاهرة مع آزوافيط أنفسهم. فقد كانت لهم من الكفاءات السياسية والحنكة ما أهلهم للتحالف مع أهم خيام آيت احماد أو اعلي عبر منحهم النساء الرويميات. نجد هذه الاستراتيجية سارية المفعول حتى منتصف القرن العشرين. وإذا كان منح النساء قصد احتواء الرجال من أبرز المكونات القرابية لآيت لحسن، فإن مقولة انتمائهم لأحرار تكنة ظلت مع ذلك من أهم القيم الأيديولوجية التي انبنت عليها توجهاتهم السياسية داخل الاتحادية.

وهنا نسجل أن تملك الأرض يعتبر من بين أهم الأسباب العملية التي تقف وراء استراتيجيات التحالف القبلية. بل وتجسد هذه الاستراتيجية المحرك الأساسي الذي يولد من خلال النزاعات نوعية العلاقات الاجتماعية. وهو ما يتضح هنا من خلال ارتباط الرويميات بملكياتهم الأرضية البورية والمسقية. والمتتبع للخلافات القديمة بين الرويميات وآيت بومكوت، يدرك بكامل الوضوح ترامي هذه الفصيلة على بقايا الغور السكاني المجاور تاريخيا للرويميات بعين المكان. فقبل وصول آيت بومكوت، كان الرويميات يثبتون مواقعهم عبر تملكهم لأراض من حجم لا يستهان به مقارنة مع ما يمتلكونه حاليا. فبمعية أهل الكويتي مؤسسي دولة الكويت الحالية، كان أهل بوعيدة خاصة يجسدون غورا سكانيا حوالي تكاوست يعود تاريخه المحلي إلى ما قبل سنة 1500 ميلادية كما رأينا. وهناك وثائق محلية تثبت نوعية الصراع الذي كان قائما بين الرويميات الأوائل والواردين عليهم من أيت بومكوت. ندرك من خلالها لماذا تبنت هذه الفصيلة المرونة التحالفية مع مختلف القوى المحلية بما فيها آيت احماد أو اعلي من قبيلة أزوافيط وآيت الخمس وباقي فصائل أيت لحسن.

مصطفى ناعمي

الرياح هي عبارة عن هواء متحرك في مختلف مستويات طبقة الطروبو سفير وخاصة عند المستويات الدنيا، وهي تنتج عن اختلاف في الضغط الجوي الذي ينجم بدوره عن تباين في كثافة الهواء داخل هذه الطبقة بسبب الفروق الحرارية ما بين أنواع الكتل الهوائية المتواجدة داخل هذه الطبقة والذي يؤدي في النهاية إلى تحول هذه الطاقة الحرارية إلى طاقة حركية.

وعلى الرغم من أن تحرك الهواء السطحي يبدو انسيابيا إلا أن ما يحكم حركته هاته هو غير ذلك حيث عادة ما تتخلله حركات غير إنسيابية بسبب الحركات الدوامية من أحجام وأشكال مختلفة وما السرعات غير المنتظمة والاتجاهات المتعددة التي يتخذها إلا دليل على ذلك.

والرياح كعنصر من عناصر المناخ ينقسم إلى قسمين منها ما هو نطاقي ودائم ومنها ما هو محلي وعابر، فبواسطة النوع الأول يتم نقل الهواء والحرارة ما بين مختلف العروض لذلك فهي تعمل على الحفاظ على التوازن المناخي الحالي على سطح الأرض، بينما يعمل النوع الثاني على خلق الظروف النوعية للمناخات الجهوية أو المحلية.

والمغرب بحكم موقعه بالنسبة للعرض يكون خلال

الفترة الممتدة من أكتوبر إلى أبريل تحت سيادة الرياح الغربية المهيمنة على حركة الهواء، في العروض الوسطى والتي تتخللها اضطرابات الجبهة القطبية المحدثة للأمطار في المغرب، وخلال الصيف تتردد على المنطقة المغربية وحسب عدة وضعيات جوية رياح من النوع المحلي هي رياح الشرگي.

وتكاد تكون الرياح هي العنصر الطاغي على مختلف العناصر المناخية في المناطق الجافة في كل من شرق المغرب أو أقاليمه الجنوبية، ولذلك فهي التي ترسم أهم الخصائص المناخية لهذه المناطق من حيث دورها النشيط في تكثيف عملية التبخر الذي يتولد عنها طبعا حالة عجز مستمر للميزانية المائية الملازمة للمناخات الجافة.

كما تلعب هذه الرياح دوراً بارزاً في تحديد المعالم الكبرى لإحدى المناخات الجهوية المغربية والتي تسود خاصة خلال الصيف في المناطق الساحلية الجنوبية ابتداءً من عرض أسفي في اتجاه المناطق الساحلية من الأقاليم الصحراوية، فخلال هذا الفصل تكون هذه المناطق بالذات إلى الجنوب من خلية الضغوط الجوية شبه المدارية لعالي الأسور مما يجعلها تخضع لسيادة الرياح الشمالية الشرقية الشديدة الانتظام وهو الأمر الذي يجعل تأثيرها قويا على هذه المناطق وهو الذي يعطي أيضاً لما تخلقه هنا صفة نظام قائم الذات يطلق عليه النظام الأليزي نسبة للاسم الذي تشتهر به باللغة الفرنسية Alizés.

فهذه الرياح الشمالية الشرقية تصل إلى المناطق المحيطية المحادية للساحل فتدفع بالمياه السطحية نحو عرض المحيط مما يترتب عنه صعود مياه باردة من الأعماق لإعادة التوازن حسب مبدأ أرشيد، وهذه المياه الباردة ستؤثر بدورها على طبقة الهواء، الملامسة عن طريق خفض حرارتها مما سيؤدي إلى الوصول إلى درجة تشبع هذا الهواء، وتكاثفه وخاصة في مستوياته الدنيا فتتشكل على إثر ذلك سحب طبقية أو ضباب يحجب أشعة الشمس ويمنعها من الوصول إلى السطح مباشرة فتبقى حرارة الطبقات الدنيا للهواء، منخفضة وانخفاضها يؤدي إلى الاستقرار، مما يعني عدم وجود إمكانية لتصاعد الهواء، والذي يعني كذلك انعدام إمكانية حدوث التساقط، وهكذا فإن هذا النظام في آخر المطاف يخلق لنفسه ظروف استمراره ودوامه حيث تصبح لآلياته انعكاسات متبادلة ومتسلسلة تترتب عنها حالة من الشذوذ المناخي تتجلى في كون أن على الرغم من وجود هذه المناطق بجوار المصدر الرئيسي للرطوبة الذي هو المحيط تسود فيها بعض المظاهر الواضحة للقحولة.

كما أن لصعود المياه البادة من الأعماق آثاراً واضحة على التوزيع المجالي للحرارة على طول الساحل الأطلسي المغربي جنوب الدار البيضاء حيث يلاحظ انخفاض غير عادي للحرارة عموما كلما اتجهنا نحو الجنوب، وهي أيضا ظاهرة جد استثنائية في المناخ الحراري المغربي حيث يؤدي تأثير صعود هذه المياه الباردة إلى حذف دور عامل العرض.

علي البليشي

الرياحي الإدريسي، الحسين (مولاي -)، مقاوم ولد في برشيد سنة 1920 من والده مولاي عبد الرحمان الملكي وأمه زازية بنت التهامي، كان من الرعيل الأول الذي انخرط في المنظمة السرية تحت مسؤولية السيد بلعيد، حيث قام صحبة رفاقه بعدة عمليات فدائية قبل أن يلتحق بمجموعة درب السلطان التي ظل يعمل بها إلى أن حصل المغرب على استقلاله.

توفي بمدينة برشيد.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

الرياض، يمثل سكنا مغربياً أصيلا عرفته الحواضر منذ ما يقرب من عشرة قرون. وحسب بعض الأدبيات ظهر في القرن الخامس (11 م) (Palais) بمراكش وامتد بعد ذلك إلى باقي المدن مثل فاس ومكناس والرباط وسلا وتطوان إلى غيرها من المدن العتيقة.

يتميز الرياض عن المنزه بكون هذا الأخير يمثل إقامة فصلية تتوسط الأشجار والخضرة بالعرصة التي غالبا ما كانت تقع بالقرب من أسوار المدينة. يطيب فيها المقام أيام فصل الربيع البديع حيث كانت تقضي به العائلة لحظات زاهية مليئة بالمتعة والراحة. هذا في الوقت الذي يشكل الرياض سكنا دائما غير أنه يتميز على البيت التقليدي المغربي بكونه "يتوسطه عوض الصحن المبلط حديقة ذات مغارس وأزهار مختلفة".

ينتظم معمار الرياض حسب مبادئ وتصورات هندسية معمارية ظلت توارثتها الأجيال. فالبرغم من الظروف التاريخية المتباينة والخصوصيات الجغرافية وكذا اختلاف الممارسات الفنية العمرانية لكل مدينة نجد أن الرياض قد اكتسب مميزات تنظيمية أساسية موحدة.

فما تفرزه قراءة فضاءات الرياض أن هذا الأخير ينتظم حسب تصميم مغربي أصيل تتوسطه حديقة داخلية تأخذ مكان الصحن أو الفناء، وتنفتح على هذه الحديقة أهم الأجنحة المعمارية المشكلة للرياض. تفصله عن الخارج أسوار عالية شبه منغلقة تحجبه عن أعين المارة والجيران وتوفر حميمية وحرمة للحياة العائلية.

يختلف مدخل الرياض عن مدخل البيت العادي. تأخذ الباب الخارجية نوعاً من الفخامة والبساطة في آن واحد. فهي باب ذات مصرعين غير أن عناصر التزيين تلخص في شكله المقوس والإفريز الناتئ المغطى بالقرميد الأخضر المشرف من الأعلى وتقلّ النقوش.

تشكل الحديقة الترجمة الحقيقية لقلب الدار. وتأخذ على العموم شكلا مستطيلا بنتظم حسب تنظيم هندسي كلاسيكي متعامد الأجزاء. يعبره أفقيا وعموديا ممران متعامدان يلتقيان عند نقطة المركز بالدار وهما الرابطان الأساسيان بين قلب الحديقة والأروقة المحيطة بها.

تحمل الممرات غطاء من الفسيفساء الزاهية الألوان أو الرخام الأبيض المزين بحوش من الزليج أو الرخام الأسود خاصة في الرياضات الفسيحة والبلاطات.

وتظهر الحديقة بذلك منقسمة إلى أربعة فضاءات مربعة أو مستطيلة مغروسة بمختلف الأشجار والأزهار والورود. ومن أهم أصناف النباتات التي تحدثت عنها معظم الأدبيات :

. أشجار النخيل والزيتون والتين والرمان والزفزوف والثوت والبرتقال والليمون الحامض والصنوبر والقيقلان.

. النباتات العاطرة كالياسمين الأبيض والأصفر ومسك الليل والريحان (Myrthe) والحبق والعطرشة والنعناع والسالمة والشيبة.

- الأزهار والورود مثل السوسن والبنفسج (Violette) والجلنار (Capucine) وخد خدوج المدلية على الدبوز" (Geranium puant) والنرجس والأقحوان (Marguerite) والورد البلدي.

يغلب بذلك على الرياض طابع الخضرة والظلال التي تلطف وهجة أشعة شمس الصيف المحرقة وتضفي هذه الأغراس والنباتات لمسة الطبيعة البهيجة على البيت لتعطى إحساساً بجمالية الألوان ورقة العطور.

يمنح الرياض من أعلى الشرفات مشهداً رائعاً زاهيا بالألوان حيث تنسج أشعة الشمس خضرة هذه الأشجار الظليلة وتفسح الرؤيا على لوحات شجرية وزهرية مركبة في تناسق وانسجام وبراعة قلّ نظيرها.

ومما يزيد من بهاء وسحر الرياض وجود نافورة ماء أو صهريج يشغلان قلب الحديقة وتسمع خرير المياه المتدفقة تعزف تحت الظلال نغما سمفونيا في تجاوب تام مع روعة الألوان وعطر النسيم وزغاريد الطيور.

عُرفت هذه الحدائق ذات التنظيمات الهندسية في بلاد الأندلس إبان العهد الإسلامي في البيوتات والقصور ومازال طابعها هذا يضفي لمسات عربية على الحدائق العمومية بالمدن الإسبانية حاليا مثل غرناطة وإشبيلية وقرطبة ومالقة وغيرها. كما تذكرنا بتلك العهود الزاهرة كثرة النخيل وأشجار الرنج والزيتون. كما توحي رياضات فاس ومراكش وغيرها بتدرج ألوان وأشكال حدائق الجنان العالي (Generalif) لقصر الحمراء بمدينة غرناطة حيث يمكن من أعالي الرواقات الاستمتاع بسحر الماء وتناسق الضياء والظلال.

تحيط بالرياض رواقات مقوسة عالية من أشرطة السواري تعلوها أقواس واسعة من واجهتين متقابلتين (أو أكثر).

تنفتح على الأروقة الأبواب المنقوشة للغرف والقبب. كما تنفتح عليها البهوات الأنيقة. زينت النوافذ العالية التي تحف بالأبواب الشبابيك الحديدية الزهرية الأشكال والزجاج الملون المعروف بالزجاج العراقي. وتعلو الأبواب الشماشيات المزخرفة بالجبس الملون.

تشرف من الطابق العلوي الغرف والصالات والمصريات وكذا المنازه -وهي الغرف المتميزة التي تتميز بالمنظر الجميل على الرياض) في ترتيب متناسق مع الطابق السفلي تحدها شرفات ودرابيز مكونة من شبابيك حديدية أو خشبية.

زينت الأرض والحيطان والسواري بالزليج الفاسي حسب أنماط وألوان متناسقة زاهية وتأخذ زخارف الجبس والأخشاب المنقوشة أعالي الحيطان وتيجان الأعمدة ودائرة وسط الدار التي تحدها من أعلى السطح إفريزات من القرميد الأخضر ولا تقل زخرفة وجمالية الطابق العلوي عن الطابق السفلي والكل في انسجام عمراني وفني كامل.

يعتبر حسن فتحي أحد المختصين بالعمارة العربية أن البيت العربي هو نتاج لذهنية ثقافية وحضارية حددت معالمها تفاعلات طبيعية وبشرية ويرى أن "الثقافة من حصيلة تفاعل بين ذكاء الإنسان والبيئة التي تعيش فيها في عمليات استيفاء حاجياته المادية والروحية في الحياة".

مما يثير الملاحظة من أول الأمر أن نمط السكن ذي الصحن الداخلي يمتد في البلدان العربية من المغرب إلى المشرق مروراً من الأندلس المسلمة.

وما يربط بين هذه الأقطار كلها أنها تنتمي إلى بيئة قاسية حارة وجافة، حيث يشتد وهج الشمس وتكثر الرياح طيلة شهور طويلة خلال السنة. وقد أثرت هذه الظروف في ثقافات المجتمعات العربية على العموم والمجتمع المغربي على وجه الخصوص في تشكيل السكن والعمارة.

وقد لعبت التقاليد الإسلامية دور المحفز على انفتاح البيت على الفناء الداخلي بحثا عن تحقيق حميته من فضولية المارة وحواس الجيران وتوفير عزلته وحرمته.

لم يظهر الماء بالصحن إلا بعدما استطاعت التقنيات حمله بمقادير كافية إلى السكن. وسيشغل وسط الدار في موضع متميز يعبر على مدى اعتبار الثقافة العربية لهذا السلسبيل الثمين الذي يتطابق وجوده مع الحياة.

وبذلك يظهر الرياض وكأنه عبارة عن كون مصغر (Microcosme) يحمل بعدا فلكيا وله أكثر من دلالة رمزية.

فتقسيمه إلى أربعة أركان يقربنا من الحضارات الشرقية التي كانت تعتبر أن العالم منقسم إلى أربعة أجزاء وهي الرؤيا التي حددت معالم الحدائق الساسانية. كما أن لوجود الماء بوسطة دلالة تعبيرية قوية. فهو رمز التقاء السماء بالأرض عبر انعكاس السماء الحقيقية فوق السماء الرمزية المتمثلة بالنافورة أو الصهريج.

فهذا المعمار الرفيع الانساني أصبح مهدداً اليوم بالانقراض بسبب القطيعة التاريخية التي يعيشها المغرب منذ ما يقرب من قرن.

فالاستعمار السياسي والاقتصادي الذي عرفته البلاد بسط نفوذه ونفوذه إلى غزو العقول وتفتيت القيم وتغيير السلوكات والمرجعيات الثقافية. تكرست القطيعة مع الذات بفرض نظم ونماذج ثقافية غريبة عن البيئة الثقافة المغربية وتبلورت هذه النظم والنماذج في السياسة الحضرية التي فرضها عهد الحماية والتي لم تعرف أية مراجعة منذ استقلال البلاد لا على المستوى الفكري والثقافي ولا على المستوى الاقتصادي والاجتماعي. فأدوات التعمير المطبقة وليدة الثورة الصناعية الأوروبية ونمط الانتاج الرأسمالي الدخيل.

حسن فتحي. *المنزل العربي في الوسط الحضري في الماضي والحاضر والمستقبل*، مجلة *الفكر العربي*، العدد 30، السنة الرابعة، 1915.

J. Revault, L. Golvin, A. Amahan, *Palais et demeures de Fes*, 3 volumes, 1992, Paris . S. Mouline, *La ville à la maison arabo-musulmane*, IMC, 1981 . JC Galloti, *Le jardin et la maison au Maroc*, Paris, 2 volumes, 1925.

عائشة البلغيثي العلوي

الرياض العنبري، مدينة الرياض العنبري أو المدينة البيضاء، وهي التي أمر المولى إسماعيل سنة 1088 / 1678. ببنائها في الموضع المسمى بالرياض الذي كان يمتد جنوب شرق القصبة الاسماعيلية. لتكون مقرا لوزرائه ولأعيان دولته ولجيش الأوداية بعد أن ضاقت قصبته عن استيعابهم كما توضح ذلك الحوالات الحبسية : "ضاقت المدينة المولوية بجيشه المنصور، أمر أيد الله أمره... ببناء المدينة الجديدة العنبرية المختطه بأمره السلطاني..." (*حوالة المساجد الصغار*، 4، 205).

وأشار (أي المولى إسماعيل) على خاصته حسب ما جاء في *الإتحاف* (1، 148) "وأمرهم ببناء دورهم بها وفيها كانت دور العمال والكتاب وذوي الحيثيات من أعيان الدولة". ولم تلبث أن أصبحت مدينة قائمة الذات يتم الاتصال بينها وبين قصبة المخزن عبر "باب بالقاري".

وقد أجمعت المصادر على وصف جمال مدينة الرياض وتنافس العمال والقواد في بناء الدور والقصور بها وكانت كما يقول الزياني في *الروضة السليمانية* (247) "زينة مكناسة وبهجتها وبها آثار أهل دولة المولى إسماعيل كل من كان له وظيف بخدمته بنى داره بها. فقد كان بدار علي ويشي أربعة وعشرون حلقة يجمعها باب واحد، وكانت دار عبد الله الروسي وأولاده كذلك أعظم منها، كأنها حومة وأمثالهما من القواد، وخلدوا بها آثارا عظيمة، وبنى كل عامل مسجداً في حومته... وكانت تنفق فيها البضائع التي لا تنفق بغيرها" وفي وسط مدينة الرياض كان ينتصب الجامع الانيق الذي شيده المولى إسماعيل من ماله الخاص 1088 / 77 - 1678 (وحمل اسمه (المسجد الأعظم الإسماعيلي) وحبس عليه دوراً وأسواقاً ورباعا كثيرة (يمكن الرجوع إليها في كتاب *أوقاف مكناس* (الفصل السابع) وبنى بجانبه مدرسة ومكتبا لتعليم القرآن كما يوضح هذا النص : "ومن إنشاءاته المحبسة جميع المكتب المسند على الجامع الأعظم المذكور لتعليم أولاد المسلمين القرآن" (*حوالة المساجد الصغار*، 4، ص. 208). وأمر بجلب الماء إلى الجامع من العين البيضاء التي كانت توجد على بعد 3 كلم جنوب مكناس، وكلف ناظر أحباس الإيالة ومن له النظر العام في البناءات السلطانية محمد الكاتب الاندلسي وناظر المسجد المذكور عبد الوهاب بن محمد حجاج بالإشراف على إيصال الماء للجامع، كما أمر بعد سنين بترسيع الجامع وبإضافة قادوس آخر وجر الماء إليه من وادي بوفكران.

كان مصير هذه المدينة التي تنافس المؤرخون في وصف جمال قصورها وبساتينها الهدم والتخريب، فقد هدمت بأكملها على سكانها وهم نيام بعد أن عمرت خمسا وخمسين سنة، وذلك في فجر 27 شوال عام 1143 / 5 ماي 1731 على يد السلطان عبد الله بن المولى إسماعيل. فحسب أكنسوس في *الجيش العرمرم* ص. 102 أن المولى عبد الله بن إسماعيل "أمر النصارى والشعبانية أن يهدموا مدينة الرياض التي فيها أخواله الأوداية وفيها دور العمال والقواد والكتاب وأعيان دولة والده مولانا إسماعيل. ركب عند الفجر، وأشرف على كدية وأمر بالهدم من كل ناحية والناس نيام لا علم لهم...". ثم استمر التخريب نيفا وعشرة أيام، صارت بعدها كومة من تراب، ولم يبق الآن من أطلالها سوى بابها الغربي، مع بعض السور المتصل به إلى جهة حي سيدي سعيد، ومازال هذا الباب ينم عما كان وراءه من المدينة المندثرة، حيث يبدو قوسه عاليا يتوجه نقش شعري من ثلاثة أبيات فيها اسم بانيه وتاريخ بنائه (*الإتحاف*، 1، 164) أما موضع هذه المدينة فقد أصبح الآن حيا عامرا حمل من جديد اسم "الرياض".

حوالة المساجد الصغار، 4 : 205 ؛ الزياني، *الروضة السليمانية*، 246 - 247 ؛ أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 146 - 148 ؛ رقية بلمقدم، *أوقاف مكناس*.

رقية بلمقدم

الرياضة بالمغرب [illegible] المغاربة قبل فترة الحماية أنواعا [illegible] التي كانت تعتبر رياضة الرجولة [illegible] المجال الحربي كما مارسوا [illegible] التي كانت تعلم للأطفال في سن مبكرة [illegible] رياضات أخرى ذات طابع [illegible] (المبارزة) التي يتبارى فيها

شخصان دون استعمال اللكم، ثم هناك (الهاي) التي تعتمد على الصراع بالأرجل ويرتدي المصارع السروال فقط واقفا على رجل واحدة وموجها بالأخرى ضربه بشكل سريع ومفاجئ لظهر خصمه، ويقتضي الاتفاق أن تكون الأرجل حافية وتحسب النقط حسب الضربات التي يلحقها اللاعب بظهر خصمه وتبقى الفترة الزمنية للعبة غير محددة إلى أن ينسحب أحد المتصارعين معلنا اندحاره. أما اللعبة التي كانت تمارس بشكل واسع فهي (الشبرة أو تاگورا) وهي عبارة عن لعبة يمارسها الذكور تشبه الرماية وتتخذ من الحجر وسيلة لإسقاط الشارات ولأنها كذلك كانت تتطلب الدقة في التصويب يتفق اللاعبان أو الفريقان على رقعة الميدان وأبعاده فتبني شارات من الحجارة الواحدة تلو الأخرى وتنسجم فيما بينها حسب مواقعها والمسافات الفاصلة بينها وفي علوها، وتعطى انطلاقة اللعبة بعد عملية القرعة ثم بالتناوب يرمي كل واحد بواسطة عصا معقوفة قطعة من حجر مختارة ويعتبر فائزا من كان سباقاً في اسقاط شارات خصمه.

ومن الألعاب التي مارسها المغاربة قديما الجري وهو شيء حيوي بالنسبة للإنسان المغربي ولا يمكن الاستغناء عنه وقد أورد صاحب مختصر *الأفاريد* جزءاً من أخبار منافسات الجري وبعض شروطها ولعل الجري هو الذي جعل البريد يعد من أقدم وأنجع الوسائل في إيصال الأخبار والرسائل لأصحابها في آجال محدودة ومضمونة.

وتبقى بعض الرياضات ذات طابع محلي أي لا تمارس إلا في مناطق معينة كشقلابة - والهاي - والغرس وبوحفرة.

ومن الرياضات الذهنية التي كانت تمارس في الحواضر هناك الشطرنج الذي تمارسه نخبة معينة من المجتمع الحضري بالإضافة إلى الضامة والورق وقد مورست بشكل واسع في الأوساط الشعبية والحرفية لكن مع دخول الاستعمار جلب معه أنواعا رياضية أخرى لا عهد للمغاربة بها، وبدأت شيئا فشيئا محاولات خجولة من طرف الأهالي لممارسة بعض هذه الأنواع الرياضية الجديدة بعد أن كانوا يكتفون بالتفرج عليها وفي هذا الظرف بالذات كان لابد للنخبة الواعية من البحث عن أشكال جديدة في مجالات الرياضة البدنية تساير العصر وتساهم في توعية الفرد المغربي.

وقد انطلق الشباب الطلائعي منذ الثلاثينيات يعمل ويجد رغم الصعاب ليؤسس وينظم الأندية الرياضية التي ترفض التسلية كهدف بل تتجه إلى أهداف أعمق. وهكذا تأسست العصبة الحرة للرياضة وتوسعت قاعدة النشاط الرياضي على الفرق الرياضية الحرة في الأحياء والمدن وكانت أغلبها تمارس كرة القدم.

وفي بداية الحرب العالمية الثانية بلغ عدد الأندية الرياضية في الدار البيضاء وحدها ما يقارب 60 فريقا وقد اكتسى تنظيم العصبة الحرة للرياضة صفة سرية أثناء التهيئ والتحضير وقام أعضاؤها بترجمة القوانين الدولية المتعلقة بتخطيط الملاعب وتنظيم التحكيم وإجراء المباريات وأسسوا لجانا للفصل في النازعات وتأديب المشاغبين، وكان المتطوعون ينجزون تلك المهام مجانا. ولم يكن الانخراط في العصبة إلا بعد فحص دقيق للفريق المرشح ومعرفة كاملة بأعضائه ومسيريه لأن الإدارة الاستعمارية كانت تحاول تسريب عملائها إلى داخل العصبة التي كانت هدفها نشر الأفكار الوطنية في الوسط الرياضي.



لعبة تاگورة

أما اللجنة التي كانت تشرف على هذه العصبة فكانت تتكون من السادة عبد السلام بناني وعبد الرحمان اليوسفي وعمر بوستة وبناصر حركات وإدريس بنشفرون وبنزاكور وبلهاشمي ومحمد بلكناوي أما المشرفون على سير المباريات فكان جلهم من المناضلين وعلى رأسهم الشهيد محمد الزرقطوني.

ورغم أن هذه الفترة امتزجت فيها الرياضة بالنضال الوطني فقد عرفت ظهور أبطال فاقت شهرتهم أرجاء المغرب لتغزو ملاعب أوربا ففي كرة القدم. كان العربي بنمبارك والأب جيكو والعربي الزاولي وفي ألعاب القوى بوهالي محمد والغازي وفي كرة المضرب عمر السوسي وعلي العروسي كما برز محمد حبيبي في سباق الدراجات والحسين الجديدي ومحمد الوحدي والزرهوني في الملاكمة.

بعد إعلان الاستقلال، بقيت الرياضة خاضعة لتأثير نفس القوانين والمفاهيم الموروثة عن الفترة الاستعمارية بينما ظل مضمونها الإنساني ضحلا وغايتها التربوية بعيدة عن تحقيق الطموحات المنتظرة. وفي ظل هذا التأثير تكونت الاتحادات والجامعات (انظر مادة الجامعات الرياضية) رغم العشوائية والارتجال في التسيير وغياب البنيات التحتية الأساسية لقيام رياضة صحيحة، ورغم كل هذه العوائق استطاع بعض رجالات المغرب المخلصين أن يصمدوا ويثابروا من أجل بناء صرح رياضي وبفضلهم حقق المغرب انجازات رياضية هامة على الصعيد القاري والعالمي ففي كرة القدم كان المغرب أول بلد إفريقي وعربي وإسلامي يشارك في بطولة كأس العالم وقد شارك فيها أربع مرات

وهذا رقم قياسي بالنسبة لافريقيا والعالم العربي كذلك الشأن بالنسبة للألعاب الأولبية كما فاز ببطولة إفريقيا للأمم وفازت العديد من أنديته بكأس إفريقيا، وظهر لاعبون محترفون بأعرق الأندية الأروبية.

أما في ألعاب القوى أم الرياضات فقد سطع نجم المغرب عاليا بفضل أبطاله الكبار سعيد عويطة وإبراهيم بوطيب وخالد السكاح ونوال المتوكل ونزهة بيدوان وزهرة واعزيز واللائحة طويلة وبفضل انجازات هؤلاء الأبطال غزا المغرب سبورة الأرقام القياسية العالمية. وكذلك هو الشأن بالنسبة لكرة المضرب حيث يعتبر الثلاثي هشام أرازي وكريم العلمي ويونس العيناوي من أبرز اللاعبين العالمين حسب التصنيف الدولي لهذه الرياضة.

وإذا كانت كرة القدم وألعاب القوى وكرة المضرب والگولف من الرياضات التي تحظى بالرعاية والعناية وتصرف عليها أموال طائلة فإن باقي الرياضات تعاني الكثير من التهميش رغم ما حققته من إنجازات عالمية وصعودها منصة التتويج في التظاهرات الأولمبية وكمثال على ذلك رياضة الملاكمة.

أما على مستوى تنظيم التظاهرات الدولية فقد نظم المغرب عقب حصوله على الاستقلال الألعاب العربية وكذلك نظم ألعاب البحر المتوسط وكأس إفريقيا للأمم والألعاب الفرنكوفونية وألعاب السلام وأولمبياد الأشخاص المعاقين.

ومن أبرز التظاهرات الرياضية العالمية التي ينظمها المغرب سنويا كأس الحسن الثاني للگولف وجائزة الحسن الثاني لكرة المضرب وكأس الحسن الثاني لكرة القدم والذي كان يحمل اسم كأس محمد الخامس وقد شارك في هذه التظاهرة فرق عالمية مثل ريال مدريد وبرشلونة وأتليتكو مدريد وبايرن مونيخ وفلامنكو وبوكاجونيور ودينامو كييف واندرلخت والعلم الأحمر وانتيرميلانو.

لكن رغم كل هذه الانجازات تبقى الرياضة المغربية يعوزها الكثير على مستوى البنيات التحتية كالملاعب ومراكز التكوين والطب الرياضي وإنجاز الملاعب المدرسية التي تعتبر النواة الأولى والأساسية لاكتشاف المواهب ويبقى الأمل معقود لتحقيق هذه المنجزات بترشيح المغرب للمرة الرابعة لاحتضان نهاية كأس العالم التي تعتبر أكبر تظاهرة رياضية عالمية وفرصة لتحقيق أحلام الرياضة المغربية خاصة وأن رئيس (الفيفا) جوزيف بلاتير صرح أخيراً بأنه حان الوقت لكي تنظم هذه التظاهرة في إحدى بلدان القارة السمراء بعد احتكار أوربي أمريكي دام أكثر من 70 سنة.

ع. رشد، *تاريخ الرياضة بالمغرب،1918 ـ1998*، ط 3، 1998، الدار البيضاء ؛ م. الحياني، *الرياضة المغربية شواهد وأسرار*، الرباط، 1992 ؛ ن. اگديرة، *كرة القدم المغربية وثائق وأرقام، 1956ـ1990*.

Edouar Seidler et Robert Perienté, *Dictionnaire des sports*, Paris, 1963.

محمد بلعربي

الرياضيات في المغرب في الماضي، أي منذ بداية القرن السادس (12 م) إلى حدود القرن التاسع (15 م) تقريبا، ظلت اهتمامات الرياضيين المغاربة منحصرة في الرياضيات التقليدية التي كانت تمارس في الشرق الإسلامي والتي تجعل من المعادلات الجبرية والمسائل الهندسية الإقليدية موضوعا لها. وقد ساهموا إلى حد كبير في تطوير كتابة هذه المسائل ورغم أن هذا النوع من الرياضيات يشكل الأصل في تطوير مجموعة من النظريات المعاصرة كالهندسة الجبرية ونظرية الاعداد، فان الرياضيين المغاربة، كغيرهم من الرياضيين العرب، لم يدركوا هذا وبقيت اهتماماتهم ومساهماتهم محدودة رغم أهميتها.

ففي نفس الفترة عرفت الرياضيات في أوربا تطوراً سريعاً أدى إلى بلورة كل النظريات المعاصرة التي مازالت موضوع البحث والدراسة إلى يومنا هذا. فبعد اكتشاف هندسات جديدة (لوبا نشفسكي وريمان) ساهم اكتشاف نظرية المجموعات لكانتور في وضع الشكل النهائي الذي نعرفه الآن لعلم الرياضيات. كما أن اكتشاف الحساب التفاضلي من طرف لايبنتز ونيوتن في القرن العاشر (16م) كان له الدور الكبير في وضع نظريات الميكانيك الكلاسيكية لنيوتن. كما أن هذه النظريات كلها أدت فيما بعد إلى اكتشاف نظرية النسبية لألبرت انشاتين في بداية القرن الرابع عشر (20 م).

وقد عرفت الحقبة الممتدة من بداية القرن الرابع (10 م) إلى القرن التاسع (15 م) بروز عدة أسماء نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : الشريف الإدريسي (1099ـ 1166)، الجغرافي الشهير، حيث يقول ابن خلدون أن كتابه الصغير يعد من أحسن الكتب في تقديم علم الحساب (Arthmetique).

ـ ابن برجان، القرن السادس (12 م) وكان من كبار اختصاصيي الجبر والحساب والهندسة.

ـ ابن باجة نفس القرن وكان أستاذاً لابن طفيل. وقدم أعمالا كثيرة في الهندسة وعلم الفلك وألف فيهما زيادة على أنه كان طبيبا وفلكيا وقد مات في فاس.

ـ علي ابن خلف الانصاري وهو رياضي وفلكي أتى من الأندلس واستقر بقصر كتامة.

ـ السموأل المغربي، من أسرة يهودية في الأصل تحولت إلى الإسلام وقد انتقل إلى بغداد ثم إلى ازربجان حين لقي هناك تشريفا كبيراً وقد ألف كتباً كثيرة في الرياضيات. وهو رياضي من الدرجة الأولى وقد أثبت المبرهنة $x^n . x^m = x^{n+m}$ وساهم في تطوير نظرية الحدود وتوفي سنة 1875.

ـ ابن طفيل وهو عالم كبير اشتهر كفيلسوف ولكنه

اهتم بالرياضيات وعلم الفلك والطب والأدب وقد تتلمذ في قرطبة على يد ابن باجة وانتقل إلى المغرب.

- ابن رشد 1198 . 1126) ويعتبر من كبار مفكري الانسانية وقد ألف كتبا كثيرة في الرياضيات وعلم الفلك.

- ابن الياسمين المتوفى سنة 600 /1204، وقد ولد في فاس وهو ينتمي للقبيلة البربرية بني حجاج. وهو من الرياضيين المغاربيين الذين أثرت أعماله في من تبعه وقد تكون في الأندلس على يد أبي عبد الله ابن القاسم وقد توفي في مراكش سنة600 / 1204.

الرياضيات في المغرب حاليا :

تتدخل الرياضيات في عدد كبير من المجالات الأخرى كالاقتصاد والصناعة والعلوم الأخرى مثل الفزياء والكمياء والطب وغيرها. ولهذا يرتكز تكوين المهندسين وأطر الاقتصاد والصناعة على الرياضيات المتطورة الحديثة. وبهذا يمكن اعتبار الرياضيات والأبحاث الفضائية العلم الذي لا يمكن لأي دولة أن تتقدم بدونه ويعتبر الاستثمار في البحث فيها استثماراً في المستقبل. ونظراً لأهمية هذا العلم فقد أعلنت الجمعية الدولية للرياضيات ومنظمة اليونسكو سنة 2000 سنة دولية للرياضيات. ويعرف تدريس الرياضيات على مستوى التعليم الثانوي تطوراً مستمراً من أجل اختيار مهندسي المستقبل حيث يعطي لهم تكوينا قويا في مدارس يوجه لها أجود التلاميذ في الثانوي. أما على مستوى الجامعة فيعطى للطلبة تكوينا في الرياضيات الأساسية يمكنهم من ممارسة البحث في هذا الميدان في المستويات العليا.

على مستوى التعليم الثانوي عرف تدريس الرياضيات تطوراً مهما بخلق الاقسام التحضيرية للمدارس العليا للمهندسين (Grandes écoles). وقد كونت المدارس العليا في العشر سنوات الأخيرة عدداً مهما من الأساتذة المبرزين في الرياضيات، تشتغلون الآن بعدد مهم من المراكز التي أنشئت في كل المدن الكبرى للمهندسين حيث تمد هذه المراكز المدارس العليا للمهندسين بأزيد من 100 طالب سنويا وهو عدد المهندسين الذي يتخرج سنويا في المغرب والذي يلبي حاجيات مؤسسات الدولة والقطاع الخاص من هذه الأطر.

وتتدخل الرياضيات بشكل أساسي في تكوين هؤلاء المهندسين كيفما كانت اختصاصاتهم كما هو الشأن بالنسبة لجميع دول المعمور.

أما جودة تعليم هذه المادة وفي هذا المستوى فيمكن اعتبارها في المستوى المطلوب دولياً حيث يسافر عدد كبير من المهندسين المكونين في المغرب إلى دول متقدمة ويتم قبول أولئك المختصين في ميادين المعلومات أو الاتصالات (Télécommunications) للعمل في هذه الدول.

أما على مستوى البحث العلمي فقد عرف هذا الميدان تطوراً ملحوظاً في العشر سنوات الأخيرة . كما هو الشأن بالنسبة للبحث العلمي الأساسي بجميع اختصاصاته تقريبا ..

الرياضيات في الجامعة :

لقد بدأ إنشاء شعب واختصاصات في علم الرياضيات في المستوى الجامعي في المغرب منذ إنشاء جامعة محمد الخامس في أواخر الخمسينيات. إلا أن تطور البحث العلمي في هذا الميدان تم بشكل بطيء حتى بداية الثمانينيات مع إنشاء جامعات أخرى في جل المدن المغربية الكبرى.

وقد عرفت الجامعات المغربية ارتفاعاً مهماً في اعداد الباحثين في الرياضيات بالمغرب من بداية الثمانينيات.

ورغم توفر الجامعات المغربية على هذه الطاقات من جميع الاختصاصات في مجال الرياضيات، فإنها لا تستغل جيدا نظرا لعدم توفر الامكانيات المادية أو سوء استغلالها، ومع ذلك عرف الانتاج العلمي في هذا المجال تطوراً مهما خلال العشر سنوات الأخيرة حيث أن عدد مهماً من المساهمات من المستوى الرفيع تقبل للنشر في المجلات الدولية من امريكية وفرنسية وغيرها. وبهذا (حسب المعلومات المتوفرة لنا) يحتل المغرب المرتبة الثانية بعد جمهورية جنوب إفريقيا.

وحتى نعطي فكرة عن أهمية الإنتاج المغربي سنورد مقارنة مع إحدى الجامعات الفرنسية والتي تعتبر مركزاً مهماً في الرياضيات بفرنسا وهي جامعة ستراسبورغ. ففي هذه الجامعة تنتج شعبة الرياضيات ما معدله سنويا خمسين نشرة تقريبا، أغلبها من المستوى الجيد. وتتوفر هذه الجامعة على حوالي 80 أستاذاً أو باحثاً في الرياضيات وعلى إمكانيات مادية مهمة جداً. وبالمغرب أنتجت جامعة القاضي عياض بمراكش وهي التي تحتل المرتبة الأولى في المغرب في العشر سنوات الأخيرة حوالي 200 نشرة علمية أغلبها من مستوى جيد، نشرت في المجلات الدولية الكبرى، أي بمعدل 20 نشرة في السنة وهو رقم مهم جداً مقارنة مع امكانيات الجامعة المغربية ومع عدد الباحثين بها.

لكن رغم هذه المكانة التي تحتلها جامعة مراكش يبقى إنتاج الجامعات الأخرى متواضعا مقارنة معها وربما يرجع ذلك لأنه لم يحصل تراكم عند الجامعات الأخرى بسبب سوء تطور الأجيال الأولى التي تعلمت الرياضيات في الجامعات الأوربية والتي بقي همها هو الحصول على درجة علمية هناك من أجل تحسين وضعيتها المادية بالمغرب.

محمد القادري

رياقة طنجة، يُقصد بـ"رياقة طنجة"، أو "ريفيي طنجة"، ساكنة هذه المدينة من أهل الريف الذين استقروا بها عبر فترات تاريخية مختلفة. ويكاد يمثل الوجود الريفي أهم ساكنة مسلمة بالمدينة قُدِّرت نسبتها خلال القرن الرابع عشر (20 م) بحوالي 70٪، بينما تأتي بعده عناصر أخرى أهمها عنصر جبالة.

وقد ارتبط الوجود الريفي بطنجة بتاريخ تحرير المدينة خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م) وذلك عندما قاد الجيش الريفي حصار طنجة وحررها من يد الإنجليز عام 1097/ 1684 بقيادة علي بن عبد الله الريفي. وكان السلطان المولى إسماعيل قد أوكل إلى جيش المجاهدين مهمة تحرير الثغور الشمالية. وبتحرير طنجة، أعطى لعناصر الجيش الريفي حق الاستقرار بالمدينة وحوزها واستغلال الأراضي الزراعية مقابل الخدمة العسكرية. وبهذا عرفت طنجة وحوزها خلال هذه الفترة استقرار عناصر ريفية ممثّلة في قبائل الريف الشرقي والأوسط مثل قبيلة تمسمان وبقّوية وبني ورياغل وبني توزين... وولّى السلطان أسرة الريفي، التي قادت الجهاد، قيادة طنجة والمناطق المجاورة ؛ فطعّمت بذلك الجهاز المخزني بالمدينة استمر لقرون رغم بعض الانقطاعات. ونحفظ من أسماء هؤلاء القواد : علي بن عبد الله الريفي، وابنه الباشا أحمد بن علي، ثم أولاد عبد الصادق مثل الحاج عبد السلام بن عبد الصادق الذي قاد طنجة وفحصها في مطلع القرن العشرين. وقد برز الريفيون عموما في مختلف المجالات مثل الأمانة، والحسبة والتجارة والقضاء والإمامة والخطابة والتدريس...

ويبدو أن هذا الوجود الريفي قد اكتسب القوة والاستمرارية، على الأقل لفترة تاريخية معينة، لرغبة المخزن في إحكام سيطرته على منطقة حساسة مثل طنجة وأحوازها، وللدور السياسي والعسكري والدبلوماسي الذي اضطلعت به أسرة الريفي، إضافة إلى موقع طنجة الاستراتيجي الذي جعلها تستفيد من دور الوساطة بين المغرب وأوربا. وأصبحت العناصر الريفية المستقرة تجد في طنجة موطنا أصليا لها، وسرعان ما ألفت الحياة بالمدينة التي أصبح يغلب عليها الطابع العسكري.

وفي هذا الإطار نجد أن المراسلات المخزنية ربطت بين طنجة وأهل الريف سواء عند ذكر سكان طنجة أو مخازنية أهل الريف أو العيادة الذين يقبلون على السلطان بالتهاني والهدية، أو عند ذكر دور أهل الريف في الحركات التي يقوم بها السلطان...

ودلّت أسماء المداشر حوز طنجة وأسماء أعيانها أواخر القرن الثالث عشر (19 م) مثلا على الحضور الريفي من خلال مدشر اجزناية، ومدشر بني سعيد، ومدشر بني توزين، وكذا أسماء أعيانها : اجزناي، والتمسماني، وأقلعي... وكأن العناصر الريفية نقلت من خلال هذه الأسماء مواطنها الأصلية بالريف إلى مدينة طنجة وحوزها.

وإذا كانت بعض الكتابات تذكر أن ريفيي طنجة ينحدرون كلهم من الجيش الريفي وأسرة الريفي الذين استوطنوا المدينة وحوزها بعد التحرير. فإن توافد الريفيين على طنجة في فترات لاحقة (مثل في فترات الكوارث الطبيعية) يجعلنا نميز بين ريفيين قدامى وآخرين جدد، وهذا ما ذهبت إليه إحدى الروايات الشفوية وكذا الأنتروبولوجي هارت Hart ؛ حيث دعّم الريفيون الجدد الوجود الريفي القديم بالمدينة، ورأوا فيه مثالا يُحتذى به في الاستقرار بطنجة.

وقد ذكر موليراس Moulieras أن أهل الريف، أواخر القرن الثالث عشر (19)، كانوا مركزين في فحص طنجة، وخاصة في المصلى والسواني... كما أنهم اختلطوا أيضا في مناطق أخرى بباقي العناصر. بينما ظلت قصبة طنجة هي مقر إقامة الجيش باعتبارها دار المخزن، وفي هذا الإطار نجد أن السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام يُشدّد على مسألة استمرار سكنى الجيش قوادا وجنودا بالقصبة.

وحالياً، في مطلع القرن الخامس عشر (ق. 20 ـ 21) لازال الحضور الريفي بطنجة ماثلا من خلال الأسر الريفية المستقرة بالمدينة مثل التوزاني، أمغار، التمسماني، ابن حدو، العمارتي... ويُعتبر الريفيون من الذين يستأثرون بمراكز اجتماعية مرموقة وبوضعية اقتصادية تجعل منهم أصحاب نفوذ ومال.

وإن كان العديد منهم من ذوي المستوى المادي المتواضع. ولازالت أسماء بعض القرى (مدشر اجزناية مثلا) عند مدخل مدينة طنجة، إضافة إلى أسماء بعض الأزقة في المدينة القديمة بطنجة (مثل القاضي التمسماني) تذكر بهذا الحضور الريفي.

ولا بد من الإشارة إلى أن أعدادا من الأسر، بالرغم من أصلها الريفي، لم تحتفظ باسمها الأصلي. كما أن عددا من الأسر الريفية المنحدرة من أسرة الريفي والجيش الريفي، إن لم يكن أغلبها، تتوزع بين طنجة وتطوان مثل أسرة الحمامي، والريفي وأبطيو، وأبعير التي هاجرت إلى مدينة تطوان حيث اندثرت، وأسرة الحمامي التي استقر بعض أفرادها بمدينة شفشاون... ولا شك أن تضافر الظروف التاريخية للبلاد وللمنطقة عامة ولطنجة خاصة، وطول المدة الزمنية وسياسة المخزن هي التي أدت إلى عدم استمرار عدد من هذه الأسر.

ويبقى أن ريافة طنجة طبعوا مجتمع طنجة وواقعه، وأثروا في الأحداث كما تأثروا بها، فهم جزء من تاريخ ومجتمع طنجة. وهم تعبير عن استقرار قبائل ريفية بطنجة في إطار مساهمة هذه القبائل في تحرير الثغور، وفي إطار سياسة المخزن الذي هدف إلى وضع عصبية غريبة عن محيط جبالة يسهل معه التحكم في كل هذه العناصر ريفية كانت أو جبلية. كما أن الوجود الريفي يعكس مدى الإغراء الذي تقدمه مدينة طنجة لهؤلاء الذين يعانون في المناطق الجبلية (بما فيها جبالة والريف) من صعوبة العيش... وبهذا فلا يمكن فصل العنصر الريفي عن تاريخ المدينة خلال الفترة الحديثة والمعاصرة من تاريخ المغرب.

م. ابن عزوز حكيم، مادة :أبطيو"، *معلمة المغرب*، المجلد الأول، 1989، ص. 99 ؛ مادة "أبعير"، *معلمة المغرب*، المجلد الأول، 1989، ص. 99 ؛ ع. الكريم ابن موسى الريفي، زهر *الأكم*،

الرباط، 1992، تح. آسية بنعدادة ؛ محمد سكيرج، *رياض البهجة في أخبار طنجة*، جزء 1، مخطوط خزانة عامة/ ميكروفيلم 1452 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، جزء 7، الدار البيضاء، 1956، تح. جعفر ومحمد الناصري : *وثائق مديرية الوثائق الملكية* بالرباط.

Henri de Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 2ème série, *France*, Tomes I, II, III, IV, VI,VII, Paris, 1922, 1924, 1927, 1931, 1960, 1970 ; David Montgomery Hart, *"Notes on the Rifian community of Tangier"*, *The Middle East Journal*, Washington, 11, spring, 1957, pp. 153 - 162 ; Auguste Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, Tome II, *Exploration des Djebala*, Paris, 1899 ; Magali Morsy, *"Mulay Ismail (1673 - 1727) ou l'instauration de l'état Alawite"*, *Les Africains*, Tome IV, Paris, 1977, pp. 129 - 163 ; *Villes et tribus du Maroc*, Tome VII, *Tanger et sa zone*, Paris, 1921.

فاطمة بوسنة

الريال، كلمة إسبانية (Réal) معناها ملكي. وقد أطلقت هذه الكلمة على القطعة النقدية ابتداء من قبول الريال الإسباني منذ ابتدأ رواجه بالمغرب في بداية القرن الثالث عشر (19 م) قبل الريال الفرنسي بالمغرب رسميا سنة 1261 / 1845 ، وحينما قام السلطان مولاي الحسن بالإصلاح النقدي سنة 1281 / 1881 ضربت بأوروبا قطعة نقدية حسنية من عشرة دراهم باسم الريال الحسني ولها عدة أجزاء. كما سميت نفس القطعة من عشرة دراهم بالريال في عهد السلاطين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ ومولاي يوسف، فكان كل ريال يُسند إلى السلطان الذي أصدره، منها الريال العزيزي الحفيظي واليوسفي. وقد انقطعت عملة الريال سنة 1920.

وفيما يلي نماذج هذه الريالات التي راجت بالمغرب حسب الترتيب الذي أوردناه.

نماذج من الريال الاسباني



ريال زبيل

ريال بومدفع

ريال بودن

1 ـ الريال الإسباني حسب الوثائق المخزنية ـ تأتي القطع الفضية الإسبانية في المرتبة الأولى، فقد راجت قطع الريال الإسباني الذي يعرف في الوثائق والسجلات المغربية باسم الريال الكبير تمييزاً له عن الريال الصغير الفرنسي كما يسمى أيضاً الريال الذهبي رغم كونه فضيا. وقد درج الناس على تسمية الريالات الإسبانية حسب الصور أو أسماء الملوك المرسومة عليها تبعا لتعاقب الإصدار طيلة القرن التاسع عشر، فعرف بين التجار :

ـ ريال بومدفع نظراً لوجود صورة عمودي هرقل عليه، فشبهها المغاربة بالمدافع.

ـ ريال زبيل أو ريال المرأة وهو الذي يحمل صورة الملكة إيزابيلا الثانية Isabel II (1833 ـ 1868).

ـ ريال بوذن، حيث أن الصورة الجانبية المرسومة للملك الإسباني أمادو الأول Amadeo I (1871 ـ 1873) كانت أذنه تبدو فيها واضحة.

ـ ريال كارلوس أو ريال أقرلوص، عليه صورة الملك كارلوس السابع Carlos VII (1872 ـ 1876 ـ 1885).

ـ ريال فونصو وهو الذي رسمت عليه صورة الملك ألفونصو الثاني عشر Alfonso XII (1875 ـ 1885). وكذلك الفونصو الثالث عشر (1886 ـ 1931) (لوحة، 9).

كما عرف في العهد الحسني أيضاً ريال بونقطة وريال بوطيارة، وقد استعمل المغاربة مصطلح الريال Real ومصطلح الدورو Duro للدلالة على نفس القطعة الكبيرة التي تتألف من خمس بسيطات وتزن 25 غراما من الفضة ذات عيار 9000 في الألف، وللريال أجزاء كلها بنفس العيار، منها :

ـ نصف ريال ويزن12،5 گرام فضة.

ـ 5/2 ريال وهو بسيطتان بوزن 10 گرامات فضية.

ـ 1 / 5 ريال وهو بسيطة Peseta =10 سنتيم وتزن 5 گرامات.

ـ 10/1 ريال وهو نصف بسيطة = 50 سنتيما وتزن 2.5 گرام.

ـ 1 /20 ريال ويسمى بليون كما يسمى قرش = 20 سنتيما.

وهناك أجزاء أقل قيمة من هذه لكنها من فلوس النحاس (البرونز) التي تتوارد في بعض الفترات من مليلية، وكانت معروفة باسم الصولدي وهي غير مرغوب فيها، وقد أمر السلطان الحسن قائد وجدة باسقاط تلك "الصوالدة" عندما استفحل أمرها.

1) الريال الفرنسي :

أما القطع الفضية الفرنسية فقد راجت منها قطعة الريال الفرنسي والتي قبلت رسميا بالمغرب في تاريخ سابق

لتبول نطعة اللويز، وهو 1845 وكان الريال الفرنسي يعرف في الوثائق المغربية باسم الريال الصغير لكونه أصغر قيمة من الريال الإسباني من حيث الصرف. كما يعرف بالريال بلا مدافع أو الريال الرومي أو الريال أدزيري. كما يطلق عليه اسم ريال بوشطبه نظراً لأن صورة نابليون الثالث المرسومة على هذه الريال كانت تبدو بلحية دقيقة شبهها السكان بذلك. وكانوا أحيانا يطلقون عليه اسم ريال الفرنصيص في أواخر القرن التاسع عشر.



ريال 5 فرنكات فرنسية

وكان نظام الريال الفرنسي وأجزائه كما يلي.

قطعة تساوي 5 فرنكات وتزن 25 گراما بعيار 900 في الألف.

قطعة تساوي 2 فرنك وتزن 10 گراما بعيار 835 في الألف.

قطعة تساوي 1 فرنك وتزن 5 گرامات بعيار 835 في الألف.

وكانت قطع البرونز تمثل التجزئات الأخرى 10 و5 و2 و1 من السنتيمات وهي تزن على التوالي 10 و5 و2 و1 من الگرامات.

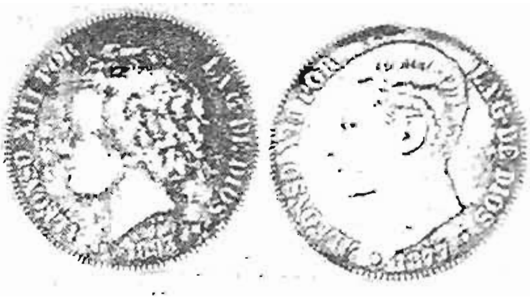
2) الريال الحسني :

قرر السلطان مولاي الحسن 1878 ـ 1894) القيام بإصلاح نقدي يقوم أساساً بضرب السكة المغربية بأوروبا فور الانتهاء من مؤتمر مدريد 1880، بدلاً من السكة التي كانت تضرب بدور السكة المغربية في مدن فاس ومراكش ومكناس وتطوان.

وقد اجرى عدة استشارات ـ كعادته ـ شارك فيها الامناء والتجار والفقهاء والقضاة، وغيرهم من موظفي المخزن. كما فتح مشاورات مع سفراء بعض الدول وقناصلها خاصة مع الدولتين الفرنسية والانجليزية بواسطة الأمين الرندي الرباطي والنائب السلطاني بطنجة محمد بركاش وأسفرت المشاورات على اختيار الدولة الفرنسية لضرب السكة بباريس بمقتضى عقد "كنطردة ضرب السكة" التي حددت شروط عمليات الضرب مما له علاقة باجرة الضرب وعمليات نقل المعادن من المغرب إلى باريس ونقل السكة إلى المغرب. وقد حدد مواصفات السكة وأشكالها وأعدادها وأوزانها. وقد ضربت السكة على أساس الريال الحسني. وفيما يلي جدول بمواصفات الريال وأجزائه الخمسة وعيار كل قطعة بما فيها من خالص الفضة بالنسبة الألفية :

القطعة	وزنها بالدرهم	وزنها بالگرام	عيارها
الريال	10 دراهم	29.116 غ	‰900
نصف الريال	5 دراهم	14.558	‰835
ربع الريال	2.5 درهم	7.279	‰835
عشر الريال	1 درهم	2.911	‰835
1/20 ريال	نصف درهم	1.455	‰835

وكانت عملية الضرب بأوروبا عملية عسيرة لاقى فيها المخزن عسراً تجلى في الخروقات والتجاوزات التي يمارسها أصحاب دور السكة بأوروبا بناء على عدم توفر الأطر الخبيرة المخزنية لضبط شروط الكنطردات ومتابعة تطبيقها سواء على المستوى التقني والقانوني. ولذلك وقع تصعيد نفقات الضرب بما يؤدي عنها في الحراسة والتأمينات والعمولات "الكوميسيون" وفوائد المماطلة "الانطرس" وغيرها. وقد وجد المخزن نفسه مضطراً للسير في عمليات الضرب بدون توقف رغم ما يتكبده من خسائر واضحة أحياناً وخفية أخرى في مجال الاصلاح النقدي الحسني (انظر مسألة النقود، 243 ـ 244).



ريال فرنسي XII و XIII

3) الريال العزيزي :

استمر السلطان مولاي عبد العزيز (1894 ـ 1908) في نفس الاتجاه وبنفس الوسائل في عمليات ضرب الريال

وأجزائه وإذا كان والده قد اقتصر على ضرب السكة بباريز فقد عدد السلطان مولاي عبد العزيز دور الضرب في باريس برلين وفي لندن وبرمنكهام. وكان قد اقتصر على نموذج الريال الحسني خلال السنوات الأولى الثلاث، ويعد ذلك وضع نموذجين لضرب النقود العزيزية.

استمرت عمليات ضرب السكة في العهد العزيزي بدون توقف في عدد من دبار السكة في كل من ألمانيا وفرنسا وانجلترا لمدة اثنتي عشرة سنة حصلت من ذلك سيولة نقدية تجاوزت حاجيات البلاد إذ بلغت الكميات النقدية 65 مليون بسيطة حسنية سنة 1903 وحصل بذلك تضخم جعل الدولة في سنة 1904 عاجزة عن متابعة عمليات الضرب من جراء هذا التأزم ومن وضعية الصرف وعلاقة الريال المغربي بالريال الأجنبي وخاصة مع الإسباني، وقرار السلطان تحويل السكة المغربية من نظام المثقال السداسي إلى النظام اللاتني العشري لمسايرة الريال الإسباني والفرنسي لكن الأهالي لم يستطيعوا تكييف نظام الصرف مع نظامهم القديم فوقع اضطراب في الأسواق فاضطر السلطان إلى إلغاء النظام العشري والعودة إلى نظام المثقال لكن آثار التدخل الأجنبي غالب في مجال الصرف. فقد بلغت خسارة الريال العزيز بالقياس إلى العملة الإسبانية التي ترتبط بها 25 في المائة سنة 1897 وبلغت 37 (في المائة) 1902، - Sidbon, p. 25 (26 ؛ *مسألة النقود*، ص. 251).

وقد عكست وضعية الريال كل الأحداث التي عاشها المخزن في هذه الظرفية.

5) الريال الحفيظي والريال اليوسفي :

حاول السلطان مولاي عبد الحفيظ 1908 .1912) أن يهتم بأمر السكة وإصدار عملة جديدة ولكن الأحداث داهمته فلم يستطع ضرب ريال خاص ونصفه وربعه إلا سنة 1911 حين اكتفى بترويج الرصيد العزيزي من مختلف القطع الفضية حتى وقع الاحتلال سنة 1912 فقام السلطان مولاي يوسف. بضرب الريال وأجزائه سنة 1912 كما ضرب الريال ونصف الريال سنة 1918 حسب القطع النقدية المتوفرة غير أنه نتيجة التحولات التي عرفها المغرب خلال عهد الحماية فقد قرر الفرنسيون إلغاء النقود الفضية المغربية تماماً سنة 1920 وإحلال الفرنك الفرنسي من العملة الورقية والمعدنية محلها. ومع الغاء الريال من التداول فان المغاربة احتفظوا بكلمة الريال وأطلقوها على قطعة 5 سنتيمات إلى اليوم.

ونظراً لأن مجموع الريالات المغربية وأجزائها المضروبة بأوروبا من العهد الحسني والعزيز والحفيظي واليوسفي تم تحديدها إذ بلغت 84 قطعة في نماذجها وتم تحديد السنوات التي ضربت فيها، فقد سجلناها كاملة في الجدول الآتي :

جدول الريال وأجزائه المضرب بأوربا
ما بين سنوات (1299 ـ 1336) / (1881 ـ 1918)

المسكوك	ضرب بـ :	سنة هجرية	سنة ميلادية
الحسن الكيفية	باريس	1299	1881
-	-	1309	1891
-	-	1310	1892
-	-	1311	1893
-	-	1312	1894
-	-	1313	1895
الراجع العزيز	برلين	1313	96 .95
الحسن الكيفية	باريس	1314	1896
الراجع العزيز	-	1314	1896
-	برلين	1315	1897
-	باريس	1315	1897
-	-	1316	1898
-	-	1317	1899
-	-	1318	1900
-	برلين	1318	1900
-	باريس	1319	1901
العزيز الكيفية	إنكلند	1320	1902
-	برلين	1320	1902
-	باريس	1320	1902
-	-	1321	03 .02
-	إنكلند	1321	1902
-	برلين	1321	1902
-	باريس	1322	1903
-	-	1323	1903
الحفيظي	-	1329	1911
اليوسفي	-	1331	1912
-	-	1336	1918

المسكوك	عدد القطع					مجموع القطع
	1 ريال	1/2 ريال	1/4 ريال	1/10 ريال	1/20 ريال	
الحسن الكيفية	1	7	7	7	7	29
الراجع الكيفية	1	8	8	6	7	30
العزيز الكيفية	2	6	6	2	3	19
الحفيظي	1	1	1	0	0	3
اليوسفي	2	2	1	1	0	6
مجموع القطع :	7	24	23	16	17	87

ع. أنا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، ص. 46، 134، 143، 221، 255؛ *وضعية النقود المغربية بين دور السكة بالمغرب ودور السكة بأوربا في القرن 19 م*. الجامعة الصيفية، المحمدية. مطبعة فضالة، 1987، ج. 2، ص 157 ؛ أحمد الحسني، *بهجه الشتاق في بيان حكم الأوراق*. مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، 1911. ص 145 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 9، ص. 64 ؛ عبد الغني الدالي. *محاضرات في النقود والبنوك*، كلية الحقوق، الرباط، 1972. ص 39 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج 2، ص. 451 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، ج. 1، ص. 276.

R. Le Toureau, *Fès avant le protectorat*. 1949, Casa. p. 285 ; B. Sidbon, *La question monétaire au Maroc*, Paris, 1912 p. 25 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Paris, 1962, T. 3, p. 98 - 99 ; R.S. Yeoman, *A catalog of modern world coin (1850 - 1960)*, U.S.A. 1972, p. 175 - 438 ; D.J. Galtier, *Monnaie et économie dans l'Espagne du Nord et du centre*, H.T., 1962, vol. 3, p. 73 ; B. Michaux, *L'organisation des finances au Maroc*, A. M. 1907, vol. II, p. 219.

عمر أفا

ريبيرا إيطاراگو خوليان Ribera y Tarragó, Julian، مستشرق إسباني. ولد في كركخينطي قرب بلنسية في 19 فبراير 1858. درس القانون في جامعة بلنسية، ثم انتقل إلى مدريد حيث حصل على الدكتوراه في الفلسفة والأدب، وقد أقبل على دراسة اللغة العربية، فلما بلغ الثامنة والعشرين من عمره عين أستاذا لها بجامعة سرقسطة. ثم تقلد تدريس الأدب العربي الإسباني بعد حصوله على الدكتوراه في موضوع "الحضارة المغربية اليبرونية".

له مؤلفات متعددة تتعلق في مجملها بدور الثقافة العربية وأثرها في تكوين الثقافة الأوربية عموما والإسبانية خصوصا. وتتركز أغلب هذه المؤلفات على موضوع الموسيقى العربية بالأندلس ووجوه تأثيرها في الأساليب والأنماط الفنانية بإسبانية. ومنها :

- *الموسيقى الأندلسية في القرون الوسطى في أغاني التروبادور*. وهو كتاب يحوي 356 عملا موسيقيا منسقا لآلة البيانو (arrangement pour piano) نقلها من مخطوطات وسيطة (1923 - 1925).

- *الموسيقى العربية الوسيطة وأثرها في الموسيقى الإسبانية* (1927).

- *كتاب الأغاني لابن قزمان* (1910).

وفي هذا الموضوع - أيضا - ألقى في بحر سنة 1912 محاضرة بالأكاديمية الإسبانية تحت عنوان "الأشعار الغنائية لابن قزمان والثقافة العربية الإسبانية"، إضافة إلى كتب ودراسات أخرى تشيد في مجملها بالثقافة العربية في إسبانيا المسلمة وتعرف بأعلامها ومؤسساتها التعلمية.

ولعنايته الكبرى بإبراز أثر الموسيقى العربية في الثقافة الإسبانية فقد نعت بأنه كان مشهورا بنظرياته المبالغة حول تأثير الموسيقى العربية في الأساليب الفنانية الإسبانية الأوربية.

توفي ريبيرا بمسقط رأسه عام 1934 عن عمر يناهز ستا وسبعين سنة.

Mariano Perez, *Diccionario de la Música y Los Musicos*. Madrid 88. Vol. 2, p. 348 ; Vol. 3, p. 102.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الريحان في المغرب العربي هو الآس في المشرق العربي حيث يستعمل لفظ الريحان كذلك لما نسميه بالمغرب الحبق (انظر مادة "حبق"). ونظرا للرائحة العطرة التي تفوح من هذا النبات فقد استعمل هذا اللفظ لتسمية البنات : ريحانة، آسية.

الاسم العلمي لنبات الريحان هو ميرتوس كوموميس Myrtus communis. والنبات هو الجنس الطبيعي الذي يمثل فصيلة الآسيات Myrtaceae بالمنطقة المتوسطية علما بأن هذه الفصيلة تشمل الأوكاليبتوس (انظر أوكاليبتوس) وأجناسا عديدة أخرى يعيش أغلبها بأستراليا.



الريحان

الريحان هو النوع الطبيعي الوحيد الذي يمثل جنس ميرتوس. إنه نبات جنبي أو شجيري لا يتعدى 3 م من الارتفاع، ذو أغصان متقابلة. أوراقه دائمة الاخضرار متقابلة، بيضوية أو رمحية الشكل، طولها يتراوح ما بين 1 و3 سم، وعرضها يبلغ 1.5 سم، علما، صلبة ولامعة. أزهاره إبطية، معنقة، ذات لون أبيض، يفوح منها عطر زكي. ثماره عنبية، بيضوية أو كروية الشكل، لحمية، ذات لون أزرق يميل إلى السواد، وذات مذاق لذيذ بالنسبة للإنسان.

ينحصر التوزيع البيوجغرافي للريحان بالمغرب، على المنطقة الشمالية حيث يكثر في الريف وخاصة الجهة الغربية وشبه الجزيرة الطنجوية، وبناحية تازة، وبالهضبة الوسطى والمعمورة ومنطقة بنسليمان. وفي كل هذه المناطق يقطن الريحان في غابات البلوط على أتربة حمضية وفي بيومناخات جد رطبة ورطبة وشبه رطبة وشبه جافة، ذات شتاء دافئ أو معتدل، أي في الطابق المتوسطي الداني.

لأوراق الريحان استعمالات كثيرة جداً. فبالإضافة إلى

استخدام النبات للزينة في الحدائق أو لاستخراج العطر بواسطة عملية التقطير، تستعمل الأوراق لعدة أغراض في التطبيب التقليدي كعلاج أمراض الجهازين التنفسي والغذائي، وأمراض العيون. كما تدخل في تحضيرات تخص التجميل لفائدة النساء، كخلطها مع الحناء (انظر حناء) أو الغاسول لتلوين الشعر باللون الأسود أو لتنظيفه.

من الاستعمالات الأخرى استخدام الأوراق في عملية غَسل الميت، أو وضعها معه في قبره قبل أن يغمر بالتراب. كما توضع أغصان النبات على القبور في ليلة القدر.

أبحاث شخصية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 1999, 370 p. : J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle*. 1997, 764 p. : L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Métro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*. Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

ريحان الأسود، من الزهاد المتصوفة السبتيين المشهورين، لا نعرف عنه أي شيء سوى ما ذكره ابن القاسم الأنصاري من أنه مشهور الكرامات والمكاشفات وأن قبره الكائن في مقبرة المنارة من سبتة مزار مشهور يتبرك به (*اختصار*، 15) ورد ذكره أيضاً عند ابن الزيات التادلي (*التشوف*، 138).

يبدو أن ريحان الأسود كان زنجي الأصل كما يدل على ذلك اسمه. كما أن اسم ريحان الذي عرف به لا يطلق في الواقع إلا على صنف العبيد من الناس شأنه شأن مرجان ولؤلؤة وغيرها. لذا قد يعتبر هذا دليلا آخر على أن سبتة عرفت هي الأخرى تجارة العبيد في عصورها الإسلامية المتوسطة، سيما وأن زراعة قصب السكر التي كانت منتشرة في ضواحيها في بليونش وخصوصا في متنان كانت تتطلب يدا عاملة كثيرة (*Ceuta*, 165, 327). فريحان الأسود هذا قد لا يعدو أن يكون أحد مخلفات تجارة الرقيق التي كانت سبتة تشكل إحدى محطاتها أو على الأقل معبرا رئيسيا لهذه البضاعة في طريقها إلى أوربا. وما الموضع المسمى بأحجار السودان من سبتة سوى المكان الذي كانت تتم فيه هذه التجارة أو على الأقل المسلك الذي كانت تعبر منه إلى الضفة الأخرى من البحر المتوسط (*معلمة*، 145).

التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 ؛ ابن القاسم الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1403 /1983، ط. 2 ؛ *معلمة المغرب*، مطابع سلا، 1410 /1989، المجلد الأول.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles : essai de reconstitution de la civilisation musulmane*, Thèse de 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987.

زليخة بنرمضان

الريحيّة حذاء نسويّ كان المغاربة ومازالوا بنسب ضئيلة تقل أكثر فأكثر مع مرور الزمن ينتعلون أحذية خاصة بهم تدعى البلغة لا وجود لغيرها في البلاد على الاطلاق قبل مجيئ الاستعمار الأجنبي. ومن هذه الأحذية ما كان مخصصا للذكور وما كان مخصصا للاناث. وكانت الموجهة منها إلى الاناث تنقسم إلى ثلاثة أنواع هي الريحية والمشاية والشربيل، ولكل واحدة مما ذكر جودة معينة ووظيفة معلومة.

فأما الريحية فتحتل مرتبة وسطا من حيث الجودة. فهي أحسن من المشاية البسيطة الصنع والتي تلبس داخل البيوت للقيام بمختلف الأشغال اليومية لكنها أدنى مرتبة من الشربيل البلغة الزاهية المخصصة للأفراح والمناسبات والريحية في العادة تصنع من جلد الماعز الجيد ولونها السائد هو الأسود علما بأن بعض النساء، في فاس وتطوان والرباط وغيرها من الحواضر كانت تلبسها حمراء، أوبرتقالية أو باذنجانية أو خبازية أو زرقاء، مشربة بحمرة. يباشر إنتاجها حرفيون متخصصون يدعون "الروايحية" ويغيب فيها كل تنميق وتحذيق وكل شكل من أشكال الطرز والتوشية وإن وجد فيها تزيين فإنه يكون قليلا لا يثير الانتباه.

وتلبس الريحية أساساً خارج البيوت مطوية العقب دائما ومرفوعة الكعب أحياناً بهدف تغطية مؤخرة قدم الأنثى وإخفاء أي أثر لملامح رجلها. وقد صممت كذلك زيادة على لونها الأسود حتى لا تلفت نظر الذكور وتثير اهتمامهم كما يظهر جليا من مقدمتها الأمامية الواسعة والمستديرة التي لا تنحصر على الرِّجل ولا تحدِّد ملامحها. وقد كانت النساء السوسيات ومازلن يلبسنها من لون برتقالي أو أحمر تنمقه جدائل ذات ألوان زاهية على عكس ما هو متداول في الحواضر المغربية وتسمى محليا "الريحيت" بالتاء المبسوطة. ومازال هذا النوع منتشراً في أرجاء واسعة من مدن وبوادي سوس وحاحا والشياظمة وتخوم الأطلس الكبير والمناطق الممتدة على طول الدير المجاور له.

وكانت الريحيات تتخذ من ثلاثة مقاسات تحسب بعرض أصابع الصناع الحرفيين وهي من الأصغر إلى الأكبر بلغة الحرفيين : "السباعي" ثم "الثماني" و"التساعي" أي ما يبلغ طوله سبعة وثمانية وتسعة أصابع مع مراعاة هامش معين في اتجاه الزيادة أو النقصان وتجنب كل ريحية مقدودة (sur mesure) لأن المقاس الوسط هو المطلوب. لذلك كانت مقاسات الريحيات التي يصنعها الحرفيون إما "صافية" أو "ناقصة" أو "وافية". أما إذا تجاوزت المقاس الأكبر المحدد للإناث وهو "التساعي" فإنها تسمى "رجل الفصالة" وإذا نزلت عن الحد الأدنى وهو "السباعي" دعيت "رجل العويتقة" أي قدم الفتاة العازبة التي لم تبلغ بعد سن الرشد إشارة إلى صغر رجل المرأة، وفي كلتا الحالتين فإن هذين المقاسين يصعب وجودهما في السوق لخروجهما عن المعتاد السائد ولابد من الاتصال رأسا بالصانع الحرفي للحصول

عليهما تحت الطلب مما كان الناس عادة يسمونه "بغة بالوصية". لكن هذه القاسات الأخيرة كانت قليلة على العموم وكانت القاسات الثلاثة المذكورة سلفا هي السائدة.

هذا وكانت الربحيات المتداولة في المغرب من نوعين : النوع الأول "والربحية بالبنارة" (البنارة في اللسان الدارج تعني العرف الأحمر الموجود في قمة رأس الديك) وهي تحمل عرفا صغيراً من جلد مستدير يشبه عرف الديك بكون من نفس لونها ويقع إلى الداخل من وسط مدخل القدم. أما النوع الثاني فهو "الربحية بالبنارة والقبة" ولها نفس العرف لكنه يوجد خارج مدخل القدم فوق الرقعة وهو أكبر من الأول حجما ويختلف عنه بشكله الاهليلجي. أمّا مؤخرتها (طوقها بلغة الحرفيين) فهو أكثر ارتفاعا يشبه تقريباً مؤخرة الأحذية الحديثة العادية ويتوسطه لسان مستطيل يميل شكله إلى شكل قبة ومن هنا جاءت تسمية الربحية وهي أفضل من سابقتها من حيث الجودة والنعل والرقعة والاتقان. وهناك نوع من الربحيات كان سائداً في معظم الحواضر والبوادي لا يختلف إلا قليلا أو كثيراً عن الربحية بالبنارة لكنه لا يحمل أي تنميق بل يقتصر على الألوان.

أمين الريحاني، *المغرب الأقصى*، بيروت، 1975 ؛ حلمي محمد عنبر، *المغرب الأقصى كما رأيته*، القاهرة، د. ت ؛ علي أمهان، *انلغة*، معلمة المغرب، الجزء الرابع ؛ محمد الحلوي، *معجم الفصحى في العامية العربية*، الدار البيضاء، 1988 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، الجزء الثالث، الدار البيضاء، 1960 ؛ تحريات ميدانية في فاس، تطوان، الرباط، مراكش.

Henri Duquaire, *Découvrir l'âme du Maroc*, Paris, 1935 ; Jules Leclercq, *De Mogador à Biskra*, Paris, 1881 ; G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara*, Rabat, 1936 ; Jean Delorme, Les marocains, Paris, 1936 ; Marie Bugeja, *Le feu du Maroc*, Tanger, 1937 ; Francis Ambière, *Le Maroc*, *Monaco* ; R. Guyot [et al...], *Les cordonniers de Fès*, *Hesp.*, tome 23, 1936 ; R. Guyot, *Le commerce des babouches à Fès*, *B E M.*, tome 3, 1936 ; Louis Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat*, *Hesp.*, tome 33, 1946

محمد بوسلام

ريخطر Richter، أسرة ألمانية مشهورة كان لأفرادها وجود بالمغرب ابتداء من أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، وهم ثلاثة : گوسطاف Gustav وولداه هانس Hanz وماكس Max، وقد تحرف الوثائق المغربية هذا النسب إلى ريطر Ritter وتخلط بين هذا الأخير شريك هيرشة Hiersche التاجرين المقيمين بالدار البيضاء، وبين ريخطر لتقارب الكتابة والنطق فيهما :

ريخطر (گوسطاف) كان تاجرا مقيما بآسفي خاصة، وله علاقة بالبوادي المجاورة في الفلاحة وتربية المواشي. وريخطر (هانس) كان يمثل أباه في التجارة والفلاحة. بينما كان لريخطر (ماكس) شركة تجارية بمدينة فاس خاصة، فاتخذ فيها سماسرة لتجارته وشركاء، وخلطاء له لفلاحته وماشيته بالبوادي في شتى النواحي المغربية. وقد تولى في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) النيابة القنصلية عن بلاده بها، لكنه كان كثير الخلاف مع السلطات المحلية. كانت له معرفة باللغة العربية وبالعوائد المغربية. ولما صرح بأنه اعتنق الإسلام وصفته المصادر الفرنسية بالنفاق وبكونه عينا لبلاده. لكن السلطان قال في إحدى رسائله سنة 1324/ 1906 : إن ريخطر "رغب في دين الإسلام، وتنصل من دينه، فأنعمنا عليه بظهيرنا الشريف بتوقير وتوقير عزائبه وأصحابه".

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج. 3، ص. 1182 وج. 4، ص. 1442 ؛ ص. 2 من كناش *مكاتيب الطابع الشريف*، رقم 1695، خ. ع. بالرباط ؛ *الوثائق المغربية*

Roger Le Tourneau, *Fès avant le Protectorat*, p. 161 ; Pierre Guillen, *L'Allemagne et le Maroc*, p. 441.

ريدجوي (J. West Ridegeway)، أنجليزي كان سفيراً لبلاده بطنجة طيلة ستة أشهر (يناير - يوليوز 1893)، وكان "مبعوثا خاصا في مهمة مؤقتة" وهي أن يربط من جديد مع الحكومة المغربية العلاقات الودية التي كانت من قبل قائمة مع المملكة المتحدة. كان أول أمره ضابطا بالجيش البريطاني من سنة 1860 إلى سنة 1889، وأسندت إليه كتابة الدولة في شؤون إيرلاندا، وكان يحظى بعطف ملكي خاص فأنعم عليه باللقب الشرفي المعروف "السير" وعين عضوا في مجلس الملكة الخصوصي.

وخلال المدة القصيرة التي قضاها بالمغرب نجح في إزاحة السحب التي كانت تخيم على العلاقات بين البلدين، بعد أن أفسدتها تصرفات سلفه تشارليز إيوان - سميت Ch. Euan - Smith فأدخل بها توتراً كبيراً بينه وبين السلطات المخزنية بتنطعاته وكبريائه. فقد نصب سنة 1892 عنوة بفاس التاجر الإيقوسي ج. ماك آيفر ماك ليود J. Mac Yver Mac Lead بوصفه نائبا قنصليا، وتجرأ على رفع علم بلاده على الدار التي كان يسكنها دون إذن من المخزن، فوقع بها اضطرابات "نهال المخزن والناسَ الأمرُ، حتى ماج بعضهم في بعض، وما سكّناهم إلا بمشقة. وتأخرت الصلاة" (صلاة الجمعة) "عن موعدها" حسب رسالة سلطانية إلى الطريس.

أدى ريدجوي مهمته على أحسن وجه، وتبادل الهدايا والتحف مع الشخصيات الرسمية، وأهدى مرآة للحاج محمد بن العربي الطريس النائب السلطاني بطنجة مع رسالة التوديع في منتصف سنة 1893، تاركا لخلفه إيرنيست ساطاو E. Satow الطريق ممهدة.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج. 2، ص. 502 وج. 3، ص. 1156 و1175 ؛ *الوثائق الملكية* ؛ وثائق مكتبة تطوان.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, tome I, p. 103 et tome IV, p. 277 - 279.

مصطفى بوشعراء

ريد ليويس ويليام W. Reed Lewis، أميركي كان قنصلا عاماً للولايات المتحدة بطنجة من بداية سنة 1887 إلى نهاية سنة 1889. وقد ولي هذا المنصب خلفاً للكولونيل فيليكس أ. ماثيوز Felix A. Mathews الذي كان يمثل بلاده بالمغرب سنوات عديدة فعزل عن منصبه لشططه وسوء تصرفه، وعين بدله ريدليويس هذا.

من مواليد مدينة فيلاديفيا بشرق الولايات المتحدة سنة 1860، وعين في هاته المهمة بالمغرب وهو ابن ثمان وعشرين سنة، فكان قليل الدراية والمعرفة بالعوائد والأعراف المغربية. غير أن سيرته كانت قبيحة مع السلطات، وكان يتاجر في بطائق الحماية ويوليها لمن شاء من المغاربة بحيث كان يسلم بطائق بيضاء، موقعة من لدنه ولا سيما لترجمانه ابن زرقين.

وقد تعرضت الوثائق فصورت سلوكه. ففي سنة 1305 / 1888 كتب مولاي الحسن إلى الطريس قائلا :

"وصل كتابك شارحا فيه ما هو عليه نائب المركان من خرق القوانين والشروط، وذكرت أنه إن اقتضى نظرنا الشريف جعل الحجج عليه بما يصدر منه من ذلك ويقبح سيرته، وإنهاء ذلك لدولته أو تقريره بجمع مدريد فعلت، وصار بالبال. فنعم، اجعلها عليه بذلك وأنهها لدولته..."

كانت له نزاعات مع السلطات، وهي ترجع بالأساس إلى الشطط في استعمال حق الحماية من جهة أولاً وإلى قضية مال الفابور Favor التي حدثت له مع وزير الخارجية محمد المفضل غريط من جهة ثانية وإلى شجاره مع سلطات المرسى في حيازة السلاح من جهة أخيرة.

1 - التهديد والشطط : كان ريد ليويس قد وجه سنة 1305 /1888 إلى المخزن لوائح المحميين فرفع عددهم إلى أربعة وخمسين لكن دون أن يبين مواجب حمايته إياهم. فردت النيابة السلطانية بطنجة إليه تلك الوثيقة، فأعادها إليها كما هي، فرفضتها وأرجعتها مرة أخرى إليه. وهنا أضاف إليها ستة أشخاص وبعث بها محتوية على ستين محميا زاعما أنهم "دخلوا في حمايته حديثا".

ولكن تهديده باستجلاب القوة البحرية وتلويحه بقطع العلاقات لم يكونا ليرهبا المخزن، وكل ما آلتا إليه أنهما جعلتاه مسخرة أمام السلك الديلوماسي.

وعن ترسية المركب الأمريكي قالت الوثائق المغربية : إن السفينة الحربية وردت لمرسى طنجة، وأقامت بها ثلاثة أيام، وأظهرت علامة "العيب" بعدم تسليمها على البلاد على العادة، وبطلوع البنديرة بسنجقها سوداء".

رأى المخزن في "العيب" دليلا على توتر العلاقات فأمر السلطان العمال والأمناء بالحذر من توجهها لمرسى العدوتين والدار البيضاء والجديدة، ومع ذلك جنح المخزن للتفاوض مع القنصل العام بعد أن تمكن الخلاف في مسألة المحميين الستين وفي قضايا ثلاثة محميين آخرين.

2 - قضية مال الفابور : أغرب في أمر ليويس أنه كان يريد أن تفصل دعاويه هو ومطالبه الشخصية قبل أن تحل قضايا بلاده ومشاكل مواطنيه القليلين المعدودين على رؤوس الأصابع. كان طلب مشافهة فقط أن تدفع 200 ألف ريال وضمنها على وجه الاحتمال عمولته. ثم إنه أراد بعد ذلك أن يقبض من يد وزير الخارجية محمد المفضل غريط المكناسي مبلغ 15 ألف ريال لقاء غضه الطرف عن المطالب والدعاوي القائمة بينه وبين المواطنين المغاربة.

سميت هاته القضية مال الفابور وهي كلمة إسبانية من أصل لاتيني Favor تعني الإحسان أو الإنعام.

عن الاتهامات الملصقة بها جاء إلى المغرب محققون أمريكيون، وكان معهم ابن زرقين أحد تراجمة القنصلية العامة. كان المخزن يعلم - وغريط أيضا - "أن لا غرض لهم في البحث عن حال المذكور، وإنما الغرض عندهم "الطمع" واقتراح الأمور الخارقة حسبما ورد في رسالة غريط المؤرخة في 22 رجب 1305 /4 أبريل 1888 والمتعلقة بخبر مجيء سطوربيل بعد ذلك بنحو ثلاثة أسابيع.

وقد زكمت الأنوف بأفعال ليويس في المغرب وأمريكا وحتى في فرنسا حيث اعترف السفير الأمريكي بباريس بأن القنصل العام "رجل ظالم" حسبما ورد في رسالة العربي أبارودي إلى غريط في4 شوال / 14 يونيو.

3 - حيازة السلاح قسراً : تورط فيها القنصل الأمريكي سنة 1307 / 1889 عند ما أرسل أحد الأمريكيين لحيازة صندوق فيه 10 مكاحل و6 كوابيس، مشهراً بيده بطاقة الحيازة المضاة من لدن القنصل العام. وكان طبيعياً أن يمنع أمناء طنجة الثلاثة هذا الشخص من أخذ الصندوق، ولكنهم أخذوا الوثيقة وعرضوها على الطريس.

وفي الوقت نفسه بلغ إلى علم ريدليويس هذا المنع، فاستشاط غضباً وذهب بنفسه إلى المرسى لحيازة السلاح قسراً مخالفاً بذلك القوانين الجمركية والدولية على ما تفيده رسالتا الأمناء في 18 و23 ربيع الثاني1307 / 12 و17 دجنبر 1889.

كانت هاته الغلطة مما استغله الحاج محمد الطريس الذي كان يعرفه حق المعرفة ويصفه بالمتهور الطائش فأعلم المخزن بالحادثة ثم أبرق إلى وزير خارجية أمريكا مسترعياً على افتيات قنصلها العام وسوء سيرته مع المخزن وطالبا إقالته وإرجاعه إلى بلاده. وبعد مدة قصيرة نشرت الصحف نبأ عزله نهائياً في الشهور الأولى من سنة 1890.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج. 2، ص. 473 إلى 479 وج. 3، ص. 985 إلى 987 وص. 1153 ; *الوثائق الملكية* ; *وثائق مكتبة تطوان : وثائق أمريكية*.

J.-L. Miège. *Le Maroc et l'Europe*, Tome IV, p. 356 ; J. Caillé, *La petite histoire du Maroc*, troisième série, p. 53 ; M'hammed Benaboud, *Problems of American Protection in Morocco*, p. 79 - 93 in *The Atlantic Connection 200 years of Moroccan - American Relations : 1786 - 1986*. Edited by Jerome Brookin - Weiner and Mohamed El Mansour, 1990.

ريدمان (Redman)، أسرة إنجليزية أو طارقية تنجلزت وهي من اللواتي قدمت إلى المغرب من جبل طارق في الثلث الأول من القرن الثالث عشر (19 م)، فاستوطنت مختلف المدن الشاطئية للتجارة والمعاملات الاقتصادية. إلا أن آل ريدمان كانوا يسكنون بالجديدة فقط أزيد من 70 سنة، وهي تتألف من أربعة إخوة : أكبرهم جون يليه ألفريد (أو فريدو) وكليمنت. أما فريديك فلم أقف إلا على اسمه. وزيادة على التجارة كان الثلاثة الأولون يتولون الشؤون القنصلية بالجديدة سواء لبلدهم الأصلي أو لغيرهم من الدول الأخرى.

ريدمان، ألفريد (Redman Alafred) ولي النيابة عن بلده وعن بعض الدول مثل هولاندا وبلجيكا وألمانيا والولايات المتحدة منذ سنة 1864 إلى وفاته سنة 1896 اتخذ سماسرة لتجارته بدكالة والجديدة.

ريدمان، جون (Redman John) هو أكبر إخوته وصل إلى المغرب سنة 1826 أو 1830، وصار يتعاطى مع أخيه ألفريد التجارة بالجديدة واتخذ شركاء وسماسرة، ومثل بلاده ثم هولاندا حتى عجز أو توفي سنة 1864 أو قبلها.

ريدمان، كليمنت (Redman Clement) اشتغل بالتجارة بعاصمة دكالة وتولى سنة 1865 أو قبلها النيابة القنصلية عن فرنسا.

ريدمان، فريدريك (Redman Frederic) كان بلا شك يتعاطى التجارة.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج 3 صفحات مختلفة ولا سيما، ص. 992 : *الوثائق الملكية* : *وثائق مكتبة تطوان* : *وثائق برگاش*، خ ع بالرباط.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, tome I, p. 158, tome II, p. 186, 490, 800, tome III, p. 159, tome IV, p. 89.

مصطفى بوشعراء

ريزيندي غارسيا Garcia Resende، من مؤرخي البرتغال خلال القرن السادس عشر (10 هـ) ترك *حوليات* موازية لما قدمه روي دي بينا آتي الترجمة خصها لتاريخ جواو الثاني، يعود تأليفها إلى سنة 1533 وتم طبعها أولا سنة 1545 بعنوان : *Cronica de D. Joao II e Miscelanea* ثم أعيد طبعها بلشبونة سنة 1978.

تتضمن *الحوليات* لقطات عن تاريخ المغرب عامة والثغور المحتلة خاصة إبان الغزو البرتغالي. غير أنه يصعب في كثير من الأحيان التمييز ما للإخباري روي دي بينا وما لمثيله ريزيندي بسبب التشابه الموجود بين نصوص المؤلفين في موضوعات الفصول وترتيبها إلى درجة التطابق.

فمن *حوليات غارسيا ريزيندي* يمكن الاطلاع على تاريخ احتلال مدينة أصيلا وأسر قائد القصر الكبير طلحة العروسي وحاكم الشاون علي بن راشد وافتدائهما، وكذا ما يتعلق بمسألة حصن جزيرة اللكوس البرتغالي وغارات سبتة على ترغة وعلى سوق خميس أنجرة.

حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبري بالثغور الشمالية الغربية*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Garcia Resende, *Cronica de D. Joao II e Miscelanea*.

حسن الفگيگي

الريس، مبارك بن المختار. مقاوم ولد سنة 1920 بمدينة أسفي. ولما اشتعلت شرارة الكفاح المسلح ضد الاستعمار الغاشم، انضم إلى العمل السري سنة 1953.

قام بعمليات فدائية وحده، دون تشكيلة، وترأس المظاهرات الصاخبة بمناسبة 20 غشت لسنتي 54 و55. وبينما كان يقوم بواجبه النضالي خلال مظاهرة 20 غشت 1955، أصابته رصاصة الشرطة الاستعمارية الفرنسية. فسقط في ساحة الشرف بأسفي.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

ريسون (الجدة)، رفع ابن عسكر في *دوحة الناشر* نسبها إلى علال بن عبد السلام بن مشيش، واعتبرها البعض الآخر من بيت بني راشد العلميين أمراء شفشاون. وما يلفت الانتباه أن ريسون حملت في كتاب *الدوحة* لقب الست مما يدل على أنها كانت من علية نساء بلاد الهبط خلال القرن العاشر (16 م). كانت هذه المرأة حسب نفس المصدر من بين النساء اللواتي برزن في ميدان الصلاح، أخذت الطريقة الشاذلية الجزولية عن الشيخ عبد الله الغزواني. وهناك وجه آخر لشهرة الشريفة ريسون باعتبارها أم علمين بارزين في التصوف هما الشيخان عبد الرحمان وعلي ابنا عيسى، وأصل النسب الريسوني من الجدة، وأول من انتسب إليها ولدها علي ابن ريسون، فصار عقبه يعرفون بأبناء ريسون.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط، 1977، ص. 24و تح. م. حجي ؛ م. بن الصادق الريسوني، *فتح العليم الخبير*، مخطوط رقم 856، خ. ع. تطوان، ص. 79 .80 ؛ علي الريسوني، *مقدمة فتح التأييد*، لمحمد بن ريسون، تطوان،1985، ص. 3.

ابن **ريسون** أو الريسوني، أسرة علمية شريفة تنحدر من الجد الجامع للشرفاء العلميين يونس بن أبي بكر عم القطب عبد السلام بن مشيش، موطنها الأصلي قرية

تازروت بقبيلة بني عروس الواقعة على عتبة جبل العلم. ومنها انتقل الريسونيون إلى مختلف قبائل ومدن الشمال الغربي. كان تأسيس هذه الأسرة على يد الشيخ مولاي علي بن عيسى المتوفى 963/1556 أول من حمل كنية ابن ريسون نسبة إلى أمه ريسون. وهو أحد مشايخ الطريقة الشاذلية الجزولية الذين أنجبهم الشيخ عبد الله الغزواني. ظهرت هذه الأسرة بعد انقراض إمارة بني راشد بشفشاون على يد السلطان عبد الله الغالب سنة969/ 1562 بعد أن أسس الشيخ مولاي محمد بن علي ابن ريسون أول زاوية علمية بتازروت سنة 975 / 1568، ما لبثت أن تحولت إلى رباط جهاد ساهم في معركة وادي المخازن إلى جانب السلطان السعدي عبد الملك، وهذا ما جعل خلفه أحمد المنصو الذهبي يكافئ الشيخ بالإنعام على زاويته بالأرض التي جرت فوقها المعركة المعروفة بتامدا. كما أسدل عليه رداء الوقار والاحترام، مما عزز مكانة هذه الأسرة في المجتمع الجبلي. واتسع نفوذ الريسونيين بفعل الدعم المادي والمعنوي الذي تلقاه هؤلاء، من طرف سلاطين الدولة العلوية، ذلك أن السلطان المولى إسماعيل جدد لزاوية تازروت إقطاع المنفعة وأصدر ظهيرا نص على توقير واحترام الشرفاء الريسونيين، وعين الشريف محمد بن عبد الرحمن ابن ريسون نقيبا عليهم، وبذلك تخلصوا من الخضوع لسلطة أبناء عمهم العلميين بشفشاون. وتوطدت علاقة الريسونيين بالمخزن على عهد سيدي محمد بن عبد الله، الذي كان وراء نمو النشاط العلمي بالزاوية الريسونية حيث أوقف عليها مداخيل مينائي فضالة وطنجة وبنى بها دورا للطلبة والمدرسين. ويمكن اعتبار فترة حكم السلطان مولاي سليمان (1206 ـ 1226 / 1792 ـ 1811) من أهم أطوار حياة الأسرة الريسونية، إذ تزايدت مكانة الأسرة الريسونية في الحقل السياسي بشكل ملحوظ وأصبحت سندا قويا للسلطان. يتجلى هذا في الدور المنوط بالشريف محمد بن الصادق الريسوني أستاذ السلطان وابن عمه الشيخ علي بن ريسون، خلال فترة الصراع على السلطة بين مولاي سليمان ومولاي مسلمة واضطراب الوضع في الشمال الغربي، حيث توسط الشريفان بين مولاي سليمان وأخيه مولاي مسلمة الذي لجأ إلى حرم العلم، وبين المخزن والقبائل الجبلية المتمردة، ومثّلا فضلا عن ذلك، سندا قويا للسلطة المخزنية في محاربة الحركة الدرقاوية بتطوان. وبغض النظر عن الامتيازات المادية والمعنوية المحصل عليها في مقابل تلك الخدمات المذكورة حققت الزاوية الريسونية مكسبا آخر لا يقل أهمية، يتجلى في تعزيزها بفرع تطوان بأمر من مولاي سليمان المُقام بفندق لوقش المنعم به على الشيخ علي ابن ريسون. ومن تحولات هذه الفترة في حياة الأسرة الريسونية استقرار أعيانها بتطوان، وتبدل نمط عيشهم.

وتزايدت مكانة الأسرة الريسونية الاجتماعية والسياسية خلال القرن الثالث عشر (19 م)، بفعل الأدوار التي لعبها الشيخ عبد السلام ابن ريسون، الذي كان صاحب سلطة رمزية قوية وذا كلمة نافذة في المجتمع التطواني والقبلي على حد سواء، مما أهله للقيام بنجاح بدور الوساطة عدة مرات بين المخزن وقبائل الجبل كالأخماس وبني عروس وأنجرة على عهد السلطانين سيدي محمد ابن عبد الرحمان ومولاي الحسن. واستنادا إلى مكانته الاجتماعية ساهم الشيخ في الحفاظ على التوازنات داخل الوسط الحضري التطواني، وحماية تطوان من غارات القبائل الجبلية. ولا ريب أن حضور الشيخ في المدينة مثّل دعامة أساسية للمخزن وسلطة رمزية لا تعوض، ولعل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان أدرك جيدا الفراغ الذي تركه في تطوان بعد رحيله عنها واستقراره بتازروت بسبب سوء التفاهم الحاصل بينه وبين مولاي العباس إثر حرب تطوان، ولذا ألح عليه في العودة إليها. ويبدو أن أحداث أواخر هذا القرن ومطلع القرن الموالي وأزمة العلاقة بين الشريف مولاي أحمد الريسوني والمخزن بعد رحيل الشيخ المذكور نالت من مكانة الريسونيين الاجتماعية والسياسية.

الحسن بن ريسون، *فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد*، تطوان، 1985، تقديم وإخراج علي الغالي الريسوني ؛ *قطعة من الكناش الريسوني*، ضمن تأليف مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن، تطوان، 1989، ترجمها عن الإسبانية محمد بن عزوز حكيم ؛ محمد عمراني، *الشرفاء وقيادة الحركة الجهادية في جبال الهبط خلال حكم الوطاسيين والسعديين 1471 ـ 1578*، ضمن أعمال ندوة الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في الشمال الغربي المغربي، الرباط، 1995، ص. 21ـ35 ؛ *رسائل مخزنية*، نشر جلها علي الغالي الريسوني في كتاب *رجل ومواقف* دفاعا عن وحدة الأمة، 1982.

محمد عمراني

ابن **ريسون، إبراهيم** ولد بتازروت قبيلة بني عروس سنة 1140 (1728) وكان من علماء بني عروس فاختاره السلطان سيدي محمد بن عبد الله للوزارة، وقتل بقرية العماير من قبيلة الخلط عندما كان يحاول اخماد فتنة قامت بالقبيلة المذكورة سنة 1200 (1786).

علي الريسوني المحامي، *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975.

ابن **ريسون، أحمد** بن **الصادق** عالم جليل وُلد بمدينة شفشاون يوم 19 شوال 1319 (29 يناير 1902).

تعاطى للكتابة والتوثيق والأمانة والخطابة والتدريس والوعظ والإرشاد والافتاء له تآليف في الأنساب عنوانه *المنح القدسية في النسبة الريسونية الإدريسية* وآخر بعنوان *مدخل لتاريخ شفشاون*.

توفي يوم 22 ذي القعدة 1393 (18 ديسمبر 1973)

علي الريسوني المحامي، *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975.

ابن **ريسون، أحمد** بن **علي**، فقيه كان من بين أعيان تطاون الذين بايعوا الأمير سعيد بن مولاي اليزيد سلطاناً بتطاون يوم 12 جمادى الثانية 1236 (17 مارس 1821). وكان من بين أعضاء الوفد التطاوني الذي توجه إلى فاس في شهر جمادى الثانية 1238 (مارس 1823) لتهنئة السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام بولايته؛ والوفد الذي توجه إلى مراكش لتقديم "الهدية" للسلطان مولاي عبد الرحمن في عيد الأضحى لسنة 1242 (يوليوز 1827).

توفي بعد سنة 1243/1828.

م. ابن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطاون*، 2000.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **ريسون، أحمد** بن **علي** بن **التهامي** بن أبي بكر حفيد معركة وادي المخازن. وُلد بقبيلة بني سعيد الغمارية سنة1249 (1833) وتوفي بها سنة1310 (1893) وصفه أحمد الرهوني في عمدة الراوين بالرجال الصالح من الأولياء الواصلين ورجال الله الذاكرين.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاون*، مخطوط.

ابن **ريسون، الحسن** بن محمد (الحاج -). من علماء قبيلة بني سعيد الغمارية، عمل بجانب مولاي أحمد الريسوني في المقاومة المسلحة وكان عضوا في مجلس القيادة الثورية حيث شارك بهذه الصفة في مؤتمرات الثورة المنعقدة بعين الدالية بضواحي طنجة يوم 11 ماي 1913 وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة بقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915.

توفي بعد سنة 1333 / 1915.

م. ابن عزوز حكيم، *المقاومة المسلحة بشمال المغرب*، تطوان، 1984.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **ريسون، الحسن** بن **مَحمد** بن علي الحسني العلمي نزيل فاس يكنى أبا محمد الفقيه الحسيب النسيب الصوفي النسابة المطلع الخير الصالح ولد بتازروت مسقط رأس آبائه بقبيلة بني عروس سنة936 / 1529 وقرأ بها القرآن ومبادئ العلم ثم انتقل إلى تطوان وأخذ عن علمائها ومنها إلى فاس وتلقى عن علماء القرويين، ثم اتصل بالشيخ عبد الرحمن بن محمد **الفاسي** ولازمهُ وأخذ عنه مالا يحصى على حد تعبير الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في *أزدهار البستان* وأخذ العلم عن الترجم كثير من المريدين، وأثنى عليه كل من ترجم له، وكان له إسهام في التأليف فكتب *رسائل* في السيرة والفرائض والنسب، وكتاب *فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد*.

ومن آثاره أيضا *كناشة* مخطوطة لم نجد لها ذكراً عند أحد من الباحثين لسبب بسيط وهو وجود أصل المخطوطة في حوزة المؤرخ الإسباني طوماس گاثيا فيگيراس Tomas Garcia Figueras الذي استولى عليها عندما كان مراقبا بإدارة الحماية بقبيلة بني عروس سنة 1349 (1930) واحتفظ بها في خزانته بمدينة شريس الأندلسية إلى أن أعلن عن وجودها بعد استقلال المغرب واعتمد عليها في وضع كتابه الأخير الذي ألفه تحت عنوان *Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marrecos contemporanes* *مولاي أحمد الريسوني، شخصية بارزة في المغرب المعاصر*.

قال القادري في *النشر* كان للمترجم عقب بفاس مع أبناء عمه، ثم عرض لهم انتقال بعد أن باعوا دار سكناهم وهي المتصلة بمزارة مولانا إدريس بابُها بينها وبين السقاية الموجودة الآن، فانتقلوا لمحل سكناهم وسلفهم من جبل العلم وأحوازه ولم يبق أحد منهم الآن بفاس قاطنا إلا أنهم يردون عليها لأمور وأغراض في بعض الأحيان.

توفي المترجم له بفاس ضحوة الجمعة سادس وعشرى جمادى الأولى سنة 1055 / 20 يوليوز 1645 ودفن بالروضة المعروفة لهم بباب الفتوح بقرب مسجد الأندلس رحمه الله.

م. ابن الطيب القادري، *الإكليل والتاج*، ص.36، مخطوط ؛ *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 4: 1421 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، طبع حجر فاس 1300، 2: 7 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، الدار البيضاء، 1960، 1 : 236 ؛ ع. بن الغالي الريسوني، *مقدمة فتح التأييد*، طبع تطوان ؛ *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975.

محمد بوخبزة

ابن **ريسون، الطيب** بن مَحمد بن علي بن عيسى. ولد بتازروت سنة 948/1541 وهو فقيه مجاهد شارك في معركة وادي المخازن إلى جانب والده وعمه وسقط بها شهيداً يوم 30 جمادى الأولى 986 (4 غشت 1578).

ع. الريسوني المحامي، *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *معركة وادي المخازن*، تطوان، 1950.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **ريسون، عبد الرحمن** بن عيسى بن عبد الرحمن ابن الحسن حفيد المولى يونس الجد الجامع للاشراف العلميين. ولد عام 875/ 1970. وذكر ابن عسكر في *الدوحة* أنه من حفدة الشيخ عبد السلام ابن مشيش، وتعقبه القادري في *الإكليل والتاج* فقال : وغلط صاحب *الدوحة* فنسبه للقطب سيدنا عبد السلام، ونسبُهم لسيدي يونس كما ذكرنا لا يشك فيه واحد منهم ولا من غيرهم ممن له حاسة بالأنساب. عقب عليه الشيخ الرهوني في *عمدة الراوين* بأن السيدة (ريسون) من حفدة مولانا عبد السلام، فأولادها من حفدته بلاشك.

أخذ المترجم له عن الشيخ عبد الله الغزواني وهو عمدته في التصوف، وحلاه بعض مترجميه بالعلم ولم نقف على أثر لذلك، وإنما كان الغالب عليه النسب والانقطاع له والتبتل والزهد والتقشف، ولما كان بشفشاون عرض عليه أمراء بني راشد بناتهم للتزويج بلا تكليف فلم يقبل كما كان لا يقبل من أحد شيئا وياتيه الناس بالحوائج فيتركها بفناء بيته ولا يتعرض لإعطائها ولا حملها، وكان منطويا على نفسه مؤثراً للوحدة والعزلة في بيت مغلق عليه، فراشه قشور شجر البلوط، وظل على ذلك حتى مات ولم يشعر به أحد حتى تفقدوه في ليلة شاتية عاصفة وكسروا باب بيته فوجدوه ميتا. قال ابن عسكر : لقيته وأنا صغير فدعالي بخير وكان والدي من أصحابه.

توفي بتازروت ليلة الأربعاء 5 شعبان عام 954 / 1547 ولم يعقب لأنه لم يتزوج، ولابن ابن أخيه الحسن بن مَحمد كتاب في مناقبه يسمى : *التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد*.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1976 ؛ م. بن الطيب القادري، *الأكليل والتاج*، مخطوط ؛ ح. بن مَحمد بن ريسون، *فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد*، طبع تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، (ج 7)، مخطوط ؛ أ. بن الأمين الريسوني، *حقائق تاريخية عن زاوية تازروت*، طبع تطوان.

محمد بوخبزة

ابن **ريسون، عبد السلام** بن علي الحسني. ولد بتطوان ونشأ بها في بيت اشتهر بالجاه واليسر. وكان وجيها في الناس حتى لقب "السيد". كما كان على حظ من التصوف والصلاح، إلى جانب معرفته بالموسيقى الأندلسية وولوعه بممارسة مستعملاتها عزفاً وحفظاً وإنشاداً.

وقد التف الهواة حول ابن ريسون واتخذوا من بيته منتدى من منتديات الفن المرموقة بتطوان في وقت كانت فيه سوق الموسيقى الأندلسية بهذه المدينة نافقة واسعة النفاذ حتى شاعت ظاهرة مجالس الطرب الخاصة.

ولم تفتأ المجالس التي كان يحتضنها بيت ابن ريسون أن تحولت إلى حلقات منتظمة لتعليم الغناء والعزف، خرّجت نخبة من العازفين والمنشدين أمثال الفنان الحاج عبد الكريم بنونة الذي كان يتقن العزف على مختلف آلات الجوق الأندلسي إضافة إلى تفوقه في استخدام البيانو، والفنان السيد العربي الخمار عازف الكمنجة الشهير، وغيرهما من الهواة المتازين.

وينسب إلى "السيد" أنه اخترع آلات موسيقية عجيبة الصنع، من بينها "السلاكة" أو "محسن النغم". ولعلها أن تكون - هي نفسها - عوداً من وتر واحد في أعلاه صفر إذا نُقر فيه أبكى الحاضرين.

وقد توفي "السيد" ابن ريسون عام 1299 / 1881.

ابن حلكان، *وفيات الأعيان*، مطبعة بولاق، ج. 2، ص. 102 ؛ ع. العزيز بن عد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، *سلسلة عالم المعرفة*، الكويت، ع 65، 1983، ص.213 - 214 ؛ *مجلة تطوان*، السنة الثانية، العدد 5 و6 فبراير - مارس، 1975 ؛ إبراهيم التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقى*، خ. ع. د 109، ص. 100.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **ريسون، علي** بن **الصادق** من فقهاء قبيلة بني عروس انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها أحمد الريسوني ضد الغزو العسكري الإسباني لشمال المغرب، وبصفته عضواً في قيادة الثورة شارك في المؤتمرات المنعقدة بعين الدالية بضواحي طنجة يوم 11 ماي 1913 وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة وبقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915.

م. ابن عزوز حكيم، *المقاومة المسلحة في شمال المغرب*، تطوان، 1984.

ابن **ريسون، علي** بن **عيسى** بن عبد الرحمان بن الحسن بن موسى بن الحسن بن عبد الرحمن الشريف.

ولد بقبيلة بني عروس سنة 880 / 1475، وهو جد جميع الشرفاء الريسيين الذين كانوا يعرفون بأولاد الشريف، وهو أبو مَحمد ابن ريسون بطل معركة وادي المخازن.

ترجم له ابن عسكر في *دوحة الناشر* ووصفه بـ "سيد فاضل ماجد عابد صالح زاهد كريم الخلق سليم الصدر كثير التلاوة والذكر لا يفتر عن ذلك ساعة ما دامت حياته".

كما ترجم له حفيده الحسن بن مَحمد بن علي في كتابه *فتح التأييد* حيث قال إنه "كان من خيار أهل زمانه أخذ عن سيدي عبد الله الغزواني وانتفع به وكان له قدم راسخ في الدين والسنة شديد التحفظ والورع في مكسبه مجاب الدعوة محترفا بالتجارة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحض على الخير منقبضا عن الناس ويعلم الصبيان".

يقول المؤرخ الإسباني طوماس گارثيا فيگيراس Tomas Garcia Figueras في كتابه المخطوط *Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marrecos contemporanes* *(مولاي أحمد الريسوني شخصية بارزة في المغرب المعاصر)* إن المترجم له كان يشارك بجانب أمير شفشاون مولاي علي ابن راشد في بعض غزواته ضد البرتغاليين المحتلين لمدينتي أصيلا وطنجة. حيث شارك في الغزوة المنظمة ضد مدينة أصيلا سنة 909 / 1503 وسنة 914 / 1508 وضد مدينة طنجة سنة 915 (1509) وضد المدينتين سنة 917 / 1511 وقد سقط أسيراً أثناء الغزوة المنظمة ضد مدينة طنجة سنة 918 (1512) غير أنه استطاع الفرار.

توفي بها سنة 963/ 1556.

م. ابن عزوز حكيم، *ساحة رباط تازروت في معركة وادي المخازن*، الرباط، 1989 ؛ ع. الريسوني المعاصي، *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975.

Tomas Garcia Figueras, *Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marruecos contemporanes.*

محمد ابن عزوز حكيم

ابن ريسون، **علي بن مُحمد** بن علي الحسني العلمي الشيخ الشهير الصالح المتبرك به. ولد بقرية (تازروت) قرب جبل العلم بقبيلة بني عروس، وهي مقر أسلافه عام 1158، وبها نشأ، وشدا شيئا من العلم واستقدمه إلى تطوان المجذوب عبد الله الفخ البقال المتوفى عام 1207 وصاحب الزاوية المشهورة بساحة الفدان. لما أحس بدنو أجله. فتنسب واستوطنها وأقبل عليه أهلها فأحبوه وخدموه وتزوج من كرائمهم بنت راغون، وعلا صيته. وكثر مريدوه. فنظر إليه أمراء الوقت بعين الاعتبار وأدركوا من نفوذ كلمته. وبلغ أثره في الناس ما أوجب مشورته والأخذ برأيه. وثمة مراسلات بينه وبين السلطان مولاي سليمان وأخويه الطيب ومسلمة وغيرهم. واستوسط مولاي سلامة المترجم له وابن عمه محمد بن الصادق بعد فشل ثورته لدى مولاي سليمان ليسمح له بالرجوع إلى المغرب والإقامة بفاس. ومن مظاهر هذا الاعتبار أن السلطان مولاي سليمان اقطع المترجم فندق لرقش بالصياغين ليبني به زاويته القائمة به إلى الآن والدار الكبرى والروض المتصل بها بالباب السفلي قرب باب الجياف، وظلت الدار والروض بيد أحفاده إلى أن بيعت، وقد أدركت الدار على حالها والبيت الكبير وأمامه صهريج واسع محتب بورود وازهار وأنوار في منظر شاعري جذاب. وهناك كان رواد الموسيقى الأندلسية يجتمعون مساء كل جمعة للعزف والغناء واستمراراً لسنة المترجم له وولده الشيخ عبد السلام وكلاهما من العارفين بالموسيقى واستعمال آلاتها. وكانت أشعار المديح النبوي وخصوصاً البردة والهمزية للبوصيري تنشد بلحون الآلة بطريقة خاصة إلى جانب الطريقة الحراقية.

ولا نعرف للمترجم له نشاطاً علمياً ولا شيوخا وإن حلي بالعلم والمعرفة. وكان ما ذكر عنه من قبيل الكرامات والكشوف والخوارق جمعها السيد مُحمد غيلان التطواني في أوراق. ومع هذا فقد كان ضالعا في محنة الشيخ أحمد ابن عجيبة مع عامل تطوان حمان الصريدي التي سجن فيها الشيخ المذكور وأخوه الهاشمي وعدد كبير من مريديه لما دخلوا تطوان حاملين السُبح في أعناقهم رافعين أصواتهم بالذكر، فترك الناس أعمالهم وتبعوهم فانتهى بهم المطاف إلى السجن بأمر علماء البلد ومشايخها وعلى رأسهم المترجم له، وكان من المريدين الفقيه محمد المكودي التازي الذي ألف بعد خروجه من السجن كتابا في شرح هذه النازلة والرد على العلماء سماه *(الارشاد والتبيان. لما انكره الرؤساء من أهل تطوان)* وهو مخطوط لخصه الأستاذ داود في *تاريخ تطوان* ومن أثر ذلك أن المؤرخ النسابة الأديب سليمان الحوات لما بلغته محنة الشيخ ابن عجيبة هذه بعث بقصيدة لوم وعتاب إلى المترجم له وهو صديقه ومادح بيته وآله استهلها بقوله :

أبا حسن كن مثل والدك الذي   تغيب في سكر الشهود عن الحسن

وله ولغيره فيه أمداح وقصائد. وهكذا ظل الرحل يتردد بين مسقط رأسه (تازروت) وتطوان إلى أن وافته المنية يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة عام 1229 / 1813.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، (5 : 146)، مخطوط خاص : م. داود، *تاريخ تطوان*، (6 : 126)، طبع تطوان و (3 : 206) : ع. الرحمن بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس*، (4 : 182).

ابن ريسون، **محمد الصادق** بن المختار بن محمد بن العربي بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي مدين بن عيسى بن مُحمد بن علي الجد الجامع لآل ريسون الحسني العلمي. وما يرد في *إتحاف الطالع* من أنه الصادق بن محمد. سبق قلم. الشريف القاضي الوزير الفقيه المفتي المدرس الخطيب. ولد بمدينة شفشاون يوم 17 ربيع الثاني 1282 وحفظ القرآن بالقراءات السبع على السيد المهدي العافية وغيره، وطاف على علماء بلده وقبيلة الأخماس فأخذ عن أحمد بن الطيب العلمي وأحمد بن علوش وعبد الكريم بوجنة ومحمد بن عمران قاضي الأخماس، وأحمد حمدون، وفي عام 1302 انتقل إلى فاس فأخذ بالقرويين عن محمد بن التهامي الوزاني والمهدي الوزاني وأحمد بن الخياط وجعفر الكتاني وعبد الملك الفيلالي الضرير وعبد الرحمن بن القُرشي وأحمد ابن خالد الناصري والتهامي كنون، وعبد العزيز بناني. ثم رجع لمسقط رأسه عام 1306 وباشر الافتاء والتدريس والتوثيق إلى عام 1311 حيث عين قاضياً على الأخماس. وفي عام 1320 حل بشفشاون (بوحمارة) واتصل بالمترجم له واغراه أن يعينه وزيره على أن يساعده في ثورته فرفض وفي رمضان 1326 كتب بيعة السلطان عبد الحفيظ وفي عام 1328 عين قاضياً على القصر الكبير بظهير حفيظي وما ورد في الموسوعة من أن تعيينه قاضياً بالقصر كان عام 1333 فخطأ، وفي 1330 كتب بيعة أهل القصر للسلطان مولاي يوسف واستعفى من قضاء القصر بعد نحو عشر سنوات وانتقل إلى تطوان وعين مدرساً من الدرجة الأولى بقرار وزيري عام 1339 وفي نفس السنة عين عضواً بالجمعية العالمية للمآثر التاريخية، وفي عام 1342 عين وزيراً للمالية في الحكومة الخليفية وأعفي منها عام 1345 واقتصر على التدريس والافتاء والامامة والخطابة بجامع العيون من تطوان وفي أثناء ذلك

كان يفتي ويستشار في القضايا الكبرى يحضر بوزارة العدلية كل سبت لذلك. وفي عام 1372 عينه الخليفة مولاي الحسن بن المهدي عضواً بالمجلس الخليفي الخاص إلى آخر حياته. وله تقاييد منها موجز *تاريخ شفشاون* و*الدر المكنون في ترجمة الزعيم ابن ريسون* وقد طبعا وهما رسالتان ومجموعة خطب وفتاوي.



والرجل كان خفيف الروح ذا دعابة، عالي الهمة جرئياً لا يهاب أحداً حافظاً لكثير من المتون مطلعاً إلا أنه يعوزه الضبط والإتقان فمن ثم نفع له الأوهام والمبالغة، وقد جالسته وحضرت كثيراً من دروسه وسمعت من غرائبه. ومن مواقفه . وقد كان الواسطة بين الإسبانيين والشريف الريسوني . أن المتيم خردانة الإسباني نال من المجاهدين وهو يفاوضه فضرب المترجم له على مكتبة بيده محتجا فانكسرت الدواة. وكان هذا بمحضر القبطان بيكبيدير مساعده، فاستعفى من مهمته ورحل إلى ألمانيا. ولأجل هذه الحادثة مات خردانة غما وقيل إنه انتحر لفشله في مهمته في اخضاع الشريف الريسوني وحدثني قاضي بتطوان وشفشاون الحاج أحمد السمار أن المترجم له ترأس وفادة الأشراف للوساطة لدى السلطان عبد الحفيظ للإفراج عن الريسوني لما كان معتقلا بالصويرة. فكلمه بجرأة نادرة كلام الأقران والسلطان ينظر إليه متعجبا، ثم أفرج عن الشريف، ووقع بين المترجم له والصدر ابن عزوز جفاء، فرغب إليه الوزراء، أن يترضى الصدر فأبى وألحوا عليه فأجاب حيث لقيه في ملأ من الناس فخاطبه بلهجة مترفعة : يا ابن عزوز قالوا لي بأنك كنت مريضاً ما عندك بأس وانصرف. ومعلوم ما كان للمترجم له من أثر سياسي وتحرك وسعي دائم في أثناء ثورة ابن عمه مولاي أحمد الريسوني، كان من اثر فراقه له وقدومه إلى تطوان إلى ولي الوزارة وغيرها وسافر إلى إسبانيا وتجول في ربوعها.

وبعد عمر طويل توفي صبيحة 26 ربيع الثاني 1376 فاتح دجنبر 1956 ودفن بالزاوية العيساوية بتطوان.

ابن ريسون، م. الصادق نفسه. الدر المكنون في ترجمة الزعيم ابن ريسون. شفشاون، 1415 هـ : موجز تاريخ شفشاون. شفشاون، 1986 م : أ. الرهوني. *عمدة الراوين*. (5 :20)، مخطوط : ع. ابن سودة. *إتحاف المطالع*/ *موسوعة أعلام المغرب*. بيروت 1996، 9 ؛ 3320).

محمد بوخبزة

ابن ريسون، **محمد العربي** بن الحسن بن امحمد بطل معركة وادي المخازن.

فقيه وُلد بمدينة شفشاون سنة 1050 (1640) وتوفي بها سنة 1139 (1726) وهو الذي أسس الزاوية الريسونية بشفشاون.

ع. الريسوني الحاسي. *أبطال صنعوا التاريخ*. تطوان، 1975.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن ريسون، **محمد بن علي بن الحسين** بن علي ابن الحسين بن مُحمد فتحا ابن علي ابن ريسون الحسني العلمي الشريف الصالح المتبرك به، عاش ذا أحوال يعتريه الجذب فيغيب عن حسه ويغول في أثناء ذلك قصائد من الملحون في المديح النبوي ومدح الصالحين والتنويه بمقاماتهم يتخلل ذلك اطراء فيه غلو اشتهر كثير منها في حياته وما زال منها ما ينشد في زواياهم بتازروت وتطوان وشفشاون وغيرها فيما يسمونه الحضرة. وهذا السيد هو والد الشيخ علي صاحب الزاوية الشهيرة بتطوان والذي كان له ذكر في أحداث سياسية ونوازل اجتماعية كثيرة. ترجم له الشيخ التاودي في فهرسته واثنى عليه. وذكر أنه تلمذ على الشيخ عمر ابن عبود العمراني وقال : رأيته أول ما رأيته بسيدي أحمد الشاوي نفعنا الله به وأنا يومئذ صبي وهو قريب من البلوغ له شارب دقيق وليس على وجهه شعر وقد غطى رأسه بشاشية، والرجال دائرون به وهو يقول وهم يكتبون، ونحن نتعجب من ذلك ولا نفهم شيئا من ذلك وإنما عجبنا من تبعية القوم له وهم كبار وهو صغير، ثم ذهب من ثم إلى مولانا إدريس رضي الله عنه، وأقام الحضرة هنالك، فكنا نسمع أن الشريف سيدي محمد بن مولاي يحيى الإدريسي دخل عليه بقصد الإنكار عليه وإخراجه، فخرج هو من عقله وجعل يرقص ويلقي ثيابه إلى أن وقع به ما وقع به وجُعلت السلسلة في عنقه، ثم صبر به إلى السيد المذكور فسكن وبقي بداره لم يخرج إلى أن مات. واستمر الشيخ التاودي يتحدث عن كراماته وأحواله بما لا يخرج عن هذا مما يروج على المعتقدين دون تعقل ولا توقف، ويؤثر عنه حزب مازال يتلى في الزوايا الريسونية، وفيه كثير من الكلام الدارج. واشتهرت عنه قصيدة من الملحون يتغنى بها في الحضرة بلحون خاصة مطلعها :

ربي قراني ذا الكلام　　وافتح لي كل الحجاب

وولد المترجم له سنة ثلاث عشرة ومائة وألف عام الكسوف المشهور المؤرخ به، وتوفي يوم الاثنين حادي عشر جمدى الأولى عام 1189 / 10 يوليوز 1775 بعد أن مرض

تسعة أيام ومات في حالة جذب ودفن ببيته الذي كان يسد عليه حالة جذبه بايصاء منه، وبنيت عليه قبة ومسجد متصل به بقرية (تازروت) وصلى عليه الفقيه محمد بن الحسن الجنوي.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، (5 :39)، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع/موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، (7 : 2393) ؛ أ. بن الأمين الريسوني، *حقائق تاريخية عن زاوية تازروت*، الكتاب كله ؛ التاودي بن سودة، *فهرس*، مخطوط مصور.

ابن **ريسون، مَحمد** بن **علي** بن **عيسى** بن عبد الرحمن بن الحسن بن موسى بن الحسن بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبد الله بن يونس بن أبي بكر الجد المباشر للشيخ عبد السلام بن مشيش، ويونس هو الجد الجامع للأشراف العلميين بالمغرب وغيره. ولد في حدود العشرين من القرن التاسع (15 م) وقرأ القرآن على أبي القاسم الشريف إمام جامع تازروت ولازم أبا القاسم ابن حمو الفقيه الشهير ببني حسان، وانتقل لفاس ونزل بالمصباحية ورافق بها صاحبيْه في الطلب عبد الله بن طاهر العلوي ويوسف الفاسي ومكث بفاس ست سنوات أثنى عليه أبو حامد العربي الفاسي في(*مرآة المحاسن*) بالعلم والولاية وكثرة المريدين وعظم النفع وحسن الأخلاق وكرم العنصر والطباع. وقال : زرتُه بتازْرُوت (قرب جبل العَلَم بقبيلة بني عروس) مرات وانتفعت به كثيراً، وربما أفرد لي مجلساً من الظهر إلى المغرب أو إلى العشاء، وربما قرأت عليه شيئاً من كتب التصوف وبالجملة. فلقاؤه من المفاخر التي يتنافس فيها والحمد لله على ما من من ذلك.

رَحَل المترجم له إلى الشيخ عبد الله بن احْسَاين بتامصْلُحْت قرب مراكش وأخذ عنه ودعا له بخير وهو عمدته في التصوف وبه تخرج كما قال القادري في *(الدر السني)*.

ووالده علي نزيل تازروت وبها وُلد المترجم له كما سبق وبها توفي بعد أن أسس بها زاوية كانت محط الزائرين فزارها للقائه والأخذ عنه كثير من الأكابر كالعربي الفاسي وقد سبق كلامه وأبي العباس المقري وقد ذكره في *أزهار الرياض* وأخذ عنه صيغة صلاة نبوية لقنها في المنام بفاس. وأحمد بن سليمان الرسموكي وعبد الله الحجام وغيرهم من أهل العلم والتصوف.

وأكبر منقبة يذكر بها المترجم أنه شارك هو وأخوه أحمد وابنه الطيب وأتباعهم في معركة وادي المخازن قرب مدينة القصر الكبير التي اسفرت كما هو معلوم عن نصر مؤزر للمغرب، وقد أقطعه السلطان المنصور الذهبي جزاء له على ذلك أراضي فلاحية خصبة بالغربية مازالت بأيدي حفدته إلى الآن وبيدهم ظهائر الإقطاع والانتفاع.

توفي المترجم له ضحوة يوم الخميس 18 محرم عام 1018 في أبريل 1609.

م. بن الطيب القادري، *الإكليل والتاج*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني/موسوعة أعلام المغرب*، (3 :1172) ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، (5 :14)، مخطوط ؛ أ. الريسوني، *حقائق تاريخية عن زاوية تازروت وبعض صلحاء بني ريسون*، الكتاب كله، طبع تطوان.

محمد بوخبزة

ابن **ريسون، محمد الغالي** بن أبي مدين بن عيسى بن مَحمد بطل معركة وادي المخازن. ولد بتازروت بقبيلة بني عروس سنة 1120 / 1708 . وكان شيخ جماعة علماء قريته وقد ترجم له الشيخ التاودي ابن سودة في حاشيته.

ويقول المؤرخ الإسباني كارثيا فيگيراس Tomas Garcia Figueras في كتابه المخطوط *Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marrecos contemporanes (مولاي أحمد الريسوني شخصية بارزة في المغرب المعاصر)* أن المترجم له كان يقوم بمهمات خاصة بتكليف من السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

توفي بها سنة 1180 / 1767.

م. ابن عزوز حكيم، *مساهمة رباط تازروت في معركة واد المخازن*، الرباط، 1989 ؛ ع. الريسوني الحامي، *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975.

Tomas Garcia Figueras, *Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marrecos contemporanes.*

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **ريسون، محمد** بن **محمد الصادق** بن أحمد بن الحسين بن الجد الجامع للريسونيين مَحمد بن علي بن عيسى زوج السيدة (ريسون) التي إليها نسبتهم، الحسني العلمي اليونسي.

الشريف الفاضل النسابة النقيب الراوية الفقيه المحدث المسند أبو عبد الله، وصفه بالعلم والفقه والمشاركة كل من ترجم له منهم تلميذه السلطان مولاي سليمان في *عناية أولي المجد* ومحمد بن الحسن الجنوي، والطالب ابن الحاج الفاسي، وجعفر الكتاني في *الشرب المحتضر* والتهامي بن المكي ابن رحمون في *اختصار جمهرة التيجان* للزياني وعبد السلام السكيرج في *النزهة* والفقيه الرهوني التطواني في *العمدة* وغيرهم من آخرهم الفقيه محمد المريد التطواني في *النعيم المقيم* كما اطراه النقيب الأديب سليمان الحوات شعراً ونثراً، والمحدث المسند الشهير عبد الحي الكتاني في *فهرس الفهارس* ولخص نعوتهم وأقوالهم فيه الأستاذ داود في تاريخه.

والحق أن الرجل انفرد في أهل بيته بل وبين معظم معاصريه باتقان علم النسب ولا سيما ما يتعلق منه بالأدارسة ولا سيما شعبة العلميين الذين كان نقيبهم

المرجوع إليه في تحقيق ذلك إلى سراوة نفس وعلو همة وسيرورة ذكر وحرص على العلم والرواية، وقد ترجم لنفسه في فهرسته المفيدة وذكر شيوخه الذين تلقى عنهم رواية ودراية وأجازوه من أشهرهم المشايخ : محمد بن الحسن الجنوي، والتاودي بن سودة، ومحمد بن الحسن بناني، وعمر الفاسي. ووالده، ومحمد بن علي الورزازي التطواني وغيرهم يناهز عددهم الأربعين بين مشارقة ومغاربة ومن تلاميذه : السلطان مولاي سليمان، وعلي بن أحمد الوزاني والتهامي بن المكي ابن رحمون، وأحمد بن عبد الرحمن الطرابلسي.

انتقل المترجم له إلى فاس لطلب العلم عام 1177 وأخذ عمّن أخذ عنهم ممن سمينا وغيرهم، وعاد إلى مسقط رأسه (تازروت) وتردد على (وزان) و (تطوان) واتخذ في كل منها زوجة وداراً وخدما وحشما واتصل بالسلطان مولاي محمد بن عبد الله وأيده، فكان معه ضد ولده المنشق اليزيد رغم انتصار أشراف الشمال له، ولما توفي السلطان وولده اليزيد قام ولده مسلمة يدعو لنفسه فأيده المترجم له ولما فشلت ثورته. بايع أخاه مولاي سليمان وصار من حاشيته، فتعلق به ويابن عمه صديقه مولاي مسلمة علي أن يتوسطا له لدى أخيه سليمان في العفو عنه، ولكن مسلمة لج في العناد فأعرض عنه المترجم له. وله مواقف سياسية واجتماعية نزل على شقوق منزلته وما كان يتمتع به من نفوذ كلمة وجاه عريض، وله تأليف شهير مازال مخطوطاً يسمى (*فتح العليم الخبير، في تهذيب النسب العلمي بأمر الأمير*) يعني به السلطان مولاي محمد بن عبد الله، وقد لخصه الفقيه الرهوني في *العمدة* وتوجد نسخةُ عند الناس ومنه نسخة بخط الفقيه الرهوني بخزانة تطوان، وقد سطا عليها بعض الأدعياء وزاد فيها ونقص ونسبها إلى نفسه وطبعت باسم *حصن السلام*.

ولد المترجم له بمسقط رأسه قرية (تازروت) العروسية نحو عام 1155 أو 1156 لأنه أدخل الكُتاب (المسيد) عام 1161 وسنه خمسة أعوام وخمسة أشهر وخمسة أيام كما وجد بخط والده.

وتوفي بوزان بين 1234 ـ 36 ـ 1237 / 1723 ـ 1724 ودفن بضريح الشيخ علي بن أحمد الوزاني.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، (6 : 62)، مخطوط خاص ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، (6 : 266)، طبع تطوان و (3 : 206) ؛ فهرسة المترجم له، الكتاب كله، مخطوط خاص.

ابن **ريسون، محمد** بن **المكي** بن علي ابن ريسون الحسني العلمي اليونسي التطواني الفقيه العدل النسابة الشريف النزيه الوزير النقيب.

ولد بتطوان عام 1302 (1884) وقرأ ما شاء الله وتعاطى العدالة، وكان في شبابه موسوما بسيم جمال لافت للأنظار إلى معرفة العزف على العود والموسيقى الأندلسية كوالده الفقيه سيدي المكي، وتزوج ولم يرزق إلا بولد واحد سافر إلى إسبانيا للدراسة ثم أصيب بخلل وعاد إلى تطوان فعانى منه المترجم شدة.

تولى المترجم نقابة عموم الأشراف الرياسنة بتطوان وشفشاون والقبائل والقصر الكبير والعرائش وأصيلا كما تولى وزارة المالية في الحكومة الخليفية عقوداً من السنين مع النزاهة والعفة إلى أن أخر عنها في أواخر عمره.

توفي بتطوان عام 1389 / 1969.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*؛ *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 9: 4309 ؛ *معلومات شخصية*.

محمد بوخبزة

ابن **ريسون، المختار** بن المجاهد كان من بين الشرفاء سكان قبيلة بني عروس الذين انضموا إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يقودها مولاي أحمد الريسوني ضد التدخل العسكري الإسباني بشمال المغرب ؛ وكان قائد فرقة من المجاهدين، وحضر في مؤتمرات الثورة المنعقدة بعين الدالية بضواحي طنجة يوم 11 ماي 1913 وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة وبقرية الزوة من قبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915.

توفي بعد 1333/ 1915.

م. ابن عزوز حكيم، *المقاومة المسلحة في شمال المغرب*، تطوان، 1984.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **ريسون، المكي** بن **علي** بن مُحمد بن علي ابن ريسون الحسني العلمي الشريف الفاضل الفقيه العلامة العابد الزاهد. ولد بتطوان عام 1215 ونشأ نشأة صلاح وصيانة وقرأ القرآن وأخذ عن علماء البلد حتى صار معدوداً من العلماء، ثم عكف على المطالعة لكتب التفسير والحديث والسير، وحبب إليه النسك والانقطاع له والأعراض عن الدنيا وأهلها، وكان له أتباع وتلاميذ وأصحاب يجالسونه ويشاركونه هوايته الموسيقى واستعمال آلات الطرب كغالب أهل بيته : والده أبي الحسن وأخيه الشيخ عبد السلام وغيرهم. وظل هكذا إلى أن توفي فجأة عام 1288 موافق 1871 ودفن بزاويتهم الشهيرة بحي الصياغين من تطوان قرب والده، وهو والد الشريف الوزير النقيب السيد محمد بن المكي الريسوني سابق الترجمة، وللمترجم له مرثية همزية لتطوان بعد الاحتلال الأول ذكرها الأستاذ داود في تاريخه.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، (5 : 62)، مخطوط : م. داود، *تاريخ تطوان*، (5 : 265) ط. تطوان.

محمد بوخبزة

ابن ريسون، المكي بن محمد بن محمد بن الصادق بن أحمد بن الحسين بن علي بن الحسين بن امحمد بطل معركة وادي المخازن.

ولد بتازروت بقبيلة بني عروس سنة 1268، حفظ القرآن بمسقط رأسه ثم انتقل إلى قبيلة أهل سريف حيث قرأ العلم وفي سنة 1300 (1883) استقر بتطوان حيث زاول خطة الافتاء والعدالة إلى أن وافته المنية يوم 10 صفر 1342 (22 سبتمبر 1923).

م. ابن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطاوين*، تطاون، 2006

محمد ابن عزوز حكيم

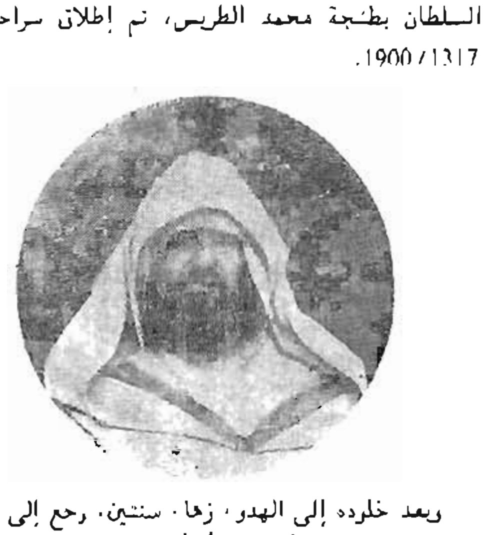
الريسوني (أسرة) ← ابن ريسون (أسرة)

الريسوني، أحمد (مولاي -) بن محمد بن عبد الله، سليل الزاوية الريسونية وينتمي في مرتبة أعلى إلى الأسرة الإدريسية. ولتيسير فهم حياته وحركته نرى ضرورة تقسيمها إلى فترتين :

مرحلة ما قبل الحماية وفترة بسط الاحتلال الإسباني :

فبالنسبة لحياته خلال مغرب ما قبل الحماية يجب أن نثبت أولا أنه قد ولد حوالي سنة 1284 /1868 والتحق بالمدارس القرآنية والدينية. وقد حالت وفاة أبيه المبكرة دون متابعته لهذا النهج حيث فضل الفعل في الفضاء الاجتماعي الذي كان سائدا آنذاك.

ونظرا لتعاظم الإساءات التي كان سببا فيها من قطع طريق وقتل وغير ذلك، تكاثرت الشكايات الواردة على السلطان بصدده، فأمر عامله بطنجة عبد الرحمان بن عبد الصادق بالقبض عليه سواء باعتماد القوة أو الحيلة. وقد تمكن من تحقيق ذلك حيث نجد أحمد الريسوني يبعث إلى سجن الصويرة لقضاء زهاء ست سنوات. وبعد وفاة باحماد ونظرا لشفاعة الشرفاء الريسونيين المتكررة وكذا نائب السلطان بطنجة محمد الطريس، تم إطلاق سراحه سنة 1317 / 1900.



وبعد خلوده إلى الهدوء زهاء سنتين، رجع إلى نشاطه القديم، لكن بإتقان أكثر وجرأة أكبر هذه المرة. ويتضح ذلك من طبيعة سلوكاته التي أحدثت إزعاجا حقيقيا للمخزن للمنطقة خاصة وأن أحداثها كانت تدور بالقرب من مدينة طنجة التي كانت تشكل عاصمة دبلوماسية آنذاك. ونظرا للأبعاد التي اتخذتها أعماله أرسل مولاي عبد العزيز حركة ضده سنة 1321/ 1903 لم تتمكن من القضاء عليه، بل استطاع الريسوني فرض ذهاب المحلة المخزنية بعد القبض على والترهاريس مراسل جريدة التايمز الذي أراد أن يلعب دور الوسيط بين الطرفين.

وقد تمكن الريسوني من فرض نفسه عاملا على بعض القبائل في منطقة جبالة كنتيجة للشروط التي فرضها لإطلاق سراح رهينتيه الأمريكي إيفان بريديكاريس والانجليزي كارمويل فارلي سنة 1904. ورغم وظيفته المخزنية ولعدم انضباطه والضغوطات الأجنبية الناتجة عن ذلك، أرسل السلطان ضده محلة أخرى سنة 1325 /1907 لم تتمكن من القضاء عليه، بل توصل مرة أخرى إلى اختطاف الوسيط الذي لم يكن سوى الشخصية الإنجليزية المشهورة آنذاك بالكلونيل ماكلين. وقد تزامن ذلك مع بيعة المولى عبد الحفيظ حيث انحاز الريسوني إلى هذا الأخير والذي عينه على العديد من القبائل الجبلية إضافة إلى مدينة أصيلة. ويمكن القول أن سلوكه قد تميز بالانضباط والشرعية خلال هذه المدة وإلى حين دخول قوات الحماية الإسبانية للمنطقة.

أما خلال فترة الحماية، فقد كان سلوكه المتقلب مثارا لاختلاف العديد من الكتاب والمؤرخين في الحكم على طبيعة حركته. فقد استمر في مزاولته لوظيفته أثناء بسط قوات الحماية لسلطتها بشكل سلمي على مجموعة من المدن كالعرائش والقصر الكبير وأصيلة التي كانت تحت نفوذه إضافة إلى مدينة تطوان.

ونظرا لبعض الخلافات مع السلطة الإسبانية وخاصة سلفستر الذي كان قائدا عاما لقوات العرائش، التحق الريسوني بصف المقاومة الجبلية ليصبح زعيما لها. وقد عرفت زعامته عدة صراعات مع بعض الزعامات المحلية الأخرى وبعض القبائل الجبلية. كذلك اختلفت طبيعة علاقاته مع الإسبان حيث تميزت بالتفاوض والسلم خلال بعض المراحل، كما عاشت على المناوشة والصراع خلال حقب أخرى.

وإجمالا يمكن القول إن أحمد الريسوني التحق بالمقاومة في أواسط سنة 1331 / 1913 ليستمر في مناوشة الإسبان إلى حدود سنة 1333/ 1915. ونظرا لظروف الحرب العالمية الأولى والحياد الإسباني المعلن، تم عقد هدنة مع الريسوني تمكن خلالها من تحقيق العديد من الامتيازات. وبعد نهاية الحرب، فضلت السلطات الإسبانية اختيار سياسة القوة التي أدت إلى إخضاع العديد من المناطق الجبلية بما فيها مركز تازروت التي كانت مقرا للشريف الريسوني. وخلال هذه الأثناء، وقعت معركة أنوال التي فرضت على السلطات

الإسبانية مراجعة حساباتها. لذلك راهنت قوات الحماية من جديد على الهدنة في الناحية الغربية من منطقتها والتركيز على المنطقة الريفية. ونسجل أن الشريف الريسوني ابتداء من سنة 1340 / 1922، لم يقم بأي سلوك حربي تجاه الإسبان.

وتدريجيا، نجد القبائل الجبلية تنحاز لحركة محمد بن عبد الكريم حيث فرضت على قوات الحماية أشد المعارك ضراوة خلال ما عرف بالانسحاب الجزئي الإسباني سنة 1924 أو انسحاب بريمودي ريفيرا الذي كان حاكما إسبانيا وعين نفسه "مقيما عاما" في نفس الوقت.

ونظرا للامتداد الذي عرفته حركة محمد بن عبد الكريم داخل منطقة جبالة، فقد أصبحت حركة الريسوني شبه معزولة، الشيء الذي سهل القضاء عليها من طرف حركة محمد بن عبد الكريم عام 1343 / أوائل 1925، وإثر ذلك تم نقل أحمد الريسوني إلى مركز تامسنت بالمنطقة الريفية حيث توفي هناك في 9 رمضان عام 1343 /3 أبريل 1925.

أحمد مهدرها

الريسونية (الزاوية)، توجد الزاوية الريسونية الأم بقرية تاغزوت بقبيلة بني عروس وقد تأسست في حدود سنة 975 /1568 وليست كباقي الزاويا تابعة لطريقة صوفية معينة، وذلك لأنها أنشأت كرباط للجهاد ضد الغزو المسيحي لشمال المغرب.

وللزاوية الريسونية فروع في عدة مدن مغربية، غير أن فرعها بتطوان له أهمية كبرى نظراً للدور الذي قام به في الميادين الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية منذ تأسيسه يوم 14 ذي القعدة 1208 (13 يونيو 1794) على يد القطب سيدي علي الريسوني.

يعرف فرع تطوان بزاوية سيدي علي ابن ريسون وهي أشهر زوايا المدينة حيث اختارها قادة الحركة الوطنية في عهد الحماية كمعقل يلجؤون إليه لعقد تجمعاتهم العلنية والسرية يتخذون خلالها قراراتهم الحاسمة ضد السياسة الاستعمارية لأدارة الحماية الإسبانية بشمال المغرب والفرنسية بجنوبه ؛ وبالزاوية كانت تلقى الخطب السياسية وتعقد التجمعات الشعبية ومنها تنطلق المظاهرات الاحتجاجية خصوصاً بعد صدور الظهير البربري ليوم 16 ماي 1930، وكانت قراءة اللطيف ضد الظهير المذكور لأول مرة بالشمال بهذه الزاوية يوم فاتح غشت 1930 كما أن التجمع الشعبي الذي تقرر فيه تنظيم مظاهرة يوم 8 أبريل 1948 انعقد بها ومنها انطلق الجماهير احتجاجا على منع زعيم حزب الاصلاح الوطني من الدخول إلى تطوان فكانت هذه المظاهرة بداية النهاية للاستعمار الإسباني بشمال المغرب.

م. ابن عزوز حكيم، *وثائق تشهد*، الجزء الثاني، الرباط، 1981، ص. 89.

محمد ابن عزوز حكيم

الريش، مدينة صغيرة بإقليم الرشيدية ميزتها الأساسية التي يجدر التأكيد عليها منذ البداية هي تلك المفارقة بين الظروف القاسية التي تعيش وسطها والتي تحدد مواردها وأنشطتها من جهة، ومن جهة أخرى ديناميتها السكانية والعمرانية التي تتسارع منذ أكثر من عشرين سنة. وللبحث عن دواعي هذه الوثيرة يبدو أنه لا بد من اعتبار ذلك التفاعل الوثيق بين موقع مركز الريش الاستراتيجي وما خلفه من استقطاب وظيفي وسكاني.

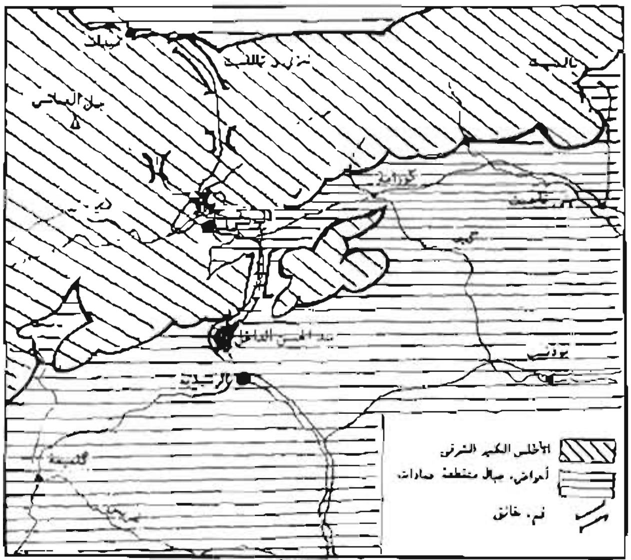
إن ما يميز فعلاً توطين مركز الريش ليس هو موضعه على الضفة اليسرى لواد زيز الأعلى في بيئة جد شحيحة، فذاك شأن قرى ودواوير المنطقة التي تستقر كلها على ضفاف الأودية أو على مقربة من المنابع، نظراً لتقلص الحيز القابل للزراعة وجفاف المناخ السائد بالدرجة الأولى. بل ما يكسبه خصوصيته دون مماثليه من المراكز المجاورة، ويفسر حتى نشأته ونموّه المطرد، هو ذلك الموقع الاستراتيجي على المستويين المحلي والإقليمي الذي يجعله يعتبر نقطة تقارب أودية حوض تجمع واد زيز ويتوسط مجموعة من الوحدات والاتحادات القبلية ويمثل ممراً شبه اضطراري نحو تافيلالت والأطلس المتوسط والسايس.

تقع مدينة الريش وسط بنية وتضاريس لها طابع خاص وفريد في آن واحد، إذ تتواتر المحدبات الضبقة والمتكسرة أحياناً والتي تتكون من طبقة اللياس الكلسية السميكة مع المقعرات الواسعة ذات الكلس الجوراسي الأقل سمكاً والذي يعلو اللياس، وهذا التناوب الذي غالباً ما يأخذ اتجاه غرب الجنوب الغربي - شرق الشمال الشرقي قد أفرز مشهداً منضدياً واضح المعالم، حيث تتوالى الاضلاع المديدة وغير المتماثلة، التي يتراوح أوج ارتفاعها بين 1800 و2200 على العموم، والأحواض والسهول الفيضية الفسيحة والمكسوة بالرواسب والمنقولات الرباعية.

لا تنال من هذه البساطة والرتابة سوى تلك الحزات التي تكون تارة عبارة عن فجاج قصيرة تسمى الأفوام والتي تتخذ تارة أخرى شكل خوانق مستمرة وجد متعمقة. وهكذا فإن فم تبليشت الذي يوجد شمال الريش، على بعد ثمانية كيلو مترات يمكّن من الاتصال بحوض ملوية (ميدلت) عبر فج أيت خرّو ثم خانق تيزي نتلغمت ؛ كما أن خوانق زيز المشهورة تبتدئ جنوب الريش بخانق زعبل وتنتهي بفم غيور (حيث بُني سد الحسن الداخل) لتفضي إلى الرشيدية ومنها إلى منطقة الواحات بتافيلالت، أما نحو الغرب فأوّل ممرّ يربط سهل الريش بالمنطقة المجاورة فهو فج تاماگورت الذي يسمح بالوصول إلى عالية حوض غريس عبر فج إميطر. وأخيراً باتجاه الشرق حيث تتلاشى المرتفعات تدريجياً على نحو ظاهر، تنفتح منطقة الريش على عالية حوض گير عبر مركزي گورامة وبني تاجيت.

يستنتج مما سبق أن تطويق الريش بتضاريس وعرة لا يؤدي حتماً إلى انحصار طبيعي عسير الاختراق، ولا إلى

انحباس بشري واقتصادي حاسم، بل ظلت الممرات العديدة تمثل منذ القدم بوابات تستغلها الطرق والمسالك لتسهيل اجتياز الأطلس الكبير الشرقي وللعبور صوب مختلف الوجهات. أضف إلى ذلك أن مركز الريش يقع عند ملتقى قبائل عديدة أهمها أيت ازدگ وأيت مرغاد في الجنوب وأيت حديدو وأيت يحيى في الغرب وأيت عياش وأيت واففلا في الشمال وأيت سرزح في الشرق.



موقع مدينة الريش

إن ما يشكل حقيقة المانع شبه المطلق هو المناخ القاري الجاف الذي يعيق إلى حد كبير كافة أوجه النشاط الاقتصادي والحياة البشرية. ذلك أن رياح الفون التي تنتج عن تجفيف الرياح الرطبة بعد عبورها السفوح الشمالية الغربية للأطلس المتوسط، تحول السهوب المجاورة الموجودة في ظل المطر وكذا سهل الريش إلى دفينة حقيقية لها مدى حراري جد مرتفع ولا يتعدى حجم أمطارها 200 ملم في السنة العادية. لانستثني من المجموعات التضاريسية الكبرى المجاورة إلا جبلي العياشي (3757) وماوتفود (3465) اللذين يتلقيان كميات من الثلوج تسمح بتغذية المجاري الرافدة لحوض تجمع واد زيز والتي تقترن فيما بينها بمقربة من مركز الريش.

بناءً على تلك الآثار السلبية فإن تنظيم المجال الزراعي محلياً يبقى متكلاً على المجاري المائية، وأهمها واد سيدي حمزة وأسيف نتاماگورت اللذان يشكلان عنصري العمود الفقري الذي تنظم على طوله وعلى جنباته المغارس والحقول الزراعية المتنوعة والمسقية وكذا القرى ذات البنية المتجمعة على العموم. أما خارج هذه الأشرطة الخضراء الدقيقة والمعزولة فتظل المساحات السهبية الشاسعة متروكة للرعي الحرّ والمتنقل الذي يظل رهين الذبذبات المناخية الفصلية والسنوية.

ومع كل ذلك فقد تبوأت مدينة الريش أهمّ مكانة ضمن مراكز الأطلس الكبير الشرقي من حيث حجم ونمو سكانها وكذلك توسع رقعتها الحضرية. إذ كان يبلغ عدد سكانها حوالي 2500 ن سنة 1960 وأخذ يتضاعف تقريباً بين كل إحصائين، ليصبح 4500 ن عام 1971 ثم 7100 ن سنة 1981 و14000 ن في آخر إحصاء (1994). بالمقارنة مع المراكز المجاورة لمدينة الرشيدية فإن الريش أقل سكاناً من أرفود ومتساوية مع گلميمة وأكبر من بوذنيب. والحال أن نشأة الريش كموقع عسكري ومركز للخدمات ترجع إلى عهد قريب نسبياً. ذلك أن موقعه الوسط دفع السلطات الاستعمارية باختياره لتلك الأغراض بعد احتلال گورامة سنة 1914 وعقب هزيمة بلقاسم النگادي في معركة زاوية سيدي بوكيل سنة 1922. فشيدت ثكنات عسكرية ومجموعة من التجهيزات الجماعية وسوقاً. كما شرعت الطائفة اليهودية في بناء سكن متراص خارج قرية الريش أقديم المحصنة والتي تعتبر النواة الأصلية للمدينة.

يعزى النمو السريع لمدينة الريش لا لحيوتها الذاتية أو لتهيئتها الملائمة، لأن مقوماتها الاقتصادية هشة وتوسعها عشوائي، بل يرجع ذلك أساساً إلى التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على محيطها القروي بحوض زيز الأعلى والتي أفرزت هجرة قوية مسترسلة إلى الريش. ونذكر من أهم تلك العوامل :

. اعتبار الريش مدينة قبلية محلية. إذ أنها تحتل موقع ملتقى القبائل الذي جعل منها أهم نقطة لاتصالها، وبالتالي حول سوقها إلى أكبر واحد في إقليم الرشيدية. علماً بأن سكان تلك القبائل يعيشون على تربية المواشي بالأساس، وأن تسويقها يدعم القدرة الشرائية وينمي النشاط التجاري بالمركز. والملفت للانتباه أن العلاقات القبلية قد انتقلت إلى المجال الحضري حيث إن الوافد إلى المدينة يعمل جاهداً على اقتناء بقعة أرضية بجوار قريب عشائري إلى درجة أن هناك أحياء تكاد تكون متجانسة من حيث الانتماء إلى نفس الأصل. وهكذا يسود على سبيل المثال العنصر المرغادي في حي عشرين غشت والعنصر السرغوشني في أقصى شرق المدينة والازدگي في حي تاحمبدانت.

. التحول التدريجي من نمط البداوة إلى الاستقرار. بحيث إن أسلوب الانتجاع ونصف الترحال الذي كان سائداً منذ القدم أخذ يتقلص شيئاً فشيئاً في العقود الأخيرة ومعه تراجع في عدد رؤوس الماشية بالمنطقة. وذلك تحت ضغوط عديدة، منها تغير أسلوب العيش والاستهلاك وإجهاد المراعي بفعل كثافة القطعان المفرطة والذي تضافر مع الجفاف البنيوي والجفاف الطارئ الذي دشن سلسله منذ 1981، لتسبب تدهور ملحوظ للبيئة، مما دفع بظهور محميات للرعي مفتوحة أمام جميع الكسابة.

. وجود عوائق مرتبطة بالمجال الزراعي يعود إلى محدودية الظروف الطبيعية وقيود البنيات العقارية وتحول تقنيات الإنتاج : ذلك أن انجراف التربة على المدرجات

النهرية بفعل التعرية المائية قد ساهم في تقليص بعض أجزاء الأحزمة الزراعية خاصة بقرى زاوية سيدي بوكيل وأيت سعيد والگرس وتادركولت وبوخلوف. وهناك عامل آخر زاد آثار الجفاف حدة، خصوصاً بعد قحط 1981، ويمثل من جهة في توسيع الأراضي الزراعية الذي يستوجب ضخ المياه لريها ومن جهة أخرى في استعمال الفلاحين الميسورين للضخ بجانب الري التقليدي عبر السواقي ؛ مما أثر سلباً على الفرشة المائية وأدى إلى نبض أو إضعاف صبيب بعض العيون، وخصوصاً في قرى تيغرماتين وتاماگورت وتادركولت. كما أن حجم الحيازات الزراعية الخاصة، التي تعرف تفتتاً وتشتتاً باستمرار بسبب الإرث، لا تسمح باستغلال كفيل بسد حاجيات كل الفلاحين ولابتثبيتهم في محاطاتهم. فضلاً عن ذلك فإن قانون الأراضي يخول للأوقاف والحبوس قسطاً وافراً من المساحة القابلة للزراعة، وهذا لا يحفز كثيراً تطوير وتكثيف الزراعة لا سيما وأن كراء الأراضي يكون في غالبية الأحيان من نصيب كبار الفلاحين. يتعلق الأمر بزاويتي سيدي حمزة (1634 هكتار) وسيدي بوكيل (1798 هكتار) اللتين تملكان أراضي بتاماگورت والتابية والزاوية وأيت سعيد وأيت العباس وتالغولت وأيت بني يحيى وإدالون. وإذا كانت هذه الأراضي تستغل مباشرة أو بواسطة إدارة الأملاك المخزنية، فإن أوقاف المسجد الموجودة بكل القرى المحيطة بالريش يستغل معظمها تحت إشراف نظارة الأوقاف التي تأجرها لخواص لمدة تتجدد كل ست سنوات.

- استفادت الأسر المزارعة منذ أواسط السبعينات من الموارد الخارجية غير الفلاحية، نتيجة رحيل بعض الأبناء للعمل في بلدان أوربا الغربية والهجرة الداخلية للبعض الآخر ؛ وكان من شأن ذلك أولاً تطوير الزراعة بتحديثها وتنويعها بالبستنة والزراعة العلفية خصوصاً، وثانياً تحسين مستوى عيش تلك الأسر وحث بعضها إلى التوجه إلى مركز الريش. وتجدر الإشارة إلى أن أسر العمال المهاجرين كانت هي السباقة إلى توظيف إيرادها في بناء المنازل بالمجال القابل للتعمير في المدينة.

- جلب الريش للعمال المياومين بفعل انتشار أوراش البناء في بداية الثمانينيات، الذي أذكاه جفاف 1981، حتى إن أفواجاً كاملة من الأسر المتضررة بالوسط الريفي اضطرت للرحيل إلى مركز الريش. ولما كان قطاع البناء عاجزاً على استيعاب كل الوافدين ظهرت جحافل من العاطلين يشتغلون بقطاع الخدمات غير المشكل ولا سيما في سياقة العربات اليدوية لنقل البضائع داخل المدينة.

يتضح إجمالاً أن السيرورة الاقتصادية والديمغرافية والتعميرية للريش تتوقف على محيطها الريفي الذي تتلاحم وتتفاعل وإياه، إلى حد أنها تشكل معه كياناً نسقياً متلازماً تلازماً عضوياً. وأكثر من ذلك فإن صيرورتها رهينة بمدى وقع التحولات التي تشهدها هذه المنطقة التي أفرزت المدينة وظلت تغذيها بالبضائع وتزودها بالناس، كما خلقت ظروفاً جديدة أخذت تتحكم أكثر فأكثر في مختلف أوضاع المدينة وتجعلها تعيش على موارد خارجية بالدرجة الأولى.

لكن سرعان ما انعكس احتداد ظاهرة النزوح إلى الريش على التوسع العمراني، وفي غياب وثائق التعمير حتى وقت قريب صار الموضع غير ملائم للامتداد، نظراً لمحاصرة المدينة غرباً وجنوباً بواد زيز، حيث ظلت الضفة اليمنى فارغة وموصولة بقنطرة وطريق واحدة، ونظراً كذلك لإحاطتها شمالاً وشرقاً بالشريط الزراعي الذي يزحف عليه السكن الأفقي من كل جانب. فظهر خلل بين توسع المدينة والتهيئة التي تشرف عليها البلدية وكذلك عدم توازن بين العرض وضغط الطلب على الأرض للبناء، ووقع تنافس بين ملاكي الضيعات والمضاربين والعمال بالخارج والوافدين الجدد. وكان من الطبيعي أن تصبح المضاربة العقارية في أشد نشاطها، وأن ترفع أثمان الأرض واستئجار المنازل والمحلات الوظيفية ويسود في نفس الوقت البناء العشوائي في الهوامش. أما تصميم التهيئة الذي أنجز سنة 1986 فقد جاء متأخراً لاستدراك الوضع التعميري المتفاقم ولإعادة هيكلة المدينة، كما أصبح الآن متجاوزاً وصار من الضروري تحيينه.

زيارة ميدانية خاصة لمدينة ومنطقة الريش ؛ الإحصاءات العامة للسكان والسكنى 1960، 1971، 1982، 1994)، مديرية الإحصاء ؛ *الخرائط الطبغرافية والعامة*، مديرية المحافظة العقارية والخرائطية ؛ *تصميم التهيئة لمدينة الريش*، 1986، مديرية إعداد التراب الوطني.

لحسن أيت الفقيه ومصطفى عياد

الريش، محمد بن محمد بن عمر الرباطي، من خيرة المسمعين والمادحين الذين أنجبتهم الزاوية الحراقية بالرباط تتلمذ على صهره عميد هذه الزاوية على عهده الفنان المقتدر عبد السلام أگديرة، وأدرك المجالس الفنية التي كان يعقدها بالزاوية الشيخ سيدي أحمد بنعاشر الحداد وأنشد بحضرته.

وإلى ذلك فقد برع في الموسيقى الأندلسية، فكان يتقن العزف على الكمان، ويتصرف في الطبوع ويتقن الانتقال بينها، وبذلك شهد له شيخه عند ما قال : إذا أردت إتقان الإنفاق والمستعملات فعليك بسيدي محمد الريش.

وقد توفي بالرباط عام 1392/ 1972.

ع. اللطيف بنمصور، *مجموع ازجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك*، إعداد وتنسيق وترتيب وتح. 1397/ 1977، ص. 456 - 457.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ريش النعام، يكاد ينفرد بالإشارة إليه في العصر الوسيط صاحب *القصد الشريف* (ص 86) فقد أشار إلى وجوده في شمال المغرب مستعملا كمراوح لطرد الذباب؛ ولكن الحديث عن ريش النعام كمادة تجارية يصدرها المغرب إلى أوربا لم يبدأ إلا في العهد العلوي (*Histoire*, p. 248) وقبله بقليل (*Histoire*, p. 233) واستمر كمادة تجارية مطلوبة في أوربا إلى بداية القرن العشرين وبذلك نتساءل هل بدأ استهلاك الأوربيين لريش النعام منذ الفترة المشار إليها أم أن الريش المصدَّر عن طريق المغرب كان أجود وأرخص؟

لاشك أن دخول ريش النعام في التزيين والأمزنة والمباهاة في المجتمع البرجوازي والإقطاعي الأوربي قد انطلق مع عصر النهضة، أما تصدير المغرب لهذه المادة فقد جاء متأخراً أي أن الوقت الذي كان المغرب يعجب بهذا الطائر العملاق لدرجة أن كثيراً من الرحالة أعجبوا بكثرته خلال العصر الوسيط وحتى بداية التاريخ الحديث لم يكن الطلب على ريشه موجوداً، بل لم يكن أحد يعيره اهتماماً فالرحالة الشريف الإدريسي لم يشر إلى ريش النعام مع أنه فصل الحديث عنه وعن منافعه "... أنقال ويقال لها دار المرابطين أيضاً... تياليها فحص طويل قد انحشرت إليه طيور النعام فهي في أكنافه سارحة وعلى مراقيه دراجة وهي آلاف لا تعد ولا تعد، وأهل تلك النواحي يصيدونها طرداً بالخيل فيقبضون منها حملا كباراً وصغاراً، وأما بيضها فكثير يتجهز منه إلى كل البلاد... طعامها وخيم يفسد المعدة، وأما لحومها فلحوم باردة يابسة، وشحومها نافعة عندهم من الصمم تقطيراً ومن سائر الأوجاع البدنية" (نزهة 3، 237 و238). وصف الإدريسي يتعلق بوسط تامسنا ما بين قريتي أنقال ومكول (منطقة المذاكرة الحالية).

أما الحسن الوزان الذي جاء بعد الإدريسي بحوالي أربعة قرون فقد ذكر وجود النعام في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية في المغرب أشار إليه في تبلبلت وفي درعة حيث تتم تربيته وأكل لحومه لكنه لم يذكر ريشه، وقد ركز في نهاية كتابه على المواد المصدرة من المغرب إلى أوربا وبلاد السودان وقارن أسعار كثير من المواد المتبادلة بين هذه المناطق، لكنه لم يذكر ريش النعام مما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن ريش النعام لم تزدهر تجارته والطلب عليه إلا بعد انسحاب النعام إلى المناطق الصحراوية والمتاخمة لها (*وصف إفريقيا*، 2، 120، 129، 132، 163، 259، 284).

تبقى الإشارة اليتيمة إلى ريش النعام في *القصد الشريف* كدلالة واضحة على تأثر المناطق الشمالية للمغرب بالأندلس أكثر من غيرها وأن استعمال ريش النعام في التزيين كان قد بدأ في الأندلس قبل أن ينتقل إلى أوربا إبان الحروب الصليبية الغربية.

البادسي، *القصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الإيطالية، نابولي، د. ت ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، الاسكندرية، 1958 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الرباط، 1984.

Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Casablanca, Paris, 1967.

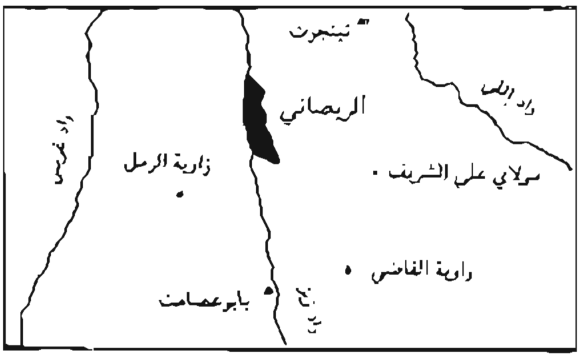
محمد حجاج الطويل

الريصاني، مدينة عتيقة بتافيلالت تشترك من حيث موقعها مع الموقع الأثري لسجلماسة. وتعتبر مهد الدولة العلوية، إذ يوجد بها ضريح الجد المؤسس مولاي علي الشريف. كما تضم العديد من المآثر العمرانية، نذكر منها على سبيل المثال قصر عرب الصباح، ويبدو أنهم على صلة بحاملي الاسم بالشرق الأوسط، قصر أولاد عبد الحليم، قصر الفضي، قصر الشرفاء، قصر سيدي بوزكري.

أُحدثت جماعة الريصاني سنة 1992 على مساحة 740 هكتار، يبلغ تعداد سكانها 18.450 نسمة، تتوزع على 2.800 أسرة، من مختلف القبائل الموجودة هناك وهي أساسا الشرفاء، وأيت عطا، الأدارسة والأحرار والعبيد.

معدل التساقط المطرى لا يتجاوز 30 ملم، في حين يصل معدل الحرارة القصوى لشهر يوليوز إلى 41.5 درجة ومعدل الحرارة الدنيا لشهر يناير إلى 7.7 درجة.

تعتمد الجماعة في اقتصادها على الفلاحة والصناعة التقليدية والتجارة والسياحة، وهي تضم سوقا أسبوعيا وفندقين غير مصنفين.



يتوفر القطاع النظامي للتعليم على خمس مدارس يرتادها 4.167 تلميذاً، وإعدادية واحدة تسع 2.008 من التلاميذ، وثانوية واحدة وبها 1.182 تلميذاً. لا يوجد بالجماعة في الوضع الراهن أي مركز للتكوين المهني.

أما القطاع الصحي العمومي فيقدم خدماته من خلال مركز صحي واحد يضم ثلاثة أطباء، وخمسة عشر ممرضا، مدعوم بسيارة للإسعاف تابعة للبلدية. كما تعتمد البلدية من أجل الخدمة العامة على ثلاثة أطر عليا و18 إطار متوسط ومجموعة من الأعوان قوامها 23 نفراً.

توجد بالجماعة شبكة لتوزيع الماء الشروب، يسيرها المكتب الوطني للماء الصالح للشرب لفائدة 3.100 مستفيد. كما يقوم المكتب الوطني للكهرباء بتوزيع الكهرباء على 4 431 مشترك. وكالة بريدية واحدة تقوم بخدمات الاتصال، أما الخط الأوتوماتيكي للهاتف الثابت فيتصرف في طاقة بحدود 1.700 مشترك.

موحى حدوش

الريف أو الأرياف المغربية، يطلق مفهوم الريف على كل المجالات التي تخرج عن نطاق الدوائر الحضرية. والمجال الريفي عادة ما يعرف سلبيا بكل ما هو غير حضري، وتتميز الأرياف المغربية بوزنها السكاني حيث تضم قرابة نصف سكان المملكة (47,4٪) وبوزنه الاقتصادي والثقافي حيث تظل الفلاحة إحدى دعائم الاقتصاد الوطني. وقد شهدت الأرياف المغربية خلال العقود الأخيرة تطورات شديدة الوقع كان من ورائها انفتاح هذه المجالات على اقتصاد السوق واحتكاكها بالعالم الخارجي ممّا زجّ بها ضمن المجالات الهامشية رغم بعض مظاهر التنمية الإيجابية.

الأرياف وتباين الأنظمة الإكولوجية. تبلغ المساحة الفلاحية الإجمالية بالمغرب قرابة 8.732.223 هك أي ما يناسب قرابة 12٪ من المساحة العامة للبلاد، وهذا الرقم وحده كاف لإ براز أهمية الحدود التي تفرضها الظروف الاكولوجية والبشرية أمام التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

فالامتداد الإقليمي للبلاد بين خطي عرض 21 و36 درجة شمالا، وانفتاحه في الشمال والغرب على واجهتين بحريتين وفي الجنوب والجنوب الشرقي على مجالات صحراوية وعدم رتابة الاشكال الطبوغرافية أدى إلى تنوع إقليمي واضح بين الأرياف الساحلية والأقاليم الداخلية وبين المجالات الجبلية المرتفعة والسطوح المنبسطة السهلية والهضبية.

المجالات الجبلية المرتفعة : تتكون المجالات المرتفعة بالمغرب من الأطلس الكبير والمتوسط والصغير ومن جبال الريف. قمم عالية تصل في الأطلس الكبير إلى 4165 م، وانحدارات قوية خصوصا في الريف وأودية تتحول إلى خوانق كما هو الشأن في الأطلس الكبير الأوسط، ومجالات هضبية عليا أساسا في الأطلس المتوسط الغربي. تتصل السلاسل الجبلية بمحيطها السهلي أو الهضابي بواسطة مناطق غنية بأتربتها ومياهها وبحياتها البشرية، غالبا ما يطلق عليها نعت "الدير".

يزيد من تنوع المجالات الجبلية الاتجاه العام الذي تتخذه هذه السلاسل حيث تكون قوسا ذا اتجاه غرب / شرق على الشاطئ المتوسطي بينما تكوّن الاطالس كتلة ذات اتجاه عام شمالي شرقي جنوبي غربي تاركة بينها وبين البحر سهولا وهضاباً واسعة مما يؤثر على توزيع العناصر المناخية حيث يمنع من تسرب المؤثرات البحرية نحو الداخل ويقي من تسرب الرياح الصحراوية الجافة نحو الشمال.

تتلقى المجالات الجبلية عموما أزيد من 600 ملم من الأمطار سنويا وتعتبر بذلك المزود الأساسي لسائر البلاد بالأتربة وبالمياه، فمنها تنبع كل الأنهار المغربية سواء منها التي تصب في البحر المتوسط أو التي تنتهي إلى المحيط الأطلسي أو التي تصرف داخليا. وبناء عليه فهي تضم أهم التشكيلات الغابوية في البلاد.

هذه الظروف فرضت ومند القدم تكيف الإنسان مع الطبيعة الجبلية الهشة وخلق عادات وتقاليد في تدبيرها، سواء تعلق الأمر بحماية الغطاء النباتي أو تدبير الموارد المائية والترابية.

المجالات السهلية والهضبية : تمتد المجالات الواطئة في المغرب على الجزء الساحلي الشمالي الغربي : سهل سايس، الغرب، الشاوية ودكالة وعبدة ثم سهول داخلية تتكون أساسا من سهول الحوز وسهل السراغنة وتادلة وسهل البحيرة، أما نحو الجنوب فيمتد سهلاً سوس وتزنيت. أما شمال شرق المغرب فيشغله سهل ملوية والهضاب العليا.

هذا التوازن الإكولوجي الهش كان السكان يتعاملون معه بلطف، حيث استطاعوا استثماره ولقرون بدون مشاكل كثيرة : فمن جهة لم يكن الضغط الديموغرافي كما هو عليه الآن. ومن جهة ثانية كان الاستغلال المجالي يتحاشى التركيز المجالي. فكان السكان يمارسون أسلوب الترحال أو شبه الترحال فوق جل المجالات مما يسمح باستعادة التوازن دوريا.

الأرياف المغربية والتطورات الحديثة. بعد انفتاح المغرب، وأساساً منذ نهاية القرن الماضي تظافرت عوامل متعددة لتخل بذلك التوازن الهش القائم بين الإنسان والطبيعة :

أدى التحسن النسبي في ظروف عيش السكان إلى انفجار ديموغرافي حيث انتقل عدد سكان المغرب، وفي قرابة قرن من الزمن، من حوالي خمسة ملايين نسمة إلى ما يقارب 28 مليون نسمة. ويمثل الريفيون من هذه الكتلة قرابة 48٪، حيث يزداد عددهم سنة بعد سنة، وبشكل مطرد رغم تناقص نسبتهم ضمن مجموع سكان البلاد.

السنة	1900	1914	1926	1936	1952
نسبة	93 _ 92	90,7	87,8	85	78,8

السنة	1960	1971	1982	1994
نسبة	74,8	65	57,3	48,6

المصدر : RGPH et R. Escalier 1981

أدى الاستعمار وما صاحبه من استيلاء المعمرين على ما يناهز مليون هكتار من الأراضي الزراعية (272 ألف هكتار عن طريق الاستعمار الرسمي و830 ألف هكتار عن طريق الاستعمار الخاص) خصوصا داخل السهول الخصبة كسايس والغرب والشاوية وتريفة وسوس إلى تثبيت السكان وضبط مجال تحركاتهم واحتماء حشد كبير منهم بالمجالات الجبلية، كما أدى إلى تكسير ذلك التكامل التقليدي القائم على الانتجاع بين الأراضي المرتفعة والأراضي الوطيئة، والمبني على إراحة الأرض موسميا كل سنة. إن استيلاء المعمرين على الأراضي الجيدة أدى إلى استقرار السكان وبكثافات عالية فوق الأراضي الهشة وتركز الأرض بين أيدي الملاكين الكبار وظهور فئة من الفلاحين بدون أرض وعمال.

فئة المساحة	عدد الاستغلاليات	٪	المساحة	٪
أقل من 3 هك	762033	53.23	1075089	12.31
3 إلى 20	610604	42.65	4786282	54.81
20 إلى 50	47985	3.35	1526289	17.48
50 فما فوق	11011	0.77	1344554	15.40
المجموع	1431633	100	8732223	100

المصدر: الإحصاء الفلاحي 1996/الأطلس الفلاحي 2000

تنامي ظاهرة الهجرة نحو المدن وتكوين أحزمة الفقر حولها، حيث تكدس السكان داخل مدن الصفيح وعززوا داخلها صفوف البروليتريا والفقراء.

لقد دشنت مرحلة الاستعمار فترة التدخل الرسمي لتهيئ وتجهيز الدوائر السقية الأولى والتي ستكون نواة الفلاحة العصرية المغربية، حيث ظهرت أولى السدود الكبرى على وادي أم الربيع ووادي بهت.

بعد الاستقلال، كان على المغرب أن يقوم بتدبير التركة الثقيلة التي خلفها المعمر. فكان عليه أن يسترجع الأراضي المستعمرة وأن يقوم بتوزيعها وتأسيس تعاونيات الإصلاح الزراعي وشركات فلاحية عمومية مثل الصوديا والصوجيتا... كما كان عليه أن يتدبر أمر التجهيزات الهدروفلاحية الكبرى.

هكذا، وسعيا وراء توسيع المجالات الفلاحية العصرية من أجل تحقيق الأمن الغذائي وتشجيع الصادرات وتوفير الطاقة للمدن وللصناعات الناشئة وإيجاد فرص العمل داخل الأرياف، تمت متابعة إقامة التجهيزات الهدروفلاحية الكبرى حيث تتوفر المؤهلات الإيكولوجية حيث تم تشييد أزيد من 53 سدا ما بين 1951 و2001.

فترة	1929 - 50	51 - 60	61 - 70	71 - 80	81 - 90	91 - 00	المجموع
عدد	7	4	5	8	19	17	60
نسبة	11.6	6.6	8.3	13.3	33.3	28.3	100

المصدر: الأطلس الفلاحي 2000

لقد تطلب تدبير المجالات السقية الحديثة إحداث بنيات إدارية ثقيلة أهمها المكتب الوطني للري ومن بعده المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي بينما أحدثت المديريات الاقليمية للفلاحة في المجالات التي تطغى فيها الأراضي البورية. وهكذا تكرست من جديد صورة "المغرب النافع" الشمالي الغربي و"المغرب غير النافع" والمتكون من باقية التراب الوطني.

هذا اللاتوازن الإقليمي فرض إعادة النظر في السياسة الريفية للبلاد ونهج سياسة جديدة مع بداية السبعينات أهم معالمها:

- محاولة تنظيم النسل للتقليل من الضغط الديموغرافي؛
- محاولة الحد من الهجرة الريفية نحو المدن الكبرى بنهج سياسة اللامركزية وتشجيع بروز المراكز المتوسطة والصغرى؛
- التحكم إلى السياسة الجهوية قصد إعادة التوازن الإقليمي؛
- التحكم إلى إعادة التقطيع الإداري مرات ومرات لخلق أقطاب التنمية والتحكم في المجالات الريفية؛
- إعادة النظر في السياسة الفلاحية القائمة أساسا على المنشآت الهيدروفلاحية الكبرى، حيث بدأ الاهتمام بالمجالات البورية وبالمجالات السقوية المتوسطة والصغرى.

كما أن تفاقم مشاكل البيئة بازدياد توحل السدود وفقدان الأتربة الصالحة للزراعة وتراجع المساحات المكسوة بالغابة وتلوث المياه وزيادة ندرتها، أدى إلى ظهور اهتمام كبير بالمجالات الجبلية.

إن تواتر سنوات الجفاف خصوصا خلال العقود الأخيرة وتنامي مشاكل الأرياف وتبعاتها على المجالات الأخرى فرض التفكير في برامج أحيانا استعجالية لإنقاذ الأرياف أو العالم القروي. وهكذا شهدنا ظهور برامج مثل:

- برنامج كهربة العالم القروي، حيث ينتظر إيصال الكهرباء إلى جميع القرى في حدود عام 2010؛
- برنامج تزويد العالم القروي بالماء الشروب؛
- برنامج فك العزلة عن العالم القروي وذلك بشق المسالك وإيصال شبكة الهواتف إلى المناطق النائية ونشر التمدرس؛

- برنامج التضامن مع العالم القروي من أجل التغلب على آثار الجفاف وذلك بإعفاء الفلاحين من الضرائب ابتداء من بداية الثمانينات إلى غاية 2000 ثم 2010، وتقديم الأعلاف للماشية وإيجاد مناصب شغل للحد من تدفق القرويين نحو المدن ومحاربة انجراف التربة وتدهور الغابة والبحث عن الماء الشروب.

لقد اتسمت تدخلات الدولة في ميدان تهيئة الأرياف وعلى مر العصور بنوع من الانتقائية وعدم الشمولية مما أدى إلى خلق تفاوتات في التطور حيث تطورت المجالات المسقية على حساب المجالات البورية والمجالات السهلية على حساب المرتفعات الجبلية، كما تم إيلاء أولوية لمنتجات التصدير وأهملت المنتجات الرئيسية في الاستهلاك المحلي. كما أن الغايات الاقتصادية أنست المتدخلين الجوانب الاجتماعية مما أدى إلى تنامي مظاهر الفقر كالأمية والعزلة والبطالة... فأصبح الريف بعدما كان يغذي المدينة بحاجياتها مصدرا من مصادر مشاكلها المتعددة.

خاتمة : إن كل القرائن تدل على أن المجالات الريفية المغربية تتقلص سواء من حيث حجمها أو من حيث وزنها الديموغرافي بل وحتى الاقتصادي. فإن كان هذا يدل على وجود مؤشرات للتطور الإيجابي فإنه يجب أن لا يخفي حدود هذه التطورات.

فتناقص نسبة سكان الأرياف لم يُوازه تناقص في الضغط على الأراضي الفلاحية ولا تنامي استعمال الآلات الفلاحية (31.17٪ من الفلاحين يستعملون الآلة الحاصدة و16.0٪ يقتنون البذور المنتقاة...) : كما أن الفائض من السكان ينجرف نحو المدن ليعمق مشاكلها مما يجعل هذه الأخيرة تتوسع وتتضخم لتبتلع لتصبح منافس الفلاحة على مستوى الأرض والماء واليد العاملة.

إن التدخلات التي عرفها المجال الريفي أدت إلى ظهور مجالات تعتمد على الري العصري كالرش والتنقيط والضخ الآلي، كما أدت إلى انتشار منتجات فلاحية تسويقية كالموز، وإلى تطور صناعات فلاحية كصناعة السكر والقطن وصناعة التعليب والتبريد.

إن التدخلات المختلفة وعلى مر السنين أدت إلى تحسن في مستوى عيش السكان، وينعكس ذلك على مستوى الخدمات الصحية والتعليمية كما انعكس على مورفلوجية السكن الريفي وتجهيزاته وعلى مستوى تنوع أنشطة السكان لكن هذه التجديدات يجب أن لا تخفي استمرار معالم الفقر والتهميش. فهذه التحولات زادت من تعميق أزمة المجالات الهامشية كالجبال والواحات والمجالات البورية الجافة.

Bencherifa Abdellatif. *Le monde rural marocain : diversité spatiale et culturelle* In G.E.M. Vol. *Géographie humaine*. Dirigé par T. Agounty et A. Bencherifa. Rabat, 1989 ; Escalier Robert. *Citadins et espace urbain au Maroc*. 2 t., Tours, 1981 ; D. Noin. *La population rurale du Maroc*. 2 T., Paris, 1970 ; Royaume du Maroc. Ministère de l'Agriculture, du Développement Rural et des Pêches Maritimes, (2000) *Atlas de l'Agriculture* ; Royaume du Maroc (M.A.T.E.U.H.) (2000). Direction de l'Aménagement du Territoire. *Le territoire marocain. Etat des lieux*

محمد أيت حمزة

الريف الطبيعي. الريف سلسلة جبلية في شمال المغرب تظهر على شكل قوس. يحده من الشمال بحر البوران ما بين طنجة غربا ومصب ملوية شرقا. يتميز عن السلاسل الأطلسية المغربية بوقعه المحاذي للساحل المتوسطي وانتمائه إلى المجموعة الألبية، وبتضاريسه شديدة التجزء، ومناخه ذي التدرجات، وبتلويناته وتربته الغنية وتشكيلاته النباتية شديدة التنوع.

1 - الجيومورفلوجية والبنيوية والهيدرولوجية : **الريف** قوس محدب في اتجاه الجنوب الغربي، مواز للساحل المتوسطي. يبلغ طوله 360 كلم وعرضه 80 كلم في جزئه الأوسط. ينفرد الريف بتعدد قممه ووديانه ولا سيما في جزئه الأوسط حيث يصادف تدغين أعلى جبال السلسلة إذ يبلغ ارتفاعه فوق سطح البحر 2452 م. ومن أهم الجبال نذكر من الغرب إلى الشرق جبل كلتي (1927 م) والجبل الأقرع أو الأشهب (2170 م) وجبل تيزيرين (2101 م) وجبل الحمان (1957 م) وجبل أزرو أفشار (2010 م) وتعتبر هذه القمم الأوسطية الفاصل الطبيعي ما بين حوضين رئيسيين، حوض متوسطي شديد الانحدار، والآخر أطلنطي ضعيف الانحدار بالمقارنة مع الأول إذ ينتهي تدريجيا في منخفض الهبط وسهول الغرب وسايس وممر تازة وسهول وادي ملوية السفلى.

التضاريس جد وعرة وذات منحدرات طويلة وشديدة الانحدار. الوديان والأنهار جد مقعرة وسيلية الجريان. ولا سيما المتوسطية منها التي حفرت مجاريَ جد عميقة. نظراً لشدة الانحدار.

ومن أهم الأنهار النابعة بالريف نذكر تلك التي تصب في المتوسط مثل وادي مسون أكبر روافد ملوية، ووادي النكور الذي ينتهي في خليج الحسيمة ووادي الأحد ووادي لاو والوادي الكبير أو الوادي المحنش التي تصب ما بين الجبهة وتطوان. أما تلك التي تصب في المحيط فأكبرها وادي اللوكس الذي ينتهي بمدينة العرائش ووادي ورغة الذي يعتبر أخطر روافد سبو من حيث صبيبه الهام وجريانه الجارف إبان الأمطار الغزيرة.

ينقسم الريف من حيث البنيوية إلى ثلاث مجالات، وهي ابتداء من الشمال في اتجاه الجنوب :

- المجال الشمالي الذي يشمل :

منطقة الدهر القديم الممتدة من الجبهة شرقا إلى سبتة غربا والمكونة من عدة صخور مثل الكنيس والميكاشيست

وخث والكوارتزيت والمارن الحثي. تتشكل تضاريس المنطقة من هضاب وجبال ضعيفة الارتفاع.

. السلاسل الكلسية الشامخة والسائدة بارتفاعاتها ولونها الأشهب الموجودة في الجزء الغربي من الريف ما بين أسيفان شرق شفشاون من جهة. وجبل موسى المطل على مضيق جبل طارق غربا

. المجال الداخلي الذي يضم الطيّات الزاحفة الريفية : وهي طية بني يلّو الممتدة ما بين شفشاون والقصر الصغير المتشكلة من عدة أنواع من الصخور أهمها حثيث المارن والحث ؛ وطية جبل الشواكات وملوسة الموجودة شرق طنجة والمكوّنة من حثيث المارن والنيست أو الحث ؛ وطية تيزيرين الشامخة والمشكلة من حثيث الشيست والحث الممتدة ما بين آسيفان غربا وجنوب الحسيمة شرقا. والطيات النومدية المتميزة بتضاريسها الجبلية العالية الملوّنة أساسا من حثيث حثي والسائدة جنوب السلسلة الكلسية ومن أشهر قمم هذه الأخيرة جبل الخزانة، وجبل السنة وجبل أبو هاشم وجبل العلم موقع ضريح مولاى عبد السلام بن مشيش العلمي. وجبل الحبيب شرق العرائش والجبل الكبير غرب طنجة وجبل زمزم ما بين تطوان وسبتة، وجبل أوتكا غرب تاونات، وجبل الناضور وجبل بركان في الجزء الشرقي من الريف.

. المجال الخارجي المكون أساساً من صخور مارنية وشيستية الذي يشمل :

. المنطقة الريفية الداخلية التي تضم غربا وحدة طنجة ذات الصخرية المارنية والشستية ووحدة كتامة ذات الصخرية الحثة والشستية الممتدة على جزء كبير من الريف الأوسط حيث توجد أعلى قمم السلسلة ومن بينها جبل تدغين.

. المنطقة الوسطى المكونة من صخور شيستية وكلسية ومارنية. وهي تغطى هضابا وجبالا ضعيفة الارتفاع.

. المنطقة الجنوبية أو ما يعرف بمقدمة الريف الممتدة من المحيط إلى تازة والمتميزة بهضابها المارنية التي تشتد فيها ظاهرة التعرية نظراً لانعدام الغطاء النباتي الغابوي بسبب احتثاثه بغية استعمال الأراضي للزراعة، وخاصة زراعة الحبوب.

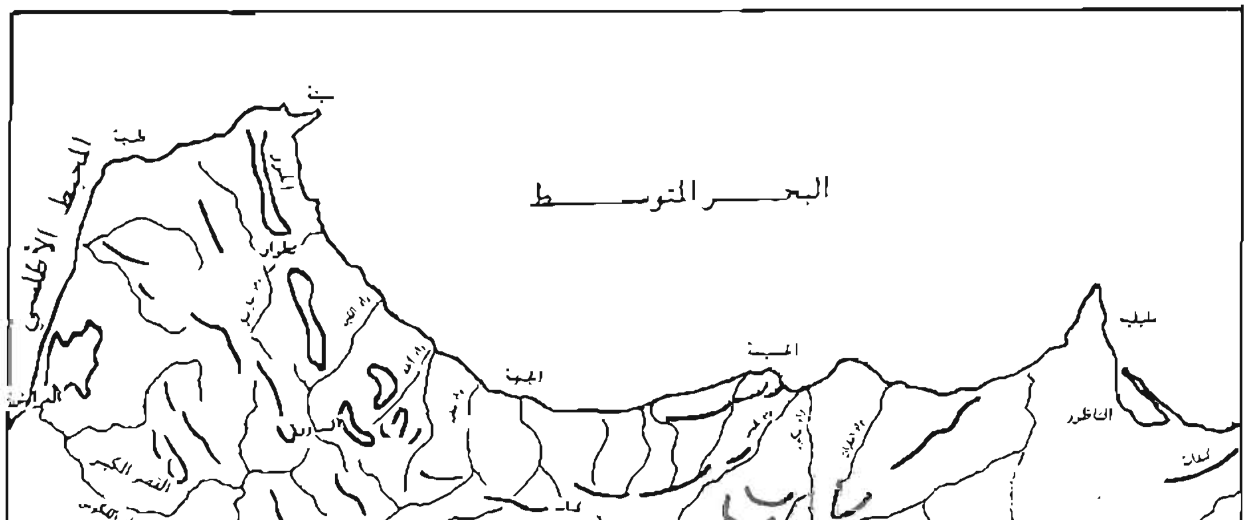
2 . المناخ والبيومناخات : يتميز الريف عن السلاسل الأطلسية أيضاً بمناخه المتوسطي الخاص. ومن أهم هذه المميزات :

. تلطيف المناخ بفضل تأثيرات المحيط وذلك بتقليص الفوارق الحرارية، إذ أن شتاء الريف يكون أقل برودة من شتاء الأطلس المتوسط. وصيف الريف أقل حرارة من صيف الأطلس المتوسط.

. وفرة التساقطات المطرية بالمقارنة مع الأطلس.

. المفارقة البيّنة بين الريف الأطلنطي الممطار في الواجهة الغربية والغربية الجنوبية من جهة، والريف المتوسطي الجاف نسبيا في الواجهة الشمالية الشرقية من جهة أخرى.

فمن حيث الحرارة يعرف الساحلان تلطيفا محسوسا للدرجات القصوى والدنيا، غير أن الساحل الأطلنطي يكون في الشتاء، أقل حرارة من الساحل المتوسطي نظراً لوجود



تضاريس جبال الريف

التيار البحري الكناري الصادر من الشمال في اتجاه الجنوب مروراً في عرض المحيط بالقرب من الساحل.

وهكذا يلاحظ أن معدلات درجات الحرارة القصوى لأحر شهر في السنة تسجل مرتفعة في مقدمة الريف بسبب هبوب رياح الشرقي حيث تسجل 37،6 في قرية أبّا محمد و39،6 بتيسا في حين لا تتجاوز على الساحل المتوسطي 30،2 ببني حذيفة، و29،2 بملوسة. لكن أقلها ارتفاعا هي التي يعرفها الساحل الأطلنطي حيث يسجل 2. 27 بالعرائش و25،7 بطنجة. أما المناطق الجبلية فهي بالطبع أقل حرارة بالمقارنة مع محطات المناطق المنخفضة. فمعدل الحرارة القصوى لأحر شهر لا يتعدى 27،9 بكتامة و28،5 بباب بَرْد. أكثر الشهور حرارة هو في الغالب شهر غشت.

أما في ما يخص معدلات درجات الحرارة الدنيا لأبرد شهر في السنة فإنها تظهر أن سلسلة الريف دافئة نسبيا. ففي كتامة التي هي أعلى محطة، يلاحظ أن المعدل يساوي 0° في شهر يناير. وهو أدنى معدل سجل لحد الآن. غير أن القمم العالية مثل جبل تدغين وجبل الأقرع وجبل تيزيرين وغيرها فمن المفروض أن تكون أكثر برودة من كتامة. تسجل المعدلات المتراوحة بين 0° و3° في المناطق القارية الموجودة على ارتفاع يتراوح ما بين 900 و1500 م، ولا سيما في الجزءين الشرقي والجنوبي من السلسلة. في حين تظهر المناطق المنخفضة معدلات تتراوح ما بين 3° و7°. أكثر المحطات دفئا في فصل الشتاء هي تلك التي تصادف على الساحل المتوسطي حيث يسجل 10° بالجبهة و9،9° بالحسيمة في حين لا يتعدى هذا المعدل 7،5 بأصيلة.

من حيث المعدلات السنوية للتساقطات فإنها تظهر على العموم أن الريف أكثر رطوبة من سلاسل الأطلس. وكما أشرنا له سابقا فإن الواجهة الأطلنطية أكثر غزارة، بينما تُظهر الواجهة المتوسطية تساقطات ضعيفة في معدلاتها. يسجل أقصى المعدلات السنوية للتساقطات المطرية في القمم المصادفة في الجزء الغربي. وهكذا تبين محطة أبو هاشم الموجودة على ارتفاع 1094 م، ما مقداره 2168 مم. وهو أعلى معدل في المغرب. وتأتي بعده محطات جبل أرتْكَا بمقدار 1758 مم وكتامة بمقدار 1616 مم. ومن البديهي أن تسجل الأرقام القياسية في قمم الجبال لهذه المحطات. أما في ما يخص المرتفعات المتوسطة والهضاب فإن المعدلات تبقى مهمة. ففي شبه جزيرة طنجة تكون المعدلات السنوية أكثر من 700 مم. يسقط 930 مم بملوسة و874 مم بوزان و1123 مم بزومي. لكن هذه الأرقام تنخفض في اتجاه الشرق حيث يسجل 572 مم بقرية أبّا محمد و551 مم بتيسا. يشتد الانخفاض على الساحل المتوسطي من الغرب إلى الشرق. 602 مم بمارتيل، 464 مم بواد لاو، 361 مم بالجبهة، 327 مم بالحسيمة، 293 مم برأس الماء (رأس كبدانة). ثم يرتفع ارتفاعا محسوسا بالناظور (370 مم) وبمليلية (401 مم). يسجل نفس الانخفاض التدريجي من الغرب إلى الشرق في المناطق القارية من الساحل المتوسطي : 681 مم ببعلي تلات، و400 مم بتارگيست، و325 مم ببني بوفراح، و294 مم بمضار، و281 مم بالدريوش. وأكثر المناطق الريفية جفافا هي التي تصادف في السفوح الشرقية المحاذية لوادي ملوية.

تسقط الثلوج في المرتفعات الريفية عدة أيام في السنة. لكنها لا تدوم حتى بداية الصيف إلا على بعض القمم الشامخة، وذلك بسبب التأثيرات البحرية.

ينتج عن التأثيرات البحرية كذلك ارتفاع درجات رطوبة الجو والتساقطات الخفية مثل الندى. فالمعدل السنوي للرطوبة النسبية يفوق في كل الحالات 70٪. ويسجل 78٪ في طنجة. ويبلغ المعدل السنوي للرطوبة الليلية 90٪ بالعرائش حيث يسجل 69 يوما من الندى سنويا. كما تعرف السلسلة ولا سيما ساحلها المتوسطي ومرتفعاتها أياماً عديدة من الضباب الصادر عن المتوسط ولا سيما في فصل الصيف إبان هبوب رياح الشرقي الشديدة الحرارة، فتشتد هذه الأخيرة في مقدمة الريف. وعند بلوغ هذه الرياح البحر يشتد تبخر المياه ويتكون ضباب كبير ويتصاعد مع وديان السفوح الشمالية في اتجاه الجنوب فتبلل تضاريس الريف الغربي بينما الحرارة شديدة في مقدمة الريف. ويفضل الضباب تلطف حرارة الجو الصيفيه في هذه المناطق المطلة على البحر المتوسطي.

تتميز سلسلة الريف كذلك بقوة رياحها ولا سيما في منطقة المضيق الواقع بين البحرين، حيث يلاحظ اتجاهان سائدان وهما رياح الشرقي ورياح الغربي. تهب رياح الشرقي من الجنوب الشرقي والشرق وترتفع معها الحرارة في السفوح الجنوبية للسلسلة. بينما تكون رياح الغربي ملطفة. لكن تسجيل السرعة والقوة للرياح لا يتم إلا في بعض المحطات الرئيسية مثل طنجة وتطوان والحسيمة. ويكاد ينعدم في المحطات الأخرى.

يستنتج من دراسة العوامل المناخية بالريف أن السلسلة تعرف كل البيومناخات المعروفة في المغرب والمنطقة المتوسطية باستثناء البيومناخ الصحراوي.

يقتصر البيومناخ الجاف على جزء محدود من منخفضات السفوح الشرقية للريف. بينما يمتد البيومناخ شبه الجاف على كل أطراف الجزء الساحلي المتوسطي شرق واد لاو على جزء واسع من الريف الشرقي ومن مقدمة الريف جنوبا. ويلاحظ البيومناخ شبه الرطب على الجزء الأكبر من الواجهة الأطلنطية، ويصل إلى البحر المتوسط في شمال شرق خليج الحسيمة وفي جبل گورُوگو المطل على الناظور. وينحصر البيومناخ الرطب في شبه جزيرة طنجة وفي المرتفعات من الريف الغربي والأوسط. أما البيومناخ شديد الرطوبة فهو يلاحظ على قمم الجبال العالية من الريف الغربي.

3. الفلورة والغطاء النباتي. من حيث التنوع

البيولوجي. يعتبر الريف أغنى المناطق المغربية ومن أهم المراكز في المنطقة المتوسطية. ويتجلى ذلك في فلورته وفونته وتشكيلاته النباتية وأنظمته البيئية فغطاؤه الغابوي شديد التنوع. إذ تقطنه جل الأنواع الشجرية الغابوية باستثناء العرعر الفواح (Juniperus thurifera) وأنواع الطلح (Acacia) وأركان (Argania spinosa) الذي يشكل غير بعيد عن الريف باقات منعزلة بالسنح الشمالي الغربي لجبال بني إزناسن بشرق وادي ملوية. وينفرد عن السلاسل الأطلسية بإيوائه لأنواع غابوية قبسية مثل الشوح المغربي (Abies maroccana) أو نادرة جداً مثل الصنوبر الأسود (Pinus nigra var. mauritanica) أو لا تصادف بالمناطق الأخرى لشمال إفريقيا مثل البلوط الزغبي (Quercus pyrenaica) والقسطل (Castanea sativa) والبتولة (Betula celtiberica) والمغث (Alnus glutinosa).

من حيث التوزيع البيوجغرافي لغابات الريف يلاحظ انتشارها حسب الظروف المناخية .

- صخور مارنية : تشكيلات البلوط القرمزي (Quercus coccifera) أو البلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) في البيومناخ الرطب، وتشكيلات الزيتون البري (Olea oleaster) في البيومناخ شبه الرطب، وتشكيلات العرعر البربري (Tetraclinis articulata) أو محليا الصنوبر الحلبي (Pinus halepensis) في البيومناخ شبه الجاف.

- صخور كلسية أو مارنية كلسية :

في البيومناخين شديد الرطوبة والرطب الباردين والقارسين نصادف غابات الشوح المغربي (Abies maroccana) وبلوط الزان (Quercus canariensis) والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) على العموم، ومحليا باقات من الأرز الأطلسي (Cedrus atlantica) والصنوبر الأسود (Pinus nigra var. mauritanica) والصنوبر البحري المغربي (Pinus pinaster var. maghrebiana).

في البيومناخين شديد الرطوبة والرطب الدافئين والمعتدلين، تشكيلات البلوط القرمزي (Quercus coccifera) في شبه جزيرة طنجة والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) في المناطق الأكثر قارية، أو محليا غابات الصنوبر البحري الإيبيري (Pinus pinaster var. iberica) .

في البيومناخ شبه الرطب البارد أو القارس : غابات البلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) ومحليا باقات الصنوبر البحري المغربي (Pinus pinaster var. maghrebiana).

في البيومناخ شبه الرطب الدافئ والمعتدل : تشكيلات البلوط القرمزي (Quercus coccifera) على العموم وبعض البلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) أو الصنوبر البحري الإيبيري (Pinus pinaster var. iberica).

في البيومناخ شبه الجاف الدافئ والمعتدل : تشكيلات العرعر البربري (Tetraclinis articulata) على العموم، و محليا الصنوبر الحلبي (Pinus halepensis).

- صخور سيليسية : في البيومناخين شديد الرطوبة والرطب الباردين والقارسين : غابات الأرز الأطلسي (Cedrus atlantica) والبلوط الزغبي (Quercus pyrenaica) وبلوط الزان (Quercus canariensis) على العموم، ومحليا باقات الصنوبر البحري المغربي (Pinus pinaster var. maghrebiana).

في البيومناخين شديد الرطوبة والرطب الدافئين والمعتدلين : غابات بلوط الزان (Quercus canariensis) والبلوط الفليني (Quercus suber) ومحليا غابات البلوط الزغبي (Quercus pyrenaica) والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) والبلوط القرمزي (Quercus coccifera) وباقات الصنوبر البحري الإيبيري (Pinus pinaster var. iberica).

في البيومناخ شبه الرطب البارد والقارس : غابات الأرز الأطلسي (Cedrus atlatica) والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) والبلوط الفليني (Quercus suber) ومحليا بلوط الزان (Quercus canariensis) وباقات الصنوبر البحري المغربي (Pinus pinaster var. maghrebiana).

في البيومناخ شبه الرطب الدافئ، والمعتدل : غابات البلوط الفليني (Quercus suber) في الجزء الغربي والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) في الجزء الشرقي. ومحليا الصنوبر البحري الإيبيري (Pinus pinaster var. maghrebiana).

- صخور مختلفة في البيومناخ شبه الجاف والجاف في الريف الشرقي : تشكيلات العرعر البربري (Tetraclinis articulata) والبطم الأطلسي (Pistacia atlantica).

4 - الطوابق النباتية والوحدات البيئية التعاقبية :

من حيث التوزيع البيوجغرافي للوحدات البيئية التعاقبية على الطوابق النباتية نجد أن الريف ينفرد بتنوعه الكبير في هذا المجال. فالسلسلة تظهر كل الطوابق النباتية ما عدا الطابق تحت المتوسطي. قبل التفاصيل في هذا الموضوع نريد أن نشير إلى أن أنواع الصنوبر المذكورة أعلاه وإن كانت تشكل غابات بكل معنى الكلمة، فإنها لا تنظم وحدات بيئية تعاقبية وإنما تكون تشكيلات تعتبر بمثابة أطوار من التطور التقدمي أو التراجعي للوحدات المناسبة. الصنوبر الحلبي (Pinus halepensis) والصنوبر البحري الإيبيري (Pinus pinaster var. iberica) يظهران في مجالات الوحدات البيئية التعاقبية للطابق المتوسطي الدافئ. بينما يظهر الصنوبر البحري المغربي (Pinus pinaster var. maghrebiana) في مستويات الوحدات البيئية التعاقبية للطابقين المتوسطي وفوق المتوسطي. وينحصر وجود الصنوبر الأسود (Pinus nigra var. mauritanica) في الطابق فوق المتوسطي المطابق للوحدة البيئية التعاقبية المنظمة من طرف الشوح المغربي (Abies maroccana).

- الطابق المتوسطي الدافيء : إنه أكثر امتدادا من الطوابق الأخرى، وذلك على المستويين الأفقي والعمودي. ويتجلى في الريف ما بين سطح البحر و1000 م. تتراوح المعدلات السنوية للتساقطات ما بين 300 و1500 مم، أي ما يرافق البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة ذات الشكلين الدافيء والمعتدل. وهذه الظروف ملائمة لوجود تنوع كبير للوحدات البينية التعاقبية التي من الممكن أن تصنف إلى صنفين :

- صنف الوحدات البينية التعاقبية الغابرية التي تعيش في البيومناخات شبه الرطبة والرطبة وشديدة الرطوبة. ويقطن في الجزء الغربي من الريف، وتُشكَّل من البلوط الفليني (Quercus suber) وبلوط الزان (Quercus canariensis) والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) والبلوط القرمزي (Quercus coccifera) والزيتون البري (Olea oleaster) والعرعر البربري (Tetraclinis articulata).

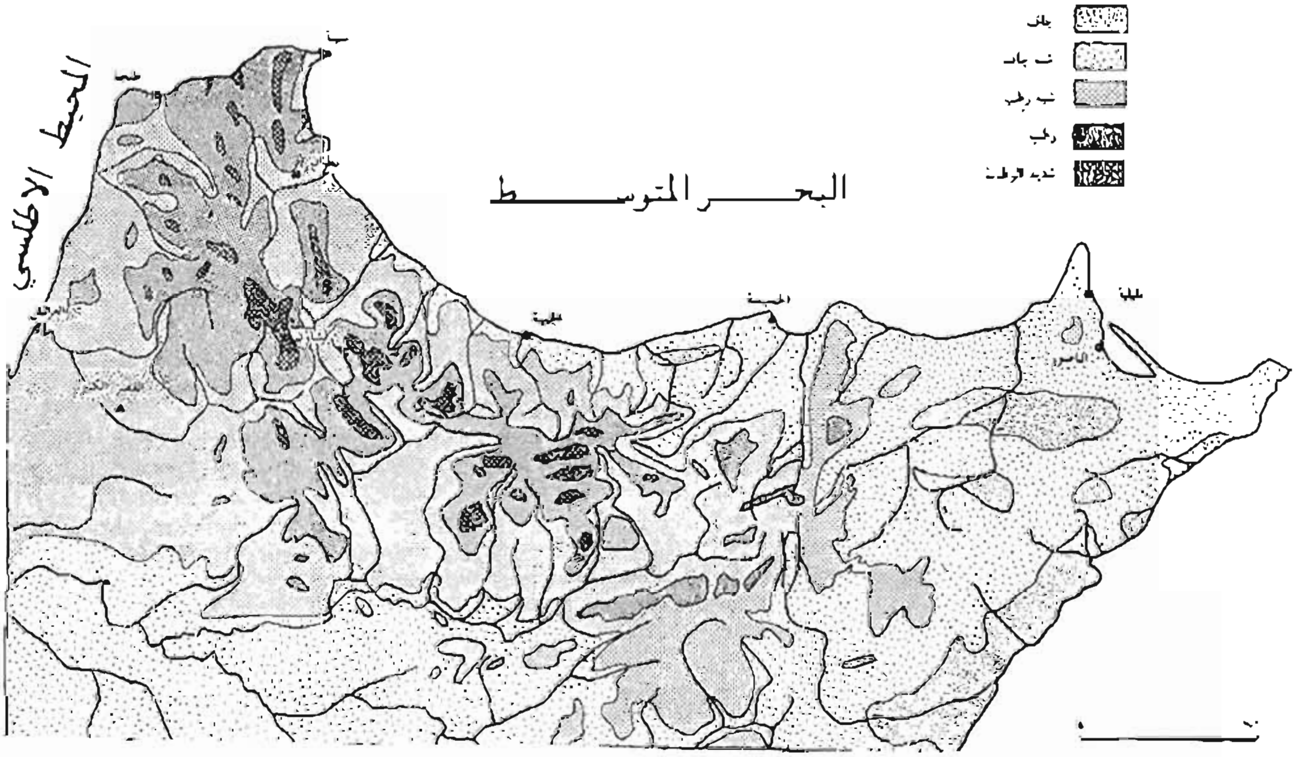
- صنف الوحدات البينية التعاقبية شبه الغابرية وشبه السهبية التي تصادف في البيومناخات شبه الجافة والجافة، وتغطي أجزاء شاسعة من الريف الشرقي، والمنظمة من طرف العرعر البربري (Tetraclinis articulata) والبطم الأطلسي (Pistacia atlantica).

لكن القسط الأكبر من مجالات هذه الوحدات البينية التعاقبية عار من العشائر الأوجية بعد اجتثاثها لغرض الزراعة. فلم تبق غابات الزيتون البري (Olea oleaster) والبلوط القرمزي (Quercus coccifera) ولا شبه غابات البطم الأطلسي (Pistacia atlantica) إلا بجوار أضرحة الأولياء الصالحين أو المقابر.

- الطابق المتوسطي : يغطي مساحة محدودة بالمقارنة مع الطابق المتوسطي الدافيء، ويقل عنه تنوعا. يتدرج ما بين 1000 و1400 م من الارتفاع، ويصادف في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة وشديدة الرطوبة ذات الشكل البارد. تتراوح معدلاته السنوية للأمطار ما بين 600 و2000 مم. تضم الأنواع الشجرية المنظمة للوحدات البينية التعاقبية الخاصة بهذا الطابق البلوط الزغبي (Quercus pyrenaica) وبلوط الزان (Quercus canariensis) ومحلياً البلوط الفليني (Quercus suber) والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) في الجزء الغربي من السلسلة. وينفرد هذا النوع الأخير في الريف الشرقي.

تعتبر غابات البلوط الأوجية أو شبه الأوجية في هذا المجال من أغنى وأجمل غابات المغرب. لكن عوامل التدهور كانت السبب في تدهور أو تدمير البعض منها أو اجتثاثها على مساحات شاسعة لتعويضها بالمزروعات وخاصة زراعة الكيف التي تزدهر في هذا المستوى من الارتفاع حيث تكون الظروف المناخية أكثر ملاءمة لهذا النبات (انظر كيف).

من جهة أخرى، تجدر الإشارة هنا إلى أن المستعمر الإسباني قام قبيْل استقلال المغرب بتخريب غابات الشمال المغربي باستغلالها استغلالا مفرطا لاستخراج خشب الشوح (Abies maroccana) والأرز الأطلسي (Cedrus atlantica) ومادة الفلين. وأكبر كمية من الخشب استغلت هي تلك التي استخرجت من غابات بلوط الزان (Quercus canariensis) لبناء السكك الحديدية بإسبانيا، نظرا لكون هذا النوع من الخشب متيناً وصلباً وغير متعفن. كان يقدر عدد العمال



المناطق البيومناخية

والعساكر المشتغلين بالمانات. وكانوا يشتغلون ليل نهار مستعينين بكل ما يلزمهم من عتاد حربي كالدبابات العسكرية مثلا. فنتج عن ذلك تخريب جل غابات بلوط الزان، إذ لم يبق حاليا إلا عدد قليل من الأشجار الهرمة والمتطوية غير الصالحة لتوفير خشب جيد.

- الطابق فوق المتوسطي : يوجد هذا الطابق كما يدل على ذلك اسمه فوق الطابق المتوسطي. ويندرج ما بين 1400 و1800 م من الارتفاع فوق سطح البحر. تكون البيومناخات في مستواه شبه رطبة ورطبة وشديدة الرطوبة ذات الشكل القارس. يتميز الطابق عن الطوابق الأخرى بتنوع غاباته وجمالها وديناميتها. فهي أقل تدهوراً وأقل تدميرا من تلك التي تصادف في الطابقين السفليين. الأنواع الشجرية المنظمة للوحدات البيئية التعاقبية مورقة ومخروطية. يمثل المورقات ذات الأوراق الصلبة البلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) ومحليا البلوط الفليني (Quercus suber) اللذان يشكلان غاباتهما في المناطق الأقل رطوبة ولا سيما في الجزئين الشرقي والأوسط من الريف تاركين الجزء الغربي الأكثر رطوبة للمورقات النفضية الممثلة بالبلوط الزغبي (Quercus canariensis) وبلوط الزان (Quercus pyrenaica) الذين يكسوان جزءاً كبيراً من المرتفعات السيليسية المنتمية لهذا الطابق. أما المخروطيات فهي ممثلة بالشوح المغربي (Abies maroccana) الذي تزدان به القمم الكلسية في الريف الغربي، وكذلك بالأرز الأطلسي (Cedrus atlantica) الذي يشكل باقات على الصخور الكلسية في حالة انعدام الشوح، ويغطي بغاباته جل القمم عندما تصير الظروف المناخية وخاصة البرودة غير ملائمة للبلوطين النفضيين. مما يجعل الأرز يسود هذا الطابق في الجزء الأوسط من الريف الأكثر برودة والأقل أمطارا من الجزء الغربي الأقل ارتفاعا.

تجدر الإشارة هنا إلى أن اجتثاث الغابة محدود لأن الظروف المناخية غير ملائمة للزراعة. فزراعة الكيف مثلا ضعيفة الإنتاجية في هذا المستوى.

- الطابق الجبلي المتوسطي : يعتبر هذا الطابق أعلى الطوابق الغابوية بالمعنى الصحيح لأن الظروف المناخية للطابق القمّي وهو الطابق الأعلى ليست ملائمة لتشكيل غابات، وإنما تشكيلات شبه غابوية أو شبه سهبية أو سهبية أو غير ذلك. يوجد الطابق الجبلي المتوسطي ما بين 1800 و2300 م. الشيء الذي يجعله ينحصر على قمم الريف الأوسط ما بين جبل كلتي غربا وجبل الأرز شرقا. إنه طابق غابوي شديد الرطوبة تتساقط فيه الأمطار والثلوج بكمية هامة لكن شتاءه قارس جدا، وقساوة برودته تمنع عدة أنواع من النمو في هذا المجال. فالأنواع الشجرية المنظمة للوحدات البيئية التعاقبية تقتصر على الأرز الأطلسي (Cedrus atlantica) والشوح المغربي (Abies maroccana) والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) فتتقسم المجال حسب الظروف البيئية. ويكون الشوح الأكثر تطلبا لكمية الأمطار بكسو القمم الكلسية، بينما يوجد الأرز [illegible] السيليسية الموجودة في قلب السلسلة. ويكتفي البلوط الأخضر بالنمو في المجالات غير الملائمة مطريا للنوعين السابقين. ولا سيما في الواجهات المشمّسة والجافة نسبيا من الريف الشرقي والأوسط.

إنه من النادر جدا مصادفة مجالات مخصصة للزراعة نظراً لقساوة البرودة في هذا المستوى. الشيء الذي يجعل عملية الاجتثاث منعدمة.

- الطابق فوق الجبلي المتوسطي : يقتصر هذا المستوى في الريف على قمة جبل تدغين وبالتحديد على الجزء الموجود ما بين 2300 و2452 م، حيث ينظم الأرز الأطلسي (Cedrus atlantica) وحدة بيئية تعاقبية شبه سهبية بالرغم من وجود بيومناخ شديد الرطوبة. وذلك لأن فصل الشتاء أشد برودة من الطابق الجبلي المتوسطي. والملاحظ هنا أن العشيرة الأوجية لهذه الوحدة قد انقرضت في الماضي القريب دون معرفة السبب. ولم يبق فوق قمة تدغين إلا بعض الشواهد المثلة ببعض الجثث الواقفة للأرز الأطلسي.

5- أنواع الأتربة والطوابق النباتية والوحدات البيئية التعاقبية :

يستنتج من الدراسة المعمقة لتوزيع أنواع الأتربة المنطقيّة أن هناك علاقة وطيدة بين هذه الأخيرة وتنوع الوحدات البيئية التعاقبية حسب توزيعها على الطوابق النبتية. وها هي لمحة وجيزة عن أنواع الأتربة المنطقية مسرودة حسب تنطقها ابتداء من السهول المنخفضة الجافة في الريف الشرقي وانتهاء بالقمم المطيرة :

- تلاحظ الأتربة الكستنائية في مجالات الوحدات البيئية التعاقبية للبطم الأطلسي وللعرعر البربري الموجودة بالريف الشرقي، وذلك في الطابق المتوسطي الدافئ.

- تصادف الأتربة التحديدية الحمراء في مجالات الوحدات البيئية التعاقبية الموجودة في المتوسطي الدافئ والمنظمة من طرف العرعر البربري والبلوط القرمزي وبلوط الزان والبلوط الفليني. كما تصادف أيضا على الصخور الكلسية في مجالات الوحدات البيئية التعاقبية المندرجة في الطابق المتوسطي.

- تتكون الأتربة التحديدية الدكناء في مجالات الوحدات البيئية التعاقبية الموجودة على الصخور الكلسية في سفف الطابق المتوسطي وفي الطابق فوق المتوسطي أو على الصخور السيليسية في الطابق المتوسطي.

- تنظم الأتربة الغابوية الدكناء في المجالات شديدة الرطوبة المنتمية للوحدات البيئية التعاقبية فوق المتوسطية المشكلة على الصخور السيليسية من طرف البلوط الزغبي وبلوط الزان، وللوحدات البيئية التعاقبية على الصخور الكلسية، في الطابق الجبلي المتوسطي.

. تنحصر الأتربة الدبجورية العكراء في مجالات الوحدتين البينيتين التعاقبيتين المنظمتين من طرف الأرز في الطابقين الجبلي المتوسطي وفوق الجبلي المتوسطي.

أما فيما يخص الأتربة لا منطقية فهي توجد في المجالات ذات الظروف البيئية المناسبة لها :

. الأتربة الترمبية خاصة بالسهول والمنخفضات الموجودة في مجالات الوحدة البينية التعاقبية للزيتون البري.

. الأتربة الشرساء، مشكلة على المنحدرات فوق الصخور المارنية في مجال الوحدة البيئية التعاقبية للزيتون البري.

Benabid A., *Etudes phytoécologique, biogéographique et dynamique des associations et séries sylvatiques du Rif occidental*. Thèse Doct. es. Sc. Fac. Sc. et Tech. St Jérôme, Aix-Marseille III, 1982, 199 p. + annexes ; *Etudes biogéographique et dynamique des peuplements forestiers du Rif*. *Annales Recherche Forest au Maroc*, T. 23 - 49 - 129, 1983 ; *Etude phytéocologique des peuplements forestiers et préforestiers du Rif centrooccidental*. Rabat, 1984.

عبد المالك بنعبيد

* *

إذا كان مصطلح الريف يشمل بالمعنى الجغرافي مجمل المناطق الممتدة في تشكل سلاسل جبلية على طول الشريط الساحلي بشمال المغرب الأقصى، بينما يعمد المهتمون بالإرث الثقافي والحضاري وبالخصائص الاجتماعية المحلية إلى التمييز بين بلاد الريف حيث مضارب جملة من القبائل الأمازيغية المتفرعة عن الأصول النفزية وبلاد جبالة وغمارة الممتدة على المرتفعات الغربية والمتأصلة في البطون الصنهاجية والمصمودية.

ولم يتحفظ رواد المهتمين بتاريخ المغرب الأقصى الوسيط من الإقرار بأن عبارة الريف لم تستعمل للدلالة على جزء من شمال المغرب إلا ابتداء من العصر المريني خلال القرن السابع (13 م). مصداق ذلك ما ذكره البادسي ضمن مقصده *الشريف* عن "الريف الكائن ما بين مدينتي سبتة وتلمسان". وهو ما يتجلى من خلال الإشارات المتواترة لدى جملة من المؤرخين المتأخرين الذين تناولوا بالذكر بلاد الريف في متون مصنفاتهم، نخص منهم بالذكر ابن خلدون في *العبر* وابن أبي زرع الفاسي في *القرطاس*. ومما ساهم في ترسيخ هذا الاعتقاد خلو كتب المسالك والممالك الجغرافية القديمة من ذكر بلاد الريف ضمن أعلامها الجغرافية. كما هو الشأن لدى ابن حوقل في *صورة الأرض* والبكري في ذكر بلاد *المغرب* وغيرهما مما دأب جمهور الباحثين على اعتمادهم.

وبصرف النظر عن اقتران مصطلح الريف عموما بالبادية، حتى غدت الأرياف من المصطلحات إن لم تكن من الحقول المعرفية المرتبطة بالبوادي : لم يتردد بعض الدارسين من التماس الأصول اللغوية لعبارة الريف في اللهجات العامية. مع العلم أن قواميس اللغة العربية تشير إلى ارتباط مصطلح الريف "بالخصب والسعة في المآكل"، مؤكدة على علاقته بالعمران الحضري : ففي لسان العرب المقصود : "بالريف، حيث يكون الخضر والمياه". وليس أدل على عمق الارتباط بين المعنيين مما ورد في حديث العرنيين بالقول : "كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، أي أنا من أهل البادية لا من أهل المدن".

ولا تعوز القرائن الدالة على استبحار العمران الحضري بشمال المغرب خلال القرون الثلاث الهجرية الأولى. فأول مدينة بنيت بالمغرب بعد الفتح الإسلامي حاضرة نكور ببلاد الريف، التي سرعان ما غدت حسب تقدير اليعقوبي "المدينة العظمى". كما أنشئت بعدئذ مدن المزمة وبادس إضافة لجراوة ومرجانة وتاوريرت. وتعددت التجمعات القروية، مثل تمسمان وبدكون وإبذي وقرية الصقالبة. وما فتئت المصادر التاريخية تكشف عن مواقع جملة من القلاع والحصون القديمة ببلاد الريف مثل تسفت وكرط واكرى ومسطاسة، إلى ما يند عن الحصر من المرافئ البحرية مثل مرسى بقوية وتمسمان وبليش وأدار وأرفنس وكرط ومرك، الوثيقة الارتباط عبر الخطوط البحرية بالعدوة الأندلسية. لعل في جملة هذه العناصر ما يدعو إلى التماس أصول مصطلح بلاد الريف في ذات المرحلة التاريخية الممتدة من الفتح الإسلامي إلى غاية منتصف القرن الرابع الهجري.

وعلى عكس تحاليل ثلة من الدارسين الذين تناولوا الأصول التاريخية لهذه العبارة، يبدو من خلال جملة من القرائن أن مصطلح الريف المتأصل في لسان العرب قد استعمل منذ وقت مبكر بدلالات جغرافية وعمرانية لنعت مجمل الشريط الساحلي الممتد شمال المغرب الأقصى. مصداق ذلك، ما ورد لدى ابن عذاري اعتمادا على مصادر قديمة، في سياق حديثه عن حملة النورمان على حاضرة نكور وبلاد "العدوة فاستباحوا أريافها"، على حد تعبيره.

والجدير بالملاحظة، أن نفس اللفظ استعمل للدلالة على المناطق الساحلية العامرة بالعدوتين المغربية والأندلسية، بل وكذا على غيرها من مناطق دار الاسلام التي تحمل نفس المواصفات السالفة، أي الخصب والسعة والقرب من البحر واستبحار العمران الحضري. يتجلى ذلك من خلال إشارة ابن خرداذبه إلى "بطن الريف" الكائن بمصر، وغير ذلك من الإشارات المتواترة بخصوص "ريف شذونة" بالأندلس و"ريف غمارة" بالمغرب. من الطبيعي في ظل التشابه العمراني بين سواحل العدوتين خلال القرون الأربع الهجرية الأولى أن يعمد أهل القلم إلى تمييز "ريف الأندلس" بالضفة المقابلة عن "ريف المغرب"، كما يتجلى من خلال ما احتفظ به ابن عذاري والقاضي عياض من اقتباسات.

إلا أن الجديد يكمن في إضفاء دلالات اجتماعية وتاريخية على ريف المغرب خاصة دون بقية الأرياف

المتوسطية. بما في ذلك ريف الأندلس : حتى غدا مصطلح الريف مع مر الزمن مقرونا به دون غيره. وذلك اعتبارا من سقوط إمارة بني صالح، مع ما ترتب عن ذلك من فراغ على إثر خراب نكور سنة 473 هـ. أسفر ذلك عن اختفاء عبارة بلاد نكور تدريجيا من متون المصنفات التاريخية المتأخرة، تاركة المجال لرسوخ العبارة البديلة : بلاد الريف.

هكذا تبلورت معالم مصطلح ذي دلالتين تتمايزان في السياق حسب الاستعمال : الريف بمعناه الجغرافي والعمراني الأصلي القديم، ويشمل مجموع المنطقة الشمالية بالمغرب الأقصى، وهو ما عبر عنه ابن سعيد الأندلسي بالقول : "وذلك الساحل يعرف بالريف" أو "بلاد الريف" حسب ابن الخطيب، أو "جبال الريف" حسب الوزير الغساني ثم الريف بمعناه الاجتماعي والتاريخي الذي يستثني معظم جبال غمارة وينضبط بدقة في المناطق التي شملتها إمارة بني صالح الغابرة، حسبما يتضح من الاستعمالات المتواترة في كتابات ابن عبد الملك المراكشي وابن خلدون والناصري وغيرهم. أما التمييز الذي ورد لدى الحسن الوزان وغيره من متأخري المصنفين "بين الريف وكرط"، فلا يعدو أن يكون مجرد تقسيم إجرائي يعمد إلى إحصاء الأقاليم المغربية بمعيار إداري بجعل "خامسها الريف... وسادسها هو كرط"

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1967 ؛ ابن خرداذبة، *المسالك والممالك*، نشر دي خويه، ليدن، 1967 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، م. 2، القاهرة، 1973؛ ابن خلدون، *العبر*، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، بيروت، 1981 ؛ ابن سعيد، *بسط الأرض في الطول والعرض*، تح. خوان ڤرنيط خينيس، تطوان، 1958 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر الثامن القسم الأول، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تح. ج. س. كولان وليفي بروفنسال، بيروت، 1980 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، تح. عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة بدون تاريخ، ج 5، حرف الفاء ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1993 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، نشر دي سلان، باريس، 1965 ؛ الغساني، *حديقة الأزهار*، تح. م. العربي الخطابي، بيروت، 1985 ؛ القاضي عياض، *أزهار الرياض*؛ مارمول، *إفريقيا*، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط، 1984 ؛ الناصري، *الاستقصا*، تح. جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، 1954 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ محمد أونيا، *مفهوم الريف المغربي*، حوليات الريف، العدد الأول، السنة الأولى 1998، ص 14-44.

Patrice Cressier, *Prospection archéologique dans le Rif (zone de l'ancien royaume de Nakur)*, présentée à l'Université de Paris - Sorbonne ; Michaux-Bellaire, *L'Histoire du Rif*, in *Rif et Jbala*, Paris, 1926

أحمد الطاهري

الريف (مقدمة -) منطقة متميزة بشمال المغرب تطبعها مظاهر طبيعية وبشرية تختلف عن مثيلاتها شمال وجنوب هذه التلال. فهي وحدة تضاريسية تتميز بأشكال طبوغرافية بسيطة، من قمم منعزلة وأعراف وانحدارات. وهي عبارة عن جبال سفلى سطحها جد متقطع وارتفاعاتها متباينة قلما تتجاوز 800 م. تختلف مجالات هذه التلال من حيث التهوية بسبب اتساع أو ضيق قعور الأودية التي تخترقها ارتباطا بنوعية الصخور التي تميز مختلف المجالات.

تقع هذه التلال في النهاية الجنوبية لجبال الريف، ويطلق عليها أيضاً تلال ما قبل الريف Les collines prérifaines. وكلا هاتين التسميتين تعني أن جبال الريف لها بداية جنوبية تختلف في مظهرها عن الجبال الشمالية المرتفعة التي تصل ارتفاعها إلى 2456 م بجبل تيد غين.

تمتد تلال مقدمة الريف من الشمال الغربي نحو الشمال الشرقي وتشكل حزاما جنوبيا لهذه السلسلة. شكلها العام هلالي مقعرة نحو الشمال ومحدبة نحو الجنوب. تشرف غربا على حوض اللوكوس وفي الجنوب الغربي على سهل الغرب، وجنوباً على السايس، وشرقا على النهاية الشمالية الغربية للأطلس المتوسط. يبلغ امتدادها الطولي حوالي 300 كلم في التراب المغربي. ويستمر ظهورها في جبال التل بالجزائر وتونس إلى حدود رأس بون وعلى مشارف شط دجريد بالتراب التونسي. وهكذا فإن سلاسل تارارة وتسالة والدهرة بالجزائر تعتبر امتدادا لهذه التلال.

تعرف تلال مقدمة الريف من حيث قطاعها المستعرض اتساعا في الوسط الجنوبي إذ يصل عرضها إلى حوالي 50 كلم ؛ أما في اتجاه الشمال الغربي والشمال الشرقي فإن عرضها ينقلص ليصل إلى حوالي 10 كلم في الجانبين. وتبلغ المساحة الكلية لهذه التلال حوالي 10 000 كلم2.

تتخلل هذه الوحدة التلية شبكة هيدروغرافية كثيفة ترتبط بأودية مهمة أغلبها تتجه نحو الجنوب الغربي لتصب في المحيط الأطلنتيكي : واد سبو واللوكوس وروافدهما الأساسية مثل واد ورغة. وهناك نسبة قليلة من هذه الأودية تتجه نحو الشمال الشرقي لتصب بالبحر المتوسط : واد ملوية وبعض روافده مثل واد مسون، واد كرت.

هناك اختلافات من حيث الارتفاعات من موضع إلى آخر رغم أن نسبة كثيرة من القمم يتراوح ارتفاعها بين 300 و700 م، ونسبة قليلة جداً تصل الارتفاعات فيها إلى 800 و1000م، خصوصا في تلال مقدمة الريف الشمالية. وتوجد أخفض النقط الارتفاعية على طول المجاري المائية وهي تختلف حسب القرب أو البعد إما من العالية أو من السافلة. وكمثال فالمحاور الرئيسية عند النهاية الجنوبية لتلال مقدمة الريف تنخفض ارتفاعاتها لتصل إلى أقل من 50 م، بينما في العالية نحو الشمال والشمال الشرقي تصل الارتفاعات لهذه المجاري إلى 400 و500 م. وللإشارة فإن

نسبة تعمق بعض الأودية بتلال مقدمة الريف قد تصل إلى 400 أو 300 م إلى أقل من ذلك بكثير.

أما من الناحية الجيولوجية، فإن أهم ما يميز تلال مقدمة الريف هو تاريخ تكوينها الحديث والأصل الغير محلي لكثير من مواد هذه المنطقة، الناتجة عن الزحف حيث تسمى "الطيات الزاحفة" Les nappes de chariage.

تقع تلال مقدمة الريف من الناحية البنيوية في الجزء الجنوبي من الأخدود الجنوب ريفي بين تجاعيد مقدمة الريف (بمنطقة مولاي إدريس زرهون وسيدي قاسم) جنوباً ومنطقة الريف الداخلي Zone intra-rifaine شمالاً.

تشكل هذه التلال ميدانا للطيات الزاحفة التي تنقسم إلى قسمين : طية وزان وطية مقدمة الريف. توضعت مواد الطية الأولى في المنطقة الداخلية من الأخدود الجنوب ريفي وزحفت بعد ذلك نحو الجنوب. أما مواد الطية الثانية فقد توضعت في الجزء الجنوبي من الأخدود الجنوب ريفي.

يرتبط زحف هذه المواد بالحركات التكتونية التي ما زالت آثارها موجودة في استراتيغرافية التكوينات بالجزء الجنوبي من الأخدود الخارجي، وخصوصا في مواد الجوراسي ومواد الزمن الثالث. وقد كان هذا الزحف مدعما بشكل عام بواسطة حركات رفع في المناطق الشمالية وحركات تهدل في المناطق الجنوبية. ومن الحركات التكتونية الأساسية حركات الرفع في أواخر الاوليگوسين وخلال الطرطوني الأوسط، تم بواسطتها انفصال في التكوينات الداخلية للأخدود مما أدى إلى الانزلاقات الكبرى عن طريق الجاذبية من الشمال نحو الجنوب. ولتوضيح ميكانزمات توضع هذه الطيات نشير إلى النتائج التي توصل إليها D. Leblanc سنة 1979 حيث لخصها من ناحية التاريخ الجيولوجي إلى أربع مراحل :

- قبل الحوادث التكتونية للميوسين : كانت منطقة تلال مقدمة الريف مغمورة بالبحر، بينما المناطق الداخلية كانت مكشوفة، مما جعل مقدمة الريف الخارجي تعرف ارسابات صلصالية.

- خلال المرحلة الأولى للحوادث التكتونية في الميوسين الأسفل : تواصلت الإرسابات في مقدمة الريف الخارجي وبدأ الزحف من الشمال نحو الجنوب.

- خلال المرحلة الثانية من الحوادث التكتونية في الميوسين الأوسط وفي بداية الطرطوني : أدت هذه المرحلة إلى تقدم ما يسمى "بالوحدات العليا العائمة" والتي لم تتوضع في مقدمة الريف الخارجي إلا خلال الطرطوني الأعلى.

- التطور المابعد الطيات : تحدد الغمر البحري في مقدمة الريف مع تواصل في نشاط بعض الحركات التكتونية إلى نهاية الطرطوني، حيث أدت إلى رفع مقدمة الريف، وإلى تراجع الغمر البحري مما أدى إلى ظهور تلال مقدمة الريف، عززتها تعرية نشيطة طبعت مجال هذه التلال مشكلة مظاهرها الحالية.

ولتلخيص ليتوستراتيغرافية هذه التلال نورد الجدول أسفله (رقم 1) مرتباً ترتيباً كرنولوجيا مخالفا للواقع الميداني بالمنطقة.

جدول رقم 1 : الفترات والعصور وأنواع الصخور بتلال مقدمة الريف

الفترات والعصور الجيولوجية	أنواع الصخور
الرباعي	مكون من ست درجات على جوانب الأودية ذات مواد خشنة في القاعدة ومواد دقيقة في الأعلى
الفيلافرانشي	مكون من حصبا، تاربة سميكة في المنطقة الغربية (عربارة)
الميوسين	• الميوسين الأعلى : حث رصيص ـ صلصال أسود ملحي وصلصال رملي ـ • الميوسين الأسفل : حث صلصالي ورصيصي أحيانا
الايوسين	صلصال وكلس وكلي صلصالي وصلصال حثي
الكريتاسي	• الكريتاسي الأعلى : صلصال ملحي مدعم أحيانا بركائز كلسية وحثية ـ • الكريتاسي الأسفل ـ صلصال يحتوي على جبس
الجوراسي	صلصال كلسي ـ كلس أحمر ـ نضيد حثي وكلسي ـ كلس كتلي
اللياس	كلس دلوميتي ـ كلس وصلصال كلسي
الترياس	طين أحمر ملحي وجبسي ودوليريت

المصدر . *Ressources en eau du Maroc*, 1978 . التقارير المنجزة في إطار مشروع حوض سبو (الليثولوجيا)، 1968.

ونتيجة لهذه الستراتيغرافية المتنوعة بمنطقة مقدمة الريف، فإن تكتونيتها متأثرة بالاختلالات الصخارية الملحوظة حيث إن زحف المواد أدى إلى تراكم الأجزاء الصلبة وتراكبها على شكل مجموعات تنفصل فيما بينها منخفضات مكونة من صخور هشة أدى زحفها إلى اختلاطها وتبعثرها إلى حد اتلاف معالم بنيتها في كثير من الأماكن.

تحتوي تلال مقدمة الريف على وحدات متميزة من الناحية التكتونية والصخارية، ويمكن تقسيمها من الشمال نحو الجنوب إلى أربع وحدات كبرى :

- منطقة الصفوف في الشمال (Les sofs) : تمتد من منطقة وزان إلى منطقة واد المسون على شكل أعراف متتالية مكونة من الكلس أساساً، وهي وحدة كتلية بارزة في المنطقة. تتكون هذه الصفوف Sofs من عدة أجزاء متراكبة فيما بينها، وهي عبارة عن تجاعيد شبه محدبة، صخورها كلسية، حثية ونضيدية تنتمي إلى اللياس والجوراسي.

- مقدمة الريف الحقيقية : تمتد من الشمال نحو الجنوب بين منطقة الصفوف وتجاعيد مقدمة الريف، وتهم مساحة هامة بين الوحدات الأخرى وتشمل الوحدة الثالثة التي سنتناولها مستقلة (وحدة طية وزان) بغض النظر عن طية وزان تتكون هذه التلال الحقيقية من مواد صلصالية بالأساس :

+ صلصال محلي وجبسي، ينتمي إلى الترياس

+ صلصال كريتاسي يحتوي على رفوف حثية وكلسية

+ كلس حثي وصلصالي ينتمي إلى الايوسين والأليگوسين

+ صلصال الميوسين الأعلى

وقد عرفت الأنواع الهشة من هذه الصخور زحفا نحو الجنوب وتوجد بين التكوينات الميوسينية بمنطقة الغرب ومنطقة فاس ومكناس.

- طية وزان : هي عبارة عن كتل صخرية صلبة تتناثر هنا وهناك داخل مقدمة الريف الحقيقية المشار إليها آنفا. تسمى هذه الطية أيضا "الكتل العائمة" فوق تكوينات مقدمة الريف وتتكون أساساً من مواد الزمن الثالث :

+ صلصال أبيض صواني ينتمي إلى الأيوسين الأسفل

+ تكوينات الميوسين الأسفل مكونة من الحث والرصيص

+ بعض عناصر الأيوسين الأعلى والأوليگوسين

+ تكوينات الطرطوني الأسفل والأوسط

وكل هذه المواد زاحفة من الشمال أي من أقصى الوحدات الشمالية للريف.

- تجاعيد مقدمة الريف : تشكل هذه التجاعيد الحد الجنوبي لطية مقدمة الريف وتوجد أساساً قرب الهضبات، سيدي قاسم، مولاي إدريس زرهون، وتتكون من :

+ تكوينات اللياس الأسفل : كلس، صلصال، كلس حثي، حث "حث زرهون".

+ تكوينات الكرتياسي : طبقات متعاقبة من الصلصال والكلس.

+ تكوينات الزمن الثالث : كلس يحتوي على أجزاء حثية - مولاس من الصلصال الكلسي، صلصال أبيض "صلصال بني عمار".

إن مختلف هذه الوحدات تشكل من الناحية التضاريسية تباينات واضحة في المجال. ويمكن أن نصنف البعض منها في إطار الجبال المنخفضة : يتعلق الأمر بمنطقة الصفوف، بطية وزان وبتجاعيد مقدمة الريف، وتبقى وحدة مقدمة الريف الحقيقية عبارة عن تلال حقيقية اعتبارا لأشكالها البسيطة وارتفاعاتها المنخفضة.

تحتوي تلال مقدمة الريف على أشكال كبرى وصغرى :

- الأشكال الكبرى وتتمثل في :

+ الأشكال البنيوية وهي عبارة عن أعراف طولية

+ الأشكال السفحية : تتنوع حسب وضعية تراكب الصخور الصلبة والصخور الهشة ؛ ونتيجة لذلك تكون السفوح إما مقعرة أو مركبة.

+ الأشكال النهرية : عملت الأودية بتلال مقدمة الريف خلال فترات الزمن الرابع على بناء درجات نهرية وتتكون من ست مستويات متدرجة وتحتوي من الأسفل نحو الأعلى:

- مستوى حصوي حصيي ورملي يختلف من حيث درجة التماسك حسب تقدمه وحسب نوعية اللحام.

- مستوى رملي وطيني يتأثر سلبا أو إيجابا بعوامل التعرية (الإزالة أو الاغناء بالمواد السفحية).

الأشكال الصغرى : هي أشكال مركزة ناتجة عن عمل التعرية وحظيت بدراسة مفصلة من الناحية النوعية (خرائط التعرية المنجزة من طرف Avenard في إطار مشروع حوض سبو) بعموم تلال مقدمة الريف. ونورد فيما يلي أهم الأشكال التي توجد بهذه المنطقة :

+ الأشكال المرتبطة بالنمت الجانبي للأودية : تهم هذه التعرية المجالات المنخفضة من تلال مقدمة الريف، حيث أن الأودية خلال الفصل الممطر وأثناء الفيضانات، تعمل على اكتساح جوانبها وتؤثر سلبا على السفوح المشرفة عليها. تتسبب قوة المياه في انهيارات على جوانب الأودية وانزلاقات كتلية على السفوح.

كما توجد بتلال مقدمة الريف أشكال أخرى للتعرية، مرتبطة إما بنوعية بعض الصخور أو بعمل الإنسان وتأثير المواشي على السفوح.

جدول رقم 2 : أصناف الانحدارات بتلال مقدمة الريف

أصناف الانحدارات (٪)	نسبة المساحة (٪)
. من 0 إلى 5	08
. من 5 إلى 15	18
. من 15 إلى 25	28
. من 25 إلى 35	22
. من 35 إلى 45	12
. من 45 إلى 65	10
. أكثر من 65	02
المجموع	٪100

المصدر : *خرائط الانحدارات لمقدمة الريف بمقياس* 1 : 100 000، 1967، مشروع سبو.

جدول رقم 3 : معدل التساقطات والحرارة في بعض محطات القياس بمقدمة الريف (1933 ـ 1963)

محطات القياس		الارتفاع (م)	معدل التساقطات السنوية (ملم)
تلال مقدمة الريف الشرقية	تاونات	670	904
	تيسة	240	551
تلال مقدمة الريف الغربية	وزان	164	885
	قرية أبا محمد	150	571

	معدل الحرارات القطوى (°C)	معدل الحرارات الدنيا (°C)
تلال مقدمة الريف الشرقية	23.4	11.4
	26.6	12.2
تلال مقدمة الريف الغربية	25.7	10.6
	26.0	12.0

المصدر : Ressources en eau du Maroc. 1978. p. 83 بتصرف

قبل التعريف بساكنة هذه المنطقة لابد من توطينها حسب المعطيات التي أفرزها التقسيم الإداري لسنة 1982، والإشارة إلى خصوصية هذا التقسيم بالنسبة لهذه الوحدة.

توجد هذه التلال في التراب الإقليمي لخمس عمالات، وتنتمي كليا أو جزئيا إلى ثلاث عشرة دائرة وهي كالتالي:

جدول رقم 4 : العمالات والدوائر بمنطقة مقدمة الريف

العمالات	الدوائر
سيدي قاسم	حد كورت
	مشروع بلقصيري
	وزان
	سيدي قاسم
تاونات	قرية أبا محمد
	غفساي
	تاونات
	تيسة
تازة	اكنول
	تاهلة
	تاينست
تطوان	القصر الكبير
القنيطرة	سوق أربعاء الغرب

المصدر : الإحصاء العام للسكان والسكنى لـ1982 (بتصرف)

هذا التقسيم لا يتطابق جغرافيا مع الحدود الطبيعية لهذه الوحدة التلية، الشيء الذي لا يمكن من التوفيق بين الحدود الطبيعية والحدود الإدارية، مما ينعكس سلبا على المعطيات الإحصائية عند الحديث كليا عن تلال مقدمة الريف، باعتبار أن الامتداد الترابي للعمالات والدوائر قد لا يغطي أو يتجاوز الحدود الطبيعية لهذه المنطقة وهذه المسألة ـ كما في المناطق الأخرى ـ لا تمكننا من استعمال إحصائيات متكاملة، ولذلك سنقتصر في الجانب السكاني على اختيار بعض الدوائر دون الأخذ بعين الاعتبار مسألة الحدود الجغرافية مميزين بين الخصوصيات الحضرية والريفية.

إن أهم التجمعات الحضرية بتلال مقدمة الريف تتمثل في مدينة وزان التي يصل عدد سكانها حسب إحصاء 1982 إلى 40485 نسمة، تليها مدينة تاونات بـ 10810 نسمة. أما المراكز الحضرية المهمة فهي على التوالي : قرية أبا محمد (5562 نسمة) حد كورت (3140 نسمة) وتيسة (2251 نسمة). وللإطلاع على التطور الذي عرفته هذه المدن والمراكز الحضرية نورد الجدول التالي :

جدول رقم 5 : أعداد الساكنة الحضرية ونسبة الزيادة بمقدمة الريف حسب إحصائي 1971 ـ 1982

السنوات / المراكز الحضرية	1971	1982	نسبة الزيادة
وزان	33.267	40.485	1.9
تاونات	3.101	10.810	22.59
قرية أبا محمد	4 246	5.562	2.8
حدكورت	1.257	3.140	13.6
تيسة	1.385	2.251	5.68
المجموع	43.256	62.248	3.99

المصدر : *الاحصاء العام للسكان والسكنى لـ1982*

من الملاحظات الأساسية من خلال هذا الجدول، الزيادة المهولة التي عرفتها ساكنة بعض المراكز والمدن، وعلى رأسها مدينة تاونات (22.59٪) والمركز الحضري حد كورت (13.6٪).

إن وظائف هذه المدن والمراكز بسيطة وتتلخص في الوظيفة الإدارية والتجارية لكونها تقتصر على تأطير وتزويد مجالها الريفي القريب بالحاجيات الضرورية، إضافة إلى كونها تشكل نقط التقاء محلية لأن أغلب هذه المراكز والمدن لا تقع على الطرق الرئيسية للبلاد.

تستثنى من هذه المراكز مدينة وزان التي تحتوي على وظيفة صناعية وأخرى دينية. تتمثل الأولى في الصناعة التقليدية حيث تتوفر على معاصر الزيتون وعلى محلات

للعياكة. وتتمثل الثانية في الزاوية الإدريسية والدور الذي لعبه الشرفاء الوزانيون.

وتشكل ساكنة الأرياف بتلال مقدمة الريف نسبة عالية بالمقارنة مع ساكنة المراكز الحضرية فمن خلال معطيات الدوائر المعتمدة (انظر الجدول أسفله) تصل نسبة سكان الأرياف بهذه المنطقة سنة 1971 إلى 92.59٪ و91.59٪ سنة 1982. وتعرف المنطقة كثافة سكانية عالية قدرت سنة 1968 *(Ressources en eau du Maroc)* بـ 80 نسمة في كلم2 في الجهة الغربية وبين 40 و70 نسمة في كلم2 في الجهة الشرقية. وعرفت هذه الكثافة زيادة كبيرة بين الاحصائين (1971. 1982) تمشيا مع الارتفاع الملحوظ في عدد السكان حسب الدوائر وتتراوح الزيادة عموما بين 1.32٪ و1.91٪ سنويا، وهو ما نلاحظه من خلال الجدول التالي :

جدول رقم 6 : السكان القرويون ببعض دوائر مقدمة الريف حسب إحصاء 1971 و1982

السنوات / الدوائر	1971	1982	الزيادة العددية بين الإحصائين	نسبة الزيادة السنوية (٪)
وزان	98.546	113.030	14.484	1.33
تارنات	113.296	129.834	16.538	1.32
قرية أبا محمد	99.179	118.783	19.604	1.79
حدكورت	111.028	128.969	17.941	1.46
تيسة	118.358	143.332	24.974	1.91
المجموع	540.434	633.948	93.514	1.34

المصدر : *الاحصاء العام للسكان والسكنى لـ1982*

يرتكز النشاط الاقتصادي لسكان الأرياف بتلال مقدمة الريف على الأنشطة الفلاحية، أساسها زراعة الحبوب والخضراوات، والمغروسات الشجرية وتربية المواشي. فمن خلال خريطة استعمال التربة (أطلس حوض سبو) نميز بين بعض المجالات وبعض أنواع المزروعات والأنشطة.

تبين الخريطة السالفة الذكر بأن الجهة الشمالية الوسطى من هذه التلال تحتلها مساحات غابوية مهمة، تقل كلما اتجهنا نحو الجنوب، وهي مجالات للمراعي الدائمة ولاستغلال الأخشاب فضلا عن استغلال بعض المساحات للنشاط الزراعي (الزراعات الخريفية).

وتختص قعور الأودية بهذه التلال في الزراعات المتخصصة مثل الخضراوات والخوخ والخضر الصيفية كالدلاح والبطيخ، نظراً لتوفر الرطوبة وفي بعض الجهات المياه السطحية والباطنية.

وتنتشر على السفوح الوعرة وفوق بعض القمم مغروسات أهمها أشجار الزيتون، وبعض الأنواع الأخرى من الأشجار المثمرة مثل أشجار التين رغم قلتها وهي مغروسات تعرف انتشارا كثيفا في الجهة الوسطى والغربية من تلال مقدمة الريف.

أما بالنسبة للزراعات فهي زراعات متعاقبة من صنفين كبيرين :

+ الزراعات الخريفية مكونة من قمح وشعير

+ الزراعات الربيعية مكونة من الذرة والقطاني بأنواعهما المختلفة ومن المعلوم أن سكان هذه المنطقة يتعاطون لأنشطة تكميلية مثل تربية المواشي والتجارة بالأسواق المحلية، فضلا عن وجود نسبة هامة تهاجر موسميا نحو المناطق الشمالية والجنوبية للعمل بالقطاع الفلاحي، ووجود عمال مهاجرين بالخارج يساهمون بعائداتهم في تحسين وضعية أسرهم.

من خصوصيات السكن بتلال مقدمة الريف احتلاله لمواضع معلقة فوق القمم أو في أعالي السفوح ؛ إلا أن التطور الحالي، وبعد استرجاع الأراضي من المعمرين، بدأ السكن ينتشر في قعور بعض الأودية بالقرب من نقط الماء. ويستغل السكن التقليدي مواد بناء محلية وخاصة الصلصال والحث بينما يستعمل السكن العصري الذي بدأ يظهر على جوانب طرق المواصلات المواد المصنعة المعروفة.

وبالجملة فإن تلال مقدمة الريف هي منطقة شبه متجانسة طبيعيا وبشريا، وتتسم بثلاث خاصيات أساسية. تتعلق الأولى بالتنوع الملحوظ في الأوساط الطبيعية وفي الأنشطة الفلاحية المزاولة. وتتعلق الثانية بالمحدودية المطلقة في الأنشطة بالمدن والمراكز الحضرية. أما الخاصية الثالثة فهي مرتبطة بالزيادات السكانية السريعة مما يؤدي إلى ارتفاع الكثافات بالأرياف وتوسع المدن والمراكز الحضرية بهذه المنطقة.

J. Avenard. *Les cartes d'érosion du Prérif au 1 : 50.000. I.N.R.A. Projet Sebou*, édition provisoire, 1965 ; G. Lazarev. *Structure agraire et grandes propriétés en pays Hayaina (Prérif). R.G.M.*, n° 9, pp. 23 - 32. 1966 ; Projet Sebou, *"Différents rapports inédits sur l'aménagement de la région prérifaine"*, Documentation complète *l'Etude physique et humaine sur le bassin du Sebou)*, 1963 - 1968 ; *Cartes des pentes du Prérif au 1 . 100.000*, I.G.N dans le cadre du P.N.U.D. 1967 ; *Atlas du bassin du Sebou, Carte de l'utilisation du sol*, planche 16. 1970 ; M. Combe, *La zone prérifaine et les rides prérifaines, Ressources en eau du Maroc*, pp. 81 - 111, 1978 ; D. Leblanc, *Etude géologique du Rif externe oriental, au nord de Taza, notes et mémoires du service géologique du Maroc*, n° 281, pp 134 - 139 ; *Recensement général de la population et de l'habitat du Royaume du Maroc en 1982. Bulletin officiel* n° 3679 du 4 mai 1983 ; A. El Bouzidi, *Vallée moyenne de l'oued Lebène (Prérif, Maroc), Etude de cartographie géomorphologique*, thèse de 3ème cycle, Université de Poitiers, France, 1987.

عيسى البوزيدي

* بعض أهم قضايا الجغرافيا البشرية للريف : يستقطب الريف ما يقرب من ٥ \ ١٪ ساكنة البلاد، حيث تتجمع بنسب تفوق نظيرها بالمناطق الخلفية. وهو ما تعكسه كثافة متوسطة تتجاوز 100 ن \ كلم^2، أي ثلاثة أضعاف المعدل الوطني. ولعل انتشار السكن وغلبته على المنظر العام لواديه يترجم مدى الضغط الذي تتحمله الموارد الطبيعية من غابات وأتربة ومياه.

يتجه استقرار السكن إلى النوع المتفرق المتباعد، وفي حالات أخرى يحتفظ بتجمعات متراصة على هيأة دوارير ومداشر غالبا ما تستقر في قعور الأودية أو تحتمي فوق السفوح الوعرة الآمنة.

غير أن الصفة الملازمة لساكنة جبال الريف حاليا هي تدهور أنماط عيشها، الأمر الذي ينعكس باستغلال عنيف للمجال انتهك حدود التحمل منذ أوائل القرن 20. وقد تجددت وتيرة الاستنزاف منذ السبعينات بطريقة أعنف لأسباب اقتصادية وعقارية تتمحور حول تملك الأرض والزراعة المحظورة. ومن أهم مسببات الضغوط التي توالت بهذه المنطقة نجد :

. تزايداً كبيراً في أعداد السكان (أزيد من 3٪ \ سنة) حيث تم تجاوز حاجز 5 مليون نسمة. وهذا ما يفسر كثافات تناهز 100 نسمة \ كم^2 بعدما كانت في حدود 40 سنة 1971.

. النسبة العالية من السكان القرويين 84٪ رغم موارد فلاحية محدودة ومتداعية لا تفي بحاجيات غذائية من حجم هذه الساكنة.

. اتساع الأنشطة غير المبرمجة كالمسالك القروية والمنشآت والمباني مما زاد من كثرة الأعطاب المستنزفة لتوازن السفوح.

. تضاعف أعداد المراكز والقرى المستقطبة للسكان بالساحل المتوسطي وعلى امتداد الطرق والممرات الجبلية.

ومثلما يوحي هذا التقديم بقدر الاستنزاف الممارس على المصادر الأولية كالماء، والتراب والغابة، يتم تعويض الخصاص على مستوى الأراضي الفلاحية والعقارية باستئصال الغابة، علما أن الطلب يتضاعف موازاة مع النمو الديمغرافي، على رأس كل 20 سنة.

السكان والكثافات بالأقاليم الشمالية : يتميز توزيع ساكنة الريف بظاهرة الانتقال نحو الهوامش الجبلية والعزوف عن الجهات الوعرة المنعزلة خاصة بعد تدهورها وتقلص الإمكانات اللازمة للاستجابة إلى المتطلبات الأساسية وبالطبع سيؤدي التكدس المفرط للسكان على السواحل إلى تصحر حقيقي لها كما يتجلى من المشاهد المماثلة لسواحل الهضبة الوسطى والهضاب الأطلنتية.

توزيع السكان

تنب	مساحة كم2	السكان	قرويون	حضريون	كثافة ن\كم2
طنجة	1.195	627.963	101.748	526.215	525.5
العرائش	2.784	431.476	229.991	201.485	155.0
تطوان	3.242	537.290	169.941	367.349	165.7
الشاون	4.350	439.303	396.389	42.914	101.0
الحسيمة	3.550	382.972	270.384	112.588	107.9
تاونات	5.585	628.840	576.566	52.274	112.6
تازة	15.020	708.025	501.844	206.181	47.1
الناظور	6.130	683.914	437.801	246.113	111.6

الإحصاء العام 1994

ورغم وتيرة الهجرة، فسكان الحواضر يشكلون أقل من ثلث السكان، بل أقل من العُشر بجهة تازا الحسيمة تاونات وهو قرابة ضعفي المعدل الوطني. بحمل مضامين تؤكد موقع ودلالة هذه الجبال كمجال يستقطب أنشطة فلاحية بالأساس. كما يوحي بحجم البنيات التحتية اللازم على الدولة توفيرها لتلبية حاجيات قاعدة هرمية ضخمة من السكان.

بنية الأعمار ببعض أقاليم الريف

أعمار	الحسيمة	تازة	تاونات	الشاون	تطوان
4 .0	14.6	13.3	14	17.1	12.5
9 .5	14.9	14.5	15.1	17.0	12.3
14 .10	13.2	13.8	14	13.6	11.9
19 .15	11.1	11.6	11.1	10.4	11.6
24 .20	9.3	9.3	9.1	8.0	9.8
29 .25	7.5	6.9	6.6	6.1	8.2
34 .30	7.0	6.4	5.7	5.9	7.8
39 .35	5.4	5.0	4.4	4.6	6.0
44 .40	3.8	3.9	3.9	3.7	4.7
49 .45	2.5	2.8	2.7	2.6	3.1
54 .50	2.9	2.9	3.5	2.7	3.4
59 .55	2.4	2.5	2.6	2.1	2.9
64 .60	2.1	2.5	2.6	2.1	2.5
69 .65	1.3	1.4	1.4	1.2	1.4
70+	2.1	3.1	2.8	2.8	2.8

الإحصاء العام 1994

أهمية الناشئة والفئات ذوي الأعمار الدنيا بالريف تظهر جانبا مما يلزم توفيره على مستوى التمدرس والتطبيب والخدمات الاجتماعية. فبعدما ظل الريف قطبا

ومصدرا للمعرفة عبر الزوايا والمدارس، تحول في أواخر القرن 20 إلى بؤرة للجهل والأمية كما يتبين من الجدول التالي :

الأمية لدى ساكنة الريف

إقليم	حواضر	قرى	ذكور	إناث	مجموع
الحسيمة	42	76	48	81	65
الشاون	33	75	51	89	70
تاونات	41	74	54	88	72
تازة	39	75	48	78	64
تطوان	38	78	37	63	50
المغرب	37	75	41	67	55

وكالة تنمية الأقاليم الشمالية 1999

وكرد فعل تلقائي إزاء هذا الفائض البشري المفتقد لسبل التنمية، تحولت المنطقة إلى مصدر لليد العاملة باتجاه باقي جهات المغرب وباتجاه أوربا (*الرفاص*، 1996) مثلما كانت الهجرات الداخلية والخارجية سائدة طوال النصف الثاني من القرن 20، تزود جبال الريف بواسطتها المدن والمراكز الساحلية بفائض السكان، وهو دور مارسته مع دول الضفة الأوربية المقابلة.

الهجرة نحو أوربا حسب البلاد المستقطبة وحسب مناطق "التصدير"

البلد	طنجة	تطوان	الشاون	الحسيمة	الناظور	تاونات	تازة	الريف	المجموع
فرنسا	22.192	36.762	34.600	22.637	40.755	22.270	8.840	199.356	720.000
بلجيكا	15.150	13.452	5.432	9.487	38.832	4.910	2.590	93.353	170.000
هولندا	9.590	10.250	4.545	10.642	28.945	1.420	2.028	69.812	190.000
ألمانيا	4.445	2.122	3 645	7.382	28 960	3 027	6.800	50.781	80.000
إيطاليا	4.235	2.012	3.107	3.547	4.905	2.042	9.600	22.498	130.000
إسبانيا	6.700	12.850	3.070	10 002	14.980	4.200	3.000	53.202	90.000
إنجلترا	7.892	1 390	1.337	-	2.200	-	1.640	11.048	28.000

وكالة تنمية الأقاليم الشمالية 1999

التقسيم الإداري بين المجالات القروية والمراكز الحضرية : من مجموع 16 جهة على الصعيد الوطني، تتوزع الريف ثلاث جهات اقتصادية هي الجهة الشرقية والشمالية الوسطى والشمالية الغربية. يعتمد التقسيم الإداري بالريف منذ 1992 أقاليم جبلية بالأساس هي الحسيمة، الشاون، تاونات، تطوان تازا، تشمل لوحدها 198 جماعة، 176 منها قروية و19 حضرية.

توزيع الوحدات الإدارية بالريف الأوسط

إقليم	دائرة	ج. قروية	ج. حضرية
الحسيمة	3	31	4
الشاون	4	33	1
تاونات	4	44	5
تازة	6	43	6
تطوان	2	25	6
المجموع	19	176	22

التقسيم الإداري، الجريدة الرسمية، 1992

بينما تتوزع الحواضر الكبرى المحيطة صفة الولاية : طنجة وتطوان وفاس إلى جانب وجدة في الشرق. وهو حتما تقسيم لا يراعى كافة الاعتبارات وفق وحدات متكاملة تستجيب لمتطلبات تدبير وتنمية فعلية. وليست كل الجماعات متوفرة على البنيات والشروط اللازمة لخدمة المصالح الفعلية للسكان.

ولطبيعة انتظام التضاريس أثر مباشر على توزيع ساكنة الريف خاصة منها تجمعات المراكز القروية والحضرية بحيث يمكن اقتراح تراتبية عبر خمسة محاور رتبية شرقية غربية تنتظم من الشمال نحو الجنوب على الشكل التالي :

. المحور الأول ساحلي، تتنامى به بعض المراكز هي طريس، مسطاسة، سيدي نترح، الجبهة، أمتر، بوأحمد، ترغة، واد لاو، أمسى.

. المحور الثاني بين الحسيمة . تطوان ويشتمل من الشرق إلى الغرب على مراكز أحدير، بني حذيفة، تارجست، إكاون، باب برد، باب تازا، الشاون، بني حسان، بنقريش.

. المحور الثالث يبدأ من تزي وسلي ويمر عبر أكنول، أحدير، بورد، طهر السوق، بني وليد، برهردا، سيد المخفي، غفساي، زومي.

. المحور الرابع يبدأ من مزكيتام ثم كهف الغار، بني فراسن، عين مديونة، عين عيشة، وارتزاغ، تافرانت وأخيراً جرف الملحة.

. المحور الخامس يبدأ من لسون، ثم مرتلال، مكناسة، بني لنت، أولاد زباير، وطابوعبان، تيسة، أولا جامع القرية.

وينتهي هذا التراتب جنوبا على نفس الصيغة بدءاً من منخفض گرسيف وانتهاءً بمنخفض الغرب ومروراً عبر الفحامة، تازا، باب مرزوقة، واد أمليل، التبابات، مطماطة، الطوايع، سايس.

ومع تباين التقسيمات يتضح أن المنطقة الريفية تخضع

لنفوذ محورين حضريين هامشيين هما :

1 . محور وجدة . بركان . الناظور

2 . محور طنجة . تطوان

خصاص في المنشآت الأساسية بالريف : من عناصر إشكالية التنمية بالريف كذلك عدم اندماج المنطقة كليا في المنظومة الاقتصادية والاجتماعية الوطنية جراء نقص محسوس في شبكة الطرق والمسالك المعبدة والتجهيزات ذات الطبيعة الحيوية. كما أن ضعف المراكز المؤهلة والقادرة على بلورة تطلعات السكان وتوظيف مثالي للموارد الطبيعية يجعل قضية التنمية عملية صعبة يتعذر الوصول إليها آنيا. وهي مسألة ذات حساسية تجعل من الريف وسطا مغلقا رغم وجود نماذج جبلية مماثلة بالأطلس المتوسط (افران، إيموزار، الحاجب...) تعتبر مراكز استقطاب حقيقية مقارنة مع كتامة، تارگيست، بني بوفراح التي تشتمل على عناصر تنمية مشابهة. وبالطبع كل ذلك يوجه أنماط الاقتصاد وطبيعة النماء المحلي والجهوي.

ظلت الشبكة الطرقية بالريف إلى حدود سنة 2000 دون الحد اللازم للوفاء بمستلزمات السكان ومتطلبات التنقل. ومن ذلك أن الكثافة الطرقية بمعدل 1.5 كم / 1000 نسمة هي دون المعدل الوطني الذي يصل 23 كم / 1000 نسمة. مع العلم أن نصف النسيج الطرقي يستدعي عناية فعلية لمواجهة تداعيات الحركات السفحية وفيضانات قعور الأودية. وقد يتعذر استغلال جزء كبير من هذه البنيات حين تتطلب إصلاحات متكررة وجد مكلفة. لذلك مازالت بعض الجهات الساحلية بين الناظور والجبهة تفتقد لطرق حقيقية وتعاني من العزلة المطلقة.

البنية الطرقية الريفية (كم)

أقليم	طريق رئيسي	طريق ثانوي	طريق ثلاثي	المجموع
تطوان	159	151	36	345
الشاون	172	135	277	583
تاونات	59	274	362	695
الحسيمة	158	110	140	409
تازة	149	491	377	1.017

وكالة تنمية الأقاليم الشمالية 1999

للطرق تأثير مباشر على تنظيم المجال الريفي خاصة من حيث توزيع الساكنة واختيار الأماكن والمواقع اللازمة لمختلف الأنشطة، حيث ساهمت على قلتها في تغيير الأسس السوسيو . اقتصادية للمنطقة من حيث كونها تسمح بالحد الأدنى لرواج التجارة والخدمات. لذا أجمع كل المتدخلين في الحوار حول إعداد التراب الوطني سنة 2000 على ضرورة ملاءمة البنيات التحتية لهذا المجال بحيث تستطيع تلبية الاحتياجات وتجاوز ثنائية محدودة قائمة على محور طريق الوحدة (بين تاونات وكتامة) من جهة ومحور طريق القسم بين تطوان والحسيمة من جهة أخرى.

جراء هذا الافتقاد لطرق مواصلات فعالة، اندفع السكان إلى شق المسالك والممرات الوعرة تؤلف حاليا شبكة عشوائية أنجزت في إطار مبادرات منفردة أو نظرها بعض الجماعات. وهي بقدر ما ساهمت في فك العزلة عن التجمعات السكنية، بقدر ما ألحقت أضرارا بليغة بالتشكيلات السفحية الترابية والنباتية.

ومن شأن إنجاز الطريق الساحلي خلق بوادر تحولات نوعية ستطرأ لا محالة على الواجهة المتوسطية لتحدد منظومة مجالية وفق المنظور التالي :

. تسريع ظاهرة التمدين وتضاعف أعداد المراكز الحضرية نحو الساحل

. تزايد ساكنة المناطق الساحلية

. التحول من اقتصاد زراعرعوي إلى اقتصاد الخدمات

. تحديث نماذج الإنتاج الفلاحي من أجل تلبية سوق متنام وذلك بسهول نكور، بني بوفراح، مسطاسة، بوأحمد، واد لاو...

. تراجع وقع العزلة ارتباطا بتنامي السياحة ورواج السوق المالية.

يتضح مما سلف أن الوضع السكاني بجبال الريف يعاني من الحالات التالية :

1 . عدم التكافؤ بين كثيرين من جهة وموارد طبيعية منهكة ثم بنيات هزيلة من جهة أخرى

2 . انعدام منظومة حضرية متراصة ومتوازنة النفوذ والإشعاع

3 . حالة العزلة التي تعم البوادي وغياب الاندماج ما بين المجال القروي والإطار الجهوي

4 . اتجاه عام نحو الزراعة الممنوعة زراعة القنب الهندي : الكيف وتجارة التهريب.

استعمال متنوع للتربة : لا يمكن تعميم منظور موحد بحكم استعمالات التربة بالريف نظرا لاختلاف المؤثرات الطبيعية والبشرية بين أجزائه بحكم أنها تحدد سلفا أنواع الاستغلال ومدى قابلية الأراضي لأنشطة زراعية معينة دون أخرى. والواقع السكان يحددون سلفا نوع الاستغلال في أكثر من جهة. فتراجع تربية الماشية نتيجة حتمية لزوال المجال الغابري وهذا يتم تعويضه بزراعة أحادية هي زراعة الكيف.

ويمكن التمييز بين أربع مناطق ذات شخصية فلاحية قائمة .

. شبه جزيرة طنجة وتضمها نطاع اللكوس السقوي، تتنوع المحاصيل بين زراعات موسمية مثلالة وزراعة المصارية والسويق

. المنطقة الوسطى وهي جبلية متضرسة، ذات مردود فلاحي هزيل لايفي بحاجيات السكان. مما دفع بهم إلى

الهجرة أو تعويض نقص الإنتاجية بعائدات الكيف.

- المنطقة الشرقية : تربتها ضعيفة، تشكو قلة الأمطار والجفاف، تعتمد الحبوب ومغارس اللوز والتين.

- مقدمة الريف بين وزان وتازا، تمتاز أتربتها بالغنى والإنتاجية وبمحاصيل القطاني والحبوب والزراعات البورية ومغروسات الزيتون.

توزيع المساحات حسب أنماط الاستغلال

إقليم	أراضي بور	أراضي سقي	غابات	مراعي	مجموع
الحسيمة	129.000	6.500	116.000	111.800	364.200
الشاون	96.200	3.800	175.000	160.000	435.000
تاونات	369.800	2.000	36.400	162.800	571.000
تازة	312.700	20.300	506.000	561.000	1.400.000
تطوان	68.300	7.700	130.000	48.000	254.000

وكالة تنمية الأقاليم الشمالية 1999

ومن شأن تحديد نطاقات فلاحية تمتد أفقيا عبر هذا المجال الجبلي إضفاء طابع متكامل للريف كوحدة جغرافية كبرى ؛ وتتألف هذه النطاقات من :

- حزام الزراعات البورية الموسمية من حبوب وقطاني تشغل سلسلة التلال والجبال المنخفضة دون 1000م الممتدة من العرائش إلى تازا.

- حزام المغروسات والأشجار المثمرة فوق السفوح الوعرة للريف بين أكنول ووزان ومنها أشجار التين والزيتون والعنب المعلق والبرقوق والرمان واللوز والجوز...

- نواة وسطى تتألف من سفوح عارية أزيحت عنها غابات متنوعة، حلت محلها زراعة الكيف المحظورة.

الغطاء النباتي وتقييم الموارد الطبيعية : يتميز الريف بكونه أغنى منطقة بالمغرب من حيث التشكيلات النباتية (بنعبيد، 1982 ؛ موريز، 1990). كما أن خصائصه البيوجغرافية تأخذ معانيها من المقاربات التي تربطها بالضفة الشمالية للبحر المتوسط والسلسلة البيتيقية. تتناقص التشكيلات النباتية من الغرب نحو الشرق، وتمثل النباتات الوعائية حوالي 2000 نوعا أغلبها يستقر بالريف الأوسط بينما تستقطب السفوح المتوسطية حوالي الثلث. وتبلغ الأنواع الأصلية حوالي 215 نوعا. إلا أنه بالنظر إلى حجم الزوال الذي يصيب الغابات، أصبح ما تبقى منها يكتسي أهمية قصوى جعلت الجهات المعنية تلجأ إلى العمل بالمحميات الطبيعية (بقويا، تلاسمطان) حفاظا على نبيت ووحيش المنطقة أو عملا بتوصيات بعض المؤسسات النافذة.

تتألق أحراج الواجهة المتوسطية من العرعر والصرو والزبوج إلى جانب الخروب مما يعكس مناخية شبجافة ما تلبث أن تتحول إلى غابات البلوط الأخضر والبلوط الفليني بعلو 30م ثم أشجار الأرز والشوح التي تعلو إلى 50 و60م أحيانا.

غير أن زوال الغابة ظاهرة تلازم جل مناطق الريف حيث تتعرى مساحات بكاملها ولا تتوقف إلا بمناسبة روضة ولي أو مجال وقف أو محيط إدارة المياه والغابات. وهي عملية تبدأ من قعور الأودية لتصعد في اتجاه القمم، وقد تتآكل من الأطراف فتتقلص بطريقة تراجعية أو انطلاقا من نقطة نائية أو تتم إثر حرق بمنهج "إجرامي" لا تلبث الزراعة أن تحل محله خلال الموسم اللاحق.

أفرزت هذه "الدينامية" أرقاما تعبر عن حصيلة إجمالية لعقود من سوء التدبير هي كما يلي :

- غابات وأحراج : أقل من 15٪.

- استغلاليات زراعية ومغارس 30 - 40٪.

- مراعي وأراضي صخرية عارية حوالي 50٪.

ومن القضايا القائمة بالريف تلك المرتبطة بتلف الأتربة جراء عنف الأمطار وعمق الجريان السائح والمركز. ينتج عن ذلك تقلص المساحات المزروعة بشكل يمكن معاينته على فترات وجيزة خاصة وأن تراجع الغطاء النباتي يتم بوتيرة متسارعة. ولعل المناطق على الساحل شرق الجبهة هي الأكثر تربا على الإطلاق (أحواض مسطاسة، بني بوفراح، غيس، نكور). تليها عالية ورغة ومقدمة الريف.

وبتعميم شديد لتشكيلات ومظاهر التعرية السائدة يمكن تحديد مظاهر تستقر فوق صخور الطين والنليشر المورن والشيست والصلصال.

1 - تعرية عشائية وسيول تتطور نحو الأساحل بالريف الأوسط والشرقي ومقدمة الريف.

2 - تعرية مزدوجة سطحية وعميقة فوق سفوح مقببة ومتموجة تتأثر لها المغروسات والمنشآت والطرق.

3 - تعرية كتلية وسفوح متدرجة ذات حفر رأسية للدفق الوحلي تنشط موسميا.

وهي أشكال توحي بدور فعال للمناخ في تحديد الدينامية ارتباطا بالتوجيه والرطوبة. كما تسبب مضايقة حقيقية للأشجار والمباني والأعمدة والأنشطة الفلاحية بما في ذلك الحيازات المسقية وقطاعات الري الصغرى. وفي ذات الوقت يبدو أن المنشآت المائية وحقينات السدود المحيطة بالريف بدأت فعلا تواجه توحلا كاملا في سد علي تحلات والنخلة وجزئيا في سد محمد الخامس والخازن وتهديد الباقي بما في ذلك إدريس الأول و9 أبريل والوحدة.

خلاصة :

بالرغم على العديد من المعطيات المشتركة مع السلسلة

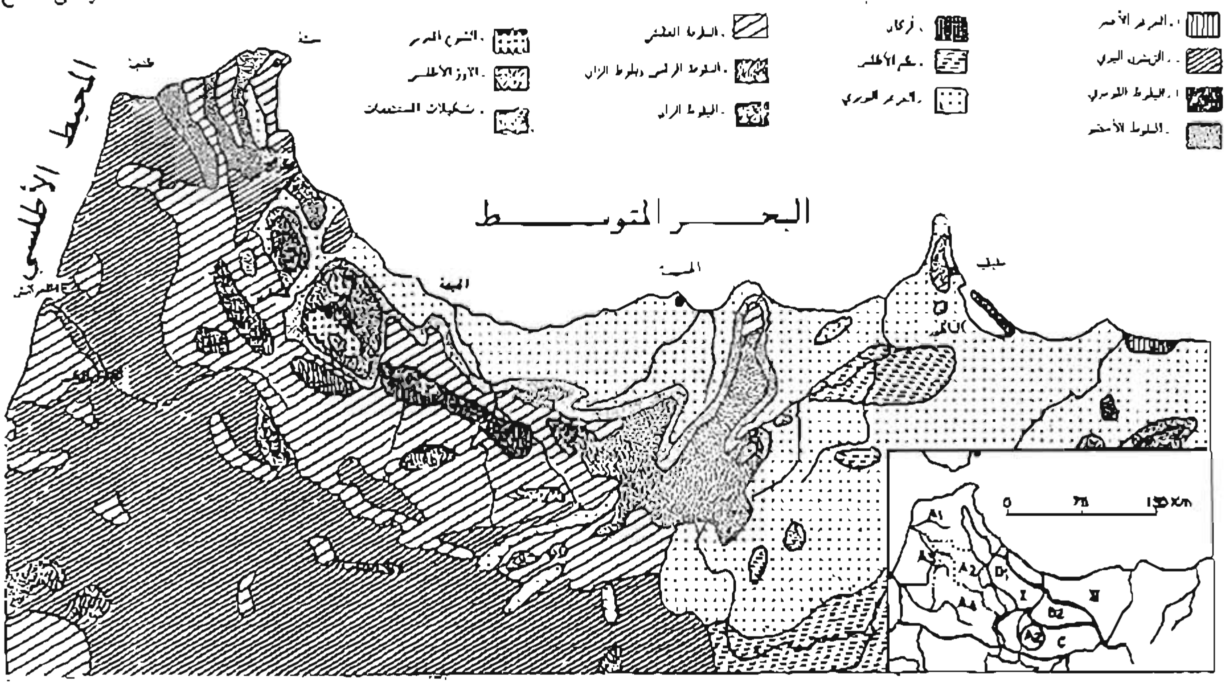
الثلج بالسلسلة جبال الريف خصائص بحيث ترتبط بالفوارق بين السطح المرتفع شمالا وشرقا وريف جنوبا. كما أن الفوارق كبيرة بين راجهة ترقية يغلب عليها الجفاف والريف الغربي حيث تطغى الرطوبة.

من هنا يتحدد الجانب الأكبر من الموارد الطبيعية وما يليها من نماذج استقرار بشري وأنشطة سكانية. ومن الطبيعي أن استغلال التربة دفع ساكنة الريف إلى انتهاج أساليب في التعامل مع مجالها ترتبت عنه مخلفات سلبية ما لبثت أن أخلت بالتوازنات. لذلك وفي غياب سياسة جادة واضحة المعالم لحماية التراب وإصلاح المجال، تطبق على أرض الواقع في شكل مشاريع للتنمية المستديمة، ستحصد هذه الجبال لا محالة مزيدا من الأضرار التي قد تسبب نزيفا شاملا يفرغها من مقوماتها الطبيعية الأساسية ويدفع بها نحو تصحر كلي.

برشتي الفلاح، *دراسة جيومرفلوجية لجزء من أخدود الجبرب الريفي، ممر تازة غرب فج الطواهر*. دبلوم الدراسات العليا. كلية الآداب. الرباط. ص. 233. 1986 ؛ 2000، *حركات السفوح والمخاطر المرتبطة بها في الريف الأوسط*. أطروحة. د. د. كلية الآداب، الرباط، ص. 330 ؛ نعيمة كيي.1999 : *عالية حوض ورغة. منطقة ظهر السوق : دراسة جيومرفلوجية، التطور المرفلوجي والدينامية الحالية*، الدكتوراه الوطنية. كلية الآداب. الرباط، ص. 321 ؛ فاطمة الشريخ، 1996 : *التشكيلات السطحية والدينامية الحالية لمنطقة ترزال - أولاد عيسى (مقدمة الريف الغربي)*. د. د. ع. كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص. 205 ؛ فاطمة مركبري، 1996 ؛ *مظاهر السطح والتشكيل بمجال تارنات (الريف الأوسط)*. دراسة جيومرفلوجية، د. د. ع، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص 240 ؛ سعيد شاكر، 1996 : *مظاهر السطح والتشكيل بمجال غنساي (الريف الأوسط)*، دراسة جيومرفلوجية، د. د. ع، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص 248 ؛ محمد بلموزونة، 1993 : *الترسبات السطحية بمنطقة منزع بلقصيري*، دراسة جيومرفلوجية، د. د. ع، في الجغرافيا. كلية الآداب، الرباط، ص. 238 ؛ محمد زاكي، 1996 : *منطقة تاونات، الحوض الأوسط لوادي ورغة*، دراسة جيومرفلوجية، د. د. ع، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص 310.

A.P.P.N (Agence de Promotion des Provinces du Nord), *Rapport d'activité 1999*, inédit Paidar Med (Programme d'Action Intégré pour le Développement et l'Aménagement de la Région Méditerranéenne Marocaine), 1996 ; L. Asebriy, *Evolution tectonique et métamorphique du Rif central, définition du domaine subrifain*. Thèse d'Etat. Univ. de Rabat. 284 p., 1994 ; J.J. Barathon, *Bassins et littoraux du Rif oriental, Evolution morphoclimatique et tectonique depuis le Néogène supérieur. Etudes Méditerranéennes*. fas. 13. 531 p. 1989; Direction Provinciale d'Equipement de Chefchaouen, *Rocade Méditerranéenne, lot n° 2, Tétouan - Al-Hoceima - Etude d'impact*, 1999 ; A. El Gharbaoui, *La Terre et l'homme dans la péninsule Tingitane, étude sur l'homme et le milieu naturel dans le Rif occidental*. Rabat, p. 439, 1981 ; J. Lecoz, *Le Gharb, Fellahs et Colons*, 2 tomes, Rabat, 1964 ; Mara, Plan Directeur des Aires Protégées du Maroc, *Etude et définition des sites protégés et élaboration des plans de gestion des parcs nationaux du Maroc*. 1995 ; G. Maurer, *Les montagnes du Rif central, étude géomorphologique*. Rabat, 1968 ; A. Refass, *L'organisation urbaine de la péninsule tingitane*, thèse doct. d'Etat. Univ. Paris I, 1993 ; J.P. Thauvin, *Ressources en eau du Maroc, domaine du Rif et du Maroc oriental*, Rabat, 1971 ; J.F. Troin, *Les souks marocains, marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc*. Aix-en-Provence

برشتى الفلاح



الغطاء النباتي

تم طبع الجزء 13 من معلمة المغرب
بمطابع سلا وبمطبعة النجاح الجديدة
في رمضان عام 1422 / نونبر 2001

مطابع سلا
قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا
معلمة المغرب

« sala »

IMPRIMERIE DE SALÉ

Lot 14, Rue Othman Ibn Affane
Zone Industrielle de Tabriquet
B.P. 596 - SALÉ

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc

13

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

"SALA"

2001 - 1422

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN (Tome XIII) 9981 - 03 - 019 - 8

Encyclopédie
du
Maroc

عصور التاريخ الإ…

التقسيم الزمني	وقائع سياسية واقت… في المغرب
عام 253. 260 / 867. 873	قحط شديد عم المغرب والأندلس وافريقيا ومصر ثم ما وراءها من بلاد الشرق العربي.
عام 270 / 83. 884 عام 297 / 9. 910	قيام إمارة بني مدرار بجنوب المغرب. انقراض إمارة بني مدرار.
عام 305 / 17. 918	هجوم مصالة بن حبوس قائد عبد الله الشيعي الفاطمي على المغرب.
عام 310 / 22. 923	استيلاء موسى بن أبي العافية على مملكة فاس وبلاد المغرب بعد موت الحسن الحجام الإدريسي.
عام 317 / 29. 930	تظاهر بني إدريس على قائد موسى بن أبي العافية.
عام 323 / 935	
عام 324 / 936	
عام 358 / 969 عام 359 / 970	
عام 384 / 994	بناء مدينة وجدة على يد زيري بن عطية المغراوي.
عام 392 / 1002	موت المنصور بن أبي عامر وقيام ملوك الطوائف بالأندلس.
عام 424 / 36. 1037	اشتداد المنافسة بين أمراء بني يفرن وأمراء مغراوة.
عام 440 / 1049	خروج يحيى بن إبراهيم الگدالي إلى الشرق واتصاله بأبي عمران الفاسي في القيروان.

…قية واجتماعية	
في بقية العالم الإسلامي	*المواقع الرئيسية*
قيام الدولة الصفدية.	الغرب والشرق العربيان سجستان
	تافيلالت
الفاطميون بالمغرب.	المغرب
	فاس
استيلاء القرامطة على مكة.	مكة
قيام الدولة الأخشيدية بمصر.	مصر
بناء مدينة الزهراء بقرطبة.	مدينة الزهراء
انتقال الفاطميون من تونس إلى مصر وبناء القاهرة. بناء جامع الأزهر.	القاهرة الأزهر
	وجدة
	الأندلس
نهاية خلافة قرطبة بالأندلس.	قرطبة
	الصحراء القيروان

Encyclopédie du Maroc

13